قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

المجلد الأول

الجزء الأول

المحتوى:

إبراهيم بن محمد بن حيدر - سعيد بن عيسى بن سعد الله

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان


قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

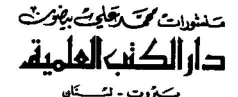
منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م . ١٤٢٦ هـ



منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

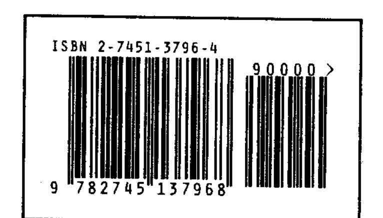
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



ISBN 2-7451-3796-4

مقدمة المحقق

● تمهيد .

● ابن الشعّار الموصلي .

- اسمه ونسبه .
- نشأته وثقافته .
- مهنته .
- أساتذته وشيوخه .
- تنقلاته وأسفاره .
- شعره .
- وفاته .
- إشادة مترجميه به .
- مصادر ترجمته .

● قلائد الجُمان في فرائد هذا الزمان .

- موارده .
- الناقلون عنه .
- وصف المخطوطة .
- منهجي في التحقيق .
- شكر وتقدير .



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين..

وبعد:

«عُني العرب بتدوين تأريخهم عنايةً قلّ أن تُساويهم فيها أمة من الأمم أو تُدانيهم؛ وافتنّوا في ذلك افتنانًا يدعو إلى العجب والإعجاب؛ فمن ذلك ما ألّفوه في تأريخهم السياسي من الكتب والأسفار الطوال؛ مرتبًا على السنين، أو مقسمًا بحسب الدول والإمارات؛ وضمّنوه أخبار ملوكهم وخلفائهم وأمرائهم وحروبهم وأيامهم، ومظاهر مدنيتهم وحضارتهم، وصنوف علومهم ومعارفهم وألوان ثقافتهم؛ مع ذكر مجتمعاتهم وأسواقهم وأجلاب تجارتهم؛ ولم يخلُوه من الاستطراد إلى رواية أشعارهم وآدابهم، والاسترواح بالحديث عن محاوراتهم ومطايباتهم وأفاكيههم؛ كما نرى ذلك فيما كتبه الواقدي واليعقوبي والطبري والمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون والمقريزي وغيرهم.

ومنها ما وضعوه في تراجم الرواة، ورواة الحديث على الخصوص؛ فجمعوا أخبار الثقات، وميّزوا رُواة كتب الصحاح، وأحصوا الضعفاء والمتروكين والوضّاعين والمدلّسين؛ ليمتاز الحسن والصحيح عن الضعيف والموضوع؛ كما فعل البخاري والنسائي والدارقُطني وابن أبي حاتم والمِزّي والذهبي وابن حجر؛ وكتبهم في ذلك سائرة مشهورة.

أو ما صنفوه في تاريخ البلدان وتراجم من نشأ فيها، أو رحل إليها من العلماء؛ وخاصة البلاد التي زخرت بالمدارس والمعاهد، وعمرت مجالسها بصنوف المعارف والآداب؛ كبغداد والكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة وبلاد اليمن والرّي ومَرْو وإربل وبلخ وقزوين والقاهرة وقوص والقيروان وبلاد الأندلس؛ وكانت هذه الكتب مراجع أصيلة في تأريخ الآداب والفنون.

كما ألّفوا في طبقات شتى من الناس، كالفقهاء والحكماء والأطباء والأعيان والشعراء، والعميان والعور، حتى الحمقى والمفلوكين والممرورين، كان لهم في تأريخ العرب نصيب»[١].

وكان الشعراء من هؤلاء الذين عُني بهم فريق من المصنفين عناية خاصة، فعمدوا إلى تصنيف كتب تجمع أشعارهم، وتدوّن تراجمهم، وتَتَتَبَّع أخبارهم، وتحصي كتبهم وآثارهم، وتتعرض لنقدهم في كثير من الأحيان.

ويُعد كتاب «البارع في أخبار الشعراء المولدين» لهارون بن علي المنجم البغدادي ـ ت٢٨٨هـ ـ أول حلقة في سلسلة هذه الكتب حيث ترجم شعراء عصره، القرن الثالث، وجميع من كتب من بعده نسج على منواله، وقد ضاع هذا الكتاب القيّم مع ما ضاع من كتب التراث، إلا أن بعض المصادر القديمة حفظت لنا مقتطفات من تراجم شعرائه وأشعارهم.

وألّف في القرن الثالث نفسه نظير لهذا الكتاب هو «طبقات الشعراء المحدثين» لابن المعتز ـ ت٢٩٦هـ ـ ذكر في مقدمته أنه تابع فيه ابن المنجم، وهو مطبوع.

وألّف بعد ذلك الثعالبي ـ ت٤٢٩هـ ـ **«يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»** ترجم فيه شعراء القرن الرابع الهجري، وأعقبه بـ **«تتمة اليتيمة»**، وكلاهما مطبوع.

وكتب بعده الباخرزي ـ ت٤٦٧هـ ـ **«دمية القصر وعصرة أهل العصر»** لشعراء القرن الخامس، وهو مطبوع.

وأكمل البيهقي ـ ت٥٦٥هـ ـ سلسلة شعراء الدمية، حيث وضع كتاب **«وشاح الدمية»** وهو كالذيل لدمية القصر، وصلت إلينا منه قطعة ما زالت مخطوطة.

ووضع بعده الحظيري البغدادي ـ ت٥٦٨هـ ـ كتابه **«زينة الدهر وعصرة أهل العصر»** ذيله على دمية القصر أيضًا، وصلت إلينا نماذج من ترجماته في كتب التراث. وهو مفقود.

وجاء العماد الأصبهاني ـ ت٥٩٧هـ ـ ليستوفي شعراء العربية في القرن السادس، فوضع كتاب **«خريدة القصر وجريدة العصر»** وقد طبعت جميع أقسامه.

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم: من مقدمته لكتاب بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٣.

ثم جاء ابن الشعار الموصلي ـ ت٦٥٤هـ ـ ليكمل حلقات هذه السلسلة الذهبية بكتاب القرن السابع الهجري، فألّف «**قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان**» ثم ما زالت هذه السلسلة تمتد مع الزمن، وتوصل حلقة بعد حلقة من بعد ابن الشعار لم تنقطع إلاّ في العصور الأخيرة.

وقد استأثر القرن السابع بأكبر عدد من المؤلفات التي ترجمت شعراءه. فعدا كتاب ابن الشعار ألّفت الكتب المدونة أدناه:

١ ـ **لطائف المعاني في شعراء زماني**: لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي ـ ت٦٧٤هـ ـ منه مقتطفات في «تلخيص مجمع الآداب» وغيره.

٢ ـ **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**: لابن سعيد المغربي ـ ت٦٨٥هـ ـ وهو مطبوع.

٣ ـ **الدرر الناصعة في محاسن شعراء المائة السابعة**: وسمّي أيضًا: نظم الدرر الناصعة في شعراء أهل المائة السابعة: لعبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي ـ ت٧٢٣هـ ـ ومنه مقتطفات في كتابه «تلخيص مجمع الآداب».

٤ ـ **الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة**: لمحمد بن علي بن هانىء السبتي ـ ٧٣٣هـ ـ وهو مفقود.

***

«ومن أشهر تلك الكتب «**معجم الشعراء**»[١] لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الكاتب المعروف بالمرزباني، وقد توفي سنة ٣٨٤هـ وقيل في سنة ٣٧٨هـ. وقد ذيل عليه ـ كما سنرى إن شاء الله ـ صاحبنا ابن الشعار.

أمّا «يتيمة الدهر»[٢] للثعالبي، و«خريدة القصر»[٣] للعماد الأصفهاني. فالميزة

---

(١) طبع هذا المعجم بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ، ثم أعيد طبعه بها سنة ١٩٦٠م بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج.

(٢) طبع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد في القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ثم في بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

(٣) صدر بطبعة إقليمية، فكل قطر أخذ ما يتعلق به وتم تحقيق جميع الكتاب تقريبا. قسم العراق، الشام، مصر، المغرب، بلاد فارس، . . .

البارزة فيها أنها لا تختص بأهل بلد معين، بل تنقل النشاط الأدبي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. والذي يسرَّ لأولئك المؤلفين جمع مثل هذه المعلومات على ضخامتها وسعة ميدانها، أنهم اعتادوا الرحلة في طول العالم الإسلامي وعرضه. ومما شجعهم على الترحال، وجوب أداء فريضة الحج، إذ كانوا ينتهزون الفرصة ـ عند أداء الفريضة ـ فيعرجون على عدد من المدن، حتى ولو لم تكن على الطريق المعتاد، وذلك لغرض لقاء أكابر العلماء والمشايخ والشعراء، والتلقّي عنهم وجمع أخبارهم وأخبار غيرهم ممن لأولئك صلة بهم. وعامل آخر كان له دور كبير في تشجيع الرحلة، هو أن المفهوم الضيّق للقومية أو الجنسية، المعروف الآن لم يكن معترفًا به من المسلمين في مختلف العصور، بل كان مفهوم الوطن يشمل بلاد الإسلام، أو «دار الإسلام» كلها. وكان بوسع العالم المسلم ـ وغير العالم طبعًا ـ أن يرحل عن بلده، وينزل في أي قطر أراد، ولا يجد بين أهل القطر الذي حلَّ فيه من يتعصب ضده، بل كانوا ييسرون له وسائل الإقامة حتى لا يشعر من قريب أو بعيد أنه غريب. وكانوا يعتبرون الواردين إليهم مواطنين مثلهم، فيرحبون بهم ويحلونهم المكانة اللائقة. وكان هؤلاء ينزلون في المدارس والربط ودور الحديث، ودور الضيافة التي أنشئت لهذا الغرض، دون أن يتكبدوا فلسًا واحداً، وفوق ذلك كله كان بوسع الكثير منهم أن يحصلوا على عمل يناسب كفايتهم ومكانتهم العلمية. ولقد استمر هذا الوضع حتى العصور الإسلامية المتأخرة، وكان متّبعًا ـ ولا شك ـ في عصر صاحبنا ابن الشعّار الذي قصد «إربل» من مدينته «الموصل» التي كان حاكمها في عداء شديد مع حاكم إربل، وكثيراً ما وقعت الحرب بينهما، فإنه على الرغم من ذلك، ورد إربل وأقام بها ست سنوات[١]، بل هناك من يقول: إنه أُعطي عملاً كتابيًا في ديوان إربل[٢].

وعلاوة على الأصناف المتقدمة، وجدت كتب للتراجم العامة لا تختص بأهل صنعة معينة أو بفقهاء مذهب مخصوص، وإنما تعنى بالبارزين من الناس وربما اتبعت الترتيب الزمني، كأن يختص الكتاب بأهل قرن معين مثل كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لابن حجر العسقلاني، و«الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» للسخاوي،

---

(١) قلائد الجُمان لابن الشعار ـ مخطوطة استانبول ج٦ ورقة ١٨ب ـ ٣٩أ.

(٢) التعريف بالمؤرخين للأستاذ عباس العزاوي ١/ ٧٥ ـ ٧٦.

أو يختص الكتاب بأعيان الناس عامة بصرف النظر عن القرن الذي عاشوا فيه، ويكون على شكل معجم مرتب حسب حروف الهجاء، ومن أبرز الأمثلة لهذا النوع «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين الصفدي. وتتناول هذه الكتب أناسًا من مختلف الطبقات سواء كانوا من الأمراء أو الوزراء، أو من القادة ورجال الدين أو من الفقهاء والشعراء، بل وبينهم بعض فضليات السيدات. وقد انطوت هذه المعاجم على كنز لا ينضب من المعلومات التاريخية القيّمة التي ربما لا نجدها في كتب التاريخ العام. لذلك تعدّ جزءاً مهمًا من المؤلفات التأريخية، بل هي في نظر البعض أثبت صور التعبير التاريخي(١). وقد أدخلها علم التأريخ الإسلامي ضمن كتب التاريخ لاحتوائها على مادة يمكن تصنيفها بأنها تاريخية. بل إن السير هاملتون غب Gibb (٢)، يعتقد أن التراجم هي أفضل أشكال التأريخ؛ لأنها تعطي المؤرخ قدراً كبيراً من الحرية، ليتناول ما يشاء من الموضوعات ولا سيما المتعلقة بالحياة الاجتماعية، فيدخلها في كتابه. كما أن التراجم هي الوسيلة التي مكنتنا من الإحاطة بنشاط المرأة المسلمة. وعلاوة على ذلك، فإن السير هاملتون يؤكد بأن تصنيف معاجم التراجم هو فن إسلامي أصيل، لم يُسبق إليه، وقد قدمه المسلمون إلى العالم لأول مرة في التاريخ(٣).

والجدير بالذكر في هذه المناسبة، أن القرن السابع الهجري قد شهد ظهور عدد من المعاجم الموسوعية التي أسهمت في إلقاء الضوء على تراثنا التاريخي في مختلف صوره وأشكاله، أذكر منها «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان(٤).

ومن مزايا هذه الكتب أنها أرّخت لشعراء العالم الإسلامي بمختلف أقطاره ودياره، إلاّ أن أوسع هذه المعاجم وأغناها هو «قلائد الجُمان في شعراء هذا الزمان» الذي صنّفه ابن الشعار الموصلي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) وتناول فيه شعراء العالم

---

(١) روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: د. صالح أحمد العلي، ص١٤١.

(٢) انظر: مقاله القيّم عن مؤرخي التراجم المسلمين ص٥٤ و٥٨.

(٣) م.ن ص٥٤.

(٤) د. سامي الصقار: «ابن الشعار الموصلي، مؤرخ الشعراء، وكتابه عقود الجُمان في شعراء هذا الزمان»، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض مج٦/ ١٩٧٩م ص٢١٧ ـ ٢٤٩. وقد استفدنا منه كثيراً في مقدمتنا هذه، ومقدمات التعريف بأجزاء الكتاب، ونقلنا منه نصوصًا أشرنا إلى بعضها في مواضعها.

الإسلامي ممن عاش في القرن السادس الهجري وأدركوا القرن السابع. ويقع هذا الكتاب في عشرة أجزاء تزيد صفحاتها على ٥٠٠٠ صفحة، فهو أشبه بموسوعة أو دائرة معارف للشعراء المسلمين. والموجود من مخطوطته الفريدة ثمانية أجزاء في المكتبة السليمانية باستانبول. ومن هنا جاءت أهميته كمصدر لتأريخ تلك الفترة، لا سيما وأنه حوى تراجم لأعداد ضخمة من شخصيات عصره المنتشرين في مختلف أنحاء العالم من أهل الدين، ورجال العلم، وأرباب الدولة والقضاة. لذلك فإن أهمية هذا الكتاب لا تقتصر على وصف الحياة الأدبية وحدها، وإنما أهميته كذلك تبرز في تدوين تأريخ النواحي السياسية والدينية والاجتماعية.

وخلاصة القول: إن الكتاب موسوعة قيّمة لا يستغني عنها الباحث، سواء كان بحثه في التأريخ أو الأدب، وإنها تستحق الاهتمام والتقدير.

وقد نبّه إلى الكتاب ووجوده، **الأستاذ الدكتور سامي الصقار**، الأستاذ المشارك بقسم التأريخ في كلية الآداب ـ بجامعة الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ببحثه القيّم الموسوم «ابن الشعار الموصلي، مؤرخ الشعراء وكتابه عقود الجُمان في شعراء هذا الزمان»[1] وترجم فيه لابن الشعار ونشر نصّ مقدمة الكتاب وألحق به كشوفًا بأسماء الأشخاص الذين وردت تراجمهم في كل جزء من الأجزاء.

ودعا إلى تأليف فرقة من الباحثين لتحقيق الكتاب، إذ ليس بوسع شخص واحد القيام بأعباء التحقيق وحده، مدركاً لصعوبات التحقيق والنشر وطول المدّة التي قد تستغرقها العملية.

وتضرّع إلى الله سبحانه أن يقيّض للكتاب من يتولى نشره نشراً علمياً. وأن يثير بحثه ودعوته ودعاؤه اهتمام الباحثين فيشمروا عن سواعد الجد لتحقيقه والبحث عن الجزءين المفقودين من هذا الكتاب.

وكانت جامعة الموصل قد بادرت للنهوض بمشروع تحقيق هذا السفر، فوضعت خطة محكمة، ووزعت أجزاءه الثمانية على طائفة كريمة من المحققين المختصين الأجلّاء، وبالتعاون مع قسمي اللغة العربية بآداب الموصل وآداب بغداد. وأتحفت

(١) انظر الهامش السابق.

القرّاء بطبع الجزء الثالث منه[1] سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، محققًا من قبل الدكتور نوري حمودي القيسي والأستاذ محمد نايف الدليمي، وبمراجعة د. عبد الوهاب محمد علي العدواني. وقد توفرت لهذا المشروع كل عوامل النجاح:

ـ جامعة تحتضن المشروع أولاً وآخراً.

ـ ولجنة مشرفة (علمية) ترسم خطة العمل وتتابع تنفيذها.

ـ ومؤسسة طباعية فنية مبدعة.

ثم توقّف العمل، وبعد مرور ما يزيد على ٩ سنوات قمت بزيارتين إلى الجامعة والتقيت ببعض المحققين والمشرفين لغرض التعاون في نشر الكتاب فلم أوفّق، لكثرة المشاكل التي اعترضت المشروع بسبب الظروف القاهرة التي يمرّ بها العراق وهجرة بعض المحققين إلى خارج البلاد متوزعين في الجامعات العربية، عند ذلك شمّرت عن ساعد الجدّ لأن أنهض بهذه المهمّة لوحدي.

وشاءت الظروف أن أوّفق لزيارة الجمهورية العربية السورية، وأن أتشرف بلقاء فضيلة العلامة الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وتداولنا الحديث عن القلائد وغيره، ومحاولة الحصول على نسخته المخطوطة لغرض تحقيقها، فتفضل سيادته مشكوراً بالسعي لتوفيرها، وحصلت على صورة للنسخة التي نشرها معهد تأريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ـ ألمانيا الاتحادية.

غير متناسٍ لجهود الأستاذ بسام عبد الوهاب الجابي في الحصول على المصوّرة.

وعلمت وأنا في دمشق أن المحقق الفاضل الأستاذ إبراهيم صالح ينوي تحقيق الكتاب، وقمت بزيارته وعرضت عليه المشروع، فما كان من سماحته إلاّ أن بارك المشروع، وزوّدني بقائمة تحوي تداخلات بعض الأوراق والصفحات في المصوّرة التي كان قد عملها لنفسه، فشكر الله سعيه.

---

(١) ولنا عليه ملاحظات مهمة ذكرتها في مقدمة الجزء الثالث.

وأنجزت تحقيق كامل الكتاب، وقبيل تقديمه للمطبعة علمت بصدور الجزء السادس من الكتاب محقّقًا من قبل الدكتور خورشيد رضوي، الأستاذ الزائر بمركز الشيخ زايد الإسلامي في جامعة البنجاب ـ لاهور ـ الباكستان، وتوقفت عن طبع الكتاب ريثما أطلّع على نشرة د. رضوي، ولم تكن وسائل البريد أمينة يومذاك في العراق، فقد راسلته عن طريق المركز المذكور من مقر إقامتي في بيروت للحصول على نسخة منه، وتفضل مشكوراً بإرسال نسخة منه.

وقد استفدت منها في الاهتداء لبعض القراءات، وصوّبت بعض الكلمات التي وردت فيها بقراءة مغايرة، مشيراً إلى مواضع الانتفاع من تحقيق وتعليق الدكتور الرضوي.

شكر الله سعي الجميع لما فيه الخير والصلاح

ابن الشعّار الموصلي
(٥٩٥ـ٦٥٤هـ)

اسمه ونسبه:

هو كمال الدين، أبو البركات، المبارك بن أبي بكر أحمد بن حمدان بن أحمد بن علوان بن ماجد بن حسين بن علي بن حامد، الملقب بابن الشعّار الموصلي[١].

والشعّار لقب غلب عليه؛ لأنه كان في أول أمره شعّاراً يعمل آلة الجمال وغيرها، وربما كتب «الشعّار» و«المَرَحِّل»[٢].

ولد بالموصل في مستهل صفر من سنة خمس وتسعين وخمسمائة[٣] الموافق ٣ ديسمبر ١١٩٨م[٤].

نشأته وثقافته:

لم تشر المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها إلى شيء من أمر صبا ابن الشعار وشبابه، أو نشأته العلمية، سوى نتف ذكرها عرضًا ضمن كتابه، وفيها أنه تعلم الخط من أبي الربيع سليمان بن المظفر الإربلي المعلّم[٥].

وحضر مجلس وعظ أبي إسحاق إبراهيم بن المظفر المتوفى في الحمّام سنة ٦٢٢هـ[٦].

ومما لا يقبل الشك أنه أتجه إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره، وأنه اختلف إلى علماء عصره فأخذ عنهم اللغة والأدب.

---

(١) تأريخ إربل ١/ ٣٨٤.
(٢) م.ن. ١/ ٣٨٤.
(٣) م.ن. ١/ ٣٨٤. وفي عيون التواريخ سنة ٥٩٣هـ.
(٤) حسب وستنفلد ماهلر.
(٥) انظر: ترجمته في القلائد ٣/ رقم ١٩٩.
(٦) انظر: ن.م. ١/ رقم ١٥.

إضافة إلى أن المصادر ـ ومنها كتابه ـ أشارت إلى أنه كان من الأدباء الذين عنوا بجمع الشعر.

مهنتـه:

«يقول عنه ابن المستوفي: إنه كان شعّاراً يعمل آلة الجمال وغيرها، وربما كتب في اسمه «المُرَحِّل»، أي الذي يصنع رحال الجمال، ووصفه عند قدومه إلى إربل في أواخر المحرم من سنة ٦٢٥هـ، بأنه شاب كان مغرًى بجمع الأشعار، ونوّه بتأليفه لكتاب ذيّل فيه على «معجم محمد بن عمران المرزباني».

بينما وصفه ابن الفوطي بالأديب المؤرخ، وقال: إنه كان من الأدباء الذين عنوا بجمع أخبار العلماء وأشعار الفضلاء. وله السعي المشكور بما فعله، إذ بقى مدة خمسين سنة يكتب الأشعار سفراً وحضراً، ثم وصف بعض مؤلفاته.

ومن الطبيعي أن يصفه ابن المستوفي بما وصفه، من أنه شاب مغرًى بجمع الأشعار الخ... إذ لقيه وكان عنده من العمر خمس وعشرون سنة، بينما تحدث عنه ابن الفوطي بعد وفاته بما لا يقل عن نصف قرن[1]، وذلك بعد أن ختمت حياة ابن الشعار الحافلة بالنشاط العلمي والتصنيف، فهو بحق أديب مؤرخ، كما سنرى عندما نتناول مصنفه الكبير «قلائد الجُمان» إن شاء الله.

أما ابن الشعار نفسه، فلم يتحدث بشيء عن مهنته والأعمال التي مارسها، إلا أنه اعتذر للقراء في مقدمة «قلائده» عمّا قد يجدون فيه من الخطأ، والتمس منهم أن يعذروه إذ كان يعاني من الفقر المدقع والضيق الشديد، فقال: «ثم إني أسأل الناظر فيه الصفح عن هفواتي، وأرغب إليه في الستر عن زلاتي وعثراتي، لأنني ألّفته وأنا كليل الناظر، مشدود الخاطر، وقد أخذ مني الفقر بحقه، وصيّرني أسيراً في قبضته ورقّه، والدهر يُجرّعني كاسات حتوفه، ويصميني بسهام صروفه. فلا غرو من ذي قلب محزون، وصدر بالأفكار مشجون، أن يهفو أو يزل أو يخطىء أو يضل. وها أنا لم أصحُ من بقايا سكره. ولم أزل غارقًا في تيار بحره، لا سيما والشيب قد كتب في فوديَّ سطوراً، وبدّل

(١) توفي ابن الشعار سنة ٦٥٤هـ، بينما توفي ابن الفوطي سنة ٧٢٣هـ.

مسك العذار كافوراً، وإلى الله ألجأ من تواتر الهموم وتتابع الأحزان الخ . . . »[١].

ويبدو أن ابن الشعّار عندما كتب هذه السطور، كان عاطلاً عن العمل، قد تقدم به السن، ولم يعد قادراً على صنع آلة الجمال وعمل الشَعَر. ثم إن أسفاره الكثيرة في جمع المادة لمؤلفاته، ولا سيما لكتاب «قلائد الجُمان» قد استنفدت ما كان قد جمعه من مال، حتى إذا قارب نهاية حياته، وجد نفسه معدمًا فقيراً. يحس القارىء بالمرارة التي كان يعانيها عندما سطر مقدمة ذلك الكتاب.

وهناك نقطة أخرى، أودّ الإشارة إليها في هذا الصدد، وهي أن ابن الشعّار قد عمل في خدمة ابن المستوفي، أثناء إقامته بإربل، وفقًا لما ذكره ابن خلكان[٢] في ترجمته، فقد سَيَّر على يده سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م ديناراً إلى الشاعر عبد الرحمن البوازيجي، يوم ورد هذا الشاعر إلى إربل. ولعله كان يستعين بما يرده ـ عن طريق تلك الخدمة ـ على قضاء حاجاته، فضلاً عن انتفاعه من وجوده في صحبة أديب عالم كبير كابن المستوفي، وهو ما سنعالجه في فقرة تالية إن شاء الله. وقد ذكر المرحوم عباس العزاوي[٣]: «أنه كتب في ديوان إربل»، أي اشتغل كاتبًا فيه، غير أنه لم يشر إلى المرجع الذي نقل عنه ويبدو لي أن الأستاذ العزاوي فسّر ما ذكره ابن خلكان (من أن ابن الشعّار كان في خدمة ابن المستوفي)، فسَّر ذلك أنه كان يشتغل «في ديوان إربل»، إذ كان ابن المستوفي آنذاك رئيسًا للديوان فيها.

وهنا يجدر بي أن أشير إلى أمر آخر، هو أن ابن المستوفى قد رأى بعين بصيرته مخايل الذكاء والفطنة البادية على ابن الشعّار مبكراً عند قدومه إلى إربل، يوم كان عمره (٢٥) سنة فقط، ولذلك ترجم له في «تاريخ إربل» ضمن كبار العلماء والأدباء الواردين إلى إربل (والذين يسميهم ابن المستوفى «الأماثل») ويكفي ابن الشعّار فخراً، أن يعترف له بهذه الصفة عالم كبير كابن المستوفي، فيضع ترجمته بمصاف تراجم كبار العلماء أمثال ابن الدبيثي وابن النجار وابن القطيعي وياقوت الحموي، والصوفيين

(١) قلائد الجُمان ١/ ٤ب.
(٢) وفيات الأعيان ٤/ ١٥٠.
(٣) التعريف بالمؤرخين ١/ ٧٥ ـ ٧٦.

أمثال أحمد بن محمد الغزالي (أخي الإمام الغزالي) وعبد القاهر السهروردي وابن أخيه عمر السهروردي، والمحدثين أمثال محمد بن موسى الحازمي وابن عساكر (حفيد المؤرخ المشهور)، وأمثالهم. وهذا شرف كان يتطلع إليه الكثيرون ممن ورد إربل، حتى إن بعضهم كان يصارح ابن المستوفي برغبته في أن يكون لترجمته مكان في «تاريخ إربل»[١]، بينما نال ابن الشعار هذا الشرف بجدارته واستحقاقه»[٢].

أساتذته وشيوخه:

لم تشر المصادر التي وقعت بين أيدينا إلى شيء من نشأة ابن الشعّار العلمية، في صباه أو شبابه، سوى نتف وإشارات عابرة ذكرها عرضًا ضمن كتابه.

وبالرغم من أنه كان كثير التَّطواف، فمن المسلّم به أن يكون له شيوخ كثيرون.

فمن الإشارات التي يمكن رسمها لتوضيح مسيرته العلمية:

١ ـ أبو الربيع، سليمان بن المظفر بن موسى الإربلي المعلّم:

فقد تعلم على يديه الخط.

وقد قال في ترجمته التي أفردها له: «وهو أستاذي الذي علّمني الخط وله عليَّ حق الوالد على ولده. انتقل من الموصل إلى إربل[٣] وفتح مكتبًا يؤدّب فيه الصبيان، وأنثال عليه خلق كثير، وأتوه من كل مكان، ورغب الناس فيه لعفته وديانته، وكان ذا هيبة على المتعلمين، وأكثر أبناء الرؤساء والمعتبرين بالموصل، عليه تأدب وبه تخرّج، وبقي مدة طويلة في التعليم والتأديب..»[٤].

ولعله اتخذ مهنة نسخ الكتب بعد تعلمه الخط، كما في نسخه لمخطوطة «معجم السفر»[٥].

---

(١) تأريخ إربل ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦.

(٢) مقال د. الصقار ص٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٣) كذا بالأصل، ولعل الصحيح كما تنبه إليه د. الرضوي «من إربل إلى الموصل». انظر القلائد ٣/ ترجمة رقم ١٩٩.

(٤) انظر: القلائد ٣/ ٤٩ب ـ ٥١أ.

(٥) معجم السفر ٤١٥، اللوحة رقم ٣.

٢ ـ أبو حفص، عمر بن أحمد بن أبي بكر الضرير النحوي العسفي.

٣ ـ أبو الخير، بدل بن أبي المعمّر بن اسماعيل التبريزي المحدّث.

٤ ـ ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت٦٣٧هـ).

٥ ـ ابن النجار البغدادي، محيي الدين، أبو عبد الله محمد بن محمود (ت٦٤٣هـ).

٦ ـ أبو يوسف، نجم الدين، يعقوب بن صابر بن بركات المنجنيقي الحرّاني البغدادي (ت٦٢٦هـ).

ذكر الذهبي بأن ابن الشعّار سمع منه ومن غيره[١]. إلا أن ابن الشعّار لم يشر إلى ذلك عند ترجمته الطويلة له[٢].

ابن المستوفي:

فقد اعترف به ابن الشعّار عند ترجمته لابن المستوفي قائلاً:

«ثم شاهدت من أفضاله وفضله، وسعة صدره وغزارة عقله، وإحسانه إلى الأنام، ما حبّب إليَّ السكنى بها (أي بإربل) والمقام. فعند ذلك استوطنت كنفه الرحب، ووردت منهل برّه العذب، فصحبته ستة أعوام في أرغد عيش وأهناه، وأطيب زمان وأسناه، وأوفى سرور وأكمله، وأتم نعيم وأجمله. وكم أخذنا في الأناشيد وتجاذبنا طرفها، وتذاكرنا فنون الملح وبدائع أصنافها»[٣].

ويبدو أن ابن الشعّار لم يكن فقط من روّاد مجلس ابن المستوفي، والمنتفعين بما كان يدور فيه من أحاديث ومناقشات علمية، بل كان واحداً من تلامذته لا سيما وقد اعترف صراحة بأن سكناه بإربل ست سنوات كاملة، ما كان إلا لغرض ملازمة ابن المستوفي. وأن من يقرأ الترجمة الضافية التي كتبها ابن الشعّار لابن المستوفي في كتابه «قلائد الجُمان»، وقد اقتبسنا فقرة منها فيما تقدّم، ليشعر بالاحترام والإكبار اللذين يكنهما ابن الشعّار لأستاذه. ولقد ذكر ابن خلكان بوضوح بأن ابن الشعّار هذا، كان في

---

(١) تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) انظر القلائد ١٠/ ٧٤ب ـ ٧٩ب.

(٣) انظر القلائد ٦/ ١١٨أ.

خدمة ابن المستوفي في سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، كما سبق وبينّا في موضع آخر من هذا البحث[(١)].

ثم ان ابن الشعّار اعتمد كثيراً على «تأريخ إربل» في مصنفه «القلائد»[(٢)]. وقد روى فيه عن ابن المستوفي رواية مباشرة في مواضع كثيرة من الكتاب. وإني أميل إلى القول، بأن ابن المستوفي قد اطّلع على هذا الكتاب (أي القلائد)، بعد هجرته إلى الموصل، حيث قضى ثلاث سنوات قبل أن يوافيه أجله المحتوم بمدينة الموصل. ولعله أبدى العديد من الملاحظات والاقتراحات والتوجيهات، مما ساعد تلميذه ابن الشعّار على إخراج هذا السفر العظيم بالشكل الذي خرج به. هذا وقد نقل ابن الشعّار بعض تراجمه عن ابن المستوفى مشافهة[(٣)]، والمرجح أن ذلك قد تم بعد انتقال ابن المستوفي إلى الموصل[(٤)].

تنقلاته وأسفاره:

بدأ ابن الشعّار بالتنقل والسفر بعد تجاوزه السابعة والعشرين من العمر، أي من شهر رمضان سنة ٦٢٢هـ متنقلاً بين تكريت وبغداد وواسط وإربل فالموصل ثم حلب ودمشق حتى مكوثه بحلب لحين وفاته فيها سنة ٦٥٤هـ.

شعره:

من الطريف أن ابن الشعّار الذي أرخ لشعراء زمانه، وجمع فيهم كتابًا ضخمًا ـ كما سنرى إن شاء الله ـ لم يكن هو نفسه من الشعراء أو كان على الأقل ممن يتهيّب قول الشعر، حتى أن ابن المستوفي، عندما سأله أن ينشده شيئًا من شعره أجابه «ما عملت شعراً قط»[(٥)]، لكن ابن المستوفي ألحَّ عليه ـ كعادته ـ وسأله أن يَتكَلَّف قول شيء منه، فتردد طويلاً قبل أن ينشده مقطوعتين قصيرتين، قد بدا عليهما التكلُّف،

---

(١) وفيات الأعيان، ٤/ ١٥٠.

(٢) العزاوي: التعريف بالمؤرخين ١/ ٦٠، القلائد ١/ ١٢٠أ، ١٢٥أ، ١٢٨أ، ١٢٩أ.

(٣) القلائد ١/ ١١٦أ، ١٤٧أ، ٣٠٥أ.

(٤) مقال د. الصقار.

(٥) تأريخ إربل ١/ ٣٨٤.

فقال(١): [من الكامل]

مولاي عزَّ الدين يا مَنْ كفُّه أضحتْ على العافين غَيْثًا مُغدقا
لقد اتخذتَ المَكْرمات ملابسًا ورَقَيْتَ في أعلى المعالي مُرْتقى
لو شاهد الطائيُّ جُودك مرَّةً يوم النَّوال لظلَّ منه مُطرقا
نورُ البَشاشة في جَبينك لامعٌ قد زادهُ نور الأمارة رونقا
وإذا مُحيَّاك الكريم بدا لنا في غَيْهَب خلْناه بدراً مُشرقا
تاهتْ بكَ الغَبْراء لَمَّا أنْ رأتْ فيك الفضائلَ والفواضل والتُّقى
يا ابن الأماجد والكرام ومَنْ غدا بالمأثُرات مُتوَّجًا ومُمَنْطقا
إسداؤك المعروف فيك خليقةٌ في كلّ وقت ليس ذاك تَخَلُّقا
فاسلمْ ودُمْ في غبطةٍ وسعادةٍ لا زلت في كلِّ الأمور مُوفَّقا

ثم أنشده أيضًا(٢): [من الكامل]

ومُورَّد الوَجنَات تحسَبُ قَدَّه غُصنًا يُرنّحه النَّسيم إذا سرى
رَيْانَ من ماء المَلاحة أهيف فَتنتْ بدائع حُسْنه كلَّ الوَرى
كَمُلتْ محاسن وجهه حتَّى غدًا أبهى من البدر المُنير وأنورا
وإذا نظرتُ إلى لآلىء ثَغره أجريتُ من دمعي عَقيقًا أحمرا
والله ما لي سَلوةٌ عنه وقد كتب العذارُ بعارضَيه أسْطُرا
قد قلتُ حين رأيتُه في حُلَّةٍ خضراءَ لَمَّا أنْ بدا مُتَبَختِرا:
لم يكفِ ما صنع اخضرارُ عِذاره بقلوبنا حتَّى تَسَربَلَ أخضرا

يقول د. الصقار: وهذا شيء حصل لياقوت الحموي نفسه، عندما سأله ابن المستوفي أن ينشده من شعره، فإنه اتخذ مثل هذا الموقف وتلكأ ـ على علوِّ شأنه ـ وبعد إلحاح غير قليل من جانب ابن المستوفي، أنشده شيئًا من شعره الذي يرى د. الصقار «أنه لم يخل من التكلُّف والصنعة(٣) والطريف أن ابن الشعّار أدرك نفسه هذه

(١) ن.م. ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.
(٢) ن.م. ص٣٨٥.
(٣) مخطوطة باريس ورقة ١٨٧.

الحقيقة فلم يعدّ نفسه من الشعراء، وبالتالي لم يترجم لنفسه في «قلائد الجُمان»(١).

أما د. الرضوي فإنه يرى أن في هذا الشعر إحكامًا ورصانة لم يتهيأ إلاّ بعد مدّة من المران والمزاولة، ومن يكن هذا شأنه من إتقان القول في العشرين من عمره فكيف يمكن أن يبقى ساكتًا فيما بعد؟ ولكننا لا نعرف من شعره إلاّ هذا القدر اليسير»(٢).

ثم عثرت على نصّ شعر لابن الشعّار أورده ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ(٣)، وهو: [من الكامل]

وافـى كتـابُـكَ مقبـلاً ... فَطَفقْـتُ الثمُـهُ سُـرُورا
وفَضَضْتُـهُ فـوجـدتُـهُ ... فـي حُسْنِـه رَوْضـا نَضيـرا
أو كـالنجـومِ الـزهـرِ أوْ كـالـ ... ـوشـي أو كـالبـدرِ نُـورا
وكـأنَّ فـي أثنـائـه ... مسْكـًا لتلثمَـهُ ثُغُـورا
قـدْ بَيَّضَـتْ منْـهُ المعـا ... نـي حيـنَ سَـوَّدَت السُّطُـورا
ورويـتُ مـنْ ألفـاظـه ... مـنْ غيـر أنْ أُسْقَـى النَّميـرا
مُتضمِّنـًا خَطّـًا كمـا ... عَـايَنْـتَ وِلْـدانـا وحُـورا
وأراحَ قلبـًا عـاريـًا ... فـي حُبِّـه أضحـى أسيـرا
وطَفِقْـتُ جَـذْلانـًا وكـدْ ... تُ بِـه ابتهـاجـا أنْ أطيـرا

وفاته:

توفي بحلب يوم الأحد لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وخمسمائة(٤) الموافق ٢ يوليو ١٢٥٦م. وله تسع وخمسون سنة(٥).

---

(١) بحث الدكتور الصقار: ص٢٢٧.
(٢) قلائد الجُمان ج٦، بتحقيق د. خورشيد الرضوي ص٣٣ ـ ٣٤.
(٣) ج٢/ ١٠١.
(٤) تأريخ إربل ١/ ٣٨٤.
(٥) ذكر الذهبي في تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص١٨٢: «أن له عند وفاته إحدى وستون سنة»، وهذا وهم منشؤه ما ذكره ابن المستوفي في ولادة ابن الشعار أنها كانت في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ولكن ابن الشعّار استدرك هذا الخطأ بخطه على مخطوطة «تأريخ إربل» وبدل كلمة «ثلاث» بكلمة «خمس».
وقد علّق د. سامي الصقار قائلاً:
=

إشادة مترجميه به:

لقد أشاد مترجموه بذكره والثناء عليه. فقد وصفه ابن المستوفي فقال: «شاب مغرًى بجمع الأشعار... يحفظ جملة من تأريخ وحكايات وأشعار وأسماء شعراء وأنسابهم ومواليدهم ووفاتهم»(١).

وقال عنه ابن الفوطي: «الأديب المؤرخ يعرف بابن الشعّار، كان من الأدباء الذين عنوا بجمع فِقَر العلماء وأشعار الفضلاء، وله السعي المشكور فيما فعله»(٢).

وقال عنه ابن إيبك الصفدي: «المؤرخ الأديب.. مصنف كتاب «عقود الجُمان

= «اختلف المؤرخون في سنة وفاة ابن الشعّار، فمنهم من قال إنه توفى سنة ٦٥٤هـ التي توافق سنة ١٢٥٦م، ومن هؤلاء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي في كتابه «غربال الزمان في وفيات الأعيان ص٥٣١». كذلك أخذ بهذا التاريخ اليونيني في كتابه «ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣». وقال إنه توفى بحلب يوم الأحد الموافق ٧ جمادى الآخرة من سنة ٦٥٤هـ، إلا أنه لقّبه بجمال الدين بدلاً من «كمال الدين» وهو لقبه المعروف. وتابعه في تاريخ الوفاة كل من الذهبي في كتابه «العبر ٥/ ٢١٩»، وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦» وحاجي خليفة في «كشف الظنون/ ص٣٨٨»، وإسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين ٢/ ٣»، وعمر كحالة في «معجم المؤلفين ٨/ ١٧١»، أما ابن الفوطي في كتابه «مجمع الآداب ٤/ ٢١٧»، فقد جعل وفاته في سنة ٦٥٥هـ الموافقة لسنة ١٢٥٧م، ومثله فعل أبو الحسن الخزرجي في كتابه «العسجد المسبوك/ ص٦٢٣»، إلا أن المرحوم عباس العزاوي ذكر في كتابه «التعريف بالمؤرخين ١/ ٧٥ ـ ٧٦» بأن ابن الشعّار ترجم في «قلائد الجمان» لأبي المجد أسعد بن إبراهيم النشابي، الكاتب الإربلي، وذكر وفاته في سنة ٦٥٦هـ الموافقة لسنة ١٢٥٨م، الأمر الذي يدل على أن وفاة ابن الشعّار قد تأخرت إلى تلك السنة على أقل تقدير. والمعروف أن النشابي كان في بغداد عند سقوطها على أيدي المغول في السنة المذكورة، وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين. لهذا فإن وفاة ابن الشعار ينبغي أن تكون في سنة ٦٥٦هـ أو بعدها، إلا أنني راجعت ترجمة أسعد هذا الواردة في «قلائد الجمان/ ترجمة رقم/ ١٤٧» ولم أجد فيها ما ذكره المرحوم عباس العزاوي، وإنما وجدت حاشية بخط يختلف عن الأصل نصها: «وتوفى المذكور في أواخر سنة ست وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر المخذولين على بغداد، وسلم من وقعتهم، وكان بها رحمه الله تعالى».

وليس في هذه الحاشية ما يدعو إلى الاعتقاد بتأخر وفاة ابن الشعّار إلى ما بعد سنة ٦٥٦هـ؛ لأن الحاشية ليست بخطه، ولا هي في صلب المتن. وقد اكتشفت حاشية مماثلة في ترجمة محمد بن قرطايا الإربلي/ برقم ٧٧٦، تفيد بأنه توفى سنة ٦٨٧هـ أو سنة ٦٨٨هـ، فهل هذا يعطينا الحق في أن نقول بأن وفاة ابن الشعار قد تأخرت إلى ما بعد تلك السنة؟!.

(١) تاريخ إربل ١/ ٣٨٤. وفيه «رفاتهم».

(٢) مجمع الآداب ٤/ ٢١٧.

في شعراء هذا الزمان» روى عنه الدمياطي، وتأريخه موجود بالسَّميساطية وغيرها»[١].

مصادر ترجمته:

تأريخ إربل ١/ ٣٨٤. مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤/ ٢١٧ رقم ٣٦٩٩. ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣. العبر ٥/ ٢١٩. شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦. مرآة الجنان ٤/ ١٣٦. تاريخ الأدب العربي/ بروكلمان ٣/ ٤١٤. ذيل الروضتين ١٩٤. البداية والنهاية ١٣/ ١٩٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ١٨١ ـ ١٨٢ رقم ١٧٣. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٢٥٣. بغية الطلب ٦/ ٢٧٤٩. عيون التواريخ ٢٠/ ١٠١. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٠٩. وفيات الأعيان ٤/ ١٤٧ ـ ١٥٢. العسجد المسبوك ٢/ ٦٢٣. أعلام النبلاء ٤/ ٢١٣. كشف الظنون ٣٨٣. هدية العارفين ٢/ ٣. الوافي بالوفيات ٢٥/ ١٠٦. غربال الزمان ٥٣١. معجم المؤلفين ٨/ ١٧١.

مؤلفاته:

أشار مترجمو «ابن الشعّار» إلى أسماء ثلاثة كتب صنّفها هي:

١ ـ تحفة الوزراء المذيّل على كتاب معجم الشعراء:

ذكره ابن الشعار في مقدمة كتابه «قلائد الجُمان» قائلاً: «... وبعد فإنني لما قاربت إنهاء كتابي الموسوم بـ «تحفة الوزراء المذيل على كتاب معجم الشعراء» الذي ألفه وجمعه الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الكاتب رحمه الله تعالى، فجاء كامل الوصف في تنقيحه، بديع الصنعة في تحريره وترقيحه، أحسن زينة من العرائس، تُجلى في الغلائل النفائس...»[٢].

ثم ذكره مراراً في مواضع أخرى من كتابه باسم: «تحفة الكبراء المذيّل على معجم الشعراء»[٣].

كما ذكره ابن الفوطي مراراً في كتابه مجمع الآداب، نقلاً عن ابن الشعار، فهو

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٥/ ١٠٦.
(٢) القلائد ١/ ٢أ ـ ب.
(٣) انظر القلائد ٣/ ٤٦ب، ١٢٦أ، ٦/ ٢٤٦أ، ٩/ ١٩٢ب، ١٠/ ١ب.

يذكره مرة «تحفة الكبراء»[١] وأخرى «تحفة الوزراء»[٢].

وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم الشعراء المتوفين إلى سنة ٦٠٠هـ، أما من تجاوزها فهو مذكور في «قلائد الجُمان» وقد أوضح ذلك ابن الشعار في مقدمته، قائلاً: «لما قاربت إنهاء كتابي الموسوم بـ (تحفة الوزراء، المذيّل على كتاب معجم الشعراء). . . أخلدت إلى أن أجمع الذين دخلوا في المائة السابعة. . . وأفرد لذلك كتابًا بسيطًا. . فبادرت بحمد الله وحوله. . . »[٣].

وأشار إلى ذلك ابن الفوطي بقوله:

«ذيّل كتاب معجم المرزباني، وذكر كل من نظم شعراً بعد وفاته إلى سنة ستمائة، ثم صنف كتاب «عقود الجُمان» ذكر فيه من قال الشعر إلى آخر أيامه. . . »[٤].

وقد فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٦٣١هـ[٥].

ولا بدّ أن الحاج خليفة قد ذكر تأريخ الفراغ من تأليفه من خلال إطلاعه على خاتمة الكتاب.

ولعله «كتاب الشعراء» الذي أشار إليه الدكتور مصطفى جواد في مقدمة «معجم الألقاب» بقوله: «ولعل «تحفة الكبراء» هو «كتاب الشعراء» المحفوظ في خزانة الأسكوريال بإسبانية، فإن اسم مؤلفه متحد مع اسم المبارك، ابن الشعار، هذا»[٦].

وقد تتبع د. خورشيد رضوي مصير هذا الكتاب قائلاً: «. . . على أننا لا نعرف ما مصدر علم الدكتور مصطفى جواد في هذا الشأن، فإننا قد حاولنا جهدنا أن نعرف جلية أمر «كتاب الشعراء» هذا، وكاتبنا مكتبة الإيسكوريال في هذا الصدد سنة ١٩٧٩م، فلم نفز بخبره. وردّ السيد ب. جستيل (B.Justel) بأن الكتاب عسى أن يكون موجوداً بين أوراق «مخطوطات غير مجلدة» وهي التي لم تفهرس بعد. على أنه قال:

---

(١) انظر مجمع الآداب ج٢/ ترجمة ١٤٢٢، ٣/ ٢١٩٣، ٢٧٢٠ و٤/ ٣٩٤٧، ٤٤٥٢ و٥/ ٥٠١٨.
(٢) انظر: مجمع الآداب ج٢/ ترجمة ١٨٣٤ و٣/ ٢٤٩١ و٤/ ٣٢٤٢، ٣٣١٥ و٥/ ٤٨٦١، ٥٠٣٣.
(٣) القلائد ١/ ٢أ ـ ب.
(٤) مجمع الآداب ٤/ ٢١٧.
(٥) كشف الظنون ١٧٣٤.
(٦) معجم الألقاب، ط دمشق، هـ٩٥٧.

إنه نظر في هذه المخطوطات مرتين فلم يظفر بالمطلوب.

ووعد أنه سوف يستمر في الطلب ويخبرنا عن وجوده إن عثر عليه. ثم استأنفنا المراسلة في هذا الخصوص في عام ١٩٨٦، فأرشدنا إلى فهرس من عمله نُشر فتتبعناه، ولكننا لم نجد فيه مطلوبنا»[١].

٢ ـ تذكرة ابن الشعّار:

ذكره بهذا الاسم حاجي خليفة وأنه يقع في اثنى عشر مجلداً[٢]. ثم تبعه صاحب «هدية العارفين»[٣] و«معجم المؤلفين»[٤]. ولم يشر ابن الشعّار إليه في كتابه «قلائد الجُمان»، ولم تكن المدّة بين إتمامه القلائد بحدود سنة ٦٥٠هـ ووفاته سنة ٦٥٤هـ وهي أربع سنوات لتكفي لكتابة اثنى عشر مجلداً من التذكرة.

كما لم يرد ذكره في مصادر معاصريه مثلما أوردت كتابه «القلائد»، أو «تحفة الوزراء».

ولعله هو كتاب «التأريخ» الذي ذكره الذهبي[٥]، وأشار إليه ابن خلكان[٦]، والصفدي[٧].

وفي ظني أن المقصود بالقلائد والتذكرة والتأريخ هو كتاب القلائد نفسه. وهذا ما نجده في آخر الجزء العاشر: «وهذا حين انتهى بنا التأليف من هذا التأريخ»[٨].

٣ ـ قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان:

وسنفرد له فصلاً.

---

(١) قلائد الجُمان/ ج٦، تحقيق د. رضوي ص٤٦.
(٢) كشف الظنون ١١٥٤، ٣٨٣.
(٣) ٢/ ٣.
(٤) ٨/ ١٧١.
(٥) تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ١٨١.
(٦) وفيات الأعيان ٤/ ١٥٠.
(٧) الوافي بالوفيات ٢٥/ ١٠٦ وفيه: «وتأريخه موجود بالسّميساطية وغيرها».
(٨) القلائد ١٠/ ٨٩ ـ ب.

قلائد الجُمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

من أبرز آثار ابن الشعّار، وقد «عرفه المتقدمون ونقلوا عنه، ومن هؤلاء ابن خلكان الذي رآه ونقل عنه، وابن الفوطي في «معجم الألقاب»، وقال: إنه ذكر فيه من قال الشعر إلى آخر أيامه، كما ذكره آخرون كثيرون[١]. أما ابن الشعار نفسه فقد قال في مقدمة «القلائد»: إنه بعد أن قارب إنهاء كتابه «تحفة الوزراء» صمّم على جمع الشعراء الذين دخلوا في المائة السابعة، على حسب ما وقع له من شعراء عصره، وأن يكون ذلك «كتابًا بسيطًا ـ أي مبسوطًا موسعًا ـ حاويًا لشوارد كلامهم محيطًا، يشتمل على السمين والغث، والقشيب والرث»، ثم يقول: «ألتقطه من الشفاه وأتلقفه من الأفواه». ويقول عنهم: «إذ هم الجمّ الغفير الذي لا يأتي عليهم الحصر، فإن حصرهم بحر لا يدرك قعره، أو قاع لا يسبر على الحقيقة سعره، ثم لا يشق هذا الغبار، ويجري في هذا المضمار، ويتمسك بهذه الأسباب، ويتقمص هذا الجلباب، إلاّ من يجهد نفسه فيه إجهاداً، ويبذل لذيذ رقاده سهاداً، ولا يضيق به ذرعًا، ويتخذ الصبر له جُنّة ودرعًا، ويشمّر في الطلب عن ساق جدّه، ويخلق جديد العمر بسعيه وكدّه». ثم يقول: «وجعلته له كالذيل» أي ذيلاً لكتابه «تحفة الوزراء». وبعد ذلك يستطرد إلى وصف هذا الكتاب، فيقول: «ثم إنني أضيف إليه لمعًا من منثور يروق، وأوشحه بأنموذج من أخبار تشوق، مما أنتجته بنات أفكارهم، وضمنتُه ما يستحسن من نوادرهم وأخبارهم، واذكر من عرف بالكنية دون الاسم، واشتهر بها، فصارت له تجري مجرى الاسم العلم لا يعرف إلاّ بها، ثم سقته على حروف المعجم مرتبًا، ليأتي غريبًا في شأنه مهذبًا، ويكون أسهل على محاوله، وأقرب إلى يد متناوله... مقتفيًا أثر من تقدمني في هذا الأسلوب، ومقتديًا بمن هو بهذا الشأن من العلماء محسوب، كالأستاذ السابق والإمام الحاذق أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري،

---

(١) سيأتي فهرس النقولات عن قلائد الجمان لاحقًا.

في كتابه (يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر)[١]، وتلاه أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي». ثم يعدد ابن الشعار أسماء المؤلفين الذين سبقوه إلى تصنيف كتب جمعت تراجم شعراء عصرهم.

ثم يقول: إنه سمى هذا الكتاب «قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان»[٢] ولكن ورقة غلاف الجزء الأول من المخطوطة كتب عليها بخط الثلث «الجزء الأول من عقود الجُمان في شعراء هذا الزمان»[٣]، وكتب مثل ذلك على بقية الأجزاء، إلا أن الجزء الرابع منه لا يحمل عنوانًا، والظاهر أن ورقة الغلاف قد تهرأت، أما الجزء الخامس، فقد كتب عليه «الخامس من عقود الجُمان. . . هذا الزمان». والظاهر أن عبارة «في فرائد شعراء» قد أمحت. والراجح عندي أن ورقة الغلاف التي كتبت عليها العناوين هي ليست من الأصل، ولا هي بخط المؤلف نفسه ولا بخط ناسخ الكتاب، وإنما هي ملصقة على ورقة الغلاف الأصلية التي من السهل رؤيتها، وإن كان من المتعذر قراءة جميع ما كتب عليها في الأصل. إلا أن خاتمة الجزء الخامس تحمل عبارة تفيد تمام الجزء الخامس من «قلائد الجمان»، ووقع مثل ذلك في خاتمة الجزء السابع.

ولعل هذه الملاحظات تحملنا على الاعتقاد بأن العنوان الحقيقي للكتاب هو «قلائد الجُمان» على الرغم من اتفاق عدد من المؤرخين الكبار أمثال ابن خلكان وابن الفوطي وابن العماد على تسميته بـ «عقود الجمان». أما ابن المستوفي فلم يذكر هذا الكتاب أصلاً؛ لأنه على ما يبدو قد تم بعد ما فرغ ابن المستوفي من تدوين ترجمة ابن الشعّار في كتابه «تاريخ إربل»، بل في كتاب «القلائد»[٤] ما يفيد بأن الفراغ من تأليفه وقع بعد وفاة ابن المستوفي إذ يشير إليه ابن الشعار بعبارة (رضي الله عنه) أو يترحم عليه. غير أن حاجي خليفة ذكر الكتاب بهذا الاسم في موضع[٥]، وذكره بعنوان «قلائد

(١) القلائد ١/ ورقة ٣ ـ ٤.
(٢) القلائد ١/ ورقة ٤أ.
(٣) ولقد كتب أحد القراء فوق هذه الكلمة عبارة: «الصحيح قلايد».
(٤) القلائد ٤/ ورقة ١٨٧ب و١٥ ورقة ٣٢أو٣٩أ، ٧/ ورقة ١٥٠أ.
(٥) كشف الظنون ص١١٥٤.

الجمان في الأدب» في موضع آخر[١]، وكأنهما كتابان مختلفان، إلا أنه عندما ذكر «القلائد» لم يزد إلاّ أن قال: «في الأدب لابن الشعّار» في حين أنه عند ذكره لكتابه «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» الذي قال عنه: إنه «في مجلدات» دون ذكر عددها، أقول ـ الكلام للدكتور الصقار ـ: إنه نقل شيئًا مما جاء في مقدمة الكتاب، الأمر الذي يدل على أنه رآه، خصوصًا وأنني قد قارنت الفقرات التي أوردها حاجي خليفة بأصل المقدمة، فوجدتها متطابقة تمامًا. والغريب أن حاجي خليفة نقل ضمن هذه الفقرات قول ابن الشعار، بأنه سمى كتابه «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان» ولم يفطن إلى أنه أورده تحت عنوان «عقود الجمان». ويبدو أن إسماعيل باشا البغدادي، مؤلف «هدية العارفين» قد نقل عن حاجي خليفة، فنسب لابن الشعار كتابين هما «قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان» و«عقود الجمان في شعراء هذا الزمان»، كما نقل عنه ذكر كتاب «التذكرة» الذي يقع في ١٢ مجلداً[٢]. ونقل ذلك عمر رضا كحالة حرفيًا في كتابه «معجم المؤلفين»[٣]، وهذا ـ ولا شك ـ وَهْمٌ منهم؛ لأن القلائد والعقود كتاب واحد، كما أسلفنا. وربما كان كتاب «التذكرة» ليس سوى كتاب «القلائد أو العقود»، إذ لم يذكره أحد من المتقدمين، بل إن ابن الشعار لم يشر إليه، بخلاف كتابه الآخر «تحفة الوزراء» الذي ذكره هو كما ذكره غيره. والراجح عندي هو أن المتأخرين هم الذين توهموا وجوده.

وعلى كل حال، فأكثر كتاب «القلائد» قد سلم لحسن الحظ من الضياع، وهو في الأصل بعشر مجلدات ضخمة ينقصها الآن المجلدان الثاني والثامن، وهذه المجلدات الثمانية موجودة حاليًا في خزانة كتب «أسعد أفندي» الملحقة بمكتبة السليمانية بإستانبول، وأرقامها ٢٣٢٣ ـ ٢٣٣٠. وقد زادت مجموع صفحاتها على (٤٤٥٠) صفحة، تناول فيها المؤلف ترجمة (١٠٨) من شعراء زمانه. ولو أُخذ بهذا المقياس وجب أن تكون صفحات هذا الكتاب (بما في ذلك الجزء الثاني والثامن) في حدود (٥٥٧٠) صفحة ولزاد مجموع التراجم فيه على (١٢٥٠) ترجمة. وكان الأجدر به أن

---

(١) كشف الظنون ص١٣٥٣.
(٢) هدية العارفين ٢/ ٣.
(٣) ٨/ ١٧١.

يسمى موسوعة أو دائرة معارف بدلاً من أن يسمى كتابًا فقط، فهو في الحقيقة من أمهات الكتب (إن لم يكن الكتاب الوحيد) التي أرخت للشعراء الذين عاشوا في القرن السادس وأدركوا القرن السابع.

وتراجم الكتاب مرتبة على الحروف الهجائية في الاسم الأول فقط. أما أسماء الآباء فلم ترتب هجائيًا خلافًا لما التزم به ياقوت الحموي في «معجم الأدباء». وإنما ذُكرت كما اتفق للمؤلف ذكرها، بشكل مماثل لما اتبعه ابن خلكان في «وفيات الأعيان» فيما بعد، بل إن ابن الشعار لم يلتزم أحيانًا حتى بترتيب الأسماء الأولى لأصحاب التراجم، من ذلك مثلاً أنه ذكر من اسمه «سعيد» ثم «سلمان». ثم عاد فذكر من اسمه «سعيد» ثم «سلمان». وقد جاء من اسمه «الساطع» في آخر حرف السين، وحقه أن يكون الأول.

ولعل البعض يظن أن هذا الكتاب ألصق بتاريخ الأدب، ولا قيمة له من ناحية التاريخ العام. وهنا يهمني - والكلام ما زال للدكتور الصقار - أن أوضح لمن قد يظن مثل هذا الظن، بأن من ترجم لهم ابن الشعار لم يكونوا مجرد شعراء، بل إن بينهم أناسًا من مختلف الطبقات، ولكن القاسم المشترك بينهم هو قول الشعر، إذ نجد بينهم عدداً غير قليل من رجال الدول، فهناك مثلاً ترجمات لعدد من الملوك، بينهم الملك الكامل الأيوبي[١]، وعبد الرحيم بن عمر بن شاهنشاه الأيوبي، المعروف بالملك الفايز[٢]، والملك الأيوبي غازي بن يوسف بن أيوب (وهو ابن صلاح الدين)[٣]، والأمير سنجر بن المقلد بن سليمان العقيلي، ملك العرب[٤]، ولؤلؤ بن عبد الله الأفضلي النوري حاكم الموصل[٥].

وهناك تراجم لعدد من الوزراء، بينهم الوزير عبد الرحمن بن الحسن بن

(١) ٧/ ٢٤٠ب.
(٢) ٣/ ٢٦٢أ.
(٣) ٥/ ٢٤٨ب.
(٤) ٣/ ١٦٣أ.
(٥) ٦/ ٩ب.

علي[١]، وعلي بن شماس الخزرجي، وزير إربل[٢]، كذلك فيه ترجمات لعدد غير قليل من القضاة، أمثال أحمد بن خليل بن سعادة الشافعي، قاضي القضاة[٣]، وأحمد بن محمد بن إبراهيم قاضي القضاة أيضًا، وأحمد بن عبد الرحيم البيساني، المعروف بالقاضي الأشرف[٤]، فضلاً عن عدد كبير من أهل العلم والمؤرخين والجغرافيين، أمثال مؤرخ إربل ووزيرها الشهير بابن المستوفي[٥]، ومؤرخ بغداد محب الدين ابن النجار[٦]، والبلداني المؤرخ ياقوت الحموي[٧]، والسائح المعروف علي بن أبي بكر الهروي الموصلي، مصنف كتاب «الإشارات لمعرفة الزيارات»[٨]، علاوة على ترجمته لكثير من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتصوفة الذين يصعب حصرهم في هذه العجالة، ونذكر منهم على سبيل المثال الشيخ الصوفي المعروف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[٩]. والشيخ ابن العربي[١٠]، ونصر الله بن الأثير الكاتب المشهور[١١].

هذا ولم يختص ابن الشعّار بأهل حرفة معينة، أو بطبقة واحدة من الناس[١٢]، كما هو واضح من الأمثلة التي أوردناها، كذلك فإنه لم يختص بأهل بلد معين أو قطر واحد على وجه الخصوص، رغم كونه موصليًا من أهل العراق. والكتاب في مجموعه، هو حصيلة اللقاءات الشخصية والتماس المباشر، وفي ذلك يقول ابن

---

(١) ٣/ ١٨٢أ.
(٢) ٤/ ٢٠٠ب.
(٣) ١/ ١٤٩ب.
(٤) ١/ ٨٩ب.
(٥) ٦/ ١٨ب.
(٦) ٦/ ٢١٧ب.
(٧) ٩/ ١٧٠أ.
(٨) ٥/ ١٩أ.
(٩) ٥/ ١٥٤أ.
(١٠) ٧/ ١٣٩أ ـ ١٤٨ب.
(١١) ٩/ ٢٦ب.
(١٢) قال العزاوي في «التعريف بالمؤرخين ١/ ٧٥»: إن من ترجمهم ـ ابن الشعّار ـ وإن كانوا شعراء، فلا شك أن بينهم من رجال الإدارة»، ويحتوي الكتاب على المقدار الكافي من نظم كل شخص، ١/ ٧٥ ـ ٧٦.

الشعار في تسمية كتابه «قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان» ما يؤيد ذلك، عندما قال: «أعني بذلك زماني، ومن أدركه من الشعراء عياني»، أي أنه كان حريصًا على لقاء من يترجم لهم وجهًا لوجه، ويروي عنهم أقوالهم وأشعارهم. ولقد سافر ابن الشعار صحبة أمير إربلي إلى جهات واسط، وهناك قام بجمع أشعار بعض الواسطيين الذين ترجم لهم[١].

كذلك يحدثنا بأنه اجتمع بأحد الدمشقيين مراراً في دمشق، كما اجتمع به في حلب، وهذا الشخص هو سليمان بن الفضل الدمشقي[٢] المعروف بابن البانياسي، وقد ورد حلب رسولاً من الملك العادل الأيوبي، وتوفي بدمشق سنة ٦١٤هـ.

كذلك شاهد في حلب سليمان بن داود بن يوسف الأيوبي، ملك إِلبيرة، وذلك في سنة ٦٣٤هـ[٣]. وذكر عن شخص ثالث أنه أنشده قصيدة بحلب[٤].

وفوق هذا فإن الكتاب يحوي تراجم لأناس ينتمون إلى مختلف الأقطار الإسلامية مشرقها ومغربها[٥]، بل وأندلسها، ونذكر من هؤلاء، على سبيل المثال:

١ ـ محمد بن عمر الغماري (الميورقي) ٦/ ترجمة رقم ٦٢٢.

٢ ـ عيسى بن سليمان بن عبد الله (الأندلسي) ٥/ رقم ٥٥٥.

٣ ـ عبد الرازق بن أحمد (الطرابلسي) ٤/ رقم ٣٧١.

٤ ـ فاضل بن راجي الله (المصري) ٥/ رقم ٥٨٦.

٥ ـ محمد بن سليمان بن صدقة (الدمشقي) ٦/ رقم ٦٢٨.

٦ ـ إسحق بن هبة الله (الخلاطي) ١/ رقم ١٣٦.

٧ ـ محمد بن حيدر بن سعود (الأصفهاني) ٧/ رقم ٧١٦.

٨ ـ أحمد بن الحسن (الاسفراييني) ١/ رقم ١٢٤.

---

(١) ١٠/ ٤٨.
(٢) ٣/ ٣٩ب.
(٣) ٣/ ٣٣ب.
(٤) ١/ ٤٢ب.
(٥) انظر ما كتبه محمد بنشريفة بعنوان: «ابن الشعّار، مرجعًا من مراجع أعلام المغرب» على صفحات مجلة «الاكاديمية» المغربية ع٩/ ١٩٩٢ ص٨٧ ـ ١٠٠.

٩ ـ عيسى بن سلامة (الحضرمي الحميري) ٥/ رقم ٥٦٤ .
١٠ ـ المبارك بن أحمد (الإربلي) ٦/ رقم ٦٠٩ .
١١ ـ محمد بن محمود بن النجار (البغدادي) ٦/ رقم ٦٩١ .
١٢ ـ علي بن أبي بكر (الموصلي) ٥/ رقم ٤٦٢ .
١٣ ـ أحمد بن عبد الرحيم (البيساني) ١/ رقم ٥٠ .
١٤ ـ إبراهيم بن علي (الكفرعزي) ١/ رقم ١٧ .
١٥ ـ إبراهيم بن يعقوب (الكانمي) النحوي الشاعر الأسود (وهو أفريقي) ١/ رقم ١٠ .
١٦ ـ إسماعيل بن محمود (البلغاري) ١/ رقم ١٥٦ .
١٧ ـ عبد القادر بن يحيى (البوازيجي) ٤/ رقم ٣٣٦ .
١٨ ـ عبد المحسن بن عبد الله (الطوسي) خطيب الموصل ٤/ رقم ٣٥٥ .
١٩ ـ عبد المحسن بن حمود التنوخي (الحلبي) ٤/ رقم ٣٥٦ .
٢٠ ـ علي بن محمد الربعي، ابن النبيه الشاعر (المصري) ٤/ رقم ٣٩٠ .
٢١ ـ علي بن محمود التنوخي (الحمصي) المعروف بابن الحكم ٥/ رقم ٤٧٧ .
٢٢ ـ علي بن عثمان السلياني (الإربلي) ٥/ رقم ٥٠٤ .
٢٣ ـ عمر بن محمد (الموصلي) المعروف بابن الشحنة ٥/ رقم ٥٢٩ .
٢٤ ـ محمد بن نصر بن مكارم (الدمشقي) ٦/ رقم ٦٤٠ .
٢٥ ـ محمد بن المؤمل بن الفضل (البحراني) ٦/ رقم ٧٠٤ .
٢٦ ـ طاهر بن محمد العتابي (البغدادي) ٣/ رقم ٢٢٥ .
٢٧ ـ عبد الرحمن بن بدر (النابلسي) ٣/ رقم ٢٧٥ .

إلا أننا نلاحظ أن نسبة العراقيين، ولا سيما من أهل منطقة الموصل وإربل كبيرة إذا ما قيست بغيرهم، وهذا طبيعي؛ لأنها هي المنطقة التي عاش فيها المؤلف، وتيسرت له سبل الاتصال بشعرائها.

والجدير بالملاحظة أن ابن الشعار، كما كان ذا أفق جغرافي واسع، كان أيضًا واسع الصدر متحرراً من التَعصُّب، فلم يقصر اهتمامه على الشعراء المسلمين فحسب بل ترجم لجماعة من غير المسلمين أيضًا، فهناك عدد غير قليل من اليهود والنصارى

نذكر منهم: الشاعر اليهودي عبد السلام بن أبي علي بن يحيى بن مناحيم الحلبي الذي وقعت ترجمته في ثماني صفحات[١]. كما ترجم ليهودي آخر هو نبا بن أبي غانم بن حسين المعروف بابن الزعفراني اليهودي، وقد استغرقت ترجمته حوالي ٣٠ صفحة[٢]. وعلاوة على ذلك فإنه ترجم لليهودي الأندلسي يحيى بن سليمان بن شاؤول الطليطلي[٣].

كذلك تناول بالترجمة عدداً من النصارى نذكر منهم: هبة الله بن أبي الحسن بن أبي الخير بن بطرس المصري[٤]، وهبة الله بن أبي سعيد بن أبي الكرم النصراني المصري المعروف بابن ستوتة[٥]، وهلال بن حبيب الهيتي النصراني[٦]، كما ترجم لعيسى بن الفضل بن بشر الموصلي النصراني المعروف بابن البحري[٧].

ونقطة أخرى يحسن بي أن أتوقف عندها هي أن ابن الشعار لم يجعل اهتمامه منصبًا فقط على الجانب الشعري في حياة مترجميه، بل كان يشير إلى الجوانب الأخرى من حياتهم، مما جعل لكتاب «القلائد» أهمية كبيرة لرصد نشاطات هؤلاء الناس وما تعكسه على الحياة العامة في عصرهم، من ذلك مثلاً أنه عندما ترجم للفقيه الشافعي أحمد بن محمد الآمدي، قال عنه: إنه كان يتولى بماردين «إعادة الفقه» بالمدرسة العزيزية[٨]، وبذلك عرفنا بوجود وظيفة المعيد وبوجود مدرسة تسمى «العزيزية» بماردين. كذلك قال عن أحمد بن رستم بن المبارك الموصلي المتوفى سنة ٦٢٠هـ بالموصل. إنه كان يكتب على الحيطان[٩]، تشبهًا بعلي بن أبي بكر الهروي الموصلي السائح. ومن ذلك أيضًا ما قاله عن محمد بن القرموني من أنه تولى في

---

(١) ٣/٢٦٩ب ـ ٢٧٢ب.
(٢) ٩/٦٩أ ـ ٨٥ب.
(٣) ٩/٢٢٧أ.
(٤) ٩/١٢٣أ.
(٥) ٩/١٢٤ب.
(٦) ٩/١٣٩أ.
(٧) ٥/٢٣٨ب.
(٨) ١/٨٥ب ـ ٨٦أ.
(٩) ١/١١٣ب.

حكومة الموصل الملاعب والحرف والصنائع كصنعة «المناقضة؟» وكان الصرّاع وذوو الشطارة والسعاة وأصحاب المعالجة يرجعون إليه ويعتدّون بقوله، وإليه الحكم في ذلك ويسمى الحَكَم(١). وقال عن محمد بن المؤمل بن الفضل البحراني: إنه فقيه إمامي(٢)، ولعله قال أشياء مماثلة عن غير هؤلاء، مما قد يهمُّ الباحثين الاطلاع عليها والاستفادة منها، كقوله عن يوسف بن جامع الإربلي خازن بيمارستان إربل: إنه كانت له عناية بعلم الطب(٣).

ومن طريف ما سجله ابن الشعار مقطوعة شعرية غريبة تسمى على وزنين، أنقل منها هذين البيتين(٤):

لم أنسه مذ زارني متخلساً من غير وعدِ معجباً بدلاله

جذلان سَهّله الرضا فأتى على غرضي وقصدي بعد طول ملاله

والحقيقة أنني لم أطلع قبل الآن على شيء من هذا القبيل. وفضلاً عن ذلك روى ابن الشعار مقطوعات من شعر «الدوبيت» في أكثر من موضع من كتابه.

وعلاوة على ما تقدم فإن حجم التراجم الوارة في «القلائد» رغم كونه في المتوسط أربع صفحات ونصف الصفحة، إلا أن عدداً كبيراً منها تجاوز هذا المعدل الأوسط، فكثير منها في حدود العشر ورقات (أي حوالي عشرين صفحة)، بل جاوز بعضها هذا الحد، كترجمته لنصر الله بن الأثير الكاتب المشهور التي استغرقت ١٧ ورقة(٥)، وترجمته لعبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدايني(٦) صاحب «نهج البلاغة» استغرقت عشرين ورقة ـ لعلها أوسع ترجمة كتبت لعبد الحميد هذا ـ وحوت معلومات ضافية عنه، كما ضَمنَّها فصلاً من كتاب صنّفه ابن أبي الحديد وتضمّنت بعض التواقيع، بل إن إحدى التراجم، وهي لشاعر اسمه يوسف بن إسماعيل بن علي الحلبي

(١) ٧/ ٢٧ب.
(٢) ٦/ ٢٣١ب.
(٣) ١٠/ ١٧٣أ.
(٤) ٩/ ٧٤.
(٥) قلائد ٩/ ٢٦ب ـ ٤٣ب.
(٦) قلائد ٤/ ١٠٧ ـ ١٢٧أ.

المعروف بالشوا[١]، قد استغرقت اثنتين وخمسين صفحة، وترجمة الشاعر يوسف بن سليمان بن صالح المضري المسمى بابن الكتاني[٢] استغرقت أربعين ورقة، وهذا نادر جداً في كتب التراجم، وربما كان ابن الشعار من المؤرخين القلائل الذين كتبوا تراجم إضافة على هذا المنوال، وبذلك قدم للباحثين مادة غزيرة يمكن الانتفاع بها في مختلف مجالات البحث التأريخي والأدبي. بل إن ابن الشعار نفسه قد سمى كتابه هذا تاريخًا، فقد ختم الجزء العاشر منه بقوله: «وهذا حين انتهى بنا التأليف من هذا التاريخ، والحمد لوليه ومستحقه، وصلواته على محمد نبيه وآله الأطهار».

وهكذا فإن الكتاب يرصد النشاط الأدبي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. والذي يَسَّر لابن الشعار جمع مثل هذا الكتاب الضخم، دون أن يتكلف عناء السفر إلى جميع الأقطار الإسلامية، وهو ما اعتاده المسلمون، ولا سيما العلماء منهم، من الرحلة في طلب العلم وأداء فريضة الحج، وكانوا أثناء ذلك حريصين على لقاء المشايخ وأهل العلم والأدب، والأخذ عنهم، وتبادل الرواية والعلم والمعرفة بين بعضهم البعض. ولا شك أن إقامة ابن الشعار في إربل مدة ست سنوات، أيام ازدهار «إمارة إربل» التي اجتذبت عدداً كبيراً من العلماء والأدباء، مما حمل ابنها البار ووزيرها الأديب المؤرخ ابن المستوفي على تصنيف كتابه الموسوم بـ «نباهة البلد الخامل بمن ورد من الأماثل»[٣].

أقول ـ والكلام للدكتور الصقار ـ: إن ابن الشعار لقي أثناء وجوده بإربل ـ عدداً كبيراً من هؤلاء، وانتفع بهم. كما نقل عنهم الكثير من المعلومات المتعلقة بحياتهم، ولا سيما الجانب الأدبي منها، وعلى الأخص ما نظموه من شعر، بل إن نظمهم الشعر كان هو المبرر لإدراجهم في موسوعته هذه، بصرف النظر عن مكانتهم السياسية والاجتماعية، أو انتمائهم القومي أو البلداني. وهكذا جاء الكتاب موسوعة شاملة حوت ـ كما أرادها المؤلف ـ كل شيء يهم الباحث والمؤرخ والأديب.

---

(١) قلائد ١٠/ ١١٩أ ـ ١٧١ب.
(٢) قلائد ١٠/ ١٨٠أ ـ ٢٢٠ب.
(٣) نشر بتحقيق د. سامي الصقار، ضمن منشورات وزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٨٠.

وعلى الرغم من أن الكتاب لم يكتب له الانتشار الواسع ـ على ما يظهر ـ إذ لم يرَ النور منه حتى الآن إلاّ نسخة واحدة، هي لحسن الحظ كتبت بعض أجزائها بخط المؤلف[١]، وعلى الرغم من ذلك فقد انتفع بالكتاب عدد من المصنفين، وفي مقدّمتهم المؤرخ الشهير ابن خلكان الإربلي الذي عاصر المؤلف وعرفه شخصيًا ـ كما أسلفنا ـ بل كان صديقًا له، إذ ينعته على الداوم بكلمة «صاحبنا». فالمعروف أن ابن الشعار قدم إربل في المحرم من سنة ٦٢٥هـ[٢]، وغادر ابن خلكان هذه المدينة في سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م[٣]، وهذا معناه أنهما أقاما معًا لمدة لا تقل عن سنة واحدة في إربل، وأكاد أجزم بأنهما قد تزاملا في الدراسة على ابن المستوفي. إذ كان ابن خلكان نفسه من تلاميذه، ولقد اعترف ابن خلكان بذلك صراحة[٤]. هذا وقد عرف ابن خلكان ـ كما ذكرنا آنفًا ـ كتاب «قلائد الجمان» وسمّاه باسمه، ونقل عنه في عّدة مواضع، مما هو وارد في «وفيات الأعيان»، فضلاً عن روايته عن مؤلفه شخصيًا[٥].

وقد عرَّف الكتاب مؤرخ موسوعي آخر، هو عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣هـ، المعروف بابن الفوطي، إذ ذكره في موسوعته المسماة «معجم الألقاب» ونقل عنه، حتى أنني أحصيت نُقوله في تلك الموسوعة فكانت ٧٤ مرة[٦]. وهذا بحد ذاته يكفي للدلالة على أهمية الكتاب. بل ويحملنا على الاهتمام به والتصدي لنشره نشراً علميًا»[٧].

موارده:

استقى ابن الشعار مادته في كتابه «قلائد الجمان» من موارد متعددة يمكن تقسيمها إلى قسمين وهما:

---

(١) المخطوطة لا تحمل تأريخ النسخ، ولكنني قارنت خطها بخط ابن الشعار في هوامشه على «تأريخ إربل» فوجدتهما متطابقين ـ انظر نموذج الخط ـ في مقدمة الجزء السابع.

(٢) تاريخ إربل ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٢٨. مقدمة د. إحسان عباس.

(٤) ن.م. ٤/ ١٤٧.

(٥) انظر مثلاً: ٤/ ١٥٠ و٦/ ٦٥ و١٣٨، و٧/ ٣٨ و٩٣ و٢٣٦. ط د. إحسان عباس.

(٦) انظر: الفقرة القادمة، (الناقلون عنه).

(٧) بحث د. الصقار ٢٠٩.

أ ـ المصادر المسموعة: فقد كان جُلّ اعتماده في تأليفه لم يكن على النقل، بل كان إمّا على العيان والمقابلة الشخصية، وإما على السماع ممن قابل الشاعر وأدركه مثل ولده أو أحد أقاربه، أو ممن يروي عنه أو تحدّث معه. وعددهم كثير، منهم:

١ ـ أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي.

٢ ـ أبو الحسن القطيعي.

٣ ـ الحسن بن علي بن شماس.

٤ ـ أبو الفضل العباس بن بزوان الموصلي.

٥ ـ أبو المفاخر بدران بن فتوح العقيلي.

٦ ـ أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبي نصر البغدادي.

٧ ـ أبو العباس أحمد بن الحسين الواسطي.

٨ ـ أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي.

٩ ـ علي بن محمد الكاتب.

١٠ ـ محمد بن بدل التبريزي.

١١ ـ علي بن محمد الكاتب.

ونكتفي بهذا العدد إذ لا طائل من تعقب أسمائهم.

ب ـ المصادر المقروءة: وهي النقل عن تصانيف من سبقه في هذا المضمار واستقى مادته منها.

ومعظم هذه الكتب والدواوين ومسوّدات القصائد التي أطلع عليها ابن الشعّار ونقل عنها فقدت، ولم يصل إلينا سوى الاسم أو الإشارة إلى بعض النصوص. ومن بعضها:

١ ـ تاريخ إربل لأبي البركات لابن المستوفي.

٢ ـ ذيل تاريخ بغداد لابن الدُّبيثي.

٣ ـ ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.

٤ ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني.

٥ ـ إنباه الرواة للقفطي.

٦ ـ الجامع المختصر لابن الساعي.

٧ ـ تاريخ حلب لأبي القاسم عمر بن أحمد الحنفي.

٨ ـ تأريخ حلب لابن العديم.

ولم يكن هذا النقل من المصادر مجرد نقل دائمًا، بل في الغالب تحاور مع صاحب الكتاب، والكتاب حاضر، يقرأ جزءاً جزءاً منه أثناء الكلام، فيدونه ابن الشعّار.

الناقلون عنه:

● **ابن المستوفي: تأريخ إربل:**

١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦، ٤٠٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١.

● **ابن خلكان: وفيات الأعيان:**

٤/ ١٥٠، ٦/ ٥٦، ١٣٨، ٧/ ٣٨، ٩٣، ٢٣٦.

● **ابن سعيد: الغصون اليانعة:**

٥١، ٥٥. ابن سعيد: المغرب ١/ ١٣٦.

● **ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب:**

٢٤٧، ٢٥١، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٣٢٧، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٤، ٧٧٤، ٧٨٤، ٧٩٠، ٧٩٨، ٨٦٦، ٨٧٣، ٨٩٩، ٩٢٦، ١١٣٢، ١٣٧٥، ١٤١٠، ١٤٢٩، ١٤٤٩، ١٤٥٨، ١٨٦٠، ١٨٧٧، ١٨٧٨، ١٩٣٦، ٢٢٠٩، ٢٤٩٠، ٢٦٢٥، ٢٦٨٢، ٢٧٨٤، ٢٨٣٣، ٢٨٣٩، ٢٨٥٣، ٢٨٧٤، ٣٢٤٨، ٣٢٨٢، ٣٣٧٦، ٣٦٣٠، ٣٦٦٨، ٣٦٩٩، ٣٧٢٩، ٣٨٤٧، ٣٨٧٧، ٣٩١٩، ٣٩٩٦، ٣٩٩٩، ٤٠٠٠، ٤٠٠٢، ٤٢٦٧، ٤٥٤٥، ٤٦٥٨، ٤٦٦٠، ٤٧٥٠، ٤٨٠٩، ٤٨٥٩، ٤٩٢٣، ٥١٩١، ٥٣٢٤، ٥٤٤٣، ٥٤٤٨، ٥٤٩٢، ٥٦٠٤، ٥٦٣٢، ٥٧١١، ٥٧١٨، ٥٧٢١، ٥٧٢٣، ٥٨١٨، ٥٨٤١، ٥٨٦٦، ٥٨٨٤، ٥٨٨٧، ٥٨٩٣، ٥٩٠١.

● **اليونيني: ذيل مرآة الزمان:**

١/ ٧٧ ـ ٧٨، ٣٣٤ ـ ٣٣٧، ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦، ٣٦٩، ٤١٦٣ ـ ٤٥، ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

● **الذهبي: العبر:**

٥/ ٢١٩.

● اليافعي : مرآة الجنان :
٤/ ١٣٦ .

● عبد القادر القرشي : الجواهر المضية :
١/ ٤٥ ـ ٤٦ . ٢/ ٣٧٠ . ٣/ ٢٦٥ ، ٥٥٢ .

● ابن تغري بردي : المنهل الصافي :
ج٢/ ٨٩، ١٦٧ ، ٢٥٣ ، ٣٦٨ . ج٧/ ١٤٩ ، ٣٠٧، ج٨/ ٢٧٠، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

● حاج خليفة : كشف الظنون :
٣٨٣، ١١٥٤ ، ١٧٣٤ .

● ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب :
٥/ ٢٦٦ .

● ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ :
٢٠/ ١٦٣ ، ٣٥٥ .

وفي مقدمة الجزء السادس الذي حققه د. خورشيد رضوي، ترجمة مفصلة ودقيقة لابن الشعار ودراسة كتابه القلائد ص١ ـ ٦٨ .

وصف المخطوطة:

يقول د. سامي الصقار: «منذ أسعدني الحظ بالتعرّف على كتاب «قلائد ـ عقود الجُمان»، وأنا دائب على التحري عن مخطوطاته في فهارس مختلف المكتبات ومعاهد المخطوطات في العالم، ولسوء الحظ لم اهتد إلى أية مخطوطة غير تلك التي في مكتبة أسعد أفندي المحفوظة حاليًا في المكتبة السَليمانية باستانبول والمسجلة بالأرقام ٢٣٢٣ ـ ٢٣٣٠ . والظاهر أن بروكلمان لم يسمع بهذا الكتاب وبالتالي فلم يذكره في تأريخه كما لم يذكر مؤلفه. ولذا فإن بحثي هذا يعتمد كليًا على تلك المخطوطة الفريدة التي أحاول الآن وصفها.

تقع هذه المخطوطة بالأصل في عشرة أجزاء، وقد سلم منها ثمانية فقط، إذ ضاع منها الجزءان الثاني والثامن. والأمل بالله وطيد أن يوفق بعض الباحثين في العثور عليهما. والأجزاء الثمانية ـ بحمد الله ـ بحالة جيدة قياسها ١٥×٢/ ١ ٢٣ سنتميتراً، وخطها نسخي جيد وواضح، مكتوب معظمه بخط كاتب واحد، وأقله بخط ابن الشعار

نفسه، وسيرد وصف وخصوصية كل جزء في مقدمته .

أما الوصف العام فيتلخص بما يأتي :

١ ـ في النسخة أوراق وصفحات فارغة وبعضها احتوت في بدايتها على عدّة أسطر، كان المؤلف يأمل أن يضيف إليها بعد، وأخرى تركها؛ لأنها نهاية ترجمة، ليبدأ بصفحة جديدة لفصل جديد .

٢ ـ في النسخة شطب على بعض التراجم، وللأمانة العلمية ولعدم معرفة من الشاطب، جعلتها في الهامش وأشرت إليها .

٣ ـ هناك ضرب على بعض الأبيات الشعرية والكلمات، جعلتها في محلها؛ وأشرت إلى أنها كانت مشطوبة .

٤ ـ في ثنايا الصفحات تداخلات وإشارات وإضافات تراجم وأسطر .

٥ ـ في النسخة اضطراب في تجليد الكتاب، اختلطت فيه بعض الأوراق وعلى الخصوص بين الجزء الرابع والجزء الخامس .

وصف مخطوطة الجزء الأول

يقع الجزء الأول في ٣٠٧ ورقات، وتحمل ورقة الغلاف أختامًا بأسماء ثلاثة ممن تملّكوه. وجاء في خاتمته هذه العبارة:

«تم الجزء الأول من هذا الكتاب، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله، ويتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله ـ ذكر ولده إلياس بن إلياس بن جامع بن علي الإربلي».

كما كتب في ذيل هذه الورقة (٣٠٧) عبارة نصّها:

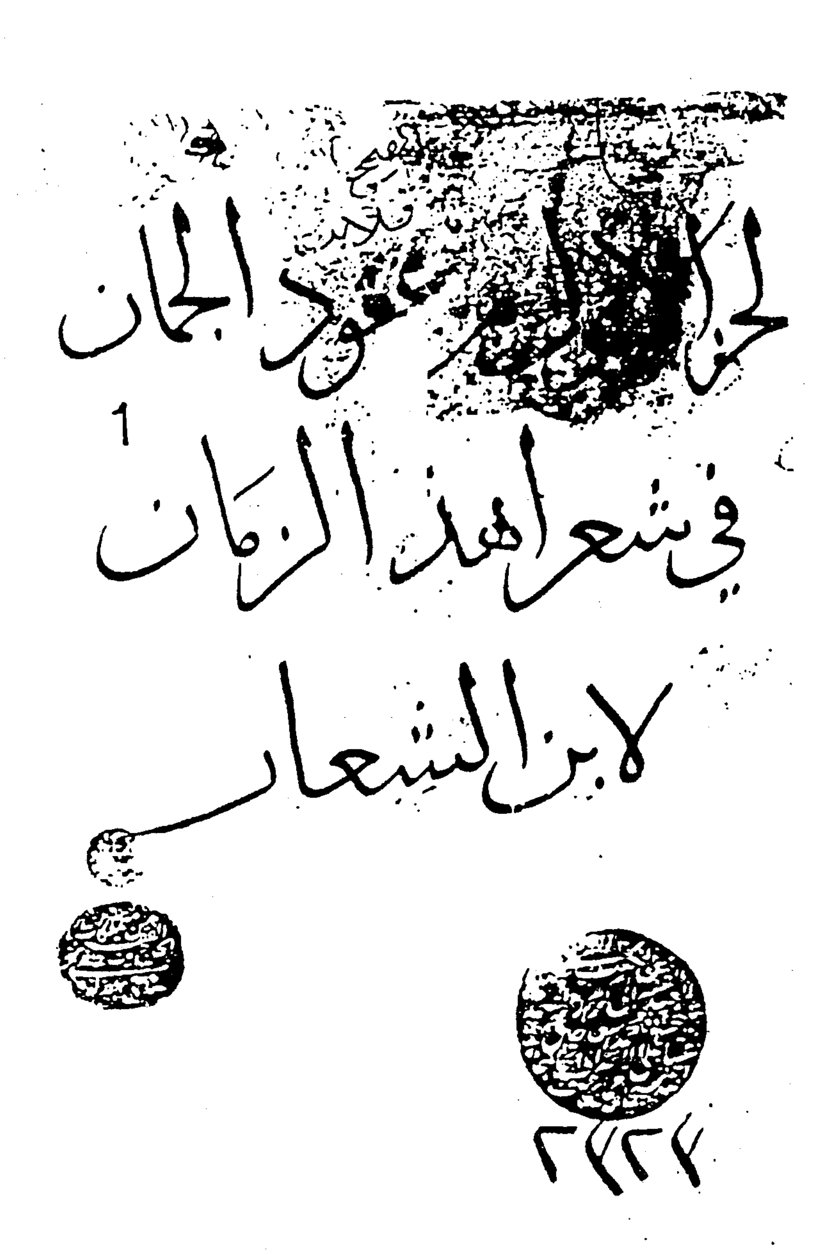
«طالعه ونقل منه محمد أحمد عبد القادر».

وكتب قارىء آخر هذه العبارة:

«طالعه واستفاد منه ونقل أحمد مكتوم القيسي، داعيًا لمالكه».

ثم كتب على ظهر تلك الورقة عبارة أمحى أولها وهي:

«.... الشيخ الحاج غلام الطواشي محسن الصواني، في بيت حسين العمران.... سكنه فوق الاصطبلات عند دار الباشقردي، بحارة الروم».



صفحة عنوان الجزء الأول

بسم الله [illegible]

الحمد لله الذي [illegible] خواطر الشعراء [illegible] الموزون
[illegible] الغوص على درر النفيس وجوهر المخزون وذلل لهم
زمامه بعد الجماح فانقاد حتى تملكوا ارقه بذكاء
الفهم والذهن الوقاد فتصرفوا في انواعه وفنونه واظهروا
ما كان بديعا من مخبوه ومزوا الخالص من [illegible]
واستنبطوا الشارد من عروضه فكم ابتكروا من
المعاني البليغة التي جلت ودقت واسسوا الالفاظ
الرشيقة التي راقت ورقت ما شهد لهم بكمال البراعة
والتبريز في احكام الصناعة فلو استقر به هذه
الالفاظ والمعاني وتأملها الحاذق مع صنعة المعاني
مع تلك البدائع التي اخترعوها والمحاسن التي اتوا بها
واستدعوها لقال [illegible] هذا هو السحر الحلال او الراح
الشمول شجت [illegible] الماء الزلال او يواقيت رصعت في النحار
وشذور ذهب فصلت باللؤلؤ والمرجان لا بل رياض انيقة تبهج

الصفحة الأولى من الكتاب

الجزء الأول / الورقة ٨ أ



وقال أيضاً

وله

إبراهيم بن محاسن بن عبد الملك

الجزء الأول/ الورقة ٥٥ أ

الجزء الأول/ الورقة ٧٥ ب

الجزء الأول/ الورقة ٧٥ ب

كيف اهتدوا ومطالع الخط تفضي بنور صبحها المسفر عن

٤ | أحمد بن قرطايا بن عبد الله

ابو العباس ابن ابي الهيجاء الاربلي غازي الدين عتيق الملك
المعظم مظفر الدين ابي سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين
صاحب اربل رضي الله عنه وكان اكبر امراء دولته مكينا
لديه بمنزلة [illegible] ذو سمت حسن وفيه بشر وحيا
ومحاسنه [illegible] يقول نظما ونثرا ويعرف علم
النجوم والاصطرلاب [illegible]
والعشرين من المحرم سنة ثماني وتسعين وخمسمائة بالدربند
بقرية تعرف بالراية من اعمال اربل ترددت اليه ايام مقامي
باربل وكان ينشدني اشعارا في الغزل وغيره وخرج عن
اربل متوجها في ذي الحجة سنة ثلاثين وستمائة نحو حلب فنزل
بها واقبل عليه الملك السلطان الملك [illegible]
اليه وانعم عليه انعاما عظيما ولم يلبث [illegible]

ان اتيته به اذا انفصل ذلك الوقت
عيد النصارى فانقضا العيد بايام
لعلكما ان يبعثني الجزء ○
مهذب الدين يا ذا الفضل والنسب والعلم والمجد والسامي على الشهب
عيد النصارى انقضى والذي حل به لا صبر لا صبر لي عن سيد الكتب
فانعم به كل ما ذكرت لي [illegible] بالذهب
تم الجزء الاول من هذا
الكتاب والحمد لله اولا واخرا وصلى الله على محمد وآله
ويتلوه في الجزء الثاني ان شاء الله ذكر ولد الياس
ابن الياس بن جامع بن علي الاربلي ○ ○ ○

الصفحة الأخيرة من الكتاب

الجزء الثالث / الورقة ٥٨ ب

كنموذج لتداخلات الكتابة

الجزء الثالث/ الورقة ١٧٠ ب

نموذج آخر

الجزء الثالث/ الورقة ١٧٠ ب

نموذج آخر

الجزء السادس / الورقة ٢١٩ أ

نموذج آخر

منهجي في التحقيق:

١ ـ لقد عنيت في تحقيق الكتاب بإخراج النص في صورته التي نطق بها مؤلفه، وكتبها بقلمه، وقد التزمت في ذلك إلتزامًا دقيقًا، متوخيًا الحفاظ على الأمانة العلمية، وقد غيّرت الإملاء القديم إلى المألوف عليه الآن مثل:

إسحق	إسحاق
إسمعيل	إسماعيل
إبرهيم	إبراهيم
القسم	القاسم
الحرث	الحارث
ثلث	ثلاث
إدرس	إدريس

وكذلك كتابتهم الياء في نهاية الكلمات ألفًا مشالة مثل:

ماية	مائة
فوايد	فوائد
ساير	سائر
طايفة	طائفة

وغير ذلك، فعمدت إلى كتابة الهمزة جريًا على لغة العصر، وصححته بما هو مألوف الآن.

٢ ـ حفاظًا على الأمانة العلمية، فقد أبقيت النص كاملاً دون حذف حرف واحد، بما في ذلك التكرار، وإيراد عبارات المجون والأدب المكشوف، فلم أشأ أن أحذف شيئًا منه كما يفعل بعض المحققين والناشرين، تحرّجًا منهم وتأثّمًا وحرصًا على مكارم الأخلاق، هكذا هو ظنّهم. إنني لم أؤلف، وإنما حقّقت نصًّا كتبه صاحبه في زمن كان فيه الناس أشدّ تحرّجًا من هذا الزمن الذي نعيش فيه، فلم يكن من حقّي أن أتصرّف في كتب الناس، فيجيئوا يوم الحساب يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم، والله يعلم بما في الضمائر.

٣ ـ هناك فجوات وسقط كثير وبياض بين ثنايا الكتاب، تمكنت أن أملأ بعضها، وأسدّ نقصها مما توفّر لدي من مراجع ومعلومات، وقد وضعتها بين معقوفتين [ ] وأشرت في نهاية القوس الثاني دالاً عليه، مشيراً إلى المصدر الذي أخذت منه، وتركت الإشارة إلى بعضها لوضعها من قبلي.

٤ ـ ولما كان الناسخ، أو النسّاخ ـ في الأجزاء التي ليست بخط المؤلف كما في أغلب الظن ـ قد وقعوا في أخطاء لغوية وإملائية، فقد وجدت من الواجب تصحيح تلك الأخطاء، وحين وجدت نصوصًا شعرية أو نثرية ناقصة، أو مغلوطة، أو مطموسة، فقد عمدت إلى إستكمال نواقصها من المصادر الأُخرى، وعند تعذر ذلك تركتها على حالها وجعلت في مواضعها نقاطًا، وقد أشرت إلى بعضها في الهامش، واكتفيت في البعض الآخر بوضع النقاط فقط.

٥ ـ قمت في الشوط الأول من العمل بتفسير بعض الألفاظ ومعاني الكلمات التي يفتقر إلى معرفتها المبتدئون، ثم عدلت عن ذلك واقتصرت على تفسير بعض الألفاظ التي ربما وقف عندها الكثير من القرّاء.

٦ ـ ولم أُثقل الحواشي والهوامش بالشروح والتعليقات الكثيرة التي لا ضرورة لها ـ كعرض كلمات تأثرت نقط حروفها أو أجزاء كلماتها بفعل صروف الزمان والرطوبة، وقد بقي منها ما يدل على المراد صراحة ودون احتمال لسواه، وقد حدث هذا كثيراً في المخطوطة ـ إلاّ ما دعت الحاجة الماسّة إليه ـ واكتفيت بالتصحيح والتصويب والإحالة إلى المصادر اللازمة، والتعليق عند وجود حاجة ملحّة إليه.

٧ ـ قمت بشكل القصائد والمقطوعات الشعرية، وذكرت وزنها الشعري، وجعلته بين معقوفتين.

٨ ـ حاولت تخريج الأشعار من مصادرِها الأصلية ومن الدواوين، ولم أذكر الاختلاف في الروايات إلاّ أن يدل اختلافها على معنى هام، ولذلك أهملت ما كان تصحيفًا.

٩ ـ ترجمت في بداية الأمر كل عَلَم من أعلام الكتاب، وعرّفت كل كتاب، وكل موضع ورد ذكره في الكتاب، ولما رأيت أن التراجم والتعريفات والشروح قد أثقلت الكتاب وطغت عليه طغيانًا بحيث أفقدته مزيّته، فقد ألغيتها واكتفيت بوضع قائمة

بمصادر ترجمة كل شاعر ممن ترجمهم المؤلف، وترجمت باختصار لكل شخص استشهد المؤلف بشيء من شعره، وذكرت معظم المصادر التي ترجمت لذلك الشخص، كما عرّفت ببعض الشخصيات التي وردت أسماؤها عرضًا ضمن الحوادث والأخبار التأريخية أو المجالس الأدبية بما تيسَّر لي عنها.

١٠ ـ أعددت للكتاب فهارس فنيّة متنوعة. أحدها فهرس هجائي لأسماء الشعراء فَآبائهم فأجدادهم فألقابهم.

١١ ـ استعملت في الهوامش الرموز التالية:

خ: مخطوط
مج: مجلد
ط: الطبعة، محل الطبع
ص: الصفحة
د ت: بدون تأريخ

شكر وتقدير:

لا يسعني إلاّ أن أُسجل شكري وامتناني لجميع من ساهم وأعان على تحصيل أصل الكتاب، وتصوير مخطوطته، وتوفير مراجع تحقيقه ونسخ بعض أجزاؤه، وتصحيح تجاربه الطباعية، وإخراجه طباعيًا بالشكل اللاّئق به، وأخصّ منهم بالذكر:

- العلامة، الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ـ رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.
- المحقق الفاضل الأستاذ إبراهيم صالح ـ دمشق.
- الأستاذ بسّام عبد الوهاب الجابي ـ دمشق.
- المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق.
- الأستاذ حسين عبد العال اللهيبي ـ النجف، العراق.
- الأستاذ الفاضل علي محيي الدين ـ النجف، العراق.
- الأستاذ الدكتور خورشيد رضوي ـ لاهور، باكستان.
- مركز الشيخ زايد الإسلامي في البنجاب ـ لاهور ـ باكستان.
- الأستاذ سلافا كركوتلي ـ دمشق.

وختامًا:

في الوقت الذي أعترف فيه بقصوري عن أن أقدم لك عملاً متكاملاً، فهذا «قلائد الجُمان» بين يديك، يُسعدني - وأيم الحق - أني بذلت في سبيل إخراجه بهذا الشكل، وعلى هذه الصورة، جهداً مضنيًا لا يقدّره إلّا من مارس أمثال هذه الأعمال، ورحم الله القائل:

«لا يعرف الشـوق إلّا مـن يكابـده»

وكل الذي أطمعني فيه من كرمك، أن لا تحرمني من دعواتك إلى الله سبحانه وتعالى بأن يعينني على تحقيق بعض المراجع المخطوطة من تراثنا، وأن يرزقني وإيّاك حسن العاقبة في الدارين، ويجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم.

كما أرجو منك - يا سيدي - التجاوز عمّا تلمسه من هفوات، وأخالها قليلة بالنسبة لجسامة العمل، وحسبي إني كنت مخلصًا في عملي.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

العراق - الكوفة **كامل سلمان الجبوري**

الاثنين ٩ ذي الحجة ١٤٢٣هـ

١٠ شباط ٢٠٠٣م

قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

الجزء الأول



/ ١ب/ بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلـف]

الحمد لله الذي ألهج خواطر الشعراء [بالكلام][(١)] الموزون، وألهمهم الغوص على دُرِّه النفيس وجوهره المخزون، وذلَّل لهم زمامه بعد الجماح فانقاد، حتىٰ تملكوا رقَّه بذكاء الفهم والذهن الوقاد؛ فتصرفوا في أنواعه وفنونه، وأظهروا ما كان بديعاً من مكنونه، ومَرَوا الخالص من درره، واستنبطوا النادر من غرره.

فكم ابتكروا من المعاني البليغة التي جلَّتْ ودقَّت، وكسوها الألفاظ الرشيقة التي راقت ورقَّتْ؛ ما شهد لهم بكمال البراعة، والتبريز في إحكام الصناعة. فلو انتقدت هذه الألفاظ والمعاني، وتأملها الحاذق في صنعة المعاني؛ مع تلك البدائع التي اخترعوها، والمحاسن التي أتوا بها وابتدعوها، لقال مبادراً: هذا هو السحر الحلال، أو الراح الشَّمول شُجَّتْ بالماء الزلال، ويواقيت رصعت في التيجان، وشذور ذهب فُصِّلت باللؤلؤ والمرجان؛ لا بل رياض أنيقة تُبهج / ٢أ/ الناظرين ناصع ألوانها، قد تضرجت وجناتُ شقيقها، وابتسمت ثغور أقحوانها. وزها نرجسها وعرارها، واستنار وردها وبهارها، وأشرق ياسمينها، ولاح نسرينها. ضاحكها الشمس غبَّ بكاء الغمام، فأصبح النَّور بأرجائها مُفتَّح الأكمام؛ فإذا نشر النسيم خمائل زهرهَا وحياها، جاءت بالمسك السحيق من تربها وطيب تضوُّع ريَّاها. وكلما شَدَتْ أطيارُها وتردَّدَتْ ألحانها، رقصتْ غصونها طرباً وصفَّقتْ غدرانها.

نحمَده علىٰ ما أولانا من فرائده الأثيرة، وأجرانا فيه علىٰ عوائده الخطيرة، وصلىٰ الله علىٰ رسوله الصادق الأمين، سيد الأنبياء الأكرمين؛ الذي أنزل ـ عز وجل ـ في حقّه في كتابه المبين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٢)].

---

(١) طمس بمقدار كلمتين، وما بين المعقوفتين من وضعنا ليستقيم الكلام.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

ثم الصلاة علىٰ آله مصابيحِ الظلام، وصحابته نجومِ الإِسلام، ما نمّقت قريحه وحبّرت، وأنشأت رويه وعبّرت.

وبعد؛ فإنّني لمّا قاربت إنهاء كتابي الموسوم «تحفة الوزراء»[(١)] / ٢ب/ المذيل علىٰ كتاب «معجَم الشعراء» الَذي ألَّفه وجمعه الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الكاتب ـ رحمه الله تعالىٰ [(٢)]ـ فجاء كامل الوصف في تنقيحه، بديع الصنعة في تحريره وترقيحه؛ أحسن زينة من العرائس، تُجلى في الغلائل النفائس.

فأخلدتُ إلىٰ أن أجمع من الشعراء الذين دخلوا في المائة السابعة وأدركوها، وانخرطوا في سلَك فريقها وجاوزوها، ومن وطيء بساطها، وسلك سراطها، علىٰ حسب ما صار لديَّ حصوله، واتفق إليَّ وقوعه ووصوله؛ من شعراء عصري، ومحاسن فضلاء دهري، وأُفرد لذلك كتاباً بسَيطاً، حاوياً لشوارد كلامهم محيطاً، يشتمل علىٰ السمين والغث، والقشيب والرث؛ ليكون أجمل في العيون وأبهىٰ، وأحلىٰ في النفوس وأشهىٰ. لا يملّ مِنْ تَصَفُّحِه قاريه، بل يروق له ما اشتملت عليه مطاويه.

فبادرت ـ بحمد الله وحوله، وفضله السابغ وطوله، ألتقطه من الشفاه، وأتلقفه من الأفواه، وأودعه ما يستحب ذكره، وأسطر في غضونه ما يجب سطره / ٣أ/ من شعراء أهل العصر، إذ هم الجمّ الغفير الذين لا يأتي عليهم الحصر؛ فإن حصرهم بحر لا يدرك قعره، ومتاع لا يسبرّ علىٰ الحقيقة سعره.

ثم لا يَشُقّ هذا الغبار، ويجري في هذا المضمار، ويتمسك بهذه الأسباب،

---

(١) سبق الكلام عنه.

(٢) إخباري مؤرخ أديب، أصله من خراسان، ولد في بغداد ٢٩٧هـ/ ٩١٠م وتوفي فيها ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م، كان مذهبه الاعتزال، له كتب ومصنفاته رائعة، ذكرها ابن النديم في الفهرست. طبع «معجم الشعراء» بالقاهرة لمرتين ١٣٥٤هـ و١٩٦٠م بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧. سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٧ رقم ٣٣١. ميزان الاعتدال ٣/ ١١٤. تأريخ بغداد ٣/ ١٣٥. لسان الميزان ٥/ ٣٢٦. الوافي بالوفيات ٤/ ٢٣٥. الأعلام ط١٤/ ٦/ ٣١٩.

ويتقمص هذا الجلباب؛ إلاَّ من يجهد نفسه فيه إجهادا، ويبذل لذيذ رُقاده سُهاداً. ولا يضيق به ذرعا، ويتخذ الصَبر له جُنّة ودرعا، ويشَمّر في الطلب عن ساق جدّه، ويخلق جديد العمر بسعيه وكدّه.

وجعلته(١) له(٢) كالذيل، وأجريته في ذلك السيل، [وكلته بذلك الكيل](٣)؛ إذ هو قطرة من حياضه، وزهرة من رياضه.

ثم إنَّني أضيف إليه لمعاً من منثور يروق، وأوشحه بأنموذج من أخبار تشوق؛ مما نتجته بنات أفكارهم، وضمنته ما يستحسن من نوادرهم وأخبارهم، وأذكر من عرف بالكنية دون الاسم، واشتهر بها فصارت له تجري مجرىٰ الاسم العلم، لا يعرف إلاّ بها وذلك كُثْرٌ في الأسماء.

ثم سقته علىٰ حروف المعجم مرتبا؛ ليأتي غريباً في شأنه مهذّبا، ويكون أسهل /٣ب/ علىٰ مُحاوله، وأقرب إلىٰ يد متناوله؛ فإنه ترتيب لم أُسبق إليه(٤)، وتأليف لم يزاحمني أحد عليه.

وتتبعت كل من هو داخل في الشرط الذي شرطته، ومعدود في القبيل الذي أثبتُّه، مقتفياً أثر من تقدّمني في هذا الأسلوب، ومقتدياً بمن هو بهذا الشأن مع العلماء محسوب؛ كالأستاذ السابق، والإمام الحاذق: أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري في كتابه «يتيمة الدهر في محاسن شعراء العصر»(٥)، وتلاه أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي الكاتب

(١) أي «قلائد الجمان» هذا.

(٢) أي «تحفة الوزراء».

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) أكثر الذين سبقوه رتّبوا معاجمهم على حروف المعجم بالرغم من أن بعضهم اعتمد الحرف الأول للاسم أو الاسم الأول دون الأب والجد وما بعده. ولعل قوله: «لم أُسبق إليه» يعني التأليف عن شعراء القرن السابع الهجري.

(٥) من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فرّاء يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتأريخ فنبغ وصنف الكتب الكثيرة ومنها كتابه المذكور. ولد سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وتوفي سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م.

ترجمته في: معاهد التنصيص ٣/ ٢٦٦. مفتاح السعادة ١/ ١٨٧ و٢١٣. شذرات الذهب ٣/ ٢٤٦. =

فعمل كتاب «دمية القصر وعُصارة أهل العصر»[١] فتبعه أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الحظيري الكتبي فألّف كتابه «زينة الدهر في لطائف شعراء العصر»[٢] فتبع بعده الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الكاتب الأصفهاني، فأنشأ كتابه «خريدة القصر وجريدة العصر»[٣]، ثم كتاب «الملح العصرية» تأليف أبي القاسم علي بن جعفر بن علي السعديّ الصقليّ الأديب / ١٤أ/ النحوي المعروف بابن القطّاع[٤]، وكتاب «الأنموذج في شعراء القيروان» صنّفه

= وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠. آداب اللغة العربية ٢/ ٢٨٤. الأعلام ط١٤/ ٤/ ١٦٤. وقد طبع هذا الكتاب بأربعة مجلدات.

(١) أديب، من الشعراء الكتّاب، من أهل باخرز (من نواحي نيسابور) تعلم بها وبنيسابور، وقام برحلة واسعة في بلاد فارس والعراق، وقُتل في مجلس أنس بباخرز، كان من كتّاب الرسائل، وله علم بالفقه والحديث، واشتهر بكتابه هذا المطبوع تحت عنوان «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وهو ذيل يتيمة الدهر المذكور. توفي سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م.

ترجمته في: شذرات الذهب ٣/ ٣٢٧. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٣ رقم ١٧٤. وفيات الأعيان ١/ ٣٦٠. مفتاح السعادة ١/ ٢١٣. الأعلام ط١٤/ ٤/ ٢٧٣. وقد طبع هذا الكتاب.

(٢) أديب، له شعر عذب، من أهل بغداد، نسبته إلى «حظيرة» من قراها، كان ورّاقاً يبيع الكتب، له تصانيف منها هذا الكتاب، وقد جعله ذيلاً لدمية القصر المذكور توفي سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٠٣. آداب اللغة ٣/ ٢٣. خزانة البغدادي ٣/ ١١٨. الأعلام ط١٤/ ٣/ ٨٦.

(٣) عماد الدين، مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكُتّاب، ولد في أصبهان سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، وقدم بغداد حدثاً، فتأدب وتفقّه، واتصل بالوزير عون الدين ابن هبيرة فولّاه نظر البصرة ثم نظر واسط، ومات الوزير، فضعف أمره ورحل إلى دمشق، فاستخدم عند السلطان نور الدين في ديوان الإنشاء، وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد أيام المستنجد، ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين، فكان معه في مكانة «وكيل وزارة» إذا انقطع «الفاضل» بمصر لمصالح صلاح الدين قام العماد مقامه. ولما توفي صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م. له كتب كثيرة منها هذا الكتاب، وقد طبع محققاً طبعة إقليمية، شعراء العراق، شعراء مصر، شعراء الشام، شعراء المغرب، شعراء فارس. وغيرها.

ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ٥٠٤. طبقات السبكي ٤/ ٩٧. وفيات الأعيان ٢/ ٧٤. الوافي بالوفيات ١/ ١٣٣. مفتاح السعادة ١/ ٢١٤. محمد بهجت الأثري في مجلة المجمع العلمي العراقي ٤/ ١٦ ـ ٣٤، ومقدمته لخريدة القصر/ قسم العراق. الأعلام ط١٤/ ٧/ ٢٦.

(٤) عالم بالأدب واللغة، من أبناء الأغالبة السعديين أصحاب المغرب، ولد في صقلية سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، ولما احتلها الفرنج انتقل إلى مصر، فأقام يُعلّم ولد الأفضل الجمالي، وتوفي بالقاهرة سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م. لم أجد في قائمة مؤلفاته اسم هذا الكتاب، ومما ورد من مؤلفاته: «الدرّة الخطيرة=

أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي المهدوي[(١)]، ثم كتاب «الحديقة» صنعه في شعراء العصر، الحكيم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت المهدوي[(٢)]، ثم كتاب «أسر السرور» تأليف القاضي أبي العلاء محمد بن محمود بن أبي الحسن بن الحسين الغزنوي، في ذكر شعراء أوانه[(٣)]، وكتاب صنعه عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان اليمني في شعراء عصره[(٤)]، وكتاب

= في المختار من شعر شعراء الجزيرة» أي صقلية، و«لمح الملح» جمع فيه طائفة من شعراء الأندلسيين. ولعل الأخير هو المقصود.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩. إنباه الرواة ٢/ ٢٣٦. مرآة الزمان ٨/ ٥٦. وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩. الأعلام ط١٤/ ٤/ ٢٦٩.

(١) أديب، نقّاد، باحث، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في المسيلة (بالمغرب) سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م، وتعلّم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ ومدح ملكها، واشتهر فيها، وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر، إحدى منها، حتى وفاته سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م. له عدة كتب منها هذا الكتاب وعنوانه: «أنموذج الزمان في شعراء القيروان».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٣٣. الحلل السندسية في الأخبار التونسية ٩٩. إنباه الرواة ١/ ٢٩٨. الأعلام ط١٤/ ٢/ ١٩١.

(٢) حكيم، أديب، من أهل «دانية» بالأندلس، ولد فيها سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاماً، سُجن في خلالها، ونفاه الأفضل شاهنشاه منها، فرحل إلى الإسكندرية، ثم انتقل إلى المهدية ـ من أعمال المغرب ـ فاتصل بأميرها يحيى بن تميم الصنهاجي، وابنه علي بن يحيى، فالحسن بن يحيى آخر ملوك الصنهاجيين بها، ومات فيها سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م. له عدة تصانيف منها هذا الكتاب وهو على أسلوب يتيمة الدهر.

ترجمته في: نفح الطيب ١/ ٣٧٧. وفيات الأعيان ١/ ٨٠. الأعلام ط١٤/ ١/ ٢٣.

(٣) لم اهتد لترجمته.

(٤) مؤرخ ثَقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة ٥٣١هـ، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام ـ أمير مكة ـ إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠هـ في وزارة «طلائع بن رزيك» فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم، ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م وعمارة في جملتهم. له عدة تصانيف منها «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» وفيه كثير من أخباره، تحدث بها عن نفسه، وقصائد ومختارات أوردها من شعره ونثره، وقد طبع في مجلدين ضخمين نشرهما المستشرق «هرتويغ درنبُرغ».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٦. صبح الأعشى ٣/ ٥٣٢. آداب اللغة ٣/ ٧٤. السلوك للمقريزي ١/ ٥٣. كشف الظنون ١٧٧٧. الأعلام ط١٤/ ٥/ ٥٣.

«المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر» تأليف ابن بشرون الصقلي[١]، وكتاب «وشاح دُمية القصر» تأليف القاضي الإمام الأديب أبي الحسن علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي[٢]. وإلىٰ غير هؤلاءَ الفضلاء، المبرزين في الآداب النبلاء، ممن لم يقع إلي له تصنيف، ولمَ أعثر له علىٰ جمع وتأليف.

وقد وسمت هذا الكتاب بـ:

«قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان»

أعني بذلك زماني، ومن أدركه من الشعراء عياني.

ثم إنّي أسأل الناظر فيه الصفح عن هفواتي، وأرغب إليه في الستر / ٤ب/ على زلاتي وعثراتي؛ لأنني ألّفته وأنا كليل الناظر، مشدوه الخاطر. قد أخذ مني الفقر بحقّه، وصيّرني أسيراً في قبضته ورقّه. والدهر يُجرّعني كاسات حتوفه، ويصميني بسهام صروفه.

فلا غرو من ذي قلب محزون، وصدر بالأفكار مشحون؛ أن يصفو أو يزل، أو يخطىء أو يضل. وها أنا لم أصحُ من بقايا سكره، ولم أزل غارقاً في تيار بحره؛ لا سيما والشيب قد كتب في فوديَّ سطوراً، وبدّل مسك العذار كافوراً. وإلىٰ الله تعالىٰ ألجأ من تواتر الهموم، وتتابع الأحزان والغموم، ومنه أَستمد المعونة وَحسن التوفيق، بأن يهديني إلىٰ أرشد مذهب وأوضح طريق. إنه سميع مجيب الدعاء، وليّ الإجابة جمّ العطاء، وبه المستعان، وعليه التكلان[٣].

---

(١) وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون الأزدي المهدوي الصقلي: أديب، توفي بعد ٥٦١هـ/ بعد ١١٦٦م. له هذا الكتاب، وقد نقل عنه العماد الأصفهاني في خريدة العصر وقال: «صنّفه سنة ٥٦١هـ».

ترجمته في: خريدة القصر ٢/ ١١٥. كشف الظنون ١٦٢٤. الأعلام ط١٤/ ٤/ ٢٠٨.

(٢) ابن فندق، باحث مؤرخ، ولد في السابزوار (قصبة من نواحي بيهق) سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م، وتفقه وتأدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك، وتنقّل في البلاد، وصنّف ٧٤ كتاباً، منها هذا الكتاب وعنوانه «تتمة دمية القصر». توفي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م.

ترجمته في: معجم الأدباء ٥/ ٢٠٨ ـ ٢١٨. الذريعة ٤/ ١٤٩. محمد كردعلي في مقدمته لكتاب تأريخ حكماء الإسلام. الأعلام ط١٤/ ٤/ ٢٩٠.

(٣) بعدها بياض بالأصل بمقدار ٤ أسطر، تتلوه الصفحة / ٥أ/ بياض أيضاً.

/٥ب/

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة

حرف الهمزة

ذكر من اسمه إبراهيم

[١]

إبراهيمُ بنِ محمد بن حيدرِ بن عليٍّ، أبو إِسحاقَ الموذنيُّ الخوارزميُّ، المدرّس الحنفيُّ(١).

كان أعلم أصحاب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ بالفقه في وقته، جليل القدر، كثير المحفوظ، متقنًا في علوم الإسلام والشريعة. وكان إمامًا في الفقه والفرائض وعلم التفسير والحديث والأصولين والكلام؛ وينضاف إلىٰ ذلك معرفته بالنحو واللغة والأدب، مع أخذه بحاشيتي النظم والنثر. وكان له اعتناء بتصانيف أبي القاسم الزمخشري(٢)، كثير الميل غليها والتحفظ منها، وله ديوانا خطب وأشعار.

كانت ولادتُهُ في شهر ذي الحجة سنة تسع وخمسين وخمسمائة. وكان فقيهًا حنفيًا مدرسًا أديبًا بارعًا مصنِّفًا؛ له من التصانيف كتاب «ديوان الأنبياء»(٣) وكتاب «شرح كليلة ودمنة» بالفارسية، /٦أ/ وكتاب «الوسائل إلىٰ الرسائل» من نثره، وديوان

---

(١) كذا ورد لقبه في الأصل.

ترجمته في: معجم الأدباء ١/ ١٢٨ وفيه: «المؤذن». الوافي بالوفيات ٦/ ١٣٩ وفيه: «المؤذبي». الجواهر المضيئة ١/ ٤٥ وفيه «المؤذني». سلم الوصول ص٣٢. الطبقات السنية رقم ٧٥.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنًا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. له مصنفات كثيرة، لم يشر ابن الشعار إلى الكتب التي كان يعتني بها إبراهيم بن محمد بن حيدر الخوارزمي.

ترجمته في: معجم الأدباء ٧/ ١٤٧. وفيات الأعيان ٢/ ٨١. لسان الميزان ٦/ ٤. نزهة الإلبا ٤٦٩. الجواهر المضية ٢/ ١٦٠. الأعلام ط١٤/ ٧/ ١٧٨.

(٣) في معجم الأدباء «ديوان الإنشاء».

شعره بالعربية، وديوان شعره بالفارسية، وكتاب «الخطب في دعوات ختم القرآن»، سمّاها «يتيمة اليتيم»، وكتاب «الطرفة في التحفة» بالفارسية رسائل، وكتاب «أسايش نامه»[١] في المواعظ بالفارسية، وكتاب «تعريف شواهد التصريف»، وكتاب «أنموذار نامه»[٢] يشتمل علىٰ أبيات غريبة شرحها بالفارسية، وكتاب «كفتار نامه»[٣] منطق، وكتاب «مرتع الوسائل ومربع الرسائل».

أنشدني أبو حامد سليمان بن جبرائيل بن محمد الإربلي بها، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد يمدح النبي -ﷺ لنفسه: [من البسيط]

سَلِيْـلُ عَبْـدِ مَنَـافٍ مَـنْ أَنَـافَ عَلَـىٰ ... هَـامَـاتِ كُفْـرٍ وَسَيْـفُ البَغْـيِ مَسْلُـوْلُ

لَـهُ خَصَـائِـصُ مِـنْ حُكْـمٍ تُبِـرُّ عَلَـىٰ ... خَصَـائِـصِ الـرُّسْـلِ لاَ يَغْتَـالُهَـا غُـوْلُ

وَشُبِّهَـتْ بِـالنُّجُـومِ الـزُّهْـرِ صُحْبَتُـهُ ... فَـالـرُّشْـدُ مِـنْ كُلِّهِـمْ لِلْخَلْـقِ مَـأْمُـوْلُ

فَمِـنْ لُهَـاهُـمْ هِجَـانُ الحَـقِّ فِـي مَـرَحٍ ... وَمِـنْ نُهَـاهُـمْ هَجِيْـنُ الفِسْـقِ مَشْكُـوْلُ

فَعَـنْ مَـوَدَّةِ أَهْـلِ البَيْـتِ خَـالِصَـةً ... رَبْـعُ السَّعَـادَةِ فِـي الـدَّارَيْـنِ مَـأْهُـوْلُ

وُلِّيْـتُ أَعْمَـالَ خَيْـرَاتٍ أَقُـوْمُ بِهَـا ... بِـأَنَّنِـي عَـنْ قَبِيْـلِ الـرَّفْـضِ مَعْـزُوْلُ

/ ٦ب/ أَوْضَحْتُ مُعْتَقَدِي فِي شَأْنِ حُبِّهِمُ ... وَاللهُ فِـي ذَاكَ لِلتَّـوْفِيْـقِ مَسْـؤُوْلُ

فَمَـنْ يُخَـالِفُنِـي فَـالسَّيْـفُ مُخْتَـرَطٌ ... وَمَـنْ يُحَـالِفُنِـي فَـالسَّيْـبُ مَبْـذُوْلُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يمدح الخطيب برهان الدين محمد بن محمود:

[من الطويل]

لِبُرْهَـانِ ديْـنِ المُصْطَفَـىٰ الـدِّيْـنُ أَجْمَـعُ ... وَإِنَّ بَنِـي الـدُّنْيَـا عَلَـىٰ ذَاكَ أَجْمَعُـوا

يُقَصِّـرُ عَـنْ فَضْـوَىٰ مَعَـالِيْـهِ قَيْصَـرٌ ... وَيَتْبَعُـهُ فِـي الأَمْـرِ والنَّهْـيِ تُبَّـعُ

وَبِـالشَّـرْقِ مِـنْ ذِكْـرَىٰ سَجَـايَـاهُ مَحْفَـلٌ ... وَبِـالغَـرْبِ مِـنْ عُلْيَـا عَطَـايَـاهُ مَجْمَـعُ

وَلِلعِلْـمِ فِـي أَحْكَـامِـهِ الـزُّهْـرِ مَعْلَـمٌ ... وَلِلشَّـرْعِ فِـي أَقْـلاَمِـهِ الغُـرِّ مَشْـرَعُ

لَـهُ قَلَـمٌ فِـي سِنِّـهِ مَنْعَـشُ الـوَرَىٰ ... وَلَكِـنْ إِذَا اسْتَشْـرَىٰ العِـدَا فِيْـهِ مَصْـرَعُ

---

(١) بالفارسية وترجمته: «كتاب الطمأنينة» وقد ورد في معجم الأدباء والوافي: «أساس نامة».

(٢) في الأصل: أتموراز نامة» وما صوّبناه من معجم الأدباء والوافي، وهي عبارة فارسية ترجمتها «الكتاب الأنموذج».

(٣) عبارة فارسية، ترجمته «كتاب المنطق».

بِـهِ يَسْتَقِيْمُ العِلْمُ إنْ سَلَّهُ عَلَى ... صَحَائِفِ شَرْعِ اللهِ وَالجَهْلُ يَضْلَعُ
فَفِيْ مَشْقِهِ رَعْدُ السَّمَاحَةِ قَاصِفٌ ... وَمِنْ شَقِّهِ بَرْقُ الفَصَاحَةِ يَلْمَعُ
لَهُ قَصَدَتْ مِنِّي إلَيْهِ قَصِيْدَةٌ ... غَدَا الشِّيْحُ مِنْ أثْنَائِهَا يَتَضَوَّعُ
فَلَوْ قَرَعَتْ سَمْعَ ابْنِ أوْسٍ لَمَا ارْتَضَى ... أمَا أنَّهُ لَوْلا الخَلِيْطُ المُوَدِّعُ

وأنشدني، قال: أنشدني إبراهيم بن محمد يمدح شهاب الدين أبا سعيد عمران الخيوقي: [من الطويل]

/ ٧أ/ عَذِيْرِيَ مِنْ تَرْجِيْلِ صُدْغٍ مُسَلْسَلٍ ... رِجَالُ التُّقَى تَهْفُو لِهَذَا التَسَلْسُلِ
عَذِيْرِيَ مِنْ صُدْغِ الغَدَارِ الَّذِيْ الْتَوَى ... فَالْوَى بِدِيْنِ الزَّاهِدِ المُتَبَتِّلِ
يُرَى فِيْ مَقَامَاتِ المُنَاجَاةِ جَازِعًا ... طُلُوْعًا وَمِنْ حُسْنِ العَزَاءِ بِمَعْزَلِ
بِصَوْبِ دُمُوْعٍ دُوْنَهُ صَوْبُ مُزْنَةٍ ... وَغَلْيِ فُؤَادٍ دُوْنَهُ غَلْيُ مِرْجَلِ
فَيَا حَبَّةَ القَلْبِ اصْبِرِيْ صَبْرَ مُبْتَلًى ... بِغَيْرِ هَوًى فَالحُبُّ لِلْصَّبِّ مُبْتَلِي
وَمَا مُغْزِلٌ فَرَّتْ لِغَدْرٍ وَغَادَرَتْ ... طَلاهَا نَحِيْفًا فِيْ نَحَافَةِ مِغْزَلِ
وَقَدْ عُوْلِبَتْ بِالكُرْهِ عَنْ سَكَنَاتِهَا ... بَهِيْرًا وَتَشْكُو صَيْدَ شَاكٍ وَأعْزَلِ
وَطَارَتْ شَعَاعًا نَفْسُهَا إذْ تَنَادَحَتْ ... شُعَاعُ سُيُوْفٍ دَاسَهَا يَدُ صَيْقَلِ
وَأثَّرَ فِيْهَا ذُعْرُ جُنْدٍ مُكَبِّرٍ ... كَمَا نَالَ مِنْهَا خَوْفُ جَيْشٍ مُهَلِّلِ
شَرَايِيْنُ جَرْحَاهُمْ مَوَارِدُ قَثْعَمٍ ... وَأشْلاءُ قَتْلاهُمْ مَوَائِدُ جَيْألِ[(١)]
فَمِنْ سُمْرِهِمْ نَاصَتْ لِطَعْنٍ مُعَجَّلٍ ... وَمِنْ بِيْضِهِمْ بَاضَتْ لِقَتْلٍ مُؤَجَّلِ[(٢)]
بِأكْثَرَ مِنِّي لَوْعَةً يَوْمَ آذَنَتْ ... بِرَحْلٍ جَدِيْلِيٍّ شَبِيْهٍ بِأجْدَلِ[(٣)]

ومن مديحها:

بِمَدْحِ شِهَابِ الدِّيْنِ أرْجُمُ خَصْمَهُ ... كَرِيْمِ بَنِي الدُّنْيَا المُرَجَّى لِمُعْضِلِ
خَوَاطِرُهُ مَالَتْ تَحُلُّ عَوِيْصَةً ... وَآرَاؤُهُ آلَتْ إلَى حَلِّ مُشْكِلِ
/ ٧ب/ عَدِيْمِ نَظِيْرٍ فِيْ المُنَاظَرَةِ الَّتِيْ ... لِفُرْسَانِ فِقْهٍ صَعْبُهَا لَمْ يُذَلَّلِ

---

(١) جيأل: ضبع.
(٢) ناصت: فرّت، باضت: هربت.
(٣) جديل: فحل للنعمان بن المنذر.

وَإنْ أقْفَـلَ الأشْكَـالُ بَـابَ دَقَـائـقٍ بفِطْنَتِـهِ ألفيْنَـا مفْتَـاحُ مُقْفَـلِ
خَبِيْـرٌ بَصِيْـرٌ عِنْـدَ كُـلِّ مُبَـاحَـثٍ بِـإجْمَـالِ تَفْصِيْـلٍ وَتَفْصِيْـلِ مُجْمَـلِ
حَـوَىٰ قَصَبَـاتِ السَّبْـقِ بِـالعِلْـمِ وَاحْتَـوَىٰ عَلَـىٰ آخَـرٍ بِـالمَكْـرُمَـاتِ وَأَوَّلِ
أتَتْـكَ ابْـنَ عُمْـرَانَ قَصِيْـدَتُـكَ الَّتِـيْ قَصَـدْتُ بِهَـا أشْعَـارَ قَيْـسٍ وَجَـرْوَلِ
فَلَوْ قَرَعَتْ سَمْعَ امْرِىءِ القَيْسِ لَمْ يَقُلْ (قِفَـا نَبْـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَبِيْـبٍ وَمَنْزِلِ)[١]

وكتب إلى بعض الأكابر: [من البسيط]

يَـا بَـدْرَ دِيْـنِ إلَـهِ الخَلْـقِ نَفْسِـي مِـنْ حِـرْمَـانِ خِـدْمَتِكُـمْ مَـاتَـتْ فَمُـرْتَعِـشُ
مِـنْ رَحْمَتِـيْ أغْتَـدِيْ حَيْـرَانَ مُـرْتَعِشًـا كَـأنَّنِـي زِئْبَـقٌ فِـيْ كَـفِّ مُـرْتَعِـشِ

[٢]

إبراهيمُ بنُ عمرَ بن محمد بن إبراهيمَ، أبو إسحاق الحانيُّ العطّار، المعروف بابن رقيقةَ.

وهو من حِيْني مدينة من آخر ديار بكر من ثغر الروم[٢].

كان هذا الرجل عطاراً، وله حانوت بمدينة حيني يتعيش في العطر. وكان صاحب ثراء. وكان عَزَبًا لم يتزوج قطّ.

شاعر متقّن، ومترسّل محسن، له أشعار مجموعة، ورسائل مدونة، وخطب مستجادة. حسن المعرفة بالأدب واللغة، /٨أ/ له مدائح في الملوك [من] بني أيوب وغيرهم من الأمراء والأشراف.

وهو رجل صالح المروءة، عزيز النفس، سخيُّ الكفِّ، كثير التواضع، [حرّ الطبع، لا يرد سائلاً ولا يحرم وافداً يقصده، علىٰ سيرة لم يكن عليها أحد من أبناء زمانه الأسخياء من شرف النفس، وكمال المروءة، وسَعة الصدر، والانقباض عن الأكابر والرؤساء؛ فإنه كان يرىٰ في نفسه أنه أجل منهم قدراً، وأجل رتبة وفضلاً، ولم يعش..... الذين كانوا يخالطونه؛ لأن نفسه كانت تترفع عن أن يمدح للاستجداء

(١) صدر بيت من قصيدته اللامية المشهورة، وتمامه: «بسقط اللوى بين الدخول فحومل».
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٣٣، مادة (حيني).

والاسترفاد علىٰ عادة الشعراء الذين همّهم الدنيا وحطامها.

ومدح الملك الأشرف؛ فلما أُنشدت القصيدة بين يديه استحسنها وسيَّر له خلعة سنية، ودنانير لها قيمة؛ فلما وصلت إليه لم يتناولها وردّها عليه، وأنفذ معها طبقًا مملوءاً من السكر واللوز وما يصلح أن يهدىٰ إلى الملوك. . . . . .][1] ترفعه نفسه أنْ يسترفد بالشعر، لا يقبل عليه ثوابًا، ولم يكن من طلاَّب الرفد، يرىٰ ذلك من العار والنقص. [وكان مع ذلك قد قرأ أدبًا ونحواً ولغة فيما قرأ، وقال شعراً نادراً، ودونه وكتبه بخطه، يدخل في مجلد، وأنشأ رسائل وجمعها في مجلد. ورأيت كلا الديوانين بالموصل، وهما بخط يده. ونقلت من ديوان أشعاره جملة كافية يعربان عن بلاغة وبيان. . . . .][2].

وكان الناس يقبلون عليه، ويميلون إليه لما كان عليه من السماحة والفضل. ولم يزل بحسن حال ونعمة حتىٰ نفد ما كان بيده . . . . فتوجه نحو ميافارقين، فأقام بها إلىٰ أن مات سنة تسع وثلاثين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أنشدني أبو علي الحسن بن حمزة بن حمدون الموصلي، قال: أنشدني إبراهيم ابن عمر لنفسه: [من الطويل]

وَمُعْتَـدِلٍ عَـنْ مَنْهَـجِ العَـدْلِ عَـادِلٍ ... مِـنَ التُّـرْكِ مُغْـرًى بِـالتَّجَنُّـبِ وَالتَّـرْكِ
تَلُـوحُ أَيَـاةُ الشَّمْـسِ فِـيْ صَحْـنِ خَـدِّهِ ... وَتَظْهَـرُ فِـيْ أَجْفَـانِـهِ آيَـةُ الفَتْـكِ
إِذَا رُمْـتَ صَـوْنَ الحُـبِّ صَـالَ بِهَجْـرِهِ ... عَلَـيَّ فَكَـانَ الصَّـوْلُ دَاعِيَـةَ الهَتْـكِ
يَصُـدُّ فَيَشْكِيْنِـيْ دَلاَلاً وَكُلَّمَـا ... شَكَـوْتُ إِلَيْـهِ فَـرْطَ حُبِّيْـهِ لاَ يُشْكِـيْ
جَفَـانِـيْ فَمَـا دَمْعِـيْ بَكِـيٌّ وَلاَ الكَـرَىٰ ... يُلِـمُّ بِعَيْنِـيْ فَهْـيَ سَـاهِـرَةٌ تَبْكِـيْ[3]
فَكَـمْ مُنْيَـةٍ لِـيْ مِنْـهُ عَـادَتْ مَنِيَّـةً ... وَوَعْـدٍ بِـوَصْـلٍ شِيْـبَ بِـالْمَيْـنِ وَالإِفْـكِ
وَلَمَّـا حَـوَىٰ رِقِّـيْ هَـوَاهُ أَبَحْتُـهُ ... دَمِـيْ فَنَحَـاهُ بِـالإِرَاقَـةِ وَالسَّفْـكِ
وَمَـا خِلْـتُ مُـذْ أُلْقِيْـتُ فِـيْ هُـوَّةِ الهَـوَىٰ ... بِـأَنَّ الهَـوَىٰ يُفْضِـيْ بِقَلْبِـيْ إِلَـىٰ الهُلْـكِ

(١) ما بين المعقوفتين من الهامش، بعضه مطموس وغير واضح.
(٢) ما بين المعقوفتين من الهامش، بعضه مطموس وغير واضح.
(٣) بكي: عين بكي، قليلة الدمع.

بِــرُوحِــي كَثِيــرُ الغَــدْرِ وَالظُّلْــمِ مُتْبِــعٌ قَلِيــلُ الــوَفَــا مُــرُّ القَطِيْعَــةِ وَالمَحْــك

/ ٨ب/ بَخِيْــلٌ بِــرِيْــقِ الثَّغْــرِ لَــمْ يَنْــوِ رِقَّــةً لِنَــاحِــلِ جِسْــمٍ مُشْبِــهٍ دِقَّــةَ السِّلْــك

أَأَرْجُــو فِكَــاكًــا مِــنْ هَــوَاهُ وَإِنَّنِــي أَسِيــرٌ لَــهُ فِــي رِبْقَــةِ الــرِّقِّ وَالمِلْــك

أَحَــلَّ بِقَلْبِــي لَــوْعَــةً سِحْــرُ طَــرْفِــهِ فَــوَاحَــرَبَا مِــنْ سِحْــرِ نَــاظِــرِهِ التُّــرْكِــي

إِذَا مَــا أَنْثَنَــى كَــالغُصْــنِ عَــوَّذْتُ قَــدَّهُ بِحَــامِيــمَ وَالأَحْــزَابِ وَالنَّجْــمِ وَالمُلْــك

دَعَــا حُسْنُــهُ أَهْــلَ الضَّــلاَلِ إِلَــى الهُــدَى فَــأَنْقَــذَ أَهْــلَ الشِّــرْكِ مِــنْ شَــرَكِ الشِّــرْكِ

وله من قصيدة وأنشدنيها الشيخ الأجل تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن عمر القرشي العثماني الفارقي المقرىء الفقيه ـ أسعده الله تعالى ـ بمحروسة حلب عن قائلها : [من الكامل]

مَــا لاَحَ بَــارِقُ بَــارِقٍ مُتَــأَلِّقَــا إِلاَّ تَــذَكَّــرْتُ الحِمَــى وَالأَبْــرَقَــا

وَسَفَحْــتُ سُحْــبَ مَــدَامِعِــي أَسَفًــا عَلَــى شَمْــلٍ لَنَــا بِــالسَّفْــحِ عَــادَ مُفَــرَّقَــا

يَــا سَــاكِنِــي أَرْضِ الحِجَــازِ حَجَــرْتُــمُ طِيْــبَ الكَــرَى عَنِّــي فَبِــتُّ مُــؤَرَّقَــا

وَهَــوَاكُــمُ مَــا غَــارَ مَــدْمَــعُ مُقْلَتِــي مُــذْ غَــارَ حَــادِي عِيْسِكُــمْ يَــوْمَ النَّقَــا

طَلَعَــتْ طَــلاَئِــعُ بَيْنِكُــمْ بِطُــوَيْلَــعٍ وَجَــزِعْــتُ إِذْ بِــالجَــزْعِ عَــزَّ المُلْتَقَــى

تَعِــسَ الفِــرَاقُ فَكَــمْ أَرَاقَ لَنَــا دَمًــا فَــرَقًــا وَكَــمْ مِــنْ نَــاظِــرٍ قَــدْ أَرَّقَــا

/ ٩أ/ كَــمْ خَــانَ مُغْتَــرِبًــا وَشَيَّــبَ مَفْــرِقًــا لِلْعَــاشِقِيْــنَ وَلَــمْ فَــرِيْــقٍ فَــرَّقَــا

وَلَقَــدْ سَــأَلْــتُ فَمَــا حَنَــا بِــالمُنْحَنَــى حَــادِي الــرَّكَــائِــبِ حِيْــنَ سَــاقَ الأَيْنُقَــا

الــلِّــوَى فَلَيْــتَ لِــوَى عَلَــى ذِي لَــوْعَــةٍ مُتَشَــوِّقٍ أَوْدَتْ بِــهِ أَيْــدِي الشَّقَــا

عَجَبِــي لِصَــبٍّ أَوْثَقَتْــهُ صَبَــابَــةٌ يَــوْمَ التَّفَــرُّقِ كَيْــفَ يَطْمَــعُ فِــي البَقَــا

أَمْ كَيْــفَ يَفْــرَحُ فِــي اللِّقَــاءِ مُتَيَّــمٌ كَلِــفَ الفِــرَاقُ بِــهِ فَغَــادَرَهُ لَقَــى

أَبَــدًا لِــذِكْــرِ الهَجْــرِ يَخْفِــقُ قَلْبُــهُ وَلَطَــالَمَــا رَامَ الــوِصَــالَ فَــأَخْفَقَــا

أَمْسَــى لِنَــوْمِ جُفُــوْنِــهِ وَدُمُــوْعِــهِ(١) بَعْــدَ الأَحِبَّــةِ مُطْلِقًــا وَمُطَلِّقَــا

وقال من أخرى : [من البسيط]

لَــهُ عَلَــى كَلَفِــي فِــي الحُــبِّ أَعْــوَانُ عَيْــنٌ وَقَــدٌّ كَخُــوطِ البَــانِ فَتَّــانُ

(١) في هامش الأصل : «قلت، لو قال : (أمسى لدمع جفونه ولنومه) كان أحسن».

وَمَبْسَمٌ رِيقُهُ السَّنُّوتُ خَامَرَهُ ... خَمْرٌ وَطَرْفٌ كَحِيلُ الجَفْنِ وَسْنَانُ(١)

يَا لَلْخَلاَئِقِ مَنْ يَعْدُوْ عَلَى رَشَإٍ ... إِخْلاَفُهُ مَوْعِدِيْ ظُلْمٌ وَعُدْوَانُ

مُحَرَّمٌ وَصْلُهُ تِيهاً عَلَى دَنِفٍ ... نَصِيبُهُ مِنْهُ إِخْفَاقٌ وَحِرْمَانُ

يُرْدِي المُتَيَّمَ مِنْهُ حِينَ يُعْوِزُهُ ... عُذْرٌ لَهُ فِي الهَوَى صَدٌّ وَهِجْرَانُ

كَمْ رُمْتُ صَبْراً فَلَمْ أَمْلِكْهُ قَدْ فَتَنَتْ ... عَقْلِيْ مِنَ الرِّيْمِ أَحْدَاقٌ وَأَجْفَانُ

فُتُورُ أَلْحَاظِهِ المَرْضَى أَحَلَّ دَمِي ... وَحَلَّ فِي القَلْبِ مِنْ جَفْنَيْهِ أَحْزَانُ

/٩ب/ إِنِّي لَأَرْتَاحُ فِي تَقْبِيلِ عَارِضِهِ ... إِذَا بَدَا فَوْقَ صَحْنِ الخَدِّ رَيْحَانُ

لَوْ كُنْتُ ذَا نُهْيَةٍ تُنْهِي إِلَى وَرَعِي ... وَرَاعَ رَوْعٌ لَبَارَى الخَلْقَ عِصْيَانُ

لَمَا نَظَمْتُ سِوَى شِعْرٍ أَظَلُّ بِهِ ... مُقَرِّظاً مَلِكاً مَدْحِيْهِ إِيْمَانُ

أَنْدَى مُلُوكِ الوَرَى كَفّاً وَأَسْمَحُهُمْ ... سَمْحاً وَأَعْرَفُهُمْ بِالعُرْفِ مُذْ كَانُوا

وله من أخرى: [من الكامل]

لَوْ كَانَ حُسْنُ الصَّبْرِ مِنْ أَعْوَانِي ... مَا زَادَنِي قَلَقاً جُنُونُ جَنَانِي

هَيْهَاتَ لَمْ يُطِقِ التَّصَبُّرَ عَاشِقٌ ... صَالَتْ عَلَيْهِ صَوَارِمُ الأَجْفَانِ

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الجَبِيْنِ يُزِيْنُهَا ... قَدٌّ يُقِيْمُ قِيَامَةَ الإِنْسَانِ

حَوْرَاءَ حِرْتُ بِحُسْنِهَا وَصُدُودِهَا ... مِنْ فَتْكِهَا فِي القَلْبِ حَدُّ سِنَانِ

وَإِذَا تَبَدَّى وَجْهُهَا بَانَتْ لَنَا ... شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى غُصُونِ البَانِ

أَشَبِيهَةَ المُرَّانِ لِيْنَ مَعَاطِفٍ ... عِطْفاً فَهَجْرُكِ وَالجَفَا مُرَّانِ

أَسْرَفْتِ فِيْ ظُلْمِ المُحِبِّ فَأَحْسِنِيْ ... وَدَوَامُ هَذَا الحُسْنِ بِالإِحْسَانِ

وَلَئِنْ عَنَوْتُ إِلَى سِوَاكِ فَلاَ شُفِيْ ... مِمَّا يُعَانِيْ فِيْكِ قَلْبِيَ العَانِي

وقال: [من الكامل]

وَمُدَلَّلٍ أَضْحَتْ دَلاَئِلُ حُسْنِهِ ... كَالشَّمْسِ وَاضِحَةً لِعَيْنِ النَّاظِرِ

/١٠أ/ يَسْبِي القُلُوبَ بِنَاظِرٍ أَجْفَانُهُ ... مَكْحُولَةٌ سِحْراً وَوَجْهٍ نَاضِرِ

يَنْهَى وَيَنْهَرُ سَائِلِيهِ تَجَبُّراً ... وَمِنَ البَلاَءِ سُؤَالُ نَاهٍ نَاهِرِ

(١) السنوت: العسل، الكمون.

لَـمْ يَـرْعَ عَهْـدَ مُتَيَّـمٍ فِـيْ حُبِّـهِ ... ذِي مَـدْمَـعٍ كَـالعَهْـدِ هَـامٍ هَـامِـرِ (١)

وقال أيضًا وأوائلها أحرف يوسف: [من الكامل]

يَـا مَـنْ تَفَـرَّدَ بِـالجَمَـالِ فَمَـالَـهُ ... فِـيْ العَـالَمِيْـنَ مُشَـاكِـلٌ وَمُمَـاثِـلُ

وَأَطَـالَ مُـدَّةَ شَقْـوَتِـي بِـدَلاَلِـهِ ... فَلَـهُ عَلَـيَّ شَـوَاهِـدٌ وَدَلاَئِـلُ

سَهَـرِيْ بِصِـدْقِ مَـوَدَّتِـيْ لَـكَ شَـاهِـدٌ ... وَلِطُـوْلِ حُـزْنٍ فِـيْ هَـوَاكَ مَخَـايِـلُ

فَتَنَـتْ شَمَـائِلُـكَ الـوَرَىٰ فَـاسْتَعْبَـدَتْ ... مِنْهَـا النُّفُـوسَ بِـأَسْـرِهِـنَّ شَمَـائِـلُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

رَامَ التَّكَبُّـرَ فِـيْ الهَـوَىٰ فَتَـرَكْتُـهُ ... وَسَئِمْتُـهُ وَمَلَكْتُـهُ وَهَجَـرْتُـهُ

وَجَحَـدْتُـهُ حَتَّـىٰ كَـأَنِّـي لَـمْ أَكُـنْ ... يَـوْمًـا مِـنَ الأَيَّـامِ قَـطُّ عَـرَفْتُـهُ

لَمَّـا أَصَـرَّ عَلَـىٰ قَبِيْـحِ فِعَـالِـهِ ... وَأَذَاعَ سِـرًّا صُنْتُـهُ وَكَتَمْتُـهُ

نَـادَيْـتُ حُسْـنَ الصَّبْـرِ عَـنْ فِـرَاغٍ لَـهُ ... فَـأَجَـابَ حِيْـنَ أَجَبْتُـهُ فَمَلَلْتُـهُ

وَاللهِ لَـوْ أَوْدَىٰ الهَـوَىٰ بِحُشَـاشَتِـي ... وَعَـدِمْـتُ فِيْـهِ تَجَلُّـدِي وَفَقَـدْتُـهُ

/١٠ب/ مَـا بِعْـتُ عِـزِّيَ بِـالهَـوَانِ لَـهُ وَلاَ ... هَـوَّنْـتُ صَعْـبَ الضَّيْـمِ فِيْـهِ وَرُمْتُـهُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

دَعَتْنِـي إِلَـىٰ التَّـرْحَـالِ عَنْكُـمْ ضَـرُوْرَةٌ ... وَفَـارَقْتُكُـمْ رُغْمًـا بِقَلْـبٍ مُفَجَّـعِ

وَلَـوْ سَمَحَـتْ عَيْنِـي بِـدَمْـعٍ تُفِيْضُـهُ ... لأَرْوَيْتُ تِلْكَ التُّرْبَ مِـنْ فَيْضِ أَدْمُعِي

وقال: [من الطويل]

إِذَا صَـاحِـبٌ أَوْدَعْتُـهُ السِّـرَّ فِـي الـرِّضَـا ... وَلَـمْ يُفْشِـهِ لِلنَّـاسِ فِـيْ حَـالَـةِ السُّخْـطِ

فَـذَاكَ الَّـذِي لاَ يَنْبَغِـيْ لَـكَ أَنْ تُـرَىٰ ... لَـهُ هَـاجِـرًا فِـيْ حَـالَـةِ القُـرْبِ وَالشَّحْـطِ

وقال: [من البسيط]

يَـا أَكْـرَمَ النَّـاسِ إِنْسَـانًـا وَخَيْـرَ فَتًـى ... أَضْحَـى لِعَيْـنِ العُـلاَ وَالْمَجْـدِ إِنْسَـانَـا

أَهْدَيْتَ لِيْ الرُّشْدَ مُذْ أَهْدَيْتَ لِيْ كَرَمًا ... صَحِيْفَـةً ضُمِّنَـتْ حُسْنًـا وَإِحْسَـانَـا

وقال: [من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «قلت: العهد لغة في العهاد، وهو المطر».

يَقُولُونَ لَمْ لا تَشْرَبُ الرَّاحَ إنَّهَا ... تُرِيحُ مِنَ الحُزْنِ المُبَرِّحِ وَالهَمِّ
فَقُلْتُ: ذَرُوا هَجْرَ الكَلامِ فَإنَّنِي ... تَجَنَّبْتُ شُرْبَ الإثْمِ خَوْفًا مِنَ الإثْمِ(١)

وله فيما يكتب على قوس: [من الطويل]

عَنَتْ لِيْ رِمَاحُ الخَطِّ فِيْ كُلِّ مَأقطٍ ... وَفَازَ بِيُمْنِ النَّصْرِ وَالسَّعْدِ حَامِلِيْ(٢)
/ ١١أ/ فَلَمْ يُخْطِ سَهْمِيْ حِيْنَ يَرْمِيْهِ بَاسِلٌ ... مُقَاتِلَ قِيْلٍ فِيْ الحُرُوْبِ مُقَاتِلِ

وله في ماردين: [من الكامل]

يَا مَارِدِيْنَ بَقِيْتِ مُوْنِقَةَ الرُّبَى ... وَسَقَى رُبُوْعَكِ صَيِّبُ الأنْوَاءِ
كَمْ فِيْكِ مِنْ سَاجِيْ اللَّوَاحِظِ قَدُّهُ ... يَحْكِيْ اعْتِدَالَ الصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ

وقال: [من السريع]

يَا قَلْبُ قَدْ أضْنَاكَ فَرْطُ الجَوَى ... إنَّ الجَوَى يُمْرِضُ أهْلَ الهَوَى
هَذَا وَمَنْ تَعْشَقُهُ حَاضِرٌ ... فَكَيْفَ إنْ أقْصَتْهُ أيْدِي النَّوَى

وقال: [من السريع]

يَا ظَالِمًا فِيْ ظُلْمِهِ ... سُخْطُكَ دَانِيْ وَرِضَاكَ الدَّوَا
لا مُتَّ أوْ تَعْشَقَ حَتَّى أرَى ... جِسْمَكَ فِيْ السُّقْمِ وَجِسْمِيْ سَوَا

وقال أيضًا: [من الطويل]

إلَى مَ أُرَضِّيْهِ وَشِيْمَتُهُ السُّخْطُ ... وَأُصْغِي لَهُ وُدِّيْ فَيَجْفُو وَيَشْتَطُّ
وَحَتَّى مَ يَسْطُو تَائِهًا بِدَلالِهِ ... عَلَيَّ وَيُذْكِي لَوْعَتِيْ كُلَّمَا يَسْطُوْ
غَرِيْبُ المَعَانِيْ فَلَّ غَرْزَ تَصَبُّرِيْ ... كَثِيْرُ التَّجَنِّيْ دَأْبُهُ الجَوْرُ وَالسُّخْطُ
يَزِيْدُ جَوَى مِسْكِيْنِهِ كُلَّمَا بَدَا ... لِنَاظِرِهِ مِنْ دُرِّ مَبْسِمِهِ سِمْطُ
/ ١١ب/ هُوَ البَدْرُ فِيْ مِرْطِ المَلاحَةِ طَالِعٌ ... فَوَاهًا لَهُ بَدْرًا مَطَالِعُهُ المِرْطُ
يُبَلْبِلُ بَالِيْ كُلَّمَا مَاسَ مُعْجَبًا ... مُحَيَّاهُ وَالصُّدْغُ المُبَلْبَلُ وَالقُرْطُ
يَضِنُّ وَلَمْ يَسْمَحْ بِظَلْمٍ كَأنَّهُ ... لِرَاشِفِهِ فِيْ لَذَّةِ الطَّعْمِ إسْفَنْطُ(٣)

---

(١) الإثم الأولى: الخمرة.
(٢) المأقط: ساحة الحرب.
(٣) الظّلم: العسل، الإسفنط: المطيَّب من عصير العنب خاصة.

أرقُّ لَـهُ بـالـرِّقِّ طَـوْعـاً فَلَيْتَـهُ ... يَـرِقُّ لصَـبٍّ لَـمْ يَـرُمْ سَلْـوَةً قَـطُّ
أَكُـلُّ مَليْـحٍ قَـدْ حَـوَىٰ الحُسْـنَ هَكَـذَا ... يَجُـوْرُ فَـلاَ عَـدْلٌ لَـديْـهِ وَلاَ قِسْـطُ
حُـرِمْـتُ الْمُنَـىٰ مِـنْ عِطْفِـهِ وَحُنُـوِّهِ ... فَـوَا حَـرَبـا إذْ لَيْـسَ لـيَ فيْهِمَـا قِسْـطُ
تَـرَىٰ حُسْنَـهُ أَعْطَـاهُ بـِالظُّلْـمِ قِطَّـهُ ... فَـأَصْبَـحَ فَعَّـالاً لمَـا ضَمِـنَ القَـطُّ
وَحَسْبُـكَ مِنْـهُ كُلَّمَـا جَـارَ وَاعْتَـدَى ... يُحَـبُّ وَلَـمْ يُبْخَـسْ لَـهُ مِـنْ هَـوًى قَـطُّ
إذَا هَــزَّ خَطِّــيَ القَــوَامِ تَثَنِّيــاً ... فَـلاَ عَجَـبٌ وَاللهِ أَنْ يَنجَـحَ الخَـطُّ

وله فيما يكتب علىٰ سرج: [من الطويل]

عَلَـوْتُ مَطَـا الجُـرْدِ العتَـاقِ فَلَـمْ يَكُـنْ ... لأَرْبَـابِهَـا عَنِّـي غَنًـى آخِـرَ الـدَّهْـرِ[1]
إذَا مَـا عَـلاَنِـي بُهْمَـةٌ وَأَقَلَّنِـي ... جَـوَاداً فَـإنِّـي حُـزْتُ فَخْـراً عَلَـىٰ فَخْـرِ[2]

وله يمدح: [من الخفيف]

أَرْيَحِـيٌّ مِـنْ آلِ أَيُّـوبَ يُغْضِـي ... كَـرَمـاً عَـنْ ذَوِي الـذُّنُـوبِ العِظَـامِ
أَذْعَـنَ النَّصْـرُ وَالفَـلاَحُ بِفَتْحِـي ... لمَلِيْـكٍ طَلْـقِ المُحَيَّـا هُمَـامِ

/ ١٢أ/ وقال يمدح: [من الخفيف]

أيُّهَـا المَـاجِـدُ الجَـوادُ صَـلاَحَ الـدِّيْـنِ نَجْـلَ الأَكَـابِـرِ الكُـرَمَـاءِ
إنْ طَـرَا المَنْـعُ عَـنْ لقَـاكَ فَـإِنِّـي ... كُـلَّ يَـوْمٍ مُجَـدِّدُ الإطْـرَاءِ
أَوْ عَـدَتْنـي عَلَـىٰ خَـلاَئقـكَ الغُـرِّ ... عَـوَادِي دَهْـرٍ كَثِيْـرِ العِـدَاءِ
فَثَنَـائـيْ عَلَـىٰ خَـلاَئقـكَ الغُـرِّ خَلِيْـقٌ بِصِـدْقِ دَعْـوَى الصَّفَـاءِ
وَيَـدُ العَـوْقِ إنْ لَـوَتْ وَجْـهَ غِشْيَـانِـيْ فَلَـمْ تَلْـوِ عَنْـكَ وَجْـهَ وِلاَئِـيْ

وله: [من الوافر]

أَقَـامُـوْهُ لِيَـرْقُـصَ فِـيْ نَـدِيٍّ ... فَصَـارَ لحُبِّـهِ فِـيْ القَلْـبِ وَقْـصُ
غَـزَالٌ كُلَّمَـا يَـزْدَادُ حُسْنـاً ... بَـدَا فِـيْ صَبْـرِ مَـنْ يَهْـوَاهُ نَقْـصُ

---

(١) في هامش الأصل: «لعله أقرّ».
(٢) بهمة: شجاع.

[٣]

إبراهيمُ بن نصر بن عسكر بن نصر بنِ عسكر بن نصر بن عَسكر، أبو إسحاقَ الخطيبُ، قاضي السَّلَّامية[(١)].

وهي قرية مشهورة من قرىٰ الموصل شرقيها وهي عنها بخمسة فراسخ[(٢)]. وكان أبو إسحاق يتولّىٰ بها.

/١٢ب/ ولد بالسندية، وتفقه ببغداد وسمع بها الحديث من الوزير عون الدين أبي المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة. وأصعد إلىٰ الموصل وسمع بها القاضي تاج الإسلام أبا عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الخميسي الموصلي وغيره.

وكان خيراً دينًا فقيهًا شافعي المذهب. تولّىٰ قضاء السَّلَّامية وخطابتها. وتوفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر سنة عشر وستمائة.

أنشدني الصاحب شرف الدين أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ قال: أنشدني أبو إسحاق لنفسه: [من السريع]

يَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَىٰ عَلَىٰ نَأْيِهِ ... كَيْفَ تَهَدَّيْتَ إِلَىٰ مَضْجَعِيْ
ظَلَلْتَ لاَ تَبْعَثُ طَيْفَ اللِّوَىٰ ... إِلاَّ لِخَدْعِ المُقَلِ الهُجَّعِ
وَلَسْتُ بِالنَّائِمِ لَكِنَّنِيْ ... غَرِقْتُ فِيْ الفِكْرِ فَلاَ تُخْدَعِ
يَا حَسَنَ التَّمْوِيْهِ فِيْ نَاظِرِيْ ... وَيَا شَهِيَّ الزُّوْرِ فِيْ مَسْمَعِيْ
بَيِّنْ لِمَوْلاَكَ إِذَا جِئْتَهُ ... لَعَلَّهُ يَرْتَاحُ لِلْمُوْجَعِ
مَا لاَحَ مَلْثُوْمُكَ مِنْ زَفْرَتِيْ ... وَبَلَّ مَضْمُوْمُكَ مِنْ أَدْمُعِيْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «ظهير الدين».
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧ ـ ٣٨. الوافي بالوفيات ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥.
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٧ ـ ٨.
ترجم المؤلف لولده (يوسف بن إبراهيم بن نصر) في الجزء العاشر برقم ٩٦١.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢٤.

/ ١٣أ/ إذَا أنَـا أحْبَبْتُ الَّـذِيْ هُـوَ مُبْغضِـي ... وَصَـافَيْتُـهُ إنِّـي إذاً لَلَئِيْـمُ
وَإنْ أنَـا لَـمْ أُعْـرِضْ كَمَـا هُـوَ مُعْـرِضٌ ... فَمَـا أنَـا إنْ عُـدَّ الكِـرَامُ كَـرِيْـمُ
إذَا خَـانَ مَـنْ أهْـوَىٰ فَكَيْـفَ أفِـيْ لَـهُ ... وَإنْ حَـالَ عَـنْ عَهْـدِيْ فَكَيْـفَ أُقِيْـمُ
وَأُكْبِـرُ نَفْسِـي أنْ تَـذِلَّ عَلَـىٰ الهَـوَىٰ ... وَتَغْـدُوْ عَلَـىٰ مَـا لَا تَنَـالُ تَحُـوْمُ

وأنشدني، قال: أنشدني القاضي لنفسه[١]: [من السريع]

لَا تَنْسُبُـوْنِـي يَـا ثِقَـاتِـيْ إلَـىٰ ... غَـدْرٍ فَلَيْـسَ الغَـدْرُ مِـنْ شِيْمَتِـي
أقْسَمْـتُ بِـالـذَّاهِـبِ مِـنْ عَيْشِنَـا ... وَبِـالمَسَـرَّاتِ الَّتِـيْ وَلَّـتِ
أنِّـي عَلَـىٰ عَهْـدِكُـمُ لَـمْ أحُـلْ ... وَعُقْـدَةُ المِيْثَـاقِ مَـا حُلَّـتِ

وأنشدني يوسفُ بن صنو بن عليّ الإربليُّ، قال: أنشدني أبو إسحاق لنفسه في ذمّ الصوفية[٢]: [من المتقارب]

ألَا قُـلْ لِمَكِّـيٍّ مَقَـالَ النَّصُـوْحِ ... وَحَـقُّ النَّصِيْحَـةِ أنْ تُسْتَمَـعْ
مَتَـىٰ سَمِـعَ النَّـاسُ فِـيْ دِيْنِهِـمْ ... بِـأنَّ الغِنَـا سُنَّـةٌ تُتَّبَـعْ
وَأنْ يَـأْكُـلَ المَـرْءُ أكْـلَ البَعِيْـرِ ... وَيَـرْقُـصَ فِـيْ الجَمْـعِ حَتَّـىٰ يَقَـعْ
فَلَـوْ كَـانَ طَـاوِيْ الحَشَـا جَـائِعـاً ... لَمَـا دَارَ مِـنْ طَـرَبٍ وَاسْتَمَـعْ
/ ١٣ب/ وَقَـالُـوا: سَكِـرْنَـا بِحُـبِّ الإلَـهِ ... وَمَـا أسْكَـرَ القَـوْمَ إلَّا القِصَـعْ
كَـذَاكَ الحَمِيْـرُ إذَا أخْصَبَـتْ ... يُنَقِّـزُهَـا رِيُّهَـا وَالشِّبَـعْ

وقال أيضًا فيهم: [من المنسرح]

شَـرُّ الـوَرَىٰ يَـا أخِـيْ وَأحْمَقُهُـمْ ... تَـرَاهُ إنْ كُنْـتَ عَـاقِـلاً فَطِنَـا
مَـنْ يَـدَّعِـيْ الـزُّهْـدَ وَالصَّـلَاحَ وَقَـدْ ... خَـالَـفَ فِـيْ أمْـرِ دِيْنِـهِ السُّنَنَـا
كُـلُّ عُتُـلٍّ كَـأنَّـهُ وَعِـلٌ ... قَـدْ عَظُمَـتْ بَطْنُـهُ وَقَـدْ سَمِنَـا
خَـالٍ مِـنَ العِلْـمِ شَيْـخُ طَـائِفَـةٍ ... قَـدْ صَيَّـرُوْهُ مِـنْ جَهْلِهِـمْ وَثَنَـا
دِيْنُهُـمُ الـرَّقْـصُ وَالغِنَـاءُ لَقَـدْ ... طَغَـوْا بِهَـذَا وَفَـارَقُـوا. . . .
مَـا جَعَـلَ اللهُ دِيْنَنَـا لَعِبـاً ... أكْـلاً وَرَقْصـاً وَصَيْحَـةً وَغِنَـا

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في وفيات الأعيان ١/ ٣٧.
(٢) القطعة في وفيات الأعيان ١/ ٣٨. والوافي بالوفيات ١/ ١٥٥.

وقال أيضًا[١]: [من الطويل]

أَقُولُ لَهُ صِلْنِي فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ ... كَأَنِّيَ أَدْعُوهُ لِفِعْلٍ مُحَرَّمِ
فَإِنْ كَانَ خَوْفَ الإِثْمِ يَكْرَهُ وُصْلَتِي ... فَمِنْ أَعْظَمِ الآثَامِ قَتْلَةُ مُسْلِمِ

وأنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ قال: أنشدني الخطيب أبو إسحاق إبراهيم في غلام عليه قباء أحمر: [من المنسرح]

/ ١٤أ/ يَخْطِرُ فِي يَلْمَقٍ كَوَجْنَتِهِ ... أَحْمَرَ قَانٍ مِنْ خَالِصِ السَّرَقِ[٢]
كَأَنَّهُ فِي احْمِرَارِهِ قَمَرٌ ... يَرْفُلُ فِي حُلَّةٍ مِنَ الشَّفَقِ

قال القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر العراقي ـ قاضي السلامية من أرض الموصل ـ في قتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ: [من السريع]

يَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَذْكَرْتَنِي ... مَصَارِعَ الأَشْرَافِ مِنْ هَاشِمِ
أَبْكِي وَلَا لَوْمَ عَلَى مَنْ بَكَى ... وَإِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى اللَّائِمِ
مَا مَنْ بَكَى فِيكَ أَشَدَّ البُكَا ... وَنَاحَ بِالعَاصِي وَلَا الآثِمِ
رَزِيَّةٌ مَا قَامَ فِي مِثْلِهَا ... نَائِحَةٌ تَنْدُبُ فِي مَأْتَمِ
آلُ رَسُولِ اللهِ خَيْرُ الوَرَى ... وَصُفْوَةُ اللهِ عَلَى العَالَمِ
مِثْلُ مَصَابِيحِ الدُّجَى عُفِّرَتْ ... وُجُوهُهُمْ فِي الرَّهَجِ القَاتِمِ
رُؤُوسُهُمْ تُحْمَلُ فَوْقَ القَنَا ... مَظْلُومَةً شُلَّتْ يَدُ الظَّالِمِ
سَارُوا بِهَا يَا قُبْحَهَا فِعْلَةً ... مِثْلَ مَسِيرِ الظَّافِرِ الغَانِمِ
كَأَنَّمَا الزَّهْرَاءُ لَيْسَتْ لَهُمْ ... أُمًّا وَلَا الجَدُّ أَبُو القَاسِمِ
قُلْ لِابْنِ مَرْجَانَةَ لَابُدَّ أَنْ ... تَعَضَّ كَفَّ الحَاسِرِ النَّادِمِ
/ ١٤ب/ مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي آدَمٍ ... خَصْمُكَ يَا شَرَّ بَنِي آدَمِ
يَطْلُبُ مِنْكَ الثَّأْرَ فِي مَوْقِفٍ ... مَا فِيهِ لِلظَّالِمِ مِنْ عَاصِمِ
وَفِيهِ يُقْتَصُّ مِنَ المُعْتَدِي ... بِالنَّارِ لَا بِالسَّيْفِ وَالصَّارِمِ

وقوله في كبر السن: [من الخفيف]

---

(١) البيتان في وفيات الأعيان ١/ ٣٨. والوافي بالوفيات ١/ ١٥٥.
(٢) اليلمق: القباء. السرق: المشقق من الحرير.

أيُّ عَيْش يَطِيبُ وَالعُمْرُ قَدْ أَرْبَىٰ عَلَىٰ خَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ عَامَا
كَيْفَ يَلْتَذُّ فِي الحَيَاةِ بعَيْش يَتَمَنَّى لَاقِيهِ فِيهِ الحِمَامَا
إنَّمَا العَيْشُ بِالشَّبَابِ لَو اشْتَدَّ عَلَىٰ طِيبِهِ الزَّمَانُ دَوَامَا
نَوَّرَتْ فَوْدِيَ السُّنُونَ فَيَا لَيْتَ ضِيَاءً مَنَحْنَ كَانَ ظَلَامَا
مَا أَرَىٰ صِحَّتِي عَلَىٰ كِبَرِ السِّنِّ أَفَادَتْ إِلَّا ضَنىً وَسَقَامَا
فَكَثِيراً أَقُولُ: آه إِذَا رُمْتُ نُهُوضاً لِحَاجَةٍ أَوْ قِيَامَا
وإِذَا مَا مَشَيْتُ [كُنْتُ] كَأَنِّي بِتُّ أَحْسُو مَعَ الغُوَاةِ المُدَامَا
صَحِبَتْنِي أَوْلَادُ حَامٍ زَمَاناً أَحْسَنُوا صُحْبَتِي وَمَاتُوا كِرَامَا
لَيْتَهُمْ عُمِّرُوا وَكَانُوا عَلَى الدَّهْرِ لأَوْلَادِ عَمِّهِمْ خُدَّامَا
أَكْرِمِ الشَّيْبَ إِنَّمَا تَصْحَبُ الشَّيْبَ إِذَا مَا رَأَيْتَهُ آثَامَا
/ ١٥أ/ ثُمَّ مَنْ بَعْدِهِ تَصِيرُ إِلَىٰ القَبْرِ فَيَا لَيْتَهُ أَطَالَ المُقَامَا[1]

وقال أيضًا: [من السريع]

مَنْ يَتَمَنَّ العُمْرَ فَلْيَتَّخِذْ صَبْراً عَلَىٰ فَقْدِ أَحِبَّائِهِ
فَمَنْ يُعَمَّرْ يَرَ فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لأَعْدَائِهِ

وله: [من الوافر]

إِذَا مَا جَاوَزَ السَّبْعِينَ عُمْرِي بِخَمْسٍ ثُمَّ أَرْدَفَهَا بِخَمْسِ
يَئِسْتُ مِنَ البَقَاءِ وَكَيْفَ أَبْقَىٰ وَقَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ بِذَاكَ نَفْسِي
وَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ بِلَا شَكٍّ أَكُونُ رَهِينَ رَمْسِ
وَكَيْفَ يَلَذُّ طَعْمَ العَيْشِ شَيْخٌ تُصَبِّحُهُ المَنِيَّةُ أَوْ تُمَسِّي
فَيَا رَبَّاهُ جُدْ بِالعَفْوِ عَنِّي فَقَدْ فَرَّطْتُ فِي يَوْمِي وَأَمْسِي

---

(١) في هامش الأصل: «سقط، وهذا البيت، طلت أو رحت أو ما معناه. . . أمشي أو أسعى أو ألقى. . . أو صرت أو كنت».

[٤]

إِبراهيمُ بن أبي الكرم بن المفرج القاضي، أبو إِسحاق القبطيُّ.

أصلهُ من القبط ومولده ومنشأه مصر.

اشتغل بالفقه والحديث، وقرأ شيئًا من العربية. وكان شاعراً مترسلاً ذا بلاغة /١٥ب/ وفهم. وكان من الأسخياء، واسع المروءة، يجود بما تملك يداه. وتقدّم عندَ الملوك، وحظي لديهم، وتولّىٰ القضاء بمدينة موش وأعمالها بصعيد مصر الأدنىٰ إِلىٰ أن توفي في شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

أنشدني القاضي أبو المآثر عبد الصمد بن أحمد بن عبد الله المصري الأنصاري، قال: أنشدني القاضي أبو إِسحاق لنفسه: [من الطويل]

لَئِنْ كُنْتَ عَنْ طَرْفِيْ بِشَخْصِكَ غَائِبًا ... فَمَعْنَاكَ فِيْ قَلْبِيْ مَعِيْ لاَ يُفَارِقُ
وَشَوْقِيْ لِجُهْدِيْ زَائِدٌ وَتَصَبُّرِيْ ... فَقِيْدٌ وَإِنِّي فِيْ الَّذِيْ قُلْتُ صَادِقُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني القاضي قوله: [من الكامل]

يَا عَاتِبِيْ وَلَوْ ٱنْتَخَيْتُ لِعَتْبِهِ ... كَانَ الأَحَقَّ بِأَنْ يُعَاتَبَ دَائِمَا
وَالشَّخْصُ يَنْسَىٰ ذَنْبَهُ مُتَعَامِيًا ... وَيُرَىٰ عَلَىٰ عَتْبِ الصَّدِيْقِ مُلاَزِمَا

[٥]

إِبراهيمُ بن إِسماعيلَ بن محمد بن غازي بن عبد الله الحرّانيُّ، المعروفُ بابَن النقيب.

/١٦أ/ كان من أهل الأدب والفضل، دمثَ المعاشرة، حسنَ المحاضرة. وكان كحّالاً بالمارستان الذي أنشأه مظفر الدين كوكبوري بن علي بكتكين ـ رضي الله عنه ـ ويجتمع عنده الشعراء وأهل الفضل؛ وله طبع في النظم. وكان يحاضر بالحكايات والأشعار. وكان سريع المجون، خفيف الروح. توفي بحرّان سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

أنشدني أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي يزيد التبريزي، قال: أنشدني ابن

النقيب لنفسه : [من الكامل]

أَشْتَاقُكُمْ فَإِذَا أَتَى مِنْ نَحْوِكُمْ ... آت طَفِقْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُ عَنْكُمُ

فَتَسُرُّنِي أَخْبَارُكُمْ وَيَسُوءُنِي ... إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كِتَابٌ مِنْكُمُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني إبراهيم لنفسه : [من الوافر]

تُعَلِّلُنِي الأَمَانِي فِي هَوَاكُمْ ... بِلُقْيَاكُمْ فَأَطْرَبُ لِلتَّلَاقِي

وَأَعْلَمُ أَنَّهَا خُدَعٌ وَلَكِنْ ... تَحَقَّقَ بَعْضُ مَا أَنَا مِنْهُ لَاقِي

أُمَرَّرُ إِذْ تَمُرُّ نَوىً بِفِكْرِي ... وَأَفْرَقُ حِينَ أُخْبَرُ بِالفِرَاقِ

وقوله : [من الوافر]

/١٦ب/ لَعَمْرُكَ مَا جَفَوْتُكَ عَنْ مَلَالٍ ... وَلَا أَعْرَضْتُ إِلَّا خَوْفَ مَقْتِي

لأَنَّ طَبَائِعَ الإِنْسَانِ لَيْسَتْ ... عَلَى وَفْقِ الإِرَادَةِ كُلَّ وَقْتِ

ومن شعره أيضًا قوله : [من الخفيف]

وَرَخِيمِ الدَّلِّ مُعْتَدِلِ القَامَةِ كَالغُصْنِ حَنَّ قَلْبِي إِلَيْهِ

أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ عِنْدِي وَفِي بَيْتِي وَبَعْضِي فِيهِ وَكُلِّي عَلَيْهِ

[٦]

إبراهيمُ بن عليٍّ بن محمدِ بن أبي الحسن بن زيدٍ، أبو إسحاقَ بن أبي الحسن البغداديُّ.

كانت ولادته بالسِّنْدِيَّة[1] ثامن شعبان سنة ثمان وستين وخمسمائة. وكان والده خطيبها.

وكان أبو إسحاق رجلاً صالحًا دينًا متعبداً من أهل العلم والفضل وحملة القرآن وقُرائه. صاحب نَظم ونثر، وسمع الحديث، وقرأ على القاضي أبي زكريا يحيى بن القاسم التكريتي كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي القاسم هبة الله بن سلامة المفسّر، وكتاب «إفحام اليهود».

---

(١) السندية : قرية ببغداد على شاطىء نهر عيسى بين بغداد وبين الأنبار. انظر : معجم البلدان ٢/ ٢٦٨.

ووعظ بتكريت /١٧أ/ وحضر دروس قاضيها، وتكلّم عنده مراراً؛ وله أشعار حسنة.

أنشدني أبو الفضل العباس بن بزوان الموصلي، قال: أنشدني أبو إسحاق لنفسه من كلمة قالها: [من الطويل]

وَقُلْ لِبَنِي الإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي ... يُضِيءُ بِأَدْنَى نُورِهَا كُلُّ فَاحِمِ
وُدَادِي لَكُمْ مَحْضٌ وَمَدْحِي لِفَضْلِكُمْ ... وُدَادُ حَمِيمٍ خَالِصِ الوُدِّ سَالِمِ

[٧]

إبراهيمُ بن الحسن بن عليِّ بن محمد بن موسىٰ بن عسكر بن عثمانَ الحنشند، المُعلِّمُ الشيبانيُّ(١).

أخبرني أنه ولد بباورد من بلد الزعفران من بطن الجزيرة العمرية، ثم انتقل إلىٰ الموصل، وفتح له مكتبًا يعلِّم الصبيان. مولده سنة ستين وخمسمائة.

من شعره: [من الكامل]

مَا بَاتَ يَلْحَانِي عُبَيْدُ السَّيِّدِ ... إِلَّا مُعَانَدَةً لآلِ مُحَمَّدِ
مَا قَالَ: إِنَّكَ رَافِضِيٌّ مُلْحِدٌ ... إِلَّا بِلَهْجَةِ نَاصِبِيٍّ مُلْحِدِ
يَا لَلْعَجَائِبِ وَالعَجَائِبُ جَمَّةٌ ... مِثْلِي يَضِلُّ وَمِثْلُهُ مَنْ يَهْتَدِي؟

/١٧ب/ وأنشدني الخنشند لنفسه باربل يمدح شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من الطويل]

وَقَالُوا: امْتَدِحْ مِنْ وُلْدِ مَوْهُوبَ مَاجِداً ... تَحَيَّرَ فِي أَوْصَافِهِ كُلُّ مَنْ يَقْرَا
أَبَا البَرَكَاتِ الأَرْيَحِيَّ وَمَنْ لَهُ ... يَدٌ لَمْ تُخَلِّ فِي خَزَائِنِهِ تِبْرَا
فَقُلْتُ وَقَدْ حُيِّرْتُ فِي كُنْهِ وَصْفِهِ ... بِأَنِّي لِسَانٌ أَمْدَحُ البَدْرَ وَالجَرَا

(١) كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الثامنة، العدد الثاني ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

[٨]

إبراهيمُ بنِ سليمانَ بن عبد اللهِ، أبو إسحاقَ التميميُّ الخطيبُ الصَرْخديُّ[١].

كان يتولّىٰ خطابة صَرْخد[٢]، وأنشأ خطبًا. وكان يترسل ترسلاً جيداً. وقرأ علىٰ أبي اليمن الكندي، ويقول شعراً يسلك فيه مسلك العرب من فخامة الألفاظ.

مدح الملك العادل وأولاده وأبناء صلاح الدين وجماعة من بني أيوب. وكان شاعراً فصيحًا في الإِنشاد. وكان ذا فطرة صحيحة، وطبع سليم من اللحن.

أنشدني الشيخ العالم تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسين التميمي الصرخدي /١٨أ/ بدمشق بالمدرسة المنسوبة إلىٰ الملك العادل محمود بن زنكي ـ رحمه الله ـ في شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني خالي جمال الدين إبراهيم لنفسه ـ وذكر أنه توفي بصرخد سنة سبع عشرة وستمائة، وبلغ أربعًا وخمسين سنة ـ: [من الطويل]

غَدَتْ وَالهَوَىٰ نَحْوَ الحِجَازِ يَسُوْقُهَا ... وَنَشْرُ الخُزَامَىٰ وَالعَرَارِ يَشُوْقُهَا

يُسَهِّلُ مِنْهَا ذِرْوَةَ الحَزْنِ وَخْدُهَا ... ويُطْوَىٰ بِأَنْفَاسِ الغَرَامِ سَحِيقُهَا

كَأَنَّ الثُّرَيَّا تَنْثَنِي فِيْ حِزَامِهَا ... إِذَا مَا الصَّبَا بِالمِسْكِ وَافَى فَتِيقُهَا

يَشُقُّ ذَمِيْلاً شَقَّهُ اللَّيلَ شَوْقُهَا ... وَيُعْنِقُهَا حَوْذَانُهَا وَشَقِيْقُهَا

وَيَجْذُبُهَا حَرُّ الجَوَى نَحْوَ سَلْعِهَا ... وَيَشْكُوْ هَوَاهَا بَانُهَا وَعَقِيْقُهَا

أَعَاذِلَتِي كُفِّيْ فَهَاتِيْكَ دَارُهَا ... تَلُوحُ وَمَا ذَاكَ الفَرِيْقُ فَرِيْقُهَا

مَعَاهِدُ فِي قَلْبِي لَهُنَّ مَعَاهِدٌ ... وَإِنْ أَخْلَفَتْ مِنْ سَاكِنِيْهَا بُرُوْقُهَا

لَهُمْ مَنْزِلٌ يَرْعَاهُ أَسْوَدُ نَاظِرِي ... سَبُوحٌ بِمَرْجَانِ الدُّمُوعِ غَرِيْقُهَا

---

(١) في هامش الأصل: «. . . أبي إسحاق الصرخدي هذه على الشيخ الإمام العلامة الزاهد تاج الدين أبي الثناء محمود بن عابد بن الحسين التميمي الصرخدي واعترف بصحتها وأنشدني القصيدة والبيتين بعدها . . . . وكان بالمدرسة النورية بدمشق يوم الثلاثاء سابع صفر سنة . . . . . وكتب علي بن عبد الكافي بن عبد الملك الربعي حامداً لله ومصليًا على نبيه محمد وآله وصحبه ومسلمًا».

(٢) صرخد: قلعة ملاصقة لبلد حوران من أعمال دمشق، حصينة، وولاية واسعة حسنة. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٠١.

يُطِلُّ دفينَ الصَّدْرِ شَلاًّ لعَيْسَمٍ ... وَأَيْنَ اسْتَقَلَّتْ فَالفُؤَادُ رَفيقُهَا
مُحَجَّبَةٌ نَجْدِيَّةٌ غضوبةٌ ... بَرُوْكٌ إذَا قَامَ المَطِيُّ فَنِيْقُهَا
تَرَىٰ الشَّمْسَ مِنْهَا تَحْتَ نَاصِيَةِ الدُّجَىٰ ... وَمَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ شُرُوْقُهَا

/ ١٨ب/ وله : [من الكامل]

مُتَهَلِّلٌ يَصِلُ النَّوَالَ ببِشْرِه ... فَيَظَلُّ يَهْذِي مِنْهُ وَجْهُ الطَّارِقِ
كَالرَّوْضِ لَمْ يَبْرُزْ لِطَرْفٍ ضَاحِكاً ... حَتَّىٰ تَبَسَّمَ فِيْهِ ثَغْرُ البَارِقِ

[٩]

إبراهيمُ بن نصر بن ظافر بن هلالٍ، أبو إسحاقَ بن أبي الفتحِ الحموي .

نزيل الديار المصرية .

له : [من البسيط]

إذَا زَرَعْتَ جَمِيْلاً فَاسْقِهِ غَدَقاً ... مِنَ المَكَارِمِ كَيْ . . . . . لَكَ الشَّجَرُ
وَلَا تَشُبْهُ بِمَنٍّ فَالَّذِيْ نَقَلُوا ... مِنْ عَادَةِ المَنِّ أن يُؤْذَى بِهِ الثَّمَرُ

وكتب إلىٰ بعض الأصحاب من الصعيد لطول مقامه بها :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ يَدَّعِي فِيَّ الحَيَاةَ يَمِيْنُ فِيْمَا يَدَّعِيْهِ
أنَا مَيِّتٌ وَدَلِيْلُهُ ... أنَّ الصَّعِيْدَ دُفِنْتُ فِيْهِ

وله : [من مجزوء الرجز]

يَا مُفْتِيَ العَصْرِ أمَا ... تَفْتُوْنَ فِيْ قَضِيَّتِيْ
قُتِلْتُ عَمْداً خَطَأً ... وَقَدْ وَزَنْتُ دِيَتِيْ

وله : [من مجزوء الرمل]

/ ١٩أ/ يَا زَمَانِيْ كُلَّمَا حَاوَلْتُ أمْراً تَتَمَنَّعْ
إنْ تَعَصَّبْتَ فَإنِّيْ ... بِاصْطِبَارِيْ أتَقَنَّعْ

وله: [من مخلّع البسيط]

لَـــوَ أَنَّ كُتْبِـــي بِقَـــدْرِ شَـــوْقِـــي ... إِلَيْـــكَ لَـــمْ تَنْقَطِـــعْ وُرُوْدَا

وَكَـــانَ سُلْطَـــانُ وَجْـــدِ قَلْبِـــيْ ... يَنْشُـــرُ فِـــي خَفْقِهَـــا بُنُـــوْدَا

وله: [من المتقارب]

بِخِـــدْمَتِكُـــمْ لَـــمْ أَنَـــلْ طَـــائِـــلاً ... وَمِيْـــزَانُ نَقْصِـــي بِكُـــمْ رَاجِـــحُ

وَلِلْطَّـــرْفِ مِـــنْ أَدْمُعِـــي نَثْـــرُهُ ... وَلِلْقَلْـــبِ مِـــنْ سَعْـــدِكُـــمْ ذَابِـــحُ

وله: [من السريع]

مَـــا يَسْتُـــرُ المَمْلُـــوكَ فِـــي بَعْثِـــهِ ... نَـــزْرٌ حَقِيْـــرُ القَـــدْرِ إلاَّ الـــرِّضَـــا

وَلَيْـــسَ فِـــي الـــوَقْـــتِ وَلَكِنَّـــهُ ... مَـــنْ فَـــاتَـــهُ الفَـــرْضُ يُـــؤَدِّيْ قَضَـــا

وله: [من مجزوء الكامل]

لَمَّـــا عَلِمْـــتُ بِـــأَنَّ مَـــا ... أُهْـــدِيْـــهِ نَـــزْرُ القَـــدْرِ تَـــافِـــهْ

أَنْفَـــذْتُـــهُ وَهَـــرَبْـــتُ مَـــا ... هَـــذِي هَـــدِيَّـــةُ مَـــنْ يَـــوَاجِـــهْ

وله /١٩ب/ من قصيدة مرثية في علم الدين ابن الصاحب بن شكر:

[من مخلّع البسيط]

قُلْـــتُ وَقَـــدْ زُرْتُ قَبْـــرَ يَحْيَـــى ... ذُخْـــرِيْ وَمَـــنْ كَـــانَ لِـــيْ مَـــلاَذَا

وَالعَيْـــنُ كَـــالعَيْـــنِ ذَاتُ سَـــحٍّ ... يَـــا لَيْتَنِـــي مُـــتّ قَبْـــلَ هَـــذَا!

وله: [من المنسرح]

لاَ تَغْتَـــرِرْ بِـــالـــذيـــن . . . . . . مِـــن قُـــرْبِهِـــم مَـــا لجلْـــدِهِـــمْ دَابِـــغْ

أَقَمْـــتُ فِيْهِـــمْ أَرْجُـــوْ نَـــوَالَهُـــمُ ... خَمْسِيْـــنَ عَـــامـــاً وَمَـــا أَنَـــا بَـــالِـــغْ

[توفي برهان الدين المذكور في ثاني جمادى الأولىٰ سنة ثمان. . . . وستمائة ـ بمصر، ودفن من الغد، ومولده سنة إحدى أو اثنتين وسبعين وخمسمائة][1].

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[١٠]

إبراهيمُ بن يعقوبَ، أبو إسحاق الكانمي[١].

الأديب النحويُّ الشاعر الأسودُ.

وكانم اسمُ بلدٍ بنواحي غانة وهي دار ملك السودان الذين بجنوب المغرب[٢].

أخبرني شيخ الشيوخ [عبد الله بن عمر الجويني الدمشقي بها ـ رحمه الله تعالىٰ ـ][٣] قال: رأيته وقد قدم إلى مراكش في أيام السيد أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن. ومدح كبراء الدولة، واختلطَ بساداتهم، وارتزق وانتفع بجاهاتهم.

وكانت العجمة في لسانه لكنه يعرب عن شعر فصيح، ولفظ / ٢٠أ/ صحيح، ووزن مستقيم، ومعنىٰ قويم. وكان يحفظ الجمل في النحو، وكثيراً من أشعار العرب.

قال: وذكر لي أنه اشتغل في بلد غانة، وتخرج بها مع أنَّها بلد كفر وجهل، وقد تردد إليّ كثيراً، وذاكرني وجالسني؛ إلاَّ أني لم أجد في تعاليقي حين ألفت هذا المجموع سوىٰ هذا القدر الذي علقته. فمنه قوله يمدح أبا إسحاق إبراهيم بن يعقوب. وكان قد انقطع إليه، ولازمه وحسده قوم من أصحابه علىٰ ذلك[٤]:

[من البسيط]

مَـا بَعْـدَ بَـاب أَبِـي إِسْحَـاقَ مَنْـزِلَـةٌ ... يَسْمُـو إِلَيْهَـا فَتًـى مِثْلِـيْ وَلاَ شَـرَفُ
أَبَعْـدَ مَـا بَـرَكَـتْ عَيْسِـي بِسَـاحَتِـهِ ... وَصِـرْتَ مِـنْ بَحْـرِهِ اللُّجِّـيِّ أَغْتَـرِفُ
هَمُّـوا بِصَـرْفِـيْ وَقَـدْ أَصْبَحْـتُ مَعْـرِفَـةً ... فَكَيْـفَ ذَلِـكَ وَاسْمِـيْ لَيْـسَ يَنْصَـرِفُ

يعني إبراهيم.

وقوله يخاطبه علىٰ عادتهم في المخاطبة بلفظ الجمع، ويذكر السواد، وأنشده لنفسه: [من الطويل]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ١٧٠ ـ ١٧١. وفيه وفاته في «حدود الستمائة تقريبًا»، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ رقم ٥٦٠.
(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٣٢، ١٨٤.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٤) الأبيات في تأريخ الإسلام ٤٠٠.

سَمِعْتُ بِأَنْ تُهْدَى الطَّرَائِفُ نَحْوكُمْ فَسُقْتُ وَلِيداً شَاعِراً وَهْوَ أَعْجَمُ
وَإِنَّ الجِيَادَ الشُّقْرَ أَسْبَقُ خَيْلِكُمْ فَهَاكَ طِمِرّاً سَابِقاً وَهْوَ أَدْهَمُ

/ ٢٠ب/ وله يتغزل . . . . زوجته التي زوجها به بعض السادة : [من البسيط]

غَيْرِي عَلَيْكُنَّ يَا زَهْرَاءُ يَصْطَبِرُ لأَنَّ صَبْرِي عَلَى ذَاكَ الهَوَى صَبِرُ
لَوْنِي بِلَوْنِك مِنْ دَانٍ إذا اجْتَمَعَا كَمَا يَزِينُ سَوَادَ المُقْلَةِ الحَوَرُ
وَإِنْ شَكَكْتَ فَقِيسَنِّي قَيْسَ تَجْرِبَةٍ فَفِي اخْتِبَارِك مَا يُنْسَى بِهِ الخَبَرُ
وَلَا يَسُؤْك مِنَ الأَغْمَادِ حَالِكُهَا إِذْ كَانَ كَامِنَهَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ

وقال : وأنشدني له محمد بن محمد بن خميس[1] : [من البسيط]

وَقَائِلٍ لِمَ لا تَهْجُو، فَقُلْتُ لَهُ لأَنَّنِي لا أَرَى مَنْ خَافَ مِنْ هَاجِي
فَلَيْسَ ذَمُّ كِرَامِ النَّاسِ مِنْ شِيَمِي وَلَيْسَ ذَمُّ لِئَامِ النَّاسِ مِنْهَاجِي

قال : وأنشدني مذاكرة لما دخلت إلى السيد يعقوب بن إبراهيم بن يعقوب، أنشدت[2] : [من الوافر]

أَزَالَ حِجَابَهُ عَنِّي وَعَيْنِي تَرَاهُ مِنَ المَهَابَةِ فِي حِجَابِ
وَقَرَّبَنِي تَفَضُّلُهُ وَلَكِنْ بَعُدْتُ مَهَابَةً عِنْدَ اقْتِرَابِي

وأنشدني شيخ الشيوخ، قال : أنشدني / ٢١أ/ الكانمي لنفسه ـ من أبيات ـ في السواد : [من البسيط]

بِكُلِّ لَوْنٍ يَنَالُ المَرْءُ سُؤْدَدَهُ مَهْمَا تَجَرَّدَ مِنْ أَخْلَاقِهِ السُّودِ

[١١]

إبراهيمُ بن سُليمانَ بن حمزةَ، أبو إسحاق القرشيُّ الدمشقيُّ الكاتب[3] .

شاعر مجيد حسن الخط والكتابة من أرباب الفضل والتّميز .

---

(١) البيتان في تأريخ الإسلام ٤٠١ .
(٢) البيتان في تأريخ الإسلام ٤٠١ .
(٣) ترجمته في : الوافي بالوفيات ٥/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨ وفيه : «ولد بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وتوفي سنة إحدى وخمسين وستمائة». فوات الوفيات ١/ ٨ ـ ١٠ .

أنشدني أبو الفضل [العباس بن بزوان بن طرخان][(١)] الموصليّ، قال: أنشدني إبراهيم بن سليمان لنفسه يمدح الملك الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسىٰ بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من البسيط]

رَامَ العَوَاذِلُ إِصْلاَحِي وَمَا شَعَرُوا ... أَنَّ الهَوَىٰ جَمْرَةٌ بِالعَذْلِ تَسْتَعِرُ
بَاتَتْ تُنَمِّقُ لِي مِنْ زُورِهَا عَذَلاً ... كَأَنَّهُ فِي حَوَاشِي مَسْمَعِي إِبَرُ
وَتَسْتَقِلُّ الَّذِي أَلْقَىٰ وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنَّ الغَرَامَ الَّذِي أَسْتَعْذِبُهُ صَبِرُ
يَا رَاقِيَ الدَّمْعِ إِنَّ العَيْنَ فِي غَرَقٍ ... يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ قَدْ أَوْدَىٰ بِيَ السَّهَرُ
مَنْ مُسْعِدِي مَنْ عَذِيرِي مِنْ هَوَى رَشَأٍ ... خَاطَرْتُ بِالنَّفْسِ فِيهِ وَالهَوَىٰ خَطَرُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الحُبَّ يَمْلِكُنِي ... وَأَنَّ لَيْثَ الشَّرَىٰ يَصْطَادُهُ النَّظَرُ
/٢١ب/ إِنْ أَوْمَضَ البَرْقُ مِنْ شَرْقِيِّ كَاظِمَةٍ ... بَاتَتْ مَدَامِعُ مِنْ عَيْنَيْكَ تَبْتَدِرُ
يُجِدُّ لِي خَطَرَاتِ الشَّوْقِ ذِكْرُكُمُ ... للهِ مَا تَصْنَعُ الأَشْوَاقُ وَالذِّكَرُ
إِذِ اللَّيَالِي بِمَا نَهْوَاهُ كَافِلَةٌ ... وَالْعَيْشُ رَطْبٌ وَإِذْ غُصْنُ الصِّبَا نَضِرُ
لَيَالِياً كُنَّ عُمْرَ الدَّهْرِ فَانْقَرَضَتْ ... عَنَّا وَلِلْهَوِ فِي أَبْنَائِهِ عُمَرُ
وَيَوْمِ لَهْوٍ ظَلَلْنَا سَاجِدِينَ لَهُ ... . الكَأْسِ لَمَّا أَذَّنَ الوَتَرُ
وَيَوْمِ وَجْدٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلَتِهِ ... يَكَادُ يُقْبَسُ مِنْهُ الجَمْرُ وَالشَّرَرُ
حَتَّىٰ بَدَتْ غُرَّةُ الإِصْبَاحِ تَلْمَعُ فِي ... مُهَلْهَلِ النَّسْجِ فِي أَذْيَالِهِ قِصَرُ
كَأَنَّهَا يَدُ مُوسَىٰ أَوْ تَبَسُّمُهُ ... أَوْ ضَوْءُ غُرَّتِهِ وَالنَّقْعُ يَعْتَكِرُ
شَاهَ أَرْمَنَ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَعَمُّ مُلُوكِ الأَرْضِ جُوداً إِذَا لَمْ يُورِقِ الشَّجَرُ
قَالَتْ سُلَيْمَىٰ وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا ... عَنْهَا فَأَدْمُعُهَا فِي الخَدِّ تَنْحَدِرُ
حَتَّىٰ مَ تَرْحَلُ أَنْضَاءَ المَطِيِّ وَلاَ ... يَ، فَكُّ عَزْمُكَ مَقْرُوناً بِهِ سَفَرُ
يَا هَذِهِ إِنَّنِي آوِ إِلَىٰ مَلِكٍ ... تَشَارَكَتْ فِي نَدَاهُ البَدْوُ وَالحَضَرُ
لَيْسَتْ لِغَيْرِ النَّدَىٰ وَالبَأْسِ هِمَّتُهُ ... للهِ وَالمَجْدِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
تَرَىٰ الوُفُودَ إِلَىٰ أَبْوَابِهِ زُمَراً ... أَمَامَهَا زُمَرٌ وَخَلْفَهَا زُمَرُ
حَتَّىٰ إِذَا وَرَدُوا سَاحَاتِهِ نَزَلُوا ... بِمَاجِدٍ يَهَبُ الدُّنْيَا وَيَعْتَذِرُ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/ ٢٢أ/ أَفْعَالُهُ غُرَرٌ فِي المَجْدِ وَاضِحَةٌ ... بِيْضٌ وَأَيَّامُهُ فِي دَهْرِهِ غُرَرُ
مَاضِي الشَّبَاةِ لَهُ يَوْمَانِ يَوْمُ نَدًى ... وَيَوْمُ بَأْسٍ كِلاَ يَوْمَيْهِ مُشْتَهِرُ
لَوْ أَنَّهُ رَامَ فَوْقَ الشمسِ منزلَهُ ... مَا عَاقَ هِمَّتَهُ عَجْزٌ وَلاَ خَوَرُ
لَوْ طَاوَلَتْهُ يَدُ الأَيَّامِ طَاوَلَهَا ... عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ مَا فِيْ بَاعِهِ قِصَرُ
بَذَّ المُلُوْكَ وَمَا يَأْلُوْنَ فِيْ طَلَبٍ ... فَفِي أَعِنَّتِهَا عَنْ قَصْدِهِ زَوَرُ
تَكْبُو السَّوَابِقُ فِي آثَارِ عَزْمَتِهِ ... وَالجِدُّ مِنْهَا وَفِيْهَا القَيْقُ وَالضُمُرُ
جَمُّ النَّوَالِ يَعُمُّ النَّاسَ نَائِلُهُ ... كَفَّاهُ تَفْعَلُ مَا لاَ يَفْعَلُ المَطَرُ
أَعْطَى فَلَمْ تَخْلُ كَفٌّ مِنْ مَوَاهِبِهِ ... كَالبَحْرِ يَلْفِظُ فِيْ اعبارِهِ الدُّرَرُ
تَبِيْتُ أَعْدَاؤُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ... هَيْهَاتَ يَنْفَعُ مِنْهُ الخَوْفُ وَالحَذَرُ
فِي كُلِّ ثَغْرٍ نُذُوْبٌ مِنْ وَقَائِعِهِ ... حَتَّى اللَّيَالِي بِهَا مِنْ مَسِّهَا أَثَرُ
يَغْدُو أَمَامَ الخَمِيْسِ المَجْرِ يَقْدُمُهُ ... كَأَنَّهُ فِيْهِ لَيْثُ الغَابَةِ الهَصِرُ
مُسَدَّدُ الحَزْمِ مَاضِي العَزْمِ يَصْحَبُهُ ... أَنَّى سَرَى أَوْ أَقَامَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ
يَا رُبَّ حَوْمَةِ حَرْبٍ قَدْ نَقَعْتَ بِهَا ... صَدَى السُّيُوفِ وَنَارُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
مَهْمَا الصَّوَافِنُ حَيْرَى وَالكُمَاةُ لَقًى ... وَالمَشْرَفِيَّةُ كَلْمَى وَالقَنَا كِسَرُ
وَالنَّقْعُ أَسْفَعُ وَالأَبطَالُ عَابِسَةٌ ... وَالبِيْضُ . . . .
/ ٢٢ب/ وَكُنْتَ أَشْجَعَ مَنْ يُلْفَى وَأَكْرَمَ مَنْ ... يُسْمَى وَأَفْضَلَ مَنْ يُنْمَى وَيَفْتَخِرُ
يَجْلُو الخُطُوبَ إِذَا اسْوَدَّتْ غَيَاهِبُهَا ... كَمَا يجلي مراد الظُّلْمَةِ القَمَرُ
يَرُوْقُ رَائِيَهُ مِنْهُ مَنْظَرٌ حَسَنٌ ... يَلْقَاهُ أَحْسَنَ مِنْهُ حِيْنَ يُخْتَبَرُ
بَاتَتْ تُمَثِّلُ لِي فِيْكَ المُنَى أَمَلاً ... فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَمْ يَنْفُذْ بِيَ الطِيرُ
يَا دَهْرُ وَيْحَكَ نَكِّبْ عَنْ مُحَارَبَتِي ... إِنِّي بِخَيْرِ بَنِي أَيُّوْبَ مُنْتَصِرُ
الأَشْرَفِ القَمَرِ المَلْكِ الَّذِيْ حَسَدَتْ ... مَقَامَهُ فِي السَّمَاءِ الأَنْجُمُ الزُّهُرُ
وَزَادَ فَضْلاً بَنِي أَيُّوْبَ أَنْ كَرُمُوا ... فِي النَّاسِ أَصْلاً وَطَابَ الظِّلُّ والثَّمَرُ
عَجِبْتُ مِنْ ظَمَأٍ إِنْ جَرَتْ بِي هِمَمِي ... عَلَى مَوَارِدِ مَاءٍ صَفْوُهَا كَدَرُ
سَارَتْ إِلَيْكَ وَآمَالِي أَزِمَّتُهَا ... يَقْتَادُهَا الجُوْدُ لاَ الأَرْسَانُ وَالعُذُرُ
يَحْمِلْنَ كُلَّ بَدِيْعِ النَّسْجِ مُطَّرِدٍ ... يُهْدِي إِلَيْكَ ثَنَاءً نَشْرُهُ عَطِرُ
كَأَنَّهُ رَوْضَةٌ جَادَ الوَلِيُّ بِهَا ... حَتَّى تَأَرَّجَ مِنْ أَكْمَامِهَا الزَّهَرُ

لاَ يَضْحَكُ الدَّهْرُ يَوْماً عَنْ بَنِيهِ رِضاً ... إلاَّ إذَا ابْتَسَمَتْ عَنْ مَجْدِكَ السِّيَرُ
دَامَتْ بِغُرَّتِكَ الأَيَّامُ مُشْرِقَةً ... إنَّ الزَّمَانَ إلَيْكَ اليَوْمَ مُفْتَقِرُ
تَطُولُ أَلْسُنُنَا حَتَّى إذَا قَصُرَتْ ... إلَى مَدَاكَ ثَنَاهَا العِيُّ وَالحَصَرُ
مَا كُلُّ ذِي خَطَرٍ يَسْمُو إلَى مِدَحِي ... وَهُنَّ دُونَكَ يَا مَنْ دُونَهُ الخَطَرُ
/ ٢٣أ/ أَلْبَسْتَ كُلَّ وَلِيٍّ نِعْمَةً غُبِطَتْ ... وإنَّنِي بِالوَلاَءِ اليَوْمَ مُشْتَهِرُ
يَا خَيْرَ مَنْ صَدَرَتْ عَنْهُ الوُفُودُ وَمَنْ ... يُثْنِي الوُرُودُ عَلَى جَدْوَاهُ وَالصَّدَرُ
لاَ أَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً غَيْرَ مَغْفِرَةٍ ... وأَنْ يُجِيرَكَ مِنْ مَكْرُوهِهِ القَدَرُ

[١٢]

إبراهيمُ بن دنينير الموصليُّ(١).

أنشدني القاضي السعيد بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم الخشاب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: كتب إلي ابن دنينير هذه الأبيات لنفسه: [من البسيط]

أَبَا مُحَمَّدٍ المَرْجُوَّ نَائِلُهُ ... أَصْبَحْتُ مِنْكَ عَلَى أَمْنٍ مِنَ العَدَمِ
قَدْ خَالَطَتْ مِنْكَ نُعْمَاكَ الَّتِي شَمِلَتْ ... وَفَرْطُ حُبِّكَ مِنِّي أَعْظُمِي وَدَمِي
فَاليَوْمَ لاَ أَتَخَشَّى وَقْعَ حَادِثَةٍ ... مِنْ صَرْفِ دَهْرِيَ وَلاَ مِنْ جَوْرِ مُنْتَقِمِ
لِي مِنْكَ مَا لَمْ أَزَلْ أُزْهَى بِهِ فَرَحاً ... مِنِ احْتِرَامٍ وَإِكْرَامٍ وَمِنْ نِعَمِ
أَضِفْ إلَيْهَا قَلِيلاً مِنْ مُسَاعَدَةٍ ... بِجَاهِكَ العَامِرِ المُوفِي عَلَى الهِمَمِ
وَاكْتُبْ كِتَاباً أَفُزْ بِالنَّفْعِ مِنْهُ كَمَا ... تَفُوزُ مِنْهُ بِحُسْنِ الذِّكْرِ فِي الأُمَمِ

[١٣]

إبراهيمُ بن عيسىٰ بن درباس / ٢٣ب/ أبو إسحاق المصريُّ الماراني.

كانت ولادته بالقاهرة في شوال سنة إثنتين وسبعين وخمسمائة، ونشأ بمصر.

---

(١) في هامش الأصل: «قلت: أظن إبراهيم هذا هو ابن محمد إبراهيم بن علي بن نصر الله المعروف بابن دنينر الذي يأتي بعد، وقد تكرر عليه، والله أعلم» يقول المحقق: نعم، ستأتي ترجمته مكررة برقم ١٦ من هذا الجزء.

كان من أهل الحديث الذين رحلوا في طلبه [إلى] البلاد، وكتب منه شيئًا كثيراً، وسمع المشايخ، ولقي العلماء. وكان شافعي المذهب؛ إلاَّ أنه كان يطعن علىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ويقع فيه. له من أبي طاهر السِّلفي إجازة مُعيّنة في شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

وخبرت أنه دخل بلاد الهند، وسكن مدينة من أعمالها تدعىٰ «نهر والا»، وحصل لديها رزق واسع وثروة وافرة؛ وهو مقيم بها.

أنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي، قال: أنشدني الماراني لنفسه:

[من البسيط]

حَكَمْتَ يَا دَهْرُ فِيْ أَمْرِيْ بِإِفْرَاطِ ... وَمَا عَدَلْتَ إِلَىٰ عَدْلٍ وَإِقْسَاطِ

إِنِّيْ وَقَدْ طَرَحَتْ أَيْدِيْ النَّوَىٰ جَنَفًا ... جِسْمِيْ بِحِمْصَ وَرُوحِيْ ثَغْرَ دِمْيَاطَ

ومما كتبه إلى القاضي زين الدين ابن الأنصاري، وأنشدنيها الشيخ شمس الدين أبو الطاهر إسماعيل /٢٤أ/ ابن سُودكين بحلب في شهر ربيع الأول سنة أربعين وستمائة، قال: وقد زاره ابن الأنصاري المذكور وولده عشية الجمعة ببستان كمال الدين؛ وتفضل ووعد أنْ يزوره فيه في الليالي المقمرة من كل شهر ويبيت فيها:

[من البسيط]

أَفْدِيْ الَّذِيْ زَارَنِيْ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدَةٍ ... فَعَادَ لِيْ الرَّوْحُ لَمَّا زَارَ وَالفَرَحُ

أَكْرِمْ بِهِ مَالِكًا أَهْدَىٰ بِزَوْرَتِهِ ... كُلَّ السُّرُوْرِ وَزَالَ الغَمُّ وَالتَّرَحُ

فَلَسْتُ أُحْصِيْ الَّذِي أَسْدَىٰ بِزَوْرَتِهِ ... مِنَ الجَمِيْلِ وَمَا زَالَتْ لَهُ المِنَحُ

لَمْ أَبْلُغِ الفَضْلَ مِنْ إِكْرَامِ حَضْرَتِهِ ... بِمَا يَلِيْقُ لَهُ فَاهْتَاجَ بِيْ كَلَحُ

لَوْلَا اعْتِمَادِيْ عَلَىٰ عِلْمِيْ مَوَدَّتَهُ ... لَكُنْتُ مِنْ خَجَلِيْ وَاللهِ أَفْتَضِحُ

أَتَاحَهُ اللهُ فِيْ الإِسْعَادِ مَنْزِلَةً ... يُنَالُ مِنْهَا الَّذِيْ يُبْغَىٰ وَيُقْتَرَحُ

وكتب إلى المذكور يستنجزه ما وعده من الزيارة: [من الطويل]

أَيَا رَاكِبًا يَبْغِيْ مَنَازِلَ جِيْرَتِيْ ... وَيَمَّمَ فِيْ مَسْرَاهُ دَارَ أَحِبَّتِيْ

أَلَا حَيِّ أَهْلَ الحَيِّ عَنِّيَ تَفَضُّلًا ... وَعَرِّفْهُمُ بِاللهِ يَا سَعْدُ قِصَّتِيْ

/٢٤ب/ عَسَاهُمْ إِذَا أَخْبَرْتَهُمْ بِقَضِيَّتِيْ ... يُغَشُّوْنَنِيْ مِنْهُمْ بِعَطْفٍ وَرَحْمَةِ

أَلاَ حَيِّ زَيْنَ الدِّيْنِ أَوْفَى تَحِيَّةً ... وَبَلِّغْ جَمَالَ الدِّيْنِ أَيْضاً تَحِيَّتِيْ
وَقُلْ لَهُمَا إنَّ الوُدَادَ بِحَالِهِ ... وَحَقِّكُمَا حَتَّى أُوَسَّدَ حُفْرَتِيْ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ فَضْلَكُمْ وَجَمِيْلَكُمْ ... عَشِيَّةَ مَا كُنَّا جَمِيْعاً وَجُمْعَةً
وَقَدْ وَعَدَ المَوْلَى بِعَوْدٍ جَمِيْلِهِ ... وَإِسْعَافِهِ فِيْ المُقْمِرَاتِ بِزَوْرَةٍ
وَقَدْ شَخَصَتْ مِنَّا العُيُوْنُ لِصَوْبِكُمْ ... تَرَاءَى هِلاَلُ الوَصْلِ مِنْكُمْ وَحقت
فَإِنْ غِبْتُمُ فَالقَلْبُ فِيْكُمْ مُعَذَّبٌ ... وَإِنْ عُدْتُمُ عَادَتْ إِلَيَّ مَسَرَّتِيْ
فَبَادِرْ فَلَيْسَ الأُنْسُ دُوْنَكَ حَاضِراً ... وَمَا نُزْهَةٌ إِنْ غِبْتَ عَنَّا بِنُزْهَةِ
وَلاَ زِلْتَ يَا مَوْلاَيَ تُسْدِيْ جَمِيْلَةً ... وَلاَ زِلْتَ يَا مَوْلاَيَ سِلْكَ أَحِبَّتِيْ

وكتب إليه أيضًا: [من الخفيف]

لاَ تَلُمْنِيْ عَلَى الوَلاَ يَا جَارِيْ ... أَنَا عَبْدٌ لِسَيِّدِ الأَنْصَارِ
هُوَ خِلِّي وَسَيِّدِيْ وَنَسِيْبِيْ ... وَرَفِيْقِيْ فِيْ أَشْرَفِ الأَسْفَارِ
وَصَدِيْقِيْ مِنْ مَكْتَبِيْ ثُمَّ جَارِيْ ... فِيْ حُقُوقٍ تَجِلُّ عَنْ إِحْصَارِ
فَأَجِبْنِيْ يَا سَيِّدِيْ عَنْ مَقَالِيْ ... بِبَلاَلٍ مِنْ بَحْرِكَ الزَّخَّارِ

وكتب إلى كمال الدين، وقد بالغ في إحسانه: [من الطويل]

/ ٢٥أ/ مَلَكْتَ كَمَالَ الدِّيْنِ رِقِّيْ وَإِنَّنِيْ ... لأَفْخَرُ أَنْ أَصْبَحْتُ أُدْعَى بِعَبْدِكَا
وَمَا زِلْتَ بِالإِحْسَانِ حَتَّى مَلَكْتَنِيْ ... فَلاَ زِلْتُ مَمْلُوْكاً وَلاَ زِلْتَ مَالِكَا

راوي هذه الأبيات عن قائلها شمس الدين إسماعيل بن سودكين.

[١٤]

إبراهيمُ بنُ محمود بن أحمدَ بن حمزةَ بن أبي عليٍّ، أبو إِسحاق الشيرازيّ، المعروفُ بابن الميراثيِّ.

نسبةً إلى الميراث.

كانت ولادته ليلة الاثنين سادس صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة. كان فقيهًا عالمًا أصوليًا شاعراً؛ وهو من أبناء الرؤساء، وبيتهم أكبر بيت بشيراز.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي ـ رحمه الله ـ قال: أنشدني إبراهيم بن محمود الميراثي لنفسه جواب كتاب ورد عليه من بعض أصدقائه: [من الوافر]

أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ نَفَـسِ الصَّبَـاحِ ... وَأَشْهَـى مِـنْ مُـلَاقَـاةِ الصِّبَـاحِ
وَأَطْيَـبُ رَشْفَـةً وَأَلَـذُّ طَعْمـاً ... مِـنَ الصَّهْبَـاءِ بِـالمَـاءِ القُـرَاحِ
/ ٢٥ب/ كَـلَامٌ مِـنْ نَـوَاحِيكُـمْ أَتَـانِـي ... أَلَا يَـا حَبَّـذَا تِلْـكَ النَّـوَاحِـي
أَلَا أَبْلِـغْ تَحِيَّـاتِـي وَشَـوْقِـي ... أَبَـاكَ القَـرْمَ ذَا الكَـرَمِ الصُّـرَاحِ
فَـإِنَّ أَبَـاكَ خَيْـرُ الخَلْـقِ خُلْقـاً ... وَأَعْلَمُهُـمْ بِـأَسْبَـابِ النَّجَـاحِ
مَـوَالِـيَّ اذْكُـرُونِـي فِـي دُعَـاءٍ ... فَـإِنَّ دُعَـاءَكُـمْ أَمْضَـى سِـلَاحِ
فَـلَا تَنْسَـوا لَـدَى الطَّيَـرَانِ طَيْـراً ... غَـدَا فِـي الفَـخِّ مُنْكَسِـرَ الجَنَـاحِ

وأنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني ابن الميراثي لنفسه: [من الطويل]

حَيَـاءً فَمَـا بَعْـدَ المَشِيْـبِ غَـرَامُ ... وَصَحْـواً فَمَـا بَعْـدَ الصَّبَـاحِ مَنَـامُ
أَعِـدْ نَظَـراً فِـي الـدَّهْـرِ تُبْصِرْ صُرُوفَـهُ ... لَـوَامِـعَ آلٍ مَـا لَهُـنَّ دَوَامُ

وله: [من الكامل]

هَـلْ لِلْفُـؤَادِ مِـنَ الغَـرَامِ مُخَلِّـصُ ... أَمْ جَـوْرُ ذَاتِ الخَـالِ يَـوْمـاً يَنْقُـصُ
لَا بَـلْ تَمَـادَىٰ فِـي الكَمَـالِ كِـلَاهُمَـا ... فَـالقَلْـبُ بَيْـنَ الحَـالَتَيْـنِ مُنَغَّـصُ

وقال: [من الكامل]

دَارٌ حَلَلْـتَ بِهَـا وَأَيَّـةُ دَارِ ... مَغْنَـى النُّجُـومِ وَمَنْـزِلُ الأَقْمَـارِ
/ ٢٦أ/ مَـرَّتْ بِنَـا فَـإِذَا رَأَتْنِـي أَعْـرَضَـتْ ... حَـذَراً مِـنَ الـرُّقَبَـاءِ وَالنُّظَّـارِ

ومنها:

نَظَـرَتْ فَـلَاحَ ضَمِيْـرُهَـا فِـي عَيْنِهَـا ... إِنَّ العُيُـوْنَ طَـلَائِـعُ الأَسْـرَارِ

[١٥]

إبراهيمُ بن المظفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن سلمانَ، المعروف بابن البَرْنيِّ، أبو إسحاق بن أبي منصور الموصليُّ المولد، البغداديُّ المنشأ والأصل[١].

(١) ويلقب بالحربي، نسبة إلى الحربية وهي محلة كبيرة ببغداد، قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل =

رأيتُهُ شيخًا قصيراً نقي الشيبة، ضعيف العينين. كانت ولادته في أيام التشريق من سنة ست وأربعين وخمسمائة. وتوفي بها أول يوم من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ودفن غربها ظاهر البلدة بمقبرة المعافىٰ بن عمران ـ رضي الله عنهما ـ إلىٰ جانب الشيخ عمر بن محمد بن الخضر الملاّء الموصلي.

وكان واعظًا فقيهًا علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث الكثير علىٰ مشايخ دار السلام؛ كأبي محمد بن الخشاب النحوي، وأبي الفرج ابن الجوزي، وعبد المغيث بن زهير الحربي، وغيرهم من شيوخ الحديث. واشتغل بفن الوعظ وبرع فيه. /٢٦ب/ وكان يعظ الناس.

نزل الموصل وسكنها، واتصل بأبي القاسم علي ابن مهاجر الموصلي[١]، وفوَّض إليه دار الحديث التي أنشأها بباب سكّة أبي نجيح، وانتفع بصحبته واشتهر اسمه. وكان يسمع الحديث بالدار المذكورة ويفتي علىٰ المذهب الأحمدي. وصنَّف مصنفات كثيرة، وله أشعار ساقطة.

شاهدته مراراً عدّة، وحضرت مجلس وعظه، ولم يتفق لي الرواية عنه.

أنشدني تلميذه محمد بن منصور بن دبيس الموصلي، قال: أنشدني أبو إسحاق ابن البرني لنفسه: [من المجتث]

لَا تَشْغَلَنْكَ خَلُوْبٌ ... بِذَاتِ فَرْعٍ أثِيْثَ
عَنِ التَشَاغُلِ بِالفِقْهِ ... وَاسْتِمَاعِ الحَدِيْث
فَالعِلْمُ خَيْرُ قَرِيْنٍ ... مُسْتَصْرَخٌ وَمُغِيْثُ

= «معجم البلدان ٢/ ٢٣٤».

ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ١٥٥ ـ ١٥٧. المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٣٦. التكملة للمنذري تسلسل ٢٠١٠. طبقات ابن رجب ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١. الوافي بالوفيات ٦/ ١٤٧. تاريخ ابن كثير ١٣/ ١٠٩ ـ ١١٠. شذرات الذهب ٥/ ٩٩. لسان ابن حجر ١/ ١١١. العبر للذهبي ٥/ ٨٩. المشتبه ص١٣، ١٠٠.

(١) علي بن محمد بن علوان بن مهاجر التكريتي الموصلي، معين الدين، الوزير بسنجار، من أولاد الأكابر وأهل الفضل.
ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٣٩٦.

فــلا تَبْعُــهُ بِجَهْــلٍ مــا بُليــتَ كَحَيْــثُ

وأنشدني أبو علي الحسن بن محمد بن يحيىٰ بن شمير الموصلي، قال: أنشدنا ابن البرني لنفسه، يرثي الأمير مودود / ١٢٧أ/ ابن المراق ويُعزّي أخوته وأقاربه:

[من الخفيف]

طَـالَ يَـوْمِـي وَطَـالَ بِـيَ التَّسْهِيْـدُ ... مُنْـذُ قَـالُـوا: أَوْدَىٰ الفَتَـىٰ مَـوْدُوْدُ
وَٱعْتَـرَتْنِـي وَسَـاوِسٌ شَيَّبَتْنِـي ... لَـوْ دَرَىٰ بَعْضَهَـا لَشَـابَ الـوَلِيْـدُ
رَاعَنَـا بِـالفِـرَاقِ وَهْـوَ الـوَدُوْدُ ... وَٱرْتَعَـىٰ جَـانِبَيْـهِ تُـرْبٌ وَدُوْدُ
وَفَقَـدْنَـا لِفَقْـدِهِ لَـذَّةَ العَيْـشِ ... فَصَبْـرُ الصَّبُـوْرِ مِنَّـا فَقِيْـدُ
غَـائِـبٌ غَـابَ مَـالَـهُ مِـنْ إِيَـابٍ ... خَـابَ فِيْـهِ الـرَّجَـاءُ لَيْـسَ يَعُـوْدُ

وهي طويلة.

[١٦]

إبراهيمُ بن محمد بن إبراهيمَ بن عليٍّ بن نصر الله، أبو إسماعيلَ المعروف بابن دنينير المَوصليُّ اللخميُّ ثم القابوسيُّ[(١)].

من أهل الموصل. هكذا قرأت نسبه بخط يده.

---

(١) مرّت ترجمته مكررة برقم ١٢ من هذا الجزء. وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن علي بن هبة الله بن يوسف بن نصر بن أحمد اللخمي القابوسي الموصلي، من أهل الموصل، من ولد قابوس الملك ابن المنذر بن ماء السماء، أبو إسماعيل، المعروف بابن دنينير: شاعر، كان في خدمة الأمير أسد الدين أحمد بن عبد الله المهراني، وله فيه مدائح. واتصل سنة ٦١٤ بخدمة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن العادل أبي بكر محمد بن أيوب، المتوفى سنة ٩٣٥هـ. له «ديوان شعر ـ خ» يُعرف منه أنه بدأ بنظم الشعر سنة ٦٠٦هـ أو قبلها بقليل وسافر إلى الديار المصرية والبلاد الشامية وامتدح جماعة من ملوكها وكبرائها. وكان سيىء العقيدة يتظاهر بالإلحاد والفسق. ووجد في أوراقه كلام رديء في حق الله سبحانه وتعالى وكفريات وأهاج في الملوك، فأخذه الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل، وصلبه في السبيتة (قلعة قريبة من بانياس). وله عدا ديوانه، كتب، أحدها في «علم القوافي»، وكتاب «الشهاب الناجم في علم وضع التراجم» و«الفصول المترجمة عن علم حلّ الترجمة».

له ديوان شعر مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق، انظر فهرسها ١٤٧.

كما حقق ديوانه، جاسم محمد جاسم ونال به شهادة الدكتوراه من كلية الآداب ـ جامعة بغداد عام ١٩٨٧.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ١٢٦. الأعلام ١/ ٦٢.

رأيته غير مرة. كان شابًا أشقر مشربًا بحمرة، مقرون الحاجبين، جميل الصورة؛ وله منظر.

اشتغل بشيء من الأدب علىٰ أبي الحرم مكي بن ريان النحوي، وكتب خطًا حسنًا. وعرف علم النحو معرفة جيدة، وفهم حلّ التراجم، وقال الشعر، ورحل به إلىٰ الملوك؛ إلاّ أنه كان /٢٧ب/ رديء الاعتقاد، يتهاون بالدين والصلاة، ويطعن في الشريعة والإسلام، ويتظاهر بالإلحاد والفسق، ويصرُّ علىٰ شرب الخمر. وكان مع ذلك بغيضًا إلىٰ الناس، ممقوتًا عندهم لما يرونه سالكًا طريق القبائح والأشياء المنكرة.

سافر إلىٰ الديار المصرية والبلاد الشامية، وامتدح جماعة من ملوكها وكبرائها. وبلغني أنه قتل سنة سبع وعشرين وستمائة؛ وسبب ذلك أنَّ بعض من كان يخالطه عثر له علىٰ أوراق تتضمن كلامًا رديئًا في حقّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ما يوجب قتله، وأهاج في الملوك وكفريات. فأخذه الملك العزيز عثمان بن الملك العادل وصلبه بالصبيبة ـ قلعة قريبة إلىٰ بانياس[1].

رأيتُهُ غير مرّة بالموصل، ولم آخذ عنه شيئًا لقلّة اهتمامي بهذا الشأن.

ووجدت له قصيدة بخط يده، قالها في الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب ـ رحمه الله ـ وأنشدنيها عنه أبو القاسم بن أبي النجيب /٢٨أ/ ابن أبي يزيد التبريزي، قال: أنشدني دنينير لنفسه: [من البسيط]

لَوْلاَ تَذَكُّرُ عَهْدٍ بِالحِمَىٰ سَلَفَا ... مَا فَاضَ دَمْعِيْ عَلَىٰ رَبْعٍ وَلاَ وَكَفَا
وَلاَ سَقَيْتُ رُبَىٰ الجَرْعَاءِ مِنْ إِضَمٍ ... دَمْعًا غَدَا يَوْمَ سَارَ الحَيُّ مُنْذَرِفَا
كَمْ لِيْ أُكَتِّمُ أَشْوَاقِيْ وَيُظْهِرُهَا ... سُقْمٌ بَرَىٰ أَعْظُمِيْ يَوْمَ النَّوَىٰ أَسَفَا
وَفِيْ الهَوَادِجِ لِيْ شَمْسٌ إِذَا بَرَزَتْ ... يَظَلُّ مِنْهَا جَبِيْنُ الشَّمْسِ مُنْكَسِفَا
لَوْلاَ النَّصِيْفُ يُوَارِيْ مِنْ أَشِعَّتِهَا ... لَمَا رَأَيْتَ بِمَرْأَىٰ وَجْهِهَا سُدَفَا
وَلَوْ بَدَا ثَغْرُهَا يَوْمًا رَأَيْتَ لَهُ ... بَرْقًا تَأَلَّقَ لِلأَبْصَارِ مُخْتَطِفَا

(١) في هامش الأصل: «وكانت ولادته في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة».

وَمُقْلَتَاهَا وخَدَّاهَا وطُرَّتُهَا — لَخلَتَ فيْ الوَجْهِ منْهَا رَوْضَةً أُنُفَا
حَتَّى نَأَتْ فَغَدَا لِي منْ قَطِيعَتِهَا — وبُعْدِهَا سَبَبَا قَتْل قَد ٱخْتَلَفَا
ٱلْفتُهَا وَنَأَتْ عَنِّي فَرُحْتَ بِهِ — حلْفَ الضَّنَى وَالمُعَنَّى كُلُّ مَنْ أَلفَا
لاَ أرْتَضِي عيْشَتِي منْ بَعْدِمَا تَرَكَتْ — يَدُ النَّوَى بَدَنِي طُولَ المَدَى دَنفَا
أبكِيْ دَماً بَعْدَ تَفْرِيْق الفَرِيق أسًى — منْ بَعْدهمْ وكَفَى جفْنيَّ مَا وكَفَا
يَا ذَا المَلاَمَةِ فيْهمْ لَمْ تُعَنِّفُنِي — إنَّ الصَّفَا لَوْ رَأَى حَالِي بهمْ لَصَفَا
دَعْنِي أُكَابِدُ بَرْحَ الحُبِّ فِي كَبِدٍ — جَرَى وَأنْدُبُ رَبْعًا قَدْ خَلاَ وعَفَا
وَأَسْتَقِلُّ بِعبْءٍ لَوْ تَحَمَّلَهُ — رَضْوَى لأَوْهَاهُ حَتَّى كَلَّ أوْ ضَعُفَا
/ ٢٨ب/ كَشَفَتُ سِتْرَ هَوَاهُمْ بِالصُّدُوْدِ كَمَا — غَازِي بْنِ يُوْسُفَ طُرْقَ الجُوْدِ قَدْ كَشَفَا
مَلْكٌ إذَا عُدِمَ الأَجْوَادُ كُلُّهُمُ — كَانَتْ فُضَالَةُ مَا يُوْلِي لَهُمْ خَلَفَا
تَنَقَّلَ الجُوْدُ لَمْ يَبْلُغْ لَدَى أحَدٍ — مدًى فَحِيْنَ تَنَاهَى عِنْدَهُ وَقَفَا
لُطْفٌ يُنِيْلُكَ مَا تَرْجُو وَيكْنُفُهُ — بَأسٌ فُؤَادُ اللَّيَالِي مِنْهُ قَدْ رَجَفَا
فيْ كُلِّ يَوْمٍ يَرَى مِنْ فَيْضِ أنْعُمهِ — مَا لا رَأَى مِثْلَهُ جُوْداً وَلاَ عَرَفَا
قَالُوا: غَدَا الكَرَمُ المَوْصُوفُ مِنْهُ يَداً — لِمَا ٱسْتَعَدَّ بِهِ يَوْمًا وَلاَ وَصَفَا
أسْتَوْدِعُ اللهَ مَنْ سَارَتْ رَكَائِبُهُ — عَنِّي فَأوْدَعَنِي مِنْ بَعْدِهِ أسَفَا
جَادَ الزَّمَانُ عَلَى حِيْنِ بِرُؤْيَتِهِ — وَكَانَ مِثْلَ خَيَالٍ فِي الكَرَى خَطَفَا
أَمُرٌّ عَيْشِيَ مَنَّاهُ وَكَدَّرَهُ — منْ بَعْدِ مَا كَانَ فِيْهِ قَدْ حَلاَ وَصَفَا
فَرُحْتُ أُوْسِعُ دَهْرِي مِنْ جوًى وَهَوًى — حَمْداً وَذَمًّا لِمَا أوْلَى وَمَا ٱقْتَرَفَا
يَا ٱبْنَ المُلُوكِ الألَى لَوْلاَ مَآثِرُهُمْ — لَمْ يُوجَدِ الجُوْدُ مَأثُوراً وَلاَ عُرِفَا
البَاذِلِي عُرْفَهُمْ وَالسُّحْبُ مُخْلِفَةٌ — وَالمَانِعِي جَارَهُمْ وَالدَّهْرُ قَدْ جَنَفَا
مَا أَشْرَفَتْ مِنْ هِضَابِ المَجْدِ مَنْزِلَةٌ — إلاَّ تَعَالَوا عَلَى هَامَاتِهَا شُرَفَا
فَرَّقْتَ وَفْرَكَ فِي الدُّنْيَا فَعَادَ وَقَدْ — أَعَادَ مَجْدَكَ مَوْعُوداً وَمُؤْتَلَفَا
ذَكَاؤُكَ الصُّبْحُ إنْ لَيْلُ الشُّكُوْكِ دَجَا — وَبَأسُكَ الجَارُ إنْ رَسْمُ الجِوَارِ عَفَا
/ ٢٩أ/ إنْ يَدَّعِي الفَخْرَ أقْوَامٌ فَحَقُّكُمُ المَوْرُوْثُ مُتَّلَداً مِنْهُ وَمُطَّرَفَا
ألَسْتَ مِنْ مَعْشَرٍ نَادَتْ مَكَارِمُهُمْ — فِي النَّاسِ إنَّ مُحَيَّا الجُوْدِ قَدْ كُشِفَا
مِنْ آلِ أيُّوبَ حَيْثُ المُلْكُ مُنْسَبِلٌ — وَالحَمْدُ مُغْتَنَمٌ وَالظِّلُّ قَدْ وَرَفَا

قَـوْمٌ إِذَا أَسْـرَفُـوا فـيْ البَـذْلِ مـنْ كَـرَمٍ ... لَـمْ يُتْبِعُـوا مَنَّهُـمْ بَـذْلاً وَلاَ سَـرَفَـا
فَلَـوْ قَفَـتْ حَـادثَـاتُ الـدَّهْـرِ نَهْجَهُـمْ ... لَـمْ يُخْتَلَـفْ فـيْ مَجَـارِيْهَـا وَلاَ ٱخْتُلِفَـا
أُدْنَيْـتَ حَظِّـيَ إِذْ أُدْنَيْـتَ مَنْـزِلَتِـيْ ... فَعَـادَ عَنِّي صُرُوْفُ الـدَّهْـرِ قَـدْ صَـرَفَـا
كَلِفْـتَ بِـالجُـوْدِ إِذْ لَـمْ تُلْـفَ مُبْتَهِجًـا ... بِغَيْـرِهِ وَجَـدِيْـرٌ أَنْ تُـرَىٰ كَلِفَـا
لاَ تُنْكِـرَنْ فِيْـكَ أَيَّـامِـيْ عَلَـىٰ بَخَـلٍ ... وَٱغْفِـرْ [فَـدَيْتُـكَ] ذَنْبًـا عِنْـدَهَـا سَلَفَـا
فَـٱمْـدُدْ إِلَـيَّ بِعَيْـنِ العَفْـوِ عَـنْ زَلَلِـيْ ... فَـأَنْـتَ مِمَّـنْ إِذَا ٱسْتَغْـوَىٰ الجَهُـوْلُ عَفَـا
فَمَـا تَخَلَّفْـتُ عَـنْ تَـوْدِيْعِكُـمْ طَمَعًـا ... فـيْ أَنْ أَرَىٰ مَـنْ زَمَـانِـيْ عَنْكُـمْ خَلَفَـا

وكتب إلىٰ الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

[من الطويل]

أَيَـا شَـرَفَ الـدِّيْـنِ الَّـذِيْ سُـوْقُ مَجْـدِهِ ... بِمَعْـرُوْفِـهِ بَيْـنَ البَـرِيَّـةِ نَـافِـقُ
وَيَـا مَـنْ عَطَـايَـاهُ إِذَا ضُـنَّ بِـالنَّـدَىٰ ... تُقَصِّـرُ عَنْهُـنَّ الغُيُـوْثُ الـدَّوَافِـقُ
إِذَا شِمْـتُ بَـرْقًـا مِـنْ جَمِيْـلِ خِـلاَلِكُـمْ ... شَمَمْـتُ لَكُـمْ عَـرْفًـا لَـهُ المَجْـدُ فَـاتِـقُ
/ ٢٩ب/ لَئِنْ كَانَ شُكْرِيْ فِيْ مَعَالِيْكَ صَامِتًا ... فَعُـذْرِيْ بِعَجْـزِيْ عَـنْ صِفَـاتِـكَ نَـاطِـقُ
وَمَـا غَـايَـةُ المُثْنِـيْ وَفِيْـكَ خَـلاَئِـقٌ ... تُقَصِّـرُ عَـنْ أَوْصَـافِهِـنَّ الخَـلاَئِـقُ

وقال: [من السريع]

قَـابَلَنِـيْ لَيْلَـةَ قَبَّلْتُـهُ ... ظَبْـيٌ مِـنَ الشَّمْـسِ غَـدَا أَمْلَحَـا
طِيْـبُ نَسِيْـمٍ بَيْـنَ أَنْيَـابِـهِ ... لَـوْ رَقَـدَ المَخْمُـوْرُ فِيْـهِ صَحَـا

[١٧]

إبراهيمُ بن عليٍّ بن محمود بن هبةَ بن أحمدَ بن يوسفَ بن أبي طَالبِ بن عبد الرحمن بن عليٍّ، أبو إسحاق الكَفَرعزِّيُّ الإربليُّ(١).

ابن عمِّ القاضي أبي محمد جعفر بن محمد بن محمود الكَفَرعزِّيِّ.

---

(١) ورد ذكره في: تأريخ إربل ١/ ٩٠. وكفرعزي نسبة إلى كفَرْعزّا: قرية من قرى إربل، بينها وبين الزاب الأسفل. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٧٠.

حدثني الصاحب أبو البركات في تاريخه، قال: توفي أبو إسحاق بإربل ليلة الجمعة تاسع شهر رمضان سنة عشرين وستمائة. ووصىٰ أنْ يحمل إلى كفر عزّة ويدفن بها ومولده كان فيها ـ فحمل ودفن بها.

ثم قال: وذكر لي القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الكفرعزّي: أن عمره خمس وثمانون سنة.

وأنشدني الصاحب أبو البركات، قال: أنشدني أبو إسحاق /٣٠أ/ لنفسه: [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ مَـا فعْـلُ الأُسُـوْدِ إذَا اْعْتَـدَتْ ... وَلاَ السَّمْهَـرِيَّـاتِ العَـوَالِـيْ وَلاَ الظُّبَـا

كَمَـا تَفْعَـلُ الأَشْـوَاقُ فِـيْ قَلْـبِ وَامِـقٍ ... إذَا حَـنَّ يَـوْمـاً لِلْمَعَـالِـمِ أوْ صَبَـا

[١٨]

إبراهيم بن عليّ الإربليُّ.

أنشد هذه القصيدة القاضي السعيد العالم جمال الإسلام شرف السادة بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب، قال: أنشدني إبراهيم بن علي الإربليّ لنفسه: [من الوافر]

لَئِـنْ صَـدَقَـتْ سُعَـادُ فِـيْ المَقَـالِ ... وَلَجَّـتْ فِـيْ القَطِيْعَـةِ وَالـدَّلاَلِ

وَنَفَّـرَهَـا مَشِيْبِـيْ فَـاسْتَـرَابَـتْ ... وَكَـانَـتْ لاَ تَحِيْـدُ عَـنِ الـوِصَـالِ

وَلَـمْ أصِـلِ الخَـرَائِـدَ كَـاعِبَـاتٍ ... وَقَـدْ غَفَـلَ الـرَّقِيْـبُ عَـنِ السُّـؤَالِ

خَلِـيَّ القَلْـبِ مِـنْ فِكْـرٍ وَهَـمٍّ ... يُقَلْقِلُنِـيْ وَمِـنْ دَاءٍ عُضَـالِ

وَمَـا تَـرَكَ المَشِيْـبُ عَلَـيَّ حَـالاً ... تَمِيْـلُ إلَيْـهِ رَبَّـاتُ الحِجَـالِ

فَمَـا أخْشَـىٰ إذَا مَـا كَـانَ عَـوْنِـيْ ... بَهَـاءُ الـدِّيْـنِ مِـنْ غِيَـرِ اللَّيَـالِـيْ

فَتًـى كَـالبَـدْرِ يَـزْهُـو حِيْـنَ يَسْمُـوْ ... لَيَـالِـيَ تَمِّـهِ عِنْـدَ الكَمَـالِ

/٣٠ب/ تَصَـدَّىٰ لِلْعُـلاَ مُـذْ كَـانَ طِفْـلاً ... وَهَـا هُـوَ بِـالعُـلاَ وَالمَجْـدِ حَـالِـيْ

يَجِـلُّ عَـنِ القِيَـاسِ بِكُـلِّ فَـنٍّ ... وَيَكْبُـرُ أنْ يُمَثَّـلَ فِـيْ مِثَـالِ

وَلَـوْ جَـارَاهُ حَـاتِـمُ فِـي نَـوَالٍ ... كَبَـا مِـنْ حَيْـثُ يَجْـرِيْ فِـيْ المَجَـالِ

لَـهُ هِمَـمٌ تَجِـلُّ عَـنِ العَـوَالِـيْ ... وَتُـزْرِيْ بِـالمُهَنَّـدَةِ الصِّقَـالِ

أمِيْــنُ المُلْــكِ فــيْ الأشْيَــاءِ جَمْعــًا ... صَــدُوْقٌ فــيْ المَقَــالِ وَفــيْ الفِعَــالِ
لَــهُ قَلَــمٌ بِــهِ الأرْزَاقُ تَجْــرِيْ ... وَفــيْ الأعْــدَاءِ تَجْــرِيْ بِــالنَّكَــالِ
تَخَــالُ مِــدَادَهُ سُــمَّ الأفَــاعِــيْ ... وَشَقَّــةَ رَأْسِــهِ حَــدَّ النِّصَــالِ
فَقَــدْ يُغْنــيْ عَــنِ الأسْيَــافِ فِيْمَــا ... يُسَطِّــرُهُ وَعَــنْ سُمْــرِ العَــوَالــيْ
إلَيْــهِ شَــدَدْتُ أكْــوَارَ المَطَــايَــا ... مُجَنَّحَــةً لِسَيْــرِيْ وَٱرْتِحَــالِــيْ
وَلَيْــسَ إلَــىٰ سِــوَاهُ مَــدَدْتُ كَفًّــا ... لأنَّ عَلَــىٰ مَكَــارِمِــهِ ٱتِّكَــالِــيْ
أمَــوْلاَنَــا بَهَــاءَ الــدِّيْــنِ خُــذْهَــا ... مُهَــذَّبَــةً كَنَظْــمٍ بِــالَّــلآلِــيْ
يَــرُوْقُ النَّــاسَ مُسْمِعُهَــا بِلَفْــظٍ ... عَلَــىٰ الأسْمَــاعِ كَــالمَــاءِ الــزُّلاَلِ
بِــلاَ كَــدَرٍ وَلاَ نَظْــمٍ يَشِيْهَــا ... وَلاَ مضمــونــه طُــول المَطَــالِ
وَعِلْمُــكَ أيُّهَــا المَــوْلَــىٰ بِــأنِّــيْ ... كَمَــا تَخْتَــارُهُ العَبْــدُ المُــوَالــيْ
لِمَجْــدِكَ بَعْــدَ حَيْــدَرَةَ وَسِبْطَــيْ ... رَسُــوْلِ اللهِ وَالتِّسْــعِ التَّــوَالــيْ
/ ٣١أ/ وَلَسْــتُ لِغَيْــرِهِــمْ أهْــوَىٰ وَلَكِــنْ ... مُــدَارَةُ الــزَّمَــانِ عَلَــىٰ الــرِّجَــالِ
وَلاَ بَــرِحَــتْ نُجُــوْمُــكَ فــيْ سُعُــوْدٍ ... وَلاَ أذِنَــتْ سُعُــوْدُكَ بِــانْتِقَــالِ

[١٩]

إبراهيمُ بن عمرَ، أبو إسحاق الجزريُّ، المعروفُ بابن الزرقاء.

من أهل الجزيرة العمرية(١).

كان يعلّم الصبيان ويتردد إلىٰ الأمراء يعلّم أولادهم الخط. وكان يكتب الخط الحسن، ويقول شعراً طيبًا سهلاً؛ يضمنه المجون والهزل، ويعرف الحكايات النادرة. ويحضر مجالس الكبراء والصدور، ويقبلون عليه ويكرمونه لظرفه وحسن محاضرته، ويتنافسون فيه لدماثة أخلاقه. وكان مع ذلك حافظًا للقرآن الكريم، ذا دين متين وخير وصلاح، مغرًى بالزواج لا يصبر عن ذلك.

---

(١) وهي جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب، يحيط بها دجلة إلاّ من ناحية واحدة شبه الهلال، فعمل له خندق أُجري فيه الماء فأحاط الماء بها. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٣٨.

أنشدني الأمير أبو المفاخر بدران بن فتوح بن سلطان العقيلي بمحروسة حلب ـ بخانكاه القصر ـ وكان وردها رسولاً في سنة سبع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر المعلم الجزري لنفسه ما كتبه إلىٰ والدي / ٣١ب/ وكان قد أحاله بشيء من النفقة علىٰ غلام له اسمه أحمد فعوّقها عليه:

[من مجزوء الرجز]

يَا مَنْ رَقَىٰ إِلَىٰ العُلاَ ... وَالمَجْدِ أَعْلَىٰ طَبَقَهْ

وَمَنْ تُرَىٰ غُرَّتَهُ ... مِثْلَ الهِلاَلِ مُشْرِقَهْ

إِعْلَمْ بِأَنَّ أَحْمَداً ... هَذَا النَّقِيفُ العَنْفَقَهْ

لِحَالَةٍ تَعْلَمُهَا ... عَوَّقَ عَنِّي النَّفَقَهْ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني المذكور لنفسه، وقد أحضرته زوجته إلىٰ مجلس القاضي وشكت منه ما يضع في حقّها: [من الكامل]

يَا سَيِّدِيْ القَاضِي وَيَا زَيْنَ الوَرَىٰ ... لِيْ زَوْجَةٌ وَأُرِيْدُ مِنْكَ تَصُكُّهَا

آتِي لَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً ... رَأْسَيْنِ مِنْ قَبْلِ الصَّبَاحِ تَفُكُّهَا

وَالظُّهْرَ آتِيْ الدَّارَ أَطْرَحُ عِنْدَهَا ... رَطْلَيْنِ مِنْ سَمَكٍ تَقُوْمُ تَحُكُّهَا

وَشَرَائِحًا . . . . . فِيْ سَفُّوْدِنَا ... عِنْدَ العَشَاءِ تَقُوْمُ فِيْهِ تَشُكُّهَا

وَإِذَا أَتَانَا اللَّيْلُ أَضْرِبُ خَرْقَهَا ... حَتَّىٰ الصَّبَاحِ وَبَعْدَ ذَاكَ أُبُكُّهَا

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أبو إسحاق لنفسه / ٣٢أ/ من أبيات:

[من المتقارب]

تَزَوَّجْتُ إِمْرَأَةً مغنيه ... وَكَانَتْ بِطَلْعَتِهَا مُفْتِنَهْ

وَلَكِنَّهَا عِنْدَ شُغْلٍ يَكُوْنُ ... تَقَاصَرُ عَنْهُ وَتُبْدِي السِّنَهْ

وبعد ذلك هذا البيت مضمَّن:

دَعُوْهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيْرُهُ ... سَيَضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَهْ

[٢٠]

إبراهيمُ بن أحمد بن صبح، أبو محمدٍ البغداديُّ، المدعو بالمعين الصوفيُّ، ويعرفُ بابن غزالة.

استقر مقامه بمدينة حلب وتدبيرها، وأولد بها. وكان دلاّل الكتب، ومعيشته منها؛ وله شعر طيِّب يصدر عن طبع صحيح فيه سهولة.

وكان نازلاً بخانكاه القصر ـ وله فيها جراية ونصيب، تصل إليه في كل يوم كعادة الصوفية، فتولّىٰ الخانكاه رجل يعرف بالمخلص بن شمس الرؤساء فأظهر السياسة، وكلّف المتصوفة الذين هم مقيمون في الخانكاه الملازمة ومنعهم / ٣٢ب/ من الخروج، وشرط عليهم أنْ لا يخرج أحد منهم. وإذا أردا أحدهم حاجة أنفذ الفراش فقضاها، ومن تعدّىٰ هذا الشرط يُهان ويؤدّب؛ فثقل ذلك علىٰ الصوفية وامتعضوا منه، وضاق عليهم هذا الأمر الذي سامهم إليه. وكان المعين له عيال لم يمكنه الملازمة والدخول تحت هذا الشرط لأجل عياله والتكسب لهم في تحصيل ما ينفقه عليهم؛ ورأىٰ أنَّ الأمر قد اشتدّ وأن لا مخلص له منه. نهض وطوىٰ سجادته، وحمل قماشه من الخانكاه، وخرج منها إلىٰ منزله، فأنشأ قصيدة يذكر فيها شرح أحواله وأنفذها إلىٰ السلطان غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله ـ فأنشدت بين يديه فاستملحها، وأمر له بخمسمائة درهم، خلعة حسنة وجبة وبقيار ورسم أن يُلْبسَهُ الخلعةَ بيده المخلصُ بن شمس الرؤساء، وأن يجريَه علىٰ ما كان عليه، ويبسط سجادته في الخانكاه.

وكانت وفاته في سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين وستمائة بحلب، والقصيدة أنشدنيها / ٣٣أ/ أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبي نصر البغدادي الصوفي بخانكاه القصر ـ تحت القلعة المحروسة ـ يوم الإثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أخي لأمي أبو محمد إبراهيم بن صبح البغدادي الصوفي لنفسه: [من المنسرح]

يَـا أَهْـلَ بَغْـدَادَ عِنْـدَكُـمْ خَبَـرِيْ ... تُبْـتُ عَـنِ الـرُّبْـطِ وَانْقَضَـىٰ وَطَـرِيْ

لاَ مَلَـلاً مِلْـتُ عَـنْ جَـوَانِبِهَـا ... وَلاَ تَـأَلَّمْتُهَـا مِـنَ الضَّجَـرِ

وَكَيْفَ أَسْلُو عَمَّنْ رُبِيْتُ بِهَا ... رَضِيْعَ ثَدْيِ الآيَاتِ والسُّوَرِ
وَطَالَ وَاللهِ مَا خَلَوْتُ بِهَا ... أَجْمَعُ شَمْلَ العِشَاءِ بِالسَّحَرِ
مَعْ فِتْيَةٍ رَاقَبُوا الدُّجَى زَمَنًا ... حَتَّى صَفَوا عَنْ مَآثِمِ البَشَرِ
عَلَى السَّجَاجِيْدِ سَاجِدِيْنَ كَمَا ... يَنْقَضُّ شُهْبُ السَّمَاءِ بِالشَّرَرِ
صَاحَبْتُ مِنْهُمْ كُلَّ ابْنِ مُنْجِبَةٍ ... يَسْقِي رِيَاضَ الإِيْمَانِ بِالخَفَرِ
إِذْ كُنْتَ فِي صُحْبَةِ الشِّهَابِ أَبِي ... القَاسِمِ شَيْخِ الشُّيُوخِ فِي سَفَرِيْ
وَخِرْقَةُ الأَصْلِ مِنْ تَبَرُّكِ رُكْنِ الدِّيْنِ قَدْ فُصِّلَتْ عَلَى قَدَرِيْ
وَكَمْ حَمَلْتُ الزَّبِيْلَ مُجْتَهِداً ... أُكْبِرُ نَفْسِي فِي البَدْوِ وَالحَضَرِ
أَنَا المُعِيْنُ الصُّوْفِيْ وَآبَائِي ... بُدِّلْتُ بَعْدَ الصَّفَاءِ بِالكَدَرِ
/ ٣٣ب/ قَدْ كُنْتُ إِذْ نَغَّمَ المُشَبِّبُ بِالزِّيْرِ وَغَنَّى اللَّطِيْفُ الجَزَرِيْ
أَدُوْرُ مِثْلَ الدُّوْلابِ فِي فَلَكِ الوَجْدِ وَخُبْرِيْ يُنْبِيْكَ عَنْ خَبَرِيْ
يَا أَهْلَ وُدِّي القَدِيْمِ فِي خَانِكَاه ... القَصْرِ مَا زَاغَ عَنْكُمُ بَصَرِيْ
فَهَلْ كَرِيْمُ الطِّبَاعِ يَقْبَلُ إِنْ ... أَمْكَنَ فِيْمَا أَقُوْلُ مِنْ عُذُرِيْ
وَلِي عِيَالٌ إِذَا تَأَمَّلَهُمْ ... إِنْسَانُ عَيْنِي يُغْنِي عَنِ النَّظَرِ
مِثْلُ فِرَاخِ القَطَا إِذَا دَرَجُوا ... أَحْنُوا عَلَيْهِمْ مِنْ شِدَّةِ الحَذَرِ
إِنْ عِشْتُ عَاشُوا أَوْ مُتُّ فِي دَعَةٍ ... حَيَاتُهُمْ تُسْتَمَدُّ مِنْ عُمُرِيْ
فَارْثُوا . . . . . لَهُ المُخَالِفُ فِي القَفَصَةِ . . . . . أَشْمَطُ الشَّعَرِ
. . . . فِي أَثَرِيْ
إِنْ طَالَبَتْنِي بِالنَّظْمِ قُلْتُ لَهَا ... مُسْتَتِرَاتِي فِي السَّمْتِ فَاصْطَبِرِيْ
تَقُوْلُ لِي لِمْ مُنِعْتَ عَنْ خَانِكَاه القَصْرِ هَلْ زَلَّةٌ عَلَى كِبَرِ
فَقُلْتُ لا وَالَّذِيْ يُطِيْلُ لَكَ العُمْرَ وَحَقِّ المَبْعُوْثِ مِنْ مُضَرِ
مَا مِلْتُ عَنْ مَذْهَبِ الكِتَابِ وَلا السُّنَّةِ مَعْ قَيْنَةٍ وَلا وَتَرِ
بَلْ قِيْلَ لِي: هِيَ الجَنَّةُ الفَيْحَاءُ ... فَاخْرُجْ مِنْهَا إِلَى سَقَرِ
أَلا تَقَنَّعْتَ بِالنِّعَالِ وَمَا ... يَجْمُلُ لُبْسُ القِنَاعِ بِالبَقَرِ
/ ٣٤أ/ يَا أُمَّ خَشْفٍ إِنْ كُنْتِ صَاحِبَتِي ... لا تَعْتُبِي لِلزَّمَانِ وَاعْتَبِرِيْ
قَالَتْ: بِغَازِيْ بْنِ يُوْسُفَ المَلِكِ الظَّاهِرِ تُكْفَى مَؤُوْنَةَ الحَذَرِ

أَمْ عُلاَهُ حَتَّىٰ تَرَىٰ مَلِكاً ... يُغْنِيْكَ فِي دَسْتِهِ عَنِ القَمَرِ
كَالبَحْرِ حَدِّثْ عَنْهُ وَلاَ حَرَجٌ ... وَهْوَ بِحَارُ الأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ

[٢١]

إبراهيمُ بن عيسىٰ بن المعلَّىٰ بن مسلمةَ، أبو إسحاق الرافقيُّ[١].

شاعر فاضل. وكان والده من كبراء أهل الأدب والفضل؛ وسيأتي شعره مكانه من هذا الكتاب[٢]. وكان حيًّا في سنة خمس وستمائة.

صار إلي ديوان والده، وقد رتبه إبراهيم هذا وشرح ما فيه من الأمثال العربية والألفاظ اللغوية؛ كل ذلك يسنده إلىٰ والده.

وحدّثني القاضي أبو القاسم بن أبي جرادة، قال: قدم أبو إسحاق إبراهيم بن عيسىٰ حلب بعد الستين والخمسمائة، ومدح جماعة من أكابرها وأماثلها، وأنشأ خمسين مقامة. وفيها من نظمه قوله:

/ ٣٤ب/ لاَ يَأْمَنِ الدَّهْرَ خَلْقٌ فِي تَقَلُّبِهِ ... فَالدَّهْرُ بِالسُّوْءِ وَالمَكْرُوْهِ دَوَّارُ
أَعَزَّ قَوْماً لِئَاماً لاَ خَلاَقَ لَهُمْ ... وَذَلَّ فِيْهِ بِحُكْمِ اللهِ أَحْرَارُ
وَصَارَ ذُوْ العُسْرِ فِيْهِ مُوْسِراً صَلِفاً ... وَعَادَ فِيْهِ لَدَى الإِيْسَارِ إِعْسَارُ

وقال أيضًا مما ضمنها المقامات: [من الخفيف]

إِسْأَلِ العُرْفَ إِنْ سَأَلْتَ جَوَاداً ... لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الغِنَىٰ وَاليَسَارَا
لَيْسَ إِجْلاَلُكَ الكِبَارَ بِذُلٍّ ... إِنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصِّغَارَا

ومن شعره أيضًا فيها: [من السريع]

نَحْنُ الأُلَىٰ مَا أَمَّنَا قَاصِدٌ ... يَرْجُوْ النَّدَىٰ إِلاَّ مَنَحْنَاهُ
وَلاَ أَتَانَا خَائِفٌ يَشْتَكِي ... إِلاَّ أَزَلْنَا عَنْهُ شَكْوَاهُ

---

(١) نسبة إلى الرافقة، وهي بلد متصل البناء بالرقة، وهما على ضفة الفرات، بينهما مقدار ثلاثمائة ذراع، وقد خربت الرقة وصارت الرافقة هي المدينة التي تسمى الرقّة. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٥.

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٥٥٧.

[٢٢]

إبراهيمُ بن عمرَ بن عبد الله، أبو إسحاق الموصليُّ.

المعروفُ والدهُ بالقاتل، والدنبليِّ أيضًا ولم يكنْ دنبليًا، وإنما كان يتولّىٰ خدمة الدنابلة وأشغالهم وقضاء حوائجهم فنُسب إليهم.

وابنه أبو إسحاق / ٣٥أ/ هذا كان شابًا ضريراً، شيطانًا مريداً. استوطن مدينة حلب، وتديَّرها إلىٰ حينَ مماته بها في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد نيّف علىٰ الثلاثَين بشيء يسير ـ سامحه الله تعالىٰ وعفا عنه ـ.

يُنبز بالجَني. وكان ينبغي لهذا الفاضل أن يُسمىٰ الجنِّي ـ بتشديد النون ـ علىٰ ما خبرت من شأنه؛ لأنه كان يأتي بضروب من الغرائب، يبدعَ فيها، كأنَّ الجنّ قد أتت بها وعملتها، ويُغرب في أشياءَ يخترعها لم يأت بمثلها البصراء فكيف العميان. وكان آية في الذكاء والفطنة، حاذق الفهم، ثاقب الحس.

وبلغني أنه كان إذا حضر مجلسًا وفيه نفر يجتمعون فيتناول شمعًا مختلف الألوان، فيداخل يديه من تحت أثوابه لينفي الظنّ عنه، ويصوغ من ذلك الشمع تمثال فرس وصورة فارس فوقه، ويفرق تلك الألوان علىٰ الفرس حليًا منقوشًا من طوق وسفرسار وسرج ولجام ومهامز.

ثم يضع للفارس عدّة كاملة كسيف و . . . . وقوس ونُشّاب وما شاكل ذلك مستوفى، حتىٰ لم يكد يفوته من عدَّته شيء. / ٣٥ب/ ثم يبرزه ويعرضه علىٰ الحاضرين فلم يبقَ أحد منهم إلاّ ويُظهر التعجب من ذلك، ويستظرفه جداً، ويصفه بالذكاء والحذق.

وكان مع ذلك شديداً في نفسه، قوي القلب شجاعًا مقدامًا جريئًا. وأما مبلغه من العلم فكان شاعراً مطبوعًا، قارئًا حسنا. قرأ القرآن العزيز بالقراءات السبعة والشواذ، وتفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وفهم طرفًا من الفرائض والحساب والنجوم مع معرفة بالنحو والأدب.

وكان معاشراً خليعًا مُدمنًا شُرْبَ الخمر قليل الدين، تاركًا للصلوات الخمس،

مصرّاً علىٰ الفساد، يغنّي ويشبّب وينبسط. وكان إذا مشىٰ في الأسواق لم يستعن بحمل عصًا معه، ويعرف أزقة المدينة معرفة لم يعرفها أحد من ذوي البصائر مثله، ويهتدي فيها إلىٰ مسالك ومواضع كأنه قد ولد فيها، وتربىٰ بها، وله في ذلك حكايات عجيبة، ونوادر طريفة لم يمكن شرحها.

أنشدني إبراهيم بن عمر الموصلي المعروف بالجنّي لنفسه.

أنشدني أبو سالم بن علي بن أبي سالم المقرىء الحلبي، قال: /٣٦أ/ أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن عبد الله الموصلي الدنبليّ المعروف والده بالقاتل:

[من الكامل]

دَعْ رَسْمَ سَلْعٍ وَاللِّوَىٰ وَالأَجْرَعِ ... وَرُبَىٰ زَرُوْدَ وَالعَقِيْقِ وَلَعْلَعِ
كَانَ العَقِيْقُ بِهِمْ أَنِيْقًا مُونِقًا ... وَهُمُ بُدُوْرٌ طُلَّعٌ بِطُوَيْلِعِ
خَلَتِ المَغَانِيَ مِنْ مَغَانِيْهِمْ فَمَا ... يُجْدِيْ غَرَامُكَ بِادِّكَارِ الأَرْبُعِ
مَا لِيْ وَلِلأَطْلَالِ وَهْيَ عَوَاطِلٌ ... يَا صَاحِبِيْ فَذَرِ الدِّيَارَ وَنُحْ مَعِيْ
وَٱنْدُبْ عَلَىٰ فَقْدِ القَرِيْنِ تَأَسُّفًا ... وَاسْفَحْ عَلَىٰ سَفْحِ اللِّوَىٰ بِالأَدْمُعِ
وَٱقْرَ السَّلَامَ عَلَىٰ المَقَامِ وَذُبْ جَوًىٰ ... إِنْ كَانَ حَقًّا فِيْ الهَوَىٰ مَا تَدَّعِيْ
أَسَرُوا الفُؤَادَ مَعَ الرُّقَادِ وَأَوْدَعُوا ... إِذْ وَدَّعُوا نَارَ الأَسَىٰ فِيْ أَضْلُعِيْ
قَوْمٌ أَقَامُوا بِالفِرَاقِ قِيَامَتِيْ ... فَمَتَىٰ لِحَشْرِيْ مَعْهُمُ مِنْ مَرْجِعِ
وَٱرْفُضْ مُعَاتَبَتِيْ وَبُثَّ صَبَابَتِيْ ... فَلَعَلَّهُمْ أَنْ يَرْحَمُوا لِتَوَجُّعِيْ
نَادَيْتُ فِيْ آثَارِهِمْ لَمَّا سَرَوا ... بِحُشَاشَتِيْ: رِفْقًا بِقَلْبِ المُوْجَعِ
بَانُوا ذَوَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ بَانُ الحِمَىٰ ... وَذَوَتْ غُصُوْنُ شَبِيْبَتِيْ وَتَشَجُّعِيْ
وَنَأَىٰ ٱصْطِبَارِيْ وَالغَرَامُ أَقَامَ فِيْ ... قَلْبِيْ وَقُلْتُ لِمُقْلَتِيْ: لَا تَهْجَعِيْ
للهِ يَوْمُ النَّفْرِ مَا لَاقَيْتُ مِنْ ... حَرِّ الجَوَىٰ وَمِنَ الغَرَامِ المُوْجِعِ

/٣٦ب/ وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

لَوْلَا تَقَلْقُلُ قَلْبِيَ المَتْبُوْلِ ... وَتَفَكُّرِيْ وَتَذَكُّرِيْ وَنُحُوْلِيْ
وَبَلَابِلٌ هَاجَتْ بَلَابِلَ خَاطِرِيْ ... مَا رَقَّ لِيْ الوَاشِيْ وَكَفَّ عَذُوْلِيْ
إِنِّي لَأَهْوَىٰ فِيْ الهَوَىٰ تَلَفِيْ وَمَا ... أَرْضَىٰ الرِّضَا فِيْ سَلْوَتِيْ يا سُوْلِيْ

كَيْفَ التَّسَلِّي عَنْ قَضِيْبٍ مَائِسٍ ... يَهْتَزُّ لا مِنْ شَمْأَلٍ وَشَمُوْلِ
أَخْشَى عَلَيْهِ مِنَ النَّسِيْمِ وَرُبَّمَا ... كَانَ النَّسِيْمُ إِلَى الحَبِيْبِ رَسُوْلِي
كَلَفِي بِهِ لا يَنْتَهِي وَتَوَلُّهِي ... مَا حِيْلَتِي قَدْ حَارَ فِيْهِ دَلِيْلِي
قَمَرٌ دُجَاهُ شَعْرُهُ وَصَبَاحُهُ ... مِنْ وَجْهِهِ بَدْرٌ بِغَيْرِ أُفُوْلِ
حَجَبَ الكَرَى عَنْ نَاظِرِي وَحَمَى الحِمَى ... مِنْ لَحْظِهِ بِالصَّارِمِ المَصْقُوْلِ
جَفْنِي حَكَى لَيْلَ الوِصَالِ وَصَدُّهُ ... يَحْكِي لَيَالِي هَجْرِهِ فِي الطُّوْلِ

[٢٣]

إبراهيمُ بن عبد الرحمن بن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيلَ، أبو إسحاق النقاش[١].

كانت ولادته بدمشق سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. ودخل بغداد في سنة ستين؛ /٣٧أ/ وأصله من بغداد، وهو من بيت الوكيل القضاة الذين يعرفون ببيت الشطويّ.

كان شيخًا فاضلاً؛ له كلام حسن على لسان أهل الحقيقة، وأشعار حسنة، وألفاظ عذاب. وقد صنّف في ذلك كتابًا في رقاع، ما أظنّه بيّضه لاشتغاله بالكسب ونقش الصُّفْر.

توفي يوم عرفة سنة اربع وعشرين وستمائة ببغداد، ودفن بالشونيزية.

قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

وَمَنْ لَمْ يَتُبْ وَالدَّمْعُ مُسْهِرُ جَفْنِهِ ... إِذَا ضَحِكَ البَاكُوْنَ أَصْبَحَ بَاكِيَا
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ طَعِمَ الهَوَى ... وَمَا انْفَكَّ مَهْجُوْراً وَمَا كَانَ سَالِيَا
وَعَنْ وَجْدِهِ تَرْوِي بَلابِلُ قَلْبِهِ ... أَحَادِيْثَ مَنْ أَمْسَى لَظَى الحُبِّ صَالِيَا[٢]

---

(١) هذه الترجمة والتي تليها لنفس الشاعر.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٢) الأبيات في الوافي ٦/ ٤٥.

[٢٤]

إبراهيمُ بن عبد الرحمن بن إبراهيمَ بن محمد بن عبد الله بنِ يَحيىٰ الوكيلُ، أبو إِسحاق الكَاتبُ الدمشقيُّ المولد، البغداديُّ المنشأ والدار[١].

كانت ولادته سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة. تأدّب ببغداد، وقرأ بها النحو والعربية. وكان شاعراً جيد الشعر فاضلاً، حسن الترسُّل.

أورد من شعره أبو عبد الله الدّبيثي في مذيله: [من الرمل]

.... الشيخ بذكري عرضا
عَلَّ مَنْ أمْرَضَ جسْمي بَعْدَهُ بتَدانِيْه يُزيْلُ المَرَضَا
وَلَكنْ أنْكَرَ قَتْلي .... قَلْبي غَرَضَا
فَقَتيْلُ الحُبِّ أضْحَىٰ دَمُهُ هَدَراً أبْطَلَهُ مَنْ أعْرَضَا

وقال: [من الطويل]

/١٣٨أ/ وكَمْ فِيْ هَوَى لَيْلَىٰ قَتيْلُ صَبَابَة وَمَجْنُوْنُهَا المُغْرَىٰ بهَا العَلَمُ الفَرْدُ
وَمَا كُلُّ مَنْ ذَاقَ الهَوَىٰ تَاهَ صَبْوَةً وَلاَ كُلُّ مَنْ رَامَ اللِّقَا حَثَّهُ الوَجْدُ
وَلِلْحُبِّ فِيْ البَلْوَىٰ شُرُوْطٌ عَزِيْزَةٌ يَقُوْمُ بهَا فِيْ حَلْبَةِ الوَلَهِ الأُسْدُ[٢]

[٢٥]

إبراهيمُ بن أبي النجمِ بن عبد الرزاق، أبو محمدٍ البغداديُّ الكاتبُ.

كان كاتبًا في الأيام الناصرية، ومدح الإمام الظاهر بأمر الله، وأدرك أوائل دولة أمير المؤمنين الإمام المستنصر بالله أبي جعفر المنصور ـ خلد الله دولته ـ وامتدحه.

---

(١) هذه الترجمة والتي سبقتها لنفس الشاعر. وفي هامش الأصل: «قلت: إبراهيم هذا هو الذي.... فسقط من.... هنا رجلاً والله أعلم».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) الأبيات في الوافي ٦/ ٤٥.

وكان شاعراً مقلاً، له ديوان. وكان شيخًا ظريفًا، كيِّسًا لطيفًا من أبناء المتصرفين، مطبوع الشعر رقيقه. وكان يخدم في أعمال السواد، ومساحة المزروعات، وقسمة الغلات.

أنشدني أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي، بمدينة السلام سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني أبو محمد إبراهيم بن أبي النجم بن عبد الرزاق البغدادي لنفسه، يمدح الإمام المستنصر بالله /٣٨ب/ أمير المؤمنين ـ خلّد الله ملكه[1] ـ: [من الكامل]

دَعْني وَشُرْبَ الخَنْدَرِيْسِ المُسْكِرِ ... مِنْ كَفِّ ذِيْ طَرْفٍ غَضِيْضٍ أَحْوَرِ
كَالبَدْرِ ذِيْ وَجْهٍ مُنِيْرٍ مُشْرِقٍ ... كَالغُصْنِ ذِيْ قَدٍّ رَشِيْقٍ أَسْمَرِ
رَشَأٍ رُدَيْنِيِّ القَوَامِ مُهَفْهَفٍ ... فَتَنَ الأَنَامَ بِوَرْدِ خَدٍّ أَحْمَرِ
لَمْ أُضْحِ مَسْلُوبَ الفُؤَادِ مُتَيَّمًا ... فِي حُبِّهِ مُضْنًى بِلَوْنٍ أَصْفَرِ
إِلَّا لِوَجْدِيْ فِيْ هَوَاهُ وَلَوْعَتِيْ ... [وَ] لِمَا لَقِيْتُ مِنَ العِذَارِ الأَخْضَرِ
أَضْنَوا مِنَ الشَّمْسِ المُنِيْرَةِ وَجْهَهُ ... فَاقَ المِلَاحَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَخْبَرِ
شَادٍ يُغَنِّيْنِي إِذَا اسْتَنْشَدْتُهُ ... مَدْحَ الإِمَامِ الطَّاهِرِ المُسْتَنْصِرِ
مَلِكٌ سَحَابُ بَنَانِهِ وَنَوالِهِ ... مُتَدَفِّقٌ كَالعَارِضِ المُثْعَنْجِرِ
خَيْرُ البَرِيَّةِ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... مِنْ مَعْشَرٍ أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ
لَا زَالَ فِيْ عِزٍّ وَظِلِّ سَعَادَةٍ ... وَسَلَامَةٍ تَبْقَى بَقَاءَ الأَعْصُرِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه يمدحه[2]: [من المجتث]

أَنَا صَبٌّ بِجُؤْذَرِ ... فَاتِرِ الطَّرْفِ أَحْوَرِ
ذِيْ قَوَامٍ مُهَفْهَفٍ ... كَالرُّدَيْنِيِّ أَسْمَرِ
/٣٩أ/ قَدْ سَبَانِيْ بِمَنْظَرٍ ... زَانَهُ حُسْنُ مَخْبَرِ

---

(١) تكررت هذه القصيدة بالورقة ٤٠أ من الأصل بنفس الترجمة بديباجة نصها: «أنشدني الشيخ الفاضل تاج الدين، أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي بمدينة السلام سنة تسع وعشرون، قال: أنشدني أبو محمد إبراهيم بن أبي النجم بن عبد الرزاق البغدادي لنفسه يمدح الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين سقى الله مثواه صوب الرضوان».

(٢) تكررت هذه القصيدة أيضًا بالورقة ٤٠ب، ٤١أ من الأصل.

وَنَجـــدٍ مُـــورَّدَ أَسْمَـــرِ اللَّـــوْنِ أَحْمَـــرِ
فَـــوْقَـــهُ وَرْدُ وَجْنَـــةً تَحْـــتَ خَـــالٍ مُعَنْبَـــرِ
لَيْـــسَ يَـــرْثِـــي لِعَـــاشِـــقٍ مُسْتَهَـــامٍ مُحَيَّـــرِ
نَـــاحِـــلِ الجِسْـــمِ مُـــذْهَـــبٍ شَـــاحِـــبِ اللَّـــوْنِ أَصْفَـــرِ
بَـــاعَ فِيْـــهِ صَفْـــوَ الحَيَـــاةِ بِعَيْـــشٍ مُكَـــدَّرِ
وَاشْتَـــرَىٰ ذِلَّـــةَ الخُضُـــوْعِ بِعِـــزِّ التَّصَبُّـــرِ
طَـــائِعَـــاً بَـــاعَ نَفْسَـــهُ فِـــي الهَـــوَىٰ غَيْـــرَ مُجْبَـــرِ
مِثْـــلَ مَـــا بَـــاعَ نَفْسَـــهُ فِـــي القَـــرِيْـــضِ المُحَبَّـــرِ
بِعَطَـــايَـــا مَـــوْلَـــىٰ الأَنَـــامِ الإِمَـــامِ المُسْتَنْصِـــرِ
بَـــاعَ خَيْـــرَ الشِّعْـــرِ الـــرَّقِيْـــقِ عَلَـــىٰ خَيْـــرِ مُشْتَـــرِيْ
مَلِـــكٍ سَيْـــلُ كَفِّـــهِ كَـــالسَّحَـــابِ المُثْعَنْجِـــرِ
مَلِـــكٍ طِيْـــبُ ذِكْـــرِهِ كَـــالنَّسِيْـــمِ المُعَنْبَـــرِ
وَبِـــرَيَّـــاهُ طَـــابَ كُـــلُّ خَطِيْـــبٍ وَمِنْبَـــرِ
وَلَـــهُ ذِكْـــرُ لَيْـــثِ هِـــزَبْـــرٍ غَضَنْفَـــرِ
/٣٩ب/ وَبِـــهِ رَاقَ لِلْـــوَرَىٰ كُـــلُّ عَيْـــشٍ مُكَـــدَّرِ
يَـــا أَبَـــا جَعْفَـــرَ الَّـــذِيْ كَفُّـــهُ أَلْـــفُ جَعْفَـــرِ
دُمْـــتَ فِـــي العِـــزِّ وَالعُـــلاَ أَلْـــفَ عَـــامٍ مُكَـــرَّرِ

وهو القائل في غلام اسمه بدران، أنشدني أبو الحسن علي بن الأنجب بن عثمان بن عبيد الله البغدادي بمدينة السلام، قال: أنشدني أبو محمد لنفسه:

[من الخفيف]

وَغَـــرِيْـــرٍ مُهَفْهَـــفِ القَـــدِّ أَحْـــوَىٰ حَـــارَ فِيْـــهِ عَقْلِـــيْ وَلُبِّـــيْ وَحِسِّـــيْ
قُلْـــتُ: مِـــنْ أَيْـــنَ قَـــدْ أَتَيْـــتَ؟ وَمَـــا الإِسْـــمُ لأَحْظَـــىٰ مِنْـــهُ بِقُـــرْبٍ وَأُنْـــسِ
قَـــالَ: بَـــدْرَانُ، قُلْـــتُ: تَصْـــدُقُ وَاللهِ وَأَضْـــوَا مِـــنْ كُـــلِّ بَـــدْرٍ وَشَمْـــسِ!

وقال أيضًا يتغزل: [من مجزوء الرمل]

وَغَـــزَالٍ رِيقُـــهُ القَـــرْقَـــفُ دِرْيَـــاقُ اللَّـــدِيْـــغِ
مِـــنْ ظِبَـــاءِ التُّـــرْكِ مَعْسُـــوْلِ اللَّمَـــىٰ دُوْنَ البُلُـــوْغِ

ذيْ جمَالٍ حَارَ فيْهِ كُلُّ منْطيْقٍ بَليْغ
أَسْبَغَ الحُسْنُ عَلَيْهِ ظلَّهُ أيَّ سُبُوْغِ[1]

/ ١٤١أ/ وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني إبراهيم بن أبي النجم الكاتب البغدادي لنفسه يمدح أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ خلّد الله ملكه ـ: [من الكامل]

شَرُفَ الزَّمَانُ بدَوْلَةِ المُسْتَنْصرِ الطَّيِّبِ الأَصْلِ الكَرِيْمِ العُنْصُرِ
/ ٤١ب/ وَبعَصْرِ مَوْلاَنَا الخَليْفَةِ ذيْ النُّهَىٰ وَالعَدْلِ وَالإحْسَانِ فَخْرُ الأَعْصُرِ
مَلكٌ حَذَا فيْ صَوْمهِ وَصَلاَتِهِ وَصَلاَتِهِ حَذْوَ النَّبيِّ المُنْذرِ
مَوْلًى صَفَا للنَّاسِ فيْ أَيَّامهِ بالجُوْدِ وَالمَعْرُوْفِ كُلُّ مُكَدَّرِ
وَلعظْمِ سَطْوَتهِ وَشدَّةِ بَأْسهِ خَضَعَ المُلُوكُ وَذَلَّ كُلُّ غَضَنْفَرِ
وَبعَدْلهِ أَمِنَ الأَنَامُ نَوَائبَ الدَّهْرِ الخَؤُوْنِ وَآنَ يُسْرُ المُعْسرِ
وَالدَّهْرُ وَافَىٰ النَّاسَ بَعْدَ قُطُوْبهِ بضيَاءِ وَجْهٍ ضَاحكٍ مُسْتَبْشرِ
وَحَنَا الزَّمَانُ عَلَىٰ الأَنَامِ وَزَالَ مَا فيْ قَلْبهِ مِنْ وَحْشَةٍ وَتَنَمُّرِ
دَامَتْ لَهُ النَّعْمَاءُ مَا صَرَعَ الدُّجَىٰ فَجْرٌ وَصَالَ بنُوْرِ صُبْحٍ مُسْفرِ

[٢٦]

إبراهيمُ بن قصْرَبًا بن عبد الله، أبو إسحاق الموصليُّ التركيُّ الصلاحيُّ الصوفيُّ.

كان والده مولىٰ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ. وكان اسمه أيدمر فسمّى نفسه إبراهيم.

لقيتُهُ بظاهر حلب المحروسة ببانَقُوسا[2] يوم الأحد سادس ربيع الأول سنة ستّ وثلاثين وستمائة؛ فرأيتُهُ شيخًا حسنًا بهيًّا جَميلاً.

وذكر لي أنه ولد بالموصل في سنة تسع وسبعين وخمسمائة. وكان في بدء أمره

---

(١) بعدها يأتي التكرار الذي أشرنا إليه في الهامش السابق.
(٢) بانَقُوسا: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال، صار فيما بعد محلة كبيرة. انظر: معجم البلدان ١/ ٣٣١.

جنديًا استخدمه الأمير ركن الدين ملكشاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر.

ثم ترك الجندية في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وأقبل علىٰ الصلاة والقيام بوظائف الله تعالىٰ، ومعاشرة الفقراء والمتصوفة، وصحبة ذوي الأحوال ومخالطتهم، والتنقل في البلدان، والاشتغال بالعبادة، وتزيّا بزي السلف الصالح ولبس قميصًا قصيراً، وطاف البلاد وتوغلها، ونظم أشعاراً كثيرة في الغزل.

ثم سافر إلىٰ دمشق ولم يزل بها مستوطنًا إلى أنْ توفي بها في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

/ ٤٢ب/ رأيتُهُ بإربل ولم آخذ عنه من شعره شيئًا. نقلتُ من خطّه قوله في الغزل، وأنشدنيه بحلب: [من الخفيف]

يَسْبَحُ الوَرْدُ في الخُدُوْدِ بآسٍ ... في بَيَاضٍ يَزْهُو عَلَىٰ القِرْطَاسِ

مَا يُرَىٰ مِنْ تَوَقُّدِ الخَدِّ كَالجَمْرِ ... فَذَاكَ اللَّهِيْبُ مِنْ أَنْفَاسِي

رَشَأٌ ذَلَّتِ الفَوَارِسُ لمَّا ... صَادَ أُسْدَ الشَّرَىٰ مِنَ الأَخْيَاسِ

بعُيُوْنٍ أَعَاذَنَا اللهُ ممَّا ... فَعَلَتْ يَوْمَ حَاجِرٍ بالنَّاسِ

فَتكَتْ بالقُلُوبِ تَحْتَ دُرُوْعٍ ... سَابغَاتٍ فَمَا لَهَا مِنْ آسِي

وَجَبِيْنٍ كَأَنَّهُ صُبْحُ وَصْلٍ ... بَشَّرَ المُسْتَهَامَ بَعْدَ الإِيَاسِ

وَقَوَامٍ كَأَنَّهُ خُوْطُ بَانٍ ... رَبِّ عَفْواً عَنْ زَلَّتِي وَقِيَاسِي

إنْ أكُنْ قَدْ غَلطْتُ فِيْهِ فَقَدْ ... شُبِّهَ نُوْرُ الإِلَهِ بالنِّبْرَاسِ

لَمْ يَزُرْنِي إلَّا إذَا عَسْعَسَ اللَّيْلُ ... بطَيْفِ الخَيَالِ عِنْدَ نُعَاسِي

هُوَ سَهْلٌ فِيْمَا أُحَاوِلُ حَتَّىٰ ... أَطْلُبَ الوَصْلَ فَهْوَ صَعْبُ المِرَاسِ

رُبَّ وَقْتٍ نَادَمْتُهُ فَسَقَانِي ... مِنْ سُلَافِ الثُّغُوْرِ لَا مِنْ كَاسِ

قَالَ: هَاكَ المُدَامَ قُلْتُ: بطِيْبٍ ... قَالَ: خُذْهَا فَطِيْبُهَا أَنْفَاسِي

وَاغْتَنِمْ غَفْلَةَ الرَّقِيْبِ فَلا بُدَّ ... لقَلْبِ الوِصَالِ مِنْ وَسْوَاسِ[1]

(١) عقلة الرقيب: احتباس لسانه ولعلها المراد هنا.

/ ٤٣أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الكامل]

تَلَفِي بِلِيْنِ قَوَامِكَ الفَتَّانِ   وَدَمِي تُقَادُ بِثَأْرِهِ العَيْنَانِ
وَشَمَائِلٌ حَكَتِ الشَّمُولَ فَهَذِهِ   لِلرُّوحِ حَسْبُ وَتِلْكَ لِلأَبْدَانِ
وَهَوَايَ بِالرَّشَأ الَّذِي وَحَّدْتُهُ   عِشْقًا فَلَيْسَ لِحُسْنِهِ مِنْ ثَانِي
عَيْنَاهُ قَدْ نَطَقَتْ تَقُولُ عَلَيْكُمُ   سِحْرِي يَقُضُّ مَضَاجِعَ الشُّجْعَانِ
وَدَمُ الشَّهِيدِ قَتِيلِ مَعْرَكَةِ الهَوَىٰ   خَدَّايَ قَدْ شَرِبَاهُ مِنْ أَجْفَانِي
يَا أَيُّهَا الرَّشَأُ الَّذِي لِجَمَالِهِ   خَضَعَتْ بِغَيْرِ إِرَادَتِي أَرْكَانِي
سَقْيًا لِدَارِكَ فِي الفُؤَادِ بِعَبْرَتِي   وَعَلَىٰ الغُوَيْرِ بِوَابِلٍ هَتَّانِ
أَنْسَيْتَنِي بِلَذِيذِ ذِكْرِكَ كُلَّمَا   قَدْ كَانَ قَبْلَ هَوَاكَ فِي إِنْسَانِ
أَنَا ذَلِكَ الصَّبُّ الَّذِي لَوْ مَرَّ بِي   صَاحِي الفُؤَادِ لَعَادَ كَالسَّكْرَانِ
عَنِّي رَوَتْ وُرْقُ الحَمَامِ بِشَدْوِهَا   وَتَحَدَّثَتْ بِهَوَايَ فِي الأَغْصَانِ
وَمَرَرْنَ صُبْحَ وِصَالِنَا بِطُوَيْلِعٍ   طَرَبًا كَشَارِبِ قَهْوَةٍ نَشْوَانِ
فَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهُ فَكَأَنَّمَا   قَسَّمْتُ فَاضِلَ نَشْوَتِي فِي البَانِ
وَمُعَرْبِدُ الأَلْحَاظِ أَحْيَا صَبْوَتِي   وَأَمَاتَ لِيْنُ كَلَامِهِ سُلْوَانِي
مَوْتًا يَوَدُّ بَنُو الهَوَىٰ لَوْ أَنَّهُمْ   مَاتُوا كَذَاكَ هَوًى مِنَ أَحْيَانِي
/ ٤٣ب/ هَلْ تَذْكُرَنَّ لَنَا بِمُنْعَرَجِ اللِّوَىٰ   وَقْتًا لِعَوْدَتِهِ أَعَضُّ بَنَانِي
لَمَّا التَزَمْتُكَ لِلْوَدَاعِ صَبَغْتُ مِنْ   خَدَّيْكَ دَرَّ الدَّمْعِ أَحْمَرَ قَانِي

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الطويل]

هُوَ الصَّبُّ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَشَوُّقَا   إِلَىٰ جِيرَةٍ بِالجَزْعِ عَنْ أَيْمَنِ النَّقَا
رَأَىٰ السَّيْرَ لَا يُدْنِيهِ مِنْ فَرْطِ شَوْقِهِ   إِلَىٰ الدَّارِ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ فَأَعْنَقَا(١)
وَجَانَبَ أَرْبَابَ البَطَالَةِ عِفَّةً   وَصَاحَبَ مَنْ مَلَّ الحَيَاةَ وَطَلَّقَا
وَكَمْ زَارَ حَيًّا تَرْعَفُ السُّمْرُ دُونَهُ   نَجِيعًا وَخَاضَ المَوْتَ فِي طَمَعِ اللِّقَا
وَهَانَ عَلَيْهِ كُلُّ صَعْبٍ تَهَابُهُ   نُفُوسُ بَنِي الآمَالِ لَمَّا تَعَشَّقَا
أَخُو حَاجَةٍ إِمَّا وَإِمَّا تَلَافُهُ   عَسَىٰ يَرْتَقِي بِالعَزْمِ مَا لَيْسَ يُرْتَقَىٰ

---

(١) أعنق : أسرع .

وَيُصْبِحُ مَحْسُوداً بِنَيْلِ مَرَامِهِ — سَعِيداً بِقُرْبِ الدَّارِ قَدْ بَايَنَ الشَّقَا
يُحَدِّثُ عَنْ ذَاكَ الحِمَىٰ وَأُهَيْلِهِ — لِيَنْهَضَ لِلْعَلْيَاءِ مَنْ قَدْ تَعَوَّقَا
أَرَاحَ ظُهُورَ العِيسِ بَعْدَ كَلاَلِهَا — وَغَرَّبَ مَنْ يَبْغِي المَزِيْدَ وَشَرَّقَا[1]

[٢٧]

إبراهيمُ بن عبد الله العامريُّ.

شاعر يرتزق الناسَ بشعره، ويستجديهم.

رأيت له بخطه هذه الأبيات الأربعة، ويزعم أنْ مالها بيت خامس:

[من مجزوء الكاملْ]

مَا كُلُّ سَانِحَةٍ كَرِيْمٍ — كَلاَّ وَلاَ نَادٍ كَرَامَهْ
يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّ عَيْنِي — بَعْدَهُمْ ذَاقَتْ كَرَىٰ مَهْ
كَمْ رَامَ قَلْبِي الوَصْلَ مِنْكَ — فَلَمْ يَنَلْ مَا مِنْكَ رَامَهْ
لاَ سَمْعَ لِلْعُذَّالِ فِي — هَجْرِ الحَبِيْبِ وَلاَ كَرَامَهْ

[٢٨]

إبراهيمُ بن محمد بن يوسفَ، أبو إِسحاق القابونيُّ الدمشقيُّ الحنفيُّ.

كان فقيهًا علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ذا فضل حسن /٤٤ب/ وشعر جيد.

---

(١) ورد بعده في الأصل مشطوبًا: «وقوله: [من الكامل]

لولا الحياء وخيفتي من خالقي — لضربت في الآفاق بالناقوس
وجمعت أهل الأرض كيما يعجبوا — لتآلف الغزلان بالجاموسِ

وقال أيضًا:

قضى يونس نحبه بعد ما — قضى في الأنام بغير الصوابْ
وأحرز أولاده ماله — وموت الحمير حياة الكلاب»

وقد وردا أيضًا في القلائد ٦/ ١١٠ب و٦/ ١١٣ب. إنهما من شعر محمد بن نصر بن مكارم، ابن عنين الدمشقي. ولم أجدهما في ديوانه.

وجدت له من الشعر هذه الأبيات يذم بها القيء: [من الوافر]

عَجِبْتُ وَقَدْ ظَنَنْتُ القَيءَ سُكْرًا ... فَلَمْ أَرَهُ يَعُمُّ الشَّرْبَ طُرًّا

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: يَا لَيْتَ شِعْرِي ... لِبَعضِ الشَّرْبِ مِمَّا ألقَىٰ يَطْرَا

وَقَدْ بَذَلَ النُّضَارُ لِشُرْبِ رَاحٍ ... تَزِيدُ نَفَاسَةً وَتُزِيلُ فِكْرَا

فَقَالَ: لِعِزَّةٍ فِي الخَمْرِ تَأْتِي ... مَعَ النَّفْسِ الخَبِيثَةِ أَنْ تَقَرَّا

[٢٩]

إبراهيم بن عبد الكريم بن أبي السعادات بن كرم بن كَنْصَا، أبو إسحاق بن أبي محمد الموصليُّ المولد والمنشأ. البغداديُّ أصلاً ووالداً(١).

الفقيه الحنفيُّ الكاتب.

كانت ولادته ـ علىٰ ما أخبرني من لفظه ـ سنة خمس وتسعين وخمسمائة. وتوفي ليلة الجمعة العشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وستمائة بالموصل.

كان شابًا أسمر خفيف العارضين قَضيْفًا(٢). تفقه علىٰ أبي جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد الرازي الفقيه الحنفي نزيل الموصل. وجدّ في الاشتغال وتكلم في المسائل / ١٤٥أ/ الخلافية، وناظر الفقهاء، وحصّل من علم الأدب والعربية نصيبًا وافراً حتىٰ فاق أبناء جنسه معرفة وذكاء. وشرح مختصر القدوري في الفقه لم يتممه.

وكتب الإنشاء بديوان الموصل للملك الرحيم بدر الدين ـ أدام الله نعمه عليه ـ مديدة؛ ثم استعفىٰ من ذلك.

وكان نبيهًا نبيلاً فاضلاً عاقلاً متنسّكًا ورعًا حسن الأخلاق جميل الخطاب أقتدر علىٰ أمره بالتدين وإيثار العزلة لنفسه والتصوف.

وكان ـ مع ذلك ـ شاعراً مقصّداً، له منظوم ومنثور لم يقصّر في إنشائهما،

---

(١) ترجم المؤلف لوالده «عبد الكريم بن أبي السعادات..» في الجزء الرابع برقم ٣٤٣.

(٢) القضيف: النحيف.

وانتظمت بيني وبينه مودة مؤكَّدة، وصحبة محكمة الأسباب.

وأنشدني من شعره كثيراً في كل فنّ، وكتبه إلي بخط يده في جزء، ومما أنشدني لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ يمدح الأمير الكبير أمين الدين أبا المكارم لؤلؤ بن عبد الله البدري بالموصل: [من الخفيف]

أَمْطَرَتْ سُحْبُ جَفْنِيَ الفَيَّاض ... حِينَ أَبْدَتْ مَحَاسِناً كَالرِّيَاض
أَعْرَضَتْ يَوْمَ أَعْرَضَتْ يَا لَقَلْبٍ ... ضَاعَ بَيْنَ الأَعْرَاضِ وَالإِعْرَاض
/ ٤٥ب/ وَأَرَتْنِي حُمْرَ المَنَايَا ضُحًى افتـرت ... تَمْشِي خِلَالَ ذَاكَ البَيَاض
عَلَّمَتْنِي طَرِيقَةَ المَطْلِ فِي الحُبِّ ... وَعَلَّمْتُهَا طَرِيقَ التَّقَاضِي
مَنْ مُجِيرِي مِنْ ظَبْيَةٍ عُقَدُ السِّحْرِ ... بِأَجْفَانِهَا الصِّحَاحِ المِرَاض
رَضِيَتْ فِي الهَوَى بِقَتْلِيَ وَإِنِّي ... فِي الهَوَى بِالسَّلَامِ مِنْهَا لَرَاضِي
حَبَّذَا حَبَّذَا الدُّهُورُ الخَوَالِي ... بِلِوَى الرَّمْلِ وَاللَّيَالِي المَوَاضِي
وَعُهُودٌ عَهِدْتُهَا بِالحِمَى لَمْ ... يَرْمِهَا الدَّهْرُ نَاكِثاً بِانْتِقَاض
حِينَ عَيْشِي بِقُرْبِ عَائِشَةٍ رَغْدٌ ... شَهِيُّ الإِخْلَاءِ وَالإِحْمَاض
وَعُيُونُ الرَّقِيبِ مُغْضَبَةٌ وَالدَّهْرُ ... طَوْعٌ فِي سَائِرِ الأَغْرَاض
زَمَنٌ بِعْتُ حُزْنَهُ بِالمَسَرَّاتِ ... وَكَانَتْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضِي
جَادَ أَكْنَافَهُ فَرَوَّى رُبَاهُ ... كُلُّ جَوْدٍ مِنَ الحَيَا فَيَّاض
كَنَدَى المَاجِدِ الجَوَادِ أَمِينِ الدِّ ... ينِ رَبِّ الأَيَادِي الطِّوَالِ العِرَاض
مَلِكٌ يُسْنَدُ النَّوَالُ إِلَيْهِ ... فِي حَدِيثٍ عَنْ جُودِهِ مُسْتَفَاض
يَقْصِدُ الحَمْدُ رَبْعَهُ مِنْ جَمِيعِ الأَرْ ... ضِ قَصْدَ السِّهَامِ لِلأَغْرَاض
فَتَكَتْ بِالثَّنَاءِ أَخْلَاقُهُ ... الغُرُّ وَلَا مِثْلَ فَتْكَهُ البَرَّاض[1]
خَائِضٌ غَمْرَةَ الوَغَى وَالمَنَايَا ... وَاقِفَاتٌ حَيْثُ المَوَاضِي مَوَاضِي
/ ٤٦أ/ وَحُمَاةُ الخَمِيسِ كَالأُسْدِ وَالمُرَّانِ ... قَدْ حَفَّ جَمْعُهُمْ كَالغِيَاض
صَانَ بِالمَالِ عِرْضَهُ إِذْ غَدَا ... بِالمَالِ صَوْنُ الأَحْسَابِ وَالأَعْرَاض
يَتَلَقَّى ذَنْبَ المُسِيءِ وَإِنْ أَكْبَرَ ... عَنْهُ بِالصَّفْحِ وَالإِغْمَاض

---

(١) البراض: أحد الفُتّاك.

فَمَتَى أَوْمَضَتْ صَوَارِمُهُ سَحَّتْ نَجِيعًا عَنْ ذَلِكَ الإيْمَاضِ
أَسْخَطَ المَالَ فِي رِضَا المَجْدِ وَالمَجْدُ عَنِ المَرْءِ أَسْخَطَ المَالَ رَاضِي
وَقَضَتْ بِالغِنَى لِرَاجِيهِ يُمْنَاهُ فَأَزْرَتْ حُكْمًا عَلَى كُلِّ قَاضِي
يَقِظُ العَزْمِ وَالسِّهَامُ لَدَى الهَيْجَا نِيَامٌ سِوَاهُمَا فِي الوِفَاضِ (١)
رَاشَ كَفَّ الوَرَى وَقَدْ حَصَّتْهُ أَيْدِي العِدَا يـ...لا ....
وَحَمَى جَانِبِي وَأَفْعَمَ بِالمَعْرُوفِ دُونَ الأَنَامِ طُرًّا حِيَاضِي
فَاسْتَمِعْهَا مِنْ عَبْدِ إِحْسَانِكَ الرَّافِلِ فِي ثَوْبِ بِرِّكَ الفَضْفَاضِ
وَاعْتَمِدْ بَسْطَهَا عَرُوسًا وَقَدْ جَاءَتْ لِفَرْطِ الحَيَاءِ ذَاتَ انْقِبَاضِ
بَاقِيًا لِلثَّنَاءِ فِيكَ اعْتِرَابُ ابْنِ زُهَيْرٍ وَالحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ (٢)

وأنشدني أيضًا لنفسه ـ وهي غزل ـ قصيدة لم ينشدها في أحد: [من الطويل]

دَعُوهُ كَمَا شَاءَ الغَرَامُ يَكُونُ فَلَسْتُ وَإِنْ خَانَ العُهُودَ أَمِينُ
/٤٦ب/ وَلَيِنُوا لَهُ فِي قَوْلِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمُ عَسَى قَلْبُهُ القَاسِي عَلَيَّ يَلِينُ
وَبُثُّوا صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَكَرِّرُوا حَدِيثِي عَلَيْهِ فَالحَدِيثُ شُجُونُ
بِنَفْسِي الأُلَى بَانُوا عَنِ العَيْنِ حِقْبَةً وَحُبُّهُمُ فِي القَلْبِ لَيْسَ يَبِينُ
وَسَلُّوا عَلَى العُشَّاقِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا سُيُوفًا لَهَا وُطْفُ الجُفُونِ جُفُونُ
لَئِنْ سَمَحُوا عِنْدَ الوَدَاعِ بِمُهْجَتِي فَإِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِهَا لَضَنِينُ
أَأُصْغِي إِلَى العُذَّالِ فِيهِمْ وَمَا وَفَوا بِوَعْدِهِمُ إِنِّي إِذَنْ لَخَؤُونُ
وَيَطْمَعُ فِي السُّلْوَانِ قَلْبِي حِيَالَهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الصَّبَابَةَ دِينُ
سَلَامٌ عَلَى ذَاكَ الوِدَادِ فَإِنَّهُ وِدَادٌ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مَصُونُ
هُمُ عَاهَدُوا أَنْ لَا يُعِينُوا عَلَى دَمِي وَكُلٌّ عَلَيْهِمْ بِالصُّدُودِ مُعِينُ
وَهُمْ حَلَفُوا أَلَّا يَخُونُونَ فِي الهَوَى وَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ
خُذُوا بِدَمِي يَا أَهْلَ وُدِّي فَإِنَّهُ دَمٌ سَفَكَتْهُ بِالفُتُورِ عُيُونُ
وَدُونَكُمُ وَادِي العَقِيقِ فَلِي بِهِ حُقُوقُ هَوًى لَا تُقْتَضَى وَدُيُونُ

---

(١) الوفاض: الحقائب.
(٢) الحارث بن مضاض بن عبد المسيح الجرهمي: من ملوك الجاهلية، من قحطان.

وَكَيْفَ لِقَائِي مَنْ أُحِبُّ وَبَيْنَنَا … مَهَامِهُ بِيْدٌ لاَ تُرَامُ وَبَيْنُ(١)

بِحَقِّ وُدَادِي فِي هَوَاكُمْ وَإِنَّهَا … يَمِينُ ٱمْرِىءٍ فِي الحُبِّ لَيْسَ يَمِينُ

أَعِيدُوا بِإِحْسَانٍ لَيَالِيَنَا الَّتِي … تَقَضَّتْ فَقَدْ سَاءَتْ بِهِنَّ ظُنُونُ

/٤٧أ/ وَلاَ تَمْنَعُونِي زَوْرَةً مِنْ خَيَالِكُمْ … فَقَلْبِي بِهَا لَوْ تَعْلَمُونَ رَهِينُ

يَحِنُّ إِذَا هَبَّتْ مِنَ الغَوْرِ نَسْمَةٌ … وَهَلْ يَنْفَعُ الصَّبَّ الكَئِيبَ حَنِينُ

وَيَقْلَقُ إِنْ جَنَّ الظَّلاَمُ كَأَنَّمَا … بِهِ مِنْ تَبَارِيحِ الغَرَامِ جُنُونُ

ذَلُولٌ لِمَنْ يَبْغِي هَوَاهُ وَإِنَّهُ … عَلَى مَنْ يَرُومُ الصَّبْرَ مِنْهُ حَرُونُ

مُعَذَّبُ قَلْبِي بِالصُّدُودِ إِذَا ٱنْقَضَتْ … فُنُونٌ بِهِ عَادَتْ عَلَيَّ فُنُونُ

أَلْلُوَالِهِ المُشْتَاقِ مِنْ أَلَمِ الجَوَى … شِفَاءٌ بِهِ بَعْضُ الأُسَاةِ ضَمِينُ

يَزِيْدُ إِذَا ظَنَّ الفِرَاقَ صَبَابَةً … وَوَجْدًا كَأَنَّ الظَّنَّ مِنْهُ يَقِينُ

وَيَهْتَزُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَى البَانِ إِنْ سَرَى … نَسِيمُ صَبًا تَهْتَزُّ مِنْهُ غُصُونُ

وَتُوقِظُهُ بَعْدَ المَشِيبِ إِلَى الصِّبَا … عُيُونٌ نِيَامٌ بِالثَّنِيَّةِ عُونُ

أُعِيذُكَ مِنْ دَاءٍ أُقَاسِيْهِ إِنَّهُ … مَعَ الدَّهْرِ دَاءٌ فِي الفُؤَادِ دَفِينُ

وَشَوْقٍ كَمِينٍ فِي الحَشَا إِنْ لَقِيتُهُ … بِجَيْشِ ٱصْطِبَارٍ عَادَ مِنْهُ كَمِينُ

فَلاَ تَحْرِمُوا سَمْعِي حَدِيْثَ حَدِيثِكُمْ … فَلِي وَلَهُ دُونَ القَدِيْمِ شُؤُونُ

وَلاَ تُودِعُوا سِرِّي أَمِينًا سِوَى الكَرَى … أَلَيْسَ عَلَى سِرٍّ سِوَاهُ أَمِينُ

دَعُونِي وَصَرْفَ الحَادِثَاتِ فَإِنَّنِي … أَعِزُّ وَصَرْفُ الحَادِثَاتِ يَهُونُ

وَلاَ تَعْجَبُوا إِنْ نَالَ دُونِي ثَرْوَةً … وَعِزًّا مَنِيعُ الجَنْبِ مَنْ هُوَ دُونُ

/٤٧ب/ فَهَاتِيكَ أَخْلاَقُ الزَّمَانِ مَضَى بِهَا … قُرُونٌ عَلَى آثَارِهِنَّ قُرُونُ

رَمَتْنِي يَدُ الأَيَّامِ عَنْ قَوْسِ صَرْفِهَا … بِسَهْمِ رَدًى يُصْمِي وَلَيْسَ يَبِينُ

وَشِبْتُ وَلَمْ أَبْلُغْ ثَلاَثِيْنَ حِجَّةً … لِجَوْرِ زَمَانٍ مَا عَلَيْهِ مُعِينُ

فَقُلْ لِحَسُودِي مُتْ بِغَيْظٍ وَحَسْرَةٍ … وَقُلْ لِزَمَانِي كَيْفَ شَاءَ يَكُونُ

فَلِي مِنْ فُلاَنِ الدِّينِ جَارٌ مِنَ الرَّدَى … مُجِيرٌ وَدَحْضٌ فِي الخُطُوبِ حَصِينُ

---

(١) البَيْن: الفرقة، البِيْن: الفصل.

وأنشدني قوله من أبيات: [من البسيط]

يَا خَيْرَ مَنْ تُرتَجَى فِي الخَيْرِ همَّتُهُ ... وَمَنْ نَدَى كَفِّهِ يُغْنِي عَنِ المَطَرِ
قَدْ كُنْتَ عَوَّدْتَنِي عَادَاتِ ذِي كَرَمٍ ... تَعْجِيلَ حَاجِي وَتَفْضِيلِي عَلَى البَشَرِ
فَجِئْتُ نَحْوَكَ هَذَا العَامَ مُلْتَمِساً ... مَا كُنْتُ عُوِّدْتُهُ فِي سَالِفِ العُمُرِ
فَعُدْتُ ذَا خَجَلٍ بِاليَأْسِ مُشْتَمِلاً ... مُكَرِّراً قَوْلَ مَيْتٍ دَارِسِ الأَثَرِ
(هَذِي الأَرَامِلُ قَدْ قَضَّيْتَ حَاجَتَهَا ... فَمَا لِحَاجَةِ هَذَا الأَرْمَلِ الذَّكَرِ)(١)
فَانْعَمْ نَعِمْتَ بِسَطْرِ الرّوزِ مُغْتَنِماً ... شُكْراً يَدُومُ دَوَامَ الأَنْجُمِ الزُّهُرِ
وَاكْسَبْ ثَنَاءً يَزِينُ العُمْرَ رَائِقُهُ ... أَتَاكَ مُنْتَظِماً فِي زِيٍّ مُسْتَتِرِ
(فَالحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ ... بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعَرِ)(٢)

وله: [من الطويل]

/١٤٨أ/ وَلَمَّا حَدَا الحَادِي بِعِيسِهِمُ ضُحًى ... وَلَمْ يَبْقَ فِي غَيْرِ التَّفَرُّقِ مَطْمَعُ
وَقَفْنَا فَدَاعٍ لاَ يُجَابُ دُعَاؤُهُ ... وَمُسْتَشْفِعٌ بِالدَّمِّ لَيْسَ يُشَفَّعُ

وقال: [من المتقارب]

إِذَا أَضْحَكَتْكَ صُرُوفُ الزَّمَانِ ... فَقَدْ ضَحِكَتْ مِنْكَ لَوْ تَفْطُنُ
فَلاَ يَغُرَّنَّكَ لِينُ العَدُوِّ ... فَإِنَّ بِمِقْدَارِهِ يَخْشُنُ

وله: [من الطويل]

وَمَلآنَ مِنْ ضِغْنٍ عَلَيَّ مُقَطِّبٍ ... كَسَانِي وَقَدْ عُرِّيْتُ مِنْهَا ذُنُوبُهُ
لَوَى وَجْهَهُ عَنِّي غَدَاةَ لَقِيتُهُ ... كَأَنِّي مِرَآةٌ أَرَتْهُ عُيُوبُهُ

وقوله: [من الوافر]

أُعِيذُكَ أَنْ أَرَى زَمَناً طَوِيلاً ... بِبَابِكَ لاَ أَحُلُّ وَلاَ أَسِيرُ
وَأُحْجَبَ عَنْكَ فِي سَبَبٍ حَقِيرٍ ... وَلاَ وَاللهِ مَا مِثْلِي حَقِيرُ
وَأُمْنَعَ حُسْنَ رَأْيِكَ فِي زَمَانٍ ... وَمُلْكٍ أَنْتَ أَنْتَ بِهِ الوَزِيرُ
أُغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلِي لأَنِّي ... مُحِبٌّ وَالمُحِبُّ كَذَا غَيُورُ

---

(١) البيت لجرير بن عطية الخطفي. انظر: الدر الفريد ـ خ ـ ١/ ١٦٦.
(٢) البيت مضمن لشاعر مجهول.

وقال بديهًا يصف سيفًا وقد سلّ ذلك بحضرة السلطان أتابك / ٤٨ب/ الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

وَأَبيَضَ مِنْ طَبْعِ الهُنُودِ تَخَالُهُ ... إِذَا هُزَّ فِي الهَيْجَا سَنًى مُتَلَهِّبَا
مَتَى سَلَّهُ السُّلْطَانُ مَسْعُودُ لَمْ تَجِدْ ... أُسُودُ الشَّرَى عَنْ مَنْهَلِ المَوْتِ مَهْرَبَا
حُسَامُ وَغًى مُذْ فُضِّضَتْ شَفَرَاتُهُ ... صِقَالاً غَدَا لِلْهَامِ فِي الحَرْبِ مُذْهِبَا

وقال أيضًا في المعنى: [من الكامل]

وَمُهَنَّدٍ مَاضِي الغِرَارِ مُجَرَّدٍ ... فِي غَيْرِ مَعْرَكَةٍ وَسَفْكِ دِمَاءِ
عُنِيَ القُيُونُ بِهِ فَجَاءَ كَمَا ارْتَضَوا ... مِنْ بَعْدِ كَدٍّ وَارْتِكَابِ عَنَاءِ
وَافِي الفِرِنْدِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُ ... أَيْدِي صَيَاقِلَةٍ قَمِيصَ هَبَاءِ
مَا هُزَّ يَوْمَ الرَّوْعِ إِلاَّ خِلْتَهُ ... أَفْعَى تَقَلَّبَ فِي حَشًا رَمْضَاءِ

وله: [من مجزوء الرمل]

ضَاعَ قَلْبِي فَانْشُدْهُ ... فِي هَوَى مَنْ لا يُسَمَّى
صَنَمٌ مَا زَالَ مَفْتُونًا ... بِهِ العَالَمُ قِدْمَا
طَابَ وَرْدُ الخَدِّ مِنْهُ ... يَانِعًا غَضًّا وَشَمَّا
خُضْتُ فِي بَحْرِ هَوَاهُ ... سَابِحًا إِمَّا وَإِمَّا

/ ٤٩أ/ وقال أيضًا بديهًا، وقد سئل القول في النبي ﷺ: [من السريع]

ذَاكَ النَّبِيُّ الَّذِي مَنَاقِبُهُ ... أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَحُوزَهَا حَصْرُ
ذُو الشَّرَفِ الأَطْوَلِ الَّذِي ابْتَهَجَ الرُّكْنُ بِهِ وَالمَقَامُ وَالحِجْرُ
بِمَدْحِهِ نَزَلَ الكِتَابُ فَمَا ... هَذَا الَّذِي فِيهِ يَبْلُغُ الشِّعْرُ
انْشَقَّ إِيوَانُ فَارِسٍ فَرَقًا ... مِنْهُ وَطَفَّا نِيرَانَهَا الذُّعْرُ
ذَلَّتْ خُضُوعًا لِعِزِّهِ اللاَّتُ وَالعُزَّى وَهَانَ الصَّلِيبُ وَالكُفْرُ
وَلَيْسَ لِي إِنْ تَأَخَّرَتْ مِدَحِي ... عَنْهُ وَقَدْ صَحَّ مَقْوَلِي عُذْرُ

وقال في رجلين أحدهما يلقب بالشمس والآخر بالبدر وقد زاراه:

[من البسيط]

يَحِقُّ لِلدَّارِ أَنْ تَخْتَالَ شَامِخَةً ... عَلَى السَّمَاءِ وَتَثْنِي عِطْفَهَا تِيهَا

إذْ أضْحَتِ الشَّمْسُ تَسْرِي فِيْ مَنَازِلِهَا ... وَأصْبَحَ البَدْرُ يَسْعَى فِيْ حَوَاشِيْهَا

وقال على لسان شخص سأله ذلك: [من البسيط]

يَا أحْسَنَ الخَلْقِ أخْلاقًا وَأسْمَحَهُمْ ... وَأذْكَرَ النَّاسِ لِلْمَعْرُوْفِ لِلْنَّاسِ

وَيَا أجَلَّ الوَرَى قَدْراً وَأطْيَبَهُمْ ... ذِكْراً وَأثْبَتَهُمْ جَأْشًا لَدَى البَاسِ

/٤٩ب/ حَاشَاكَ حَاشَاكَ أنْ أُلْقَى بِبَابِكَ مَمْنُوْعًا وَيَدْخُلُ شَمَّاسُ بْنُ شَمَّاسِ

أظَلُّ فِيْهِ ذَلِيْلاً جِدُّ مُطَّرَحٍ ... كَأنَّنِيْ أمَوِيٌّ عِنْدَ عَبَّاسِي

إن كَانَ . . . . . أبَداً ... فَلَسْتُ . . . . . لَهُ مَا عِشْتُ بِالنَّاسِي

وأنشدني لنفسه يرثي والدته ـ رضي الله عنها ـ ووجد عليها وجداً شديداً:

[من الطويل]

رَمَتْنِيْ يَدُ الأيَّامِ حَتَّى كَأنَّنِي ... لَهَا غَرَضٌ وَالنَّائِبَاتُ نِبَالُ

وَعَانَدَنِيْ دَهْرِيْ فَأصْبَحْتُ تَقْتَفِيْ ... رِعَالَ الرَّدَى مِنْهُ إلَيَّ رِعَالُ[1]

فَرِيْداً كَنَصْلِ السَّيْفِ مَا إن يَشِيْنُهُ ... شُحُوبٌ وَلاَ يُزْرِيْ عَلَيْهِ هُزَالُ

صَبُوراً عَلَى الأهْوَالِ لاَ يَسْتَفِزُّنِي ... إلَى طَمَعٍ فِيْ العَالَمِيْنَ نَوَالُ

وَيُقْنِعُنِيْ وَالمَاءُ دَانٍ فُرَاتُهُ ... وَقَدْ كَظَّنِيْ حَرُّ المَوَامِي آلُ

وَأُصْبِحُ غَرْثَانًا عَنِ الزَّادِ طَاوِيًا ... عَلَى الجُوْعِ وَالأيْدِيْ إلَيْهِ عِجَالُ

تَكَنَّفَنِيْ فِيْ المَجْدِ جَدٌّ وَوَالِدٌ ... وَعَمٌّ بِهِمْ فَخْرُ الزَّمَانِ وَخَالُ

وَنِلْتُ وَنَالَ الدَّهْرُ مِنِّي مُحَارِبًا ... وَلَلْحَرْبُ فِيْمَا قَدْ يُقَالُ سِجَالُ

مَتَى أسْرَعَتْ نَحْوَ الدَّنِيَّةِ أرْجُلٌ ... فَعَقْلِيَ عَنْهَا وَالعَفَافُ عِقَالُ

أضِلُّ إذَا كَانَ الهُدَى بَاعِثَ الخَنَى ... وَبَعْضُ الهُدَى لَوْ تَعْلَمُونَ ضَلاَلُ

/٥٠أ/ وَلَسْتُ أُدَانِيْ النَّقْصَ أنِّي وَقَدْ غَدَا ... الكَمَالُ أبِيْ إذْ لا يُعَدُّ كَمَالُ

فَلاَ كَانَ يَوْمٌ لَمْ يَزِدْنِيْ بِهِ عُلَى ... حَيَاةٍ وَيَكْسُوْنِيْ الفَخَارَ جَلاَلُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من المتقارب]

وَلَمَّا تَفَقَّدْتُ أهْلَ الزَّمَانِ ... لأصْحَبَ مِنْهُمْ صَدِيْقًا صَدُوْقَا

---

(١) رعال: جمع رعيل، القطعة من الخيل والرجال والطير.

وَلَـــمْ أَرَ إلاَّ وَدُوْدَ اللِّسَـــان   يُظْهِـــرُ بِـــرّاً وَيُخْفِـــيْ عُقُـــوْقَــا
صَحِبْـتُ الـــدَّفَــاتِــرَ مُسْتَــأنِســاً   بِهِـــنَّ فَكُـــنَّ رَفِيْقـــاً رَفِيْقَـــا

وقال: [من الطويل]

وَذِيْ حَنَــقٍ تَغْلِــيْ مَــرَاجِــلُ صَــدْرِه   عَلَــيَّ زَوَىٰ عَنِّــيْ العُبُــوْسُ جَبِيْنَـــهُ
يَبِيْـــنُ مُحَيَّـــا فِكْـــرِه فِــيْ مَسَـــاءَتِــيْ   وَذَنْبِــيْ إلَيْـــهِ نَيْلِــيَ المَجْـــدَ دُوْنَـــهُ

وقال: [من المنسرح]

وَرُبَّ ضِغْـــنٍ عَلَـــيَّ ذِيْ حَنَـــقٍ   لَقِيْتُـــهُ وَهْـــوَ مُعْـــرِضٌ تِيْهَـــا
فَصَـــدَّ عَنِّـــيْ كَـــأنَّمَـــا أنَـــا مِـــرْآةٌ رَأىٰ قُبْـــحَ وَجْهِـــهِ فِيْهَـــا

ومن نثره، جوابٌ:

«ورد كريم كتاب المجلس الفلانيّ فشرَّف سمعَه وشَنَّفَه، وهذَّب طبعَه ولطَّفَه، وأسعده بفواضله الدَّارَّة/ ٥٠ب/ وأسعفَه.

تناوله بيد الثناء والحمد، وتأمَّله بعين الغرام والوجد، وحدَّثه بألسنته الفصاح حتىٰ خُيِّل إليه وإنه لسعد، وتمتّع بريّاه الطيِّب مستغنيًا عن عَرار نجد.

أقبَّلُه تقبيلَ فم الحبيب، واستروحُ إليه استرواحَ المريض إلىٰ الطبيب، واستنشق منه طيبًا يُزري نَسَمُه علىٰ طلِّ كلِّ طيْب، وسمع من الفاظه المعجمةَ ما حقَّر عنده الألفاظ التي يسمعها من الخطيب؛ وطَفِقَ يشرح طرفه في آثاره، ويجتني يانع ثماره، ويقتطف محاسن أزهاره؛ قائلاً بلسان ولائه المبين؛ ﴿سُبحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقرِنِينَ﴾[1].

لكنَّه جدد شوقه وما كان عافيًا، وأذكر غرامه ولم يكن ناسيًا، والآن قلب وجهه وحاشاه أن يرىٰ فيه قاسيًا. فرعىٰ الله مولًى أهداه، وسقىٰ الله رسولاً حملته يمناه، وبرّ كتابًا جدّ به إليه سُراه. ووجده مشتملاً من ذكر الوجد والغرام، ووصف الشوق الذي لا يزال ينمىٰ علىٰ مرَّ الأيام؛ ما ظنّه يخبر به عن خاطره، ويتحدّث / ٥١أ/ بفحواه عن ضمائره، ويُعرِب بصادق مودَّته عن أول حبِّه وآخره».

---

(١) سورة: الزخرف، الآية: ١٣.

جواب آخر:

«أدام الله أيام المجلس السامي، وطرف عن عليائه عين الكمال، وصرف إلىٰ آلائه وجوه الإقبال، ونظم منه قلائدَ في أعناق الرجال، ولا زال مسعاه في الناس جميلاً، وبرُّه علىٰ الخَلق جزيلاً، وبقاؤه علىٰ بقاء المكارم دليلاً.

ورد الكتاب الكريم الذي أعرب عن المجد وأغرب، وأزال بالأنس الوحشة وأذهب، وأوضح في الموالاة والمصافاة المذهب؛ المنفتحة لكمامه عن زهر الحسن والحسنىٰ، المتصلة به وفود المسار اتصالَ اللفظ بالمعنىٰ، فتلقاه مستمتعًا برؤيته وريّاه، متقسم السرور بين لفظه ومعناه، وما تضمنه من الإنعام الذي لا يزال يبديه ويعيده، وتحلو به الأعناق العاطلة عقوده؛ بدعائه المستجاب، وثنائه المستطاب، وحمده الذي يذهب شخص الزمان وليس له ذهاب».

جواب آخر:

/ ٥١ب/ «ورد كتابُ المجلس السامي؛ أسعد الله أيامه، وجدّد علىٰ الأنام إنعامه، وأعلىٰ بإعلاء قدره أعلامه، وعجّل إذلال عدوّه وإرغامه؛ ولا زال مسعود المَصادر والمواردَ، موقوف المساعي علىٰ إقتناء مطَلقات المحامَد، مبني السعادة علىٰ أثبت القواعد وأصحِّ العقائد، فأزال الوحشة الكامنة بأُنسه، وجلّىٰ ظلم الأشواق الباطنة بشمسه، وشرف بوصوله يومه علىٰ غده وأمسه؛ فتلقاه تلقي الأحباب، واستقبله استقبال الغياب، وفضّه عن جنات عدن المفتحة الأبواب. وقابل ما أودعه من الإنعام بدعاء هو دأبه في ساعات ليله ونهاره، ووظيفته المواظب عليها في عشيه وإبكاره.

وجدَّ به داعي الشوق إلىٰ خدمته، واقتسمته دواعي الغرام إلىٰ مشاهدته، وأمطرته علىٰ بعد من سحاب مكارمه ما روّض به روض أمنيته؛ فإن حاولَ وصف ما وجده من الابتهاج بإقباله، وحواه من السرور عند إظلاله، وما قابله به مَن الاحترام الواجب علىٰ مثله / ٥٢أ/ لأَمثاله، فقد رام أمراً يعجز عنه لسَانه، ويكلّ فيه بنانه، ويتبلّد دون إدراكه بيانه؛ والله المسئول أن يُوزِعَهُ شكر حقوقه الجسام، وأياديه الباقية غرّةً في وجه الأيَّامَ، وتفضلاته التي أضلـه عمـاؤهـا الـدائـم إظـلال الغمـام، وفهـم مـا أشـار

إليه في معنىٰ كذا وكذا».

ابتداء كتاب:

«أسعد الله أيام المجلس الفلاني ووالىٰ فضله، وأعلىٰ محلّه، وقرن بالنجاح عقده وحلّه، وجمّل به الزمن وأهله؛ ولا زال كُلّ فصيح ناطقًا بحمده، وكُلُّ بليغ حامداً لمجده، وكُلُّ أملٍ محققًا في رفده، وكل إنجاز كامنًا في جانب وعده.

وصدرت هذه الخدمة مشتملة علىٰ الدعاء الموصوف بالصلاح، والثناء الذي لا يزال يُهديه في الغدوّ والرواح، والحمد المتوالي فيه عند الملوِّ والولاء الذي أصبح ضميره ابن قيسه فاقسم أن لا َبرَاح، والأشواق التي لا تنفك تتجدد، والأتواق التي زفراتها مع ساعات النهار تتردد، والغرام الذي لو كان البحر مدداً لكلماته / ٥٢ب/ لنفد البحر قبل أنْ ينفد. وكيف لا يكون كذلك وقد أصبح في محبَّته عريقًا، وغدا في بحر فواضله غريقا، وصار لرفيق إِحسانه رفيقًا: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

[٣٠]
إبراهيمُ بن محمد بن معالى بن عبد الكريم، أبو إِسحاق الرقيُّ، المعروف بابن الجبناتيِّ[2].

قدم الموصل في حداثته، ولم يزل بها قاطنًا إِلىٰ أن مات يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة.

وكانت ولادته في شهر ذي القعدة سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

صحب الشيخ أبا الحرم مكي بن ريان النحوي، وتأدّب عليه ودرس فقه الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وصار معيد درسه بالمدرسة العِزِّيَّة التي أنشأها أتابك نور الدين أبو الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ رضي الله عنه ـ وكان خازن كتبها وكتب المدرسة العِزِّيَّة التي مقابلها؛ مضافًا إِلىٰ الإعادة.

رجل طويل كهل، نزل الشيب بعارضيه. كان رجلاً عاقلاً محترمًا عند الناس،

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢) في قراءة د. الصقار: «الحُبناني».

رزينًا وجيهًا، ذا فضل وعلم، له شعر حسن في مديح / ٥٣أ/ وغزل.

أنشدني لنفسه يمدح الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ـ رضي الله عنه ـ ويهنئه بالنوروز: [من السريع]

بَاتَ يُديرُ الرُّضابَ والضَّرَبا ... نَشْوانَ يَهْتَزُّ صَبْوةً وَصبَا
يَجلُو عَلَيْنَا جَبِينُهُ قَمَراً ... مُكلَّلاً بالجَمَالِ مُعْتَصِبَا
يَغضَبُ مِنْ أنْ رُمْتُ تَقْبِيلَ خَدَّيْهِ وَيَا حُسْنَهُ إذَا غَضِبَا
ظَبْيٌ يُعَانِي مِنْ فَتْكِهِ أسَدٌ ... مُخْتَلِسًا لِلنُّفُوسِ مُنْتَهِبَا
طَلْقُ المُحَيَّا تَلْقَاهُ مَا لَمْ تَسُمْ وَصْلاً فَإنْ سُمْتَ وَصْلَهُ غَضِبَا
قَامَ وَضَوْءُ الصَّبَاحِ قَدْ مَدَّ فِي الشَّرْقِ شُعَاعًا وَالنَّجْمُ قَدْ غَرَبَا
وَهَزَّ أعْطَافَهُ فَأسْكَرَنَا ... وَمَا شَرِبْنَا خَمْراً وَمَا شَرِبَا
وَحَثَّ رَاحًا كَالشَّمْسِ جَلَّلَهَا ... حَبَابُهَا عِنْدَ مَزْجِهَا شُهُبَا
فِي رَوْضَةٍ جَادَهَا الوَلِيُّ كَمَا ... سَحَّ عَلَيْهَا الوَسْمِيُّ وَانْسَكَبَا
فَأصْبَحَتْ غِبَّ ذَاكَ تَرْبُو وَتَهْتَزُّ وَتُبْدِي مِنْ وَشْيِهَا عَجَبَا
وَالطَّيْرُ يَشْدُو فِي دَوْحِهِ فَإذَا ... جَاوَبَهُ الزِّيْرُ صَاحَ وَانْتَحَبَا[1]
إذَا انْقَلَبْنَا مِنْهَا وَجَدْتَ لَنَا ... بِدَيْرِ بَاتِحَائِيلَ مُنْقَلَبَا
/ ٥٣ب/ نَأوِي إلَيْهِ لَيْلاً فَنَسْمَعُ مِنْ ... رُهْبَانِهِ مَا يَزِيدُنَا طَرَبَا
هَذَا وَبَدْرُ السَّمَاءِ يَرْمِي عَلَى دِجْلَةَ مِنْ نَارِ نُورِهِ لَهَبَا
فَتَحْسَبُ المَاءَ إذْ يُخَالِطُهُ الشُّعَاعُ ثَوْبًا مُغَرَّقًا ذَهَبَا
وَنَحْنُ فِي فِتْيَةٍ تَخَيَّرَهُمْ ... لِلَّهْوِ فَصْلُ الرَّبِيعِ وَانْتَخَبَا
مِثْلِ الدَّرَارِي يَزِينُهُمْ كَرَمٌ ... ضَمُّوا إلَيْهِ المُجُونَ وَالأدَبَا
نَخْتَلِسُ العَيْشَ فِي حِمَى مَلِكٍ ... سَمْحٍ يَرَى الحَمْدَ خَيْرَ مَا اكْتَسَبَا
سَهْلٌ إذَا مَا الزَّمَانُ دَانَ لَهُ ... فَإنْ رَأى مَا يُرِيبُهُ صَعُبَا
كَالغَيْثِ لِلْمُعْتَفِي إذَا وَهَبَا ... وَاللَّيْثِ لِلْمُعْتَدِي إذَا وَثَبَا
نَابَتْهُ آمَالُنَا وَقَدْ سَدَنَتْ ... فَقْراً فَزَوَّى مِنْ كَفِّهِ نَسَبَا

(١) الزير: الدقيق من الأوتار.

إذَا ٱعْتَلَقْنَا مِنْ ظِلِّهِ سَبَبًا لَمْ نَخْشَ يَوْمًا مِنْ حَادِثٍ سَبَبَا
يَا مَلِكًا لَمْ تَجُدْ أَنَامِلُهُ إلاَّ وَبَذَّتْ بِسَحِّهَا السُّحُبَا
تَهَنَّ هَذَا النَّوْرُوزُ وَالعَشْرُ وَالنَّحْرُ وَعِشْ تَسْتَجِدُّهَا حِقَبَا
فَمَا نُبَالِي إذَا بَقِيتَ لَنَا مَا فَاتَ مِنْ عَيْشِنَا وَمَا ذَهَبَا

وقال يمدح أتابك نور الدين أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود ـ رحمه الله ـ:

[من الطويل]

/ ٥٤أ/ سَلِ الرَّبعَ عَنْ سُكَّانه أيْنَ يَمَّمُوا سَرَوا وَهَواهُمْ بِالفُؤَاد مُخَيِّمُ
تَوَلَّوا فَيَا للهِ كَمْ شَقِيَتْ بِهِمْ نُفُوسٌ بِمَرآهُمْ تَلَذُّ وَتَنْعَمُ
أحَلُّوا دَمَ العَانِي بِوَشْكِ رَحِيلِهِمْ وَذَادُوا الكَرَىٰ عَنْ نَاظِرَيْهِ وَحَرَّمُوا
وَمَا ضَرَّهُمْ يَوْمَ اسْتَقَلُّوا لَوَ انَّهُمْ أشَارُوا بِإيْمَاضِ اللِّحَاظ وَسَلَّمُوا
تَنَسَّمْتُ أرْجُو نَفْحَةً مِنْ دِيَارِهِمْ وَهَيْهَاتَ مَا أرْجُو وَمَا أتَنَسَّمُ
وَقِدْمًا سَمِعْتُ البُعْدُ يُعْقِبُ سَلْوَةً فَهَا أنَا ذَا صَبٌّ مَعَ البُعْد مُغْرَمُ
وَحَاوَلْتُ أنْ أحْظَىٰ بِطَيْفِ خَيَالِهِمْ وَأنَّى مَعَ التَّسْهِيد طَيْفٌ مُسَلِّمُ
هُوَ الدَّهْرُ لا يَنْفَكُّ حَادِثُ خَطْبِهِ يَجُورُ عَلَىٰ الحُرِّ الكَرِيم وَيَظْلِمُ
سَألْجَأُ مِنْ صَرْف الزَّمَان وَرَيْبِهِ إلَىٰ مَلِكٍ يَحْمِي الجِوَارَ وَيَعْصِمُ
فَفِي ظِلِّ نُورِ الدِّين لِي مُتَفَيَّأٌ مَنِيعٌ يَقِي مِنْ سُوءِ مَا أتَوَهَّمُ
شَدِيدُ الإبَا مَاضِي الشَّبَا غَامِرُ الحَيَا خَصِيبُ الرُّبَىٰ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيُنْعِمُ
رَحِيبُ الفِنَا عَالِي السَّنَىٰ كَاسِبُ الثَّنَا مَشِيدُ البِنَا مُولِي الغِنَىٰ مُتَكَرِّمُ
بِطَائِرِهِ المَيْمُونِ يُسْتَنْزَلُ الحَيَا وَتُسْتَدْفَعُ الجُلَّىٰ بِهِ حِينَ يُقْدِمُ
يُضِيءُ دُجَى اللَّيْلِ البَهِيم جَبِينُهُ وَإمَّا سَطَا فَاليَوْمُ بِالنَّقْع مُظْلِمُ
تَسِيخُ الرَّوَاسِي الشُّمُّ خِيفَةَ بَأْسِهِ سِرَاعًا وَتَطْفُو خِفَّةً حِينَ يَحْلُمُ
/ ٥٤ب/ إذَا مَا ٱنْتَضَىٰ العَضْبَ الجُرَازَ ٱنْتَضَىٰ بِهِ عَلَىٰ المَوْت مَوْتًا يَسْتَشِيرُ وَيَنْقِمُ
وَمَهْمَا ٱحْتَبَىٰ فِي ٱلْمُنْتَدَىٰ بِنِجَادِهِ عَنَا اللَّيْثُ وَٱنْقَادَ الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ[1]
فَلاَ مَوْتَ إلاَّ حِينَ يَزْأرُ مُغْضَبًا وَلاَ عَيْشَ إلاَّ حِينَ مَا يَتَبَسَّمُ

---

(١) عنا: خضع وذل.

وَلا عِزَّ إلاَّ فِي جِوَارِ جَنَابِهِ ... وَلا ذُلَّ إلاَّ حِيْنَ يَجْفُو وَيَصْرِمُ
بَصِيْرٌ بِأُخْرَىٰ الأَمْرِ مِنْ قَبْلِ بَدْئِهِ ... خَبِيْرٌ بِفَصِّ الأَمْرِ وَالأَمْرُ مُبْهَمُ(١)
تَحَلَّى بِعَزْمٍ لا يُجَارِيْهِ صَارِمٌ ... وَبِالجَزْمِ طُرّاً لاَ يُبَارِيْهِ لَهْذَمُ
تَكَنَّفَتِ الحَدْبَاءُ مِنْهُ مُمَلَّكاً ... يُعَالِجُ أَدْوَاءَ الخُطُوْبِ وَيَحْسِمُ
فَيَا نَبْعَةَ المُلْكِ الأَثِيْلِ غِرَاسُهُ ... وَيَا بَانِيَ المَجْدِ الَّذِيْ لا يُهَدَّمُ
فِدَاؤُكَ رُوْحِي لَيْسَ لِيْ فَوْقَهَا فِدَىً ... وَذَلِكَ أَقْصَىٰ مَا تَعَاطَاهُ مُعْدِمُ
سَقَىٰ المَوْصِلَ الحَدْبَاءَ كُلُّ مُلِثَّةٍ ... تَسُحُّ عَلَىٰ أَكْنَافِهَا وَتُدَيِّمُ
فَمَا هِيَ إلاَّ رَوْضَةٌ طَابَ نَشْرُهَا ... يَهَشُّ إِلَيْهَا النَّاظِرُ المُتَوَسِّمُ
تَفَوَّقْتَ . . . . . العِلْمِ مِنْهَا وَصَارَ لِيْ ... لِسَانٌ يُجِيْدُ النَّثْرَ فِيْهَا وَيَنْظِمُ
وَلا بِدْعَ أَنْ يَمْتَاحَهَا كُلُّ وَارِدٍ ... وَيَصْدُرُ عَنْهَا سَجْلُهُ وَهْوَ مُفْعَمُ(٢)
فَقَدْ أَصْبَحَتْ لِلْعِلْمِ دَاراً وَمَعْلَماً ... فَسِيْحاً إِلَيْهِ يَفْزَعُ المُتَعَلِّمُ
سَأَرْحَلُ عَنْهَا مُكْرَهاً مُتَأَسِّفاً ... وَأَعْظِمْ بِمَا أَلْقَىٰ وَمَا أَتَجَشَّمُ
/ ١٥٥أ/ وَأُوْدِعُهَا دُرَّ القَرِيْضِ مُوَدِّعاً ... وَأَسْلُبُ فِيْهَا دَرَّ دَمْعِي وَأَسْجُمُ
وَأُتْحِفُهَا مِمَّا حَبَتْنِي مَدَائِحاً ... هِيَ الدُّرُّ حُسْناً بَلْ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ
قَوَافِيَ لَوْ مَرَّتْ بِسَحْبَانَ وَائِلٍ ... ثَنَاءً لأَضْحَىٰ وَهْوَ أَلْكَنُ أَعْجَمُ
وَلاَ بَرِحَتْ مَأْنُوْسَةً بِمَلِيْكِهَا ... تَتِيْهُ بِهِ مِنْهَا رُبُوْعٌ وَأَرْسُمُ
وَلاَ زَالَ دَسْتُ المُلْكِ مِنْهُ مُتَوَّجاً ... بَهَاءً مَدَىٰ الأَيَّامِ يَنْمَىٰ وَيَعْظُمُ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

كُلُّ كَفٍّ تَجُوْدُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ... نِعَماً تُوْسِعُ البَرِيَّةَ بِرَّا
وَإِذَا مَا وَعَدْتَ كَانَتْ بِبَذْلِ الجُوْدِ لِلْمُعْتَفِيْنَ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ
لَسْتُ مِمَّنْ يَقْتَضِيْكَ وَعْداً وَلَكِنْ ... خِفْتُ نِسْيَانَهُ فَجَدَّدْتُ ذِكْرَا

وله: [من الخفيف]

زَارَنِي مَنْ أُحِبُّ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ... فَأَعَادَ الظَّلامَ عِنْدِيْ صَبَاحَا

---

(١) فص الأمر: حقيقته.
(٢) سجله: دلوه.

وَثَنَىٰ عِطْفَهُ فَعَايَنْتُ غُصْناً وَجَلاَ ثَغْرَهُ فَخِلْتُ أُقَاحَا

[٣١]

إبراهيمُ بن محاسنَ بن عبد الملك بن عليٍّ بن نجا التنوخيُّ، أبو إسحقَ الدمشقيُّ.

من أهل دمشق. كانت ولادته في إحدىٰ الجُماديين سنة ستمائة.

كان والده من العلماء المتفننين في وقته في علوم الشريعة؛ إمامًا زاهداً متعبداً خيراً في نفسه، ذا دين وتقوىٰ.

وابنه هذا شاهدته بحلب وهو شاب فاضل حافظ للقرآن العزيز، عارف بالنحو واللغة والعربية، مستظهراً جملة وافرة من الأشعار، فهمًا للمعاني، متكلمًا مناظراً، يبحث بحثًا جيداً في كل فن من العلوم حتىٰ تميّز علىٰ أبناء جنسه بذكائه، وقوة فطنته.

وكان يسكن بيتًا ببعض مدارسها، ولم يكن. . . . . ، وعاشر جماعة من أماثلها وصدورها؛ فأقبلوا عليه. وكان يغشىٰ منازلهم في بعض الأوقات، ثم ينقبض عنهم ويتجنبهم؛ وفي جملة من كان يغشى عون الدين أبا المظفر سليمان بن عبد المجيد بن العجمي. وكان يرغب في معاشرته؛ وربما انبسط معه وداعبه في مجالس أنسه.

ثم إنه نبزه بالزَّلْزُول[١]، فامتعض من أجل هذا اللقب، وأظهر غيظًا، فلما رآه أنه قد اغتاظ، دسَّ غلمانه عليه. فكان إذا أقبل صاحوا عليه بهذا النبز. فتوغر صدره عليه حتىٰ كاد يتلف غيظًا، فحمله الغيظ علىٰ أَنَ صار يكتب رقاعًا يودعها هجواً شنيعًا مقذعًا في العون بن العجمي، ويلقيها في أبواب الدور التي . . . . . الكبار من أهل حلب وبني عمّه. ويمزقه فيها كلَّ ممزق، ويشتره أقبح التشتير حتىٰ كتب ما يقارب خمسمائة رقعة، وشاعت في المدينة وتداولها الناس وحفظوها وتحدّثوا بها؛ فعظم ذلك علىٰ العون، ولجّ في طلبه وفحص عمن يفعل ذلك ولم يعلم من كان يكتبها . . . . . ، فقبض عليه العون وأنهىٰ أمره إلىٰ حاكم البلد والمستولي عليه فحكَّمه فيه وأهدر دمه؛

---

(١) الزلزول: في كتب اللغة بالضم: الظريف الخفيف.

فاعتقله في منزله، وهَمَّ جماعته بقتله فلم يمكنهم العون من ذلك. . . .][(١)].

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

/٥٥ب/ أيَا مَنْ شَكَا الهَجْرَ المُبَرِّحَ بالصَّبِّ ... لَقَدْ أقْرَحَتْ شَكْوَاكَ يَا مُنْيَتِي قَلْبِي
وَأسْبَلْتُ دَمْعًا مِنْ جُفُونِيَ أَقَلُّهُ ... إذَا ضَنَّتِ الأنْوَاءُ يَعْيَى عَنِ السُّحْبِ
وَأعْجَبُ شَيْءٍ قَاتِلٌ يَشْتَكِي الجَوَىٰ ... إلَىٰ مُغْرَمٍ أشْجَانُهُ ذِكْرُهَا يُصْبِي
عَلَىٰ كَبِدِي أضْعَافُ مَا أنْتَ وَاجِدٌ ... مِنَ الشَّوْقِ وَالبَلْبَالِ وَالوَجْدِ وَالكَرْبِ
إذَا كُنْتَ فِي قَلْبِي مُقِيمًا وَنَاظِرِي ... يَرَاكَ بِعَيْنِ الفِكْرِ مَعْ كَثْرَةِ الحُجْبِ
فَلاَ حَاجَةٌ لِيَ أنْ أُخَاطِبَ سَاكِنًا ... بِقَلْبِيَ فِي طَيِّ الرَّسَائِلِ وَالكُتْبِ
وَلِي أنَّةٌ مَا تَنْقَضِي وَتَوَجُّعٌ ... عَلَيْكُمْ وَأشْجَانٌ أُكَتِّمُهَا صَحْبِي
فَلَوْ ظَهَرَتْ أسْرَارُ وَجْدِي لَعُطِّلَتْ ... أحَادِيثُ أهْلِ الحُبِّ يَا سَالِبِيْ لُبِّي
يُهَيِّجُنِي لَيْلاً حَمَائِمُ دَوْحِكُمْ ... وَلَوْلاكَ مَا هَاجَ الحَمَائِمُ لِلْصَّبِّ
وَإنْ خَطَرَتْ عِنْدَ الصَّبَاحِ نُسَيْمَةٌ ... لَهَا أرَجٌ مِنْكُمْ أقُولُ لَهَا: هُبِّي
وَلاَ تَقْطَعِي رَيَّاهُمُ عَنْ مُتَيَّمٍ ... بِهِ مِنْ هَوَاهُمْ مَا يَجِلُّ عَنِ الخَطْبِ
مَتَىٰ يَنْقَضِي هَذَا البِعَادُ وَأجْتَنِي ... بِطِيبِ التَّدَانِي مِنْكُمُ ثَمَرَ الحُبِّ
وَأُصْبِحُ فِي أمْنٍ مِنَ الصَّدِّ وَالجَفَا ... وَأسْعَدُ مِنْ بَعْدِ التَّبَاعُدِ بِالقُرْبِ
أُجِلُّكَ أنْ أشْكُو إلَيْكَ صَبَابَتِي ... وَأُشْفِقُ أنْ أشْكُو هَوَاكَ إلَىٰ رَبِّي
وَأُصْبِحُ ظَمْآنًا إلَىٰ وِرْدِ وَصْلِكُمْ ... عَسَىٰ شُرْبَةٌ مِنْ ذَلِكَ المَوْرِدِ العَذْبِ
/١٥٦أ/ زَعَمْتَ وَصَالِيْ طِبُّ سُقْمِكَ يَا مُنَىٰ ... فُؤَادِي مَنْ لِي أنْ أفُوزَ بِذَا الطِّبِّ
وَيَطْلُبُ رِفْقًا مِنْ أسِيرِ هَوَاكَ فِي ... جَوَانِحِهِ مَا بَيْنَ قَلْبٍ إلَىٰ خِلْبِ
أيَا مَنْ يُشَهِّيْنِي إلَىٰ طِيبِ وَصْلِهِ ... وَيَصْطَادُ قَلْبِي بِالحَدِيثِ الَّذِي يَسْبِي
وَيُظْهِرُ لِي شَوْقًا وَنَحْنُ شَبِيهُنَا ... إذَا خَفَقَ التَّشْبِيهُ كَالحُوتِ وَالضَّبِّ
وَلاَ حَظَّ لِي مِنْهُ سِوَى الهَجْرِ وَالقِلَىٰ ... وَتَعْذِيبِ قَلْبِي بِالدَّلالِ وَبِالعُجْبِ
فَلَوْ كُنْتَ فِي دَعْوَىٰ المَحَبَّةِ صَادِقًا ... لَوَاصَلْتَنِي مِنْ غَيْرِ قَوْلِيْ لَكُمْ عُجْ بِي

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[٣٢]

إبراهيمُ بن حامد بن عطا بن حامد بن محمد بن نبهانَ بن عيسىٰ بن عبيد الله بن بشرِ بن ريان الأسديُّ الحورانيُّ.

مولده بشهبة ـ قرية من أعمال بصرىٰ من الثغور الشامية(١) ـ سنة إحدىٰ عشرة وستمائة.

أنشدني لنفسه يمدح الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته:

[من الكامل]

حَرَمٌ لَهُ مِنْ ذي الجَلَالِ ذِمَامُ ... وَصَلَاةُ قُدْسٍ طَاهِرٍ وَسَلَامُ

حَرَمٌ يَفُوقُ النَّيِّرَيْنِ وَمَنْزِلٌ ... أَضْحَىٰ لَهُ فَوْقَ السِّمَاكِ مُقَامُ

/ ٥٦ب/ فَلَئِنْ سَعِدْتَ بِقُرْبِهِ وبِلَثْمِهِ ... فَلأَنْتَ فِي الدَّارَيْنِ لَسْتَ تُضَامُ

قَدْ زَيَّنَ اللهُ البِلَادَ بِدَوْلَةٍ ... مَا شَابَهَا ظُلْمٌ وَلَا إِظْلَامُ

بِإِمَامِنَا المَنْصُورِ فَاخَرَ دِينُنَا ... طَوْدُ الحِجَىٰ إِنْ خَفَّتِ الأَحْلَامُ

جَبَلُ الحُلُومِ رَسَا وَخَيْرُ خَلِيفَةٍ ... نِيطَتْ بِهِ فِي الأَعْصُرِ الأَحْكَامُ

مَنْ ذَا يُحِيطُ بِوَصْفِهِ وَهْوَ الَّذِي ... قَدْ قَصَّرَتْ عَنْ كُنْهِهِ الأَفْهَامُ

لَوْ رَامَتِ الأَقْلَامُ تَكْتُبُ فَضْلَهُ ... مَا أَدْرَكَتْ مَا رَامَتِ الأَقْلَامُ

تُزْهَى المَنَابِرُ حِينَ يُذْكَرُ وَصْفُهُ ... طَرَبًا وَيَحْسُنُ فِي نُهَاهُ نِظَامُ

مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ حَافِظُ حُرْمَةِ الإِسْلَامِ لَيْسَ عَنِ الأَنَامِ يَنَامُ

فِيهِ قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا ... واللهُ شَاهِدُ ذَاكَ والإِسْلَامُ

مَا هَمُّهُ فِي لَذَّةٍ بَلْ هَمُّهُ ... أَنْ تُجْبَرَ الضُّعَفَاءُ وَالأَيْتَامُ

هُوَ بَدْرُ أَرْضِ اللهِ والدُّنْيَا لَهُ ... فَلَكٌ كَوَاكِبُهَا لَهُ خُدَّامُ

خَيْرُ الخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... أَحْكَامُهُ لِزَمَانِهِ إِحْكَامُ

هُوَ كَعْبَةُ القُصَّادِ وَالحَرَمُ الَّذِي ... أَبَدًا لَهُ الإِجْلَالُ والإِحْرَامُ

طَافَتْ بِهِ الآمَالُ وَهْيَ نَوَافِرٌ ... مَا قَادَهُنَّ إِلَىٰ سِوَاهُ زِمَامُ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٧٤.

عَـمَّ الخَـلاَئـقَ مِـنْ فَـوَاضِـلِ جُـوْدِه بنَـوَالِـه الأَنْفَـالُ وَالأَنْعَـامُ
/ ١٥٧أ/ عَـدَلَ الـزَّمَـانُ بخَلْقِـه وبخُلْقِـه فَتَبَـاشَـرَتْ بخِـلاَلِـه الأَيَّـامُ
لَـوْلاَ هُـدَاهُ لَمَـا ٱسْتَبَـانَ لِـذِيْ النُّهَـى رُشْـدٌ وَلاَ نَقْـضٌ وَلاَ إِبْـرَامُ
يَبْقَـى أَمِيْـرَ المُـؤْمِنِيْـنَ فَـإِنَّـهُ لِلْـدِيْـنِ وُالـدُّنْيَـا حَيـاً وَقِـوَامُ
. . . . . دينـاً أشـاد عمـاده لَعُـلاَكُـمُ الإِجْـلاَلُ والإِعْظَـامُ
وَعَلَـوْتُـمُ فـي العَـالَمِيْـنَ إِلَـى مَـدًى سَـامٍ يُقَصِّـرُ دُوْنَـهُ الأَوْهَـامُ
هُـمْ حُجَّـةٌ وَمَحَجَّـةٌ بِـوِلاَئِـه تَتَطَهَّـرُ الأَوْزَارُ والآثَـامُ
تَحْيَـا بِـه ذِمَـمُ المَكَـارِمِ وَالنَّـدَى وَيَمُـوْتُ مِـنْ إِفْضَـالِـه الإِعْـدَامُ
زَهَـرَتْ بِـهِ الـدُّنْيَـا فَطَـابَ نَعِيْمُهَـا وَتَـوَاصَلَـتْ بِحُنُـوِّه الأَرْحَـامُ
فَفَخَـارُهُ فِـيْ كُـلِّ فَخْـرٍ أَوَّلٌ وَثَنَـاهُ لِلْمِسْـكِ الـذَّكِـيِّ خِتَـامُ
وَلَكَـمْ قَطَعْـتُ إِلَيْـهِ مِـنْ دَيْمُـوْمَـةٍ غَبْـرَاءَ لاَ دَبَـبٌ وَلاَ آرَامُ[1]
يَمَّمْتُهَـا . . . . . وَقَـدْ حَمِـيَ الحَصَـى بِهَجِيْـرِهَـا وَبِهَـا النَّسِيْـمُ سِهَـامُ
وَالآلُ يَلْمَـعُ فِـيْ القِفَـارِ كَـأَنَّـهُ لِلنَّـاظِـرِيْـنَ يَحُـوْزُهَـا أَعْـلاَمُ
عَلَّلْتُهَـا بِثَنَـا الإِمَـامِ فَـأَرْقَلَـتْ مِثْـلَ الظَّلِيْـمِ وَقَـدْ حَـدَاهُ ظَـلاَمُ
حَتَّـى أَفُـوْزَ بِلَثْـمِ تُـرْبٍ لَثْمُـهُ شَـرَفٌ وَمِـنْ جَـوْرِ الـزَّمَـانِ ذِمَـامُ
وَمَـوَارِدٍ مَـا مَـسَّ وَارِدَ فَضْلِهَـا أَبَـداً عَلَـى طُـوْلِ الـزَّمَـانِ أُوَامُ
/ ١٥٧ب/ فَـاللهُ يَحْـرُسُـهُ لأُمَّـةِ أَحْمَـدٍ مَـا نَـاحَ فِـيْ الغُصْـنِ النَّضِيْـرِ حَمَـامُ

[٣٣]

إبراهيمُ بن عمرَ بن سعد بن محمد، أبو إسحاق . . . . . الشهركرديُّ، المعروفُ بابنَ البُوريانيِّ الخطيبُ.

وهو من قرية تدعى شهركرد بين دقوق وقلعة كرخيني[2]. وكان يتولّى خطابتها.

شاهدته بإربل شيخًا من أهل الفضل والصلاح وحفظ القرآن والمتفقهة. ويرجع في الشعر إلى سلامة قريحة.

---

(١) الدبب: ولد البقرة أول ما تلده.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٠.

أنشدني لنفسه سنة ستٍّ وعشرين وستمائة ما كتبه إلىٰ صديق له يستمد منه الشفاعة في حاجة عرضت له: [من البسيط]

شَكَوْتُ دَهْرِيْ إِلَىٰ خِلٍّ فَأَرْشَدَنِيْ ... إِلَىٰ كَرِيْمٍ يُزِيْلُ الهَمَّ وَالكُرَبا
وَقَالَ: لاَ تَلْحُ دَهْراً فِيْهِ سَيِّدُهُ ... فَذَا أَقَامَ مَنَارَ الدِّيْنِ وَالأَدَبا!
فَقُلْتُ: مَنْ ذَاكَ قُلْ لِيْ نَاصِحِيْ وَحِزْتَ ... شُكْراً أُضمنه الأَوْرَاقَ والكُتُبَا
فَقَالَ: وَاعَجَبًا مِنْ ذِيْ نُهًى نَدِس ... عَدَاهُ فَضْلُ سَدِيدِ الدِّيْنِ وَاعَجَبا[(1)]
الأَلْمَعِيِّ الَّذِيْ مَا خَابَ مُنْتَجِعٌ ... جَنَاتهُ مَنْ حَوَىٰ مِنْ بِرِّهِ نَشَبَا
/ ١٥٨أ/ الأَرْيَحِيِّ وَسِتْرُ الجُوْدِ مُنْسَبِلٌ ... ومن . . . .
وَقَدْ زَفَفْتُ إِلَيْهِ بِكْرَ قَافِيَةٍ ... عَمْداً لِيَمْهَرَهَا مِنْ جُوْدِهِ الأَرَبا
وَلَسْتُ أَطْلُبُ لاَ تِبْراً وَلاَ وَرِقاً ... بَلْ اعْتِنَاءٌ يَفُوْقُ التِّبْرَ وَالنَّسَبا
وَإِنْ تَحَصَّلَ مَا أَبْغِيْ بِهِمَّتِهِ ... وَإِنْ تَعَجَّلَ مِنْ إِحْسَانِهِ الطَّلَبا

[٣٤]

إبراهيمَ بن نصر بن عيسىٰ بن عليٍّ بن أحمدَ بن الحسين بن عَليِّ بن خزريٍّ، أبو إسحاق بن أبي الفتح العباديُّ الموصليُّ.

رَجل مكتهل أشقر اللون. كان والده إليه الإستيفاء في الدولة الأتابكية، نافذ الأمر فيها، مقبولاً في آرائه؛ وأخبارُه في ذلك مأثورَة علىٰ ما يأتي ذكره في موضعه ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

ونشأ ولده وتخلّق بأخلاقه، وتولّىٰ التصرف في الأعمال السلطانية، ونظر في الأشغال الديوانية، ولم يزل كذلك بسيط الجاه، ذا أمر ونهي حتىٰ فارق الموصل متوجهًا نحو البلاد الشامية [هاربًا فهدمت داره بالموصل، أمر بهدمها بدر الدين لؤلؤ مليكها][(2)]. واتصل بملوكها بني أيوب فأحسنوا إليه إحسانًا عظيمًا.

---

(١) الندس: الفهم الكيس.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/ ٥٨ب/ ثم إنَّه عاود الموصل في جمادى الأولىٰ سنة ثلاثين وستمائة، فرتبه الملك الرحيم بدر الدين سلطانُها ـ أعزّ الله أنصاره ـ عارضَ الجيش، وولاّه النظر في ملكه الخاص، وزيد في إكرامه.

سألت أبا إسحاق عن مولده، فقال: ولدت يوم الأربعاء سابع عشر المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بالموصل.

وحفظ القرآن الكريم، وقرأ شيئًا من الفقه والأدب، وسمع كتاب «جامع الأصول في أحاديث الرسول» علىٰ مصنفه أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري؛ وله إجازات من عدّة مشايخ.

وهو متفرّد بعلم الحساب والمساحة، ومعرفة مسائله. والتبريز في التصرف وقوانينه.

أنشدني لنفسه يمدح الملك الرحيم بدر الدين أبا الفضل ـ أنفذ الله أمره ونهيه ـ بالخلعة التي شرفه بها الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور ـ خلّد الله ملكه وسلطانه ـ: [من السريع]

مَولَايَ يَا مَالِكَ رِقِّيْ الَّذِيْ ... بِبَأسِهِ يُدْفَعُ صَرْفُ اللَّيَالْ
/ ٥٩أ/ مَلَكْتَ بِالعَدْلِ قُلُوبَ الوَرَىٰ ... وَحَامِيًا عَنْهُمْ بِعَضْبٍ وَمَالْ
أَعْطَيْتَهُمْ فَوقَ الَّذِيْ أَمَّلُوا ... وَجُدْتَ لِلسَّائِلِ قَبْلَ السُّؤَالْ
فَجَاءَكَ السُّلْطَانُ عَفْوًا وَقَدْ ... نَصَّ الإِمَامُ العَصْرِ قبلكم وَقَالْ
طَاعَةُ بَدْرِ الدِّيْنِ لِيْ طَاعَةٌ ... وَمَنْ عَصَاهُ ذَاقَ طَعْمَ الوَبَالْ
يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ وَسُلْطَانَنَا ... وَمَنْ لَهُ فِيْ كُلِّ نَادٍ نَوَالْ
هَذَا الَّذِيْ كُنْتُ لَهُ آمِلاً ... مِنْ عَودِ دَهْرِيْ بِجَمِيْلِ الفَعَالْ

ومنها يقول:

فَاسْعَدْ بِهَذَا المُلْكِ فِيْ دَوْلَةٍ ... خَالِدَةٍ مَحْرُوْسَةٍ مِنْ زَوَالْ
وَلْيَهْنَ عَصْرٌ أَنْتَ سُلْطَانُهُ ... وَلْيُلْفِكَ الرَّحْمَانُ عَيْنَ الكَمَالْ

[وقال أيضًا يمدح الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن أرسلان شاه:

[من الكامل]

يَا أيُّهَا المَلْكُ الَّذي بمَغيْبِه ... حَجَبَ الكَرَىٰ عَنْ مُقْلَتَيَّ وَنَفَّرَا
عُوفِيْتَ مِنْ أَلَم غَدَا مُتَعَرِّضًا ... بمزاجِكَ المَحْرُوس يَا خَيْرَ الوَرَىٰ
يَا لَيْتَهُ إذْ لَمْ يَجِدْ إلاَّكَ ذَا ... عَفْوٍ أَتَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ مُسْتَغْفِرَا][1]

[٣٥]

إبراهيمُ بن يوسفَ بن إبراهيمَ بن عبد الواحد، أبو نصر بن أبي الفضائل الشيبانيُّ، المعروفُ بابن القفطيِّ[2]

وهو أخو الوزير القاضي الأكرم وزير حلب، وسيأتي نسبه مستوعبًا في ترجمة أخيه ـ إن شاء الله تعالى[3] ـ.

أخبرنا أنه ولد في رابع عشر المحرّم /٥٩ب/ سنة أربع وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس ـ حمىٰ الله حوزته[4] ـ.

وكان والده القاضي الأشرف كاتبًا في دولة بني أيوب، يتولّىٰ ذلك بالبيت المقدس، فهاجر إلىٰ اليمن واستوطنها إلى أنْ توفي بها، وخلف ولده هذا أبا نصر صغيراً فتوجه إلىٰ حلب وعمره يومئذ سبع سنين؛ فقرأ شيئًا من الأدب علىٰ أخيه، وسمع الحديث كثيراً علىٰ الشريف افتخار الدين الهاشمي، وأبي محمد عبد الرحمن بن الأستاذ الحلبي وغيره[5].

[من الكامل]

/٦٠أ/ وَٱهْزِمْ جُيُوشَ الهَمِّ عَنْكَ بِعَانِسٍ ... بِكْرٍ بِغَيْرِ القَارِ لَمْ تَتَلَفَّعِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ١٧٢ رقم ٢٦٢٩. الطالع السعيد ص٧١ رقم ٢٨. المنهل الصافي ١/ ١٨٧ رقم ٩٢. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٧. الدليل الشافي ١/ ٣١ رقم ٩١. السلوك ١/ ٤٤١.
(٣) علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، ترجم له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٤٥٤.
(٤) في هامش الأصل: «وتوفي بحلب سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان وزيراً للملك الناصر صلاح...». وهذا الهامش ليس للمؤلف لأن المؤلف توفي سنة ٦٥٤هـ.
(٥) بعد هذا يأتي بياض بمقدار ٧ أسطر وبعده يأتي الشعر بدون مقدمة.

شمْطَاءَ تَذْكُرُ آدَمًا فِيْ طِيْنِهِ وَتُرِيْكَ فِيْ الظَّلْمَاءِ مُعْجِزَ يُوْشَعِ[1]

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

طَلَّقْتُ لَهْوِي ثَلاَثًا حِيْنَ طَالَعَنِي مِنْ ثَغْرِه . . . . . . شَيْبِيَ البَادِيْ

فَهَلْ يَلِيْقُ بِيَ الرَّجْعَى وَقَدْ شُهِرَتْ ظُبَاهُ مِنْ شَفْرَتَى هَمٍّ وَمِيْلاَدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

لَيْسَتْ عُهُوْدُ هَوَاكَ ممَّا تُنْقَضُ أَبداً وَلاَ الحُرُمَاتُ ممَّا تُرْفَضُ

فَعَلاَمَ تَتَّخِذُ المَلاَلَةَ ملَّةً وَتَمِيْلُ مَيْلَ مُعَانِدٍ يَتَعَرَّضُ

أَفْرَدْتَنِي بِالسُّقْمِ مُذْ أَوْرَدْتَنِي فِيْ القَسْمِ مَوْرِدَ مَنْ يَغَصُّ وَيَجْرِضُ

أَضْرَمْتَ نَاراً فِيْ ضَمِيْرِي وَقْدُهَا وَبِوَجْنَتَيْكَ لَهَا شُعَاعٌ مُوْمِضُ

حَكَمَ الجَوَى أَنَّ الأَسَى لاَ يَنْقَضِي أَبداً وأَنَّ أَخَا الهَوَى لاَ يَغْرِضُ[2]

هَيْهَاتَ وَالذِّكْرَى تُحَرِّكُ سَاكِنَ البَلْوَى وَحَادِيْ الإشْتِيَاقِ يُحَرِّضُ

وَبِنَفْسِيَ الغَادُوْنَ لَوْ عَاجُوا عَلَى الوَادِيْ وَعَادُوا مُسْتَهَامًا أَمْرَضُوا

صَرَفُوا عَنِ الأَجْفَانِ مُذْ سَدَفُوا الكَرَى وَإِلَى مَحَاجِرِهَا المَدَامِعَ قَوَّضُوا

إنْ فَيَّضُوا مَاءَ العُيُون فَإِنَّهُمْ عَيْنَ التَّبَصُّرِ وَالتَّجَلُّدِ غَيَّضُوا

/ ٦٠ ب/ اللهُ جَارَهُمُ الجوارحَ بَعْدَهَم مَجْرُوْحَةٌ وَالقَلْبُ دَام مُمْرَضُ

وَعَلَى تَجَنِّيْهِمْ فَلَيْسَ سِوَاهُمُ غَرَضٌ وَلاَ عَنْ حُبِّهِمْ مُتَعَوَّضُ

يَا كَمْ نَهَضْتُ وَقَدْ نَمَى ضَعْفِيْ بِمَا شُمُّ الجِبَال بِبَعْضِهِ لاَ يَنْهَضُ[3]

وَلقِيْتُ مِنْ حِبٍّ وَخِبٍّ مَاكِرٍ أَبداً بِمَيْدَانِ الغُوَايَةِ يَرْكُضُ

مُتَمَلِّقٍ بَادِيْ النِّفَاقِ وَحَالِبٍ أَفْوَاقَ مَذْقٍ دَهْرَهُ لاَ يُمْخَضُ

يُبْدِيْ المَحَبَّةَ وَالوَلاَءَ لِسَانُهُ وَجَنَانُهُ صِلٌّ عَلَيَّ يُنَضْنِضُ

فَمِنَ الصَّفَاءِ مُبَرَّأً وَمِنَ الرِّيَاءِ مُمَلأً وَمِنَ المُرُوءَةِ مفضضُ

وَلِكُلِّ مَا أَكْرَمْتُ زَادٌ لامةٌ وَمَلاَلُهُ أَدْرَانُهُ لاَ تُرْحَضُ

---

(١) يوشع بن نون: وصي موسى بن عمران عليهم السلام.

(٢) يغرض: يملّ.

(٣) نمى: زاد وكثر.

فَعَلَيَّ إسْعَافُ الصَّديقِ بكُلِّ مَا … أسْطِيْعُهُ وَلَهُ جَنَاحِيَ أخْفَضُ
فَإذَا قَسَا لاَ يَنْتُهُ وَإذَا نَأى … دَانَيْتُهُ وَإذَا تَجَانَفَ أُغْمِضُ
وَإذَا وَفَاةُ وَفَائِهِ صَحَّتْ وَلَمْ … تُبْقِ الخِيَانَةُ فِيْهِ عَزْماً يَنْبِضُ
هَاجَرْتُهُ الهَجْرَ الجَمِيلَ وَوَجْهُهُ … المُسْوَدُّ عِنْدَ لُقَى وَوَجْهِيَ أبْيَضُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

بَكَيْتُ دَماً فَازْوَرَّ سُؤْلِيَ مُكْبِراً … فَعَالِيْ فَقُلْتُ: ارْفِقْ فَمَا جِئْتُ بِالنُّكْرِ
نَذَرْتُ إذَا مَا زُرْتَنِي نَحْرَ مُقْلَتِي … فَلَمَّا بَدَا مَرْآكَ وَفَّيْتُ بِالنَّذْرِ

/ ٦١أ/ وأنشدني أيضًا في المعنى لنفسه: [من الطويل]

وَلَمَّا بَدَا المَحْبُوْبُ سَالَتْ مَدَامِعِي … دَماً فَتَوَلَّى مُكْبِراً سُوْءَ فِعْلَتِي
فَقُلْتُ: نَحَرْتُ القَلْبَ مِنْ عِظَمِ اللِّقَا … لَدَيْكَ فَهَذَا عِيْدُ نَحْرٍ لِمُهْجَتِي

وأنشدني أيضًا لنفسه في المعنى: [من السريع]

قَالَ حَبِيبِي لِمَّا رَآنِيْ … أُذْرِيْ نَجِيْعاً أرْعَتَ سِرْبِي[1]
فَقُلْتُ: مِنْ فَرْحَةِ التَّلاَقِي … يَا نُوْرَ عَيْنِي نَحَرْتُ قَلْبِي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المجتث]

لَمَّا وَقَفْتُ جُنُوْنِي … عَلَى الدُّمُوْعِ الجَوَارِي
فَرَّ المَنَامُ وَقَالَ العُوَارُ سُكْنَى العَوَارِي

وأنشدني أيضًا لنفسه وقد اقترح هذا المعنى: [من الكامل]

حسد الهِلاَل عَلَى الجَمَالِ مُعَذِّبِي … فتزيد الأنْوَار كَيْ يحْكِيْهِ
ثُمَّ اعْتَرَاهُ النَّقْصُ عِنْدَ كَمَالِهِ … بِقُصُوْرِهِ عَنْ بَعْضِ مَا يَحْوِيْهِ

وأنشدني لنفسه: [من السريع]

نَشَدْتُ لَمَّا فَصَلَتْ عِيْرُهُمْ … وَحَبُّ قَلْبِي بِالنَّوَى حَصِيْدُ
/ ٦١ب/ يَا سَائِقِي أظْعَانِهِمْ تَرَفَّقُوا … ألَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيْدُ ؟
قَدْ كَشَفَ الشَّوْقُ غِطَا صَبْرِنَا … فَبَصَرُ الدَّمْعِ بِهِ حَدِيْدُ

---

(١) النجيع: الدم.

وَجَنَّةُ الخَدِّ وكَوثَرُ اللَّمى لِحُرَقِي عَلَيهِمَا خُدُودْ
لا تَنْطَفِيءْ بِقُرْبِهِ وكُلَّمَا عَاوَدَهَا تَقُولُ: هَلْ مَزِيدْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرجز]

أفْدِيْ بَسِيْطَ الغَدْرِ مُجْتَثَّ الوَفَا وَافِرُ سُقْمِي مِنْ طَوِيْلِ صَدِّهِ
ذَهَابُ صَبْرِيْ وَمَقَامُ ضُرِّيْ مِنْ فِضَّةٍ مُذْهَبَةٍ بِخَدِّهِ

وقال: كنت بميافارقين، وبلغني أنَّ أخي أعيد إلىٰ الوزارة للملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر، فقلت، وأنشدنيها لنفسه: [من الكامل]

بُشْرَايَ أَبْدَىٰ البِشْرَ بَعْدَ تَجَهُّمِ وَأَعَاضَنِيْ بِشَهَادَةٍ عَنْ عَلْقَمِ
نَسَخَتْ سِنِيْنَ السُّخْطِ سَاعَاتُ الرِّضَا وَمَحَا مُحَمَّدُهُنَّ كُلَّ مُذَمَّمِ
فَرَتَعْتُ مِنْ وَجَنَاتِهِ فِي جَنَّةٍ مَسْقِيَّةٍ بِحَيَا الحَيَاءِ المُثْجَمِ
صَفِرَتْ يَدِيْ مِنْ وَصْلِهِ إنْ لَمْ يَكُنْ نَوْمِيْ زَمَانَ جَفَاهُ جِدَّ مُحَرَّمِ
وَبِمُهْجَتِي كَلِفٌ بِوَصْلِ قَطِيْعَةٍ مُغْرَىً بِتَعْذِيْبِ المُحِبِّ المُغْرَمِ
/٦٢أ/ يَرْمِيْ المُقَاتِلَ عَنْ قِسِيِّ حَوَاجِبٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ بِصَائِبَاتِ الأَسْهُمِ
سَلَبَ العُقُوْلَ مُؤَشَّرٌ مِنْ ثَغْرِهِ سَلْبَ الرِّجَالِ رَبِيْعَةُ بْنُ مُكَدَّمِ[1]
مِنْ خَطِّ عَارِضِهِ وَمُقْلَةِ خَالِهِ قَدْ أفْصَحَتْ عَذَبَاتُ دَمْعِيْ الأَعْجَمِ
يَزْوَرُّ إنْ خَاطَبْتُهُ فِي زَوْرَةٍ مُتَشَابِهًا وَيَصُوْلُ صَوْلَةَ ضَيْغَمِ
لَمْ أَنْسَهُ إذْ قَالَ لِيْ: يَا رَاكِبَ الشَّهْبَاءِ خَلِّ صَبِيًّا لِرَاكِبِ أَدْهَمِ
فَشَكَرْتُ لَيْلاً مِنْ شَبَابِي ظَاعِنًا وَشَكَوْتُ صُبْحَ مُقِيْمِ شَيْبِيَ المُقْتِمِ
فَأَجَابَنِيْ يَا ظَالِمِيْ قَدْكَ اتَّئِبْ وَاشْكُرْ ثَنَايَ لِمُنْجِدٍ وَلِمُتْهِمِ
وَأبْشِرْ بِتَجْدِيْدِ العَلِيِّ الأكْرَمِ الصُّنْعِ الجَمِيْلِ لَدَىٰ عَلِيٍّ الأَكْرَمِ

---

(١) ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان الكناني (نحو ٨٥ ق هـ - ٦٢ هـ) أحد فرسان مضر المعدودين في الجاهلية، له أخبار أشهرها حمايته الظعن بعد مقتله، إذ كان ميتًا، والقوم يرونه فلا يتقدم أحد منهم، ثم رموا فرسه بسهم فقمصت وانقلب عنها ميتًا، وكان الظعن قد نجا.
انظر: سمط اللآلي ٩١٠. بلوغ الأرب للآلوسي ١/ ١٤٤. الأعلام ٣/ ١٧.

[٣٦]
إبراهيمُ بن عليٍّ بن الحسن بن جُريّ، أبو محمد النحويُّ الموصليُّ.

أخبرني أنه ولد سنة تسع وثمانين وخمسمائة بالموصل. زعم أنَّ والده من قرية من قرىٰ العراق تدعىٰ شنا(١).

استظهر كتاب الله تعالىٰ، وأخذ علم النحو والعربية عن شيخه أبي حفص عمر بن أحمد النحوي . . . . . ، صحبه مدّة حياته.

وهو رجل قد وخطه [الشَّيب] / ٦٢ب/ رَبْعَة أسمر. كان يخيط القلانس في ابتداء أمره، علىٰ أشد غاية ما يكون من الفقر؛ فلما تميّز في العربية ومهر، صار من أعيان تلامذة الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد العسفي.

اتصل بالأمير أبي الفضل لؤلؤ بن عبد الله البدري بالموصل؛ لتأديب أولاده ـ فانتفع به وصار يصحبه إلىٰ مدينة السلام حين ينفذ رسولاً، فتمشت أحواله. وحصل رزقًا صالحًا، وأغناه ذلك عن صَناعة القلانس.

وكان يصلي الصلوات الخمس بالمدرسة البدرية إمامًا، ويختلف إليها جماعة من فقهائها، يقرؤون عليه شيئًا من النحو والعربية. يتولّع بالشعر ويقول منه الشيء النزر.

أنشدني لنفسه يمدح الأمير أمين الدين لؤلؤ ويذكر أولاده من أبيات: [من الوافر]

سُرُوْرٌ لا يَزَالُ عَلَىٰ التَّوَالِيْ ... يَدُوْمُ مَعَ الأَهلَّةِ وَاللَّيَالِيْ
وَسَعْدٌ لا يَزَالُ لَكُمْ قَرِيْنًا ... يُصَرِّفُ عَنْكُمُ عَيْنَ الكَمَالِ
لَقَدْ ظَفِرَتْ بِمَا تَهْوَىٰ الأَمَانِيْ ... وَأَضْحَتْ فِيْ انْتِظَامٍ كَالآلِيْ
وَسَاعَدَنَا الزَّمَانُ بِطِيْبِ وَقْتٍ ... وَوَلَّىٰ القُرُّ مُنْبَتَّ الحِبَالِ

(١) كذا وردت في الأصل، «شنّا» ناحية من أعمال أسافل دجلة البصرة. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٦٦. ولعلها «اشْنانْبرت» من قرى بغداد. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٠١.

/ ٦٣أ/ وَقَدْ جَاءَ الرَّبِيْعُ بِكُلِّ فَنٍّ مِنَ الأَزْهَارِ مَفْقُوْدَ المِثَالِ
شَبِيْهَ خَلائِقٍ عَذُبَتْ بِصَفْوٍ مِنَ المَوْلَى المُوَفَّقِ فِيْ الفَعَالِ
أَمِيْنِ الدِّيْنِ مَرْمُوْقِ السَّجَايَا كَرِيْمِ الخِيْمِ مَعْ كَرَمِ الخِلاَلِ
فَيَا مَوْلَى صَنَائِعُهُ شُمُوْسٌ تَسِيْرُ مَعَ النُّعَامَى وَالشَّمَالِ[1]
بَلَغْتَ مِنَ الأَمَانِي مُنْتَهَاهَا فَمَوْلُدُكَ بِالمَحَاسِنِ فِيْ اكْتِمَالِ
تَجَمَّعَ فِيْهُمُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يَسُوْدُ بِهِ الأَوَاخِرُ وَالأَوَالِي
فَمِنْ أَسَدٍ يُحَمِّلُ يَوْمَ رَوْعٍ بِبِيْضٍ فِي الجِلاَدِ وَبِالعَوَالِي
وَأَحْمَدُ فِيْ دِيَانَتِهِ حَمِيْدٌ يُعَدُّ مَعَ الأَئِمَّةِ فِيْ المَقَالِ
فَلاَ زَالاَ وَأَنْتَ لَهُمْ كَفِيْلٌ يَحُوْزَانِ المَفَاخِرَ وَالمَعَالِي

وأنشدني لنفسه فيما يكتب على سيف أهدي لأمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر المنصور ـ خلّد الله ملكه ـ: [من الكامل]

وَلَقَدْ سَمَوْتُ عَلَى البَرِيَّةِ رِفْعَةً وَقَصَمْتُ كُلَّ مُعَانِدٍ مُتَجَبِّرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ الَّذِيْ قَدْ قُلْتُهُ مَا كُنْتُ فُزْتُ بِرَاحَةِ المُسْتَنْصِرِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الوافر]

/ ٦٣ب/ أَيَا زَمَنَ الصِّبَا وَلَّيْتَ عَنَّا وَمَا أَبْقَيْتَ مِنْ أَمْرٍ بَدِيْعِ
سَلَبْتَ الأُنْسَ مِنْ طَرْفٍ وَقَلْبٍ وَحُلْوَ العَيْشِ مِنْ .....
وَقَدْ كُنْتَ الأَنِيْسَ لِكُلِّ شَيءٍ فَقَدْ أَذْهَبْتَ أُبَّهَةَ الجَمِيْعِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الوافر]

أَمُتْلِفَتِي بِوَعْدٍ فِيْ تَمَادِيْ وَمُلْبِسَتِي سَوَاداً فِيْ سَوَادْ
لَقَدْ أَسْلَمْتِ لِلأَسْقَامِ جِسْمِي وَصَارَ الجَفْنُ مِنِّي لِلسُّهَادْ
فَكُفِّي الآنَ عَنْ هَجْرِيْ وَعُوْدِيْ إِلَى قَطْعِ القَطِيْعَةِ وَالبِعَادْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَمَا وَالَّذِيْ سَنَّ التَّحِيَّةَ فِيْ الكُتْبِ وَفَضَّلَ بِالإِحْسَانِ فِيْ البُعْدِ وَالقُرْبِ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب.

لَقَدْ سَبَقَتْ مِنْكَ الأَيَادِيْ تَفَضُّلاً ... وَمَا زِلْتَ تُولِي ....
وَأَوْلَيْتَنِي مَا لاَ أَقُومُ بِبَعْضِهِ ... فَحَسْبِي بِمَا أَوْلَيْتَنِيهِ بِهِ حَسْبِي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَمَا وَالَّذِي أَحْيَا المَوَدَّةَ بِالكُتْبِ ... وَأَقْصَاكَ عَنْ عَيْنِي وَأَدْنَاكَ مِنْ قَلْبِي
لَئِنْ كُنْتَ فِي بَغْدَادَ إِنَّكَ حَاضِرٌ ... وَإِنْ كُنْتَ فِي بُعْدٍ فَإِنَّكَ فِي قُرْبِ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

/٦٤أ/ كَتَبْتُ وَفِي قَلْبِي مِنَ الوَجْدِ لَوْعَةٌ ... وَعِنْدِي شُجُونٌ مِنْ فِرَاقِ الحَبَائِبِ
وَلَوْلاَ رَجَائِي أَنْ نَعِيشَ وَنَلْتَقِي ... لَمَا كُنْتُ مِنْ وَجْدِي إِلَيْكُمْ بِكَاتِبِ
سَلاَمٌ إِلَيْكُمْ مَا حَنَنْتُ إِلَيْكُمُ ... وَمَا ..... مُشْتَاقٌ بِمَقْدَمِ غَائِبِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

كَتَبْتُ وَقَلْبِي مُسْتَهَامٌ وَحَقُّهُ ... يَهِيمُ بِمَنْ أَهْدَى المَسَرَّةَ بَرْقُهُ
فَذَكَّرَنِي عَهْداً وَمَا كُنْتُ نَاسِياً ... وَأَوْجَبَ شُكْراً فِي الصَّحِيفَةِ نُطْقُهُ

[٣٧]

إبراهيمُ بنِ أبي النجمِ بن ثُرّيّ بن عليٍّ بن ثُريّ، أبو إِسحاقَ الموصليُّ

أخبرني أنَّه ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة. [توفي في سنة أربع وخمسين وستمائة بحلب ودفن بالمقام رحمه الله](١).

شاب أشقر اللون، أزرق العينين؛ ربما دُعي والده بنجم ونُجيم وأبي النجم، جميع ذلك تقوله العامة.

اشتغل وهو صغير بشيء من العلم، وطالع التواريخ وأيام الناس، واستظهر قطعة جيّدة من الأشعار العربية، وحفظ شعر أبي الطيب المتنبي حفظًا حسنًا وفهم معانيه، وقال الشعر؛ ثم أغري بلعب /٦٤ب/ النَّرد والشطرنج.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

أنشدني لنفسه قصيدة يمدح بها الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ خلّد الله أيامه ـ وأنشدها في صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة بحضرة الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمي: [من الكامل]

دَارُ السَّلَامِ وَقِبْلَةُ الإِسْلَامِ ... وَأَجَلُّ مُرْتَبَعٍ وَخَيْرُ مُقَامِ
فَاسْتَقْصِ فِي نَظْمِ الكَلَامِ وَنَثْرِهِ ... كَالدُّرِّ فِي سِلْكٍ وَحُسْنِ نِظَامِ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ وَاقِفٌ بِمَوَاقِفٍ ... وَقْفٌ عَلَى التَّبْجِيلِ وَالإِعْظَامِ
يُكْسَى بِهَا قُسٌّ فَهَاهَةَ بَاقِلٍ ... وَيُرَى الفَصِيحُ بِحَلْبَةِ التَّمْتَامِ
حَيْثُ المُقَرُّ أَقَرَّ أَنَّ سَحَابَهُ ... هَطِلُ الفَوَاضِلِ صَيِّبُ الإِنْعَامِ
حَرَمُ النُّبُوَّةِ وَالخِلَافَةِ وَالتُّقَى ... نَادِي النَّدَى وَالفَضْلِ وَالإِكْرَامِ
تَتَضَاءَلُ الأَوْصَافُ عَنْ أَوْصَافِهِ ... وَتَضِلُّ فِيهِ هَوَادِيَ الأَفْهَامِ
وَأَبَتْ جَلَالَتُهُ مَقَالَ كَأَنَّهُ ... وَسَمَا فَقَصَّرَ عَنْهُ كُلُّ مُسَامِي
فَافْخَرْ وَتِهْ شَرَفًا فَإِنَّكَ مَادِحٌ ... خَيرَ المديحِ بِمَدْحِ خَيْرِ إِمَامِ
القَائِمِ المُسْتَنْصِرِ المَنْصُورِ وَالبَرِّ الرَّؤُوفِ الصَّائِمِ القَوَّامِ
هُوَ حُجَّةُ اللهِ البَلِيغَةُ فِي الوَرَى ... وَالعُرْوَةُ الوُثْقَى بِغَيْرِ فِصَامِ
/٦٥أ/ وَهُوَ المُقَدَّسُ وَالمُطَهَّرُ مَحْتِداً ... مِنْ كُلِّ رِجْسٍ غَائِبٍ وَأَثَامِ
وَهُوَ الوَسِيلَةُ وَالمَحَجَّةُ وَالرِّضَا ... وَالمُرْتَضَى فِي الحِلْمِ وَالأَحْكَامِ
وَالْمُجْتَبَى وَالمُرْتَجَى وَالْمُنْتَهَى ... فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ وَنَيْلِ مَرَامِ
هُوَ مُوجِدُ الجُودِ المُشَتِّتِ جَامِعٌ ... حُسْنَ المَحَاسِنِ مُعْدِمُ الإِعْدَامِ
أَلِفَ المُرُوءَةَ قَدْرَ مَا أُلِفَتْ بِهِ ... مَا رِيعَ مُرْضَعُ دَرِّهَا بِفِطَامِ
وَتَسَاوَيَا حُبًّا وَفَرْطَ صَبَابَةٍ ... فَكِلَاهُمَا فِي صَبْوَةٍ وَغَرَامِ
وَمَتَى قَرَنْتَ بِهِ الكِرَامَ فَحَالُهُمْ ... فِي جُودِهِ وَالحِلْمِ وَالإِقْدَامِ
كَعْبٌ كَكَعْبٍ فِي السَّمَاحِ وَحَاتِمٌ ... حَتْمٌ عَلَيْهِ النَّقْضُ بَعْدَ تَمَامِ
وَيَقِلُّ قَيْسٌ أَنْ يُقَاسَ بِعَبْدِهِ ... حِلْمًا وَأَحْنَفُ أَحْنَفُ الأَحْلَامِ
وَٱبْنُ الطُّفَيْلِ غَدَا كَطِفْلٍ مُرْضَعٍ ... عَجْزاً وَمُدَّرِعًا بِدِرْعِ مَلَامِ
وَعُتَيْبَةُ المَعْتُوبُ فِي تَقْصِيرِهِ ... هُوَ مُقْدِمٌ لَكِنْ عَلَى الإِحْجَامِ

وَإِذَا الوَغَى احْتَدَّتْ وَكَلَّ حَدِيْدُهَا   حَتَّى تَشَبَّهَ فَاصِلٌ بِكَهَامِ

وَبِقَسْطَلِ النَّقْعِ المُثَارِ كَأَنَّهُ   لَيْلٌ تَطَلَّعَ أَوْ طُلُوْعُ غَمَامِ

وَكَأَنَّمَا لَبِسَتْ بِهِ شَمْسُ الضُّحَى   ثَوْبَيْنِ ثَوْبَ دُجًى وَثَوْبَ قَتَامِ

وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بِالطُّلَى وَتَقَسَّمَتْ   قِسْمًا لَقَسَّامٍ وَسَهْمَ سِهَامِ

/ ٦٥ب/ وَتَرَى الدِّمَاءَ عَلَى الثَّرَى فَكَأَنَّمَا   عُلَّتْ بِهِ الدَّهْنَاءُ كَأْسَ مُدَامِ

تَلْقَى أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمُنْصُلٍ   يُبْكِي النَّجِيْعَ وَمَبْسِمٍ بَسَّامِ

وَقَدِ اسْتَعَدَّ لِحِزْبِهِ وَلِحَرْبِهِ   رِفْقَ الشَّقِيْقِ وَسَطْوَةَ الضِّرْغَامِ

يَا ابْنَ الخَلائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ والأُلَى   خَلَفُوا الكِرَامَ وَخُلِّفُوا بِكِرَامِ

يَا مُوْتِمًا أَبْنَاءَ كُلِّ مُعَانِدٍ   دِيْنَ النَّبِيِّ وَكَافِلَ الأَيْتَامِ

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ أَحْمَدٍ   وَعَلَى أَبِيْكَ مُفَضَّلِ الأَعْمَامِ

وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ رُتْبَةً   مِنْ كُلِّ مُكْتَهِلٍ وَكُلِّ غُلامِ

وَبَقِيْتَ فِي نِعَمٍ تُقَارِنُ أَنْعُمًا   وَسَلامَةٍ مَقْرُوْنَةٍ بِسَلامِ

مَا أَوْرَقَتْ شَجَرٌ وَأَخْصَبَ مُجْدِبٌ   وَتَهَافَتَتْ فِي الدَّوْحِ وُرْقُ حَمَامِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

لَوْلا التَّعَرُّضُ بِالظِّبَاءِ الغِيْدِ   وَوُلُوْعُ قَلْبِكَ بِالمَهَاةِ الرُّوْدِ

مَا صَابَ خَدَّكَ صَيِّبٌ مِنْ دَمْعِهِ   وَأَصَابَ جَفْنَكَ صَائِبُ التَّسْهِيْدِ

فَغَدَوْتَ فِي أَرَقٍ تَرِقُّ لَهُ العِدَا   وَعِهَادِ دَمْعٍ لَيْسَ بِالمَعْهُوْدِ

إِنْ كَانَ أَمْحَلَ عَارِضٌ مِنْ عَارِضٍ   وَأُهِيْلَ صَوْبُ الخَدِّ بِالتَّخْدِيْدِ

فَصَبَابَةٌ حَكَمَتْ عَلَيْكَ فَحَكَّمَتْ   وَبْلَ المَدَامِعِ فِي وَبَالِ خُدُوْدِ

/ ٧٠أ/ وَاهًا لِعَانٍ مُوْلَعٍ بِعَنَائِهِ   جَلْدٍ عَلَى حَمْلِ الغَرَامِ جَلِيْدِ

كَفَلَتْ لَهِيْبَ حَشَائِهِ نَارُ الجَوَى   وَتَكَفَّلَتْ بِفُؤَادِهِ المَفْؤُوْدِ

فَطَوِي عَلَى نَارَيْنِ نَارٍ وَاصَلَتْ   وَصْلَ السَّقَامِ بِهِ وَنَارِ صُدُوْدِ

هَذَا وَلَوْ سلم السَّلامَةَ مِنْ ضَنًى   أَقْوَى القُوَى مِنْهُ وَحَرِّ وُقُوْدِ

قَالَتْ جَهَنَّمُهُ لِرَبِّهِ . . . . .   هَلْ مِنْ مَزِيْدٍ مِنْ لَظًى وَمَزِيْدِ

مَا ذَاكَ إِلاَّ أَنْ تَعَذَّبَتِ الهَوَى   عَذْبٌ لِكُلِّ مُتَيَّمٍ مَعْمُوْدِ

كلف بحُبِّ الرَّمْلَتَيْن فَرَمْلَةٌ سَكَنَتْ حَشَاهُ وَرَمْلَةٌ بِزَرُوْد
يَغْدُو يُعَالِجُ لاعجًا مِنْ عَالِجٍ فَيُبِيْدُ بِالمَسْرَى سَرَايَا البِيْد
وَيَرُوْمُ مِنْ آرام رَامَةَ مَوْعِداً يَا بُعْدَ مَا وَعَدُوا وَقُرْبَ وَعِيْد
مَا زَالَ يَشْكُو بِاللِّوَىٰ أَشْجَانَهُ جُهْدَ المُقِلِّ وَقِلَّةَ المَجْهُوْد
حَتَّىٰ تَرَنَّحَ رَنْدُهُ فَكَأَنَّمَا سُلِبَ القَرَارَ بِوَجْدِه المَوْجُوْد
وَعَلَىٰ الكَثِيْب الفَرْدِ مِنْ جَرْعَائِهِ رَشَأٌ كَخُوْطِ البَانَةِ الأُمْلُوْد
بَهِرَ الدُّجَىٰ لمَّا دَجَا بِذَوَائِبٍ ذَابَتْ لَهَا مُهَجُ اللَّيَالِي السُّوْد
وَأَمَدَّ نُوْرَ الصُّبْحِ نُوْرُ جَبِيْنِهِ حَتَّىٰ اهْتَدَىٰ بِضِيَائِهِ المَمْدُوْد
وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ المُنِيْرُ كِلَاهُمَا لَوْ مُكِّنَا هَمَّا لَهُ بِسُجُوْد
/ ٧٠ب/ وَتَوَدُّ غِزْلَانُ الصَّرِيْمِ بِمِيحِهَا جِيْداً تَخَصَّصَ عَنْهُمُ فِي الجِيْد
دُرِّيُّ مُبْتَسِمٍ شَتِيْتٍ وَاضِحٍ حُلْوِ اللَّمَىٰ عَذْبِ الرُّضَابِ بَرُوْد
لَمْ أَنْسَ إِذْ يَسْعَىٰ بِكَأْسِ سُلَافَةٍ حُدَّتْ لِطَافَتُهَا عَنِ التَّحْدِيْد
وَالخَدُّ وَرْدِيُّ اللِّبَاسِ وَكَأْسُهُ وَرْدِيَّةٌ وَرْدٌ مِنَ التَّوْرِيْد
فَكَأَنَّ حُمْرَةَ كَأْسِهِ مِنْ خَدِّهِ كُسِيَتْ وَفَاحِمُهُ مِنَ العُنْقُوْد
وَكَأَنَّ دِقَّةَ خَصْرِهِ صَبٌّ شَكَا وَصَبَ الضَّنَىٰ مِنْ بَنْدِه المَعْقُوْد
مَا زَالَ يُوْلِيْنِي دُنُوَّ بِعَادِه قُرْبًا إِلَىٰ وَلَهٍ عَلَيْهِ شَدِيْد
وَالقَلْبُ فِي صَفَدِ المَحَبَّةِ هَائِمًا وَارَحْمَتَا لِلهَائِمِ المَصْفُوْد

وله: [من الطويل]

سَلَامًا لقَلْبٍ هَمُّهُ رَبَّةُ القَلْبِ يَمَلُّ مِنَ العُتْبَىٰ وَيَصْبُو إِلَىٰ عُتْبِ
كَأَنَّ عِلَاجَ الحُبِّ ضَرْبَةُ لَازِبٍ عَلَيْهِ فَمَا يَنْفَكُّ مِنْ لَاعِجِ الحُبِّ
إِذَا سُمْتُهُ سِلْمًا لِيُصْبِحَ سَالِمًا مِنَ الجَهْدِ عَاصَانِيْ وَجَاهَدَ فِيْ حَرْبِي
يَرَانِي مِنْ حِزْبِ الوَصِيِّ فَمَا اعْتَنَىٰ لِحَزْبِيَ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ بَنِيْ حَرْبِ
وَقَدْ كُنْتُ غِرّاً بِالغَرَامِ فَغَرَّنِي وَجَرَّدَ لِي مِنْ خَدِّهِ مُطْلَقَ الغَرْبِ
وَسَهَّلَ لِيْ حَزْنَ الهَوَىٰ فَسَلَكْتُهُ وَسَهْلُ الهَوَىٰ لَا حَزْنُهُ أَصْعَبُ الصَّعْبِ
/ ٧١أ/ وَمَا بَرِحَ التَّبْرِيْحُ عَنِّي بِجَانِبٍ فَهَا هُوَ بَعْدَ البُعْدِ جَارِيَ بِالجَنْبِ

وطَاوَعْتُهُ رَغْماً وَمَنْ ذا الورَىٰ تَبَرَّأَ مِنْ قَلْبٍ لأبرأَ مِنْ قَلْبي
عفا الله عنه الآن إنْ كانَ مُقْصِراً وإنْ هُوَ لَمْ يُقْصِرْ وإنْ لَجَّ فِي العَصْبِ
أَلَمْ يَرَ جِسْماً قَدْ تَجَسَّمَ مِنْ ضَنًى فَعَيْنَاهُ مَعْنيَّانَ بالسَّلْبِ والسَّكْبِ
يَهِيمُ مَتَىٰ هَبَّ النَّسِيمُ وَلَمْ يَزَلْ لِصَبِّ الصِّبَا مَرُّ الصَّبَا أَبداً يُصْبِي
وَيَأْرَقُ إمَّا لاحَ مِنْهُنَّ بَارِقٌ وَيُسْرِبُ بِي أَنَّىٰ رَنَتْ مُقَلُ السِّرْبِ
وَجَارِيَةٍ جَادَتْ فَفَاتَتْ بِسَيْفِهَا إلَىٰ الحُسْنِ مِنْ جَارِي وَجَادَتْ عَلَى الصَّبِّ
مُحَجَّبَةٍ لَمْ يُغْنِ عَنْهَا حِجَابُهَا وَهَلْ يَخْتَفِي الصُّبْحُ المُنِيرُ مَعَ الحُجْبِ
لَعُوبٌ مِنَ الأَتْرَاكِ خَاقَانُ جَدُّهَا فَمَا نَشَأَتْ فِي دَارِ قَيْسٍ وَلَا كَعْبِ
مَتَىٰ سَفَرَتْ قُلْتُ الغَزَالَةُ أَشْرَقَتْ أو انْتَقَبَتْ وَابْنُ الغَزَالَةِ فِي النَّقْبِ
وَمَا البَدْرُ إلاَّ لَمْحَةٌ مِنْ جَمَالِهَا وَلَا الشُّهْبُ إلاَّ مِنْ قَلَائِدِهَا الشُّهْبِ
لَهَا واضحى أَبْدَىٰ مِنَ العُذْرِ وَاضِحاً لِصَحْبِي وَقَدْ لَامُوا فَأَغْرَىٰ بِهَا صَحْبِي
وَفَاحِمُ فَرْعٍ مُفْحِمٍ كُلَّ وَاصِفٍ يَضِلُّ بِهِ الهَادِي وَيَذْهَلُ ذُو اللُّبِّ
وَطَرْفٌ طَرِيفٌ لِلْعَقَائِلِ عَقْلُهُ . . . . وَطَرْفٌ لَطِيفٌ لِلْعُقُولِ بِهِ يَسْبِي
وَعَقْرَبُ صُدْغٍ لَسْبُهَا دَاخِلَ الحَشَا تُؤَجِّجُ نَارِي كُلَّمَا أَكْثَرَتْ لَسْبِي
/ ٧١ب/ وَتَبْسِمُ عَنْ ثَغْرٍ نَقِيٍّ كَأَنَّهُ سَنَا البَرْقِ يَهْدِي فِي الدُّجَىٰ حَافِرَ الرَّكْبِ
وَمَا زَالَ إذْلَالِي بِعِزِّ دَلَالِهَا وَيُلْصِقُ إعْظَامِي لَهَا الخَدَّ بِالتُّرْبِ
وَيَشْتَاقُهَا قَلْبٌ ثَوَتْ فِي صَمِيمِهِ وَهَذَا مِنَ المُشْتَاقِ فِي غَايَةِ العُجْبِ
إلَىٰ أَنْ أَلَمَّ الشَّيْبُ وَاحْتَلَّ لِمَّتِي فَمَالَئْتُ لُوَّامِي وَمِلْتُ إلَىٰ العَتْبِ
وَقُلْتُ لِجِدِّي أَقْبِلْ فَقَدْ فَاتَ مَا مَضَىٰ . . . . أَبْعِدْ فَمَا وَلِلَّعْبِ
وَخِلٍّ رَأَى لَبْثِي بِدَارِ مَهَانَةٍ فَجَرَّأَهُ إصْرَارُ لَبْثِي عَلَىٰ ثَلْبِي
رَآنِي أُعَانِي مَا يُعَنِّي أَقَلُّهُ وَقَدْ كَادَ أن يقضي . . . . بِهَا نَحْبِي
وَبَاتَ يُعَاطِيْنِي كُؤُوسَ مَلَامَةٍ فَأَكْسَبَنِي سُكْرِي بِهَا حَيْرَةَ الضَّبِّ
فَقُلْتُ لَهُ: مَا فِي نِزَاعِكَ مَنْزَعٌ عَنِ القَدَرِ الجَارِي وَهَذَا إلَىٰ الرَّبِّ
وَلَا بَأْسَ إنْ وَالَىٰ الزَّمَانُ عِنَادَهُ فَكَمْ لِلأَسَىٰ آسٍ وَلِلدَّاءِ مِنْ طِبِّ
وَكَمْ رُضْتُ أَرْضاً بِالكَرِيمِ مُضِرَّةً ثَرَاهَا مِنَ الإثْرَاءِ مُتَّصِلُ الجَدْبِ

فضمَّتْ عُراَهَا في عُراها عَلَىٰ الَّذيْ عَراهَا وَأَغْراهَا فَصرْتُ إلَىٰ الخصْب
فَخَلِّ المرا وَٱغْصِ الكَرَىٰ تُطعِ السُّرَىٰ وَعُجْ بيْ إلَىٰ صَهْيونَ فَهِيَ المُنَىٰ عُجْ بي
إلَىٰ المَطْلَبِ الأَقْصَىٰ إلَىٰ صَيِّبِ الحَيَا إلَىٰ الغَايَةِ القُصْوَىٰ إلَىٰ المَنْهَلِ العَذْبِ
تَجِدْ بذُرأَهَا مَنْبتَ الجُوْدِ وَالنَّدَىٰ كَمَا فيْ ذُرَاهَا بالنَّدَىٰ مَنْبتُ العُشْبِ
/ ٧٢أ/ وَحَيَّ هَلاً فيْهَا بمَلْكٍ تَوَاتَرَتْ إلَيْنَا بهِ الأَنْبَاءُ عَنْ فَضْلِهِ تُنْبي
مَلاَذِ الوَرَىٰ طَوْدِ الحجَىٰ قَمَرِ الدُّجَىٰ سَمَامِ العدَا تُرْبِ العُلاَ الأَرْوَعِ النَّدْبِ(١)
مُظَفَّرِ ديْنِ الله عُثْمَانَ وَالَّذيْ يُعَافَىٰ بهِ العَافي ويَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ
فَمَا سَمعَتْ أُذْنٌ بمَا حَازَ منْ عُلاً وَلاَ مَرَّ فيْ وَهْمٍ وَلاَ جَاءَ فيْ الكُتْبِ
أَجَارَ عَلَىٰ جَوْرِ الخُطُوبِ فَبَأْسُهُ عَلَىٰ كُلِّ خَطْبٍ فيْ الزَّمَانِ منَ الخَطْبِ
وَأَخْلاَقُهُ رَاقَتْ فَلَوْ قَدْ تَمثَّلَتْ لشَرْبٍ لَمَا ٱعْتَاقَتْ لَدَيْهِمْ عَنِ الشُّرْبِ
فَأَغْضَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ منْ جَفْنِ حُرَّةٍ وَأَمْضَىٰ لَدَى الهَيْجَاءِ منْ مفْصَلٍ عَضْبِ
وَنَمَّ عَلَىٰ مَعْرُوْفِهِ طَيْبُ عَرْفِهِ كَذَا نَفَحَاتُ الرَّوْضِ نَمَّت عَلَىٰ السُّحْبِ
وَنَادَىٰ مُنَاديْهِ مُنَاديْ سَخَائِهِ فَجَاؤُوْهُ أَفْوَاجاً منَ البُعْدِ وَالقُرْبِ
فَوَافَوا بهِ عَرْضاً عَنِ النَّقْصِ مُعْرضاً وَمَالاً لمَنْ وَافَىٰ صَبُوْراً عَلَىٰ النَّهْبِ
وَكَفاً بمَا كَفَّتْ منَ العُدْمِ تَكْتَفيْ وَدَرّاً منَ النُّعْمَىٰ بدَرٍ عَلَىٰ الحَلْبِ
فَقَالَ الوَفَا نَيْلاً وَلَمْ يَقُلْ . . . . . عَلَىٰ كَثْرَةِ الإرْفَادِ نَائلُهُ حَسْبي
مَليْكٌ لحَجِّ البَيْتِ قَصْدُ جَنَابهِ يُنَاجي بمَا يُرْجَى فَيُنْحَىٰ منَ الكَرْبِ
إذَا ٱحْتَدَّ فيْ يَوْمِ الهيَاجِ وَهَاجَهُ جلاَدٌ يَفُلُّ الحَدَّ منْ سَوْرَةِ الضَّرْبِ
وَقَدْ رَاحَ بالأَرْوَاحِ عَاملُ رُمْحهِ فَأَثْنَتْ عَلَىٰ كَرَّاتهِ ٱلْسُنُ القُضْبِ
/ ٧٢ب/ وَأَرْدَىٰ العدَا تَحْتَ السَّنَابكِ وَٱرْتَدَىٰ منَ المَجْدِ ثَوْباً لاَ منَ الوَشْي وَالعَصْبِ
وَلَمْ يَرْضَ إلاَّ الهَامَ عمْداً لسَيْفهِ وَأَقْنَعَهُ سَلْبُ النُّفُوْسِ عَنِ السَّلْبِ
أَعَادَ عَلَىٰ مَنْ عَادَ عَائدَ عَفْوِهِ وأَشْغَلَهُ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الكَسْبِ
لَكَ اللهُ أَشْكُو ضَنْكَ حَاليْ فَأَشْتَكيْ فَأَنْتَ الرَّحيْبُ البَاعِ وَالمَرْبَعِ الرَّحْبِ
وَدُوْنَكَهَا عُذْراً فَلَوْ قَالَ قَائلٌ : هيَ الدُّرُّ لَفْظاً لَمْ يَكُنْ فَاهَ بالكذْبِ

---

(١) سِمام: جمع سُم.

إِذَا أُنْشِدَتْ فِي مَحْفِلٍ نَابَ نَشْرُهَا عَنِ العَنْبَرِ الهِنْدِيِّ وَالمَنْدَلِ الرَّطْبِ
وَصَارَ لَهَا ٱبْنُ العَبْدِ عَبْداً وَنَقَّصَتْ زِيَاداً وَكَادَتْ فِي فَصَاحَتِهَا تُرْبِي
وَإِنْ بَلَغَتْ عَنهَا البَلَاغَةُ أَخَّرَتْ قُدَامَةَ وَٱخْتَالَتْ عَلَى ابنِ أَبِي وَهْبِ
فَدُمْ وَٱبْقَ مَحْرُوسَ الجَنَابِ مُمَلَّكاً تَدِينُ لَكَ الأَمْلَاكُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ

/ ٦٦أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه بحلب المحروسة في شهر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة، يمدح الأمير مظفر الدين عثمان بن منكورس ـ صاحب صهيون ـ وأنفذها إليه من حلب المحروسة: [من الطويل]

نَعَمْ هَذِه نُعْمٌ وَهَاتِيكَ دَارُهَا تَشُبُّ بِأَعْلَى الغَوْرِ لِلْعَيْنِ نَارُهَا
هَدَتْ ضُمَّراً بِالبِيدِ أَضْمَرَهَا السُّرَى فَأَقْطَارُهَا مَهْدِيَّةٌ وَقِطَارُهَا
يُرِيكَ سَنَاهَا أَنْجُماً فِي سَمَائِهَا إِذَا هَاجَ عَادِيهَا وَطَارَ شَرَارُهَا
يَقُولُ لِيَ الخِلُّ الخَلِيُّ وَمَا دَرَى أَزَنْدِي أَوْرَى مِنْ جَوًى أَمْ أُوَارُهَا
أَنَارُ القِرَى بَيْنَ الحَشَا مِنْكَ والقَرَا فَعَيْنُكَ عَبْرَى مَا يَقَرُّ قَرَارُهَا[1]
فَقُلْتُ: لَظَاهَا مَا تُجِنُّ أَضَالِعِي شُهِرْتُ بِهَا حِيناً فَبَانَ ٱشْتِهَارُهَا
وَلَفْحَتُهَا مِنْ زَفْرَتِي مُسْتَعَارَةٌ أَلَمْ تَرَهَا يَحْكِي سَعِيرِي ٱسْتِعَارُهَا
فَحُقَّ لِدَمْعِي أَنْ يُوَاصِلَ مُقْلَةً جَفَا نَاظِرَيْهَا نُورُهَا وَنَوَارُهَا
إِذَا جَاوَرَتْ نُعْمٌ بِنَعْمَانَ جِيرَةً وَأَبْعَدَ عَنْهَا قُرْبُهَا وَجِوَارُهَا
وَأَوْجَدَ أُنْسَ الوَجْدِ مِنِّي نُفُورُهَا وَنَفَّرَ طِيبَ النَّوْمِ عَنِّي نِفَارُهَا
وَأَعْوَزَ شَكْلِي فِي الهَوَى حِينَ أَشْكَلَتْ مَعَانِي مَغَانِيهَا وَشَطَّ مَزَارُهَا
/ ٦٦ب/ لَهَا اللهُ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ هِيَ أَنْصَفَتْ عَلَى جُمْلَةِ الحَالَيْنِ وَاللهُ جَارُهَا
مَتَى شِئْتَ تَلْقَى الغُصْنَ رَيَّانَ نَاظِراً عَلَى الدِّعْصِ فَانْظُرْ مَا يَضُمُّ إِزَارُهَا
خَفَاجِيَّةُ الأَنْسَابِ عُذْرِيَّةُ الهَوَى سَمَا فَرْعُهَا الزَّاكِي وَطَابَ نِجَارُهَا
حَمَتْهَا حُمَاةٌ عَادَلَتْ كُلَّ مَعْرَكٍ فَسَلَّتْ مقبساتَ النُّفُوسِ شِعَارُهَا
فَفِي كُلِّ لُبٍّ رَوْعَةٌ مِنْ مَغَارِهِمْ كَمَا كُلُّ قَلْبٍ لَمْ يَفُتْهُ مُغَارُهَا
مَلِيكَةُ حُسْنِ الدَّهْرِ فَاللَّيْلُ فَرْعُهَا وَوَضَّاحُهَا لِلنَّاظِرِينَ نَهَارُهَا

(١) القرا: الظهر.

يَحِرْنَ حِسَانُ الحُوْرِ فِيْهَا إذَا رَنَتْ ... وَمِنْ أَيْنَ لِلْحُوْرِ الحِسَانِ احْوِرَارُهَا

وَسِيَّانَ نَظْمًا ثَغْرُهَا وَعُقُوْدُهَا ... وَشَتَّانَ طَعْمًا رِيْقُهَا وَعُقَارُهَا

لَهَا مِعْصَمٌ لاَ عَاصِمٌ مِنْهُ لَوْ دَعَتْ ... بِهِ العَصْمَ لاَنْقَادَتْ وَبَانَ انْهِيَارُهَا

مُنَى البَدْرِ أنْ يُلْوَى إذَا مَا تَسَوَّرَتْ ... وَلَمْ يَسْمُ بَدْرًا بَلْ تَعَالَى سِوَارُهَا

عَجِبْتُ لِنَفْسِي كَيْفَ بِالشَّامِ أَصْبَحَتْ ... وَعَنْ جِيْرَةِ الحَدْبَاءِ كَيْفَ اصْطِبَارُهَا

أُخَيِّرُهَا بَيْنَ الثَّنِيَّةِ وَاللِّوَى ... فَمَا يَنْثَنِي إلاَّ إلَيْهَا اخْتِيَارُهَا

يُؤَرِّقُنِي مَرُّ النَّسِيْمِ بِرَبْعِهَا ... وَيُوْقِظُنِي عِنْدَ الهُجُوْعِ ادِّكَارُهَا

فَلِلَّهِ لَيْلاَتٌ قَصُرْنَ لِطِيْبِهَا ... وَأَطْيَبُ أَوْقَاتِ السُّرُوْرِ قِصَارُهَا

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي حَيْثُ كُنَّ عَوَارِيًا ... فَهَلْ أَنَا يَوْمًا قَبْلَ يَوْمِيَ أُعَارُهَا

/٦٧أ/ إذِ الوُرْقُ قَيْنَاتٌ عَلَوْنَ أَسِرَّةً ... مِنَ الأَيْكِ يُصْبِي سَجْعُهَا وَثِمَارُهَا

وَصَوْتُ المَثَانِي وَالمَثَالِثِ مُعْرِبٌ ... بِلَحْنِ غَرُوْرٍ فِي الخُدُوْرِ . . . .

إذَا رَدَّدَتْ أَقْمَارُهَا نَغَمَاتِهَا ... شَدَا طَرَبًا قُمْرِيُّهَا وَهَزَارُهَا

فَشَقَّ قَمِيْصَ الهَمِّ عَنْهُ شَقِيْقُهَا ... وَبَثَّ شُحُوْبَ الوَجْدِ مِنْهُ بَهَارُهَا

وَسَاقٍ يُدِيْرُ الرُّوْحَ رَوْحًا فَحَبَّذَا ... مُدِيْرُ حُمَيَّا كَأْسِهَا وَمُدَارُهَا

كَسَا رَاحَهُ رَاحًا يُرِيْكَ مِزَاجُهَا ... بَيَاضَ لُجَيْنٍ ذَابَ فِيْهِ نُضَارُهَا

كَأَنَّ عَلَى اليَاقُوْتِ إكْلِيْلَ جَوْهَرٍ ... إذَا انْفَضَّ مَسْلُوْبًا وَقَارِي وَقَارُهَا

أوِ البَدْرِ أَبْدَى الشَّمْسَ لِلشَّرْبِ فَاكْتَسَتْ ... حَيَاءً بِحَبَابٍ . . . . فَالدَّرَارِي . . . .

سُلاَفٌ أَتَانَا سَالِفَ الدَّهْرِ بَعْدَهَا ... فَأَعْوَزَ عَصْرٌ كَانَ فِيْهِ اعْتِصَارُهَا

فَهَاتِ كَبِيْرًا فَالسَّعَادَةُ حَثُّهَا ... كِبَارًا كَمَا أَنَّ الصِّغَارَ صِغَارُهَا

إذَا خِفْتَ عَارًا وَاللَّيَالِي مُعَارَةٌ ... فَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُصِيْبَكَ عَارُهَا

أَرَى هِمَمًا لاَ تَنْثَنِي عَنْ دَنَاءَةٍ ... أَضَرَّ عَنَاهَا أَمْ أَضَرَّ اضْطِرَارُهَا

وَلِي هِمَّةٌ عَنْ مَرْكَزِ العِزِّ مَا خَطَتْ ... وَنَفْسٌ إلَيْهِ طَعْنُهَا وَسِفَارُهَا

فَيَا وَيْحَهَا مَاذَا دَهَاهَا فَأُقْصِرَتْ ... وَعَنْ قَصْدِهَا صُهْيُوْنَ مَاذَا انْتِظَارُهَا ؟

بِهِ أَسَدٌ إنْ صَالَ ذَلَّتْ أُسُوْدُهَا ... وَبَحْرٌ إذَا مَا فَاضَ غَاضَتْ بِحَارُهَا

/٦٧ب/ فَتَبًّا لَهَا إنْ خَافَتِ الضَّيْمَ وَالأَذَى ... وَنَاصِرُهَا عُثْمَانُهَا وَانْتِصَارُهَا

مظَفَّرُ دِيْنِ الله نَاشِرُ عَدْلِهِ ... وَقَدْ ضَاقَ عَنْ غَشْمِ الطُّغَاة اقْتِدَارُهَا
مَلِيْكٌ عَلَى كُلِّ البَرِيَّةِ حُكْمُهُ ... وَفِي قَبْضَتَيْهِ بِرُّهَا وَبَوَارُهَا
تَكَفَّلَتِ العَافِي بِيُمْنَ يَمِيْنِهِ ... وَقَدْ ضَمِنَتْ يُسْرَ المُقِلِّ يَسَارُهَا
فَفِي خَمْسِهِ لِلنَّاكِثِيْنَ خَمِيسُهَا ... وَفِي عَشْرِهِ لِلْمَاكِثِيْنَ عِشَارُهَا
لَهُ مُحْتَدٌ أَصْلُ العَلاءِ فُرُوعُهُ ... وَدَوْحَةُ فَخْرٍ لا يُبَارَى فَخَارُهَا
إِلَى منكورس القَيْلِ والمَجْدِ تَنْتَمِي ... فَمِنْ دُوْنِهِ قَحْطَانُهَا وَنِزَارُهَا
وَمسْعَرِ حَرْبٍ إِنْ سَطَا يَوْمَ مَعْرَكٍ ... فَرِبْحُ الأَعَادِي فِي الكِفَاحِ خَسَارُهَا
إِذَا نَازَعَتْ أَقْيَالَهَا وَتَنَازَعَتْ ... رُؤُوْسُ حِمَامٍ لاَ يُدَاوَى خُمَارُهَا
وَظَلَّ بِهَا سُمُّ المَنِيَّةِ نَاقِعًا ... فَأَرْخَتْ سُتُوْرَ النَّقْعِ خَوْفًا قِعَارُهَا
جَرَى سَابِقًا مَنْ لاَ يُشَقُّ غُبَارُهُ ... بِسُبَّقِ خَيْلٍ لا يُشَقُّ غُبَارُهَا
لَهَا عِثْيَرٌ بَيْنَ السَّنَابِكِ معتقٌ ... وَلَكِنْ بِأَعْتَاقِ الكُمَاةِ عِثَارُهَا
لِتُرْوَى ظَوَامٍ مِنْ قَنًا وَقَوَاضِبٌ ... أَبَتْ إِذْ أُثِيرَتْ أَنْ يَعَطَّلَ نَارُهَا
فَيَصْدُرَ عَنْ فَرْيِ الصُّدُوْرِ صُدُوْرُهَا ... وَقَدْ وَرَدَتْ وِرْدَ الوَرِيْدِ عُقَارُهَا
وَأَضْحَى رَفِيْعًا قَدْرُهُ وَاقْتِدَارُهُ ... وَظَلَّ وَضِيْعًا قَدْرُهَا وَاقْتِدَارُهَا
/١٦٨أ/ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَأْلُ جُهْداً وَمَا وَقَى ... وَقَدْ حَذِرَتْ لَوْ كَانَ يُغْنِي حِذَارُهَا
وَإِنْ أَمْعَنَتْ فِي الفَرِّ مِنْ سَطَوَاتِهِ ... فَأَيْنَ مِنَ اللَّيْثِ الهَصُوْرِ فِرَارُهَا
أَيَا مَلِكًا كُلُّ المُلُوْكِ مُشَارُهَا ... إِلَيْهِ وَفِي دَفْعِ الأَذَى مُسْتَشَارُهَا
وَرُبَّ أَيَادٍ لاَ يُطَاوِلُ طَوْلُهَا ... وَلَكِنْ طِوَالُ الطَولِ مِنْهَا اخْتِصَارُهَا
وَغَيْثًا يُرِيْنَا غَوْثُهُ مِنْ بَنَانِهِ ... سَحَائِبَ لا تَنْفَكُّ تَهْمِي غِزَارُهَا
لَكَ اللهُ مِنْ عَضْبٍ عَلَى الشِّرْكِ مِقْصَلٍ ... لَهُ صَفْحَةٌ أَرْضَى الإِلَهَ غِرَارُهَا
فَكَمْ مَأْزِقٍ فِي مَأْزِقٍ رَهْنَ حَدِّهَا ... وَكَمْ مُهَجٍ هَاجَتْ إِلَيْهِ مَصَارُهَا
تَأَمَّلْ قَرِيْضًا مَا خَلاَ عَنْ مُقَرِّضٍ ... وَأَبْكَارَ أَفْكَارٍ يَرُوْقُ ابْتِكَارُهَا
هَدَتْ بِقَوَافِيْهَا مِنَ الفَهْمِ حَائِرًا ... وَأَوْضَحَ سُبْلَ السَّالِكِيْنَ مَنَارُهَا
مَعَانٍ عَلَى جِيْدِ المَعَالِي قَلاَئِدٌ ... عَرَائِسُ تُجْلَى وَالفَرِيْدُ نِثَارُهَا
يَفُوْقُ شَذَاهَا المِسْكَ لَيْسَ كَرَوْضَةٍ ... يَمُجُّ النَّدَى شِيْحَانُهَا وَعَرَارُهَا

ودُمْ فِـي سُعُـوْدٍ نَيِّـرٍ بِـكَ بَـدْرُهَـا ... وَمكِّنْـهُ تَمْكِيْـنَ إليـك بِـدارُهـا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

تَهَـادَىٰ فَكَـادَ الغُصْـنُ يُشْبِهُـهُ قَـدّاً ... وَأَهْـدَىٰ إلَيْـه الـوَرْدُ مِـنْ لَـوْنـه خَـدَّا
فَجَـادَ عَلَـىٰ جُـوْرِيِّـه وَرْدُ خَـدِّه ... وَقَـدَّ قَضِيْـبَ البَـان أهْيَفُـهُ قَـدَّا
/ ٦٨ب/ فَرِيْدُ جَمال جَوْهَرُ الحُسْن ذَاتُهُ ... فَـلاَ غَـرْوَ إنْ سَمَّيْتَـهُ الجَـوْهَـرَ الفَـرْدَا
حَبِيْـبٌ حَبَـا الصَّهْبَـاءَ سَلْسَـالَ رِيْقِـه ... فَـرَاقَـتْ بِـه طَعْمـًا وَرَقَّـتْ بِـه بُـرْدا
كَسَـا كَـأْسَهَـا طِيْبـًا وَحَلَّـىٰ حبَـابَهـا ... فَصَـارَ عَلَـىٰ إكْلِيْلِهَـا ثَغْـرُهُ عِقْـدَا
وَأَشْهَـدُ أَنَّ الشَّهْـدَ مِـنْ فِيْـه يُخْتَشَـىٰ ... وَمَـنْ ذَا جَنَـىٰ فَـيْ النَّاس مِـنْ بَـرَدٍ شَهْـدَا
هَـدَىٰ الصُّبْـحَ لِمَّـا ضَـلَّ فِـيْ لَيْـل فَـرْعِـه ... بِصُبْـحِ جَبِيْـنٍ كُـلُّ صُبْـحٍ بِـه يُهْـدَىٰ
عَـلاَهُ دُجُـوْجِـيٌّ مِـنَ الشَّعْـرِ حَـالِـكٌ ... تَخَـالُ بِـه قِطْعـًا مِـنَ اللَّيْـل مُسْـوَدَّا
ولَمَّـا رَأَىٰ شَمْـسَ الضُّحَـىٰ تَسْتَمِـدُّهُ ... جَمَـالاً وَبَـدْرَ التَّـمِّ يَلْتَمِـسُ الـرِّفْـدَا
وَمَـنْ ذَا لَهَـا لَـوْ أشْـرَقَـتْ مِـنْ لِثَـامـه ... وَكَيْـفَ لَـهُ لَـوْ كَـانَ يَـرْضَـىٰ بِـه عَبْـدَا
لَـهُ عَـامِـلٌ فِـيْ نَـاظِـرٍ تَحْـتَ حَـاجِـبٍ ... أمِيْـرٌ يُمِيْـرُ المُسْتَهَـامَ بِـه الـوَجْـدَا
تَجلَّـىٰ فَنَـالاَ مِـنْ سَنَّـاهُ سَنَـاهُمَـا ... وَلَـوْلاَهُ مَـا عَـادَا وَلَـوْلاَهُ مَـا عُـدَّا
يُجَـرِّدُ هِنْـدِيـًا مِـنَ اللَّحْـظِ مُـرْهَفَـا ... مَتَـىٰ مَـا انْتَضَـاهُ جَـازَ فِـيْ خَـدِّه الحـدَّا
مَضَـارِبُـهُ جَـارَتْ وَجَـادَتْ وَجَـالَـدَتْ ... فَـلاَ جَلَـداً تُبْقِـيْ لَـدَيْهَـا وَلاَ جَلْـدَا
فَبَيْـنَ قَتِيْـلٍ لاَ . . . . وَبَيْـنَ أسِيْـرٍ لاَ يُفَـدَّى وَلاَ يُعْـدَىٰ
فَيَـا سَـارِيـًا يُغْـرِيْ العُـلاَ بِمَنَـاسِـمٍ ... تُبِيْـدُ عِـرَاصَ البِيْـدِ فِـيْ سَيْـرِهَـا وَخْـدَا
إذَا جِئْـتَ وَادِيْ المُنْحَنَـى دُوْنَ ضَـارِحٍ ... وَعَـايَنْـتَ ذَاكَ الـرِّيْـمَ وَالبَـانَ والـرَّنْـدَا
/ ٦٩أ/ فَلُـذْ بِحِمَـىٰ ذَاكَ الجَنَـاب فَمَـنْ بِـه ... إلَيْـه مَطَـايَـا الشَّـوْقِ فِـيْ شَـوْقِهَـا تُحْـدَا
وَقُـلْ يَـا مُـرَيْـحَ الـرُّوْحِ إنْ كَـانَ وَاصِـلاً ... وَيَـا رَابِحـًا بِـالـرَّوْحِ إنْ مَنَـحَ الصَّـدَّا
خَـفِ اللهَ فِـيْ صَـبٍّ مِـنَ الصَّبْـرِ مُخْفِـقٍ ... فَخَفَّـاقُـهُ مِـنْ فَـرْطِ حُبِّـكَ لاَ يَهْـدَا
تَعَمَّـدْتَ مَعْمُـوْدَ الفُـؤَادِ سَلِيْبَـهُ ... فَعَنَّفْتَـهُ شَـوْقـًا وَأقْصَـدْتَـهُ قَصْـدَا
فَـإنْ قَـالَ لَـمْ أعْمِـدْ فَقَـدْ صَـحَّ قَتْلُـهُ ... لَقِيْـتَ بَـلاَهُ إنْ وِفَـاقـًا وَإنْ عَمْـدَا
وَإنْ كَـانَ يَـوْمـًا يُحيـاه مُسْعِـداً ... فَـلاَ لَقِيَـتْ عُتْـبٌ وَلاَ أسْعَـدَتْ سُعْـدَى

وكم لاحَ لاحٍ في هواهُ أجبتُهُ ... وقد ظنَّ ما يُبديهِ من غيِّه رُشْدا
عَدِمْتُكَ إنَّ القلبَ أضحى زِمامُهُ ... بكفِّ مُكافٍ ما أرى منهُ لي بُدّا
فمَغْسُولُهُ المسكيُّ أوردني الظَّما ... وعسّالُهُ اللَّدْنيُّ هَدَّ القُوى هَدّا
أرى حُبَّهُ فرضاً وإنْ سَنَّ قتلتي ... وإنْ هو أخفى من تَعَدِّيهِ أو أبدى
وإنْ هو أولى أو تولّى وإنْ وفى ... بميعاده أفديهِ أو أخلفَ الوعدا
وها أنا تُصبيني مُذاكرةُ الحمى ... وأهوى الثَّنايا الغُرَّ والفاحمَ الجَعْدا
ويُطربني مَرُّ النَّسيمِ إذا سرى ... سُحَيراً بريّا جيرةٍ سكنوا نَجْدا

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ:

[من الكامل]

مولايَ عبدُكَ شاكرٌ لم يَثْنِهِ ... إبعادُهُ عن شُكْرِه وثنائِهِ
/٦٩ب/ وَوَحَقِّ نعمتكَ الَّتي عمَّ الورى ... إنعامُها فعجزنَ عن إحصائِهِ
قَسَماً وراحتكَ الَّتي ما جاوزتْ ... جُودَ الحيا إلّا احتبى بحبائِهِ
والبحرُ باراها فبارَ وكادَ من ... نَبْطِ الكآبةِ أنْ يغيضَ بمائِهِ
لمّا رفعتَ محلَّهُ في مجلسٍ ... النَّصرُ والإقبالُ من جُلسائِهِ
ووعدتَهُ نظراً بعينِ عنايةٍ ... فغدا بهِ يسمو على نُظَرائِهِ
لم يبقَ في الدُّنيا سواكَ لهُ رجاً ... فمتى يراكَ مُحَقِّقاً لرجائِهِ

وأنشدني أيضاً قوله يتغزل: [من البسيط]

قُلْ لي عَداكَ غرامي أيُّها البانُ ... أبانَ أهلُ الغضا للعينِ أمْ بانوا
وجيرةٍ بالنَّقا ما خُنْتُ عهدَهُمُ ... ولا هُمُ لعهودي في الهوى خانوا
أضيَّعوا العهدَ أمْ حالتْ معاهدُهُمْ ... فحالَ عهدُهُمُ أمْ هُمْ كما كانوا
إنْ أضمروا سلوةً حيثُ اللِّوى سلكوا ... فإنَّهُمْ في ضميرِ القلبِ سُكّانُ
أو أنكرَ الطَّرفُ مغناهُمْ فلا عجبٌ ... فالعقلُ مُعتقَلٌ واللُّبُّ حيرانُ
ومدمعي ضلَّ حتّى ما اهتدى بصري ... أهذهِ رامةٌ أمْ تيكَ نعمانُ ؟
عهدي بهمْ وشتيتُ الوصلِ مُجتمعٌ ... على الحمى وهُمُ أهلٌ وجيرانُ
فالآنَ لا الأهلُ أهلٌ بعدَ بُعدِهِمُ ... عنِ الطُّلولِ ولا الأوطانُ أوطانُ

أبكتْهُمُ وَجُفُوْنُ السُّحْبِ تُنْجِدُنِي ... فَالقَطْرُ والدَّمْعُ هَتَّانٌ وهتانُ
وَأَسْأَلُ الرَّبْعَ عَنْهُمْ مِنْ تَشَوُّقِهِمْ ... جُهْدَ المُقِلِّ وَمَا بِالرَّبْعِ إِنْسَانُ

[٣٨]

إبراهيمُ بن المظفر بن أحمدَ بن المبارك بن موهوب بن غَنيمةَ بن غالب، أبو إسحاق بن أبي العزِّ المستوفي الإربليُّ.

شاب أسمر اللونِ؛ أخبرني أنه ولد في المحرم سنة إحدى وتسعين وخمسمائة؛ وهو ابن أخي الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ؛ وهو من بيت جليل /٧٣أ/ بإربل في الرئاسة؛ أجلاء معروفون، رؤساء موصوفون.

حفظ القرآن المجيد، ويحفظ جملة من الشعر؛ وهو يتولّى التصرف لأمراء بلده، وفيه ذكاء.

وله شعر أنشدني منه، وكتبه إلي بخطّه: [من الطويل]

إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ هُمُومٍ تَوَاصَلَتْ ... أَمَا تَغْلَطُ الدُّنْيَا لَنَا بِصَدِيْقِ
لَقَدْ خَانَنِيْ لَمَّا هَجَرْتُمْ مُوَاصِلِيْ ... وَقَدْ صَدَّ عَنِّي مَعْشَرِيْ وَفَرِيْقِي
فَوَاحَرَبَا كَمْ تَضْرِمُوْنَ بِصَدِّكُمْ ... وَإِعْرَاضِكُمْ فِيْ القَلْبِ نَارَ حَرِيْقِ
أُقَاسِيْ هُمُومًا مِنْ أُنَاسٍ فِعَالُهُمْ ... قَذًى لِعُيُوْنٍ أَوْ شَجًى لِحُلُوْقِ

وأنشدني له: [من الطويل]

تَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيْهِ يَا مُتَمَلِّكًا ... بِمَقْدَمِكَ المَيْمُوْنِ إِنْتَظَمَ النَّصْرُ
لَئِنْ سِرْتَ فِيْ بَرٍّ مِنَ الأَرْضِ فَدْفَدٍ ... فَقَدْ صَارَ بَحْرًا مَاؤُهُ مُفْعَمٌ غَمْرُ

[٣٩]

إبراهيمُ بن أبي المنىٰ بن أبي الفضل بن عليٍّ، أبو إسحاق الحبّال الحلبيُّ.

رأيتُهُ بحلب في ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وستمائة؛ رجلاً كهلاً سوقيًا. وسألته /٧٣ب/ عن ولادته، فقال: ولدت في سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

وزعم أنَّه تأدب علىٰ جماعة من فضلاء الحلبيين، واستظهر مقدمة باب شاذ وسرّ

الأدب لمنصور الثعالبي؛ فرأيته ذا طبعٍ مواتٍ في عمل الشعر وخاطر حسن.

وأنشدني كثيراً من شعره، وكتبت عنه مقطعات؛ فمما أملىٰ علي قوله:

[من السريع]

سُلْطَانَةٌ سُلْطَانَةُ الحُسْنِ ... سَقَىٰ مُحَيَّاهَا حَيَا المُزْنِ
فَالشَّمْسُ مِنْ لأْلائِهِ تكْتَسِي ... نُوراً وَبَدْرُ التَّمِّ فِي الدَّجْنِ
أَفْدِيهِ وَجْهًا لَوْ تَرَاءَىٰ لَدَىٰ ... حُسْنٍ لأَصْبَاهُ إِلَىٰ الزَّفْنِ
يَقُودُنِي مِنْهَا إِلَىٰ حُبِّهَا ... قَدٌّ رَشِيقٌ كَالْقَنَا اللَّدْنِ
نَادَيْتُ لَمَّا أَقْبَلَتْ فَرْحَةً ... مَنْ ذَا رَأَىٰ شَمْسًا عَلَىٰ غُصْنِ
فَنٌّ مِنَ الحُسْنِ يَهِيمُ الفَتَىٰ ... وَكَمْ لَهَا فِي الحُسْنِ مِنْ فَنِّ

وأنشدني أيضًا: [من مجزوء الرمل]

سَاعِدِي سُلْطَانَةَ الحُسْنِ ... أُسَارَىٰ سَاعِدَيْكِ
فَأَرَىٰ بَالِي وَبَالِي ... جَسَدِي طَوْعَ يَدَيْكِ
وَٱرْحَمِي مَنْ بَاتَ يَشْكُو ... مِنْ تَجَنِّيكِ إِلَيْكِ
/١٧٤أ/ فَلَقَدْ أُشْفِقُ مِنْ عَاقِبَةِ الظُّلْمِ عَلَيْكِ

وله: [من الرمل]

سَيِّدِي إِنَّ وُدَادِي لَصَحِيحُ ... وَبِسِرِّي حَاشَ للهِ أَبُوحُ
وَلَكَ اليَوْمَ بِقَلْبِي مَنْزِلٌ ... مَا لَهُ عَنْ حَبَّةِ القَلْبِ نُزُوحُ
خَبَرِي دَلَّ عَلَيْهِ .... العَاشِقِ فِي الوَجْهِ تَلُوحُ
فَاغْتَنِمْ أَجْرِي وَدَعْنِي أَغْتَدِي ... عِنْدَ رُؤْيَاكَ بِنُجْحٍ وَأَرُوحُ
وَٱشْفِ جِسْمِي مِنْ سَقَامٍ شَفَّهُ ... . الأَسَىٰ إِذَا مَاتَ الجَرِيحُ
يَا لَقَوْمِي آفَتِي مِنْ نَظَرِي ... لَمْ يَزَلْ طَرْفِيَ إِلَىٰ السُّمْرِ طَمُوحُ
أَيُّهَا السَّمْحُ بِهَجْرِي وَالقِلَىٰ ... وَهُوَ بِالوَصْلِ ....
لَكَ رُوحِي خَلِّهَا فِي بَدَنِي ... لا تَدَعْنِي جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
أَنْتَ لِي رَاحٌ مُزَاحٌ فِي فَمِي ... لَذَّ لِي مِنْهُ غَبُوقٌ وَصَبُوحُ
قَدْ حَوَيْتَ الحُسْنَ وَالظَّرْفَ مَعًا ... يَا مَلِيحًا لا يُضَاهِيهِ مَلِيحُ

مَـا للَّيْلِـي . . . . لاَ أَرْقُدُهُ وَنَهَارِيْ تَعَبٌ لاَ أَسْتَرِيْحُ
أَرْقَبُ الصُّبْحَ وَدَمْعِيْ كَدَمِي مَنْ رَآنِيْ قَالَ فِيْ الفَرْشِ ذَبِيْحُ
قُرَّةَ العينِ إلَى كَمْ ذَا الجَفَا إنَّ جَفْنِيْ مِنْ تَجَافِيْكَ قَرِيْحُ
/ ٧٤ب/ إنْ تكُنْ سَاءَتْكَ منِّي تَرْحَةٌ تُوجِبُ التَّقْبِيح مَا العَفْوُ قَبِيحُ

وله : [من مجزوء الرجز]

رَحَةُ قَلْبِيْ تَعَبُ وَبُرْءُ جِسْمِيْ وَصَبُ
وَدَمْعُ عَيْنَيَّ دَمٌ فِيْ الخَدِّ منْهُ نُدَبُ
وَبيْنَ جَنْبَيَّ جَوًى بوَقْدِهِ التَهَبُ
كَأنَّمَا الدَّمْعُ لِنيْرَان الجُسُوْمِ الحَطَبُ
وَالهَمُّ عِنْدِيْ مُقْعَدُ مَا عِشْتُ لاَ يقْتَرِبُ
إنْ أقْشَعَتْ نَائِبَةٌ مِنْهُ تَنَامَتْ نُوَبُ
وَإنْ تَنَاءَى سَبَبٌ عَنِّيْ تَدَانَى سَبَبُ
فَيَا إلَهِيْ فَرَجًا أوْ أجَلٌ يَقْتَرِبُ
إذَا أَمَرَّتْ عِيْشَةٌ فَالمَوْتُ مِنْهَا أطيبُ

[٤٠]

إبراهيمُ بن أبي عبد الله بن إبراهيمَ بن محمد بن يوسفَ، أبو إسحاق الأنصاريُّ الإسكندريّ.

شاب قصير أسمر شديد السمرة، كَوْسَجٌ، يتطلّس بزي بلده / ٧٥أ/ أخبرني أنّه ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة، تفقه على مذهب الإمام مالك ابن أنس ـ رضي الله عنه ـ وتأدّب على أبي زكريا يحيى بن مُعط بن عبد النور الزواوي النحوي المغربي؛ وذكر لي أنه سافر إلى بلاد اليمن والهند والعراق والشام والروم.

شاهدته بالموصل أواخر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة؛ فرأيته رجلاً ذا عناية بفن المنثور والمنظوم، حلو الحديث، لطيف المحاورة، جميل المحاضرة؛ له لسان وفصاحة، وقبول عند الكبراء، وفيه دماثة وكياسة، ترغب الناس في عشرته، ويتقبلونه ويقبلون عليه حِلْسُ منزله. لم يمدح أحداً رجاء نائله وجدواه إلاّ رياضة لخاطره.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

رَعَى اللهُ أيَّاماً مَضَيْنَ بجلِّق ... لَقَلْبِي عَلَيْهَا أنَّةٌ وَتَوَجُّعُ
رحَلْتُ وَأبْرَادُ الشَّبَابِ قَشيْبَةٌ ... وَعُدْتُ وَأسْمَالُ المَشِيْبِ تُرَقَّعُ

وأنشدني أيضًا شعره: [من الطويل]

تَصَفَّحْ تَصَانِيْفَ الأنَامِ تَجِدْ بِهَا ... عُقُولاً صِحَاحاً تَارَةً وَمِرَاضَا
/ ٧٥ب/ فَإنْ زُرْتَ مَرْضَاهَا وَجَدْتَ رِيَاضَةً ... وَإنْ رُضْتَ أرْضَاهَا رَأيْتَ رِيَاضَا

وأنشدني أيضًا: [من المديد]

لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِمْ طَمَعُ ... وَصَلُوا فِي الحُبِّ أمْ قَطَعُوا
أوْجَعُوا قَلْبِي بِبَيْنِهِمُ ... وَاسْتَمَرَّ البَيْنُ وَالوَجَعُ
[فـ]كَأنِّي بَعْدَ بُعْدِهِمُ ... فِي الوَرَى بِالعَيْشِ أنْتَفِعُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الرمل]

بَاتَ يُسْقِيْنِي رَشاً كَالقَمَرِ ... يَمْزِجُ المِرِّيْخَ لِي بِالمُشْتَرِيْ
بِكُؤُوْسٍ مِنْ لُجَيْنٍ أبْيَضٍ ... مُلِئَتْ لِي مِنْ نُضَارٍ أصْفَرِ
فَوْقَ أرْضٍ بُسِطَتْ مِنْ سُنْدُسٍ ... رُصِّعَتْ فِيْهِ نُجُوْمُ الدُّرَرِ
ذَاتِ عَرْشٍ حُفَّ بِالتُّرْكِ فَلَمْ ... أرَ فِيْهِ غَيْرَ أحْوَى أحْوَرَ
وَلَهُ ثَوْبُ جَمَالٍ أحْمَرٍ ... ذُوْ طِرَازٍ مِنْ عِذَارٍ أخْضَرِ

[٤١]

إبراهيم بن عرب بن عبد الرحمن . . . . . الشيباني .

أخبرني أنه ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالبيت المقدس ـ حمى الله حوزته ـ.

أنشدني لنفسه: [من الرجز]

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ وَفِي ظَنِّهِ ... أنَّ خِضَابَ الشَّيْبِ لا يَشِيْنُهُ
. . . . فِي ذَقْنِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه، وكتبها إلى تاج الدين الصرخدي يلتمس شيئًا من شعره، فأبطأ عليه إنفاذه: [من الخفيف]

.... تاج الدين عن شاكر عد إحْسَانه
هَذه حَالَةٌ عَذَرْنَاكَ فيْهَا دُرَرُ التَّاجِ لاَ تَزَالُ مُصَانَهْ

وأنشدني لنفسه في إنسان كبير الأنف: [من الخفيف]

.... أنف عظيم في خياشيمه يضيع الفيلُ
وَلأَنْفَاسِه صَفيْرٌ إذَا مَا سُمعَتْ قِيْلَ قَامَ إِسْرَافِيْلُ

وأنشدني أيضًا قوله في المعنى:

وأعجب شيء في الذي أنفه يوازي باقي اسمه
.... من أنفه في المجرّة][1]

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ذكر من اسمه أحمد

[٤٢]
أحمدُ بنِ عبد الغني بن أحمدَ بن خلف بن المسلم اللَّخميُّ القُطْرُسيُّ[١].

كان من أهل الديار / ٧٦أ/ المصرية. وبها نشأ خاملاً، وكفله شخص من مصر يقال له «القُطُرس»[٢] وربّاه فلا يعرف إلاّ به. وفتح مكتبًا يعلّم فيه الصبيان، وبقي زمانًا طويلاً يؤدّب الصبيان ويعلمهم الخط. هكَذا حكىٰ لي من أثق به.

وكان فاضلاً نبيلاً شاعراً جليلاً فقيهًا علىٰ مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ وعنده معرفة حسنة بالأصولين والفلسفة، وحصل من ذَلك علىٰ الأمد الأقصىٰ.

ثم ترك ذلك وخدم في الأشغال الديوانية وفي ديار مصر؛ وله شعر كثير لطيف الغزل رقيقه. وتوفي بقوص في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستمائة.

وساق ذكره الإمام أبو حامد الكاتب في خريدته، وأثنىٰ علىٰ فصاحته ومعرفته.

قال العماد أبو حامد محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني في خريدته[٣]: النفيس بن القطرس شاب مصري فقيه في المدرسة المالكية بمصر له خاطر حسن ودراية، ولسن ويد في علوم الأوائل قوية وروية من منابع الأدب ومشارعه روية.

أنشدت له: [من البسيط]

/ ٧٦ب/ يُسَرُّ بالعيد أقْوَامٌ لَهُم سَعَةٌ ... مِنَ الثَّرَاء وَأمَّا المُقْتِرُوْنَ فَلا
هَلْ سَرَّني وَثِيَابِيْ فِيْهِ قَوْمُ سَبَا ... أَوْ رَاقَنِيْ وَعَلَىٰ رَأسِيْ بِهِ ابْنُ جَلا[٤]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٢٧ وفيه: «أحمد بن عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلف بن المسلم، الفقيه الأديب، نفيس الدين، أبو العباس اللخمي المالكي المعروف بالقُطْرُسي، وفيات الأعيان ١/ ١٦٤ ـ ١٦٧ رقم ٦٦، تاريخ ابن الفرات المجلد الخامس ١/ ٥٤. الأعلام ط٤/ ١/ ١٥٢.

(٢) في وفيات الأعيان: «وكان جدّه يقال له قُطْرُس».

(٣) يبدو أن هذه الترجمة سقطت من القسم المصري من خريدة القصر وجريدة العصر.

(٤) البيتان في الوفيات ١/ ٦٥ والوافي ٧/ ٧٤.

عِيْدٌ عَـدَانـيْ الغِنَـىٰ فيْـه إلَـىٰ . . . . . لاَ تَعْـرِفُ العُـرْفَ أيْـدِيْهِـمْ وَلاَ القبـلا
ظَلَلْـتُ أنْحَـرُ فِيْهِـمْ مُهْجَتِـي أسَفـاً وَهُـمْ بِـهِ يَنْحَـرُوْنَ الشَّـاءَ والإبـلاَ
. . . . لَكَـانَ أرْفَـعَ . . . . . الَّـذيْ سَفَـلاَ

قال المبارك بن أبي بكر . . . . . . ، أنشدني أبو الفضل زهير بن محمد بن علي الكاتب، أنشدني الفقيه النفيس أبو العباس أحمد بن عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن بن خلف بن المسلم اللخمي القطرسي لنفسه بقوص: [من الوافر]

وَأهْيَـفَ كَـالقَضِيْـبِ إذَا تَثَنَّـىٰ وَكَـالقَمَـرِ المُنِيْـرِ إذَا تَبَـدَّا
سَبَـىٰ قَلْبِـيْ هَـوَاهُ وَكُنْـتُ حُـرّاً وَأضْـرَعَنِـيْ هَـوَاهُ وَكُنْـتُ جَلْـدَا
فَـدَيْتُـكَ مِـنْ يَمَـانٍ كَـاليَمَـانِـيْ إذَا مَـا اهْتَـزَّ الْحَـاظـاً وَقَـدَّا
رَآنِـي الحُسْـنُ أهْـوَىٰ الثَّغْـرَ الْمَـى فَـألْبَسَـهُ اللمَّـىٰ المَعْسُـوْلَ بَـرْدَا
/ ٧٧أ/ لَئِـنْ لاَنَـتْ مَعَـاطِفُـهُ دَلاَلاً فَـإنَّ السَّيْـفَ يَقْتُـلُ وَهْـوَ يَنْـدَىٰ
وَإنْ عَـذُبَـتْ مَـرَاشِفُـهُ فَمِمَّـا يُـذِيْـبُ حَـدِيْثُـهُ فِيْهِـنَّ شَهْـدَا

وأنشدني بالإسناد له: [من المنسرح]

وَقَـامَـةٍ كَـالقَضِيْـبِ مَـائِسَـةٍ تَحْمِـلُ جِسْمـاً كَـأنَّـهُ الـذَّهَـبُ
شَمَـائِـلُ الحُسْـنِ فِيْـهِ شَـاهِـدَةٌ بِـأنَّـهُ حَيْـثُ يَنْتَهِـيْ الطَّلَـبُ
. . . . تَفْتُـهُ والـدَّلاَلِ يَجْـذُبُـهُ وَالقَلْـبُ مِنْـهُ إلَيْـهِ يَنْجَـذِبُ
وَذُقْـتُ رِيْقـاً مِـزَاجُـهُ عَجَـبٌ الخَمْـرُ وَالمِسْـكُ فِيْـهِ وَالضَّـرَبُ
وَلَـمْ أزَلْ فِـيْ انْتِهَـابِـهِ شَـرِهـاً فَـاعْجَـبْ لِمِلْكِـيْ وَكَيْـفَ انْتَهَـبُ

أنشدني زهير بن محمد بن علي الكاتب، قال: أنشدني أحمد بن عبد الغني لنفسه: [من الطويل]

وَذِيْ هَيْـأةٍ يُـزْهَـى بِحَـالِ مُهَنْـدِسٍ أمُـوْتُ بِـهِ فِـيْ كُـلِّ يَـوْمٍ وَأُبْعَـثُ
مُحِيْـطٌ بِـأشْكَـالِ المَـلاَحَـةِ وَجْهُـهُ كَـأنَّ بِـهِ أقْلِيْـدِسـاً يَتَحَـدَّثُ
فَعَـارِضُـهُ خَـطٌّ اسْتِـوَاءٍ وَخَـالُـهُ بِـهِ نُقْطَـةٌ وَالخَـدُّ شَكْـلٌ مُثَلَّـثُ

/ ٧٧ب/ وقال: [من مجزوء الكامل]

نَفْسِـيْ الفِـدَاءُ لِبَـابِلِـيِّ اللَّحْـظِ فِضِّـيِّ الثَّنَـايَـا

سَاجِي الجُفُوْن عَلَى عَرَامَة لَحْظِه دَمِث السَّجَايَا
أَلْمَى كَأَنَّ المِسْكَ قَبَّلَه فَأَوْدَعَه بَقَايَا

وقوله: [من الكامل]

وَأَغَنَّ أَغْنَى وَجْهُهُ عَنْ رَوْضَةٍ غَنَّى وَإِنْ كَانَ القَضِيْبَ المَائِدَا
وَإِذَا رَأَيْتَ جَمَالَهُ وَسَمِعْتَهُ أَبْصَرْتَ بَدْراً وَاسْتَمَعْتَ عُطَارِدَا

عطارد: مغنٍ مشهور من القدماء.

وقال أيضًا: [من الرمل]

عَلِقَ القَلْبُ غَزَالاً أَحْوَرَا أَهْيَفاً أَسْمَرَ يَحْكِي الأَسْمَرَا
بَابِلِيَّ اللَّحْظِ شَهْدِيَّ اللَّمَى لُؤْلُؤِيَّ الثَّغْرِ بَدْرِيَّ السُّرَى
يُوسُفِيَّ الحُسْنِ إِلاَّ أَنَّهُ مَا لَهُ بِالثَّمَنِ البَخْسِ شِرَا
لَوْ رَأَى إِبْلِيْسُ فِي صُوْرَتِه آدَماً يَأْمُرُهُ مَا اسْتَكْبَرَا
أَرْسَلَ الطُّرَّةَ كَاللَّيْلِ عَلَى غُرَّةٍ كَالبَدْرِ لَمَّا بَدَرَا
وَأَرَانِي الوَرْدَ وَالنَّرْجِسَ مِنْ مُقْلَةٍ حَوْرَا وَخَدٍّ أَحْمَرَا
/١٧٨أ/ وَحَبَانِي أُقْحُوَاناً أَشْنَبَاً فَضَلَ الخَمْرَ وَفَاقَ العَنْبَرَا

وقوله أيضًا: [من الوافر]

وَأَخْضَرَ مِثْلِ غُصْنِ البَانِ لَدْنٍ وَأَحْسَنُ مَا يَكُوْنُ الغُصْنُ أَخْضَرْ
كَأَنَّ عَذَارَهُ وَافَاهُ عُذْراً لِيُظْهِرَ فِيْهِ حُسْناً كَانَ مُضْمَرْ
جَرَى مَاءُ الصِّبَا فِيْهِ فَأَزْهَى وَأَشْرَفَ نَوْرُهُ فِيْهِ وَأَزْهَرْ
وَأَثْمَرَ بِالدَّرَارِيْ وَالدَّيَاجِي وَهَلْ غُصْنٌ بِذَلِكَ قَطُّ أَثْمَرْ
وَقَالُوا: رِيْقُهُ خَمْرٌ وَمِسْكٌ وَقَدْ جَهِلُوا بِأَنَّ الطَّعْمَ سُكَّرْ
نَعِمْتُ بِوَصْلِه فِي جُنْحِ لَيْلٍ تَظَاهَرَ مِنْ ذَوَائِبِه بِمِغْفَرْ
إِلَى أَنْ جَرَّدَ الإِصْبَاحُ سَيْفاً مَضَارِبُ حَدِّهِ اللهُ أَكْبَرْ!

وقال أيضًا: [من الطويل]

وَأَهْيَفَ مِثْلِ الرُّمْحِ لِيْناً وَدِقَّةً وَكَالسَّيْفِ قَدّاً وَاهْتِزَازاً وَرَوْنَقَا
يُضِيءُ الصِّبَا فِي وَجْهِهِ فَجَمَالُهُ يُجَدَّدُ فِيْهِ كُلَّمَا قِيْلَ أَخْلَقَا

سَبَتْ مُهْجَتِي مِنْهُ جُفُونٌ كَحِيلَةٌ ... وَمَا كُحِلَتْ بِالسِّحْرِ إِلاَّ لِتُعْشَقَا

وقدم حلب أيام الملك الظاهر وامتدحه ومن شعره قوله: [من الكامل]

/٧٨ب/ هَلاَّ عَطَفْتَ عَلَى المُحِبِّ المُدْنَفِ ... فَشَفَيْتَ غُلَّةَ قَلْبِهِ المُتَلَهِّفِ

يَا مُحْرِقًا قَلْبِي بِنَارِ صُدُودِهِ ... لَوْ شِئْتَ كَانَ بِبَرْدِ رِيقِكَ يَنْطَفِي

أَتْلَفْتَنِي بِهَوَاكَ ثُمَّ تَرَكْتَنِي ... حَيْرَانَ أَسْكُبُ دَمْعَتِي يَا مُتْلِفِي

أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّنِي رَهْنُ الضَّنَى ... وَقْفُ الهَوَى لِعِذَارِكَ المُتَوَقِّفِ

لاَ شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ مُحِبٍّ مُغْرَمٍ ... وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى حَبِيبٍ مُنْصِفِ

مَنْ لِي وَقَدْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِخُلْسَةٍ ... لَوْلاَ تَذَكُّرُ طِيبِهَا لَمْ تُعْرَفِ

إِذْ بِتُّ مُعْتَنِقَ القَضِيبِ عَلَى النَّقَا ... وَنَعِمْتُ مُغْتَبِقَ السُّلاَفِ القَرْقَفِ

ومن شعره أيضًا: [من الكامل]

يَا مَنْ تُعَوِّذُهُ مَحَاسِنُهُ ... مِنْ عَيْنِ عَاشِقِهِ إِذَا شَكُّوا

فَبِوَجْهِهِ يَاسِينُ طُرَّتِهِ ... وَعَلَى لُمَاهُ خِتَامُهُ مِسْكُ

وله يرثي صديقًا[1]: [من البسيط]

يَا رَاحِلاً وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُهُ ... هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى لُقْيَاكَ تَتَّفِقُ

مَا أَنْصَفَتْكَ جُفُونِي وَهْيَ دَامِيَةٌ ... وَلاَ وَفَى لَكَ قَلْبِي وَهْوَ يَحْتَرِقُ

[٤٣]

أحمدُ بن أسعد بن أحمدَ /٧٩أ/ بن عبد الرزاق بن بكرانَ، أبو الفضل المزدقانيُّ الوزير[2].

استوزره عز الدين أبو سعيد فرخشاه بن شهنشاه بن أيوب بن شاذي ـ صاحب بعلبك ـ وكان متقنًا في كل نوع من العلوم؛ كعلم الفقه والحساب والكلام والنحو اللغة

---

(١) البيتان في الوفيات ١/ ١٦٥.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٢٤٥، وفيه لقبه: «المزدكاني».
ترجم المؤلف لولده (الفضل بن أحمد...) في الجزء الخامس برقم ٥٨٢.

والأدب والشعر، وقرضه ومعانيه. وتوفي يوم الجمعة ثامن المحرم سنة خمس عشرة وستمائة.

أنشدني أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الكافي الدمشقي الأنصاري المعروف بابن الحنبليّ، قال: أنشدني الوزير ابو الفضل المزدقاني لنفسه:

[من البسيط]

رُدُّوا زَمَانَ الصِّبَا وَاللَّهْوِ وَالكَاس ... وَعَلِّلُونِي بِنُدْمَانِي وَجُلاَّسِي
وَٱسْتَيْقِنُوا أَنْ أَقْصَى مَا أُؤَمِّلُهُ ... وَٱشْتَهِي شُرْبُهُ مِن مَاء بلناس
وَإِنْ تَحَقَّقْتُمُ أَنْ لَيْسَ يُمْكِنُكُمْ ... هَذَا فَحَسْبِي صَبَابَاتِي وَوَسْوَاسِي
مَنْ لَيْسَ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِي لِصَاحِبِهِ ... حَقّاً يُعَدُّ مِنَ الأَحْيَاءِ فِي النَّاسِ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو الفضل شعره: [من مجزوء الكامل]

وَاضَيْعَتَا إِنْ لَمْ تَجُدْ ... لِيْ خَالِقِي بِالعَفْوِ عَنِّي
/٧٩ب/ أَذْهَبْتُ عُمْرِي فِي الهُذَاء ... وَبِالتَّرَجِّي وَالتَّمَنِّي
وَأَتَيْتُ أَطْلُبُ عَفْوَهُ ... فَالذَّنْبُ وَالتَّقْصِيرُ مِنِّي

وأنشدني المفضل بن أحمد، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من السريع]

قَبِّلْ بِسَاطَ المَلِكِ الشَّاغِرِ ... عَنْ عَبْدِ قِنٍّ لِنَدَاهُ شَاكِرِ
المَلِكِ الأَمْجَدِ دَامَ مُلْكُهُ ... سَيْفِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ
ذِي المَآثُرَاتِ البَاهِرَاتِ فِي الوَرَىٰ ... رَبِّ النَّوَالِ الجَمِّ والمَآثِرِ
وَقِفْ أَمَامَ دَسْتِهِ إِذَا ٱحْتَبَىٰ ... لِوَفْدِهِ كَبَدْرِ تَمٍّ سَافِرِ
وَٱتْلُ لَدَيْهِ سُورَةَ الفَتْحِ تُقَلْ ... لَكَ الجَوَادَ السَّمْحَ لَفْظَ العَاثِرِ
وَقُلْ لَهُ: يَا مَلِكاً فَاقَ الوَرَىٰ ... مِنْ أَوَّلٍ فِي عَصْرِهِ وَآخِرِ
عَزَّ بِكَ الإِسْلاَمُ يَا نَاصِرَهُ ... وَذَلَّ مِنْ خَوْفِكَ كُلُّ كَافِرِ
وَفُتَّ أَرْبَابَ الفَخَارِ والعُلاَ ... بِمَا تَدَرَّعْتَ مِنَ المَفَاخِرِ
لَوْ كُنْتُ قُسَّ زَمَنِي فَصَاحَةً ... قَصَّرَ عَنْ وَصْفِ عُلاَكَ خَاطِرِيْ
لأَنَّ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ وَشَلٌ ... وَأَنْتَ كَالبَحْرِ الخِضَمِّ الزَّاخِرِ
حَجَّ إِلَيْكَ أَمَلِي مِنْ دُونِهِمْ ... فَعَادَ بِالأَجْرِ الكَثِيرِ الوَافِرِ

/ ٨٠أ/ فَكَيْفَ لاَ أَشْكُرُ مَولًى مُنْعِمًا مَلأْتُ مِنْ نَائِلهِ غَرَائِرِي
قَدْ كَمُلَتْ صِفَاتُهُ فِي ذَاتِهِ وَفَاقَ بِالأَصْلِ الشَّرِيْفِ الطَّاهِرِ
دُمْ مَلِكًا عَلَىٰ الزَّمَانِ حَاكِمًا بِقُدْرَةِ المَلْكِ القَدِيْمِ القَادِرِ
مَا لاَحَتِ النُّجُومُ فِي جُنْحِ الدُّجَىٰ وَمَا بَدَا الصُّبْحُ لِعَيْنِ النَّاظِرِ

[٤٤]

أحمدُ بن جعفر بن أحمدَ بن محمد بن الحجاج، أبو العباس بن أبي محمدٍ الواسطيُّ، المعروفُ بابن الدُّبيثيِّ[١].

وهو ابن عمِّ أبي عبد الله محمد بن سعيد الدُّبيثيِّ الواسطيِّ «صاحب المذيّل» الذي ذيّله علىٰ أبي سعد السمعانيِّ.

كانت ولادة أبي العباس سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. وتوفي مستهل جمادى الأولىٰ سنة إحدىٰ وعشرين وستمائة. وكان ضامن البيع بواسط، والناس يسيئون الثناء عليه؛ لأنه كان غير محمود السيرة في ولايته.

سمع الحديث من أبي طالب محمد بن علي الكتانيّ، وكتب عنه جماعة. وكان عارفًا بالأدب شاعراً فاضلاً / ٨٠ب/ حسن الشعر، وديوان شعره كبير يحتوي على أصناف المدح والهجاء والغزل والنسيب وشرح رسالة أبي العلاء المعري المعروفة بالأغرضية.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن سعيد الدّبيثي الواسطي، قال: أنشدني ابن عمي أحمد بن جعفر لنفسه ـ وهو مما عمله بدمشق[٢] ـ: [من البسيط]

يَا بَيْنُ رَوّعْتَ بِالبِعَادِ وَكَمْ قَدْ بَاتَ قَلْبِي وَالأَسَىٰ يُرَوِّعُهُ
يَا دَهْرُ كَمْ لَكَ مِنْ جَمْعٍ تُبَدِّدُهُ لِلْعَاشِقِيْنَ وَمِنْ شَعْبٍ تُصَدِّعُهُ

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٥. فوات الوفيات ١/ ٦٠ ـ ٦٢. مجمع الآداب ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.
(٢) انظر القصيدة في الوافي ٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥، قوامها ٣١ بيتًا. وفي فوات الوفيات ١/ ٦١ ـ ٦٢ قوامها ٢٧ بيتًا.

وَأَنْـتَ يَـا بَيْـنُ قَلْبِـي كَـمْ تُجَـرِّعُـهُ ... مُـرَّ الأَسَـى وَفُـؤَادِي لَـمْ تُقَطِّعُـهُ
يَـا خَـالِـيَ القَلْـبِ قَلْبِـي حَشْـوُهُ حُـرَقٌ ... وَهَـاجِـعَ اللَّيْـلِ لَيْلِـي لَسْـتُ أَهْجَعُـهُ
إِنْ خُنْـتَ عَهْـدِي فَـإِنِّـي لَـمْ أَخُنْـهُ وَإِنْ ... ضَيَّعْـتَ وُدِّي فَـإِنِّـي لَا أُضَيِّعُـهُ
هَـذَا مَقَـامُ ذَلِيـلٍ عَـزَّ نَـاصِـرُهُ ... يَشْكُـو إِلَيْـكَ فَهَـلْ شَكْـوَاهُ يَنْفَعُـهُ
يَلُـومُـهُ فِـي الهَـوَى قَـوْمٌ وَمَـا عَلِمُـوا ... أَنَّ المَـلَامَـةَ تُغْـرِيْـهِ وَتُـولِعُـهُ
مَـنْ لَا يُكَـابِـدُ فِيْـهِ مَـا أُكَـابِـدُهُ ... فِيْـهِ وَيُـوجِعُنِـي مَـا لَيْـسَ يُـوجِعُـهُ
مَـنْ لِـي بِمَـنْ قَلْبُـهُ قَلْبِـي فَـأُسْمِعَـهُ ... بَثِّـي فَيَبْسُـطَ مِـنْ عُـذْرِي وَيُـوسِعُـهُ
قَـلَّ الـوَفَـاءُ فَمَـا أَشْكُـو إِلَـى أَحَـدٍ ... إِلَّا أُكِـبُّ عَلَـى قَلْبِـي يُقَطِّعُـهُ
/ ٨١أ/ مَنْ مُنْقِذِي مِنْ يَدَيْ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي ... يَقْتَـادُنِـي لِلْهَـوَى المُـرْدِي فَـأَتْبَعُـهُ
آتِيْـهِ بِـالصِّـدْقِ مِـنْ حَـالِـي فَيَجْحَـدُهُ ... ظُلْمـاً وَيُكْـذِبُـهُ الـوَاشِـي فَيَسْمَعُـهُ
وَلَيْلَـةٍ زَارَنِـي فِيْهَـا عَلَـى عَجَـلٍ ... الشَّـوْقُ يُحْضِـرُهُ وَالـوَجْـدُ يُفْـزِعُـهُ
وَبَـاتَ مُسْتَنْطِقـاً أَوْتَـارَ مِـزْهَـرِهِ الفِصَـاحَ يَتْبَعُهَـا طَبْعـاً وَتَتْبَعُـهُ
إِذَا بَـدَتْ نَغْمَـةُ المَثْنَـى سَمِعْـتَ لَهَـا ... وَقْعـاً يَلَـذُّ عَلَـى الأَسْمَـاعِ مَـوْقِعُـهُ
فَبِـتُّ أَنْظُـرُهُ بَـدْراً وَأَرْشُفُـهُ ... خَمْـراً وَأَقْطِفُـهُ وَرْداً وَأَسْمَعُـهُ
وَقَـامَ وَالـوَجْـدُ يُبْطِيْـهِ وَيُعْجِلُـهُ ... ضَـوْءُ الصَّبَـاحِ وَأَنْفَـاسِـي تُشَيِّعُـهُ

وأنشدني الشريف أبو العباس أحمد بن الحسين ابن نقيب العباسيين الواسطي ببغداد، قال: أنشدني جدّي لأمي لنفسه يصف الشمعة: [من الكامل]

وَنَـدِيْمَـةٍ زَارَتْ لَهَـا بَعْـدَ الكَـرَى ... وَجْـهٌ إِذَا كَلَـحَ الظَّـلَامُ صَبِيْـحُ
يُقْضَـى البَقَـاءُ لَهَـا بِـلَا رُوحٍ كَمَـا ... يُقْضَـى الفَنَـاءُ لَهَـا وَفِيْهَـا الـرُّوحُ
مَمْشُـوقَـةٍ مِثْـلَ القَضِيْـبِ قَضِيْفَـةٍ ... لَـمْ يُضْـوِهَـا هَـمٌّ وَلَا تَبْـرِيْـحُ[1]
وَمِـنَ العَجَـائِـبِ أَنَّ مَـنْ جُلِيَـتْ لَـهُ ... ضَحِكَـتْ إِلَيْـهِ وَدَمْعُهَـا مَسْفُـوحُ

/ ٨١ب/ وقال أيضًا وقد حبس في ديوان واسط حبسًا طويلاً: [من الخفيف]

مَـنْ كُفِـي طَـارِقَ الخُطُـوبِ فَـأَكْفَا ... أَمْ عُفِـي مِـنْ صُـرُوفِهِـنَّ فَـأَعْفَا
أَلِـدَهْـرِي حِقْـدٌ عَلَـيَّ وَعَهْـدِي ... زَمَنِـي وَهْـوَ بِـي أَبَـرُّ وَأَحْفَـى

(١) القضيفة: المشوقة.

أَمْ لِهَـذَا الـزَّمَـانِ عِنْـدِيْ تِـرَاتٌ تَقْتَضِيْـهِ لِشِـدَّةِ البَطْـشِ عُنْفَـا
كُـلَّ يَـومٍ يَـرُوعُنِـي مِنْـهُ خَطْـبٌ وَالَّـذِي رَاعَ قَبْلَـهُ مَـا تَقَفَّـى
مُغْـرَمٌ بِـي إِمَّـا حَبِيْـبٌ أُوَارِيْـهِ ثَـرَى الأَرْضِ أَوْ أُفَـارِقُ إِلْفَـا
خَصَّنِـي مِنْـهُ بِالنَّـوَائِبِ حَتَّـى صِـرْتُ رَهْنًـا عَلَـى الحَـوَادِثِ وَقْفَـا
أَتَفَـدَّى الـرَّدَى وَأَحْتَمِـلُ الخَطْـبَ جَسِيمًـا وَأَشْـرَبُ الهَـمَّ صِـرْفَـا
وَفُـؤَادِيْ عَلَيْـهِ وَقْـدَةُ جَمْـرٍ يَشْفَـعُ القَلْـبَ جَمْـرُهَـا لَيْـسَ يُطْفَـا
قَـدْ طَعِمْـتُ الـزَّمَـانَ حُلْـواً وَمُـرّاً وَحَمَلْـتُ الأَنَـامَ ثِقْـلا وَخِفَّـا
وَتَبَـدَّلْـتُ بَعْـدَ أَهْلِـي عُتَـاةً يَتَمَشَّـوْنَ فِـي الأَسَـاوِدِ عَسْفَـا
كُـلَّ عَـانٍ يَئِـنُّ فِـيْ ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ إِذَا اعْتَـنَّ بَـأْسُـهُ قَـالَ: لَهْفَـا
بِـوُجُـوهٍ أَرَقَّ مِـنْ نُطَـفِ المُـزْنِ وَأَنْـدَى مِـنَ السَّحَـائِـبِ كَفَّـا
نَفْـسُ صَبْـراً عَلَـى المُلِمَّـاتِ صَبْـراً وَتَـرَجَّـى لَهَـا مِـنَ اللهِ لُطْفَـا
/ ١٨٢أ/ كَـمْ رَأَيْنَـا مَـنْ كَـانَ أَشْفَـى عَلَـى المَـوْتِ فَتُقْضَـى لَـهُ الحَيَـاةُ فَيُشْفَـى

فأجابه شخص من الواسطيين ينقض عليه: [من الخفيف]

قُـلْ لِمَـنْ ظَـلَّ يُعْتِـبُ الـدَّهْـرَ عُنْفَـا لَـوْ كَفَيْـتَ الـوَرَى لَقَـدْ كُنْـتَ تُكْفَـى
أَيَّ خَيْـرٍ عَمِلْـتَ بَـلْ أَيَّ يَـوْمٍ لا تَـرَى أَرْضُ وَاسِـطٍ مِنْـكَ خَسْفَـا
أَتَظُـنُّ الـرَّقِيْـبَ يَخْفَـى عَلَيْـهِ مِنْـكَ حَـالٌ عَلَـى الـوَرَى لَيْـسَ يَخْفَـى
أَتَـذُمُّ الـزَّمَـانَ مِـنْ أَجْـلِ مَـا أَوْلاكَ صَـرْفًـا وَكَـمْ لَقِـيْ مِنْـكَ صَـرْفَـا
طَـالَمَـا قَـدْ شَـرِبْـتَ نُعْمَـاهُ صِـرْفًـا وَشَـرِبْنَـا فِـيْ وَقْتِـكَ البُـؤْسَ صِـرْفَـا
أَتُـرَى قَـدْ نَسِيْـتَ أَخْـذَكَ لِلْكُتْـبِ وَتَقْـرَأُ السُّطُـوْرَ حَـرْفًـا فَحَـرْفَـا
وَضَجِيْـجَ النِّسَـاءِ إِذْ هُـنَّ يَبْكِيْـنَ لِضَـرْبِ الـرِّجَـالِ حُـزْنًـا وَلَهْفَـا
كَـمْ أُلُـوفٍ قَـدِ اقْتَـرَضْـتَ مِـنَ النَّـاسِ وَلَـمْ تَقْضِهَـا وَفَـرَّقْـتَ إِلْفَـا
وَأُنَـاسٍ مِـنْ خَـوْفِ ظُلْمِـكَ ضَلُّـوا فِـي الفَيَـافِـي وَرَسْمُـهُ قَـدْ تَعَفَّـى
إِنْ أَسَـرَّ المَتَـاعَ مِنْـكَ أَخَـذْتَ الضِّعْـفَ عَمَّـا تُـرِيْـدُهُ مِنْـهُ ضِعْفَـا
أَوْ أَذَاعُـوا لَـدَيْـكَ مَـا كَتَمُـوهُ حُـزْتَ مَـا تَشْتَهِيْـهِ مِنْـهُ مُكَفَّـا
ثُـمَّ لَمَّـا عُـوقِبْـتَ تُنْشِـدُ جَهْـلاً: مَـنْ كَفَـى طَـارِقَ الخُطُـوبِ فَـأَكْفَـا

[٤٥]

/ ٨٢ب/ **أحمدُ بن عبد الله بن أحمدَ بن محمد بن عبد القاهر بن هشام بن أحمدَ بن محمد ابن المظفر، أبو طاهر بن أبي الفضل الخطيبُ الطوسيُّ، الموصليُّ المولد والمنشأ[(١)].**

من بيت الخطابة والعلم الغزير، والرواية والنسك والتصاون. له رواية بالحديث أخذه عن والده وجدّه وعمه أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد، وأبي البركات محمد بن محمد بن خميس [الموصلي، وسمع ببغداد في سنة أربع وخمسمائة من أبي الفرج عبد الخالق أحمد بن يوسف][(٢)] وغيرهم من المشايخ.

خطب علىٰ منبر الجامع العتيق بعد والده بالموصل ـ وكان ربما يرتجل الخطبة من وقته. وكان قارئًا للقرآن، محدّثًا شاعراً متأدّبًا جميل الأخلاق حسن الدعابة.

سمع عليه الحديث شيخنا أبو الخير التبريزي، والصاحب أبو البركات المبارك بن أحمد المستوفي وغيرهما.

وكان مقعداً من فالج عرض له في آخر عمره لا يقدر علىٰ النهوض، ولم يزل يقرأ عليه الحديث، إلىٰ أن توفي يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة سنة إحدىٰ وستمائة. / ٨٣أ/ بالموصل. وكانت ولادته سادس رجب من سنة سبع عشرة وخمسمائة.

أنشدني أبو الثناء محمود بن أحمد بن الأنجب الإربلي، قال: أنشدني الخطيب أبو طاهر لنفسه: [من الوافر]

بـدَمْـعٍ فِـيْ المَـلاَحَـةِ مَـا يُمَـارَىٰ ... إذَا مَـا العَقْـلُ فَكَّـرَ فِيْـهِ حَـارَا

لَنَـا مِـنْ وَجْهِـهِ قَمَـرٌ مُنِيْـرٌ ... وَمِـنْ خَـدَّيْـهِ نَجْنِـيْ الجُلَّنَـارَا

وَمِـنْ أَلْحَـاظِـهِ نَفَحَـاتُ سِحْـرٍ ... يُثِيْـرُ شُـوَاظُهَـا فِـيْ القَلْـبِ نَـارَا

---

(١) ترجم المؤلف لأخيه (عبد المحسن بن عبد الله) في الجزء الرابع برقم ٣٥٥.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وأنشدني، قال: أنشدني الخطيب قوله وقد سئل ذلك: [من الطويل]

خَلِيْلَيَّ مُرَّا بِيْ عَلَى أجرعِ الحِمَى ... وَعُوجَا عَلَى أثْلاتِ يَبْرِيْنَ وَالهُضْبِ

. . . . بَيْنَ سَلْعٍ وَحَاجِرٍ ... وَقُوْلا لَهُمْ مَا بَالُ قَلْبِيْ مِنَ الحُبِّ

عَسَاهُمْ يَرِقُّوا لِلَّذِيْ مَلَّكَ الهَوَى ... لَهُمْ رِقَّهُ حَتَّى غَدَا مُوْثَقَ القَلْبِ

أجِيْرُوْهُ مِنْ نَارِ الصُّدُوْدِ فَإنَّهُ ... لَهُ أضْلُعٌ فِيْ الحُبِّ مُوْصَدَةُ اللَّهْبِ

إذَا قِيْلَ هَذِيْ دَارُ مَيٍّ بِرَامَةٍ ... تَزَايَدَ شَوْقِيْ وَاسْتَطَارَ بِهِ لُبِّي

يَقُوْلُوْنَ لِيْ عَنْهَا تَسَلَّ بِغَيْرِهَا ... فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا فَمَا بِيَدِيْ قَلْبِيْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

إنْ تَنَاسَيْتُمُ الوُدَادَ وَحُلْتُمْ ... لِيَ قَلْبٌ إلَى التَّوَاصُلِ صَابِيْ

/٨٣ب/ لَسْتُ أبغِيْ عَنِ الحَبِيْبِ سُلُوّاً ... فَأطِيْلُوا وَأقْصِرُوا فِيْ عِتَابِيْ

لَيْسَ أُذْنِيْ تُصْغِيْ لِلَوْمٍ وَقَلْبِيْ ... لَيْسَ مِمَّنْ يَسْلُو عَنِ الأحْبَابِ

إنَّ لَوْمَ العُشَّاقِ لَوْمٌ وَعَذْلُ الصَّبِّ مَا فِيْهِ مَنْهَجٌ لِلْصَوَابِ

وقال أيضًا، رواها عنه محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي:

[من الطويل]

دَعِيْهِ فَفِيْ تَذْكَارِهِ مَا يَشِيْبُهُ ... وَلاَ تَعْذُلِيْهِ فَالغَرَامُ حَسِيْبُهُ

وَرِقِّيْ لَهُ مِمَّا يُلاقِيْ مِنَ الأسَى ... لَقَدْ ذَلَّ مَنْ قَسْمُ الصُّدُوْدِ نَصِيْبُهُ

فَكَمْ بَيْنَ أكْنَافِ العَقِيْقِ وَحَاجِرٍ ... مَحَاجِرَ يُصْمِيْ نَبْلُهَا مَنْ يُصِيْبُهُ

وَكَمْ بِرُبَى تِلْكَ الرُّسُوْمِ مُدَلَّهٌ ... قَتِيْلُ بِدَاءِ الحُبِّ بَادٍ شُحُوْبُهُ

إذَا مَرَّ بِالأعْلامِ هَيَّجْنَ . . . . وَأغْرَاهُ مِنْ ذَاكَ النَّسِيْمُ دَبِيْبُهُ

وَفِيْ عَذَبَاتِ الرَّمْلِ مِنْ جَانِبِ الحِمَى ... مَوَاقِفُ لِلْمُشْتَاقِ فِيْهَا يُجِيْبُهُ

بِهَا كُلُّ نِضْوِ الهَمِّ طَاوٍ عَلَى الحَشَا ... مُرَوَّعُ مَفْقُوْدُ الفُؤَادِ سَلِيْبُهُ

خَلِيْلَيَّ بِالزَّوْرَاءِ عُوْجَا فَإنَّ لِيْ ... بِهَا قَمَراً فِيْ أُفْقِ قَلْبِيْ غُرُوْبُهُ

وَفِيْ نَهْرِ عِيْسَى وَالصَّرَاةِ مَرَابِعٌ ... وَنَهْرُ مُعَلَّى دُوْرُهُ وَدُرُوْبُهُ

/١٨٤أ/ وله: [من السريع]

قَدْ أبْدَتِ الأرْضُ كُلَّمَا خَزَنَتْ ... مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مُدَبَّجٍ بَهِجِ

تَـرْفُـلُ فِـيْ بُـرْدِهَـا القَشِيْـبِ وَقَـدْ ضُمِّـخَ طِيْبًـا مِـنْ عَـرْفِهَـا الأَرِجِ
تَبْسِـمُ بِـالبِشْـرِ كُلَّمـا سَفَـرَتْ سَمَـاؤُهَـا عَـنْ أَدِيْمِهَـا السَّمِـجِ
أَلْقَـتْ قِنَـاعَ الحَيَـاءِ مُـذْ رَشَفَـتْ كَـأْسَ حُمَيَّـا الحَيَـا بِـلا حَـرَجِ
أَنْهَـارُهَـا بِـالغِنَـاءِ مُفْصِحَـةٌ غَـرَائِـبَ اللَّحْـنِ مِـنْ يَـدِ الـدُّعُـجِ
خَـرِيْـرُهَـا زِيْـرُهَـا وَيَتْبَعُـهُ مِـنْ مَـوْجِهَـا البَـمُّ وَهْـيَ فِـيْ هَـزَجِ[1]
فَـانْظُـرْ إِلَـى مَجْلِـسٍ قَـدِ ٱجْتَمَعَـتْ فِيـهِ تَحَـايَـا العُقُـوْلِ وَالمُهَـجِ
عَجَـائِبًـا لِلْـرَبِيْـعِ أَبْـدَعَهَـا بَـوَاعِثًـا لِلنُّفُـوْسِ فِـيْ الفَـرَجِ

[٤٦]

أحمدُ بن عليِّ بن الحسن بن أبي زُنبور، أبو الرِّضا النِّيليُّ[2].

الساكنُ بالموصل.

قرأ بها النحو والأدب علىٰ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي، وقرأ القرآن العظيم علىٰ أبي بكر يحيىٰ بن سعدون بن تمام القرطبي المقرىء الأزدي.

/ ٨٤ب/ وكان عارفًا باللغة العربية والقراءات السبع والعشر وغير ذلك من الشواذ. وكان يختلف إليه جماعة يقرؤون عليه، وبلغ سنًا عالية، ونظم أرجوزة مزدوجة سمّاها «وسيلة الإنسان» تتضمن مدح الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب صاحب بلاد الشام ـ رضي الله عنه ـ وشرحها في نحو أربع مجلدات فأحسن صلته.

وكان أعلم الناس في زمانه بنعوت الخيل وأوصافها ـ وكان يتدين بمذهب

(١) الزير والبم: من أوتار العود.
(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٢٠٠ وفيه أنه: «توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة». مجمع الآداب ٢/ ٢٣ ـ ٢٤. بغية الوعاة ١/ ٣٤١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠).
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية / السنة١/ ع٨/ ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص٧ ـ ٨.

الشيعة الإمامية، ويقول الأشعار ويمدح بها، وتوفي بالموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة.

أنشدني العباس بن بزوان الموصلي، قال: أنبأني أبو الرضا لنفسه يمدح بني أيوب سلاطين الشام: [من الرمل]

وَصْلُكُمْ يَسْتَنْجِحُ الفِكْرَ العَقِيْمْ ... وَهَوَاكُمْ كَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمْ

فَإِذَا مَا هُدِيَ العَبْدُ لَهُ ... كَانَ عَيْنَ العَالِمِ الحُرِّ الحَكِيْمْ

أَصْلُ مَنْ وَالَى أَصِيْلٌ نَاصِعٌ ... وَالمُعَادِيْ نَاصِلُ الأَصْلِ زَنِيْمْ

يَا بَنِي أَيُّوبَ مَا أَشْرَفَكُمْ ... مِنْ صَنَادِيْدَ كِرَامٍ لِكَرِيْمْ

عَرَّفَتْ أَخْلاقُكُمْ أَعْرَاقَكُمْ ... إِنَّكُمْ إِرْثُ صَمِيْمٍ عَنْ صَمِيْمْ

/ ٨٥أ/ جَمَعَ اللهُ بِكُمْ شَمْلَ العُلا ... فِيْ ذُرَى مُلْكِ أَخِيْ فَضْلٍ عَظِيْمْ

مَاجِدٍ قَرْمٍ جَوَادٍ بَاسِلٍ ... عَارِفٍ عَافٍ عَنِ الجُرْمِ حَلِيْمْ

كُلُّكُمْ مُتَّبِعٌ سِيْرَتَهُ ... يَسْتَفِيْدُ العِلْمَ مِنْ طَبٍّ عَلِيْمْ

رَحِمَ اللهُ امْرَءاً خَلَّفَكُمْ ... ورَعَاكُمْ فَهْوَ رَحْمَانٌ رَحِيْمْ

هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ عَبْداً هَكَذَا ... إِثْرَ فَتْحٍ فِيْ جِهَادٍ وَنَعِيْمْ

يَحْمِلُ المَجْرُوْحَ مِنَّا رَبُّهُ ... وَهْوَ ذُوْ جَهْدٍ مِنَ الجُرْحِ أَلِيْمْ

وَتَرَى الأَبطَالَ كُلٌّ مِنْهُمُ ... يَغْبِطُ المُسْتَلَبَ النَّفْسَ السَّلِيْمْ

مَنْ يَمُتْ مِنَّا يَبِتْ فِيْ جَنَّةٍ ... وَمُلاقُوْنَا يَقِيْلُوْنَ الجَحِيْمْ

فَأَهْنَأُوا طُرّاً بِهِ وَلْيَهْنِهِ ... أَنَّكُمْ فِيْهِ ذَوُو عُرْفٍ عَمِيْمْ

وَاكْبِتُوا أَعْدَاءَكُمْ مَا عِشْتُمُ ... بِمُرَاعَاةِ وَلِيٍّ وَحَمِيْمْ

يَا بُنَاةَ المَجْدِ قَدْ عَامَلْتُكُمْ ... بِالَّذِيْ نُغْضِي بِإِكْرَامِ الغَرِيْمْ

بِمَدِيْحٍ وَوَلاءٍ مُخْلِصٍ ... مَنْ يَلُمْنِيْ فِيْهِمَا فَهْوَ المَلِيْمْ

وَأَرَى الحَالَ اقْتَضَتْنِيْ رِحْلَةً ... نَحْوَ قَوْمٍ شَوْقُهُمْ عِنْدِيْ مُقِيْمْ

كُلُّهُمْ يَرْجُو إِيَابِيْ سَالِماً ... غَانِماً مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ ذَمِيْمْ

مِنْ مَلِيْكٍ كَادَ يَحْيَا فِيْ الثَّرَى ... مِنْ نَدَى رَاحَتِهِ العَظْمُ الرَّمِيْمْ

/ ٨٥ب/ جُوْدُهُ لِلْمُرتَجِي إِنْعَامَهُ ... بِالغِنَى عَنْ كُلِّ مَرْجُوٍّ زَعِيْمْ

ضَاعَفَ اللهُ عَلَيْهِ فَضْلَهُ ... وَتَوَلاَّهُ بِنَصْرٍ لا يَرِيْمْ

وَأَسْلَمُوا فِي دَوْلَةٍ مَحْرُوسَةٍ ... بِمَوَاضِيكُمْ وَجَبَّارٍ قَدِيمْ
وَلأَنْتُمْ . . . . . الدَّهْرِ لَنَا ... وَغِيَاثٌ لِلْهَيْفِ وَعَدِيمْ
مَا سَرَى رَكْبٌ وَغَنَّى رَاكِبٌ ... وَبَدَا نَجْمٌ . . . . . لئيم

وأنشدني أبو حامد بن أحمد بن علي، قال: أنشدني أبو الرضا لنفسه:

[من السريع]

الحَمْدُ لله عَلَى أنَّنِي ... قَضَيْتُ خَمْسًا وَثَمانِينَا
بَلَّغَنِيهَا مُجْزِلٌ مُفْضِلٌ ... فَازْدَدْتُ فِيهَا العِلْمَ وَالدِّينَا

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أحمد بن علي لنفسه:

[من السريع]

مَا لِيْ أَرَى الرَّغْبَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ ... تُطْلَبُ مِنِّي عِوَضَ الظَّرْفِ
قَدْ ذُدْتُهَا عَنِّي بِسَوْطِ المُنَى ... وَكُفَّ عَنْهَا اليَأسِ عَنْ كَفِّي

[٤٧]

أحمد بن محمد، أبو نصر الآمدي[(١)].

فقيه عالم شافعي المذهب؛ وهو يتولى بماردين[(٢)] إعادة الفقه /١٨٦أ/ بالمدرسة العزيزية. وله اشعار في المقطعات.

أنشدني الأمير شرف الدين أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار الموصلي، قال: أنشدني أحمد بن محمد الموصلي الآمدي لنفسه: [من الوافر]

يَنُمُّ بِهَا وَجُنْحُ اللَّيْلِ دَاجٍ ... ثَلاثٌ عَنْ زِيَارَتِهَا تَعُوقُ
وَسَاوِسُ حَلْيِهَا عِنْدَ التَّثَنِّي ... وَمَبْسِمُهَا وَرَيَّاهَا الفَتِيقُ
وَلَوْ خَلَعَتْ حُلاهَا وَاسْتَكَنَّتْ ... بِفَاضِلِهِ لَمَا تَمَّ العَبِيْقُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إلى صديق له مسافر: [من الطويل]

---

(١) نسبة إلى آمدْ. انظر: معجم البلدان ١/ ٥٦.
(٢) مارِدين: قَلعة مشهورة على قُنّة جبل الجزيرة، مشرفة على دُنَيْسر ودارا ونصيبين. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٩.

رَحَلْتُمْ وَلاَ وَاللهِ مَا قَرَّ فِي الحَشَا فُؤَادِيْ وَلاَ وَاللهِ مَا قَرَّ لِيْ جَنْبُ
وَجَفْنِيْ عَلَىٰ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ دَائِمُ الدُّمُوْعِ وَقَلْبِيْ فِيْ الهَوَىٰ ذَلِكَ القَلْبُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه وكتب ذلك إلىٰ ضياء الدين بن شيخ السلامية:

[من الطويل]

وَمَا كُنْتُ إِلاَّ فِيْ المَحَافِلِ نَاشِراً عُلاَكَ بِأَفْوَاهِ الثَّنَا بَاذِلاً جُهْدِيْ
مُحِبٌّ عَلَىٰ بُعْدِ الدِّيَارِ وَقَلَّمَا أَقَامَ الهَوَىٰ فِيْ قَلْبِ صَبٍّ عَلَىٰ البُعْدِ
/ ٨٦ب/ فَمَا عِنْدَ لَيْلَىٰ لِيْ سَقَىٰ اللهُ دَارَهَا وَحَيَّا مَغَانِيْهَا فَهَذَا لَهَا عِنْدِيْ

[٤٨]

أحمدُ بن سليمانَ بن حُميد بن إبراهيمَ بن أحمدَ بن عليٍّ بن إبراهيمَ المخزوميُّ الكسائيُّ، أبو العباسِ البُلْبيسيُّ المعروفُ بابن كَساء.

من شعراء ديار مصر ـ وبُلبيسُ[١] إحدىٰ قرىٰ مصر ـ.

شاعر يرحل إلىٰ الملوك وسلاطين الأنام فيسترفدهم بأشعاره واشتهر أمره بالشعر.

أدركت زمانه وكان رجلاً شديد سمرة اللون، يرد كل عام الموصل مادحًا مالكها الملك الرحيم بدر الدين أبا الفضائل ـ أدام الله اقتداره ـ وكان متجملاً ذا هيأة وثروة وحال حسنة وغلمان ظراف، ومات بالقاهرة في صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة[٢]؛ بعد أن دوّخ قطعة من البلاد، وامتدح أكابرها.

وكان قبل ذلك قد تفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وفهم طرفًا صالحًا منه، وتأدّب وقال الشعر ومدح الملوك / ٨٧أ/ والوزراء، واشتهر بقول الشعر،

---

(١) هكذا ضُبطت في الأصل، وبلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان ١/ ٤٧٩.

(٢) في هامش الأصل: «ذكر الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي أن وفاته كانت في شهر ربيع الآخر في سنة خمس وثلاثين وستمائة».

وسافر إلىٰ بلاد الجزيرة وغيرها، وكتب الناس شيئًا من أشعاره.

وجدت له قصيدة مدح بها الملك الرحيم بدر الدين ـ ضاعف الله معاليه ـ:

[من الكامل]

وَرَكِبْتُ ظَهْرَ تَوَصُّلِي فِي أَوْبَتِي ... وَحَلَفْتُ أَنِّي لاَ أَنَامُ عَنِ السُّرَىٰ
حَتَّىٰ رَأَيْتُ الأُفْقَ أَنَّ بُدُوْرَهُ ... تَخْفَىٰ وَبَدْرُ الدِّيْنِ مُتَّقِداً يُرَىٰ
لَيْثٌ إذَا مَا الحَرْبُ شَبَّتْ نَارُهَا ... عَايَنْتَ تَحْتَ النَّقْعِ مِنْهَا قَسْوَرَا
وَإذَا انْتَضَىٰ البِيْضَ الصِّفَاحَ أَعَادَهَا ... يَوْماً وَقَدْ خُضِبَتْ نَجِيْعاً أَحْمَرَا
وَمَتَىٰ يَصُولُ عَلَىٰ الفَوَارِسِ تَلْقَهُمْ ... صَرْعَىٰ كَأَنْ شَرِبُوا شَرَاباً مُسْكِرَا
أَلْقَتْ لَهُ الحَدْبَاءُ فَضْلَ زِمَامِهَا ... إذْ عَايَنَتْهُ لِلْغَوَامِضِ مُبْصِرَا
وَإِلَيْهِ أَلْقَىٰ القَاهِرُ المَلِكُ الَّذِيْ ... قَدْ جَلَّ لَمَّا أَنْ رَآهُ مُدَبِّرَا
فَأَنَارَ مِنْهَاجَ المَكَارِمِ وَارْتَدَىٰ ... بُرْدَ الفَخَارِ وَحَلَّ فِيْ أَسْنَىٰ الذُّرَىٰ
وَاسْتَعْبَدَ الأَحْرَارَ مِنْهُ بِأَنْعُمٍ ... سَبَقَتْ سَوَابِقُهَا السَّحَابَ المُمْطِرَا
وَغَدَا يُنَادِيْ جُوْدُهُ يَا لَلْنَّدَىٰ ... كَرَماً وَتَدْعُو نَارُهُ يَا لَلْقِرَىٰ!
شَهِدَتْ لَهُ شُمُّ المُلُوْكِ بِأَنَّهُ ... قَدْ طَابَ خُبْراً فِيْ العَلاَءِ وَمَخْبَرا

أنشدني الصاحب شرف الدين أبو البركات /٨٧ب/ المستوفي بإربل ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن سليمان بن كساء الشاعر لنفسه: [من الرجز]

سَلْ عَنْ دمِيْ غَيْرَ السُّيُوْفِ وَالأَسَلْ ... وَلاَ تَحِدْ عَنِ الخُدُوْدِ وَالمُقَلْ
وَيْلاَهُ مَا أَضْيَعَ مَطْلُوْلَ دَمٍ ... لَمْ تَحْتَكِمْ فِيْهِ دُمًى وَلاَ طَلَلْ
وَبِيْ غَزَالٌ كُلَّمَا غَازَلَنِيْ ... طَابَ نَسِيْبِيْ فِيْ هَوَاهُ وَالغَزَلْ

ومنها:

أَغَنُّ أَغْنَىٰ طَرْفُهُ عَمَّا ارْتَدَىٰ ... لِقَتْلَتِيْ وَعِطْفُهُ عَمَّا اعْتَقَلْ
أَعْرَبَ عَنْ حَالِيْ وَوَاوُ صُدْغِهِ ... لاَ تَعْرِفُ العَطْفَ وَلاَ عَنْهُ بَدَلْ
ذُوْ حَاجِبٍ يُنْسِيْكَ قَوْسَ حَاجِبٍ ... بِحَيْثُ يَرْمِيْ مِنْهُ طَرْفٌ مِنْ ثُعَلْ
قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَىٰ تَفْضِيْلِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا أَفْنَوا زَمَاناً فِيْ الجَدَلْ
دَعْنِيَ قَدْ أَذْنَبْتُ فِيْ حُبِّيْ لَهُ ... مُهَاجِراً حَيَّ عَلَىٰ خَيْرِ العَمَلْ

ومنها:

مَـــذَاهِـــبٌ تَجْمَـــعُ أشْتَـــاتَ المُنَـــىٰ وَأنْعُـــمٌ تَضْحَـــكُ فِـــي وَجْـــهِ الأمَـــلْ

[٤٩]

أحمدُ بن عبد السيِّد بن شعبان /٨٨أ/ بن محمد بن بزوان بن جابر بن قحطان، أبو العباس الإربليُّ(١).

خدم جنديًا للملك المعظم أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين بإربل - رضي الله عنه - وحَاجبًا بين يديه.

ثم أبعده مخدومه وصار إلىٰ الأمير شهاب الدين أبي الوفاء قراطايا، ورحل في صحبته عن إربل إلى الديار الشامية سنة أربع وستمائة واتصل بملوكها بني أيوب، وانحاز في جملة الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب، فأقام عنده وأنعم عليه إنعامًا سنيًا، ورزق ثروة من خدمته، وصار أحد ندمائه والمقربين إليه.

وكان شاعراً متأدبًا مغنيًا، اجتمعت فيه أسباب المنادمة. بلغني أنه توفي بالرها أواخر ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

أنشدني الصاحب شرف الدين أبو البركات - رحمه الله - قال: أنشدني أحمد بن عبد السيد لنفسه، وأوائل هذه الأبيات إذا اجتمعت كانت بيت شعر، وهو:

قَـــاضٍ بِـــهِ صَـــحَّ يُسْـــرِيْ وَمَـــاتَ ضُـــرِّيْ وَعُسْـــرِيْ

/٨٨ب/ كتبها إلىٰ القاضي أبي محمد جعفر بن محمد الكفرعزّيّ الحاكم بإربل:

[من المجتث]

قُـــلْ للَّـــذِيْ لامَ تَـــدْرِيْ بِـــأنَّ لَـــوْمَـــكَ يُغْـــرِيْ

الله يُنْصِفُنِـــيْ مِنْـــكَ إذْ وَلَعْـــتَ بهَجْـــرِيْ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٦٢ - ٦٤. وفيات الأعيان ١/ ١٨٤ - ١٨٧ وفيه: «مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل». مرآة الزمان ٦٩٢. شذرات الذهب ٥/ ١٤٣. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٧.

ضُرِّيْ قَصَدْتَ فَهَلاَّ قَصَدْتَ إِصْلاَحَ أَمْرِيْ
يَا مُنْيَتِيْ فِيْ حَيَاتِيْ وَبُغْيَتِيْ يَوْمَ حَشْرِيْ
بِمَنْ أَبَاحَكَ قَتْلِيْ صِلْنِيْ فَقَدْ عِيْلَ صَبْرِيْ
هَا قَدْ أَتَيْتُكَ أَشْكُو حَالِيْ لِتَكْشِفَ ضُرِّيْ
صِلْ مُدْنَفًا صَارَ نِضْواً مَا بَيْنَ نَهْيٍ وَأَمْرِ
حَرَّمْتَ فِيْ العِشْقِ وَصْلِيْ هَتَكْتَ بِالصَّدِّ سِرِّيْ
يَا قَاتِلَ الصَّبِّ مَهْلاً عَرَّفْتَنِيْ فِيْكَ قَدْرِيْ
سَلْنِيْ عَنِ العِشْقِ يَوْمًا فَمِنْهُ تَعْرِفُ عُذْرِيْ
رَمَيْتَ قَلْبِيْ بِسَهْمٍ أَمْسَى يُرَاشُ بِسِحْرِ
يَا مَنْ بِمَنْ نَالَنِيْ مِنْهُ قَدْ تَقَسَّمَ فِكْرِيْ
وَاللهِ مَا زِلْتُ شَوْقًا أُعِدُّ يَوْمِيْ بِشَهْرِ
مَنْ لِيْ سِوَاكَ حَبِيْبٌ أُفْضِيْ إِلَيْهِ بِسِرِّيْ
/١٨٩أ/ إِحْتَجْتُ فِيْ العِشْقِ لَمَّا أَنْفَقْتُ بِيْضِيْ وَصُفْرِيْ
تَرْجُو سَلاَمَةَ رُوْحِيْ وَخَدُّ هَجْرِكَ يُغْرِيْ
ضَاقَتْ عَلَيَّ حَيَاتِيْ إِذْ وَسَّعَ الشَّوْقُ سُكْرِيْ
رُوْحِيْ سَلَبْتَ وَبَدَّلْتَ اسْمَ خَيْرِيْ بِشَرِّيْ
يَحِلُّ قَتْلِيْ إِذَا قُلْتُ أَنْتَ فِيْ النَّاسِ بَدْرِيْ
وَامْحِنَتِيْ كَمْ أُقَاسِيْ مَلاَمَ زَيْدٍ وَعَمْرِو
عِدْنِيْ فَبِالوَعْدِ أَحْيَا وَفِيْهِ طَيِّيْ وَنَشْرِيْ
سَأَلْتَ عَنْ وَصْفِ حَالِيْ وَمَا بِهِ جَاشَ صَدْرِيْ
رَتِّبْ حُرُوْفَ المَعَانِيْ أَوَائِلَ الشِّعْرِ تَدْرِيْ
يَا تَاجَ دِيْنِ المَعَالِيْ أَصْبَحْتَ فَخْرِيْ وَذُخْرِيْ

وقال أيضًا في الساعات التي عملت بقلعة القاهرة المعزِّية: [من الخفيف]

قُلْ لِيْ أَيُّ حِكْمَةٍ فِيْ سَمَاعِ الطَّبْلِ ظُهْراً وَعِنْدَ وَقْتِ الأَصِيْلِ
قُلْتُ سَاعَاتُنَا تُخَبِّرُ أَنَّا نَحْنُ سَفْرٌ وَالطَّبْلُ طَبْلُ الرَّحِيْلِ

وأنشدني أبو الثناء محمد بن محمد الإربليّ، قال: أنشدني /٨٩ب/ أبو العباس

أحمد بن عبد السيد لنفسه جواب أبيات كتبها إليه جلال الدين أبو الحسن علي بن شماس الوزير بإربل : [من الطويل]

أُلَبِّي جَلاَلَ الدِّيْنِ عِنْدَ دُعَائِهِ بِتَلْبِيَةِ شُكْرِيْ بِهَا يَتَسَلْسَلُ
وَأَحْمَدُ دَهْراً خَصَّنِيْ مِنْهُ بِالرِّضَا وَلَسْتُ بِمَا قَدْ قُلْتُهُ أَتَقَوَّلُ
وَلِيْ شَاهِدٌ مِنْ قَلْبِهِ غَيْرَ أَنَّنِيْ مُجَدِّدُ ذِكْرٍ لَيْسَ فِيْهِ تَأَوُّلُ
وَأَحْمِلُ عَنْهُ النَّائِبَاتِ إِذَا عَرَتْ وَجُمْلَةُ سَعْدِيْ أَنَّنِيْ عَنْهُ أَحْمِلُ
شَكَا رَجُلاً لاَ خَيْرَ فِيْهِ وَإِنَّهُ بِحِنْكَتِهِ كُلُّ امْرِىءٍ يَتَمَثَّلُ
وَسَمَّاهُ مِقْدَاراً وَمِقْدَارُهُ الَّذِيْ عَلَيْهِ مِنَ القَدْرِ الحَقِيْرِ وَأَرْذَلُ

[٥٠]

أحمدُ بن عبد الرحيم بن عليٍّ بن الحسن بن الحسن بن أحمدَ، القاضي الأشرفُ، أبو العباس ابن القاضي الفاضل أبي عليٍّ اللخميّ البَيْسَانيّ(١).

كان والده ممن يضرب به المثل في البلاغة والإنشاء وحسن العبارة؛ وابنه هذا من أماثل أهل زمانه، وأوفاهم قدراً، كثير الاعتناء بالحديث وسماعه.

قدم بغداد رسولاً /٩٠أ/ وسمع من أصحاب أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، وأبي بكر بن الزاغوني وفيه فضائل وآداب.

أنشدني أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي، قال: أنشدني القاضي

(١) في هامش الأصل: «توفي القاضي الأشرف المذكور ليلة الإثنين لثمان من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ومولده بالقاهرة يوم الخميس الخامس عشر من المحرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٢٩٨٩. شذرات الذهب ٥/ ٢١٨. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٤٩ ـ ١٥٠ رقم ١٤٢. العبر ٥/ ١٧٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢١١ رقم ١٢٧. ذيل الروضتين ١٧٦. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٢ رقم ٢١٣٥. المقفى الكبير للمقريزي ١/ ٢٩٦ رقم ٤٨٣. نهاية الإرب ٢٩/ ٢١٨ ـ ٢١٩. مرآة الجنان ٤/ ١٠٨. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٨. بغية الطلب لابن العديم ٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤ رقم ١٤٠.

أبو العباس لنفسه: [من الطويل]

وَقَائلَةٍ لاَ تَلْزَم البَيْتَ دَائماً ... فَإنَّكَ قَبْلَ القَبْرِ مُسْتَعجلُ القَبْرِ
فَقُلْتُ: دَعيِّ تَحْتَ الْخُمول عَزَائمي ... لَعَلِّي أَنْ أَخْفَى عَلَى نَظَرِ الدَّهْرِ
تَعَادلَتَ الأَحْوَالُ عنْديَ كُلُّهَا ... فَمَا خَفَّ ميْزَانـي لأُنْسٍ وَلاَ ذُعْرِ
وَلاَ أَسْتَتَرتْ عَيْني صَبَاحاً عَلَى دُجًى ... وَلاَ أَسْتَرْحَبَتْ نَفْسي مَطَاراً عَلَى وَكْرِ

وأنشدني، قال: أنشدني من شعره: [من الكامل]

مَنْ شَاكرٌ عَنِّي نَدَاكَ فَإنَّني ... منْ عُظْم مَا أَوْلَيْتَ ضَاقَ نطَاقي
منَنٌ تَخفُّ عَلَى يَدَيْكَ وَرُبَّمَا ... ثَقُلَتْ مُؤُونَتُهَا عَلَى الأَعْنَاق

[٥١]

أحمدُ بن عبد الله بنِ محمد بن عيسىٰ بن جامعٍ العقريُّ، أبو العباس الفقيهُ الشافعيُّ(١).

اشتغل بالفقه بمدينة السلام علىٰ أبي الحرم أحمد بن إسماعيل / ٩٠ب/ القزويني، ويحيىٰ بن فضلان البغدادي. وتولّى إعادة درسه.

ثم سافر إلىٰ الموصل وسكنها إلىٰ أنْ توفي بها في أوائل المحرم سنة إثنتين وعشرين وستمائة، ودفن جوار فتح الكاري الزاهد، وتولّىٰ تدريس المدرسة الفخرية المطلّة علىٰ دجلة. وكان قد قرأ الخلاف والفرائض وقال أشعاراً.

أنشدني الخطيب أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العقري، قال: أنشدني أخي أحمد بن عبد الله لنفسه: [من الكامل]

يَا سَاكِنِي أَهْلِ الجبَالِ وَمَنْ ... فِي الكَهْفِ وَالحَدْبَاءِ وَالعقْرِ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَدْرَ وَصْلكُمُ ... حَتَّى بُلِيتُ بفَارِطِ الهَجْرِ
لَوْ تَعْلَمُونَ تَألُّمِي بكُمُ ... يَوْمَ الفِرَاقِ لَسَاءَكُمْ أَمْرِي
قَدْ كَانَ لِي صَبْرٌ أَعِيشُ بِهِ ... قِدْماً فَوَا أَسَفَا عَلَى صَبْرِي

---

(١) ترجم المؤلف لولده عبد المحسن بن أحمد بن عبد الله . . . في الجزء الرابع برقم ٣٥٨.
وبَيْسَان: مدينة بالأردن بالغور الشامي، بين حوران وفلسطين. معجم البلدان ١/ ٥٢٧.

مِـنْ طِيْـبِ أَيَّـامِ الـوِصَـالِ وَمَـا ... قَضَّيْتُـهُ فِـي سَـالِـفِ الـدَّهْـرِ
وَسَقَـتْ لَيَـالِيْنَـا بِخَيْـفِ مِنًـى ... فَـالمَـأزِمَيْـنِ سَـوَاكِـبُ القَطْـرِ

[٥٢]

أحمدُ بن عمرَ بنِ عليٍّ، المعروفُ /١٩١أ/ بابن قرّة العين، أبو عبد الله الحلبيُّ.

نزل إلبيرة[1] من أعمال حلب، وانحاز في جملة أصحاب مليكها الملك الزاهر أبي سليمان داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وصار أحد شعرائه والمنقطعين إليه.

وهو شاعر مقصّد ينظم الشعر طبعًا، ناقص الخط من العربية وعلم الأدب وآلة القريض.

توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وكان جنديًا يلبس الشربوس ويقول شعراً متوسطًا يمدح به الصدور والسادات من الناس.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن حيدر الدبندار الشاعر الواسطي، قال: أنشدنا ابن قرّة العين لنفسه يمدح فلك الدين أبا القاسم عبد الرحمن بن هبة الله بن علي بن المسيري: [من البسيط]

لَـوْ سَـاءَهُ قُبْـحُ هَـذَا الغَـدْرِ مَـا غَـدَرَا ... وَلَـوْ دَرَى كَيْـفَ طَعْـمُ الهَجْـرِ مَـا هَجَـرَا
مُهَفْهَـفٌ رَقَـدَتْ عَيْنَـاهُ مُـذْ سَهِـرَتْ ... عَيْنِـي وَقَـدْ طَـالَ لَيْلِـي بَعْـدَهُ قِصَـرَ
وَمَـائِسُ العِطْـفِ لاَ أُمْسِـي عَلَـى خَطَـرٍ ... فِـي الحُـبِّ إِلاَّ إِذَا مَـا مَـاسَ أَوْ خَطَـرَا
كَـالرِّيْـمِ لَـمْ يَـرْمِ سَهْمًـا مِـنْ لَـوَاحِظِـهِ ... إِلاَّ وَصَـادَ بِـذَاكَ السَّهْـمِ لَيْـثَ شَـرَى
/١٩١ب/ ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ وَحْشِيٌّ سَجِيَّتُهُ ... يُنَفِّـرُ النَّـوْمَ عَـنْ عَيْنِـي إِذَا نَفَـرَا
أَفْـدِيْـهِ مِـنْ رَشَـأٍ فِـي لَيْـلِ طُـرَّتِـهِ ... يَبْـدُو لَنَـا قَمَـرٌ لِلْقَلْـبِ قَـدْ قَمَـرَا[2]
وَلَيْلَـةٍ بَـاتَ نَـدْمَـانِـي فَـأَسْكَـرَنِـي ... بِـالسِّحْـرِ مِـنْ غُنْـجِ عَيْنَيْـهِ وَمَـا سَكِـرَا

(١) إلبيرة: بلد قرب سميساط، بين حلب والثغور الرومية. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٤٤.
(٢) قَمَرَ: سَلَبَ.

لكنْ صَحَوْتُ لمَا خُبِّرْتُ عَنْ فَلَكِ الدِّيْنِ الَّذِيْ خُبْرُهُ قَدْ صَغَّرَ الخَبَرَا

عَوْدٌ إذَا عَادَ مَا أبْدَاهُ مِنْ هِمَمٍ ... لَمْ نَلْقَ مِنْ عَوْدِه ضعفًا ولاَ خَوَرَا

سَلِ الأَعَادِيْ بيَوْمِ الرَّوْعِ هَلْ نَظَرُوا ... بكَفِّهِ قَلَمًا أوْ صَارَ مَا ذَكَرَا

مَاضِيْ المَضَارِبِ مَا هُزَّتْ خَشيْبَتُهُ ... فِيْ هَامَةٍ قَطُّ إلاَّ قَطَّ أوْ بَتَرَا

لاَ يُخْذَلُ الدَّهْرَ مَنْ أمْسَىٰ بعَزْمِ يَدِ المَوْلَىٰ أبِيْ القَاسِمِ المَنْصُوْرِ مُنْتَصِرَا

لَوْ لاَمَسَتْ كَفُّهُ يَوْمَ النَّدَىٰ حَجَرًا ... صَلْدًا أسَالَ بمَاءٍ ذَلِكَ الحَجَرَا

هُوَ السَّمَاحُ الَّذِيْ تَهْمِيْ بَوَادِرُهُ ... عَلَىٰ العفاةِ وَإنْ لَمْ يَسْأَلُوا البِدَرَا

لَوْ لَمْ يكُنْ للْوَرَىٰ فِيْ دَسْتِهِ فَلَكًا ... مَا كَانَ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ يُطْلِعُ القَمَرَا

فَرَبْعُنَا لَمْ يَزَلْ مِنْ جُوْدِه خَضِرًا ... وورْدُنَا لَمْ يَزَلْ مِنْ حَوْضِه خَضِرَا[(١)]

فَقَدْ أمِنَّا بِهِ مِمَّا نُحَاذِرُهُ ... فَلَوْ يُسَالِمُنَا لَمْ نَعْرِفِ الحَذَرَا

فَرَايَةُ المُلْكِ مَا اهْتَزَّتْ ظَفِيْرَتُهَا ... إلاَّ بِهِ وتَلَقَّتْ ذَلِكَ الظَّفَرَا

وَرَاحَةُ المُلْكِ لاَ نَلْقَىٰ بهَا شَلَلاً ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ فِيْ بَاعِهَا قِصَرَا

/ ١٩٢أ/ يُعْطِيْ فَلَمْ يَلْقَ فِيْ إكْثَارِ نَائِلِهِ ... قَلاًّ ولاَ فِيْ صَفَا إحْسَانِهِ كَدَرَا

ومنها قوله:

فَرَبْعُنَا بَعْدَ دَثْرٍ مُرْبِعٌ زَهَرا ... وَعُوْدُنَا بَعْدَ يَبْسٍ مُطْلِعٌ ثَمَرَا

يَبْدُوْ فَنَلقَاهُ فِي الإقْنَاطِ مُبْتَسِمًا ... يُعْطِيْ فَنَلْقَاهُ فِيْ الإفْرَاطِ مُعْتَذِرَا

إذَا تيَمَّمَهُ سَفْرٌ رَأَوْا رَجُلاً ... فِيْ وَجْهِهِ الشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّمَا سَفَرَا

جَادَ الزَّمَانُ لأبنَاءِ البَرِيَّةِ مِنْ ... أبنِ المَسِيْرِيْ بغَيْثٍ نَابَ أو خَضِرَا

[٥٣]

أحمدُ بن محمد بن إبراهيمَ بن أبي نصرٍ، أبو حامدٍ الساويُّ خطيبُ هَمَذَان[(٢)].

قال القطيعي: قدم حاجًا سنة ثلاث عشرة وستمائة، وروىٰ عن شيخنا أبي

(١) خضر: كثير الخضرة.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٠٦ وفيه: «أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساوي، أبو حامد ابن أبي عبد الله الفقيه الشافعي». المختصر المحتاج إليه ١/ ٢١٠. مجمع الآداب ٣/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

الوقت. وسألته عن مولده، فقال: في سنة ست وأربعين وخمسمائة.

ثم أنشدني لنفسه[1]: [من الوافر]

أَتَيْتُكَ مُسْتَجِيْراً مُسْتَعِيْذاً بعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ يَا إلَهِيْ
فَقَدْ أَوْقَرْتُ ظَهْرِيْ بِالخَطَايَا وَقَدْ أَكْثَرْتُ غِشْيَانَ المَلاَهِيْ
فَإنْ لَمْ تَعْفُ رَبِّي عَنْ ذُنُوبِي رَجَائِيْ حَبْلُهُ يَا رَبِّ وَاهِيْ
/ ٩٢ب/ فَكَمْ عَاصٍ عَفَوْتَ الذَّنْبَ عَنْهُ وَقُلْتَ لَهُ عَصَانِيْ وَهْوَ سَاهِي

[٥٤]

أحمدُ بن الحسن الدمشقيُّ الواعظُ.

كان يرتفق بالوعظ، وينتقل في البلدان طلبًا للجدوىٰ. رأيت له هذه الأبيات أنفذها إلىٰ كامل الدين عمار بن سعد بن عمار الوزير بماردين: [من الطويل]

وَعَارٌ علَىٰ ذي المَكْرُمَات وَذِيْ الحِجَىٰ تَغَافُلُهُ عَنْ لائِذٍ بِجَنَابِهِ
وَلَيْسَ لَهُ عَوْنٌ سِوَاهُ فَيُرْتَجَىٰ وَلاَ مَفْزَعٌ إلاَّ الوُقُوفُ بِبَابِهِ
إِلَىٰ كَامِلِ الدِّيْنِ بْنِ سَعْدٍ مَدَائِحِيْ تُزَفُّ وَتُهْدَىٰ رَغْبَةً فِيْ اقْتِرَابِهِ

وكتب إليه أيضًا لنفسه وهو مقيم بماردين: [من الطويل]

أرَىٰ الدِّيْنَ شَيْنَ الدِّيْنِ حَقّاً كَمَا رُوِيْ فَجُدْ بِوَفَاهُ وَاغْتَنِمْ مِنِّيَ الشُّكْرَا
فَلَسْتُ أرَىٰ فِيْ مَارِدِيْنَ مُسَاعِداً سِوَاكَ ابْنَ عَمَّارٍ فَجُدْ وَاكْسِبِ الأَجْرَا
وَعُدَّ الَّذِيْ تُوْلِيْهِ مِنْكَ تَفَضُّلاً كَمَا لَمْ تَزَلْ يَا عُدَّتِي تَكْشِفُ الضُّرَّا

[٥٥]

أحمدُ بنُ إسحاقَ بن هبة الله / ٩٣أ/ ابن صديق بن محمود بن صالح، أبَو العباسَ بن أبي البشائر الخلاَطيُّ، المعروفُ بابن قاضيِ خلاَط[2]:

لأنّ أباه كان يتولىٰ القضاء بها.

---

(١) القطعة في مجمع الآداب ٣/ ٤٧٩.

(٢) خِلاَط: هي قصبة إرمينية الوسطى. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٠.

وكان أحمد شابًا له فطنة في الشعر لطيفًا دمثًا سهل الأخلاق. رحل إلىٰ مدينة السلام وصار صوفيًا متزهِّداً، ولزم طريقة أهل الدين والتصوُّف، وأقام بها إلىٰ أن مات يوم الإثنين العشرين من ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة ولم يبلغ الثلاثين. وكانت ولادته بخلاط في سنة تسعين وخمسمائة؛ روىٰ لي من شعره عنه جماعة.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أحمد بن قاضي خلاط لنفسه يمدح الأشرف موسىٰ بن العادل أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله ـ: [من الطويل]

لَقَدْ لُمْتَ لَوْ اجْدَىٰ المَلَامُ بِصَبِّهِ ... دَعِيْهِ فَقَدْ أَوْدَىٰ الغَرَامُ بِقَلْبِهِ
لَدَىٰ اللَّوْمِ وَقْرٌ سَدَّ سَمْعَ مُحُبِّهِ ... إِلَيْكَ فَمَنْ يُصْغِي إِلَيْكَ وَلِلْهَوَىٰ
عَلَىٰ أَنَّهُ مَا زَالَ مَغْلُوبَ حُبِّهِ ... أَرَىٰ جَلَدِي قَدْ قَلَّ عَمَّا عَهِدْتُهُ
وَلَمْعَةُ بَرْقٍ بَيْنَ دَمْعِي وَسَكْبِهِ ... فَشَدْوَةُ حَادٍ بَيْنَ جَنْبَيَّ وَالجَوَىٰ
بِرَبْعٍ مَلُولٍ لَا انْقِضَاءَ بِعُجْبِهِ ... / ٩٣ب/ أَزَاجِرَهَا قِفْ حَيْثُ تَدْنُو مِنَ اللِّوَىٰ
لِصَبٍّ بِسَكْبِ الدَّمْعِ مُغْرَىً وَصَبِّهِ ... وَنَادِ أَلَا هَلْ مِنْ مُجِيرٍ عَلَىٰ النَّوَىٰ
سِوَىٰ ثَغْرِ أَلْمَىٰ بَارِدِ الرِّيقِ عَذْبِهُ ... وَلِي غُلَّةٌ فِي القَلْبِ لَيْسَ يَبُلُّهَا
جَوَىً تَارِكًا قَلْبِي دَمًا مِلْءَ خِلْبِهِ ... وَلِي نَحْوَ رَضْوَىٰ زَفْرَةٌ تَمْلَأُ الحَشَا
ضَرَاغِمُهُ صَرْعَىٰ جَآذِرِ سِرْبِهِ ... وَلَوْ لَمْ أَكُنْ أَصْبُو إِلَىٰ العَلَمِ الَّذِي
إِذَا ذُكِرَتْ عِنْدِي مَضَائِقُ شِعْبِهِ ... لَمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ بِأَسْرِهَا
وَلِي حَيًّا يُولِي حَيَاةً لِتُرْبِهِ ... سَقَىٰ اللهُ نَجْداً مَلْعَبِي زَمَنَ الصِّبَا
عَلَىٰ وَهْدَةٍ وَشْيَ الرَّبِيعِ وَهُضْبِهِ ... فَتُمْسِي أَرَاضِيهِ رِيَاضًا وَتَجْتَلِي
عَلَىٰ عِفَّةِ الأَرْوَاحِ مِنْ بَيْنِ عُشْبِهِ ... وَتَطْرَبُ وُرْقُ الأَيْكِ فِيهِ عَشِيَّةً
فَإِنْ جِئْتَ نَجْداً جُدْ بِهِ قَبْلَ جَدْبِهِ ... فَيَا غَيْثُ بُخْلًا بِالحَيَا حَيْثُ يَغْتَدِي
لَوَاحِظِ ظَبْيٍ وَصْلُهُ لَمْ أَفُزْ بِهِ ... أُحِبُّ سُيُوفَ الهِنْدِ حَيْثُ حَكَتْ ظُبَا
وَيُبْرِدُ قَلْبًا ذَابَ مِنْ حَرِّ كَرْبِهِ ... رَجَوْتُ كَرىً يُدْنِي بَعِيدَ مَزَارِهِ
جَوٍ فُرِشَتْ شَوْكُ القَتَادِ بِجَنْبِهِ ... وَأَنَّى يَذُوقُ الغَمْضَ جَفْنٌ مُسَهَّدٌ
وَنَأْيِي عَنِ الأَوْطَانِ أَيْسَرُ خَطْبِهِ ... بِعَادِي مِنَ الأَهْلِينَ أَدْنَىٰ انْقِلَابِهِ
وَلَيْسَ يُفِيدُ الدَّهْرَ تَكْرَارُ عَتْبِهِ ... إِلَىٰ مَ أُقَضِّي العُمْرَ لِلدَّهْرِ عَاتِبًا

/ ٩٤أ/ يُجُورُ عَلَى رَبِّ العُلاَ مُتَعَمِّداً — كَأَنَّ العُلاَ لِلْمَرْءِ أَعْظَمُ ذَنْبِهِ

لَقَدْ فَرَّقَ الأَيَّامُ شَمْلِي وَلاَ أَرَى — سِوَى المَلْكِ مُوسَى مَنْ يُرَجَّى لِشَعْبِهِ

فَتًى سُخْطُهُ إِنْ يُذْكَ فِي البَحْرِ جَذْوَةً — مُجَاوِرُهُ لَمْ يَلْقَ مَاءً لِشُرْبِهِ

وَلَوْ هَطَلَتْ يُمْنَاهُ فِي البَرِّ بِالنَّدَى — لأَصْبَحَ مَثْوَى الحُوتِ مَسْكَنَ ضَبِّهِ

هُمَامٌ هُوَ الحَامِي حِمَى الدِّينِ حَيْثُ لاَ — مَرَدَّ لَهُ عَمَّنْ تَصَدَّى لِنَهْبِهِ

بِأَمْلَدَ خَطِّيٍّ يُرِيدُ اعْوِجَاجَهُ — لِتَنْسَابَ رِيمُ الرَّمْلِ مِنْ بَيْنِ كُثْبِهِ

كَأَنَّ ظَلاَمَ اللَّيْلِ حَذَّرَ خَصْمَهُ — فَأَخْبَرَ عَنْ طُغْيَانِهِ لَمْعُ شُهْبِهِ

وَأَبْيَضَ مَاضٍ لِلْفِرِنْدِ بِمَتْنِهِ — كَمِثْلِ تَسَامِي النَّمْلِ فَوْقَ مَدَبِّهِ

كَأَنَّ اشْتِقَاقَ الصُّبْحِ يُنْذِرُ قَرْنَهُ — فَيُبْدِي لَهُ فِي الشَّرْقِ آثَارَ غَرْبِهِ

وَعَوْجَاءَ مِرْنَانٌ إِذَا طَاشَ سَهْمُهَا — يَخَافُ السُّهَا مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَ قُطْبِهِ

كَأَنَّ لُمُوعَ البَرْقِ مِنْهُ ارْتِعَادُهُ — يَخَافُ فَيَخْفَى فِي سَتَائِرِ سُحْبِهِ

يُنَظِّمُ نَظْمَ الدُّرِّ بِالرُّمْحِ لِلْعِدَا — وَيَنْثُرُهُمْ نَثْرَ الجُمَانِ بِعَضْبِهِ

فَسُبْحَانَ رَبٍّ لَيْسَ يَخْلُقُ ضِدَّهُ — كَمَا خُلِقَتْ طَعْنَاتُهُ ضِدَّ ضَرْبِهِ

لَهُ الفَخْرُ فَلْيَسْحَبْ مَدَى الدَّهْرِ ذَيْلَهُ — فَقَدْ ظَلَّ فِي الدُّنْيَا مَلِيًّا بِسَحْبِهِ

أَبَا الفَتْحِ حَزْمُ العَزْمِ فِي طَلَبِ العِدَا — يَرفع لِوَا . . . . عِنْدَ نَصْبِهِ

/ ٩٤ب/ فَبَادِرْ إِلَى إِسْرَاعِهِ تَمْلِكِ الدُّنَى — فَأَنْتَ مُنَى عُجْمِ الأَنَامِ وَعُرْبِهِ

مَلأْتَ فَضَاءَ الأَرْضِ مِنْ فَيْضِ نَائِلٍ — بِهِ شَرْقُهُ يُثْنِي عَلَيْكَ كَغَرْبِهِ

حَوَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ الرَّجَاءِ مَنَاهِلاً — يَفُوزُ لَدَيْهَا كُلُّ ظَامٍ بِشُرْبِهِ

كَمَا فَازَتِ الأَيَّامُ مِنْهُ بِمَاجِدٍ — حَمِيدِ السَّجَايَا وَاسِعِ الصَّدْرِ رَحْبِهِ

أَتَتْكَ مَلِيكَ العَصْرِ أَفْكَارُ خَاطِرِي — كَأَزْهَارِ رَوْضٍ فِي تَنَعُّمِ خِصْبِهِ

فَأَقْبِلْ عَلَيْهَا بِالقَبُولِ فَإِنَّهَا — ثَنَاءُ فَتًى حُرٍّ أَخِي الفَضْلِ تِرْبِهِ

وَخُذْهَا عَرُوسًا مَا تَرَى ضَرَّةً لَهَا — خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَانًا لِقَلْبِهِ

مَدِيحٌ بِأَنْوَاعِ البَيَانِ مُدَبَّجٌ — يَدُومُ دَوَامَ العَصْرِ مِنْ غَيْرِ مُشْبِهِ

أَرَادَ امْتِزَاجًا بِالهَوَاءِ لَطَافَةً — عَنِ الذِّهْنِ لَوْ لَمْ أَدْرَكَتْهُ بِكُتْبِهِ

بَقِيتَ لِعَافٍ يَرْتَجِيكَ وَآمِلٍ — وَدُمْتَ لإِحْصَاءِ الثَّنَاءِ وَكَسْبِهِ

وَعِشْتَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُخَلَّداً — لإِطْلاَقِ عَانِيهِ وَإِسْهَالِ صَعْبِهِ

وَلاَ زِلْتَ فِيْهِ وَارِفَ الظِّلِّ وافِرَ النَّدَىٰ وَالأَيَادِيْ بِالنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ

وأنشدني أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي زيدي التبريزي، قال: أنشدنا أحمد بن إسحاق لنفسه يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات / ٩٥أ/ المستوفى ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من البسيط]

أَسَاكِنِيْ خِطَّةِ الغَرَّاءِ مَا لَكُمُ   لاَ الفَضْلُ رَاقَكُمُ يَوْماً وَلاَ الأَدَبُ
شِعْرِيْ هُوَ الوَرْدُ رَيَّا المِسْكِ نَفْحَتُهُ   وَالوِرْدُ رِيُّ النُّهَى سَلْسَالُهُ الخَصِبُ
وَعِنْدَكُمْ جُعِلَ المَلْقَى سُدًى هَمَلاً   أَأَنْتُمُ جُعَلٌ أَمْ عِظْلِمٌ كَلِبُ
أَقُوْلُ جَهْراً وَصِدْقُ النُّطْقِ مِنْ شِيَمِيْ   قَوْلَ امْرِىءٍ لَيْسَ فِيْمَا قَالَهُ كَذِبُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ شَرَفُ الدِّيْنِ المُبَارَكُ لَمْ   يَكُنْ إِلَيْهَا لِنَدْبٍ مِنْكُمُ طَرَبُ
خُصَّ النَّدَىٰ بِابْنِ مَوْهُوْبٍ بِذِيْ كَرَمٍ   يَظُنُّ أَنْ لَيْسَ يَبْقَىٰ غَيْرُ مَا يَهَبُ
سِوَىٰ أَبِيْ البَرَكَاتِ السَّمْحِ مَنْ بَرَكَتْ   لِكُلِّ مَنْ يَجْتَدِيْ فِيْ رَبْعِهِ نُجُبُ
يَوَدُّ لِلْمَالِ أَنْ يُوْدِيْ الذَّهَابُ بِهِ   فَدَاهُ كُلُّ لَئِيْمٍ رَبُّهُ الذَّهَبُ
صَدْرٌ حَوَىٰ صَدْرُهُ الرَّحْبُ العِرَاضَ   بِحَارَ الفَضْلِ فَهْيَ إِذَا يَطْمُو وَيَضْطَرِبُ
وَيَقْذِفُ الدُّرَّ أَمْوَاجاً لَهَا كَلِماً   دُرّاً كَأَنَّ لَدَيْهِ الدُّرَّ مَخْشَلَبُ[1]
مِنْ كُلِّ عَذْرَاءَ بِكْرٍ بِالعُقُوْلِ لَهَا   كَفِعْلِ صَهْبَاءَ بِكْرٍ أُمُّهَا العِنَبُ
لَوْ كَانَ ذُوْ الرُّمَّةِ المَفْقُوْدُ يَسْمَعُهَا   وَهْوَ الَّذِيْ فَخَرَتْ قَوْلاً بِهِ العَرَبُ
جَرَتْ مَدَامِعُهُ فَقْداً فَقِيْلَ لَهُ   (مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ)
أَوْ كَانَ مِهْيَارُ حَيّاً كَانَ قَائِدَهَا   بِالنَّفْسِ حُبّاً وَقَلَّ المَالُ وَالنَّشَبُ
/ ٩٥ب/ وَكَانَ هَامَ بِهَا وَجْداً وَقَالَ لَهَا: لَكَ الغَرَامُ وَلِلْوَاشِيْ بِكَ التَّعَبُ
عَجِبْتُ مِنْ قَلَمٍ ضُمَّتْ عَلَيْهِ أَنَامِلُ شَأْنُهَا بَيْنَ الوَرَىٰ عَجَبُ
تَكَادُ مِنْ لَمْسِهَا تَنْدَىٰ الصُّخُوْرُ نَدًى   فَكَيْفَ لاَ مَنْ نَدَاهَا يُوْرِقُ القَصَبُ
تَرُوْقُ طَرْفاً رَآهَا سُوْدُ أَسْطُرِهِ   فَلَمْ يَكُنْ حَيْثُ يَرْنُو عَنْهُ تَحْتَجِبُ
كَأَنَّمَا كَحَلُ الحَسْنَاءِ حَالَ لَهَا   نَفْساً وَمِنْ ثَغْرِهَا طِرْساً لَهَا الشَّنَبُ
غُرُّ السَّجَايَا لَدَيْهِ تَجْتَلِيْ كَرَماً   وَكُلُّ مَجْدٍ إِلَيْهِ اليَوْمَ يَنْتَسِبُ

(١) المخشلب: الخرز من حجارة البحر.

وَالفَضْلُ كَانَ يَتِيماً قَدْ أُهِينَ وَمِنْهُ صَارَ دُونَ الوَرَى يَحْنُو عَلَيْهِ أَبُ
طَالَتْ مَعَ الدَّهْرِ فِي رُحْبٍ وَفِي رَغَدٍ . . . . العُلاَ سَبَبُ
مَا يَعْذُبُ المَاءُ لِلظَّامِي وَمَا خَطَرَتْ فَمَالَ لِلغُصْنِ أَنْفَاسُ الصَّبَا عَذِبُ

وأنشدني أبو الحسن علي بن مجد الكاتب التبريزي، قال: أنشدني أحمد بن إسحاق لنفسه في غلام خرج من الحمام: [من البسيط]

رَأَيْتُهُ مَائِلاً كَالْغُصْنِ فِي حُلَلٍ حُمْرٍ تُحَاكِيهِ عَيْنُ الشَّمْسِ بِالشَّفَقِ
وَوَجْنَتَاهُ مِنَ الحَمَّامِ قَدْ جَمَعَتْ لَوْنَيْنِ مِنْ أَحْمَرٍ فِي أَبْيَضٍ يَقَقِ
وَالمَاءُ عَنْ شَعْرِهِ يَحْكِي تَسَاقُطُهُ تَسَاقُطَ الشُّهْبِ عَنْ جُنْحٍ مِنَ الغَسَقِ

/ ٩٦أ/ وأنشدني الحسن بن علي بن شماس، قال: أنشد أحمد له في صفة عوّاد: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ غَنَّى فَغَابَ لِطِيبِهِ رُشْدِي وَطَابَ كَأَنْ أَتَانِي غَائِبُ
لَعِبَتْ يَدَاهُ بِعُودِهِ فَكَأَنَّمَا يُمْنَاهُ تَكْتُبُ وَاليَسَارُ تُحَاسِبُ

وأنشدني محمد بن أبي الخير النيسابوري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن قاضي خلاط من شعره: [من الطويل]

وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً كُنْتُ بِاللِّوَىٰ وَقَدْ جَمَعَ الدَّهْرُ المُشِتُّ. . . .
فَلاَنَتْ لِمَا قَاسَيْتُ قَسْوَةُ قَلْبِهِ مِنَ الوَجْدِ وَالتِّذْكَارِ وَالزَّفَرَاتِ
وَبَاتَ لِمَا أَلْفَاهُ مِنِّي سَائِلاً بِلَفْظٍ أَرَانِي السِّحْرَ فِي الكَلِمَاتِ

وقال: [من الطويل]

وَلَمَّا أَتَانِي مَا كَتَبْتَ مُعَطَّراً بِمَا قَدْ حَوَىٰ مِنْ فِكْرِكَ الطَّيِّبِ النَّشْرِ
نَشَرْتُ عَلَىٰ مَا بِي مِنَ النَّاسِ طِيبَهُ فَنِلْتُ المُنَىٰ مِنْ ذَلِكَ الطَّيِّ بِالنَّشْرِ

وقوله: [من الطويل]

أَقُولُ لِقَلْبِي وَالنَّوَىٰ مُطْمَئِنَّةٌ إِذَا نَأَتِ الأَحْبَابُ لَمْ تَتَأَسَّفُ
/ ٩٦ب/ فَقَالَ مُجِيباً: إِنَّنِي تَابِعٌ لَهُمْ فَقُلْ ذَا القَلْبِ عَنْهُمُ يَتَخَلَّفُ

وله: [من البسيط]

لِلّٰهِ كَمْ لَيْلَةٍ لِي بِالحِمَىٰ سَلَفَتْ بِوَصْلِ ظَبْيٍ رَشِيقِ القَدِّ مُعْتَدِلِ

أَذْبْتُهَا وَجُفُونِي غَيْرُ رَاقِدَةٍ ... أُرْوِيْ غَلِيلَ اشْتِيَاقِيْ مِنْهُ بِالقُبَلِ
يَا طِيبَهَا مِنْ لَيَالٍ لَوْ رَجَعْنَ وَإِنْ ... لَمْ تَدْرِ فِيهِنَّ مَا طِيبُ الكَرَىٰ مُقَلِيْ

وقال: [من السريع]

لَمَّا تَوَلَّىٰ سَكَنِيْ رَاحِلاً ... يَا لَيْتَ صَبْرِيْ لَمْ يَكُنْ زَائِلاً
لاَ تَسْأَلاَ عَنْ خَلَدِيْ إِنَّهُ ... قَدْ كَانَ إِذْ كَانَ النَّقَا آهِلاً
تَيَّمَهُ حُبُّ ظِبَاءِ النَّقَا ... فَلَيْسَ إِلاَّ لِلْهَوَىٰ قَابِلاً
أَطَاعَ قَلْبِيْ الحُبَّ مِنْ بَعْدِهِ ... لاَ غَرْوَ إِنْ لَمْ يُطِعِ العَاذِلاَ
مَا كَانَ فِيهِمْ لاَئِمٌ لاَمَنِيْ ... لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَفِيْ غَافِلاَ

وقال: [من الطويل]

رَأَيْتُ الَّذِيْ قَدْ شَفَّ جِسْمِيْ غَرَامُهُ ... أَسِيرَ هَوَىٰ مَنْ لَيْسَ فِيْ الحُبِّ يُنْصِفُ
فَقُلْتُ لَهُ: ذُقْتَ المَرَارَةَ فِيْ الهَوَىٰ ... وَقَاسَيْتَ بَلْوَىٰ مَا يَقُولُ المُعَنَّفُ
فَرَقَّ لِمَا بِيْ ثُمَّ قَالَ: دَعِ الهَوَىٰ ... فَمَا فِيهِ إِلاَّ زَفْرَةٌ وَتَلَهُّفُ
/١٩٧/ وَصِفْ مَا تَرَىٰ حَتَّىٰ أَرَىٰ كَيْفَ حَالَتِيْ ... فَقُلْتُ وَقَلْبِيْ قَدْ بَرَاهُ التَّأَسُّفُ
كَأَنَّكَ يَا مَنْ حُبُّهُ قَدْ أَذَابَنِيْ ... مِنَ الحُزْنِ يَعْقُوبٌ وَفِيْ الحُسْنِ يُوسُفُ

وقوله: [من الكامل]

وَمُهَفْهَفٍ يَحْكِيْ القَضِيبَ قَوَامُهُ ... مِنْ لِينِ أَعْطَافٍ وَحُسْنِ تَمَايُلِ
عَاطَيْتُهُ رَاحًا يُرِيحُ فَلَمْ يَطِبْ ... وَمَرُّ الشَّمُولِ بِغَيْرِ حُلْوِ شَمَائِلِ

وله: [من الكامل]

كَمْ لَيْلَةٍ بِالجَزْعِ لِيْ سَلَفَتْ ... إِذْ كَانَ فِيهَا مُشْبِهُ الشَّمْسِ
عَذْبُ اللَّمَىٰ أَرِجٌ يُسَامِرُنِيْ ... وَضَّاحُ ثَغْرٍ نَاعِمُ اللَّمْسِ
فَلِهَذِهِ الأَوْصَافِ عُلِّقْتُهُ ... مَلَكَتْ قِيَادَ حَوَاسِيَ الخَمْسِ

وقال: [من الكامل]

هَيْهَاتَ سِرُّ هَوَاكَ كَيْفَ يُكَتَّمُ ... والدَّمْعُ عَمَّا فِيْ الضَّمِيرِ يُتَرْجِمُ
يَا قَاسِيًا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ ... يَتَأَمَّلُ الشَّكْوَىٰ وَلاَ يَتَأَلَّمُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الوِصَالِ وَحَوْلَكَ الرُّقَبَاءُ قَدْ كَثُرَتْ وَحَوْلِيَ اللُّوَّمُ

لاَ تَظْلُمَنِّي فِي هَوَاكَ فَرُبَّمَا ... تُعْطِى الهَوَىٰ فَأَخَافُ أَنَّكَ تُظْلَمُ
وَحَذَارِ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ فَقَلَّ مَنْ ... سَفَكَ الدِّمَاءَ وَلاَ يُرَاقُ لَهُ دَمُ
/ ٩٧ب/ لِيْ فِيْ الجنَانِ جنَانٍ وَجْهِكَ صُوْرَةٌ ... وَالنَّارُ فِيْهِ مِنَ الهَوَىٰ تَتَضَرَّمُ
إِنِّي عَجِبْتُ لَهُ وَمِنْ عَجَبِ الهَوَىٰ ... قَلْبِي وَفِيْهِ جَنَّةٌ وَجَهَنَّمُ

وله من قصيدة: [من الكامل]

فَرَشَ النَّوَىٰ شَوْكَ القَتَادِ بِمَضْجَعِيْ ... فَالطَّيْفُ كَيْفَ يَزُوْرُ مَنْ لَمْ يَهْجَعِ
لله مَا فَعَلَتْ عَشِيَّةَ . . . . بِالقَلْبِ مِنِّي حِيْنَ قَالَ مُوَدِّعِيْ:
نَجْدٌ عَشِيَّتُهُ تَزُوْلُ سَرِيْعَةً ... فَاطْلُبْ شَمِيْمَ عَرَارِهِ وَتَمَتَّعِ

وله: [من الطويل]

وَمَا رَقَدَتْ عَيْنَايَ إِلاَّ خَيَالُهُ ... أَتَانِي عَلَىٰ طُوْلِ النَّوَىٰ طَالِباً عُذْرِيْ
أُحِبُّ الكَرَىٰ شَوْقاً إِلَيْهِ لأَنَّهُ ... يُرِيْنِي يَوْمَ الوَصْلِ فِيْ لَيْلَةِ الهَجْرِ

وقوله: [من الطويل]

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَلَمْ أَرَ فِيْهُمُ ... صَدِيْقاً يُوَافِيْ أَوْ شَقِيْقاً يُوَافِقُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ كُلُّ شَخْصٍ رَأَيْتُهُ ... حَقُوداً يُنَافِيْ أَوْ حَسُوداً يُنَافِقُ

وقال: [من السريع]

هَبَّتْ عَلَيْلاً نَسَمَاتُ الصَّبَا ... بِمُنْحَنَىٰ الجَزْعِ قُبَيْلَ الصَّبَاحْ
فَذَكَّرَتْنِي طِيْبَ عَهْدِ الصِّبَا ... إِذْ كُنْتُ مُغْرًى بِالحِسَانِ الصِّبَاحْ

/ ٩٨أ/ وقال في الخمر: [من الطويل]

وَصَفْرَاءَ مِثْلِ التِّبْرِ عَاطَيْتُ كَأْسَهَا ... مِنَ التُّرْكِ ظَبْياً وَالدُّجَىٰ مُسْبَلُ الذُّبْلِ
أَضَاءَتْ نَوَاحِيْهَا فَكَادَ شُعَاعُهَا ... يُرِيْنِي طُرُوْقَ الجِنِّ فِيْ ظُلَمِ اللَّيْلِ

وله: [من الكامل]

هَاجَتْ مَطَايَاهُمْ غَدَاةَ رَحِيْلِهِمْ ... لَمَّا بَدَتْ آثَارُهُنَّ زَفِيْرِيْ
لاَحَتْ بُدُوْراً تُجْتَلَى وَأَهِلَّةً ... فَذَكَرْتُ قُرْبَ أَهِلَّتِي وَبُدُوْرِي

وقال يرثي أخاه محموداً. وكان أصغر أخوته وتوفي ولم يستكمل سبع سنين:

[من مجزوء الرمل]

يَا هِلالاً سَارَعَ المَوْتُ إِلَيْهِ بِالأُفُولْ
كَيْفَ غَطَّى التُّرْبُ مَرْآى ذَلِكَ الوَجْهِ الجَمِيلِ
لَكَ فِيهَا اليَوْمَ يَا غَايَةَ آمَالِي وَسُولِي
مُقْلَةٌ نَجْلاءُ قَدْ سَالَتْ عَلَى الخَدِّ الأَسِيلِ
وَقَوَامٌ كَالقَضِيبِ الرَّطْبِ مُلْقَى لِلذُّبُولْ
كُلُّ شَيءٍ يَنْتَهِي إِلاّ بُكَائِي وَعَوِيلِي
/ ٩٨ب/ وَلِكُلِّ غَايَةٌ إِلاّ لِوَجْدِي وَغَلِيلِي
بَعْدَ أَنْ قَدْمُتَ لاَ مُتِّعْتُ بِالعُمْرِ الطَّوِيلِ
فَعَسَى أَلْقَاكَ إِنْ نِلْتُ المُنَى عَمَّا قَلِيلِ

وقال: [من الكامل]

وَمُنَعَّمٍ خَصِرِ المَرَاشِفِ خَصْرُهُ أَعْطَى الضَّنَى جَسَدِي فَرَضَّ عِظَامِي
لَوْ لَمْ يَكُنْ . . . . . يُخَالِفُ حُبَّهُ لا . . . .
. . . . (١)

وقال: [من البسيط]

حَتَّى مَ تَرْتَاحُ يَا ذَا الوَجْدِ وَالوَصَبِ إِلَى دِيَارٍ عَفَتْ مِنْ حَادِثِ النُّوَبِ
وَكَمْ تَعَالَى الجَوَى مِنْ سَجْعِ هَاتِفَةٍ بَاحَتْ بِسِرِّكَ إِذْ نَاحَتْ عَلَى القُضُبِ
بَادِرْ إِلَى الرَّاحِ وَاشْرَبْهَا مُعَتَّقَةً تُصْفِي مِنَ العَيْشِ مَا قَدْ شِيبَ بِالكُرَبِ
وَدَعْ حَدِيثَ طُلُولٍ بِاللِّوَى دَرَسَتْ وَمَرْبَعٍ قَدْ خَلاَ فِي الحَزْنِ بِالعَذَبِ
وَهَاتِ يَا طَيِّبَ الأَخْلاَقِ صَافِيَةً بِدُونِهَا العَيْشُ لاَ يَصْفُو وَلَمْ يَطِبِ
تُحْيِي بِشُرْبِي لَهَا نَفْسِي وَقَدْ تَلِفَتْ وَلَيْسَ إِحْيَاؤُهَا نَفْسِي مِنَ العَجَبِ
فَإِنَّهَا شَابَهَتْ مَاءَ الحَيَاةِ بِأَنْ قَدْ جِيءَ قِدْماً بِهَا مِنْ ظُلْمَةِ العِنَبِ
/ ٩٩أ/ مَشْبُوبَةً بِزُلاَلِ المَاءِ جَمْرَتُهَا وَالنَّارُ مِنْ قَبْلِهَا بِالمَاءِ لَمْ تُشَبِ

(١) موضع النقاط شطب في الأصل.

كَأَنَّهَا حِينَ تُجْلَى فِي زُجَاجَتِهَا ... وُدٌّ صَفَا فِي فُؤَادٍ رَقَّ مِنْ طَرَبِ

إِنِّي عَجِبْتُ لِمَاءٍ جَامِدٍ أَبَداً ... عَلَيْهِ ذَائِبُ نَارٍ وَهْوَ لَمْ يَذُبِ

وَمَا رَأَيْتُ سِوَى صَفْرَاءَ مُذْهَبَةٍ ... نَاراً مَتَى شُبْتَهَا بِالمَاءِ تَلْتَهِبِ

وَقَدْ سَقَانِي وَذَيْلُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلٌ ... جَذْلَانُ يَسْحَبُ ذَيْلَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

ذُوْ غُرَّةٍ بِسَوَادِ الصُّدْغِ قَدْ سُتِرَتْ ... كَالصُّبْحِ مِنْ كِلَلِ الظَّلْمَاءِ فِي حُجُبِ

ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ أَعْيَا خَصْرَهُ هَيَفاً ... حَمْلُ النِّطَاقِ بِرِدْفٍ مَاجَ فِي كُثُبِ

حَسِبْتُهُ إِذْ سَعَى نَحْوِي وَفِي يَدِهِ ... كَأْسٌ مُرَصَّعَةٌ مِنْ جَوْهَرِ الحَبَبِ

بَدْراً تَمَنْطَقَ بِالجَوْزَاءِ قَارَبَهُ ... شَمْسٌ عَلَيْهَا بَوَاقِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

رَعَى الإِلَهُ زَمَاناً فِيهِ وَاصَلَنِي ... مَنْ عَنْ تَمَنِّيهِ قَلْبِي غَيْرُ مُنْقَلِبِ

إِذْ كُنْتُ فِي دَعَةٍ لَوْلَا تَذَكُّرُهَا ... رَأْسِي عَلَى عُنْفُوَانِ العُمْرِ لَمْ يَشِبِ

وَلَمْ أَكُنْ شَائِقاً أَصْبُو إِلَى وَطَنٍ ... قَدْ غَيَّرَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ وَالحِقَبِ

حَيَّا خِلَاطَ حَيَاً يُحْيِي الثَّرَى فَبِهَا ... مَثْوَى خَلِيطٍ ثَوَى فِي قَلْبِيَ الوَصِبِ

لَمْ يَخْلُ ذِكْرَاهُ عَنْ فِكْرِي وَأَيْنَ خَلَا ... عَنْ فِكْرِ ظَمْآنَ ذِكْرُ السَّلْسَلِ الخَصِبِ

وَلَا عَدَاهَا سَحَابٌ مُرْزِمٌ هَطِلٌ ... لِتَجْتَلِيَ الأَرْضُ فِي أَبْرَادِهِ القُشُبِ

/٩٩ب/ وَالوَرْدُ يَبْدُو كَخَدٍّ حَلْيُهُ خَجَلٌ ... وَالأُقْحُوَانُ كَثَغْرٍ زِينَ بِالشَّنَبِ

وَإِنَّ قَلْبِيَ لَا تَصْفُو مَشَارِبُهُ ... حَتَّى لَدَى أَرْضِهَا مَمْلُوءَةَ القُلُبِ

وَإِنْ جَفَا جُودُهُ مَغْنًى بِهَا فَلَهَا ... مُوسَى الَّذِي جُودُهُ مُغْنٍ عَنِ السُّحُبِ

المَالِكُ الأَشْرَفُ السَّمْحُ الَّذِي أَبَداً ... إِنْ ضَنَّ بِالمَاءِ غَيْثٌ جَادَ بِالذَّهَبِ

للهِ دَرُّ فَتًى نَالَ العُلَا بِيَدٍ ... مِنْهَا يَنَالُ المُنَى ذُو الفَضْلِ وَالأَدَبِ

فِيهَا إِذَا مَا شَكَا عَافٍ بِهَا ظَمَأً ... مَاءٌ مَتَى يَأْتِهِ ظَمْآنُ يَنْسَكِبِ

مَا حَلَّ مَوْكِبُهُ أَرْضاً وَقَدْ جَدِبَتْ ... إِلَّا لِوَطْأَتِهِ تَخْتَصُّ بِالعُشُبِ

[٥٦]

أحمدُ بن عثمانَ بن خطلخ(١) بن عبد اللهِ الموصليُّ، المعروفُ بابن الشهرستانيِّ:

من بيتٍ مشتهرٍ بالموصل.

---

(١) في قراءة د. الصقار: «خطلج».

وكان جنديًا في خدْمة الملك الرحيم بدر الدين أبي الفضائل ـ أعزّ الله نصره ـ وكان يحفظ من الحكايات والأشعار جملة. وتوفي سنة تسع عشرة وستمائة.

أنشدني إبراهيم بن مسعود الشهرستاني، قال: أنشدني أحمد بن عثمان لنفسه من قصيدة أولها: [من الطويل]

أَلا هَلْ مُجيْري مِنْ غَرامٍ أُكابِدُ ... وَهَلْ يُقْصِرَنَّ اللَّوْمَ خِبٌّ مُعانِدُ
/١٠٠أ/ وَكَيْفَ أَعِي لِلْعَذْلِ في حُبِّ أَغْيَدٍ ... يَحُلُّ اصْطِبَاري وَهْوَ لِلْبَنْدِ عَاقِدُ

ورأيت له قصيدة يمدح بها الملك الرحيم بدر الدين أبا الفضائل ـ أعزّ الله أنصاره ـ [من الكامل]

لامَ العَواذِلُ في هَواكَ المُغْرَمَا ... أَوَ كَيْفَ لا أَصْبُو إِلَى ذاكَ اللَّمَى
دَنِفٌ يَبِيتُ بِكُمْ حَلِيفَ صَبابَةٍ ... لا يَسْتَفِيقُ مِنَ الغَرامِ تَأَلُّمَا
تَعْتادُهُ زَفَراتُ وَجْدٍ أَعْرَبَتْ ... عَنْ سِرِّ حُبٍّ لا يَزالُ مُكَتَّمَا
نامي الصَّبابَةِ لا يُصِيخُ لِعاذِلٍ ... فِيكُمْ وَيَعْصِي في الغَرامِ اللُّوَّمَا
قَلِقُ المَضاجِعِ لَمْ يَذُقْ طِيبَ الكَرَى ... يَصْبُو إِلَى وَصْلِ الحَبِيبِ تَتَيُّمَا
صَبٌّ يَحِنُّ إِذا تَأَلَّقَ بارِقٌ ... مِنْ نَحْوِ رامَةَ أَوْ أَضاءَ تَبَسُّمَا
وَيَهُزُّهُ طَرَبًا إِلَى أَرْضِ اللِّوَى ... ذِكْرَى تُعاوِدُهُ وَشَوْقٌ خَيَّمَا
فَلَعَلَّ أَيَّامًا مَضَتْ وَتَصَرَّمَتْ ... يَوْمًا تَعُودُ لَهُ بِسُكَّانِ الحِمَى
وَلَئِنْ تَعَذَّرَتِ المَطالِبُ أَوْ غَدا ... بابُ المَسالِكِ دُونَ قَصْدِيَ مُرْدَمَا
فَرَجاءُ بَدْرِ الدِّينِ يَكْفُلُ ضامِنًا ... وَيُجِيرُ مَلْهُوفًا وَيُغْنِي مُعْدِمَا
مَلِكٌ يُثِيبُ السّائِلِينَ فَحاتِمٌ ... مِنْ دُونِهِ وَالحِلْمِ أَحْنَفَ قَدْ سَمَا
مَوْلًى يَجُودُ عَلَى العُفاةِ بِما حَوَى ... أَبَدًا وَيَبْدَأُ بِالنَّوالِ تَكَرُّمَا
/١٠٠ب/ فَتَراهُ يَوْمَ الرَّوْعِ لَيْثًا باسِلًا ... شَرِسًا وَفي يَوْمِ النَّدَى بَحْرًا طَمَا
مُغْنِي الكُماةِ بِصارِمٍ مِنْ عَزْمِهِ ... قَبْلَ النِّزالِ وَبِالنِّضالِ إِذا رَمَى
وَمُجَدِّلُ الأَبْطالِ في يَوْمِ الوَغَى ... كَلْمَى وَجاعِلُ وِرْدِهِمْ عَلَقَ الدِّمَا
شَرُفَتْ بِهِ الحَدْباءُ إِذْ أَضْحَى بِها ... مَلِكًا فَعادَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُبْرِمَا
وَتَرَنَّحَتْ طَرَبًا وَقالَتْ صَبْوَةً ... وَزَهَتْ عَلَى كُلِّ البِلادِ بِهِ فَمَا

بَلَـدٌ يُضَـاهِيْهَـا فَقَـدْ أَضْحَـتْ بِـهِ ... فِـيْ فَخْرِهَـا كَالشَّمْسِ فِـيْ أُفُـقِ السَّمَـا
لاَ زَالَ فِـيْ عِـزٍّ وَسَـابِـغِ نِعْمَـةٍ ... مَـا حَـنَّ حَـادٍ فِـيْ الفَـلاَ وَتَـرَنَّمَـا

[٥٧]

أحمدُ بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن غازي بن خولةَ السلميُّ الشريديُّ، أبو جعفر الخُفافيُّ،

من ولد خفاف بن ندبةَ صاحب رسول الله ﷺ.

كانت ولادته بغرناطة ـ إحدىٰ بلاد الأندلس ـ في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. وخبرت أنه توفي بهراة سنة سبع عشرة وستمائة.

وكان محدثًا حافظًا طاف الآفاق، وجال البلدان في طلب الحديث /١٠١أ/ وسماعه. ثم مال إلىٰ الشعر، فامتدح به الملوك وسادات الناس؛ فحسنت حاله وأثرىٰ بعد الإملاق.

أنشدني أبو عبد الله الدُّبيثي، قال: أنشدني أبو جعفر لنفسه: [من الوافر]

إذَا مَـا الـدَّهْـرُ بَيَّتَنِـيْ بِجَيْـشٍ ... طَلِيْعَتُـهُ اهْتِمَـامٌ وَاكْتِئَـابُ
سَنَنْـتُ عَلَيْـهِ مِـنْ جَلَـدِيْ ... أَمَـراه الـذُّبَـالَـةُ وَالكِتَـابُ
وَبِـتُّ أُنُـصُّ مِـنْ شِيَـمِ اللَّيَـالِـيْ ... عَجَـائِـبَ فِـيْ حَقَـائِقِهَـا ارْتِيَـابُ
أُرِيْـعُ بِهَـا التَّسَلِّـيَ مُسْتَـرِيْحًـا ... وَلَيْـسَ عَلَـىٰ الـزَّمَـانِ بِهَـا عِتَـابُ

وقال يلغز باسم: [من مجزوء البسيط]

نَعَـتُّ مَـن ملكـت قِيَـادِيْ ... وَهَـامَ فِـيْ حُبِّهَـا فُـؤَادِيْ
تَـأْثِيْـرُ مَقْلُـوْبِـهِ عَظِيْـمٌ ... فِـيْ عَـالَـمِ الكَـوْنِ وَالفَسَـادِ
لَـوْ صَيَّـرَ العَيْـنَ فَـافِعَـل ... كَـانَ شَقَـائِـيْ مِـنَ الجَـوَادِ

وقال أيضًا ملغزاً: [من البسيط]

إِسْـمُ الَّـذِيْ بِـيَ إِنْ أَسْقَطْـتَ أَوَّلَـهُ ... إِحْـدَىٰ المَقُـوْلاَتِ فَـاصْدَعْ عَنْـهُ أَوْ فَحِـدِ
وَإِنْ نَطَقْـتَ بِمَـوْضُـوْعِ اسْمِـهِ خَبَـراً ... وَلاَ تُحَـاشِ مِـنَ الأَقْـوَامِ مِـنْ أَحَـدِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

/١٠١ب/ لِلْحُبِّ فِيْ أَنْفُسِ العُشَّاقِ مَنْزِلَةٌ ... طَرْفُ الخَلِيَّيْنَ مِنْهَا جِدُّ مَطْرُوْف
وَلِلْهَوَىٰ حَالَةٌ تَخْفَىٰ لَطَافَتُهَا ... إلاّ عَلَىٰ غَزِل بالظَّرْف مَوْصُوْف
لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الدُّنْيَا سِوَى كَلِف ... قَدْ سِيْمَ فِيْ الحُبِّ أَنْوَاعَ التَّكَالِيْف
لا وَالهَوَىٰ وَرِجَال بالهَوَىٰ عُرِفُوا ... وَلَيْسَ غَيْرُهُمُ عِنْدِيْ بِمَعْرُوف
لَوْلا مَرَارَةُ طَعْمِ الهَجْرِ مَا تَرَكَتْ ... حَلاَوَةُ الوَصْلِ قَلْبًا غَيْرَ مَشْغُوْفَ

وقال أيضًا: [من الكامل]

يَا رَاحِلِيْنَ وَمَا رَثَوا لِمُتَيَّمٍ ... ضَعُفَتْ حُشَاشَتُهُ عَنِ التَّوْدِيْعِ
بِنْتُمْ وَعَاقَ الصَّبَّ عَنْ تَشْيِيْعِكُمْ ... أَمْرانِ فَرْطُ ضَنًى وَفَرْطُ مَشِيْعِ[1]
قَسَمًا بِمَا فَعَلَتْ تَبَارِيْحُ الجَوَىٰ ... يَوْمَ الرَّحِيْلِ بِمُقْلَتِيْ وَضُلُوْعِي
لَوْلا حَرَارَةُ زَفْرَتِيْ يَوْمَ النَّوَىٰ ... شَرِقَتْ رَكَائِبُكُمْ بِفَيْضِ دُمُوْعِي

وقال يرثي البخاري محمد بن إسماعيل المحدث: [من الطويل]

سَقَىٰ جَدَثًا فِيْهِ البُخَارِيُّ ثَاوِيًا ... عِهَادُ الغَوَادِيْ صَيِّفٌ وَرَبِيْعُ
فَقَدْ نُصِبَتْ أَحْجَارُهُ فَوْقَ رُمَّةٍ ... لَهَا مَنْصِبٌ سَامٍ أَشَمُّ رَفِيْعُ
ضَرِيْحٌ بِأَدْنَىٰ الصِّيْنِ عَاطِرُ نَشْرِهِ ... بِأَقْصَىٰ بِلاَدِ المَشْرِقَيْنِ يَضُوْعُ
/١٠٢أ/ فَفِيْ كُلِّ نَجْدٍ فِيْ البِلاَدِ وَغَائِرٍ ... حَنِيْنٌ إِلَىٰ أَرْجَائِهِ وَنُزُوْعُ

[٥٨]
[أحمدُ بن محمد بن عمرَ الأزَجيُّ[2]]:

من أهلِ بغدادَ.

---

(١) مشيع: حقود.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٧٢، وفيه: «أحمد بن محمد بن عمر بن عبيد الله الأزَجي، أبو بكر المؤدب البغدادي، تفقه بالمدرسة الكمالية على أبي القاسم الفراتي الضرير غلام ابن الخلّ، وسمع الحديث الكثير من ابن كليب وأبي القاسم ذاكر بن كامل ويحيى بن بَوْش وأمثالهم. وسافر إلى الموصل وصحب شيخها عبد القادر الرهاوي وكتب بخطه كثيراً وتوفي سنة عشر وستمائة». ذيل الروضتين ص٨٤.
والأزَجي: نسبة إلى باب الأزَج: محلة كبيرة في شرقي بغداد. انظر: معجم البلدان ١/ ١٦٨.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادي بها، قال: أنشدني أحمد بن محمد لنفسه(١): [من الطويل]

أحِبَّةَ قَلْبي طَالَ شَوْقي إلَيْكُمُ ... وَعَزَّ دَوَائي ثُمَّ لَمْ يَبْقَ لي صَبْرُ

أحِنُّ إلَيْكُمْ وَالحَنِيْنُ يُذِيْبُني ... وَأشْتَاقُكُمْ عُمْرِيْ وَيَنْصَرِمُ العُمْرُ

فَوَاللهِ مَا اخْتَرْتُ البِعَادَ مَلاَلَةً ... وَلاَ عَنْ قِلًى يا سَادَتي فَلِيَ العُذْرُ

وَلكِنْ قَضَىٰ رَبِّي بِتَشْتِيْتِ شَمْلِنا ... لَهُ الحَمْدُ فِيْمَا قَدْ قَضَىٰ وَلَهُ الشُّكْرُ

[فَصَبْراً لَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... نَعُوْدُ كَمَا كُنَّا وَيَصْفُو لَنَا الدَّهْرُ](٢)

[٥٩]

أحمدُ بن هبة الله بن العَلاء بن منصور النحويُّ المخزوميُّ، أبو العباس بن أبَي المعالي البغَداديُّ، المعروفُ بابن الزاهد، يُنعت بالصَّدْر(٣):

من أهل قطيعة العجم، وسكن آخر عمره باب العامة.

أخذ علم النحو والأعراب عن جماعة من كبراء النحويين كأبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي، وبعده عَلىٰ أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري وغيرهما.

ورَوىٰ الحديث عن أبي البركات الأنماطي، وأبي العباس المندائي؛ وقرأ عليه جماعة واستفادوا منه. وكان أديبًا حاذقًا فاضلاً له شعر حسن.

وتوفي ببغداد يوم الإثنين ثالث عشر رجب سنة إحدىٰ عشرة وستمائة. وقد نيَّف علىٰ الثمانين، وقيل يوم الثلاثاء؛ وترك ستمائة دينار وزيادة يسيرة. وكان يسأل الناس إلىٰ أن مات وورثه زوجته وبيت المال ودفن بقرب مشهد. / ١٠٢ب/ عبيد الله،

---

(١) القطعة في الوافي ٨/ ٧٢.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤. المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥. إنباه الرواة ١/ ١٣٨. معجم الأدباء ٢/ ٥٢٨. بغية الوعاة ١/ ٣٩٥ رقم ٧٨٣. خريدة القصر ج٣ ق١ ص٢٥٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١٠ ـ ٦٢٠).

وتعرف بمقبرة دفين النذور.

فمن الشعر المنسوب إليه، قوله: [من الطويل]

فَمَا رُفِعَ الهِنْدِيُّ وَهْوَ حَدِيْدَةٌ ... عَلَىٰ التِّبْرِ إلاَّ ضَرْبُهُ بِالمَفَارِقِ
وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامُوْهُ بِالعِلْمِ لَمْ يَكُنْ ... وَجِيْهُهُمُ فِيْ حَلْبَةِ المَجْدِ لاَحِقِي

وقال أيضًا: [من البسيط]

فَعَرْبُدَتْ مِنْهُ ٱلْحَاظٌ مُعَوَّدَةٌ ... بِالفَتْكِ تُخْجِلُ بِيْضَ الهِنْدِ وَالأَسَلاَ
مَرَحًا تَهَزَّأُ بِالآرامِ لَوْ عَرَضَتْ ... لأَشْهَبَ كَسَبَتْ ٱلْحَاظُهُ كَحَلاَ

وكتب إلىٰ الحيص بيص، وقد توفيت زوجته يعزّيه: سيدي شهاب الدين أيده الله بقرين من الأناةَ، ومصاحب من صليب العزيمة خبراً لا دُعاءً متحصن بشكّتي بسالة وسداد يقيانه سهام الجَزَع، ويحميّانه وخز أسنة الأَسَف لنازحة فرطتْ إلىٰ الوِرَدَ الرّوي بجوار ذي الطَّوْل عزَّ وعلا[1].

[٦٠]

أحمدُ بن خالد بن محمدٍ، أبو العباس البغداديُ المُحَوّلي.

من باب المُحَوّل[2].

---

(١) بعد هذا الكلام جاءت هذه الترجمة وهي مشطوبة في الأصل ولغرض إتمام الفائدة وللأمانة العلمية نوردها هنا:

/ ١٠٣أ/ **أحمدُ بنُ الخليل الدهانُ الرقيُّ.**

كان من شعراء أهل الرقة، مطبوعًا متشيعًا، حسن التغزل، نزل حرّان وأقام بها.

وأنشدني سليمان بن بُليمان الصائغ الإربلي، قال: أنشدني أحمد ابن الخليل لنفسه: [من الكامل]

أقسُو عَلَيْهِ مكلّفًا وَيَرِقُّ لِي ... طَبْعًا وَأَدْعُو الغَيْرَ وَهْوَ يُجِيبُ
وَأَصُدُّ غضبانًا فَيُقْبِلُ رَاضِيًا ... عنّي فيصفيني الهوى فأَثُوبُ
وَأُغضُّهُ بالذّنْبِ مُختَلقًا لَهُ ... دربًا فَيَحْلِفُ صَادقًا وَيَتُوبْ
وَأَعِزُّ ثُمَّ يَذِلُّ ذِلَّةَ صَاغِرٍ ... وَيَرَىٰ الخَطَا فَيَقُولُ: أَنْتَ مُصِيْبُ
يَرجُو بِذَاكَ دَوَامَ أَسْرِي فِي الهَوَىٰ ... هَيهَاتَ شَأْنِي فِيْ هَوَاهُ عَجِيْبُ
قَسَمًا بِإِبْعَادِيْ لَهُ وَتَسَخُّطِي ... بِرِضَاهُ وَهْوَ عَلَىٰ البِعَادِ قَرِيْبُ
إنِّي وَإِبْعَادِيْ هَوَاه لَعَازِبٌ ... عَنْ طِفْلِهَا وَفُؤَادُهَا مَرْعُوبُ

كتبَ عنه د. مصطفى جَواد في مجلةَ البلاغ الكَاظمية، السنة الأولَىٰ، العدد الثامن ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص٨.

(٢) باب مُحَوّل: محلة كبيرة من محالّ بغداد، كانت متصلة بالكرخ، مشرفة على الصراة.

كان شيخًا ماجنًا فيه ظرف وكياسة، له أشعار يُظهر فيها تخالعًا، ويخلطها بالهزل. وكان متوليًا في أيام الناصر /١٠٣ب/ لدين الله ـ رضي الله عنه ـ المصالح.

أنشدني أبو الفضل هبة الله بن أبي بكر محمد بن شنيف الكتبيُّ البغداديُّ، قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن خالد المُحَوَّلي لنفسه: [من الكامل]

لمَّا رأَتْ شَيْبي وعزّه ولَّى وَقَدْ ... أوْدَىٰ وَمَا يُرْجَىٰ لَدَيْهِ قِيَامُ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ يَفْتُقُ طَعْنُهُ ... رَتْقَ الكساس وَدَأْبُهُ الإقْدَامُ
طَفِقَتْ تَلَمَّسُ شِلْوَهُ وَتَرَنَّمَتْ ... (يَا دَارُ مَا صَنَعَتْ بِكَ الأَيَّامُ؟)
أصْبَحْتَ مُلْقَىٰ فَوْقَ بَيْضِكَ مَيِّتًا ... لَمْ تَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ
ثُمَّ انْثَنَتْ مَقْرُوحَةً فَأَجَبْتُهَا ... مِنِّي عَلَيْكِ إلَىٰ المَعَادِ سَلاَمُ

[٦١]

أحمدُ بنُ عبد الواحد بن أبي الأصبغ الكاتبُ، أبو العباسِ المراكشيُّ اللخميُّ، المَعروفُ بابن الشريشيِّ.

عالم متقن بارع، أخذ في كل جنس من العلوم كالفقه والحديث والأدب والتفسير والطب والمنطق والنجوم والهندسة والأصولين والخلاف، ولم ير مثله في تفننه وكمال /١٠٢أ/ فضائله.

خرج عن وطنه، ونزل الديار المصرية، وهو بها مقيم يقرىء العلوم.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ المغربي الفقيه القسطنطيني، قال: أنشدني أبو العباس بن الشريشي لنفسه، وزعم أنه عملها بديهة: [من الطويل]

يُكَلِّفُنِي كِتْمَانَ أمْرِ صَبَابَتِي ... وَفِي مُقْلَتِي عُنْوَانُهَا وَدَلِيْلُهَا
وَيَخْشَىٰ عَلَيْهَا إنْ شُهِرْتُ بِحُبِّهَا ... مَقَالَةَ أهْلِ الحَيِّ أنِّي خَلِيْلُهَا
فَتَهْجُرُنِي وَالهَجْرُ لاَشَكَّ قَاتِلِي ... وَإنْ مُتُّ قَالُوا: إنَّ هَذَا قَتِيْلُهَا
وَقَالُوا: أمَا يُشْفَىٰ فُؤَادُكَ مِنْ جَوًى ... وَرُوحُكَ مِنْ بَلْوَىٰ يُذِيبُ غَلِيْلُهَا
وَأنْتَ قَدْ قِيْلَ فِي الطِّبِّ أوْحَدٌ ... تُبَاشِرُ أدْوَاءَ الوَرَىٰ وَتُزِيْلُهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: إنَّ الصَّبَابَةَ حُكْمُهَا ... مَعَ السُّقْمِ أنْ لاَ يَسْتَفِيقَ عَلِيْلُهَا

وَعِنْـــدِي إذًا حَـــدَّثْـــتُ نَفْســـيَ سَلْـــوَةً غَـــرَامٌ يُنَـــافِيْهَـــا وَشَـــوْقٌ يُحِيلُهَـــا
وَبَـــايَعْتُهَـــا طَـــوْعـــًا فَلَسْـــتُ أُقِيْلُهَـــا وَلَـــو أَنَّهَـــا جَـــارَتْ وَلاَ أَسْتَقِيْلُهَـــا

وقال: [من الكامل]

يَـــا نَـــاسِيـــًا يَسْعَـــى بِـــذَاكَ تَمَنُّعـــًا هَيْهَـــاتَ شَخْصُـــكَ فِـــيْ الفُـــؤَادِ مُقِيْـــمُ
سِـــرْ حَيْـــثُ شِئْـــتَ تَكَفَّلَـــتْ بِـــكَ لَـــوْعَـــةٌ طَيْـــرُ الفُـــؤَادِ بِهَـــا عَلَيْـــكَ تَحُـــوْمُ

/ ١٠٤ب/ وقوله من أبيات: [من مخلّع البسيط]

عُمْـــرُكَ يَـــا ذَا النُّهَـــىٰ قَصِيْـــرٌ فَـــاعْلَـــمْ وَإِنْ طَـــالَ إِذْ تَمَـــادَىٰ
يَـــزِيْـــدُ نَقْصـــًا إِنْ زِدْتَ يَـــوْمـــًا وَأَنْـــتَ تَفْنَـــىٰ بِـــأَنْ تُـــزَادَا

[٦٢]

أحمدُ بن مسعود بن محمدٍ، أبو العباسِ القرطبيُّ الخزرجيُّ(١).

كان إمامًا فقيهًا شافعيًا مدرسًا متفننًا في علوم كثيرة؛ وله اليد البيضاء في علم الحساب والفرائض والحديث وتفسير القرآن والقراءات والكلام والأصول مع معرفته باللغة والنحو والعروض وضروب الأدب.

وضع أرجوزة في الطب نحو ثمانمائة بيت، وصنف كتابًا آخر في الأصول نحو ثماني مُجلَّدات سمّاه «تقريب المطالب والقوانين في أصول الدين»، وله كتاب في النحو، وكتاب سمّاه «الاختيار في علم الأخبار».

نزل دنيسر وسكنها وانتفع بها أهلها واستفادوا منه، إلىٰ أن توفي بها سنة إحدى وستمائة.

أنشدني أبو العباس لنفسه من أبيات: [من الكامل]

---

(١) ترجمته في: بغية الطلب ٢/ ١١٤١، ونقل الترجمة في ٣/ ١١٤٣، والغصون اليانعة لابن سعيد ٥١ ونفح الطيب ٢/ ٦١٤ ـ ٦١٥، والمغرب لابن سعيد ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦، وتأريخ دنيسر ١١٤. التكملة لابن الأبار ص٧٢٤. صلة الصلة لابن الزبير ص١٧٧. شذرات الذهب ٤/ ٢٢٥. النجوم الزاهرة ٦/ ٦٦.

/ ١٠٥أ/ وَقَعَ المَلاَمُ مَوَاقِعَ الأَشْوَاقِ فَأَصَابَ فِيكَ مَقَاتِلَ العُشَّاقِ
ذِكْرُ فَدَيْتُكَ يَا عَذُولُ مُعَاتِبًا إِنَّ التَّذَكُّرَ رَاحَةُ المُشْتَاقِ

ومنها:

جَارَتْ عَلَيْهِ الرَّاحُ وَهْوَ مُحَادِثِي فَكَبَا وَأَطْرَافُ الحَدِيثِ بَوَاقِي

ومن مديحها:

مَا جَادَ حِرْصًا أَنْ يُقَالَ: هُوَ الجَوَادُ وَلاَ تَوَقَّفَ خَشْيَةَ الإِمْلاَقِ
لَكِنَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ عَالِمًا بِمَوَاقِعِ الإِمْسَاكِ وَالإِطْلاَقِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أَرَىٰ نَفَحَاتِ الرَّوْضِ جَاءَتْ بِرَيَّاكُمْ لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ مَرَّ بِمَغْنَاكُمْ
إِذَا مَا شَمَمْنَاهَا طَرِبْنَا كَأَنَّنَا نَشَاوَىٰ فَعَلَّلْنَا القُلُوبَ بِذِكْرَاكُمْ
يُذَكِّرُنِي عَرْفُ الصَّبَا زَمَنَ الصِّبَا فَأَرْتَاحُ لِلذِّكْرَىٰ ٱرْتِيَاحِيَ لِلُقْيَاكُمْ
أَلاَ ضَوَّعُوا ذَيْلَ النَّسِيمِ بِنَشْرِكُمْ وَحَيُّوا لِتُحْيُوا فِي الهَوَىٰ بَعْضَ قَتْلاَكُمْ
وَإِلاَّ ٱئْذَنُوا لِي فِي الكَرَىٰ عَلَّ طَيْفَكُمْ يَزُورُ فَحَقٌّ أَنْ تُعِينُوا مُعَنَّاكُمْ
تَمَثَّلْتُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِنَاظِرِي فَحَيْثُ التَفَتْنَا أَوْ نَظَرْنَا رَأَيْنَاكُمْ
وَكُنْتُ أُمَنِّي النَّفْسَ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ تَصَبُّرَهَا عَنْكُمْ إِلَىٰ حِينِ لُقْيَاكُمْ
/ ١٠٥ب/ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الصَّبْرَ عَنْكُمْ يَخُونُنِي وَأَنَّ مُنَىٰ الآمَالِ أَنْ أَتَمَنَّاكُمْ

قال أبو الفتح مسعود النقاش أنشدني أحمد بن مسعود لنفسه في يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ستمائة بظاهر حلب: [من الطويل]

أُعَانِقُهُ غُصْنًا وَأَلْثِمُهُ بَدْرًا وَأَرْشُفُ وَهْنًا مِنْ لُمَىٰ فَمِهِ خَمْرَا
وَأَهْصِرُ مِنْهُ حِينَ تَثْنِيهِ نَشْوَةٌ تَهَادَتْ بِهِ تِيهًا وَمَاسَتْ بِهِ سُكْرَا
بِتِمْثَالِ نُورٍ فِي ظَلاَمِ ذَوَائِبٍ إِذَا مَا تَوَارَتْ شَمْسُهُ أَطْلَعَ البَدْرَا

ومنها:

وَنَمَّتْ بِنَا فِي اللَّيْلِ أَنْوَارُ وَجْهِهِ فَمَدَّ عَلَيْنَا مِنْ ذَوَائِبِهِ سِتْرَا

وقال من أبيات: [من مجزوء الكامل]

رَاضٍ بِحُكْمِ هَوَاكَ وَاجِدْ فَعَلاَمَ أَنْتَ عَلَيَّ وَاجِدْ

مَـــا كَـــانَ لِـــيْ ذَنْـــبٌ سِـــوَىٰ ... أَنِّـــي سَهِـــرْتُ وَأَنْـــتَ رَاقِـــدْ

أنشدني أبو الحسن علي بن يوسف /١٠٦أ/ بن محمد بن الصفار المارديني الشاعر، قال: أنشدني أبو العباس الخزرجي لنفسه[1]: [من الوافر]

وَفِـي الـوَجَنَـاتِ مَـا فِـيْ الـرَّوْضِ لكِـنْ ... لِـرَوْنَـقِ زَهْـرِهَـا مَعْنًـىٰ عَجِيْـبُ

وَأَعْجَـبُ مَـا التَّعَجُّـبُ مِنْـهُ أَنِّـي ... أَرَىٰ البُسْتَـانَ يَحمِلُـهُ قَضِيْـبُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو العباس لنفسه: [من الرجز]

يَـا ظَبْـيَ سِنْجَـارَ أَمَـا تَـرْثِـي لِمَـنْ ... قَـدْ صَـارَ مِـنْ أَجْلِـكَ فِـيْ كَـفِّ الأَجَـلْ

قَـدْ كَـانَ مَشْغُـولاً بِـدَرْسِ عِلْمِـهِ ... فَـالْيَـوْمَ لاَ عِلْـمٌ بَقِـيْ وَلاَ عَمَـلْ

[٦٣]

أحمدُ بن محمد بن المظفرِ المختار، أبو العباسِ الرازيّ.

كان من أهل الفقه والعلم فاضلاً شاعراً. وكان بعد الستمائة.

وجدت له أشعاراً في مدح الأئمة الراشدين والخلفاء المهديين ـ رضي الله عنهم ـ فأثبتها ونقلتها من خط يده، من ذلك قوله في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: [من الوافر]

/١٠٦ب/ أَبُـو بَكْـرٍ قَـدِ ٱبْتَكَـرَ العُـرُوبَـهْ ... وَعَـنْ غَيْـرِ الهُـدَىٰ ٱخْتَـارَ العُـزُوبَـهْ

مُـوَالِيْـهِ عَـزِيْـزٌ فِـيْ البَـرَايَـا ... وَفِـيْ العُقْبَـىٰ لَـهُ خَيْـرُ المَثُـوبَـهْ

وَمَنْهَلُـهُ لأَهْـلِ الحَـقِّ وِردٌ ... فَشَـتْ فِيْـهِ الفـروقـةُ وَالعُـذُوبَـهْ

وَشَـانِئُـهُ ذَلِيْـلٌ كُـلَّ حِيْـنٍ ... وَفِـيْ الـدَّارَيْـنِ يُبْلَـىٰ بِـالعُقُـوبَـهْ

وقال أيضًا في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: [من الوافر]

لَقَـدْ عَمَـرَ الهُـدَىٰ عُمَـرُ التَّقِـيُّ ... وَعِنْـدَ العَـالَمِيْـنَ هُـوَ الـرَّضِـيُّ

لِـرَوْضِ الحَـقِّ مَنْطِقُـهُ وَلِـيٌّ ... وَللهِ العَلِـيِّ هُـوَ الـوَلِـيُّ

بَكَـىٰ مِـنْ خَشْيَـةِ الـرَّحْمَـانِ دَهْـراً ... وَمَـا يَـدُهُ لَـدَىٰ النُّعْمَـىٰ بَكِـيُّ

(١) البيتان في الغصون اليانعة ص٥٤، ونفح الطيب ٢/ ٦١٥، والمغرب ١/ ١٣٦، وبغية الطلب ٢/ ١١٤٣، وتأريخ دنيسر ص١١٦.

خفيٌّ في الدِّين بارقُه وضوحًا ... وَمَا في الحقِّ حُجَّتُه خفيُّ

وقال أيضًا في عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: [من البسيط]

عَفَا الإلَهُ بعُثْمَانَ بن عفَّانا ... ذُنُوبَنَا وعَن النِّيرَان أعْفَانا

منهُ المَلاَئكَةُ اسْتَحْيَتْ معظَّمَةً ... فَاسْتَحْي يَا جَاهلاً عَنْ بُغْض عُثْمَانَا

هَذَا الَّذيْ جَمَعَ القُرآنَ أجْمَعَهُ ... وَاسْتَشْهَدُوْهُ لَدَىٰ القُرآن عُدْوَانَا

قَدْ فَرَّقَ المَالَ فيْ الخَيْرَات قَاطبَةً ... فَحَازَ منْ رَبِّه بالجُوْد رضْوَانَا

وقال في علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: [من الوافر]

/١٠٧أ/ عَليٌّ سَيِّدُ الأبْرَار طُرًّا ... عَليٌّ فيْ العُلاَ قَدْ كَانَ بَحْرَا

عَليٌّ أشْجَعُ الشُّجْعَان حَقًّا ... عَليٌّ أوْسَعُ الأحْرَار صَدْرَا

به جُبرَ الكَسيْرُ فَلاَ كَسيْرٌ ... كَمَا كُسرَتْ به الأصْنَامُ كَسْرَا

تَمَسَّكْ وَاعْتَصمْ بهَوَىٰ عَليٍّ ... تَصرْ يَا عَبْدُ فيْ الدَّارَيْن حُرَّا

وهذا أحمد بن المختار أبو العباس الفقيه الحنفي الرازي الصوفي المفسر قدم دمشق. وكان يفسر القرآن علىٰ المنبر بجامعها.

ثم رحل عنها متوجهًا إلىٰ بلاد الروم، وتولّىٰ بها القضاء والتدريس، وسمع الحديث الكثير بنفسه من ابي المعالي عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل العرادي، وبدمشق من أبي اليمن الكندي، وأبي المعالي محمد بن موهوب بن البنا.

أنشدني الشيخ الحافظ العالم نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العربي أبي طالب الشيباني الصفار الشافعي، بحضرة شيخ الشيوخ صدر الدين بن برناطة، قال: أنشدني أبو العباس لنفسه: [من السريع]

تَفَقُّدُ السَّادَات خُدَّامَهُمْ ... مكْرُمَةٌ لاَ تَنْقُصُ السُّؤْدَدَا

هَذَا سُلَيْمَانُ عَلَىٰ مُلْكه ... قَدْ قَالَ: «مَا ليْ لاَ أرَىٰ الهُدْهُدَا»[1]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ سورة النمل، الآية ٢٠.

[٦٤]

/١٠٧ب/ أحمدُ بنُ عليِّ بن بختيار بن عبد الله، أبو القاسمِ البغداديُّ.

كان من أهل الفضل والمعرفة؛ شاعراً متأدّبًا أشعاره فيها ضعف، ومعظمها في الألغاز.

لقيته بمدينة السلام ـ شيخًا كبيراً ـ برباط أبيه بدرب المقبرة؛ وهو رجل خير صالح ذو دين وعفاف، فاستنشدته هذه الأبيات [فأنشدها، وسألته عن ولادته، فقال: ولدت في سنة خمس وخمسين وخمسمائة][1] كتبها إلىٰ الشيخ أبي عبد الله بن الدُّبيثي: [من البسيط]

مَاذَا يَقُولُ جَمَالُ الدِّيْنِ لاَ بَرِحَتْ ... آرَاؤُهُ فِي لَيَالِي دَهْرِهِ شُهُبَا

فِيْ مُسْلِمٍ شَافِعِيٍّ ظَلَّ مُكْتَتِبًا ... بِغَادَةٍ تُخْجِلُ الأَغْصَانَ وَالكُثُبَا

مَا زَالَ يَلْطُفُ فِيْ الأَيَّامِ مُجْتَهِداً ... حَتَّىٰ رَأَىٰ خَلْوَةً يَقْضِيْ بِهَا إِرَبَا

هَلْ أَنْ يَرَىٰ مَا رَأَىٰ دَاوُدُ مُعْتَمِداً ... يَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ أَوْ يَحْذَرُ العَطَبَا

وَرَأْيُ دَاوُدَ أَنَّ العَقْدَ مُنْفَرِدٌ ... يَقْضِي بِصِحَّتِهِ فَاسْلَمْ وَدُمْ حِقَبَا

فأجابه أبو عبد الله:

بِزِيَارَةٍ مِمَّنْ حَوَىٰ الأَدَبَا ... وَالعِلْمَ وَالفَضْلَ وَالإِفْضَالَ وَالرُّتَبَا

لاَ زَالَ فِيْ نِعْمَةٍ تَصْفُو مَشَارِبُهَا ... مُبَلَّغاً سُؤْلَهُ مُسْتَنْفِداً حِقَبَا

/١٠٨أ/ وَقَفْتُ مِنْهَا عَلَىٰ دُرٍّ شُدِهْتُ لَهُ ... وَحِكْمَةٍ أَعْجَزَتْ سَحْبَانَ إِذْ خَطَبَا

وَقُلْتُ لاَ غَرْوَ إِنْ بَحْرٌ طَمَا فَلَكَمْ ... مِنْ مِثْلِهَا لِصَفِيِّ الدِّيْنِ إِنْ طَلَبَا

وَالحُكْمُ مِنِّيَ أَنَّ العَقْدَ مُفْتَقِرٌ ... إِلَىٰ وَلِيٍّ وَإِشْهَادٍ لِمَنْ رَغِبَا

فَإِنْ تَرَخَّصَ هَذَا الشَّخْصُ مُعْتَمِداً ... خِلاَفَ مَذْهَبِهِ فَالحَدُّ لَنْ يَجِبَا

لِسُنَّةٍ قَالَهَا دَاوُدُ مُنْفَرِداً ... إِنَّ النِّكَاحَ بِلاَ إِشْهَادَ قَدْ ذَهَبَا

خُذِ الجَوَابَ وَدُمْ فِي العِزِّ مُرْتَقِبًا ... مَا لاَحَ نَجْمٌ وَحَنَّ الصَّبُّ أَوْ طَرِبَا

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[٦٥]

أحمدُ بن محمدِ بن عليٍّ، أبو الفضلِ القاشانيُّ:

نزيلُ هَمَدانَ.

كان منَ الفقهاء الحنفية أصوليًا عارفًا بالمسائل الخلافية حافظًا من الأشعار جملة؛ شاعراً باللسانين، منشئًا للرسائل، ويكتب خطًا في نهاية الحسن والملاحة ما يعجز عن نظيره أبناءُ زمانه. وكان صاحب سخاء ومروءة. ومات بهمذان سلخَ ذي القعدة سنة تسع عشرة وستمائة.

أنشدني من شعره ابنه أبو بكر إسحاق ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بمدينة السلام بالمدرسة /١٠٨ب/ التتشية في سنة اثنتين وعشرين وستمائة، هذه القصيدة عن أبيه؛ ثم نقلتها من خطِّ ناظمها يمدح بها بعض رؤساء همذان: [من الوافر]

بِحَمْدِ اللهِ حُصِّلَتِ المَآرِبْ ... وَنِلْتَ مِنَ العُلاَ أَسْنَىٰ المَرَاتِبْ

هَنِيئًا لِلْمَعَالِي مِنْكَ مَجْدٌ ... تَلاَشَىٰ عِنْدَ مَنْصِبِهِ المَنَاصِبْ

تَرَفَّعَ فِي مَرَاقِي العِزِّ حَتَّىٰ ... تَسَنَّمَ هَامَةَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبْ

أَفَضْتَ عَلَىٰ الوَرَىٰ عَدْلاً وَبَذْلاً ... فَيَا لَكَ مِنْ فَتًى حَاوِي المَنَاقِبْ

بِعَارِفَةٍ لَهَا فَوْحٌ كَمِسْكٍ ... حَوَىٰ رَيَّاهُ أَجْنِحَةَ الجَنَائِبْ

يُجَالِيكَ الغَمَامُ إِذَا تَرَاخَتْ ... عَزَالِيهِ بِأَنْوَاءٍ سَوَاكِبْ

وَظَنَّ . . . . . أَنَّهُمُ حَقِيقٌ ... بِحِفْظِ المُلْكِ أَوْ كَشْفِ الحَوَازِبْ

تَمَكَّنَ فِي دِمَاغِهِمُ التَّمَنِّي ... وَفِيمَا يَعْشَقُونَ لَهُمْ مَذَاهِبْ

فَلَمَّا طَالَعُوكَ أَقَرَّ كُلٌّ ... بِسَبْقِ عُلاَكَ فِي نَيْلِ المَطَالِبْ

سَبَقْتَ العَالَمِينَ وَلاَ عَجِيبٌ ... فَمَا لَكَ فِي المَعَالِي مِنْ مُنَاسِبْ

لِدَوْلَتِكَ الَّتِي طَابَتْ وَدَامَتْ ... عَلَىٰ اللهِ الرِّعَايَةُ فِي المَصَاعِبْ

شَأَوْتَ النَّاسَ مَكْرُمَةً وَفَضْلاً ... وَعُدْتَ مُبَرّأً مِنْ قَدْحِ عَائِبْ

هُوَ الصَّدْرُ الَّذِي يُرْجَىٰ لَدَيْهِ ... إِغَاثَةُ صَارِخٍ عِنْدَ النَّوَائِبْ

/١٠٩أ/ تَلُوذُ بِظِلِّهِ زُمَرُ الرَّعَايَا ... وَتَمْشِي تَحْتَ مَوْكِبِهِ المَوَاكِبْ

وَفِيكَ فَضَائِلٌ يَكْفِيكَ ... بَلَىٰ يُغْنِي العِيَانُ عَنِ التَّجَارِبْ

لَـــهُ لَفْـــظٌ وَأَيْــــنَ الشَّهْـــدُ مِنْـــهُ ... فَيَغْـرَقَ فـي الحِجَـىٰ لَـهُ مِنْـهُ صَاحِـبْ
يُكَشِّـــفُ بِشْـــرُهُ جُنْـــحَ اللَّيَـــالِـــي ... مَتَـــىٰ يَبْـدُو لِبَـــدْرٍ فـــيْ الغَيَـــاهِـــبْ
سَحَـــابُ نَـــوَالِـــهِ مِـــنْ غَيْـــرِ مَطْـــلٍ ... يَفِيْـضُ عَلَـــىٰ الأَقَـــارِبِ وَالأَجَـــانِـــبْ
بَنَـــى العَلْيَـــاءَ عَـــالِيَـــةً ذُرَاهَـــا ... وَهَـــلْ لِلْمَكْـــرُمَـــاتِ سِـــوَاهُ كَـــاسِـــبْ
يُفَـــرِّجُ فِكْـــرُهُ إِنْ عَـــنَّ خَطْـــبٌ ... بِـــرَأْيٍ فِـــيْ أُمُـــوْرِ المُلْـــكِ صَـــائِـــبْ
لَـــهُ قَلَـــمٌ وَأَيْـــنَ السَّيْـــفُ مِنْـــهُ ... فَقَـــدْ يُغْنِـــي الكِتَـــابُ عَـــنِ الكَتَـــائِـــبْ
لِـــذِيْ القَـــرْنَيْـــنِ فِـــيْ ظُلُمَـــاتِ نَفْـــسٌ ... يُخَـــوِّضُ تَـــارَةً كَـــالشَّمْـــسِ غَـــارِبْ
فَمَشْـــرَبُ مَـــائِـــهِ كَـــدِرٌ وَلَكِـــنْ ... يُصَفِّـــي بِـــالعَطِيَّـــاتِ المَشَـــارِبْ
سُطُـــوْرُ سَـــوَادِهِ كَـــاللَّيْـــلِ أَمَّـــا ... مَعَـــانِيْـــهِ المُضِيئَـــةُ كَـــالكَـــوَاكِـــبْ
حَبَـــاكَ اللهُ مِـــنْ نُعْمَـــاهُ جَـــاهـــاً ... تَمَنَّتْـــهُ الأَعَـــاجِـــمُ وَالأَعَـــارِبْ
مَحَلُّـــكَ شَـــامِـــخٌ وَالقَـــدْرُ عَـــالٍ ... وَفَضْلُـــكَ بَـــاهِـــرٌ وَالجَـــدُّ غَـــالِـــبْ

[٦٦]

أحمدُ بن ظفر بن محمد /١٠٩ب/ بن هبيرةَ بن سعيد بن الحسن بن أحمدَ بن الحَسن بن الجهمِ بن عمرَ بن هبيرةَ ابن عمران بن الحوفزان ـ وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن قيس بن شُرَحْبيْل ابن مرّةَ بن همام بن مرّةَ بن ذهلِ بن شيبانَ بن ثعلبةَ بن الحصَن بن عكابةَ بن صعب بن عليٍّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصىٰ بن دُعمي بن جديلةَ ابن أسد بن نزار بن معد بن عدنانَ، أبو الفتح بن أبي المنذر البغداديُّ (١).

كان جدُّه الوزيرَ عون الدين يحيىٰ بن هُبيرةَ.

وأبو العباس كان أمثل أسرته أدبًا وفضلاً وفصاحة ونبلاً، شاعراً له حظ من علم النحو والعربيـة. وانتـدب لإنشـاء مقـامـات فصنـع مقـامـات حـذا فيهـا حـذو مقـامـات

(١) ترجم المؤلف لابن أخيه (عمر بن علي بن محمد بن الوزير أبي المظفر يحيى.... الشيباني) في الجزء الخامس برقم ٥٥٠.

الحريري؛ وهي تسع عشرة مقامة. وخبرت أنه أنشأها في مدّة تسعة عشر يومًا.

وكان حاجب الباب في أيام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ وأمور القضاء عائدة إليه. وكذلك أمور المنائر وغيرها. وخدم المستنجد بالله والمستضيء بأمر الله.

/ ١١٠أ/ ولم يزل منتدبًا في هذه المدد إلى الرتب الجسيمة والمقامات النبيلة، مع احترام الجانب ووفور المنزلة. وتوفي في أيام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ.

قال أبو عبد الله الدبيثي في مذيَّله: من بيت مشهور بالتقدم والولاية. وكان فيه فضل وتميّز، وله معرفة بالأدب. تولى حجابة النوبى في أواخر المحرم سنة ثمانين وخمسمائة، إلى أن عزل يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

ثم تولّى الإشراف ببعض البلاد المزيدية، وخرج إليها وأقام بها، وقد سمع الحديث من ابي الوقت لمّا قرىء عليه بمجلس جدّه، وأبي الفضل فاخر وغيرهما.

سمع منه أبو عبد الله الدُبيثي، وسأله عن ولادته، فقال: ولدت يوم الإثنين خامس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. وتوفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من المحرم سنة عشرين وستمائة. ودفن يوم الجمعة بباب البصرة عند جدّه الوزير ابي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة غربي بغداد.

أنشدني أبو الفضل عمر بن علي / ١١٠ب/ ابن محمد بن الوزير يحيى بن هبيرة، قال: أنشدني ابن عمي أحمد بن ظفر لنفسه: [من المنسرح]

لَا ضَمَّنِي اللَّيْلُ فِي غَيَاهِبِهِ ... وَلَا ٱسْتَقَلَّتْ بِيَ السَّلَاهِيْبُ
وَلَا أَثَرْتُ الثَّرَىٰ بِمُصْطَدِمٍ ... حَتَّىٰ يُرَىٰ الصُّبْحُ وَهْوَ غِرْبِيْبُ
وَلَا تَرَكْتُ العَدُوَّ مُرْتَفِقًا ... يَأْوِيْ إِلَيْهِ الضِّبَاعُ وَالذِّيْبُ
إِنْ كَانَ يَعْرَى لِرَسْمِهَا طَلَلٌ ... إِلَّا وَدَمْعِيْ لَهُ جَلَابِيْبُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه مما ضمّنه في كتاب المقامات من إنشائه:

[من الكامل]

دَعْ مَا تُؤَمِّلُ مِنْ زَمَانٍ فَاسِدِ ... وَصُنِ الشِّكَايَةَ عَنْ صَدِيْقٍ عَائِدِ

وَاصْبِرْ فَلِلأَيَّامِ جَوْلَةُ بَاطِلٍ ... تُغْرِي بِسَفْكِ دَمِ الوَلِيِّ العَابِدِ
غَيْرِ البَدِيْعِ إِذَا رَمَى بِمَقَاصِدٍ ... مَوْفُورَةِ الأَقْسَامِ أَوْ بِمَكَائِدِ
حَرْبٌ لِذِي الخَطَرِ الكَبِيْرِ وَمَتْجَرٌ ... رَغْدُ الأَمَانِي لِلجَهُوْلِ الهَامِدِ
تَبًّا لَهُ مَا حَلَّ يَوْمًا عُقْدَةً ... مِنْهُ فَفَاتَتْهَا يَدٌ مِنْ عَاقِدِ
يُعْطِيْكَ وَهْوَ إِلَىٰ سِلابِكَ مُسْرِعٌ ... وَيُرِيْكَ صَفْحًا وَهْوَ كُلُّ القَاصِدِ
وَبِنَيْلِ صَفْوِ مَشَارِبٍ مِنْ دُوْنِهَا ... . كَفُّ الهمام ......
/ ١١١أ/ فَهِبَاتُهُ كَهِبَاتِ أَحْلامِ الكَرَىٰ ... مَلأَتْ يَدَيْكَ وَأَنْتَ عَيْنُ الفَاقِدِ
وَبُرُوْقُهُ مَا إِنْ تَرَىٰ فِي غَيْمِهَا ... إِلَّا سَرَابًا لامِعًا لِلرَّائِدِ
وَتَرَاهُ مُعْتَذِرًا إِلَيْكَ وَرُبَّمَا ... شَابَ المَقَالَ بِمُحْكَمَاتِ أَوَابِدِ
وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ وَغَلْطَةٌ ... أَنْ لا تَرَىٰ وَلَدًا شَبِيْهَ الوَالِدِ

[٦٧]

أحمدُ بن عبد اللطيف بن بدل، أبو الفضلِ القاضي التبريزيُّ.

كان يتولّىٰ قضاء أهْر من بلاد أذربيجان[١]. وكان من الفقهاء الأدباء العلماء الفطناء؛ له معرفة بالتفسير والحديث وعلم الكلام والأدب والشعر.

أنشدني الفقيه أبو بكر بن الخطيب جبرئيل بن عبد الجليل الأهري، قال: أنشدني القاضي أحمد بن عبد اللطيف لنفسه ما كتبه إلىٰ شمس الدين الدهسّان يلتمس منه شرح «عيون الحكمة» فلم يجبه إلىٰ ما سأل. وكان لشمس الدين هذا ولد اسمه المرتضى: [من المتقارب]

أَيَا قُرَّةَ العَيْنِ لِلْمُرْتَضَىٰ ... لَكَ المُرْتَضَىٰ قُرَّةٌ لِلْعُيُوْنْ
/ ١١١ب/ وَيَا مَنْ بِفَضْلِكَ قَرَّتْ عُيُوْنٌ ... أَقِرَّنَّ عَيْنِي بِشَرْحِ العُيُوْنَ

وأنشدني، قال: أنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة كتبها إلىٰ مسعود المراغي:

[من الطويل]

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ٢٨٣.

وَلَـوْ مَـا سَـوَادُ اللَّيْـلِ جَـازَ تَحُـوزُهُ ... يَـدَاهُ لأَفْنَـى فـي بَيَـاضِ نَهَـارِ
فَيَـا دَهْـرُ لاَ تُنْكـرْ مَقَـالـيْ وَلاَ تَقُـلْ ... يَمِيْـنٌ وَسَـاعِـدٌ كَفُّـهُ بِيَسَـارِ

وقال: [من الوافر]

تَبَـدَّى وَجْهُهَـا تَحْـتَ اللِّثَـامِ ... كَمَـا يَبْـدُو الهِـلاَلُ مِـنَ الغَمَـامِ
فَحَيَّـتْ إِذْ تَبَـدَّتْ بِـالسَّـلاَمِ ... وَأُحْيَـتْ إِذْ أَشَـارَتْ بِـالسَّـلاَمِ
وَهَـبَّ نَسِيْـمُ رَيَّـاهَـا فَهَبَّـتْ ... عُيُـونٌ نَـاعِسَـاتٌ مِـنْ مَنَـامِ
وَرَاقَـتْ وَأَشْـرَقَـتْ ثُـمَّ رَقَّـتْ ... لِمَـا بَيْـنَ الضُّلُـوعِ مِـنَ الضِّـرَامِ
وَخَصَّتْنِـيْ بِعَطْـفٍ بَعْـدَ عَطْـفٍ ... فَـزَادَتْ فِـيْ الغَـرَامِ عَلَـىٰ الغَـرَامِ

وقال: [من الطويل]

خَلِيْلَـيَّ إِنِّـي قَـدْ شُغِفْـتُ بِغَـادَةٍ ... تَبَـدَّتْ لَنَـا تَخْتَـالُ بَيْـنَ غَـوَانِـي
بِفَـاتِـرَةِ الأَجْفَـانِ فَـاتِنَـةِ الصِّبَـا ... صَقِيْلَـةِ مِـرْآةِ العِـذَارِ حَصَـانِ
خَفِيْفَـةِ مَـا دُوْنَ الـوُشَـاحَيْـنِ بَضَّـةٍ ... ثَقِيْلَـةِ مَـا تَحْـتَ الإِزَارِ رَدَانِ
/ ١١٢أ/ أَعَدَّتْ سِنَانَ اللَّحْظِ لِلْقَتْلِ عِدَّةً ... لِيَـوْمِ طِعَـانٍ لاَ لِيَـوْمِ طِعَـانِ
تَسَـابَـقَ قَـرْنَـاهَـا إِلَـىٰ حَـدِّ سَـاقِهَـا ... فَصَـارَا عَلَـىٰ الخَلْخَـالِ يَلْتَـوِيَـانِ
عَفَـوْتُ لَهَـا حِيْـنَ ٱبْتُلِيْـتُ بِحُبِّهَـا ... وَكَـمْ لِلْهَـوَىٰ كَـالعَـامِـرِيِّ عَـرَانِـيْ
وَفِـيْ القَلْـبِ أَنْ أَفْـدِيْ بِـرُوْحِـيَ مَبْسِمًـا ... عَـنِ الـدُّرِّ مُعْتَـزًا كَمَـا تَـرَيَـانِـيْ
وَيَـا جَبَلَـيْ نَعْمَـانَ وَاصَلْـتُ فِيْكُمَـا ... لَـدَىٰ الـدَوْحَـةِ الخَضْـرَاءِ أُمَّ أَبَـانِ
وَعِنْـدَكُمَـا غَـازَلْتُهَـا فَسُقِيْتُمَـا ... حَيَـا دِيْمَـةٍ يَـا أَيُّهَـا الجَبَـلاَنِ

وقال: [من الطويل]

حَمَـائِـمُ وُرْقٌ قَـدْ هَتَفْـنَ سُحَيْـرَةً ... فَهَيَّجْـنَ لِـيْ شَـوْقًـا إِلَـىٰ سَـاكِنِي نَجْـدِ
سَلَبْـنَ سُلُـوِّيْ وَٱجْتَلَبْـنَ مَـدَامِعِـي ... وَذَكَّـرْنَنِـيْ مَـا قَـدْ نَسِيْـتُ مِـنَ الـوَجْـدِ
تَـذَكَّـرْتُ مِـنْ شَـدْوِ الحَمَـائِـمِ بِـالنَّقَـا ... نَقَـا رِدْفِهَـا يَـرْتَـجُّ فِـيْ حُلَّـةِ البُـرْدِ
وَمِنْ ضَوْءِ بَدْرِ التَّمِّ فِيْ حِنْدِسِ الدُّجَى ... سَنَـى وَجْهِهَـا الـوَضَّـاحِ فِـيْ كُلَّـةِ المَهْـدِ
تَمَـايُـلُ غُصْـنِ البَـانِ شِبْـهُ ٱخْتِيَـالِهَـا ... لَـوْ ٱنْشَـقَّ غُصْـنُ البَـانِ عَـنْ لِمَّـةِ الـوَرْدِ
عَلَـىٰ نَقَـوَيْ وَادِي الأَرَاكِ بِـذِيْ الغَضَـا ... تَقَضَّـتْ لِـيَ الأَيَّـامُ فِـيْ عِيْشَـةٍ رَغْـدِ

تُغَازِلُنِي سُعْدَى سَعِدْتُ بِوَصْلِهَا ... . الأَسْنَانِ مَصْقُولَةِ الخَدِّ
سَقَتْنِيَ شِفَاهَا مِنْ نَمِيرِ شِفَاهِهَا ... أَلَذَّ مِنَ السَّلْسَالِ فِي . . . . الشَّهْدِ
/ ١١٢ب/ عَهِدْتُ بِهَا عَهْدًا نَعِمْتُ بِوَصْلِهَا ... سَقَى اللهُ ذَاكَ العَهْدَ مِنْ صَيِّبِ العَهْدِ
أَأَنْسَى بِطُولِ العَهْدِ [عَهْدَ] أَحِبَّتِي ... وَلَسْتُ بِنَاسِي العَهْدَ طَالَ بِهِ عَهْدِي

وقال: [من الطويل]

لَهَا اللهُ مِنْ خَوْدٍ تَمِيسُ كَأَنَّهُ ... قَدِ اعْتَوَرَتْهَا شَمْأَلٌ وَجَنُوبُ
طَوَتْ كَشْحَهَا عَنِّي لِتُعْرِضَ فَانْطَوَتْ ... عَلَى النَّارِ مِنِّي أَضْلُعٌ وَجُنُوبُ

وقال مُعرِّضًا ببعض تلامذته: [من الطويل]

وَلَسْتُ وَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنِّي مُضَيِّعًا ... حُقُوقِيَ إِضْلَالَ الأَنَامِ عَنِ الحَقِّ
بِأَوَّلِ ثَانٍ عِطْفَهُ لِيُضِلَّ عَنْ ... مُنَادٍ سَبِيلَ اللهِ قَاطِبَةَ الخَلْقِ

وكتب من صدر كتاب إلى جلال الدين الخواري: [من الكامل]

رِيحَ الصَّبَا هُبِّي عَلَى صَوْبِ الحِمَى ... تَشْفِي لِقَلْبِي بِالهُبُوبِ غَلِيلَا
. . . . لُطْفًا بِرِقَّةِ دَمْعَةٍ ... وَجَدَتْ عَلَى الخَدِّ الأَسِيلِ مَسِيلَا
وَتَحَمَّلِي مِنِّي تَحِيَّةَ مُدْنَفٍ ... قَدْ ظَلَّ مِثْلَكِ فِي المَسِيرِ عَلِيلَا
وَإِذَا اسْتَرَحْتِ مِنَ الهُبُوبِ فَقَبِّلِي مَا ... تَجِدِينَ فِيهِ لِلْقَرَارِ مَقِيلَا
خُصِّي جَلَالَ الدِّينِ أَفْضَلَ مَنْ غَدَا ... بِجَلَالِهِ الدِّينُ القَوِيمُ جَلِيلَا
مَنْ ذِهْنُهُ أَضْحَى لِكُلِّ دَقِيقَةٍ ... . تُنَادِيهِ البَيَانَ دَلِيلَا
/ ١١٣أ/ غُرَرُ اللَّطَائِفِ تَحْتَ ظِلِّ بَنَانِهِ ... صَادَفْنَ ظِلًّا لَا يَزَالُ ظَلِيلَا
لَوْ صَافَحَتْ حَدَّ الحُسَامِ يَمِينُهُ ... بِيَرَاعِهَا عَادَ الحُسَامُ كَلِيلَا
. . . . صَبٍّ لَمْ تَجِدْ لِشِفَائِهِ ... نَحْوَ الوُصُولِ إِلَى الوِصَالِ سَبِيلَا

[٦٨]

أحمدُ بن شاه ملك الواسطيُّ.

نزل البصرة وتولّى بها النيابة في ديوان الأشراف؛ وله عناية بالأدب وقرض الشعر، وله فيه طبع.

أنشدني أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن محمود الجراحي الواسطي، قال: أنشدني أحمد بن شاه ملك الواسطي لنفسه من قصيدة يمدح بها الأمير أبا الفضائل باتكين بن عبد الله المستنصري ـ وكان يومئذ أمير البصرة: [من الطويل]

أَقُولُ لِصَحْبِي وَالرِّكَابُ مُلاَحَةٌ ... طَلاَئِحُ يَحْدُوْهُنَّ بَيْنٌ يُزَايِلُهْ
إِلَى بَاتِكِيْنَ القَيْلِ عِجُّوا رِكَابَنَا ... لِتَبْلُغَ مِنْ أَيَّامِنَا مَا نُحَاوِلُهْ(١)

ومنها:

أَمَولاَيَ شَمْسَ الدِّيْنِ تَاهَتْ بِكَ العُلاَ ... فَلاَ مَفْخَرٌ إِلاَّ عَلَيْكَ غَلاَئِلُهْ
/١١٣ب/ مَضَى رَمَضَانٌ وَهْوَ يُثْنِي عَلَى امْرِىءٍ ... فَرَائِضُهُ مَقْبُولَةٌ وَنَوَافِلُهْ
فَلاَ زِلْتَ فِي ظِلِّ الإِمَامِ مُمَلَّكاً ... سَعِيْداً تَحَامَاكَ الرَّدَى وَغَوَائِلُهْ
إِمَامِ هُدًى عَمَّ الأَنَامَ سَمَاحَةً ... وَجُوْداً إِذَا مَا أَضْمَرَ الخَيْرَ فَاعِلُهْ

ومنها:

وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ لَدَيْهِ غَمَامَةٌ ... عَلَى مُعْتَفِيْهِ مَا تَغُبُّ نَوَافِلُهْ
فَلاَ زِلْتَ شَمْسَ الدِّيْنِ فِي كَنَفِ العُلاَ ... تُبَلِّغُكَ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ آمِلُهْ

[٦٩]

أحمدُ بنُ رستمَ بن المباركِ بن الحسن بن الحسين، أبو العباسِ الموصليُّ.

كان يكتب على الحيطان تشبيهًا بعلي بن أبي بكر الهروي السائح. وكان يميل إلى زيّ المتصوفة، وفيه فطنة، ويقول شعراً حسنًا، ويعرف بالنعّال. وتوفي قريبًا من سنة عشرين وستمائة بالموصل.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن ميكائيل بن أحمد الموصلي، قال: أنشدني أحمد بن رستم لنفسه ملغزاً في الدفّ والشبابة: [من الطويل]

/١١٤أ/ وَمَقْرُوْحَةِ الأَحْشَاءِ مِثْلِي نَحِيْلَةٍ ... تَنَاءَتْ عَنِ الأَهْلِيْنَ وَانْتَابَهَا البُعْدُ
تَزَوَّجَهَا عَشْرٌ وَذَاكَ مُحَرَّمٌ ... فَلاَ حَرَجٌ كَلاَّ وَلاَ وَجَبَ الحَدُّ

(١) عِجُّوا: إزجروا.

إذَا وَطِئُوهَا القَوْمُ تَصْرُخُ صَرْخَةً ... يَرِقُّ لَدَيْهَا القَلْبُ لَوْ أَنَّهُ صَلْدُ
فَيَا عَجَباً تَزْنِي وَيُجْلَدُ آخَرٌ ... إلَى جَنْبِهَا حَدّاً وَيَلْزَمُهُ الجَلْدُ
فَفِي أيِّ شَرْعٍ أمْ بِأيِّ قَضِيَّةٍ ... يُحَدُّ عَفِيْفٌ وَالَّذِيْ سَاءَ مَا حُدُّوا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ملغزاً في اللسان: [من المتقارب]

وَمَا أسَدٌ حَلَّ فِي قُلَّةٍ ... لَهَا شُرَفٌ دُوْنَ أبْوَابِهَا
يُخَافُ وَيُرْجَى وَلَكِنَّهُ ... بِعَكْسِ الأُسُوْدِ لأصْحَابِهَا

وأنشدني، قال: أنشدني له يلغز في السروال: [من الوافر]

وَصُنْدُوْقٍ يَرُوْقُ العَيْنَ حُسْناً ... بِمَنْظَرِهِ وَيُعْطِيْ اللَّمْسُ لِيْنَهْ
زَكِيِّ الأَصْلِ ذِيْ نَسَبٍ مُنِيْفٍ ... بِعِرْقٍ نَابِتٍ فِيْ قَعْرِ طِيْنَهْ
لَهُ رِجْلاَنِ لَمْ تَحْمِلْهُ حَتَّى ... يُرَى مَلآنَ بِالسِّلَعِ الثَّمِيْنَهْ
بِقُفْلٍ وَاحِدٍ سَهْلٍ ضَعِيْفٍ ... بِعَشْرِ مَفَاتِحٍ عُدَدٍ مَكِيْنَهْ

/ ١١٤ب/ وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

لاَ تَطْمَعَنَّ بِشَيءٍ أنْتَ طَالِبُهُ ... بِغَيْرِ شَيءٍ فَتَحْظَى مِنْهُ بِالتَّعَبِ
مَنْ لَمْ تَنَلْ مِنْكَ بِالبِرْطِيْلِ رَاحَتُهُ ... أخْطَتْكَ رَاحَتُهُ عَمْداً وَلَمْ تُصِبِ
لَوْ لَمْ تُرَوِّ نَخِيْلاً أنْتَ غَارِسُهَا ... مِنَ المِيَاهِ لَمَا جَاءَتْكَ بِالرُّطَبِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه من قصيدة: [من البسيط]

ألاَ بِهَا يَا أُصَيْحَابِيْ إذَا أخَذَتْ ... مِنِّي فَرَوُّوا بِهَا رُوْحِي وَجُثْمَانِي
حَتَّى أقُولَ عَلَى صَحْوِيْ بِهَا شَغَفاً ... أمَاتَنِي كَأسُهَا وَالدَّنُّ أحْيَانِي

[٧٠]

أحمدُ بن عليٍّ، [بن أبي الفتح][١] المعروفُ بابنِ الشمّاعِ بن الرقيقِ، أبو العباسِ الواسطيُّ.

من أهل حلَّةِ واسطٍ وجملة من ينظم بها الشعر.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وقيل عنه: إنَّه ينتحل الأشعار ويسرقها ويمدح بها الناس.

أنشدني الرئيس الأجل كمال الدين أحمد بن إبراهيم بن أحمد الموصلي، قال: أنشدني أحمد ابن الشماع لنفسه: [من البسيط]

يَشْتَاقُ عَرْفَ الصَّبَا مِنْ نَحوكُمْ قَرِمٌ ... إلى لقَاكُمْ بِهِ البَلْبَالُ يُقْلقُهُ

/ ١١٥أ/ مَا إنْ تَنَفَّسَ إلاَّ ظَلَّ مِنْ كَمَدٍ ... أنْفَاسُهُ لِزَفِيْرِ الشَّوْق تُحْرِقُهُ

وَلاَ اسْتَنَارَ هِلاَلٌ فِي دُجَى غَسَقٍ ... إلاَّ وأزْعَجَهُ بَيْنٌ يُؤَرِّقُهُ

وَلاَ أضَاءَ سَنَى بَرْق بكَاظِمَةٍ ... إلاَّ وتَيَّمَهُ بالجَزْع أبرَقُهُ

وَلاَ تَأَلَّقَ ثَغْرُ البَدْرِ مُبْتَسِماً ... إلاَّ وأذْكَى صَبَابَاتِي تَأَلُّقُهُ

شَوْقاً إلَىٰ قَمَرٍ كالآس عَارِضُهُ ... يُذِيْبُ قَلْبِيَ هِجْرَاناً وَيُحْرِقُهُ

مَا غَابَ عَنْ لَحْظِ عَيْنِي قَطُّ مُحْتَجِباً ... إلاَّ وَأصْبَحَ وَسْطَ القَلْب مَشْرِقُهُ

وَلاَ أرَاشَ بِنَا لا قَوس حاجبه ... إلاَّ وأَصْمَىٰ فُؤَادِيْ حِيْنَ يَرْشُقُهُ

أغَارَ مَنْ لَحْظ قَلْبِيْ إذْ تَصَوَّرَهُ ... ألف فكري لِقَلْبِيْ حِيْنَ يَرمُقُهُ

فَكَيْفَ لِيْ إنْ تَبَدَّىٰ كَالْهِلاَل وَأبصَارُ الخَلاَئقِ بالرُّؤيَا تُحَقِّقُهُ

[٧١]

أحمدُ بن أبي بكرِ بن أبي محمد الخابرانيُّ، أبو الفضل الخَلاطيُّ[١]:

وخَابَرَان قرية من قرايا خلاَط[٢] الأديبُ النحويُّ.

نزل تبريز وسكن بها، إلىٰ أن مات تقديراً بُعيد سنة عشرين وستمائة، واتصل بوزيرها ربيب الدين علي بن أبي القاسم دنقان، ومدحه / ١١٥ب/ بشعر كثير.

وكان فاضلاً لم يكن له نظير في زمانه في علم الأدب والعربيّة والتصريف واللغة. وكان يميل إلىٰ علوم الحكمة إلاَّ أنَّ الغالب عليه معرفة العلوم الأدبية والتبحّر فيها.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٢٦٨ وفيهما: «الخاوّراني» بدلاً من الخابراني. معجم الأدباء ١/ ٢٠٥. بغية الوعاة ١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ رقم ٥٥٠.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٣٤، ٣٨٠.

وكان شابًا ذكيًا.

أُنشدت له ابتداء قصيدة أولها: [من الكامل]

هَيْهَاتَ لَيْسَ يُفِيقُ مِنْ سُكْرِ الصِّبَا ... مَنْ لا يَزَالُ تَشُوقُهُ رِيحُ الصَّبَا

سَارُوا وَدَمْعِي قَائِلٌ مِنْ خَلْفِهِمْ: ... مَهْلاً فَإِنَّ السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الزُّبَى

[٧٢]

أحمدُ بن أبي السعودِ بن حسّانَ، أبو الفضلِ الرُّصافيُّ(١).

من شرقيِّ مدينة السلام.

كان شيخًا خطاطًا يؤدّب الصبيان بالخط ويكتِّبهم. وكتب خطًّا قريبًا؛ إلاَّ أنه كان عنده دعاوى في الخط، ويتبجح به كثيراً. ويُنزل نفسه في الخط منزلة ابن البوّاب، ولا يُثبت لأحدٍ من كتّاب زمانه شيئًا.

كان جاهلاً بالأدب لم أسمع له من الشعر إلاّ هذه الأبيات /١١٦أ/ أخبرنا بها إجازة أبو محمد عبد العزيز بن دُلف بن أبي طالب الخَازن البغدادي الناسخ، قال: أنشدني أبو الفضل أحمد بن أبي السعود الرصافي لنفسه: [من البسيط]

يَا رَبِّ إنْ كُنْتُ قَدْ أَسْرَفْتُ فِيْ عُمُرِيْ ... مِنِ ٱرْتِكَابِ الخَطَايَا غَيْرَ مشدي

أَوْ كُنْتُ عَمَّا يَقُومُ الصَّالِحُونَ بِهِ ... مُجَانِبًا وَاعْتَدَىٰ غَيِّي عَلَىٰ رَشَدِيْ

فَلِيْ لِذَلِكَ حُسْنُ الظَّنِّ يُطْمِعُنِيْ ... فِيْ جَنْبِ عَفْوِكَ يَا ذُخْرِيْ وَيَا سَنَدِيْ

وأنبأني أيضًا، قال: أنشدني أحمد لنفسه: [من الطويل]

سَأُغْضِيْ عَلَىٰ وَخْزِ القَذَىٰ مِنْ مَعَاشِرٍ ... أُدَارِيْهُمُ إنَّ الكَرِيْمَ يُدَارِيْ

وَأَصْبِرُ لِلأَيَّامِ عَلَّ صُرُوفَهَا ... سَوقُ مِنِ ٱسْتِقْرَارِهَا بِدِيَارِيْ

فَإِنْ بَلَّغَتْنِيْ هِمَّتِيْ غَايَةَ العُلاَ ... فَذَاكَ وَإِلاَّ فَالخُمُولُ شِعَارِيْ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٣٨٤، وفيه: «توفي بمكة بعد قضاء نسكه سنة سبع وعشرين وستمائة». الحوادث الجامعة ص١٨.
حول (الرصافة)، انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٦.

[٧٣]

[أحمد بن سعد، الشريف العلوي

أخبرني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني هذا الشريف لنفسه من آخر رسالة أنفذها إلىٰ الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل: [من الطويل]

إلَـى مَ أَرَىٰ النُّعْمَـىٰ أَلِيْـفَ ذَوِي الجَهْـلِ ... وَأُبصِـرُ . . . . حَليـفَ ذَوِيْ العَقْـلِ

فَيَـا حَسَـرَاتٍ لِـيْ لَـوْ أَنَّ ثِقْلَهَـا ... عَلَـىٰ جَبَـلٍ لاَ نَهْـدَّ مِـنْ فَـادِحِ الحِمْـلِ

وَأَتْـرَحُهَـا كَـوْنِـيْ عَلَـىٰ رُغْـمِ مَعْطِبِـيْ ... مُقِيمـًا بِـأَرْضٍ لاَ يُقِيْـمُ بِهَـا مِثْلِـيْ

حَلِيْـفَ ذَوِيْ جَهْـلٍ وَشَـرٌّ ثَـلاَثَـةٍ ... مَقَـامُ الفَتَـىٰ ذِيْ الفَضْـلِ بَيْـنَ ذَوِيْ الجَهْـلِ

أَيَـا دَهْـرُ رِفْقـًا بِـا . . . . . فَـإِنَّهَـا ... .][1]

[٧٤]

أحمدُ بن عليٍّ بن أحمدَ بن عبد المنعم بن هبل، أبو العباس بن أبي الحسن الحكيمُ المُتطببُ البغداديُّ، المعروفُ بابن الخَلاطيِّ:

وسيأتي ذكرُ والده وشعرهُ[2].

اشتغل بعلم الطب ببغداد وتميّز فيه /١١٦ب/ حتىٰ صار فرد عصره. وكان مع [ذلك] له يدٌ في قرض الأشعار، وطبعٌ في نظمها صحيح. وينشىء الرسائل العربية والفارسية.

أقام بالموصل مدّة، ثم سافر إلىٰ بلاد الروم فسكنها إلىٰ أن توفي بملطية في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة. وكانت ولادته ببغداد سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٤١٨، كما ترجم المؤلف لولده (يوسف بن أحمد بن علي) في الجزء العاشر برقم ٩٦٣.

أنشدني ولده أبو الفتح يوسف، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الطويل]

أخلَّايَ هَلْ خُنْتُمْ عُهُودِي بَعْدَ مَا رَمَانِي زَمَانِي بِالتَّفَرُّقِ مِنْكُمُ
وَهَلْ قَدْ وَعَتْ أَسْمَاعُكُمْ مِنْ عَدُوِّنَا أَحَادِيثَ إِفْكٍ بِالنِّفَاقِ تُنَظَّمُ
أَمِ العَهْدُ بَاقٍ وَالمَوَدَّةُ بَيْنَنَا كَعَهْدِي بِهَا وَالعَيْشُ غَضٌّ مُنَعَّمُ
أَحِبَّةَ قَلْبِي إِنْ هَجَرْتُمْ وَخُنْتُمُ فَإِنِّي عَلَى عَهْدِي لَكُمْ لَمْ أَخُنْكُمُ
وَلَمْ أَتَبَدَّلْ غَيْرَكُمْ غَيْرَ ذِكْرِكُمْ أَنِيسًا إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَنِمْتُمُ
أُكَابِدُ شَوْقًا لَسْتُ أَقْدِرُ وَصْفَهُ وَهَلْ يَصِفُ الإِنْسَانُ مَا لَيْسَ يُفْهَمُ
إِذَا ذَكَرَتْ نَفْسِي مَقَامِي بِقُرْبِكُمْ وَعَيْشًا تَقَضَّى وَالحَوَادِثُ نُوَّمُ
وَأَسْبَابُ عَيْشِي مُذْ نَأَيْتُمْ تَصَرَّمَتْ فَلِلَّهِ قَلْبٌ بَيْنَهُنَّ مُقَسَّمُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه [من البسيط]

/ ١١٧أ/ أُمْسِي وَأُصْبِحُ وَالآمَالُ تَلْعَبُ بِي وَالعُمْرُ مُنْصَرِمٌ وَالدَّهْرُ ذُو عَجَبِ
أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ وَالمَوْتُ يَضْحَكُ مِنْ لَهْوِي وَمِنْ طَرَبِي
كَأَنَّنِي قَدْ أَمِنْتُ الدَّهْرَ . . . . أَوْ إِنَّنِي لَسْتُ أَخْشَى حَادِيَ النُّوَبِ
كَأَنَّنِي لَسْتُ مِنْ . . . . . قَدَرٌ يَسُوقُهُ بَغْتَةً نَوْمًا إِلَى القُطُبِ
دُنْيَا تَغُرُّ بِآمَالٍ مُزَخْرَفَةٍ كَمَا يُشَابُ مَذَاقُ السُّمِّ بِالضَّرَبِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الوافر]

أَقُولُ لِرُفْقَةٍ زَمُّوا المَطَايَا أَلَا هَلْ مُبْلِغٌ عَنِّي التَّحَايَا
إِلَى أَرْضِ العِرَاقِ وَسَاكِنِيهِ إِلَى قَوْمٍ هُمُ خَيْرُ البَرَايَا
كِرَامٌ سَادَةٌ مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ: لَاقَيْتُ أَحْسَنَهُمْ سَجَايَا
نَشَوْا فِي المَكْرُمَاتِ وَفِي المَعَالِي فَلَمْ تَعْلَقْ بِخِيمِهِمُ الدَّنَايَا
كَرِيمُهُمُ لَدَى الإِفْضَالِ هَشٌّ طَلِيقُ الوَجْهِ مُبْتَسِمُ الثَّنَايَا
وَفَارِسُهُمْ لَدَى الهَيْجَاءِ لَيْثٌ قَطُوبُ الوَجْهِ مُقْتَحِمُ المَنَايَا
بِذِكْرِ جَمِيلِهِمْ سِرُّ القَوَافِي بِطِيبِ حَدِيثِهِمْ تَخْدِي المَطَايَا[1]

(١) تخدي: تسرع.

لَئِنْ أَخْنَىٰ عَلَيْهِمْ صَرْفُ دَهْرٍ فَقَدْ أَبْقَىٰ لَنَا مِنْهُمْ بَقَايَا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

/١١٧ب/ بَنِيَّ لَقَدْ جَرَّبْتُ دَهْرِي وَصَرْفَهُ وَمَارَسْتُ أَهْلِيْهِ عَلَىٰ العُسْرِ وَاليُسْرِ
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الصِّدْقِ أَنْفَعَ لِلْفَتَىٰ وَلَا مِثْلَ فِعْلِ الخَيْرِ أَبْقَىٰ عَلَىٰ الدَّهْرِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

وَاللهِ مَا نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَىٰ حَسَنٍ إِلَّا تَمَثَّلْتَ فِي إِنْسَانِ عَيْنَيَّا
وَلَا ذَكَرْتُكَ فِي غَمٍّ وَلَا فَرَحٍ إِلَّا تَغَلْغَلَ قَلْبِي بَيْنَ جَنْبَيَّا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

إِذَا لَمْ أَجِدْ لِي فِي الزَّمَانِ مُؤَانِساً جَعَلْتُ كِتَابِي مُؤْنِسِي وَجَلِيْسِي
وَأَغْلَقْتُ بَابِي دُوْنَ مَنْ كَانَ ذَا غِنًى وَأَفْعَمْتُ مِنْ مَالِ القَنَاعَةِ كِيْسِي

وأنشدني، قال: أنشدني قوله: [من الطويل]

إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ صَاحِبِي مَا أُرِيْدُهُ طَوَيْتُ فَيَافِي دُوْنَهُ وَقِفَارَا
هِيَ الهِمَّةُ العَلْيَا فَسَامِ بِهَا العُلَا وَلَا تَرْمِيَنْ دُوْنَ السِّمَاكِ مَطَارَا
فَلَيْسَ الفَتَىٰ مَنْ نَالَ وَفْراً مُجَمَّعاً مِنَ الحَمْدِ مَا يُضْحِي عَلَيْهِ شِعَارَا

وأنشدني، قال: كتب إليَّ والدي وهو مقيم برأس عين: [من الوافر]

سَطَرْتُ إِلَيْكُمُ مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ كِتَاباً مُوْدَعاً قَلْبِي وَعَيْنِي
/١١٨أ/ فَعَيْنُ الرَّأْسِ تَجْرِي مِنْ دِمَاءٍ كَمَا تَجْرِي المِيَاهُ بِرَأْسِ عَيْنِ

[٧٥]

أحمدُ بن أسعد بن حيدر بن عبد الباقي بن المؤمل بن حلوان، المعروفُ بابنَ المنفاح، أبو العباسِ بن أبي الفَضلِ المعرىّ السّليحيُّ، الطبيبُ الدمشقيُّ(١).

أخبرني أنه ولد بدمشق في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين

(١) في هامش الأصل: «لقبه نجم الدين».

وخمسمائة. وقرأ علم الطبّ علىٰ الحكيم صدقة بن السامري الدمشقي.

وبرع في الذي قرأ عليه، وتميَّز علىٰ أهل زمانه، وصنَّف في ذلك مصنَّفات شتىٰ، ورحل إلىٰ آمد فاستخدمه صاحبها الملك المسعود ركن الدين مودود بن محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سكمان بن أرتق الأرتقي، وحظي لديه ونال منه منزلة رفيعة.

ثم استوزره بعد ذلك، وفوض إليه أموره، فحين أُخذت آمد من الملك المسعود فارق خدمته واتصل بخدمة الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد / ١١٨ب/ ابن أبي بكر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ فمكث عنده مُديدة.

ثم شخص إلىٰ الديار المصرية وعاد إلىٰ خدمة الملك المسعود ركن الدين مودود فلم يحظ منه. ثم كر راجعًا إلىٰ بلاد الشام، ثم إلىٰ الموصل؛ فلقيته بها أواخر المحرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة؛ وهو علىٰ عزم التوجه إلىٰ مدينة السلام(١).

من تصنيفاته كتاب «تدقيق التحقيق في الجمع والتفريق»، وكتاب «الإشارات المرشدة في الأدوية المفردة»، وكتاب في «علم أصول الطب» مختصر، وكتاب «منتهىٰ الأغراض في العلل والأمراض»، وكتاب «حل شكوك ابن الخطيب الرازي علىٰ كليات القانون»، وكتاب «الموجز في أصول الطب»، وكتاب «شكوك علىٰ مسائل حنين»، وكتاب «شكوك علىٰ فصول بقراط»، وكتاب «المسائل المهمات في كتاب الكليات» وغير ذلك.

أنشدني لنفسه: [من البسيط]

يَا شَقِيَّ الجَسَدِ الفَانِي بِعُنْصُرِهِ ... وَطَبْعُهُ فِي عَنَا الدُّنْيَا اتْرُكِ الطَّلَبَا
لَقَدْ أَضَعْتَ نَفِيسًا فِي طِلَابِكَ مَا ... لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ يَا صَاحِ مُكْتَسَبَا
/ ١١٩أ/ إحفظ عنك لا تعطيه أُمْنِيَةً ... فَمَا تَزَالُ إذَا طَارَحْتَهَا تَعِبَا
إِنَّ الأَمَانِيَ أَوْهَامٌ تُؤَثِّرُ فِي ... نَفْسِ الموف عَلَىٰ تَحْرِيكِهِ سَبَبَا
وَالعَالِمُ النَّدْبُ تَغْشَاهُ فَيَدْفَعُهَا ... فَيَأْمَنَنَّ وَلَوْ مِنْ أَمْرِهَا النَّصَبَا

---

(١) في هامش الأصل: «توفي سنة خمس أو سنة ست وخمسين وستمئة بدمشق».

أَوْ كَـانَ يَسْعَـى لِمَـا تَـمَّ القَضَـاءُ بِـهِ فَمُتْعَـبُ النَّفْـسِ لَـمْ يسـع لِمَـا وجبـا
أَوْ كَـانَ يَطْلُـبُ مَـا لَـمْ يَجْـرِ فِـيْ قَـدَرَ أَوْ سَـابِـقٍ قَـدْ مَضَـى كَـالمُسْتَحِيْـلِ أبـا
فَـاسْكُـنْ فَمَـا الحِـرْصُ مُجْـدٍ مَـا تُـؤَمِّلُـهُ وَلاَ يُنِيلُـكَ مِـنْ أَغْـرَاضِـكَ الأَرَبَـا
وَاعْلَـمْ بِـأَنَّـكَ مَجْبُـوْرٌ تَعِـشْ رَغَـداً لاَ تَنْـدَمَـنَّ عَلَـى مَـا فَـاتَ أَوْ ذَهَبَـا
خُـذْهَـا إِشَـادَةَ ذِي نُصْـحٍ وَتَجْـرِبَـةٍ مُهَـذَّبٍ قَـدْ رَأَى مِـنْ دَهْـرِهِ العَجَبَـا
مَـا ظَـنَّ ذَا الـدَّاءَ حَتَّـى رَاحَ مُعْظَـمَ مَـا أُعْطِـيَ مِـن . . . .
كَمْ سَارَ فِيْ الأَرْضِ فِيْ كَسْبِ العُلاَ قَمِنًا بِـرَأْيِـهِ وَبِعَـزْمٍ يَمْتَطِـيْ الشُّهُبَـا
فَخَـانَـهُ أَمَـلٌ يَقْـوَى الـرَّجَـاءُ بِـهِ وَجَـاءَهُ حَيْـثُ لاَ يَـرْجُـوْهُ مُقْتَـرِبَـا
فَـوَالَّـذِيْ أَوْجَـدَ الأَشْيَـاءَ مِـنْ عَـدَمٍ مَـنْ كَـذَّبَ القَـدَرَ المَحْتُـوْمَ قَـدْ كَـذَبَـا
وَبَعْـدُ حَسْبُـكَ فَـاعْمَـلْ لِلْنَجَـاةِ بِـهِ فَـالبَعْـثُ لاَبُـدَّ مِنْـهُ وَأْمَـنِ العَطَبَـا

[٧٦]

أحمدُ بن عبد الله بن أحمدَ /١١٩ب/ بن عليٍّ بن محمد بن أحمدَ بن عليٍّ بنَ حماد بن محمود بن محمد بن يوسفَ بن إبراهيمَ بن موسى بن عبد الله بن الحسن بنِ الحسنِ بن عليٍّ بن أبي طالب، أبو العباسِ بنُ أبيَ محمدِ العلويُّ الحسنيُّ[1].

أصله من مدينة الرسول ـ ﷺ ـ فحدث لهم حدث وهاجروا إلى الموصل، وسكنوا قرية من قراها تدعى الشرفية شماليها.

ثم انتقلوا إلى لُزيُو مجاورة خربا، فولد بها أبو العباس؛ وهو شاب صالح متدين جميل الطريقة، متفقه يقول الشعر. سافر إلى حلب، وهو بها مقيم إلى الآن.

أنشدني من شعره بحلب يوم الجمعة خامس عشري رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

إِذَا قَـلَّ تَـوْفِيْـقُ الفَتَـى قَـلَّ خَيْـرُهُ وَإِنْ كَثُـرَ التَّـوْفِيْـقُ فَـالخَيْـرُ يَكْثُـرُ

(١) ترجم المؤلف لوالده في الجزء الثالث برقم ٢٤٢.

وَمَا لامْـرِيءٍ فـيْ ذَاكَ مُـدْخَـلُ حيْلَـةٍ ... وَلَكِنَّمَـا الحَـالاَتُ أَمْـرٌ مُقَـدَّرُ
فَيَـا رَبِّ إنْ سَـامَحْـتَ عَبْـدَكَ فَـالَّـذيْ ... يَـرُوْمُ وإِنْ وَاخَـذْتَ فَهْـوَ المُقَصِّـرُ
جَـدِيْـراً أَرَاهُ بِـالجَحِيْـمِ اصْطِـلاَؤُهُ ... وَأَنْـتَ بِعَفْـوٍ عَنْـهُ يَـا رَبِّ أَجْـدَرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

نَـزِّهْ شُهُـوْدَكَ عَـنْ وُجُـوْدِكَ تَـرْشُـدِ ... فَمَتَـى فَقَـدْتَ شهـور .....
/ ١٢٠أ/ مَا فِيْ الوُجُوْدِ سِوَىٰ الإلَه وَأَنْتَ ... أَنْـتَ الفَـرْقُ وَهْـوَ الجَمْـعُ فِـيْ المُتَبَـدِّدِ
فَـإِذَا عَـدِمْتُـكَ فِيْـهِ كُنْـتَ مُـوَحِّـداً ... وَإِذَا وَجَـدْتُـكَ كُنْـتَ غَيْـرَ مُـوَحِّـدِ

[٧٧]

أحمد بن فلان بن جعفر بن النفيس بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو العباس الكوفي.

هو ابن أخي الشريف ابي طاهر عبد الله بن جعفر.

قال الصاحب أبو البركات ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ورد هذا الشريف غير مرة إربل. وكان يصله إيجاب من سلطانها الملك المعظم أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وكان عامي اللفظ والعبارة ليس عنده شيء من علم.

كتب إليّ من شعره: [من مجزوء الكامل]

مَـوْلاَيَ يَـا شَـرَفَ الخَليْقَـةِ ... فِـيْ الطَّـرِيْقَـةِ وَالحَقِيْقَـهْ
يَـا مَـنْ سَمَـا بِمَكَـارِمٍ ... صُـنْ مَـاءَ وَجْهِـيْ أَنْ أُرِيْقَـهْ
/ ١٢٠ب/ لِسِـوَاكَ إِنِّـيْ لاَ أَذِلُّ ... وَأَنْـتَ أَسْبَـابِـيْ الـوَثِيْقَـهْ

[٧٨]

أحمدُ بنُ محمد بن صدقةَ بن إبراهيمَ بن ظَبيةَ(١) الضريرُ الموصليُّ.

حدثني الصاحب أبو البركات المستوفي في تاريخ إربل ـ من تصنيفه ـ قال: ورد أبو العباس بن ظبية إربل قديمًا؛ وهو أمرد. نزل بعينيه ماء وكان أحسن الناس صورة، وعنده طيش وخفّة. وكان يعظ الناس إذ ذاك ويحفظ الكثير سريعًا.

ثم ورد إربل في سنة خمس عشرة وستمائة شيخًا قد تغيرت أوصافه لا يكاد يعرف، يستجدي بأشعاره، ويعرِّف نفسه بأحمد الواعظ الضرير؛ وحُدثت أنه توفي سنة ثماني عشرة وستمائة.

وأنشدني لنفسه: [من المجتث]

يَا مَنْ لَهُ رَبْعُ جُوْدٍ ... أَضْحَى لَدَيْنَا نَضِيْرَا
فَلَنْ تَرَىٰ فِي البَرَايَا ... كَمِثْلِ ذَاكَ نَظِيْرَا
أَصْبَحْتَ تَهْوَى عَلِيًّا ... فَصِرْتَ فِيْنَا ظَهِيْرَا
/١٢١أ/ وَقِّعْ عَلَىٰ ظَهْرِ طِرْسِي ... فَالعَبْدُ يَهْوَىٰ الظُّهُوْرَا
لِمَنْ أَحَلْتَ عَلَيْهِ ... فَلَا بَرِحْتَ كَبِيْرَا

[٧٩]

أحمدُ بن عبيد الله بن أحمدَ بن محمد بن الطَّيِّب بن أبي محمدٍ، أبو عليٍّ الواعظ البَطائحيُّ(٢).

كان شيخًا في علمي الطريقة والحقيقة، يتكلم في الوعظ، ويورد فيه فصولاً أحسن كلام. رأىٰ المشايخ وصحبهم وسمع الحديث النبوي.

وكان قطب زمانه في الورع والمعرفة والقرآن وتفسيره والوعظ. وسكن سنجار

---

(١) في قراءة د. الصقار: «طيبة».

(٢) نسبة إلى البطائح، جمع البَطيحة، وهي أرض واسعة بين واسط والبَصْرة. انظر: معجم البلدان ١/ ٤٥٠.

وصار شيخ الشيوخ بها؛ وله مريدون وتلامذة ينتمون إليه، ويلبس خرق التصوف، وصادف من الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر ـ صاحب مصر ـ قبولاً؛ فمال إليه وأكرمه وأقبل عليه، ووعظ بين يديه فولّاه سنجار شيخ الشيوخ، وأسند إليه أمر الخانقاهات، وتلمذ له. وكان يجتمع به ويعظه.

وله تصانيف كثيرة منها «تفسير القرآن»، وكتاب سمّاه «الدرّ المكنون الحاوي لكثير من الفنون» يتضمن .... والأحاديث النبوية وشرحها /١٢١ب/ وَفقْهِهَا، والحكايات عن المشايخ الثقات، وأبيات في المعاني مطابق وحقائق. وبوّبه أربعين بَابًا عن أربعين شيخًا يشتمل علىٰ أربعة كتب، والمجلدة الأخيرة أفردها في أهل البيت فقط ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ وكتاب «الطريق المسلوك في نصيحة الملوك» وهو أربعون حديثًا عن أربعين شيخًا سمعها في أربعين بلداً في معنىٰ واحد، وكتاب «التاريخ» ابتدأ فيه من الحسّ والبسّ إلىٰ زمانه.

وروىٰ الحديث عن عدَّة شيوخ منهم؛ أبو القوقت السجزي، وروىٰ سند البخاري بطريق آخر؛ وهو عن جدّه أحمد بن محمد بن الطيب. وعاش مائة وأربع سنين. وكان عمر أبي علي أحمد بن عبيد الله يومئذٍ تسع سنين، وجدّه يروي عن الكشمبهيني عن الغربري عن البخاري.

وكانت ولادته في ثامن عشر ذي الحجة سنة إحدىٰ وثلاثين وخمسمائة بقرية منسوبة إليه يقال لها «الشيخية» وفيها تربة والده الشيخ عبيد الله ابن أحمد بن محمد من أعمال واسط.

وكان له أشعار يقولها لغلبه، ويرتاح بها في خلواته؛ أنشدني منه /١٢٢أ/ ولده أبو الحسن علي بحلب المحروسة، قال: أنشدني والدي لنفسه وهو مما قاله في صباه:

[من الرجز]

حنِّـي إلَـىٰ أرْض الغُـوَيْـر حنِّـي ... إنْ كُنْـت حَقَّقْـت رَوَاحَ الظَّعْـن

وَرَجِّعِـي إذَا ذَكَـرْت رَامَـةً ... شَـوْقـاً إلَـىٰ سَـاكنهَـا وَإنِّـي

وَلَا تَـزَالـيْ يَـا رِيَـاحُ دَائمـاً ... مُبَلِّغَـات لِلسَّـلَام عَنِّـي

قُصِّـيْ عَلَـىٰ ذَاكَ الحِمَـىٰ وَأهْلِـه ... تَفَجُّعِـي وَمَـا عَلِمْـت مِنِّـي

وأنشدني، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من البسيط]

أَذْكَى الغَرَامُ بِهَذَا الرَّكْبِ حَادِيْهِ ... وَأَذْكَرَ الصَّبَّ عَهْداً غَيْرَ نَاسِيْهِ

شَدَا قُبَيْلَ الضُّحَى بِالمُنْحَنَى فَبَكَتْ ... حَمَامُهُ وَتَثَنَّى بَانُ وَادِيْهِ

نَاشَدْتُكَ اللهَ يَا حَادِيْ الرَّكَائِبِ إِنْ ... جِئْتَ المُصَلَّى وَلَاحَتْ نَارُ أَهْلِيْهِ

إِلَّا طَلَبْتَ لِكَرْبِيْ مَنْ يُفَرِّجُهُ ... مِنَ الهُمُوْمِ وَدَائِيْ مَنْ يُدَاوِيْهِ

وَيَا رَفِيْقَيَّ عَوْنًا وَالرَّفِيْقُ مَنِ اسْتَعَنْتَهُ فَيُعَانِيْ مَا تُعَانِيْهِ

سَأَلْتُمَانِيْ التَّسَلِّيْ يَوْمَ كَاظِمَةٍ ... فَهَلْ تُعِيْرَانِنِيْ قَلْبًا أُسَلِّيْهِ

/ ١٢٢ب/ وأنشدنيْ، قال: أنشدني والدي من شعره: [من البسيط]

أَحْوَى أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ وَسْنَانُ ... أَلْحَاظُهُ البِيْضُ وَالأَجْفَانُ أَجْفَانُ

مُوَرَّدُ الخَدِّ لَدْنُ القَدِّ شَمْسُ ضُحًى ... فِيْ وَجْهِهِ لِمَجَالِ الحُسْنِ بُسْتَانُ

فَالغُصْنُ مِنْ قَدِّهِ المَيَّاسِ مُعْتَدِلٌ ... وَالبَدْرُ مِنْ حُسْنِهِ الفَتَّانِ خَجْلَانُ

هَذَا الَّذِيْ شَعْرُهُ لَيْلٌ وَغُرَّتُهُ ... صُبْحٌ وَوَجْنَتُهُ وَرْدٌ وَرَيْحَانُ

بَدْرٌ يُدِيْرُ عَلَيْنَا فَوْقَ رَاحَتِهِ ... شَمْسًا لَهَا تِلْكَ ذَاكَ الدَّجْنِ أَزْمَانُ

مَحْجُوْبَةً فِيْ دِنَانِ الغَيْبِ مَا عَرَفَتْ ... قَسًّا وَلَا حَازَهَا فِيْ الدَّيْرِ مَطْرَانُ

رَقَّتْ فَرَاقَتْ لِقَلْبِيْ فِيْ تَقَلُّبِهَا ... رُوْحًا تَنَقَّلُ فِيْ الكَاسَاتِ أَبْدَانُ[1]

[٨٠]

/ ١٢٣أ/ أحمدُ بن عقيلِ بن نصرٍ، أبو العباسِ الزَّرعيُّ العامريُّ.

وزرع التي ينسب إليها قرية علىٰ باب دمشق.

أخبرني الشيخ العالم الفاضل نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني، قال: كان شابًا ذكيًا له طبع سليم في الشعر، يقوله ارتجالاً. خدم

---

(١) وبعد هذا في بداية الأصل/ الورقة ١٢٣أ البيتان:

«وقع علىٰ ظهر طرسي ... فالعبد يهوى الظهورا

لمن أحلت عليه ... فلا برحت كبيرا»

الملك المعظم عيسىٰ بن أبي بكر، وجعل له عليه رزقًا يتناوله كل شهر؛ وله فيه مدائح كثيرة. وكان ملازمًا حضرته سفراً وحضراً، ومات شابًا في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

وأنشدني، قال: أنشدني أبو العباس لنفسه في سنة إحدىٰ عشرة وستمائة:

[من الرجز]

إنْ سُلَّ سَيْفُ الهَجْرِ مِنْ غِمْدِ الجَفَا ... فَادَّرِعِ الصَّبْرَ الجَمِيلَ وَالوَفَا
وَقَاتِلِ الهِجْرَانَ بِالوَصْلِ وَمَا ... كُدِّرَ مِنْ وِرْدِ التَّصَابِي بِالصَّفَا
/١٢٣ب/ وَإِنْ خُذِلْتَ بِالسُّلُوِّ فَانْتَصِرْ ... بِالمَدْمَعِ المُنْهَلِّ حَتَّىٰ يُكْتَفَىٰ
وَلاَ تُطِعْ أَمْراً سِوَىٰ أَمْرِ الهَوَىٰ ... وَعَاصِ فِي شِرْعَتِهِ مَنْ عَنَّفَا
وَبِالدُّنُوِّ فَاسْتَعِذْ خَوْفَ النَّوَىٰ ... مِنْ نَزْغِ شَيْطَانِ عَذُولٍ سَوَّفَا
أَحْلَىٰ الهَوَىٰ شَهْدُ الرُّضَابِ سِيَّمَا ... إِذَا اجْتَنَاهُ الصَّبُّ مِنْ صَابِ الجَفَا
حَسْبُ الَّذِي أَجْعَلُهُ مِنْ ذِلَّتِي ... وَسِيلَةً إِلَىٰ الحَبِيبِ وَكَفَىٰ
مَنْ مُنْقِذِي مِنْ يَدِ هَجْرِ ظَالِمٍ ... يَأْبَىٰ إِذَا أَنْصَفْتُهُ أَنْ يُنْصِفَا
يَهُزُّ مِنْ قَامَتِهِ مُثَقَّفاً ... وَيَنْتَضِي مِنَ الجُفُونِ مُرْهَفَا
لَوْ عَنَّ لِلشَّمْسِ اسْتَحَتْ وَلَوْ بَدَا ... لِلْبَدْرِ ضَوْءُ وَجْهِهِ لاَنْكَسَفَا
يُرِيكَ بِالغُرَّةِ صُبْحاً نَيِّراً ... مِنْهُ وَبِالطُّرَّةِ لَيْلاً مُسْدَفَا
يَجْذِبُ خُوطَ قَدِّهِ مِنْ رِدْفِهِ ... دِعْصٌ فَلَوْلاَ لِينُهُ لاَنْقَصَفَا
مُضْعَفُ وَرْدِ الخَدِّ كَمْ قَلْبٍ بِهِ ... بَعْدَ القُوَىٰ فِي حُبِّهِ قَدْ أُضْعِفَا
أَقَامَ مِنْ أَصْدَاغِهِ عَقَارِباً ... تَحْرُسُهُ مِنْ لَحْظِنَا أَنْ يُقْطَفَا
مَا أَنْكَرَتْ أَجْفَانُهُ سَفْكَ دَمِي ... إِلاَّ أَتَانِي خَدُّهُ مُعْتَرِفَا
خَدٌّ بِهِ جَمْرٌ مِنَ الحُسْنِ جَرَىٰ ... مِنْ حَوْلِهِ مَاءُ الحَيَا وَمَا انْطَفَا
..... كُلِّ مُشْرِقٍ وَرَائِقٍ ... بَعْدَ اخْتِلاَفٍ عِنْدَهُ تَآلَفَا
/١٢٤أ/ كَأَنَّ فِي فِيهِ لَدَىٰ ابْتِسَامِهِ ... بَرْقاً أَضَا أَوْ دُرَّ عِقْدٍ قَدْ صَفَا
تَحْسَبُ فِي نَكْهَتِهِ وَطَعْمِهِ ... مِسْكاً وَشَهْداً وَسُلاَفاً قَرْقَفَا
أَضَاءَ بَدْراً وَرَنَا ظَبْيِي نَقاً ... وَفَاحَ مِسْكاً وَانْثَنَىٰ مُثَقَّفَا
وَصَدَّ تِيهاً وَتَجَنَّىٰ مَلَلاً ... وَصَالَ كِبْراً وَتَوَلَّىٰ صَلَفَا

فَهِمْتُ وَجْداً وَنَحَلْتُ كَمَداً وَذُبْتُ شَوْقاً وَقَضَيْتُ أَسَفَا
لَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِ أَرَاهُ شَادِناً مُسَوَّراً مُخَلْخَلاً مُشَنَّفَا
وَلاَ رَأَيْتُ صَنَماً مِنْ قَبْلِهِ يُضِلُّ رُشْدَ المُسْلِمِيْنَ الحُنَفَا
يُصْلِي بِنِيْرَانِ الصُّدُوْدِ مَنْ ثَوَىٰ عَلَيْهِ فِي دِيْنِ الهَوَىٰ مُعْتَكِفَا
آلَيْتُ لاَ أَبْرَحُ مُغْرَىً مُغْرَماً بِهِ مُعَنَّى فِي الهَوَىٰ مُعَنَّفَا

[٨١]

أحمدُ بن عبدِ العزيزِ بن محمدٍ الواسطيُّ الطحّانُ.

قال الصاحب أبو البركات: كان من غلمان الطحن توجه عليه دين، وبقي مدّة محبوسًا، وأطلق فخرج فسكن بعض نواحي البلد، ولم يكن عنده شيء من العلم.

وذكر هو أنه كان طحانًا، وأنه أُخذ لمّا أخذ / ١٢٤ب/ بنو أمسينا، ولم يبق له شيء مما كان، فورد إربل.

ومن شعره: [من الكامل]

لَوَتِ الصَّبَابَةُ وَالغَرَامُ عِنَانِيْ وَأَذَابَنِي شَوْقُ الحِمَىٰ وَبَرَانِيْ
وَتَزَايَدَتْ زَفَرَاتُ وَجْدِيْ لِلْهَوَىٰ فَأَنَا الحَرِيْقُ بِجَذْوَةِ الهِجْرَانِ
يَا لَلْرِجَالِ أَفِيْكُمُ مَنْ آخِذٌ بِدَمِ القَتِيْلِ بِأَعْيُنِ الغِزْلاَنِ
بِأَبِيْ الحُمُوْلُ سَرَتْ بِكُلِّ غَرِيْرَةٍ بَهَرَتْ بِقَامَتِهَا قَضِيْبَ البَانِ

[٨٢]

أحمدُ بن الحسنِ بن كمار، أبو نصرٍ الأرمويُّ، المعروفُ بابن إمامِ الجامعِ.

كان فقيهًا شافعي المذهب خطيبًا فاضلاً عالمًا، سمع الحديث كثيراً. وكانت وفاته يوم الأحد ضاحي نهاره الرابع من شوال، ودفن بكرةَ يوم الإثنين بأرمية سنة ستّ وعشرين وستمائة

وسُئل عن سنّه في مرضه الذي توفي فيه، فقال: عمري سبع وخمسون سنة تخمينًا. وكان مولده في رجب سادس عشريه.

أنشدني أبو بكر محمد ولده، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الكامل]

/ ١٢٥أ/ لمَّا فَقَدْتُ أكابراً كانُوا هُمُ ... مِنْ فَضْلِهِمْ مُتَفَقِّدِيْ إيَّاهُمُ
مَالِيْ سِوَاهُمْ لا أرَىٰ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مُتَأسِّيًا بقُعُوْدِهِمْ وَقِيَامِهِمْ
قَدْ صَحَّ مَا قَدْ قَالَهُ مُتَمَثِّلاً ... أمَّا الخِيَامُ فَإنَّهَا كَخِيَامِهِمْ

[٨٣]

أحمدُ بن بهرامَ، أبو العباسِ الإربليُّ:

ابن بنتِ أخي الأميرِ مجاهد الدينِ أبي منصورٍ قايمازَ بن عبد الله الزينيُّ.

قال الصاحب أبو البركات المستوفي: جندي لطيف المعاشرة، ظريف المحاورة، قيّم بوظائف الصلوات، صائم في أكثر الأوقات، ظاهر الدين، عفيف مستور، ربما عبث في بعض الأوقات بشيء من الشعر تأدبًا.

بلغتني وفاته بطريق الشام في شعبان من سنة ثماني عشرة وستمائة.

اجتمعت به والمغني يغنّي بإربل:

دَعْ مَلامِي بِالحِمَىٰ أوْ رُحْ وَدَعْنِي ... وَاقِفًا أنْشُدُ قَلْبًا ضَاعَ مِنِّي

فقال بديهًا: [من الرمل]

/ ١٢٥ب/ يَا حَبِيْبِي صِلْ مُحِبًّا هَائِمًا ... قَدْ بَرَاهُ فِيْ الهَوَىٰ طُوْلُ التَّمَنِّي

ثم قال: تممْ، فقلت:

لَمْ يَقُلْ إذْ بَاعَكُمْ مُهْجَتَهُ ... بِهَوَاكُمْ يَا لَهَا صَفْقَةُ غَبْنِ

فأفكر ساعة، وقال:

فَانْصَحُوا مَاءَ وِصَالٍ مِنْكُمُ ... فَوْقَ عُوْدِيْ فَعَسَىٰ يُوْرِقُ غُصْنِي
أيُّهَا المُعْرِضُ عَنِّي ظَالِمًا ... لا تَدَعْنِي نَدَمًا أقْرَعُ سِنِّي

وحدثني الصاحب أبو البركات ـ رحمه الله ـ قال: جمعني وأحمد بن بهرام في منزله بالموصل ليلة من الليالي مجلس مؤانسة في سنة ست وتسعين وخمسمائة، فغنّى صدقة بن محمد المغني الإربلي أبياتًا من شعره في لحنٍ صنعه، وهو: [من المجتث]

إذَا تَمَنَّعَ صَبْرِيْ وَضَاقَ بِالهَجْرِ صَبْرِيْ
نَادَيْتُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَقَدْ خَلَوْتُ بِفِكْرِيْ
يَا رَبِّ هَبْ لِيَ مِنْهُ وِصَالَ يَوْمٍ بِعُمْرِيْ

وأتمَّ عليه صدقة، فقال:

لأَجْتَنِيْ وَرْدَ خَدٍّ زَاهٍ عَلَى كُلِّ زَهْرِ
وَأَجْتَلِيْ غُصْنَ بَانٍ يَمِيْسُ مِنْ ...... بَدْرِ
/ ١٢٦أ/ إنْ صَحَّ لِيْ ذَاكَ مِنْهُ يَوْمًا وَفَيْتُ بِنَذْرِيْ

وسُئلت أن أقول، فقلت:

إذَا بَدَا يَتَثَنَّى نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ خَمْرِ
عَجِبْتُ مِنْ صُبْحِ وَجْهٍ يَلُوحُ مِنْ لَيْلِ ثَغْرِ
فَالشَّمْسُ تَلْعَبُ مِمَّا بَيْنَنَا بِدَارَةِ بَدْرِ

وقال أحمد بن بهرام:

أَقُوْلُ مِنْ فَرْطِ وَجْدِيْ بِهِ وَقِلَّةِ صَبْرِيْ
يَا مَنْ تَمَلَّكَ رِقِّيْ إِرْحَمْ فَدَيْتُكَ ضُرِّيْ

وقلت:

عِذَارُ خَدَّيْكَ فِيْهِ يَقُوْمُ لِلنَّاسِ عُذْرِيْ
وَفِيْكَ طَابَ جُنُوْنِيْ وَلَذَّ لِيْ هَتْكُ سِرِّيْ

وأنشدني الصاحب أبو البركات، قال: أنشدني أحمد بن بهرام وكتبها إليّ أوّل كتاب:

[من الكامل]

يَا رَاحِلِيْنَ وَفِيْ حَشَايَ لِبَيْنِهِمْ نَارٌ تَسَعَّرَ حَرُّهَا فِيْ أَضْلُعِيْ
وَاللهِ مَا أَلِفَتْ جُفُوْنِيْ بَعْدَكُمْ طِيْبَ الرُّقَادِ وَلاَ هَنَانِيْ مَضْجَعِيْ
وَلَقَدْ بُلِيْتُكُم جَوًى وَصَبَابَةً حَتَّى تَزَوَّدَ رَكْبُكُمْ مِنْ أَدْمُعِيْ

وأنشدني أيضًا، قال: نقلت من خطّ أبي العباس أحمد بن بهرام ما كتبه إلى بعض أصدقائه: [من الكامل]

/ ١٢٦ب/ وَرَدَ الكِتَابُ مِنَ الأَجَلِّ العَالِمِ فَقَرَأْتُهُ وَلَثَمْتُ ثَغْرَ القَادِمِ

وَذَكَرْتُ أيَّاماً مَضَتْ وَلَيَالِياً قَضَّيْتُهَا فَرِحاً وَكَانَ مُنَادِمِي

وكان حملَ الكتابَ إليه صبيٌّ جميل الصورة، ظاهر الملاحة.

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني أحمد بن بهرام لنفسه: [من الوافر]

أمَا وَهَوَاكَ مَا مَلَكَتْ شُؤُوْنِي مَدَامِعَهَا وَلاَ بَرَدَ الغَلِيْلُ
وَمَا بَرِحَ اصْطِبَارِيْ عَنْكَ وَاه وَجِسْمِي بَعْدَ بُعْدِكُمُ نَحِيْلُ(١)
لَقَدْ أَوْدَعْتَنِي حَسَرَاتِ شَوْقٍ عَشِيَّةَ قُوِّضَ الرَّكْبُ الحَمُوْلُ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

سَلِ اللَّيْلَ عَنِّي كَيْفَ أرْعَى نُجُوْمَهُ لِعُظْمِ غَرَامِيْ فِيْكَ وَالنَّاسُ نُوَّمُ
وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَيْكَ وَنَاظِرِيْ طَمُوْحٌ إِلَى لُقْيَاكُمُ مُتَألِّمُ
أَيَا قَمَراً قَدْ تَاهَ عُجْباً بِحُسْنِهِ لَقَدْ نَالَ مِنِّي الشَّوْقُ مَا أَنْتَ تَعْلَمُ
فَإِنْ يُسْعَدِ المُشْتَاقُ مِنْكَ بِنَظْرَةٍ تُبَرِّدُ نَاراً بَيْنَ جَنْبَيْهِ تُضْرَمُ
أَمَا فِيْكُمَا يَا صَاحِبَيَّ مُسَاعِدٌ يُعَاتِبُ . . . . . يَتَرَحَّمُ

[٨٤]

/١٢٧أ/ أحمدُ بن الخضرِ بن أبي بكرِ بن حسكويهِ، أبو العباسِ.

ابنُ أخي الشيخ عليٍّ بن أبي بكرٍ.

وكان هذا علي بن أبي بكر معلمًا بإربل، واتصل بالحاجب سرفتكين بن عبد الله الزيني ـ والي إربل من قبل زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين رضي الله عنه ـ فحسنت حاله عنده، وارتفع قدره بصحبته، وحصل له مال كثير من خدمته؛ ولما توفي سرفتكين استؤصل ما كان عنده من مال، وبقي فقيراً إلى أن مات ـ رحمه الله ـ هكذا ذكر ذلك الصاحب أبو البركات في تاريخه.

وأما ابن أخيه أحمد هذا؛ فإنه قال: إربلي المولد والمنشأ، ويعرف بحُميدان.

---

(١) الصواب: واهيًا.

أوّل ما اشتغل بالفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بالمدرسة المجدّدة بدرب السهرية. وكان ذكيًا وقحًا.

وأخذ شيئًا من الخلاف، وسمع معنا الحديث علىٰ الشيخ أبي المظفر المبارك ابن طاهر بن المبارك البغدادي الخزاعي المقرىء، وختم عليه الكتاب / ١٢٧ب/ العزيز.

وتوفي في يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة بإربل، ودُفن بها بظاهر البلد.

أنشدني لنفسه، ونقلته من خطّه، وكتبها إلىٰ أبي الثناء محمود بن محمد بن الأنجب الإربلي: [من مجزوء الرجز]

قُلْ لِلَّذِيْ فَاقَ الوَرَىٰ ... بِالفَضْلِ وَالتَّفَضُّلِ
وَمَنْ أَيَادِيْهِ لَنَا ... مِثْلُ السَّحَابِ الهَطِلِ
إِنِّيْ وَإِنْ كُنْتُ كَمَا ... يَزْعُمُ مَوْلَايَ عَلَيْ
عَنِ الحِسَابِ وَالخِلَافِ وَالتُّقَىٰ بِمَعْزِلِ
لَكِنَّنِيْ بَذَلْتُ مَجْهُودِيَ حَيْثُ عَنَّ لِيْ
أَنْ أَجْمَعَ الجُذُوْرَ مِنْ ... كِتَابِ الجُمَّلِ
مَا فِيْ الحُرُوْفِ كُلِّهَا ... جَذْرٌ لِجَذْرِ الأَوَّلِ

فكتب إليه محمود بن محمد بن الأنجب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

[من مجزوء الرجز]

يَا عَلَمَ الدِّيْنِ الَّذِيْ ... يُوْضِحُ كُلَّ مُشْكِلِ
إِسْمُ الَّذِيْ تَيَمَّنِيْ ... ثَانِيْهِ جَذْرُ الأَوَّلِ
وَثَالِثُ الأَحْرُفِ جَذْرُ ثَانِيَ المُسْتَعْمَلِ
/ ١٢٨أ/ وَرَابِعُ الأَحْرُفِ ضِعْفُ الثَّالِثِ المُكَمَّلِ
لَكِنَّمَا خَامِسُهُ ... إِنْ جِئْتَهُ بِالجُمَّلِ
تَلْقَاهُ جَذْرَ جَذْرِ رَابِعِ ... الأَوَّلِ المُفَصَّلِ
فَالإِسْمُ إِنْ صَحَّفْتَهُ ... تَلْقَاهُ غَيْرَ الأَوَّلِ

[٨٥]

أحمدُ بنِ محمد بن رافع بن خليفةَ بنِ أحمدَ بن محمدٍ القريحيُّ بن عمرَ الوَدّاك أبو العباسِ الباجسريُّ[١].

قال الصاحب أبو البركات ـ رحمه الله تعالىٰ ـ كذا أملىٰ عليّ نسبه، وسألته عن معنىٰ القريحي، فقال: كان ذا قريحة جيدة فسمي بذلك ـ هذا لفظه ـ.

وسألته عن مولده، فقال: مولدي يوم الجمعة مستهل شهر رمضان من سنة ستٍّ وستين وخمسمائة بالدور[٢]، وأقمت بباجِسْرَى.

وكان أولاً يقول القارحي فغيّره، ومن أهله بإربل قوم يُدعون بني القارح؛ وله أشعار سلك في طريقها مذاهب العرب؛ استعمال ألفاظ ومعانٍ. وكان كثير اللحن في إنشاده.

/ ١٢٨ب/ ورد معه نسخة من شعره إلىٰ إربل في المحرم من سنة أربع عشرة وستمائة، وعليها خطوط جماعة من البغداديين بالثناء علىٰ شعره المودع فيها، وأرادني أن أكتب له مثل ذلك عليها فلم أفعل.

ورد إربل مرّةً أخرىٰ قبلها، وأنشدني كثيراً من أشعاره في المرتين؛ وله بإربل أقرباء يدعون بني القَارح لا القريحي.

وقد كتب إلى علي بن موسىٰ الضرير أبياتًا نسبه فيها إلى القارحي لا إلىٰ القريحي، فمما أنشدنيه قوله، ونقلته من خطّه: [من الطويل]

سَمَا لَكَ مَجْدٌ بَاذِخٌ مُتَطَاوِلُ وَجَدٌّ عَلَىٰ أَعْلَىٰ المَجَرَّةِ نَازِلُ
مُنِيفٌ يَرَاهُ النَّجْمُ كَالنَّجْمِ سَامِيًا يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ المُتَنَاوِلُ
وَأَبْدَتْ لَكَ الأَيَّامُ مَا فِيْ غُيُومِهَا مِنَ السَّعْدِ حَتَّىٰ حَامَ عَنْكَ المُمَاثِلُ
وَمَتَّعَكَ اللهُ المُهَيْمِنُ مَا دَعَا عَلَىٰ البَانِ وُرْقٌ أَوْ تَفَوَّهَ قَائِلُ

---

(١) نسبة إلى باجِسْرَى: بليدة في شرقي بغداد، بينها وبين حُلْوان، عامرة كبيرة نزهة. انظر: معجم البلدان ١/ ٣١٣.
(٢) حول الدُّور: انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٨١.

وَمَـالِـيَ أَنْ أُهْـدِيْ إِلَيْـكَ فَصَـاحَـةً وَقُـسُّ الأَيَـادِيْ فِـيْ فُنُـونِـكَ بَـاقِـلُ
وَلَيْـسَ لَنَـا عَـنْ سَيْـبِ جُـوْدِكَ مَعْـدِلٌ وَقَـدْ نَضَبَـتْ فِيْمَـنْ سِـوَاهُ المَنَـاهِـلُ
وَمَـا كُـلُّ مُثْـرٍ يُـرْتَجَـى مِنْـهُ نَيْلُـهُ وَلاَ كُـلُّ ذِيْ مَـالٍ لَـدَيْـهِ فَـوَاضِـلُ
/ ١٢٩أ/ وَلاَ كُلُّ جَدْلاَءِ الغُصُوْنِ حُبَيْكَةٌ تَقَمَّصَهَـا يَـوْمَ الكَـرِيْهَـةِ بَـاسِـلُ
فَيَـا خَيْـرَ مَـنْ ضَـمَّ اليَـرَاعَـةَ كَفُّـهُ وَأَكْـرَمَ مَـنْ شُـدَّتْ إِلَيْـهِ الـرَّوَاحِـلُ
وَأَشْجَـعَ مَـنْ أَحْنَـىٰ عَلَـىٰ قَـائِـمٍ يَـداً وَأَحْلَـمَ غَضْبَـانٍ إِذَا طَـاشَ جَـاهِـلُ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو العباس لنفسه في سنة أربع وستمائة: [من الكامل]

طَـرَقَتْـكَ بَعْـدَ صُـدُوْدِهَـا أَسْمَـاءُ وَالحُـبُّ فِيْـهِ سَجَـاحَـةٌ وَإِبَـاءُ
بَيْضَـاءُ لَـوْ تَـرَكَ الخِمَـارُ جَبِيْنَهَـا لاَشَـكَّ يَقْـرأُ أَثْـرِهَـا الـرُّقَبَـاءُ
وَتُـدِيْـرُ خَـوفـاً لَحْظَهَـا فَكَـأَنَّهَـا بَيْـنَ اللِّـدَاتِ غَـرِيْـرَةٌ أَدْمَـاءُ
فَمَضَـتْ لَنَـا عَـنْ عِفَّـةٍ وَصِيَـانَـةٍ إِلاَّ ٱرْتِشَـافـاً لَيْلَـةٌ غَـرَّاءُ

[٨٦]

أحمدُ بن محمدِ بن عليٍّ، أبو العبّاسِ الهيتيُّ:

من أولادِ السنبسيِّ الشاعرِ.

قال الصاحب أبو البركات ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: ورد إربل غير مرّة رسولاً من سنجار.

وحدثني أبو القاسم / ١٢٩ب/ ابن أبي الحسن بن علي بن السنبسي، قال: توفي أحمد بن السنبسي في سابع وعشرين من شعبان من سنة خمس عشرة وستمائة، ودفن بالموصل، قال: ثم أنشدني له: [من الرمل]

مَـنْ لِعَـانِـي القَلْـبِ صَـبٍّ مُسْتَهَـامِ حُـرِمَـتْ مُقْلَتُـهُ طِيْـبَ المَنَـامِ
وَجَفَـا أَجْفَـانَـهُ طِيْـبُ الكَـرَىٰ يَـذْرِفُ الـدَّمْـعَ سِجَـامـاً كَـالْغَمَـامِ
لِـيْ بِهِيْـتَ ضَيْعَـةٌ قَـدْ ضَيَّعَـتْ كُـلَّ مَـا ٱسْتَكْسَبْـتُ مِـنْ آلِ الكِـرَامِ
تَـر . . . . . بِـدَيْـنٍ مُـوْبِـقٍ وَخَـرَاجٍ رَضَّ جِسْمِـي مِـنْ عِظَـامِـي

[٨٧]

أحمدُ بن محمد بن عبد الرحمن الشيبانيُّ.

ابن أخي قاضي مكةَ من ولد القاضي المحامليِّ.

ساق ذكره القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد الفقيه الحنفي ـ أدام الله أيامه ـ فيمن قدم حلب من تصنيفه، وقال: رجل فاضل شاعر مجيد من أهل مكة ـ حرسها الله تعالىٰ ـ قدم علينا حلب في شهور سنة . . . وستمائة، ممتدحًا للملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف، وللأكابر / ١٣٠أ/ من أهلها. وكان حسن السَّمْت جيد الإيراد.

سمعته بين يدي السلطان الملك الظاهر ينشده قصيدتين رثىٰ بهما أخاه الملك الأشرف محمد بن يوسف وقد جلس للعزاء يومين بعد موته، فأنشده في اليوم الأول مرثية استجادها السلطان والحاضرون، فعمل أخرىٰ وأنشدها في اليوم الثاني. وسمعت القصيدتين من لفظه حالة إنشاده إحداهما.

قال المبارك ـ مؤلف هذا الكتاب ـ وأنشدنيها القاضي بمنزله المعمور يوم السبت ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

إلَىٰ كَمْ تُرَىٰ يَا دَهْرُ تَرْمِيْ بِصَائِبٍ ... إلَىٰ أنْ دَهَتْنِي مِنْكَ أُمُّ المَصَائِبِ

بِمَوْتِ مَلِيْكٍ كُنْتُ مَهْمَا دَعَوْتُهُ ... لِسَلْبِكَ لِيْ إلاَّ ٱسْتَعَدْتُ سَلاَئِبِي

بِمَوْتِ مَلِيْكٍ كَانَ عِطْفُكَ قَدْ كُسِي ... جَمَالاً بِهِ حَتَّىٰ نَأَيْتَ بِجَانِبِ

سَدَدْتَ فَمَ النَّاعِيْ بِكَفِّي تَطَيُّراً ... وَٱلْوَيْتُ وَجْهِيْ عَنْهُ لِيَ مُغَاضِبَ

وَقُلْتُ: تَبَيَّنْ مَا تَقُولُ لَعَلَّهَا ... تَكُونُ كَتِلْكَ الحَادِثَاتِ الكَوَاذِبِ

فَلَمَّا بَدَا لِيْ الكُرْهُ فِيْ كَرِّ قَوْلِهِ ... رَبَطْتُ نَوَازِيْ أَضْلُعِيْ بِالرَّوَاجِبِ

/ ١٣٠ب/ فَلاَ تَحْسَبَنِّي أَتَّقِي بَعْدَ هَذِهِ ... شَبَا طَاعِنٍ مِنْ مُصْمِيَاتِكَ ضَارِبِ

وَلاَ بَاسِطًا لِلْخَطْبِ كَفَّ مُدَافِعٍ ... وَلاَ فَاتِحًا مِنْ بَعْدِهَا فَمَ عَاتِبِ

أَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الإلهِ مُحَمَّدِ المَلِيْكِ الفَتَىٰ آسَىٰ عَلَىٰ إثْرِ ذَاهِبِ

أَبَعْدَ المَلِيْكِ الأَشْرَفِ النَّدْبِ أُرْسِلُ الرِّثَا رَائِداً أبْغِي ٱنْتِجَاعَ المَطَالِبِ

وَنَطْمَعُ مِنْ بَعْدِ المَلِيْكِ بْنِ يُوسُفٍ ... بِبُقْيَا وَتَخْلِيْدِ العُصُورِ الذَّوَاهِبِ

فكَمْ قَدْ أَماطَ الضَّيْمَ عمَّنْ هَوَتْ بِهِ المَذَلَّةُ في عَمْياءَ ذاتِ غَياهِبِ
وكَمْ قَدْ هَفَا الحُزْنُ الغَريبُ بفَقْدِهِ فَمَرَّ هَباءً في الدُّمُوعِ الغَرائِبِ
وكَمْ نَفَثَتْ جَمْرَ الغَضَا نادِباتُهُ كأنَّ فُؤادي في حُلُوقِ النَّوادِبِ
عَزاءً عَلَيْهِ أَجْمَعينَ فإنَّني أراهُ عَزيزاً لَيْسَ بالمُتَقارِبِ
أيا شَرَفَ الدِّينِ الَّذي كُنْتُ آمِلاً .... نَداهُ حَقائِبي
.... بِأصْنافِ التَّجَمُّلِ كاذِبِ
فَوَاللهِ لا أنْفَكُّ أبكيكَ دائماً وأنْدُبُ مَجْداً مِنْكَ مُرْخَى الذَّوائِبِ
ذَخيرةَ أُنْسي لَسْتُ أنْساكَ ما رَسا ثَبيرٌ وما حَطَّتْ بأرْضٍ نَجائِبي
طَوَى مِنْكَ هَذا المَوْتُ بُرْداً مُسَهَّماً مُصاناً لَدَيْهِ ....
وَسَدَّ طَريقَ الجُودِ مِنْ كُلِّ وجْهَةٍ وأوْرَدَ ذا الآمالِ مُرَّ المَشارِبِ
/ ١٣١أ/ فَما إنْ أزالُ الدَّهْرَ بَعْدَكَ ناظماً عُقُودَ ثَنائي خاطِباً بالمَناقِبِ
أريحُ سَواماً للمَراثي لِتَرْتَعي لَدَيْكَ أزاهيرَ المَعاني العَجائِبِ
فَلا زِلْتَ مَمْنُوحاً بأرْسالِ مُزْنَةٍ تَرُوحُ وتَغْدُو دانياتِ المَآدِبِ
وإنْ كُنْتَ يَمّاً قَدْ غَنَى في ضَريحِهِ بأمْواجِهِ عَنْ هامِراتِ السَّحائِبِ

وأخبرني القاضي الإمام أبو القاسم ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: حدثني أبو علي الحسن بن محمد بن إسماعيل القيلوبي، قال: حدثني بعض رفقاء أحمد بن أخي قاضي مكة، قال: كان له رفيق فتوفي بدمشق فرأىٰ أحمد بعد وفاته بأيّام، كأنه جاء فقيل له: إلىٰ أين؟ قال: جئت آخذ فلانًا يعني نفسه وأمضي؛ فلما استيقظ، قال لأصحابه: إني ميت لا محالة، فلم يبق إلاّ أيامًا يسيرة ومات بدمشق.

[٨٨]

أحمدُ بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المَلك بن عَليّ بن محَمد بن عَليّ بن العبّاس بن محَاسن بن عليّ بن عيسى بن موسى بن عيسى / ١٣١ب/ بن صالح بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس،

أبو هاشمٍ بن أبي حامدٍ الهاشميُّ الصالحيُّ الحلبيُّ(١).

هو وأبوه من أهل حلب ما زالوا بها من زمن عيسىٰ بن صالح وعليهم بها وقف من زمنه.

وحدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي ـ ضاعف الله إقباله ـ قال: كان أبو هاشم شاعراً مجيداً عارفًا بالتواريخ. سمع الحديث علىٰ جماعة من شيوخنا مثل الشريف أبي هاشم بن..... الهاشمي، وقاضي القضاة أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، وأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الحلبي، وجماعة غيرهم.

وأخبرني أنَّ مولده بحلب في سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وتوفي بها يوم السبت الحادي عشر من شهر رمضان سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة. ودفن خارج باب أنطاكية في تربة لأخواله بني عبد الرحيم.

ثم قال: أنشدني أبو هاشم لنفسه: [من البسيط]

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَحْبَابِي قَدِ ارْتَحَلُوا ... فَأَوْجَسَ القَلْبُ مِنْ تَرْحَالِهِمْ حَذَرَا
فَجِئْتُ عِنْدَ انْشِقَاقِ الفَجْرِ أَطْلُبُهُمْ ... فَلَمْ أَجِدْ مِنْهُمُ عَيْنًا وَلَا أَثَرَا
/١٣٢/ فَأَقْسَمَ الجَفْنُ إِذْ كَانَ الرُّقَادُ لَهُ ... نَاعِيَ الأَحِبَّةِ أَنْ لَا ذَاقَ طَعْمَ كَرَىٰ

وأنشدني القاضي أبو القاسم ـ أدام الله أيامه ـ قال: أنشدني أبو هاشم الصالحي لنفسه: [من الطويل]

تَأَمَّلْ لِسُعْدَى بِالأُبَيْرِقِ مَنْزِلا ... كَسَتْهُ الرِّيَاحُ الهُوجُ ثَوْبًا مِنَ البِلَىٰ
عَفَتْ رَسْمَهُ الأَرْوَاحُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... بَقِيَّةُ وَشْمٍ فِي بَنَاتِ تَمَثَّلَا
عَهِدْنَاهُ بِالبِيضِ الأَوَانِسِ مَعْلَمًا ... فَأَصْبَحَ بِالسُّودِ الطَّوَامِسِ مَجْهَلَا
تَحَمَّلْتُ أَعْبَاءَ الصَّبَابَةِ وَالأَسَىٰ ... غَدَاةَ نَوَىٰ عَنْهُ الخَلِيطُ تَحَمُّلَا

---

(١) في هامش الأصل: «بدر الدين».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٣٦ وفيه: «توفي في حدود سنة ثلاثين وستمائة تقريبًا». غاية النهاية ١/ ١٢٢. شذرات الذهب ٥/ ٤٣٥. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٧١ رقم ٢٥٤٣. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٥٣.

وَإنَّ مُحَالاً صَبْرُ قَلْبِي وَإنْ بَدَا لِعَيْنِي رَبْعُ المَالِكِيَّةِ مُحْمَلاَ

وأنشدني، قال: أنشدني أبو هاشم الحلبي قوله. وكان الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب قد اقترح هذا الوزن واستخفَّه، فعمل جماعة من الشعراء بحلب عليه، فعمل هو قصيدة منها: [من الطويل]

نَعَمْ ذَاكَ رَبْعُ العَامِرِيَّةِ قَدْ أقْوَىٰ فَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَىٰ البَيْنِ مَا أقْوَىٰ
/ ١٣٢ب/ سَرَوا فَسَرَوا بِالعَيْشِ يَتْبَعُ عِيسَهُمْ وَوَلَّوا فَقَدْ وَلَّوا عَلَىٰ جَسَدِيْ البَلْوَىٰ
وَكَمْ خَدَعَتْنِي أعْيُنُ العِينِ عَنْهُمُ فَمَا عَزَّ يَا قَلْبُ عَلَيْهَا وَلاَ ألْوَىٰ
هُمُ أخَذُوا طَرْفِي وَسَمْعِي زَمِيْلَهُمْ فَمَا أمْلِكُ الرُّؤْيَا وَلاَ أسْمَعُ النَّجْوَى
وَبِالهَوْدَجِ المَحْجُوبِ بِالسُّمْرِ غَادَةٌ عَدَتْ وَحَدِيْثُ الحُسْنِ عَنْ وَجْهِهَا يُرْوَىٰ
مُنَعَّمَةٌ لاَ مِنْ هَبِيْدٍ طَعَامُهَا وَلاَ قَوْمُهَا كَعْبٌ وَلاَ دَارُهَا حُزْوَىٰ
إذَا أسْفَرَتْ وَاللَّيْلُ مُرْخٍ سُدُوْلَهُ لَنَا عَنْ مُحَيَّاهَا تَشَعْشَعَتِ الأَضْوَا
وَلَوْ أنَّ بَدْرَ التَّمِّ يُشْبِهُ وَجْهَهَا لَمَا أحْدَثَ الرَّحْمَانُ فِي وَجْهِهِ مَحْوَا

[٨٩]

أحمدُ بنُ رُسْتَمَ بن كيلانَ شاه، الديلميُّ الأصلِ، الدمشقيُّ المولِد، أبو العباسِ الشافعيُّ[١].

كان أبوه يعرف بأسباسلار.

حدَّثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي ـ حرس الله مدَّته ـ في شهر ربيع الآخر بحلب في منزله المعمور سنة أربع وثلاثين وستمائة، قال: قدم أبو العباس بن أسباسلار حلب وأقام بها مدّة في صحبة أبي محمد ظاهر بن جميل، إلىٰ أن انتقل ابن / ١٣٣أ/ جميل إلىٰ البيت المقدس فانتقل في صحبته وأقام بالبيت المقدس بعد وفاته، وكان من المعدّلين، وكان شيخًا حسنًا مستوراً له شعر حسن وكلام منثور.

اجتمعت به بالبيت المقدس سنة تسع وستمائة وكتبت عنه جزءاً من الحديث،

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٣٨١.

سمعه بدمشق من أبي الفهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أبي العجائز الأزدي، آخر سمعه من أبي علي الحسن بن هبة الله بن يحيىٰ المعروف بابن البوقي الواسطي، وكتبت منه جزءاً من شعره.

ولما هدم البيت المقدس في سنة . . . . . وستمائة خرج منها وسكن دمشق إلىٰ أن مات بها علىٰ ما أخبرني أبو عبد الله محمد بن البخاري البغدادي يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة سنة إحدىٰ وعشرين وستمائة، ودفن بجبل قاسيون.

وأخبرني إبراهيم بن الأزهر الصريفتي: أنَّ مولد شيخنا أحمد بن أسباسلار في سنة ثماني وأربعين وخمسمائة بدمشق.

ثم قال: وأنشدني أبو العباس أحمد بن رستم الديلمي لنفسه في الغزل:

[من الرمل]

شَهَرَتْ مِنْ لَحْظِهَا لِيْ مُرْهَفَيْن ... يَوْمَ زُمَّتْ عِيسُهَا بِالمَأْزِمَيْنْ

/ ١٣٣ب/ عَرَّفَتْ فِي عَرَفَاتٍ وَٱنْثَنَتْ ... بِشِعَارِ النُّسْكِ نَحْوَ المَشْعَرَيْنْ

وَأَفَاضَتْ فَأَفَاضَتْ عَبْرَتِي ... . الأَعْمَالِ العَلَمَيْنْ

لِمِنًى ثُمَّ رَمَتْ حَاذِقَةً ... جَمْرَةً أَذْكَتْ بِقَلْبِي جَمْرَتَيْنْ

ثُمَّ طَابَتْ نَفْسُهَا فِي طَيْبَةٍ ... إِذْ أَلَبَّتْ سَحَراً بِاللَّابَتَيْنْ

حَرَمَتْ عَيْنِي الكَرَىٰ وَادِعَةً ... حِينَ وَلَّتْ مِنْ وَدَاعِ الحَرَمَيْنْ

لَيْتَهَا إِذْ عَذَّبَتْنِي بِالقِلَىٰ ... سَمَحَتْ مَالِكَتِي بِالأَعْذَبَيْنْ

كُلَّمَا ٱسْتَحْدَثْتُ فِيهَا عَزْمَةً ... لِسُلُوٍّ فَتَرَتْ بِالفَاتِرَيْنْ

كَيْفَ أَسْلُو وَالهَوَىٰ لَمْحَةُ عَيْنٍ ... أَوْدَعَتْنِي عَارِضاً مِنْ عَارِضَيْنْ

مَنْ مُجِيرِي مِنْ هَوَاهَا فَلَقَدْ ... حَجَبَ النَّوْمَ قِسِيُّ الحَاجِبَيْنْ

أَعْرَضَا عَنِّي فَمَا يَنْفَعُنِي ... طِبُّ بُقْرَاطَ وَلَا رَأْيُ حُنَيْنْ

لَيْسَ يُرْجَىٰ لِيْ شِفَاءٌ عِنْدَهُ ... بَلْ شِفَائِي مِنْ بُرُودِ الشَّفَتَيْنْ

قَدْ رَآنِي قَاضِياً حَقَّ الصِّبَا ... لِحِقَاقٍ حُمِّلَتْ عَنْبَرَتَيْنْ(١)

---

(١) الحقاق: أوعية الطيب.

عَجَبًا مِنِّي وَمَنْ مُعْجَبَةٍ بِنْتِ تِسْعٍ وَثَلاثٍ وَٱثْنَتَيْنْ

وأنشدني القاضي الإمام أبو القاسم ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني / ١٣٤أ/ أبو العباس من شعره: [من الخفيف]

رُبَّ كَأْسٍ عَارٍ مِنَ الآدَابِ هَمُّهُ مَا يَشِيدُهُ لِلْخَرَابِ
يَتَبَاهَىٰ بِثَوْبِهِ وَثَرَا المَالِ وَجِسْمٍ يَبْلَىٰ وَعَيْشٍ لُبَابِ
مُهْمِلاً أَمْرَ دِينِهِ لَيْسَ يَدْرِيْ أَنَّ هَذَا جَمِيعَهُ لِلذَّهَابِ

وأنشدني أدام الله أيامه ـ قال أنشدني أحمد بن كيلان شاه لنفسه يمدح قاضي القضاة محيي الدين أبا المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن يحيى القرشي الدمشقي: [من المتدارك]

إِشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِيْ فَالضِّيقُ مَنُوطٌ بِالفَرَجِ
وَالعُسْرُ يَؤُولُ إِلَىٰ يُسْرٍ وَالرَّوْحُ تُرَاحُ مِنَ الحَرَجِ
مُذْ لاحَ بَيَاضٌ فِي لِمَمٍ مِنْ بَعْدِ سَوَادٍ كَالسَّبَجِ[1]
فَاسْمَعْ يَا صَاحِ وَصِيَّةَ مَنْ فِي زُوْرِ البَاطِلِ لَمْ يَلِجِ
إِعْلَمْ وَٱعْمَلْ بِالعِلْمِ لِكَيْ تَسْمُو فِي الخُلْدِ ذَوِي الدَّرَجِ
مَا أَنْتَ وَأَغْيَدُ ذُوْ هَيَفٍ بِمُعَقْرَبِ صُدْغٍ مُنْعَرِجِ
مِنْ نَسْلِ التُّرْكِ إِذَا نَسَلُوا سَلَبُوا وَسَبَوا أُسْدَ الخُلُجِ
/ ١٣٤ب/ بِعُيُونِ ظِبَاءٍ سَانِحَةٍ وَفُتُورِ لِحَاظٍ فِي دَعَجِ
تَرْمِي الأَبْطَالَ فَمَا تَنْفَكُّ سِهَامُ اللَّحْظِ مِنَ الوَدَجِ
وَبِغَالِيَةٍ مِنْ غَالِيَةٍ فَتَنْتُكَ عَلَىٰ خَدٍّ ضَرِجِ
وَبِلُعْسٍ شَفَاهُ ظَامِئَةً مَا فِيهِ شِفَاءٌ لِلْمُهَجِ
وَبِبَرْدِ رُضَابٍ مِنْ بَرَدٍ كَالقَرْقَفِ مُنْيَةُ كُلِّ شَجِيْ
وَبِنَاصِعِ سَالِفَةٍ نَجَمَتْ كَعَمُودِ صَبَاحٍ مُنْبَلِجِ
لاَ تُرْضِ أَخَاكَ وَتُوسِعُهُ مَكْرًا فَالْبَهْرَجُ لَمْ يَرُجِ

---

(١) السبج: الخرز الأسود.

لا تَـــرْمِ النَّـــــاسَ بمُعْضلَـــــة ... يَـــرْمُـــوكَ بقَـــاصمَـــة الشَّبَـــجِ[١]
إيَّـــاكَ فَـــلاَ تَـــكُ مُعْتَـــذراً ... لـــلاَّئـــم مـــنْ أمْـــر مَـــرجِ
إيَّـــاكَ وَعَيْـــبَ ســـواكَ وَكُـــنْ ... مَـــا عشْـــتَ بعَيْبـــكَ ذَا لَهَـــجِ
وَالخـــلَّ فَـــوَاس بمَـــا مَلَكَـــتْ ... كَفَّـــاكَ . . . . . خلَـــق سَمـــجِ
جُـــدْ بـــالأَمْـــوَال لخَـــاطبهَـــا ... حَثْيـــاً حَثْيـــاً لاَ بـــالصَّبَـــجِ
فَبُطُـــونُ أكُفِّـــكَ مـــنْ أنَـــامـــل كَـــفٍّ مُنْقَبـــضٍ شَنـــجِ
كَـــالنِّيـــلِ وَنَـــائـــلُ مُحْيـــي الـــدِّيْـــنِ ... مُميْـــت البَـــاطـــل بـــالحُجَـــجِ
. . . . شَـــــــــــــرس ... فَـــي الخُلْـــق وَلاَ بـــالمُنْـــزَعـــجِ

/ ١٣٥أ/ وقال أيضًا يمدح الملك الأفضل نور الدين علي بن يوسف بن أيوب:

[من الكامل]

سَـــلِّ هُمُـــومَـــكَ بـــالـــرُّضَـــاب البَلْبَـــل ... مـــنْ طَفْلَـــة مثْـــل المَهَـــاة المُطْفـــل
لاَ دَارُهَـــا بـــالـــرَّقْمَتَيْـــنِ فَبَـــارق ... كَـــلاَّ وَلاَ طَلَـــلٌ بـــدَارَة جُلْجُـــل
نَـــزَلَـــتْ بـــأعْلَـــى النَّيْـــرَبَيْـــن مَنَـــازلاً ... لَـــمْ يَعْفهَـــا مَـــرُّ الصَّبَـــا وَالشَّمْـــأَل
تَتَفَيَّـــأُ الـــرَّوْضَ الأرِيْـــضَ وَجَـــاوَرَتْ ... هَـــارُوْنَ لاَ سقْـــطَ الـــدَّخُـــوْل فَحَـــوْمَـــل
بظـــلاَل كُـــلِّ خَميْلَـــة عُنيَـــتْ بهَـــا ... فـــي وَشْيهَـــا كَـــفُّ الـــرَّبيْـــع المُقْبـــل
فَتَبَسَّمَـــتْ أرْجَـــاؤُهَـــا لَمَّـــا بَكَـــتْ ... عَيْـــنُ السَّحَـــاب بكُـــلِّ دَمْـــعٍ مُسْبَـــل
حَلَّـــتْ فَحَلَّـــتْ كُـــلَّ رَوْض عَـــاطـــل ... منْهَـــا بـــأنْـــوَاعِ المَـــلاَبـــس وَالحُلَـــيْ
فَـــالـــدَّوْحُ بيْـــنَ مُنَـــوَّرٍ وَمُثَمَّـــرٍ ... وَمُسَيْطَـــرٍ وَمُشَمَّـــرٍ وَمُـــذَيَّـــلِ
وَالـــرَّوْضُ بَيْـــنَ مُعَنْبَـــرٍ وَمُـــزَعْفَـــرٍ ... وَمُعَطَّـــرٍ وَمُكَفَّـــرٍ وَمُصَنْـــدَلِ
وَالنَّهْـــرُ بيْـــنَ تَـــدَفُّـــقٍ وَتَـــرَفُّـــقٍ ... وَتَـــرَقْـــرُقٍ وَتَخَـــرُّقٍ وَتَسَلْسُـــلِ
وَالـــرَّاحُ فـــي رَاحِ السُّقَـــاة تَضَـــوَّعَـــتْ ... أرَجَ القَـــرَنْفُـــل فـــي مَـــذَاق الفُلْفُـــلِ
وَالكَـــأسُ مَـــا بيْـــنَ الكيَـــاس مُـــذَالَـــةٌ ... فَمُحَـــرَّمٌ فـــي شُـــرْبهَـــا كَمُحَلَّـــلِ
/ ١٣٥ب/ وَالنَّـــايُ وَالمزْمَـــارُ يَخْفُـــتُ صَـــوْتُـــهُ ... وَالعُـــوْدُ بَيْـــنَ تَسَكُّـــنٍ وَتَقَلْقُـــلِ
وَالعَيْـــشُ غَـــضٌّ وَالـــزَّمَـــانُ كَـــأنَّـــهُ ... فـــي طيْبـــه زَمَـــنُ المَليْـــك الأفْضَـــلِ

---

(١) الشبج: ما بين الكاهل إلى الظهر.

وقال وهو بمصر، وقد اشتدّ شوقه إلىٰ دمشق وذكر أيامًا له قد تقضَّت بالنيربين، ويمدح الوزير نجم الدين يوسف بن الحسين بن المجاور: [من الرمل]

عَلِّلانِي بِالمُنَىٰ صِدْقًا وَمَيْنْ فَحَدِيثُ النَّفْسِ إِحْدَىٰ اللَّذَّتَيْنْ
ضَاعَ وَالَهْفِي زَمَانِي وَدَنَا هَرَمِي مِنْ صِحَّتِي بِالهَرَمَيْنْ
فَإِلَىٰ كَمْ ذَا التَّمَادِي وَلَقَدْ أَوْدَتِ النَّفْسُ بِشَوْقِ الوَادِيَيْنْ
لَسْتُ أَسْلُو بِسِوَاهَا إِنَّمَا رَاحَةُ الرُّوحِ بِنَوْرِ النَّيْرَبَيْنْ
لَا وَلَا أَنْسَىٰ رُقَيِّي دَوْحَةً أَجْتَنِي مِنْهَا جَنِيَّ الجَنَّتَيْنْ
وَمَبِيتِي جَارَ جَارِيهَا وَقَدْ سَحَرَتْنَا وُرْقُهَا بِالسَّحَرَيْنْ
قَمَرَتْ أَلْبَابَنَا أَقْمَارُهَا مُشْرِفَاتٍ مِنْ أَعَالِي المَشْرِقَيْنْ
ظَلَّ يَرْعَىٰ نَاظِرِي فِي ظِلِّهَا ظَبَيَاتٍ لَا ظِبَاءَ الحَلْمَتَيْنْ(١)
مُذْ بَكَتْهَا كُلُّ عَيْنٍ . . . . . أَضْحَكَتْ لِلرَّوْضِ مِنْهَا كُلَّ عَيْنْ
/ ١٣٦أ/ رَقَمَ المُزْنُ بِهَا دِيبَاجَةً خَجِلَتْ مِنْهَا رُقُومُ الرَّقْمَتَيْنْ
وَبَدَا بَارِقُهَا مُغْلَوْلِسًا فَخَبَتْ مِنْهُ بُرُوقُ الأَبْرَقَيْنْ
بَاكَرَتْ مَا رَاعَ فِي رَيْعَانِهِ مِنْ ضَرِيبِ الشَّوْكِ ضَرْبُ الشَّوْكَتَيْنْ
زَمَنٌ قَضَّيْتُهُ فِي ظِلِّهَا لَا زَمَانٌ بِالنَّقَا وَالأَجْرَعَيْنْ(٢)
إِنْ تَقَضَّىٰ فَلَقَدْ عُوِّضْتُ مِنْ ظِلِّهِ ظِلَّ الوَزِيرِ ابْنِ الحُسَيْنْ(٣)
مِقْوَلٌ قَيْلٌ وَزِيرٌ وَزَرٌ إِفْتِخَارُ المُلْكِ صَدْرُ الدَّوْلَتَيْنْ(٤)

وقال يمدح الإمام الحافظ ثقة الدين أبا القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي(٥): [من الرجز]

قَدْ أَغْتَدِي بِكُلِّ لَدْنٍ أَمْلَدِ وَكُلِّ مَرْهُوبِ الشَّبَا المُحَدَّدِ

---

(١) الحَلْمَتان: موضع.
(٢) الأجرعين: موضع باليمامة. انظر: معجم البلدان/ مادة (الأجرعين).
(٣) مقول: بيّن القول، ظريف. قيل: رئيس، ملك. وزر: ملجأ.
(٤) في الأصل: «الإمام الحافظ أبا القاسم بن الإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم. .». وما صوبناه من المراجع الأخرى.
(٥) الكهام: الكليل (يريد السيف). المعضد: المنجل.

لا بــالكَهَــام لاَ وَلاَ بــالمعْضَــد مُهَنَّــد نَــاهيْــكَ مــنْ مُهَنَّــد[1]
فَــيْ جُنْــحِ لَيْــلِ مُسْــدف كَــالإِثْمــدَ قَــدْ طَلَعَــتْ نُجُــومُــهُ بــالأسْعَــدَ
وَالأَرْضُ مشــنْ أَلْطَــاف صُنْــع الأَحَــد مُــذْ جَــادَهَــا جَــوْدُ المُلــثِّ المُــرْعِــد[2]
كَــأَنَّهَــا بُسْــطٌ مــنَ الــزَّبَــرْجَــد قَــدْ طُــرِّزَتْ بــأصْفَــر كَــالعَسْجَــد
/ ١٣٦ب/ وَفُصِّلَــتْ بــأحْمــر كَــالبســد وَرُصِّعَــتْ بــأبْيَــض كَــالْبَــرَدَ
وَسَــوْسَــنٍ مُنَمْنَــم بــأَسْــوَدَ كَــأَنَّــهُ عــذَار الأَمْــرَدَ
وَمــنْ شَقيْــقٍ كَعُيُــون الأَمَــد وَمــنْ أُقَــاحٍ كَثُغُــوْرِ الخُــرَّدَ
وَالأَيْــكُ وَالأَغْصَــانُ فــيْ تَــأَوُّدَ يَعْلُــوْ ذُرَاهَــا كُــلُّ شَــاد مُنْشــد
مــنْ بُلْبُــلٍ وَعَنْــدَلِيْــبٍ غَــرد مُنَــاديــاً جَــلَّ جَــلاَلُ الصَّمَــدَ
وَمَنْهَــلٍ لَــمْ يَــكُ بــالمُصَــرَّدَ وَلاَ بقَــايَــا ثَمَــد مُثْهَمَــدَ
وَرَدْتُــهُ بعَنْتَــرِيْــس أُجُــد تَهْــوَاْ المَــاوِيْ جَلْــدَة بــالجَلَــدَ
مَــارِدَةٍ كَــالغَــدن المُمَــرَّدَ مَتيْنَــةٍ بقَــدَمَيْــنِ القَــرْدَدَ
تَجُــوْزُ جَــوْزَ الهَــرْجَــلِ البعَمَــرَّدَ مُحْفِــدَةٍ تَفْلــيْ الفَــلاَ بمُحْفِــدَ
بمثْلهَــا أجــدُّ عَــرْضَ الجَــدَدَ أجُــوْلُ فــيْ آجَــالهَــا كَــالصَّــرَدَ
مَــا بَيْــنَ سيْــدَان الفَــلاَ والأُسُــد وَالهقْــل والــرَّال والحَفَيْــدَدَ
يُجْهِــدُهَــا سَــوْقــيْ وَشَــوقــيْ مُجْهِــديْ حَتَّــى بَــدَتْ مــنَ الــسُّرَىٰ وَالسُّهُــد
كَــالــوَقْــفِ فــيْ رقَّــة ذَات المَــرْوَد أَزْجُــرهَــا بــأَنْ تَجُــدِّيْ تَجــديْ
وَتَحْمَــديْ رَأْيَ أَبِــيْ مُحَمَّــد القَــاسِم السَّــامِق فَــوْقَ الفَــرْقَــد

/ ١٣٧أ/ وقال وهو في مصر في الوزير بن المجاور: [من الكامل]

حَــيِّ الــدِّيَــارَ بشــاطــيء مقيــاسهــا فَــالقَــاســم الفيّــاح بيــن دهــاسهــا
فَــالــرَّوْضَتَيْــن وَقَــدْ تَضَــوَّعَ عَــرْفُهَــا أَرجَ البَنَفْسَــج فــيْ غَضَــارَة آسهَــا
فَمَنَــازِلُ العــزِّ المُنيْفَــة أَصْبَحَــتْ بغَنَــىٰ سَنَــاهَــا عَــنْ سَنَــى نبْــرَاسهَــا
فَخَليْجُهَــا لَــذَّاتُــهُ مَخْلُــوجَــةٌ تَسْمُــو مَحَــاسِنُــهُ عَلَــى انَــاسهَــا

---

(١) الجود: المطر.
(٢) القطعة في الوافي ٦/ ٣٨١ عدا البيت الثالث.

حَافَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ بِمَنَازِلٍ نَزَلَتْ بِهَا الآرَامُ دُوْنَ كِنَاسِهَا
وَالفُلْكُ فِيْهِ سَوَانِحٌ وَبَوَارِحٌ مَا بَيْنَ حَاكَتِهَا إِلَى دَكَّاسِهَا
وَاشْفَعْ بِبَابِ فُتُوحِهَا فَبِنَصْرِهَا فَمَنَازِلُ السُّعَدَاءِ طِبْنَ لِنَاسِهَا
فَالتُّرْكُ أَمْثَالُ الشُّمُوسِ شَوَامِسٌ وَمَسَاسُهَا يَحْوِيْ صَلاَبَةَ فَاسِهَا
أَبْرَاجُهَا صَهَوَاتُ قُبٍّ شُزَّبٍ مِثْلِ الصُّقُورِ شُمُوْسُهَا كَشِمَاسِهَا
أَطْرَارُهَا تَزْهُو عَلَى أَقْمَارِهَا وَكَذَلِكَ الأَلْبَاسِ فَوْقَ لِبَاسِهَا
فَكَأَنَّهَا سُرِدَتْ لَهُمْ وَكَأَنَّهَا فُرْسَانُهَا حَلَفُوا عَلَى أَفْرَاسِهَا
وَاعْطِفْ عَلَى قَلْيُوبِهَا فَقَلْيِبِهَا فَسَبِح ثُمَّ مَلِيْحٍ مِنْ سِبْطَاسِهَا
فَدَمِيرِتِيهَا فَالمَحَلَّةِ بَعْدَهَا فَمَذِيْنَتَيْهَا فِيْ جِوَارِ شِبَاسِهَا
فَالمنتسين فَحَارِهَا تَقْدُوسِهَا فَرَشِيْدُهَا وَخُذَا إِلَى سِقَاسِهَا
/ ١٣٧ب/ فَمَنُوفُهَا مِمَّا يَلِيْ شَطْنُوْفِهَا إِنْ كُنْتَ مُجْتَازاً عَلَى أَبْنَاسِهَا
فَصَعِيْدُهَا فَعَرُوسَتَنِيهِ فَقُوْصُهَا فَغُرَابُهَا فَالنَّخْلُ عِنْدَ كِيَاسِهَا
فَأَسْيُوطَ مِنْ دَهْيُوطَ إِنْ تَكُ قَافِلاً مِنْ مَنْفَلُوطِ إِلَى دُرُوطِ فَوَاسِهَا
ثُمَّ الثُّغُوْرِ فَخُصَّهَا بِتَحِيَّةٍ مِنِّيْ عَلَى مُخْضَلِّهَا وَطِسَاسِهَا
هَذِي دِيَارُ الملكِ لَيْسَ بِلَعْلَعٍ وَزَرُوْدُ وَالوَعْسَاءُ مِنْ أَوْطَاسِهَا
أَبْدَتْ زَخَارِفَهَا وَزِيْنَةَ زِيِّهَا وَبَهَاءَ بَسْطَتِهَا دَمَعَ غِرَاسِهَا
لِجَلاَلِ مَوْلاَنَا الوَزِيْرِ وَمَنْ لَهُ خَضَعَتْ رِقَابُ الأُسْدِ فِيْ أَخْيَاسِهَا
بَهَجَا بِبَهْجَتِهِ وَيُمْنِ يَمِيْنِهِ وَيَسَارِ يُسْرَاهُ عَلَى إِفْلاَسِهَا

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

يَا عَاذِلِيْ بَرَّحَ بِيْ مُنَظَّمٌ كَالحَبَبِ
مُؤَشَّرٌ مُعَطَّرٌ مِنَ الزُّلاَلِ الشَّنِبِ
وَمُقْلَةٌ فَاتِرَةٌ فَاتِنَةٌ مِنْ رَبْرَبِ
وَحَاجِبٌ مُقَوَّسٌ يَرْمِيْ بِسَهْمِ الهُدُبِ
مِنْ طَفْلَةٍ إِذَا بَدَتْ عَايَنْتَ كُلَّ العَجَبِ
تَزْهُو عَلَى أَتْرَابِهَا كَالبَدْرِ بَيْنَ الشُّهُبِ
إِنْ أَقْبَلَتْ أَوْ أَدْبَرَتْ كَانَتْ فَتَاةً أَوْ صَبِي

يَا قَوْمُ يَا قَومُ فَلَمْ ... أُمُوْتُ بِالتَّجَنُّبِ
وَلَا أُذِيْعُ لَاعِجًا ... وَلَا أُبُثُّ وَصَبِيْ
وَمَا بَلَغْتُ أَمَلًا ... وَمَا قَضَيْتُ أَرَبِي
وَقَدْ عَزَمْتُ هَتْكَ مَا ... أَسْتُرُهُ فِي الحُجُبِ
إِلَى الَّذِيْ تَيَّمَنِي ... وَخَصَّنِي بِالنَّصَبِ
/ ١٣٨أ/ إِنْ كَانَ لِي كُنْتُ لَهُ ... وَإِنْ أَبَى وَاحَرَبِي

وقال في خيل الحلبة: [من الرجز]

يَا مَنْ يَرُوْمُ عَدَدَ السَّوَابِقِ ... فِيْ أَمَدِ الحَلْبَةِ وَاللَّوَاحِقِ
أَصِخْ لِمَا أُوْدِعُهُ مِنْ شِعْرِيَ ... وَكُنْ فَدَتْكَ النَّفْسُ مِمَّنْ يَدْرِيَ
لِكَيْ تَنَالَ لَذَّةَ الفَضِيْلَهْ ... وَهِيَ لَدَيْكَ أَعْظَمُ الوَسِيْلَهْ
فَاحْفَظْ مَقَالِيْ وَاتَّبِعْ مَا أُوْصِي ... وَكُنْ عَلَى العِلْمِ شَدِيْدَ الحِرْصِ
فَلِلْعَلِيْمِ تُطْرَقُ الرُّؤُوْسُ ... وَالجَهْلُ لَا يَرْضَى بِهِ الرَّئِيسُ
أَوَّلُهَا السَّابِقُ وَالمُجَلِّي ... ثُمَّ المُصَلِّي بَعْدَهُ المُسَلِّي
وَالخَامِسُ التَّالِيْ وَالمُرْتَاحُ ... سَادِسُهَا جَاءَ لَهُ ضُبَاحُ
وَالعَاطِفُ السَّابِعُ وَالمُؤَمِّلُ ... ثُمَّ اللَّطِيْمُ قَدْ تَلَاهُ القُسْكُلُ
وَهْوَ السُّكَيْتُ زَعَمُوا وَالغَابِرُ ... يَا صَاحِ وَالقَاشُوْرُ وَهْوَ العَاشِرُ
وَمَا يُوَافِيْ بَعْدَهُ لَا يُحْسَبُ ... وَلَا يَعُدُّوْهُ وَعَنْهُ يُضْرَبُ
فَهَذِهِ جُمْلَةُ خَيْلِ الحَلْبَهْ ... قَرَّبْتُهَا لِمَنْ أَطَاعَ رَبَّهْ

وقال أيضًا في ترتيب سهام القداح[1]: [من الرجز]

/ ١٣٨أ/ يَا سَائِلِيْ عَنْ عَدَدِ القِدَاحِ ... خُذْهَا مِنَ الشِّعْرِ وَلَا تُلَاحِيْ
جَاءَتْكَ مِنِّي أَيُّهَا الحَرِيْصُ ... عَلَى العُلُومِ زَانَهَا التَّلْخِيْصُ
نَظَمْتُهَا لِلْفَطِنِ المُهَذَّبِ ... وَطَالِبٍ لِلْعِلْمِ خَيْرَ مَطْلَبِ
أَوْجَزْتُهَا وَمَا أَطَلْتُ فِيْهَا ... سَهَّلْتُهَا لِكُلِّ مَنْ يَرْوِيْهَا
قَدْ جَعَلُوْهَا وَاحِدًا وَعَشَرَهْ ... أَحْوَالُهَا عِنْدَهُمْ مُشْتَهِرَهْ

---

(١) القطعة في الوافي ٦/ ٣٨١ عدا البيت الثالث.

حُظُوظُهَا في السَّبْعَة العَوَالي تُتْبَعُ بالأرْبَعَة الأغْفَال
جَاءَتْ عَلى مَا يَقْتَضِي التَّرْتِيبُ: الفَذُّ والتَّوْأمُ والضَّرِيبُ
والحلْسُ والنَّافسُ وَهْوَ الخَامسُ منْهُنَّ وَالمُسْبِلُ وَهْوَ السَّادسُ
ثُمَّ المُعَلَّى سَابعُ السِّهَام يَفُوزُ بالمَيَاسرِ العظَام
وَالأرْبعُ الأغْفَالُ هُنَّ بَعْدُ أوَّلُهَا رَقيبُهَا وَالوَغْدُ
وَأبْدَلُوا الرَّقيبَ بالمُصَدَّر وَالوَغْدَ بالمُضعَّف المُؤَخَّر
ثُمَّ المَنِيحُ بَعْدَهُ السَّفِيحُ وَذَاكَ عنْدي نَسَقٌ صَحيحُ

وهذه خطبة من إنشائه أوردها بالمقرّ الأشرف الملكي العادلي:

/ ١٣٩أ/ «الحمد لله الذي يسبّح الرعد بحمده، والملائكةُ من خيفته، والسحابُ الهواطلُ، ويسجد لعزّته ما اخترع من بريته ..... بالغدوِّ والآصَال، جامع كلمة الموحدين، ومؤيدها بلوامع البراهين والدلائل وقاطع حجة الملحدين ..... ، وقامع أهل البدع والباطل. باعث النبي الأمي من أفضل المنازل، وأشرف القبائل، الذي نسخ بكتابه ورسالته ما تقدمه من الكتب والرسائل ـ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله واصحابه ـ ما وَخَدَ في بيداء بازلٌ، وأمتعَ الإسلام والمسلمين بطول بقاء السيد الأجل، الملك العادل، السميدع الباسل، الحليم الحُلاَحِل، المفضل الفاضل، الواصل الصائل، ذي العزم القَاصل[1]، والرأي الفاصل، الذي طَهَّر الله به وبصنوه[2] الأرض المقدسة والساحل، واستنفذ بسيفهما ما استحوذ عليه الكفرة من البلاد والمعاقل، حين غزوهم بليوث الجحافل، علىٰ متون الصواهل، فظهر دين الله بعد أن كان من الدين ..... ، وتحلّىٰ بالتوحيد علىٰ منبر كان منه عاطل.

فالحمد لله منير الحق بعد خُبوّه / ١٣٩ب/ ومبير الباطل. جلّت ذاته، وتقدّست صفاته، عن المشابه والمماثل، وتنزّه عن الحلول والحين والجهة وأن يكون له العرش حامل. لا يقال: متىٰ كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كانَ؟ وكل ذلك سؤال الأراذِل، كان ولا مكان، وهو الآن علىٰ ما عليه كان ليس بمنتقل عنه ولا زائل. يُجلُّ الربُّ عن

(١) القاصل: القاطع.
(٢) علي بن أبي طالب عليه السلام.

سمات الحدث وعن زعم المشبِّه الجاهل، وتعالىٰ الخالق عن مشابهة المخلوق وأن يُوصف بأنه صاعد أو نازل، كما وصفه المبتدع في عقيدته التي عقد بها لُبّ كل غافل. جعلها ذريعة للتحريف، ووسيلة للتكليف من أعظم الوسائل، ولو اقتصر علىٰ ما قال الأوائل. أو كان عاقلاً، لكان للسانه عاقل، بل قَصَد . . . . . والإشارة إليه بالأنامل، في تكفير من خالفه من الشافعية والحنفية والمالكية وموحدي الحنابل، فانتصر الله ولينصرن الله من ينصره إن الله لا يضيع عمل عامل، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل حامل. فأنتَ المفزع وإليك / ١٤٠أ/ المرجع إن نزل بالمسلمين نازل، أعانك الله علىٰ ما ولاّك ورعاك، فيما استرعاك، وأراك الحق حقًا. ووفقك لاتباعه، وأراك الباطل باطلاً وأحسن عنك دفاعه. وبلغك في الدارين سؤْلك وأمَلك، وتقبل صالح الدعاء فيك ولك. والحمد لله ربّ العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلّم تسليمًا كثيراً».

[٩٠]

أحمدُ بن عليٍّ بن أبي معقل بن أبي العلاء المحسن بن أحمدَ بن الحسينِ بنِ محمدِ بنِ معقلٍ، أبوَ الحسينِ الأزديُّ ثم المهلبيُّ[(١)].

من أولادِ المهلبِ بن أبي صفرةَ من أهل حمص.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد الفقيه الحنفي المدرس بحلب

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٢٠٢، ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ٣١٩٥. التكملة لابن الصابوني ٣٠٨، ٣٠٥. تلخيص مجمع الآداب ق١/ ١١ ـ ٢١٢. البلغة للفيروزآبادي ص٢٧ رقم ٤٨. الإشارة لليماني ٤١. بغية الوعاة ١/ ٣٤٨ رقم ٦٦٦. شذرات الذهب ٥/ ٢٢٩. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٩. العبر ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣. تأريخ إربل ١/ ٤٤٧. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ رقم ١٤٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٢٤٠ ـ ٢٤٢. أعيان الشيعة ٩/ ١٨٤. معجم المؤلفين ٢/ ٢٤.

انظر: مقدمة هلال ناجي لتحقيقه لكتاب المآخذ على الكندي مجلة المورد، مج٦ع٣/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م بغداد.

مقدمة عبد العزيز بن ناصر المانع «المآخذ على شرّاح ديوان المتنبي لابن معقل»، مج عالم المخطوطات والنوادر السعودية مج٦ ع١، محرم، جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. وأعادها في مقدمة تحقيقه لكتاب المآخذ المذكور ط الرياض ٢٠٠١م.

ـ أيده الله تعالىٰ ـ في تاريخه الذي صنفه لحلب المحروسة، قال: أبو الحسين أحمد ابن علي الأزدي، شاعر أديب فاضل؛ له معرفة جيدة باللغة العربية، وهو من بيت الأدب والشعر بحمص.

ورد علينا حلب في سنة ثلاث عشرة وستمائة، وذكر لي أنه: نظم «الإيضاح»، و«التكملة» لأبي علي الفارسي، /١٤٠ب/ أرجوزة، وأملىٰ عليّ مقاطيع من شعره بحلب.

ثم اجتمعت به بدمشق سنة ست وعشرين وستمائة ونقلت عنه شيئًا آخر من شعره، وهو ممّن يُصدّر لإفادة العلوم العربية واشتغل بها عليه[1].

قال: وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

أَنَىٰ لِي أَنْ أُفِيقَ مِنَ التَّصَابِي ... وَسَكْرَتِهِ وَقَدْ جَاءَ النَّذِيْرُ

وَيَنْزِعَ عَنْ غَوَايَتِهِ فُؤَادِيْ ... وَفِي فَوْدَيَّ قَدْ لاَحَ القَتِيْرُ

فَمَا هَذِيْ الحَيَاةُ سِوَىٰ عَنَاءِ ... وَلاَ لَذَّاتُهَا إلاَّ غُرُوْرُ

وَمَا الدُّنْيَا الدَّنِيَّةُ غَيْرُ ظِلٍّ ... يَزُوْلُ وَطَيْفُ أَحْلاَمٍ يَزُوْرُ

وَلَيْسَ سَعِيْدُهَا إلاَّ شَقِيٌّ ... وَلَيْسَ غَنِيُّهَا إلاَّ فَقِيْرُ

يَرُوْحُ المَرْءُ ذَا أَمَلٍ طَوِيْلٍ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّهُ أَجَلٌ قَصِيْرُ

وَيَحْرِصُ أَنْ يُقِيْمَ بِدَارِ ظَعْنٍ ... يَسِيْرُ وَمُكْثُهُ فِيْهَا يَسِيْرُ

وأنشدني القاضي الإمام ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أحمد بن علي لنفسه:

[من الخفيف]

يَا نَدِيْمِي مِنْ سِرِّ أَزْدِ عُمَانٍ ... أَشْرَفَ النَّاسِ مَحْتِدًا وَنِجَارَا

إِحْبِسِ الكَأْسَ عَنْ أَخِيْكَ فَقَدْ مَالَ إِلَىٰ صَحْوَةٍ وَمَلَّ العُقَارَا

/١٤١أ/ وَطَوَىٰ الأَرْبَعِيْنَ لاَ بَلْ طَوَتْهُ ... وَأَرَتْهُ المُجُوْنَ وَاللَّهْوَ عَارَا

وَجَلَىٰ الشَّيْبُ وَانْجَلَىٰ لَوْنُ فَوْدَيْهِ فَعَادَا مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ نَهَارَا

---

(١) في هامش الأصل: «توفي عز الدين أبي العباس أحمد... الحمصي المهلبي في ليلة الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وستمئة بدمشق المحروسة ودفن بسفح جبل قاسيون، وكان مولده في آخر سنة سبع وستين وخمسمئة».

أأرَىٰ خَاسِرَ الشَّبِيبَةِ وَالرُّشْدِ ... جَلَّ ذَانِ عِنْدِيْ خَسَارَا
مَا اعْتِذَارِيْ بَعْدَ ابْيِضَاضِ عِذَارِيْ ... فِيْ ارْتِكَابِيَ الآثَامَ الأَنَامَ وَالأَوْزَارَا
أَعْذَرَ الدَّهْرُ حِيْنَ أَنْذَرَ بِالشَّيْبِ ... بَنِيْهِ وَأَسْمَعَ الإِنْذَارَا
وَأَرَىٰ بَعْضَهُمْ مُصَدِّعَ بَعْضٍ ... وَكَفَىٰ ذَلِكَ اللَّبِيْبَ اعْتِبَارَا

وأنشدني، قال: أنشدني أبو الحسين قوله: [من مجزوء الكامل]

يَا هِنْدُ فَلَّ الدَّهْرُ حَدَّ عَزِيْمَتِيْ وتعلمينا
وَأَمَرَّ طَعْمَ العَيْشِ بَعْدَ حَلاَوَةٍ مَرُّ السِّنِيْنَا
وَنَضَوْتُ ثَوْبَ الدَّهْرِ لَمَّا أَنْ نَضَوْتُ الأَرْبَعِيْنَا

وأنشدني، قال: وسألته بعد أن أنشدني القطع الثلاث، أن ينشدني شيئًا من الغزل، فأنشدني لنفسه: [من الكامل]

سَفَحَتْ دُمُوعَكَ يَوْمَ سَفْحِ الحَاجِرِ ... آرَامُهُ بِسَوَالِفٍ وَمَحَاجِرِ
بِيْضٌ شَهَرْنَ مِنَ العُيُوْنِ خَنَاجِراً ... لِلْفَتْكِ تُغْمَدُ فِي طُلًى وَحَنَاجِرِ
/١٤١ب/ لَوْ كَانَ صَبْرُكَ صَادِقًا يَوْمَ النَّوَىٰ ... مَا بِتَّ مُرْتَقِبَ الخَيَالِ الزَّائِرِ
وَلَمَا غَدَوْتَ لِذِكْرِ أَيَّامِ الحِمَىٰ ... وَكَأَنَّ قَلْبَكَ فِيْ مَخَالِبِ طَائِرِ
عَرَّضْتَ قَلْبَكَ لِلْهَوَىٰ فَإِذَا بِهِ ... إِعْرَاضُ رِيْمٍ مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرِ
سُلَّتْ عَلَيْكَ سُيُوْفُهُ وَعُيُوْنُهُ ... فَوَقَفْتَ بَيْنَ بَوَاتِرٍ وَفَوَاتِرِ
كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَاتَ نَوْمُكَ نَافِراً ... فِيْهَا لِذَيَّاكَ الغَزَالِ النَّافِرِ
يَا صَاحِ مِنْ عَلْيَا تَنُوْخَ أَنَاظِرٌ ... مَاذَا جَنَاهُ عَلَىٰ فُؤَادِيْ نَاظِرِيْ

وأنشدني، قال: أنشدني أحمد بن علي لنفسه بجامع دمشق: [من البسيط]

مَالِيْ أُزَوِّرُ شَيْبِيْ بِالخِضَابِ وَمَا ... مِنْ شَأْنِيَ الزُّوْرُ فِيْ قَوْلِيْ وَفِيْ كَلِمِيْ
إِذَا بَدَا سِرُّ شَيْبِيْ فِيْ عِذَارِ فَتًى ... فَلَيْسَ يُكْتَمُ بِالحِنَّاءِ وَالكَتَمِ(١)

وأنشدني، قال: أنشدني أبو الحسين من شعره: [من المتقارب]

رَأَتْنِيْ سُعَادُ حَلِيْفَ الهُمُوْمِ ... وَكُنْتُ قَدِيْمًا حَلِيْفَ السُّرُوْرِ

---

(١) الكتم: نبت يخضب به الشعر. البيتان في الوافي ٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

فَغَضَّـتْ عَـنِ الشَّيْـبِ لمَّـا بَـدَا بِـرَأْسِـي طَـرْفـاً شَـدِيْـدَ الفُتُـوْرِ
فَقُلْـتَ لَهَـا: أَقَـذَى فِـي الجُفُـوْنِ فَقَـالَـتْ نَعَـم وَشَجًـى فِـي الصُّـدُوْرِ

[٩١]

أحمدُ بن هبة الله بن سعد الله /١٤٢أ/ بن سعيد بن سعد بن مقلد بن أحمدَ بنَ صالح بَن مقَلّد بن عامر بن عليٍّ ابن أحمدَ بنِ يحيىٰ بن عبيد، أبو القَاسم بنَ أبي منصور البحتريُّ الطائيُّ الحلبيُّ، المعرَوفُ بابن الجبْراني القارىءُ النحوِيُّ اللغويُّ[١].

من أهل حلب.

قال القاضي الإمام أبو القاسم بن أبي الحسن بن أبي الفضل الحلبي الحنفيُّ ـ حرس الله مدّته ـ كان رجلاً فاضلاً، مقرئًا مجوداً، عارفًا بعلوم القرآن العزيز واللغة والنحو معرفة جيدة.

وذكره القفطي في كتاب النحاة[٢] ـ من تصنيف ـ قال: كان شديد الكَلَب للدنيا، يدخل في دنيَّات الأمور، ويعامل المعاملات المخالفة للشريعة، ويحتمل من ضيق العيش في المأكل والمشرب ما لا يوجد من مثله، إلىٰ أن حصل له جملة من الدنيا ما انتفع بها وخلفها لولده.

ولقد شاهدته في الأيام الشديدة البرد؛ وهو رقيق الملبوس، يقاسي من الم القرّ ما يظهر أثرهُ عليه، وعدته في مرضه؛ فرأيت منزله علىٰ جودة بنائه وهو في غاية من الزراية في المفرش والملبس.

ورأيته في أوّل مرة؛ وهو /١٤٢ب/ علىٰ خلاف في كل هذا، فإنني شاهدته عند ورودي حلب في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وهو حسن البزّة والمخدوم والمركوب. ثم نسخ الله ذلك بما ذكرته بعد مُدّة ليست بالطويلة.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٢٢٧ وفيه «الجُبراني». بغية الوعاة ١/ ٣٩٤.
(٢) اسمه الكامل: «إنباه الرواة على أنباء النحاة».

وتصدّر بجامع حلب برزق قرر له من وقف الجامع لإقراء القرآن والعربية. وكان بخيلاً بما عنده من ذلك يصادف فيما يذكره في أوقات حضوره فما استفاد منه أحد، ولا ظهر له تلميذ معروف.

ولم يزل علىٰ جدّه في الكد وتعرّضه للطلب من أكابر بلده من الجند بغير حاجة إلىٰ أن ذهب لسبيله بالوفاة.

وكان له شعر رديء من شعر النحاة، فيه تكلّف . . . . . وتصنع، يُذهب رونق النظم يمدح به لطلب الازدياد. وكان إذا تلا القرآن تلاه بصوت غير شَجٍ، ويتصنع الحروف من مخارجها فيزيد في ذلك علىٰ الواجب، يرفع به صوته . . . . . المسامع؛ غير أنه كان شديد الاجتهاد في طلب الفوائد من صفحات الصحف يلازم المطالعة ليلاً ونهاراً، ويلزم الحفظ لبعض ما يمرّ به في أثناء ذلك.

ولقد حكىٰ لي الشريف أبو هاشم /١٤٣أ/ ابن أبي حامد الحلبي صديقي ـ رحمه الله ـ قال: أخبرني جار له، قال: رأيت ابن الحبراني في زمن الصيف يقوم في ثلث الليل الأخير في سطحه، ويوقد سراجًا في موضع . . . . . . من . . . . . . ، ويقعد للمطالعة وقتًا طويلاً دائمًا في كل ليلة لا يشغله الحرّ ولا القرّ عن المطالعة والاستفادة. وكان إذا لُوحح في السؤال تضجر وسط لضيق عَطَنه، وربما سئل عن المسئلة فسارع إلىٰ الجواب ويخطىء فإذا ردّد عليه الخطأ عزّ عليه واستوحَش وانقطع عن ذلك المجلس.

قال الإمام القاضي أبو القاسم بن أبي الحسن الحنفي الحلبي: قرأ علىٰ شيخنا أبي القاسم بن علي بن قاسم بن الزقاق الأشبيليّ المقرىء وغيره، وقرأ اللغة علىٰ شيخنا أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي، والنحو علىٰ أبي الرجاء محمد بن حرب النحويّ الحلبيّ، وسمع أبا الفرج يحيىٰ بن أبي الرجاء بن سعد الثقفيّ، وأباه أبا منصور هبة الله بن سعد؛ وله شعر حسن.

تصدّر بالمسجد الجامع لإفادة علوم القرآن العظيم واللغة والنحو إلىٰ أن مات بحلب يوم الاثنين سابع عشر شهر رجب من سنة ثماني وعشرين وستمائة /١٤٣ب/ ودفن في سفح جبل جوشن.

وسألته عن نسبته ابن الجبرانيُّ، فقال: من أجداده من هو منسوب إلىٰ جبرين قورسطايا قرية من ناحية عَزَاز[١]؛ قال: وهو من شواذ النسب.

وكتبت عنه شيئًا من الحديث، وشيئًا من شعره، وفوائدَ من شيوخه، وسألته عن مولده، فقال: في سنة إحدىٰ وستين وخمسمائة.

أنشدني القاضي الإمام أبو القاسم العقيلي ـ أبقاه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو القاسم أحمد بن هبة الله الحلبيّ لنفسه: [من الطويل]

لَقَدْ سُمتَ مَا لا أَسْتَطِيعُ مِنَ الأَمْرِ ... رُوَيْدَكَ إنَّ اللَّوْمَ لِيْ بِالهَوَىٰ يُغْرِيْ

فَلَو ذُقْتَ مَا قَدْ ذُقْتُ مِنْ لَذَّةِ الهَوَىٰ ... تَيَقَّنْتَ أَنَّ العَذْلَ ضَرْبٌ مِنَ الهَجْرِ

سَقَانِيْ الصِّبَا كَأْسَ الهَوَىٰ ثُمَّ عَلَّنِيْ ... وَجَرَّعَنِيْ مِنْ حُلْوِهِ وَمِنَ المُرِّ

بِنَفْسِيْ الَّتِيْ أَوْدَىٰ هَوَاهَا بِمُهْجَتِيْ ... وَأَصْبَحَ قَلْبِيْ عِنْدَهَا مُوْثَقَ الأَسْرِ

إِذَا سُمْتُهَا تَعْجِيلَ حُلْوِ وِصَالِهَا ... تُكَلِّفُنِيْ صَبْراً أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

وَتَرْنُو بِطَرْفٍ كُلَّمَا طَرَفَتْ بِهِ ... تَقَلَّبَ قَلْبِيْ فِيْ ذَكِيٍّ مِنَ الجَمْرِ

فَتَحْسَبُ هَارُوتاً وَمَارُوتَ إِذْ رَنَتْ ... لَدَى الرَّأْيِ فِيْ أَلْبَابِنَا نَافِثَيْ سِحْرِ

لَقَدْ مَنَعَتْ يَقْظَى لَذِيذَ وِصَالِهَا ... وَفِيْ النَّوْمِ حَتَّىٰ صَدَّتِ الطَّيْفَ أَنْ يَسْرِيْ

/ ١٤٤أ/ وَلَوْ أَنَّهَا تَسْتَطِيْعُ بُخْلاً بِذِكْرِهَا ... لَصَدَّتْهُ أَنْ يَجْرِيْ وَيَخْطُرَ فِيْ فِكْرِيْ

عليهِ وِصَالاً مِنْكَ يَشْقِيْهِ أَنَّهُ ... أَضَرَّ بِهِ الهِجْرَانُ يَا ضَرَّةَ البَدْرِ

جَوَانِحُهُ تَأْتَجُّ نَاراً مِنَ الأَسَىٰ ... وَأَجْفَانُهُ قَرْحَىٰ وَأَدْمُعُهُ تَجْرِيْ

لَكَ اللهُ مِنْ قَدٍّ رَشِيْقٍ وَطَلْعَةٍ ... لَقَدْ أَزْرَيَا بِالبَدْرِ وَالغُصْنِ النَّضْرِ

تُعَطِّرُ نَادِيْ الحَيِّ إِذْ خَطَرَتْ بِهِ ... وَلَمْ تمس الأَرْدَانَ شَيْئاً مِنَ العِطْرِ

وَلَمْ أَنْسَهَا يَوْمَ الوَدَاعِ وَقَدْ سَبَتْ ... فُؤَادِيْ وَغَالَتْ مَا ادَّخَرْتُ مِنَ الصَّبْرِ

بِدُرَّيْنِ مَنْثُوْرَيْنِ لَفْظٍ وَأَدْمُعٍ ... وَدُرَّيْنِ مَنْظُوْمَيْنِ فِيْ الفَمِ وَالنَّحْرِ

لأُزْمِعَ لَمَّا إن رَحَلْتِ تَرَحُّلاً ... رُقَادِيْ عَنْ عَيْنِيْ وَقَلْبِيْ عَنْ صَدْرِيْ

قِفِيْ زَوِّدِيْنِيْ نَظْرَةً مِنْكِ عَلَّنِيْ ... أَعِيْشُ بِهَا يَا عَزُّ وَاغْتَنِمِيْ أَجْرِيْ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٤/ ١١٨.

وَلاَ تَجْمَعِي هَجْراً وَبَيْناً فَلَمْ أكُنْ ... لأقْوَى عَلَى بَيْنِ الأحِبَّةِ وَالهَجْرِ
رَأتْ شَيْبَ رَأْسِي الغَانِيَاتُ فَعِفْنَنِي ... وَكُنْتُ أرَى مَا بَيْنَ سَحْرٍ إلَى نَجْرِ
مَضَتْ لِي أيَّامُ الشَّبَابِ حَمِيدَةً ... وَلَمْ يَبْقَ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ سِوَى الذِّكْرِ
وَأقْبَلَ عَصْرُ الشَّيْبِ بِالكُرْهِ مُؤْذِناً ... بِتَصْرِيمِ أيَّامٍ بَقِينَ مِنَ العُمْرِ
كَأنَّ شَبَابِي كَانَ لَيْلَةَ وَصْلِهَا ... تَدِجُ حَتَّى رُوِّعَتْ بِسَنَى الفَجْرِ
كَأنَّ سَوَادَ الشَّعْرِ سُودُ مَطَالِبِي ... يُبَيِّضُهَا غَازٍ بِأفْعَالِهِ الغُرِّ

/١٤٤ب/ وأنشدني، قال: أنشدنا أبو القاسم بن الجبْرانيّ لنفسه من قصيدة:

[من الكامل]

مَلِكٌ إذَا مَا السِّلْمُ شَتَّتَ مَالَهُ ... رَدَّ الهِيَاجُ عَلَيْهِ مَا قَدْ فَرَّقَا
وَأكُفُّهُ تَكِفُ النَّدَى فَبَنَانُهُ ... لَوْ لاَمَسَ الصَّخْرَ الأصَمَّ لأوْرَقَا

وحدثني القاضي الإمام أبو القاسم ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال لي أبو القاسم أحمد بن هبة الله النحوي: عمل أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في لزوم ما لا يلزم؛ وهي النون الساكنة مع الباء والذال وواو الرِّدف[1]:

[من السريع]

كُلْ وَاشْرَبِ النَّاسَ عَلَى خِبْرَةٍ ... فَهُمْ يَمُرُّونَ وَلاَ يَعْذُبُونْ
وَلاَ تُصَدِّقْهُمْ إذَا حَدَّثُوا ... فَإنَّنِي أعْهَدُهُمْ يَكْذِبُونْ
وَإنْ أرَوْكَ الوُدَّ عَنْ حَاجَةٍ ... فَفِي حِبَالٍ لَهُمُ يَجْذِبُونْ

وقيل لا رابع لهذه اللفظة، قال: فزاد فيها أبو الحسين ابن منير بيتًا وهو[2]:

/١٤٥أ/ قُزْمٌ إذَا سِيلُوا وَإنْ أُطْمِعُوا ... رَأيْتَهُمْ مِنْ طَمَعٍ يُهْذِبُونْ

قال: فزدت أنا بيتًا آخر، وهو قولي:

لَيْسَ يُرَجِّي خَيْرَهُمْ آمِلٌ ... يَوْماً وَلاَ عَنْ لاَجِيءٍ يَشْذِبُونْ

قال، وقال، أبو القاسم عملت بيتًا ثالثًا لبيتي أبي محمد الحريري اللذين ذكرهما

(١) القطعة في لزوم ما يلزم ٢/ ٥٨٦.
(٢) لم يرد في ديوانه.

في المقامات، وقيل لا ثالث لهما، وهما(١): [من المنسرح]

لا تَسْأَلِ المَرْءَ مَنْ أَبُوهُ وَرُزْ خِلاَلَهُ ثُمَّ صِلْهُ أَوْ فَاصْرِمْ(٢)

فَمَا يَشِينُ السُّلاَفَ حِينَ حَلا مَذَاقُهُ كَوْنُهَا ابْنَةَ الحِصْرِمْ(٣)

قال: فقلت: [من المنسرح]

وَإِنْ غَدَا رَاقِياً مَرَاتِبَ ذِي أَصْلٍ عَرِيقٍ فَلاَ تَقُلْ حِصْرِمْ

[٩٢]

أحمدُ بنُ يرنقش بن عبد اللهِ العماديُّ، الأميرُ أبو العباسِ السنجاريُّ(٤).

كان أبوه من مماليك عماد الدين زنكي بن مودود بن آق سنقر ـ صاحب سنجار ـ. وكان أحمد أميراً مكملاً فاضلاً شاعراً حسن الأخلاق طيب المعاشرة / ١٤٥ب/ متمولاً، وله أملاك كثيرة بسنجار، ووجاهة عظيمة.

تغيّر عليه قطب الدين بن عماد الدين ـ صاحب سنجار ـ وقبض عليه، وأخذ جميع ماله وحبسه حتىٰ مات بسنجار سنة خمس عشرة وستمائة في حبس قطب الدين ممنوعًا من الطعام والشراب.

وحدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: قدم علينا أحمد بن يرنقش حلب، وأقام بها مدّة وسكن درب العادل؛ ثم عاد إلىٰ سنجار.

قال العبد الفقير إلىٰ رحمة الله تعالىٰ: روى لنا عنه شيئًا من شعره أبو الحسن علي بن الحسين الحنفي السنجاري، وأخبرني أنه كان في صدر عمره مُسرفًا علىٰ نفسه، وأنه أقلع وتاب توبة حسنة، قال: وكان يصوم الهواجر، ويقوم الليل.

---

(١) البيتان في مقامات الحريري ٣٣٤.

(٢) رُز: فعل أمر من راز الأمر إذا جرّبه وقدّره. أصرم: إقطع الصحبة.

(٣) السلاف: الخمر الخالصة.

(٤) ترجم المؤلف لأخيه (إسماعيل بن يرنقش) في هذا الجزء برقم ١٧٥.

ثم أنشدني أبو الحسن، قال: أنشدني أحمد بن يرنقش العمادي لنفسه:

[من مجزوء الوافر]

مَشيْبُ الرَّأس حيْنَ بَدَا ... يَقُولُ دَنَا الَّذيْ بَعُدَا
فَقُمْ بَادرْ إلَىٰ عَمَلٍ ... يَسُرُّكَ أنْ تَرَاهُ غَدَا
فَيَوْمُكَ ذَا إذَا مَا فَاتَ لَيْسَ بعَائدٍ أبَدَا

/ ١٤٦أ/ وأنشدني أبو الحسن السنجاري، أنشدي أحمد بن يرنقش لنفسه:

[من الطويل]

تَقُولُ وَقَدْ وَدَّعْتُهَا وَدُمُوْعُهَا ... عَلَىٰ نَحْرِهَا مِنْ خَشْيَةِ البَيْنِ تَلْتَقِيْ
مَضَىٰ أكْثَرُ العُمْرِ الَّذيْ كَانَ نَافعًا ... رُوَيْدَكَ فَاعْمَلْ صَالحًا فِيْ الَّذيْ بَقِيْ

وحدثني القاضي أبو القاسم ـ أسعده الله تعالىٰ ـ قال: أخبرني جماعة بسنجار أن أحمد بن يرنقش مات في حبس قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي ـ صاحب سنجار ـ بعد أن قبض علىٰ جميع ماله ومنعه من الطعام والشراب، فبلغ من أمره أن أكل قلنسوته وأكمامه لشدة الجوع.

ودخل إليه بعض من كان يشرف علىٰ حاله من أصحاب قطب الدين، فقال له: قل لقطب الدين يطَعمني ويُسقيني، وأعطيه ألف دينار ولم يبق لي غيرها؛ فلما ذكر ذلك لقطب الدين ما ذكره، سيّر إليه طعامًا وماء بثلج، وقال للرسول: أدخله إليه ولا تمكنه حتىٰ يعطيك الدنانير؛ فلما دخل إليه نظر إليه، فقال: لا سبيل لك إليه! إلاّ بعد إداء ما ذكرت، فقال: والله ما بقي لي شيء، والذي لي قد قُبض جميعُه، وإنما قلتَ ما قلت لتَطعموني وتُسقوني؛ فردُّوا الطعام والماء، ولم يتناول منه شيئًا / ١٤٦ب/ وخرجوا من عنده، فنام فرأىٰ النبيّ ـ عليه السلام ـ في المنام فناوله شيئًا فأكله فزال عنه الجوع والعطش، فدخلوا عليه فوجدوه قائمًا يصلي؛ فلما فرغ من صلاته أخبرهم بما رأىٰ، فلما بلغ قطب الدين اتهم والدته ـ أم قطب الدين ـ بأنها أنفذت إليه مأكولاً ومشروبًا. ولم يزل علىٰ ذلك إلىٰ أن مات.

وبلغني أنَّ قطب الدين ـ صاحب سنجار ـ لما احتضر ودنت منه وفاته جعل يشكو العطش ويُسقىٰ فلا يُروىٰ، ويذكر أحمد بن يرنقش ويردّد اسمه علىٰ لسانه

إلىٰ أن مات.

وقال لي علي بن الحسين بن دبابا: بلغني أن أحمد بن برنقش أُتي بماء ليشرب فردّه، وقال: لا حاجة لي فيه فإني رأيت النبيَّ ـ ﷺ ـ فشكوت العطش فناولني خاتمه فمصصته فزال عني العطش.

[٩٣]

أحمدُ بنُ يوسفَ بنُ عبد الرَّحمن بن مروان بن عبد الجبار، أبو العباسِ اللخميُّ الفُرِّيانَي.

يُنسب إلىٰ فُرِّيانة موضع من نواحي القيروان(١).

أنشدني أبو محمد/ ١٤٧أ/ عبد الله ولده، قال: أنشدني والدي لنفسه:

[من البسيط]

أُمَّـــا رَجَـــاء فَـــإسْـــمٌ لا يُبَـــاحُ بِـــهِ فَـــأُقْسِـــمَ النَّـــاس بـــالآيـــات وَالصُّحُـــفِ
فَنُقْطَـــةُ الجِيْـــمِ مِـــنْ فَـــوْقٍ أَحَـــقُّ بِهَـــا وَالـــرَّا تَنَقَّـــل بَيْـــنَ الخَـــاء وَالأَلِـــفِ

[٩٤]

[أحمدُ بن يوسفَ بن محمدِ بن عبد الوهابِ القيسيُّ، أبو محمدٍ الجيانيُّ](٢).

كان فيه فضل وأدب؛ وله شعر حسن.

أنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رضي الله عنه ـ قال: أنشدني محمد بن أحمد بن يوسف، أنشدني والدي لنفسه: [من الطويل]

أُحبَّـــةَ قَلْبِـــيْ وَالمَـــزَارُ بَعِيْـــدُ لِمَـــنْ يَشْتَكِـــي مِمَّـــا يُجِـــنُّ عَمِيْـــدُ
كَفَـــىٰ حَـــزَنًـــا أَنِّـــي عَلَـــىٰ النَّـــأْيِ مِنْكُـــمُ فَـــرِيْـــدٌ عَلَـــىٰ كُثْـــرِ الجَلِيْـــسِ وَحِيْـــدُ
وَقُلْتُـــمْ بِـــأَنِّـــيْ قَـــدْ تَسَلَّيْـــتُ عَنْكُـــمُ وَكَيْـــفَ وَوُدِّيْ لاَ يَـــزَالُ يَـــزِيْـــدُ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٥٩.

(٢) في قراءة د. الصقار: «الحباني».

أَيَـا أَلْـفُ قَلْبِـيْ غَيْـرُكُـمْ وَهَـوَاكُـمُ ... عَلَيْـهِ رَقِيْـبٌ لاَ يَـزَالُ عَتِيْـدُ
فَمَـا زِلْتُـمُ مُـذْ شَطَّـتِ الـدَّارُ بَيْنَنَـا ... يُمَثِّلُكُـمْ شَـوْقٌ لَـدَيَّ شَهِيْـدُ
نَـأَيْتُـمْ فَبَـانَ الصَّبْـرُ مُنْـذُ نَـأَيْتُـمُ ... وَعِنْـدِيْ عَلَـىٰ مَـا أَدَّعِيْـهِ شُهُـوْدُ
سَقَـامٌ بِجِسْمِـيْ لاَ يَـزَالُ يَشُفُّـهُ ... وَعَيْـنٌ كَمَـا شَـاءَ السُّهَـادُ تَجُـوْدُ
عميـت .... عَلِيـلٌ وَلَكِـنْ لاَ يُبَـاحُ وُرُوْدُ][(١)]

[٩٥]

أحمدُ بن محمد بن عبد الله بن عمرَ القرشيُّ المصريُّ، يكنّىٰ أبا المكارم، يعرفَ بابن نقّاشِ السِّكَّة.

من أهل الديار المصرية.

كانت ولادته ليلة حادي عشري شهر رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبيّ بحلب، قال: أنشدني أبو المكارم لنفسه: [من السريع]

يَـا غَيْـثُ لَـوْ لَـمْ تَـكُ مِـنْ أَدْمُعِـيْ ... لَمَـا هَفَـا بَـرْقُـكَ فِـيْ أَضْلُعِـيْ
أَرَاكَ أَقْلَعْـتَ وَقَـدْ أَزْمَعُـوا ... كُـلُّ سَحَـابِ الـدَّمْـعِ لَـمْ يُقْلِـعِ
أَجَـابَ قَلْبِـيْ: إِنَّ قَلْبِـيْ مَضَـىٰ ... يَـوْمَ النَّـوَىٰ مَعَكُـمْ فَلَـمْ يَـرْجِـعِ
وَيَـا حَمَـامَ الأَيْـكِ هَـلْ أَنْـتَ إِذْ ... تَبْكِـيْ عَلَـىٰ الأَحْبَـابِ تَبْكِـيْ مَعِـيْ
لَـوْ كُنْـتَ مِثْلِـيْ فَـاقِـداً إِلْفَـهُ ... مَـا كُنْـتَ تَبْكِيْـهِ بِـلاَ أَدْمُـعِ
/١٤٧ب/ وَيَا نَسِيْمَ الرَّوْضِ حَدِّثْ لَقَدْ ... نَـابَ انْتِشَـاقِـيْ لَـكَ عَـنْ مَسْمَعِـيْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه فيمن اسمه غبراهيم: [من السريع]

إِنْ قِيْـلَ إِبْـرَاهِيْـمُ ذُوْ عُجْمَـةٍ ... تَمْنَعُـهُ الصَّـرْفَ فَـلاَ عَـذْلُ
لَـمْ لاَ يَجُـوْزُ الصَّـرْفُ فِيْـهِ وَلاَ ... مَعْـرِفَـةٌ فِيْـهِ وَلاَ عَـدْلُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في بعض المغاربة: [من الطويل]

يَقُـوْلُـوْنَ: أَهْـلُ الغَـرْبِ أَهْـلُ فَضِيْلَـةٍ ... وَكُلُّهُـمُ يُنْبِيْـكَ لَفْـظُ مَقَـالِـهِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وَمَـا يُطْلِعُ الغَـرْبُ الَّـذِي غَيْـرَ نَـاقِصٍ وَمَـنْ شَـكَّ فَلْيَنْظُـرْ طُلُـوْعَ هِـلاَلِـهِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

وَقَـالُـوا لَنَـا: الشَّهْـمُ عِيْسَـىٰ قَضَـىٰ وَكُثِّـرَ فِـي المَـوْتِ مَعْنَـىٰ الحَـدِيْـثْ
وَعَــوَّضَ عَــنْ مَــالِــهِ نَفْسَــهُ فَقُلْــتُ الخَبِيْــثُ فِــدَاءُ الخَبِيْــثْ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يخاطب الملك الكامل، وقد جذب الريح بعض المراكب علىٰ ثغر دمياط، فأخذها المسلمون وأحرقوها، وطلعت ومطرت السماء، وكسرت الفرنج /١٤٨أ/ في ذلك الوقت: [من الطويل]

لِيَهْنِـكَ نَصْـرُ اللهِ يَـا كَـامِـلَ العُـلاَ لَقَـدْ حُـزْتَ مَـا لاَ رَامَـهُ قَـطُّ إِنْسَـانُ
أَلَـمْ تَـرَ مَلْـكَ الـرِّيْـحِ لِلْسُّفْـنِ غَـاصِبـاً وَعَمَّهُـمُ يَـا مَـالِـكَ الأَرْضِ نِيْـرَانُ
نُصِـرْتَ بِجُنْـدِ الـرُّعْـبِ، قُلْنَـا: مُحَمَّـدٌ وَوَافَـاكَ جُنْـدُ الـرِّيْـحِ أَنْـتَ سُلَيْمَـانُ
وَطَـمَّ عَلَـىٰ أَعْـدَائِـكَ البَحْـرُ وَالحَيَـا فَهَـلْ أَنْـتَ نُـوحٌ فِـي زَمَـانِـكَ طُـوفَـانُ
فَـلاَ زِلْـتَ مَنْصُـوْراً وَجَيْشُـكَ غَـالِبـاً نَعَـمْ وَعَلَـىٰ الأَعْـدَاءِ ذُلٌّ وَخُـذْلاَنُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه له علىٰ حربه: [من السريع]

بِــرَسْــمِ لَبَّــاتِ أَعَــادِيْــكَ يَــا مُصْطَنِــعَ الإِسْــلاَمِ وَالكُفْــرِ
سُلْطَــانُنَــا الكَــامِــلُ مَلْـكُ الـوَرَىٰ مُحَمَّــدٌ بْــنُ أَبِــي بَكْــرِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

أَيَـا مَلْـكَ الإِسْـلاَمِ خُـذْهَـا بِشَـارَةً مِـنَ اللهِ تَنْطِيْـقٌ لِفِكْـرِيْ بِـإِلْهَـامِ
إِذَا مَـا عَـلاَ دِمْيَـاطَ بِـالكُفْـرِ ظُلْمُـهُ وَكَـانَ عَلَيْـهِ نُـوْرُ دِيْـنٍ وَإِسْـلاَمِ
فَـلاَ تَيْـأَسَـنْ مَـا ذَاكَ بَـاقٍ وَإِنَّـهُ يَـزُوْلُ بِـأَمْـرِ اللهِ عَنْهَـا وَإِرْغَـامِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه لما مات العماد بن الشكوي: [من البسيط]

/١٤٨ب/ تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ قَسْمِ القُضَاةِ عَلَىٰ الأَحْكَامِ بَعْدَ العِمَادِ الكَوْكَبِ السَّارِيْ
فَقُلْـتُ: لَـمْ يَجِـدُوا كُفْـواً لِمَنْصِبِـهِ عَـدْلاً وَقَـدْ قَسَمُـوا فِـي بَعْضِ أَخْبَـارِ
قَـاضٍ مَنَـازِلُ عِـزِّ الخُلْـدِ مَسْكَنُـهُ وَالقَـاضِيَـانِ كَمَـا قَـدْ قِيْـلَ فِـي النَّـارِ

[٩٦]

أحمدُ بن المبارك بن عبد الرحمنِ بن الحسنِ بن نفاذةَ، أبو الفضل السُّلميُّ الكاتبُ[١].

من أهل دمشق، يلقب نشوُ الدولة.

توفي في سنة إحدىٰ وستمائة. كان أحد الكتَّاب بين يدي الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بنَ أيوب بن شاذي ـ رحمه الله ـ وممن كان بصحبته حضراً وسفراً.

ذكره الإمام أبو حامد الكاتب في خريدته[٢]، وأثنىٰ علىٰ فضله ومعرفته، وقال: شاب محبّ للفَضل، حريص علىٰ تحصيله، بجملته وتفصيله، وهو متولّي الإشراف علىٰ الهُرْي[٣] بالقلعة بدمشق، وقد كتب ديواني شعري ورسائلي.

أنشدني القاضي شهاب الدين أبو المحامد إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري القوصي /١٤٩/ بدمشق سنة أربعين وستمائة، قال: أنشدني أبو الفضل أحمد بن نفاذة لنفسه[٤]: [من السريع]

إنْ أعْوَزَ الحَاذقُ فَاسْتَبْدلُوا ... مكَانَهُ أخْرَقَ لَمْ يَحْذق
فَلاَعِبُ الشِّطْرَنْجِ مِنْ شَأنِه ... وَضْعُ حَصَاة مَوْضِعَ البَيْذَقِ

وحكىٰ أبو حامد الكاتب في خريدته[٥]، قال: أنشدنا أبو الفضل هذين البيتين؛ قلت مجاوبًا له ـ البيذق أصغر ما في الشطرنج تقوم الحصاة عوضه ـ فارتجل في المعنىٰ ما كتبه إليّ: [من الكامل]

---

(١) ترجمته في: الروضتين ٢/ ١١، ٢٠٩ وفيه: «نشو الدولة أحمد بن نقادة الدمشقي» وأخرى: «نشو الدولة أحمد بن نفاذة. . .». الوافي بالوفيات ٧/ ٣٩. فوات الوفيات ١/ ٨٤ ـ ٨٦ وفيه اسمه: «أحمد بن عبد الرحمن». خريدة القصر ـ قسم الشام ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤، وفيه اسمه: «أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن المبارك». عقود الجمان للزركشي ٣٢. الغصون اليانعة ٢٦.

(٢) خريدة القصر ١/ ٣٢٩.

(٣) الهري: بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه.

(٤) البيتان في فوات الوفيات ١/ ٨٤.

(٥) لم يردا في الخريدة.

مَا سُدَّ مَوْضِعُهُ بِمُشْبِهِ فَضْلِهِ ... وَلَقَدْ سَمَا فَضْلاً عَنِ الأَشْبَاهِ
وَضَعُوا حَصَاةً وَهْيَ يَصْغُرُ قَدْرُهَا ... عَنْ بَيْذَقٍ غَلَطًا مَكَانَ الشَّاهِ

وأنشدني القاضي أبو المحامد أيضًا، قال: أنشدني لنفسه:

[من مجزوء الكامل]

يَا مَنْ غَدَا شُكْرِي لَهُ ... كَفَرِيضَةٍ بَيْنَ العِبَادِ
قَدْ كِدْتُ أَنْسَخُ شُكْرَهُ ... لَوْلَاهُ فِي جَاهِ الوُدَادِ

[٩٧]

أحمدُ بن خليلِ بن سعادةَ، أبو العباسِ الخُوَيِّيّ[١] النحوي.

قاضي قُضاة دمشقَ.

كان فقيهًا شافعي المذهب نظّاراً إماماً في الخلاف والأصولين والجدل، ذكيًا مفرط الذكاء والفطنة.

سمع من المؤيد الطوسي؛ وله يد في التفسير. صنّف كتبًا شتىٰ في العلوم الشرعية وغيرها.

ومات شابًا ولم يبلغ الخمسين. وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وستمائة بدمشق، ودفن بجبل قاسيون.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ رقم ٢٨٧٨، وفيه: «أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى، شمس الدين، أبو العباس..». ذيل الروضتين ص١٦٩. طبقات السبكي ٨/ ١٦ ـ ١٧ رقم ١٠٤٤. شذرات الذهب ٥/ ١٨٣. البداية والنهاية ١٣/ ١٥٥. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٦٤ رقم ٤٧. تبصير المنتبه ١/ ٣٧٦. طبقات الإسنوي ١/ ٥٠٠ رقم ٤٥٨. العبر ٥/ ١٥٢، ١٥٣. عيون الأنباء ٢/ ١٧١. قضاة دمشق ٦٥، ٦٦. مرآة الزمان ٨/ ق٢/ ٧٣٠. النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦. مرآة الجنان ٤/ ٢٢٢. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣١٥ ـ ٣١٦ رقم ٤٥١. التكملة لوفيات النقلة ٣ رقم ٢٩٤١. بغية الطلب لابن العديم م١ الورقة ٧٦ ـ ٧٨. تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ١٠٦ ـ ١٠٩. المشتبه ١٩٣. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٩. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٤. نهاية الإرب ٢٩/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤. توضيح المشتبه ٥٤٥٦٢. المقفى الكبير للمقريزي ٥/ ١٦٦ ـ ١٦٧ رقم ١٧١٦ في ترجمة ابنه محمد. معجم المؤلفين ١/ ٢١٦.

والخويي نسبة إلى خوي، من مدن أذربيجان، «انظر: معجم البلدان: مادة خوي».

قال أبو عبد الله محمد بن نصر بن أبي البنيان ما كتبه إلى الخويي القاضي بدمشق: [من المتقارب]

فَدَيْتُكَ يَا أَحْمَدَ بنَ الخَلِيلِ ... وَيَا حَكَمًا شُكْرُهُ قَدْ وَجَبْ
وَلَا تَعْدَمَنَّ عُلَاكَ الشَّآمُ ... وَبَلَّغَكَ اللهُ أَسْمَى الرُّتَبْ
فَكَمْ حُجَجٍ لَكَ عِنْدَ الجِدَالِ ... تَثْنِي الخُصُومَ وَتَجْلِي الكُرَبْ
وَكَمْ مُشْكِلَاتٍ حَكَيْنَ الدُّجَى ... فَأَوْضَحَهَا عِلْمُكَ المُنْتَخَبْ
وَأَضْحَتْ دِمَشْقُ بِأَحْكَامِهِ ... تَطُولُ إِذَا فَاخَرَتْهَا حَلَبْ
/١٥٠/ وَلَوْلَا النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ ... ذَكَرْنَا الأَعَاجِمَ قَبْلَ العَرَبْ

فكتب إليه الخويّي جوابًا لنفسه: [من المتقارب]

أَيَا شَرَفَ الدِّينِ يَا ابْنَ الكِرَامِ ... وَيَا فَاضِلًا قُرَشِيَّ النَّسَبْ
لَقَدْ بِمَدِيحِكَ شَرَّفْتَنِي ... وَجَمَّلْتَنِي عِنْدَ أَهْلِ الرُّتَبْ
رَفَعْتَ مَنَارِيَ نَحْوَ السَّمَاءِ ... وَلَا زِلْتَ تَرْفَعُ أَهْلَ الأَدَبْ
فَكَانَ مَدِيحُكَ مِنْ لُؤْلُؤٍ ... وَمَدْحِي فَالخَرَزُ المُخَشْلَبْ
فَلَا تَعْتِبَنَّ فَإِنِّي فَقِيهٌ ... وَشُغْلِيَ فِي الدَّرْسِ أَوْ فِي الطَّلَبْ
فَجُوزِيتَ عَنِّي يَا سَيِّدِي ... وَشُكْرُكَ عِنْدِي إِذَنْ قَدْ وَجَبْ

[٩٨]

أحمدُ بن محمد بن عليٍّ بن أحمدَ بن الناقد الوزير، أبو الأزهرِ بنُ أبي السعادات البغداديُّ[١].

أحدُ الأعيانِ الفضلاءِ، والسادةِ النبلاءِ، من البيت المعروفِ بالتقدّمِ والمكانة

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٦٤ ـ ٦٥ رقم ٢٤٨٧، وفيه: «توفي سنة اثنتين وأربعين وستمائة». الحوادث الجامعة ٣ ـ ٣٥. مرآة الزمان ٨/ ٧٤٧. مختصر التأريخ لابن الكازروني ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٧٧. الحوادث الجامعة ٣٣ ـ ٣٥. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٠. خلاصة الذهب المسبوك للأربلي ٢٨٩ ـ ٢٩٠. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٠٩ رقم ٧٢. الفخري في الآداب السلطانية ـ ط محمد علي صبيح ـ ٢٦٧ ـ ٢٦٨. البداية والنهاية ١٣/ ١٦٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٠٨ رقم ٨٣. فوات الوفيات ٣/ ٢٥٤. العسجد المسبوك ٥٢٧ ـ ٥٢٨. المختار من تاريخ ابن الجزري ١٩٣ ـ ١٩٤.

والتجارة والأمانة.

كان أبوه من التجار المعروفين، والأمناء المشهورين. سافر إلىٰ الشام وخراسان، وعاد إلىٰ بغداد، وتولىٰ وكالة الجهة / ١٥٠ب/ الشريفة والدة الناصر لدين الله، وتقلّد أعمالاً جليلة منها النظر في المظالم والوكالة، وغير ذلك. وكان له خمسُ بنين كلهم فاضل جميل.

فلما مات قام مقامه اكبر من أولاده؛ وهو أبو الأزهر، فنظر فيما كان ينظر فيه أبوه من الأوقاف التي شرطت الواقفة لهم، والنظر فيها مُدّة.

ثم عزله الناصر لدين الله فلازم داره مواظبًا علىٰ تلاوة القرآن المجيد؛ إلىٰ أن عين له علىٰ نيابة بعض الأمراء والنظر في حال جنده وإقطاعه؛ فكان علىٰ ذلك مدة.

ثم انفصل عنه وانقطع إلىٰ منزله منعكفًا علىٰ قراءة كتاب الله تعالىٰ علىٰ أحسن قاعدة، وأجمل طريقة؛ إلىٰ أن مات الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ وبويع ولده الظاهر بأمر الله ـ رضوان الله عليه ـ فاستدعاه لمبايعته.

ثم فوّض إليه وكالة السادة الأمراء من أولاده، فبقي علىٰ ذلك إلىٰ أن توفي الظاهر ـ رضي الله عنه ـ وبويع ولده الإمام المستنصر بالله ـ أعزّ الله أنصار دولته ـ فقرّبه وأدناه، وفضله علىٰ من سواه، وأحضره في يوم / ١٥١أ/ المبايعة، وأحضر قاضي القضاة أبا صالح نصر بن عبد الرزاق، وقال له أستاذ الدار العزيزة أبو نصر المبارك بن الضحاك. وكانا قائمين بين يدي الشباك الشريف، وهو الذي قام بأمر البيعة لشيخوخته . . . . . لأشغال الدار العزيزة، فقال له: إنَّ أمير المؤمنين قد وكّلَ أبا الأزهر أحمد بن محمد بن الناقد في كل ما يتجدد من بيع وإقرار وعتق وابتياع، فقال قاضي القضاة: أهكذا يا أمير المؤمنين! قال: نعم، فقال له: وليتني ما ولاني والدك ـ رضوان الله عليه؟ ـ فقال: نعم قد وليتك ما ولاّك والدي. فنزل وأثبت الوكالة الشريفة بالعلم، وأشهد عليه بثبوتها عنده سائر المعدلين.

ثم ردّ أمر الوكلاء بالأبواب الشريفة إليه مضافًا إلىٰ الوكالة، وخلع عليه في ذلك اليوم؛ ولم يزل يرتقي . . . . . وجاهة في كل يوم؛ إلىٰ أنَ عُزل الوزير أبو الحسن محمد بن محمد بن برز القمي عن نيابة الوزارة وذلك في يوم السبت سابع عشر شوال

من سنة سبع وعشرين وستمائة. استدعي أبو الأزهر إلىٰ دار الخلافة، وخلع عليه في موضع البستان خلعة جميلة. / ١٥١ب/ سنية لنيابة الوزارة، وقُلّد سيفًا محلىٰ بالذهب.

وكان قد حاز من الأوصاف الحميدة في نفسه من: الفضل الشائع، والدين الذائع، وغزارة الأدب، وتوفر الحياء والعقل الرصين مع معرفته بالعلوم الأدبية، وإتقانه من الصناعتين؛ الكتابية، والشعرية، وتفننه في الإنشاء، وتصرفه في ذلك علىٰ حسب ما شاء. وما يحفظه من عيون الأشعار، ونكت السير، مع إحكامه للقرآن المجيد، وتحصيله لفنون الأدب دراسةً وبحثًا؛ فإنَّهُ نشأ عفيفًا صينًا عالي الهمة، شريف النفس، لم يطلع له علىٰ ريبة قط.

لا جَرَم حصل له ما لم يحصل لغيره، وخدمته السعادة، وامتطىٰ غارب السيادة، وانقاد لطاعته قلوب الأنام، وامتثل أمره الخاص والعام، ومدحه الشعراء، واعترف بفضله الفضلاء، وأثنى عليه العلماء، ودعا له الصلحاء.

وله نظم صحيح المعاني، جيد المباني؛ ومن شعره ما قاله وكتبه علىٰ بعض القصور الشريفة: [من الكامل]

لله مِنْ قَصرِ الخلاَفَةِ مَنْزِلٌ … مِنْ دُوْنِهِ سِتْرُ النُّبُوَّةِ مُسْبَلُ
/ ١٥٢أ/ وَرُوَاق مَلْك فيه أَشْرَفُ بُقْعَة … ظَلَّتْ تَحَارُ لَهُ العُقُوْلُ وَتُذْهَلُ
تُغْضِي لِغرَّتِهِ النَّوَاظِرُ هَيْبَةً … وَيَرُدُّ عَنْهُ طَرْفَهُ المُتَأَمِّلُ
حَسَدَتْ مَكَانَتَهُ النُّجُومُ فَوَدَّ لَوْ … أَمْسَىٰ يُجَاوِرُهُ السِّمَاكُ الأَعْزَلُ
وَسَمَا عُلُوًّا أَنْ يُقَبِّلَ تُرْبَهُ … شَفَةٌ فَأَضْحَىٰ بِالجِبَاهِ يُقَبَّلُ

وله: [من الكامل]

أَبداً لِشَمْسِ سُعُوْدِكَ الإِشْرَاقُ … يَا مَوْطِنًا شَرُفَتْ بِهِ الآفَاقُ
بَلْ يَأْمَنُ الجَانِي وَيَقْتَرِبُ المَدَىٰ … لِلرَّاغِبِيْنَ وَتُبْسَطُ الأَرْزَاقُ

وله في مثله: [من السريع]

وَمَنْزِل تَفْخَرُ القُصُوْرُ بِهِ … لا زَالَ يَجْرِيْ بِسَعْدِهِ القَدَرُ
إِنَّ القُصُوْرَ الَّتِيْ تَحُفُّ بِهِ … كَوَاكِبٌ وَهْوَ بَيْنَهَا قَمَرُ

[٩٩]

أحمدُ بن عليٍّ بن أبي محمد، أبو العباسِ الصفَّارُ الشيبانيُّ، من أهلِ دمشقَ المعروفُ بابنِ شقشقة.

كان له عناية بالنحو واللغة، جامعًا فضيلتي النظم والنثر. وتوفي في سنة تسع وعشرين وستمائة.

أخبرني نجيب الدين أبو الفتح نصر الله / ١٥٢ب/ ابن أبي العزّ بن أبي طالب الصفّار الشيباني الدمشقي بها ـ في المحرم سنة أربعين وستمائة. قال: خالي أبو العباس حَبْرٌ مجيد، وإمام مفيد، جمع الفضائل والمروءات، وحاز الغايات والنهايات، إن تكلم أضرب، وإن أغَرب أعرب، يفوق برقة نظمه شدو الحمام، ويخرج من بساتين فضله ثمراً يزري بذوات الأكمام، ساد بما لديه أبناء جنسه، فنمق بيراع علمه طرسه بنفسه. أخذ من كل فن غايته، وبلغ من كل أمد نهايته، شهاب قبسه مُوري ولا يُوَارى، وطرف طرفه في بيداء بدايته لا يُجارى، فاق الأدباء في مضماره، فصار الشعر من بعض شعاره، ففنونه لا تدخل في العدّ، ولا يحيط بها حصر الحدّ.

وأنشدني، قال: أنشدني خالي لنفسه من أبيات: [من البسيط]

مَنْ لِيَ بِصَبْرٍ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ بَانُوا ... وَكَيْفَ بَعْدَ وَفَائِي فِي الهَوَىٰ خَانُوا

حَفِظْتُهُمْ ثُمَّ خَانُونِي وَمَا حَفِظُوا ... عَهْداً لَنَا فِيهِ إِيْمَانٌ وَأَيْمَانُ

أَقْسَمْتُ بِالرُّكْنِ وَالبَيْتِ العَتِيقِ وَمَنْ ... لَبَّاهُ خَوْفاً لَهُ حَافٍ وَعُرْيَانُ

/ ١٥٣أ/ مَا إِنْ سَلَوْتُ وَلَا لِي عَنْهُمُ عِوَضٌ ... وَإِنْ تَنَاءَتْ بِنَا دَارٌ وَأَوْطَانُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه من أبيات في مدح دمشق: [من الطويل]

وَبَلِّغْ سَلَامِي قَاسِيُونَ وَبَرزة ... وجوير والميطور والشَّرَفَيْنِ

وَحَيِّ رُبُوعَ النَّيْرَبَيْنِ وَمَزَّةً ... وَسُكَّانَ دَارِيَّا وَمَا العَلَمَيْنِ

فَأَكْرِمْ بِهَا يَا صَاحِبَيَّ مَنَازِلاً ... حَكَتْ جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ بِالصفتينِ

[١٠٠]

أحمدُ بن الحسين بن أحمدَ بن أبي المعالي بن منصور بن عليٍّ النحويُّ الضريرُ اللغويُّ الفرضيُّ الحاسبُ الأديبُ الشاعرُ، المعروفُ بابنِ الخبازِ، أبو العباس(١).

كان أبوه من أهل إربل عاميًا يبيع الخبز، وأصل آبائه من بعض قرايا العراق. ونزل الموصل وتأهل بها وتَدَيَّرَهَا إلىٰ حين وفاته؛ وُلد [له] عدة أولاد من الذكور والإناث.

وولد له أبو العباس هذا ونشأ، وصرف همته إلىٰ الاشتغال بالعلم وأحبّه وأقبل عليه /١٥٣ب/ بكليته فحفظ أولاً الكتاب العزيز، وقرأ التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي حفظًا جيداً.

ثم ترقىٰ إلىٰ العلوم الأدبية، وتردّد إلىٰ جماعة من أدباء الموصل، ولازم الشيخ أبا حفص ودرس عليه كتبًا كثيرة من علم الأدب والنحو واللغة والعروض والقوافي حتىٰ برَّز علىٰ أقرانه، وفاق أبناء زمانه، وبرع في ذلك، وتمهر تمهرَ المجتهدين. فلما مات أبو حفص شيخُه جلس مكانه، وتصدّر لإفادة علم الأدب والعربية والقرآن والفرائض والحساب ومعاني الشعر وغير ذلك؛ فانثالوا عليه من كل فجّ. وهو اليوم شيخ وقته، وحَبْرُ مصره، ولم يُر في زماننا أسرع حفظًا منه ولا أكثر استحضاراً للأشعار والنوادر والحكايات واللطائف، وهو غاية في الذكاء والفهم، سريع الخاطر في نظم الشعر، قوي الروح وقت القراءة عليه. يشغل الناس من بُكرة إلىٰ عشاء الآخرة في مسجد بسكّة

---

(١) في هامش الأصل: «شمس الدين».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٣٥٩ وفيه: «أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور. . ». نكت الهميان ص٩٦. بغية الوعاة ١/ ٣٠٤ رقم ٥٦٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٨٩ رقم ٥٧١. العبر ٥/ ١٥٩. المختار من تاريخ ابن الجزري ١٨١. البداية والنهاية ١٣/ ١٥٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤١. ذيل الروضتين ١٧٢ وفيه: «الشمس بن الخباز». مرآة الجنان ٤/ ١٠١. العسجد المسبوك ٢/ ٥٠٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢. روضات الجنات ٨٥. شذرات الذهب ٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣. كشف الظنون ١٥٥، ١٥٦٣، ١٨٠١، ١٩١٨، ١٩٦٤، ١٩٨٩. هدية العارفين ٩٥٨. معجم المؤلفين ١/ ٢٠٠. الأعلام ١/ ١١٧.

أبي غنج أنشأه الصاحب أبو الكرم محمد بن علي ابن مهاجر الموصلي. وأقام له فيه جاريًا يدّر عليه، وجامكية تصل إليه تقوم بأوده وتفضل عنه؛ إلاّ أنَّه / ١٥٤أ/ لم يزل متألمًا من الزمان، كثير التعب من صروفه، شاكيًا من أبناء دهره، قليلَ الحظ منهم.

ثم انتقل إلىٰ المدرسة البدرية، فلم يزل مقيمًا بها إلىٰ أن توفي. كان رجلاً أسمر اللون، عبل البدن، مدوّر اللحية. وذكر لي أنَّه كان في بدو أمره له بصر يسير، ويعرف الألوان، ويفرق بينها. ثم ذهب بصره بالمرّة. وكان إذا مشىٰ لم يحتج إلىٰ قائد يقوده. وكان له لحية سوداء حسنة مدوّرة.

وحدثني، قال: لما شرعت في الاشتغال بكتاب «الفخري في الحسنات» واجتهدت في دراسته وحفظه علىٰ الشيخ أبي المعالي ثارت علي السوداء، وبقيت مدّة مريضًا بها؛ فلما أبللت[1] من ذلك انثرت لحيتي جميعها ولم تعد إلىٰ ما كانت عليه. وكان خفيف العارضين جداً خالطه الشيب قليلاً.

أخبرني أنه ولد في اليوم الثاني عشر من جمادى الأولىٰ سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وتوفي في العشر الأُول من شهر رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

وحفظ عدّة من الكتب المجردة في النحو / ١٥٤ب/ والأدب واللغة والأشعار العربية منها كتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي، وكتاب «المفصل» لأبي القاسم الزمخشري، وكتاب «الكافي في علم العروض والقوافي» لأبي زكريا التبريزي، وكتاب «مجمل اللغة» لأبي الحسين [أحمد] بن فارس الرازي، وكتاب «الفخري في الحساب».

ثم إنه تحفظ من أشعار العرب الجاهلية والإسلام والمولدين والمحدثين ما لا يحصىٰ، وصنّف كتبًا مفيدة في النحو والعروض منها: كتاب «الجوهرة في مخارج الحروف» وهي قصيدة مزدوجة رجز، وكتاب «الإلماع في شرح لمع ابن جني»، وكتاب «التوحيد» في شرحه أيضًا، وكتاب «تحرير المقياس في تفسير القسطاس»

---

(١) أبل من مرضه: عوفي.

وَأَمِيْـــر وَافَـــاكَ فِـــيْ طَلَـــبِ المَجْـــدِ وَنُجْـحِ المَـرَامِ بِـالتَّـأْيِيْـدِ
فَـاقَ أَضْـرَابَـهُ سَمَـاحًـا وَبَـأْسًـا وَانْتَسَـابًـا إِلَـىٰ جَنَـابِ سَعِيْـدِ
نَـاظِمًـا نَفْسَـهُ بِسِلْـكِ مَعَـالِيْـكَ لِيَحْظَـىٰ بِحَظِّـكَ المَسْعُـوْدِ
فَـأَتحَفْنَـهُ إِتْحَـافَ مُـوْسَـىٰ شُعَيْبًـا دُرَّةً مِـنْ نَفِيْـسِ دُرٍّ فَـرِيْـدِ
/ ١٧٥ب/ سَـادَ آبَـاؤُهَـا جَمِيْـعَ . . . . وَأَجْـدَادُهَـا جَمِيْـعَ الجُـدُوْدِ
فِـيْ ظِـلاَلِ الإِمَـامِ نَـاصِـرِ دِيْـنِ اللهِ وَالمُـرْتَجَـىٰ لِيَـوْمِ الخُلُـوْدِ
فَـرِضَـاهُ رِضَـا الإِمَـامِ وَدُنْيَـاهُ بُلُـوْغُ المُنَـىٰ وَكَبْـتُ الحَسُـوْدِ
فَـابْـقَ فِـيْ نِعْمَـةٍ وَفِـيْ عِـزِّ مُلْـكٍ وَاقْتِـدَارٍ وَسَعْـدِ جَـدٍّ جَـدِيْـدِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

أُعِيْـذُكَ مِـنْ قَلْبِـيْ المُعَنَّـى وَوَجْـدِهِ وَجِسْمِـيْ عَلَـىٰ طُـولِ البِعَـادِ وَجَهْـدِهِ
وَطَـرْفٍ مَتَـىٰ مَـا شَـامَ لِلشَّـامِ بَـارِقًـا تَتَـابَـعَ عِقْـدُ الـدَّمْـعِ مِـنْ حَـلِّ عَقْـدِهِ
وَخِـلٍّ مَتَـىٰ مَـا حَـانَ إِبَّـانُ وَصْلِـهِ تَعَـرَّضَ صَـرْفُ الحَـادِثَـاتِ لِصَـدِّهِ
أُطِيْـعُ الهَـوَىٰ فِيْـهِ وَأَعْصِـيْ عَـوَاذِلِـيْ وَأَرْضَـىٰ مِـنَ الطَّيْـفِ الطَّـرُوْقِ بِـوَعْـدِهِ
كَـأَنَّ مُـذَابَ الشَّـهْـدِ رَشْـفُ رُضَـابِـهِ كَـأَنَّ جَنَـيَّ الـوَرْدِ تَـوْرِيْـدُ خَـدِّهِ
تَـزَاحَـمَ فِيْـهِ الحُسْـنُ مِـنْ كُـلِّ خِلْقَـةٍ وَقَـدَّ قَضِيْـبَ الخَيْـزُرَانِ بِقَـدِّهِ
شَهِـيُّ اللَّمَـا عَـذْبُ المَبَـاسِـمِ أَحْـوَرٌ ....
يَصِيْـدُ قُلُـوْبَ الخَلْـقِ سَهْـمُ لِحَـاظِـهِ وَيُصْمِـيْ عَلَـىٰ قُـرْبٍ . . . . . وَبُعْـدِهِ
رَعَـىٰ اللهُ أَيَّـامَ الـوِصَـالِ وَقُـرْبَـهُ وَعَيْشًـا فَقَـدْتُ النَّـوْمَ فِـيْ حَـالِ فَقْـدِهِ
فَـلاَ وَجْـدَ [عِنْـدِي] دُوْنَ وَجْـدِي بِبَيْنِـهِ وَلاَ وَجْـدَ إِلاَّ بَعْـضُ وَجْـدِي بِـوَجْـدِهِ
/ ١٧٦أ/ عَلِقْـتُ بِـهِ طِفْـلاً وَلِيْـداً فَـإِنَّنِـيْ فَتًـى لَيْـسَ يَسْلُـوْهُ إِلَـىٰ رَمْـسِ لَحْـدِهِ
وَكُـلُّ هَـوًى يُسْلَـىٰ سِـوَىٰ إِلْفَـةِ الصِّبَـا وَكُـلُّ مُحِـبٍّ حُبُّـهُ مِثْـلُ وُدِّهِ
خُلِقْـتُ وَفِيًّـا حَـافِظًـا كُـلَّ صُحْبَـةٍ مُقِيْمًـا مَـدَىٰ الـدُّنْيَـا عَلَـىٰ حِفْـظِ عَهْـدِهِ
كَحِفْـظِ أَبِـيْ الغَـارَاتِ كُـجْ قُنْـدِيْ العُـلاَ بِحَـدِّ الظُّبَـىٰ وَالجُـوْدِ جَـزْلاً لِـوَفْـدِهِ
وَمَـنْ يَخْمِـلُ اللَّيْـثَ الهَصُـورَ لِبَـأْسِـهِ وَمَـنْ يُخْجِـلُ الغَيْـثَ السَّحُـوْحَ لِـرِفْـدِهِ
وَمَـنْ نَظَـرَ الأَقْـوَامُ فِيْـهِ شَمَـائِـلاً تَـدُلُّ بِعُظْـمِ القَـدْرِ مِـنْ وَقْـتِ مَهْـدِهِ
وَمَـنْ هَمُّـهُ كَسْـبُ المَحَـامِـدِ وَالعُـلاَ تُـرَاثًـا وَكَسْبًـا عَـنْ أَبِيْـهِ وَجَـدِّهِ

وَمَنْ طَالَ أَرْبَابَ المَعَاقِلِ هِمَّةً ... وَطَالَ النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ بِمَجْدِهِ
إِذَا مَا اكْتَنَى فِي مَأْزِقٍ مُتَضَايِقٍ ... تَثَعْلَبَ أَهْلُ الحَرْبِ مِنْ عُظْمِ شَدِّهِ
وَإِنْ جَالَ فَالآجَالُ طَوْعُ مُرَادِهِ ... وَإِنْ صَالَ فَالأَبْطَالُ صَرْعَى لِحَدِّهِ
حَبَا مُذْ حَبَا وَاحْتَلَّ نَاصِيَةَ العُلاَ ... وَأَنْطَقَ جَدْوَاهُ الأَنَامَ بِحَمْدِهِ
...... رَأَى مِنْهُ الإِمَامُ مُهَذَّباً ... وَفِيّاً مُحِبّاً خَالِصاً عِنْدَ نَقْدِهِ
يَطُولُ المُلُوكَ نَائِلاً وَفَضَائِلاً ... وَحِلْماً وَفَهْماً يَسْتَضِيءُ بِوَقْدِهِ
تَهَنَّ بِسَعْدِ العِيدِ وَابْقَ مُؤَيَّداً ... بِنَصْرِ يَدِيْنُ العَالَمِيْنَ بِجِدِّهِ
مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاحَ الحَمَامُ وَمَا رَسَا ... شَمَامٌ وَمَا سَارَ الغَمَامُ بِرَعْدِهِ(١)

/ ١٧٦ب/ وقال من قصيدة: [من البسيط]

ظَبْيٌ مِنَ الأُنْسِ يَهْوَانِي وَأَهْوَاهُ ... يَشُوقُنِي مِنْهُ رُؤْيَاهُ وَرَيَّاهُ
إِذَا بَدَا سَجَدَ الحُسْنُ العَمِيمُ لَهُ ... وَدَانَهُ الخَلْقُ مَنْ رَاهُ وَمَا رَاهُ
مُوَرَّدُ الخَدِّ لَدْنُ القَدِّ قَدْ طُبِعَتْ ... عَلَى سَقَامِ فَتًى عَانَاهُ عَيْنَاهُ
مَا سَلَّ سَيْفَ لِحَاظٍ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ... إِلاَّ وَجَدَّلَ فِي مَلْقَاهُ مُلْقَاهُ
وَلاَ بَدَا لِلْوَرَى يَخْتَالُ فِي حُلَلٍ ... إِلاَّ وَأَصْمَى بِمَغْزَاهُ وَمَعْزَاهُ
فَجَمَّعَ الحُسْنُ فِيْهِ كُلَّ مُفْتَرِقٍ ... مِنَ الصِّفَاتِ فَأَصْفَاهُ وَاصَفَاهُ
يُقِلُّ لَيْلاً عَلَى صُبْحٍ عَلَى غُصُنٍ ... عَلَى كَثِيْبِ نَقاً لَوْ تَاهَ وَاتَاهُ
لَوْ مَرَّ يَوْماً عَلَى مَيْتٍ لَهُ سَنَةٌ ... فِي القَبْرِ مُلْقًى وَحَيَّاهُ لأَحْيَاهُ
لاَمَ العَوَاذِلُ لِي فِيْهِ وَلَوْ عَلِمُوا ... مَاذَا أَزَانَ اللَّمَا فِيْهِ لَمَا فَاهُوا
يَزُورُنِي وَهْوَ مَزْوَرٌّ عَلَى عَجَلٍ ... خَوْفَ الرَّقِيْبِ وَأَغْشَاهُ وَأَخْشَاهُ
وَيَنْثَنِي وَغَرَامِي فِيْهِ مُسْتَعِرٌ ... خَوْفاً عَلَيْهِ لَمَا أَهْوَاهُ أَهْوَاهُ
يَأْتِي إِلَيَّ عَلَى بُعْدِ المَزَارِ فَيَا ... للهِ مَا طِيْبُ مَسْرَاهُ وَأَسْرَاهُ!
لَوْ لاَحَ لِلْبَدْرِ فِي تَمٍّ لأَخْجَلَهُ ... أَوْ مَرَّ بِالصَّخْرِ خَدَّاهُ لَخَدَّاهُ
يَفْتَرُّ عَنْ بَرَدٍ عَذْبٍ مَرَاشِفُهُ ... لَوْ يَسْتَطِيعُ مُحَلاَّهُ لَحَلاَّهُ
/ ١٧٧أ/ أَهْوَى هَوَاهُ وَيَهْوَى مَا هَوَيْتُ وَمَنْ ... أُصْفِيهِ وُدِّي وَمَنْ أَرْعَاهُ أَرْعَاهُ

---

(١) شمام: جبل.

[٣٩٣]
عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ، أبُو الحسنِ النَّيْريزيُّ(١).

بكسر النون وتسكين الياء المعجمة باثنتين من تحتها، وبعدها راء مهملة ثم ياء معجمة باثنتين من تحتها، وبعدها زاي معجمة. قرية من أعمال شيراز(٢)؛ كان أبو الحسن يتولىٰ خطابتها.

وكان عالمًا فاضلاً فقيهًا محدّثًا شاعراً؛ له خطب وأشعار، وتصنيف في كتاب الله تعالىٰ؛ روىٰ عن أبي المبارك عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الآدمي، كتب عنه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدُّبيثي، وأبو الحسن محمد بن أحمد القطيعي ببغداد

وكانت ولادته في سنة ثمان عشرة وخمسمائة بتبريز، ونشأ بشيراز؛ وتوفي سنة اثنتين وستمائة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد الدُّبيثي؛ قال: أنشدني أبو الحسن لنفسه:

[من الطويل]

تَقَوَّسْتُ مِنْ سَهْمٍ رَمَانِيْ بِهِ السِّحْرُ وَصِرْتُ هِلاَلاً فِيْ فِرَاقِكَ يَا بَدْرُ
جَلاَ وَجْهُكَ الوَضَّاحُ لَيْلَةَ وَصْلِهِ وَسَوَّدَ لَيْلِيْ مِثْلَ طُرَّتِكَ الهَجْرُ

/ ١٧٧ب/ وأنشدني؛ قال: أنشدني أيضًا من شعره(٣): [من الطويل]

أَلَمَّ بِنَا طَيْفٌ يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ وَفِيْ طَرْفِهِ خَمْرٌ وَخَمْرٌ عَلَىٰ الكَفِّ
فَأَسْكَرَ أَصْحَابِيْ بِخَمْرَةِ كَفِّهِ وَأَسْكَرَنِيْ وَاللهِ مِنْ خَمْرَةِ الطَّرْفِ

وقال أبو الحسن القطيعي؛ أنشدني علي بن محمد النيريزي: [من الرمل]

دَخَلَ البُسْتَانَ يَوْمًا يَلْعَبُ وَحَشَاهُ لِلْطَوَى يَلْتَهِبُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٨٨. المشتبه ص٦٨. تبصير المنتبه ص٢٠٦. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٤٣٢.
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (نَيْرِيز).
(٣) البيتان في الوافي ٢٢/ ٨٨.

قَـالَ: لَمَّـا نِيْـلَ [مِـنْ] مَعْـرُوْشِـهِ حَـامِـضٌ وَاللهِ هَـذَا العِنَـبُ

[٣٩٤]
عليُّ بنُ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن المختار بن عمرَ بن المسلم بن محمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عليٍّ بن عُبَيد الله بن عليٍّ بن عُبيد الله بن الحسين بن عليٍّ بن الحسين بن عَليٍّ بن أبي طَالب، أبو الحسن الكوفيُّ(١).

النقيبُ بالكوفة. كان من أشراف عترته، وسادات أسرته، أدبًا ورئاسة، حاسبًا كاتبًا، مترسلاً شاعراً، حسنَ النظم، رقيق الشعر.

أنشدني أبو عبد الله الحسين بن علي بن يوسف النيلي؛ قال: أنشدني النقيب /١٧٨أ/ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد لنفسه من قصيدة أوّلُها: [من الرجز]

عَـاتَبْتِنـي ظَـالِمَـةً يَـا عُتْـبُ مُـذْنِبَـةً وَقُلْـتِ مِنْـكَ الـذَّنْـبُ
وَجُـرْتِ فـي الحُكْـمِ وَلَمَّـا تُنْصِفـي إذْ هُـوَ فِيْـكِ مُسْتَهَـامٌ صَـبُّ
سَلِـي نُجُـوْمَ اللَّيْـلِ هَـلْ زَارَ الكَـرَىٰ طَـرْفِـي تُخَبِّـرْكِ النُّجُـوْمُ الشُّهْـبُ
أوْ لاَمَـسَ المَضْجَـعَ لِـي بَعْـدَكُـمُ لَمَّـا اجْتَنَبْـتِ وَهَجَـرتِ جَنْـبُ
يَلُـومنـي العَـاذِلُ فِيْكُـمْ ضَلَّـةً مِنْكُـمْ وَنِيْـرَانُ الهَـوَىٰ تَشُـبُّ
قَلْبَـكَ مُـرْهُ بِـالسُّلُـوِّ عَنْهُـمُ وَقُلْـتُ هَيْهَـاتَ فَـأَيْـنَ القَلْـبُ؟
لاَ وَالَّـذِي حَجَّـتْ قُـرَيْـشٌ بَيْتَـهُ قَصْـداً وَمَـا ضَـمَّ الصَّفَـا والشِّعْـبُ
وَالمُسْتَجَيْـرِ قَبْـرُهُ بِطَيْبَـةٍ أكْـرَمُ مَـنْ أَمَّ ذُرَاهُ الـرَّكْـبُ
وَمُـرْ بِـأَكْنَـافِ الغَـرِيِّ إنَّـهُ سِلْـمُ الهُـدَىٰ . . . . . حَـرْبُ
مَـا خَطَـرَ السُّلْـوَانُ لِـي بِخَـاطِـرِ أَنَّـىٰ وَقَلْبِـي لِلغَـرَامِ نَهْـبُ
وَلاَ جَـرَىٰ رِيْـحُ الصَّبَـا بِـذِكْـرِكُـمْ إلاَّ صَبَـوْتُ وَاسْتَطَـارَ اللُّـبُّ
مَـنْ لِـي بِـأَنْ يَعْقُـبَ بَعْـدَ هَجْـرِكُـمْ وَصْـلٌ وَمِـنْ بَعْـدِ البِعَـادِ القُـرْبُ
أوْ تُصْفِـرَ الـدَّارُ الشَّطُـوْنُ بِكُـمُ وَيَنْقَضِـي يَـا عُتْـبُ ذَاكَ العَتْـبُ

(١) في هامش الأصل: «وذكر السيد شهاب الدين حسن بن علي الموصلي بمصر ان المذكور خاله، وأنه توفي سنة سبع وثلاثين وستمائة».

من النساء كالزِّير من الرجال، قال رؤبة:

لِــزِيْرٍ لَـمْ تَصِلْــهُ مَـرْيَمُــهْ

والمَسِيْح: الدِّرْهَم الأَطْلَس، والضمير في رآها يعود إِلىٰ مريم، وقوله: أفلس؛ لأنه يبذله لها.

وقال يرثي أبا إِسحاق إِبراهيم بن عبد الكريم الحنفي البغدادي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

[من الكامل]

جَـادَ الغَمَـامُ كَـأَدْمُـعِ الأَحْـدَاقِ ... قَبْـراً ثَـوَىٰ فيْـه أَبُـو إِسْحَـاقِ

فَلَقَـدْ ثَـوَتْ فيْـه الفَضَـائِـلُ وَالعُـلاَ ... بِثَـوَائِـهِ وَمَكَـارِمُ الأَخْـلاَقِ

/١٥٩أ/ قَبْرٌ بعَيْنَ الشَّمْسِ فَضْلُ جَمَاله ... بَعْـدَ الشُّـرُوْقِ كَبَهْجَـةِ الإِشْـرَاقِ

قَبْـرٌ مُقِيْـمٌ فِـي الثَّـرَىٰ وَعَـلاَؤُهُ ... سَـامٍ عَلَـىٰ سَبْـعٍ رُفِعْـنَ طِبَـاقِ

قَبْـرٌ أَحَـاطَ بِبَحْـرِ جُـوْدٍ مُفْعَـمٍ ... عَــذْبِ المَـذَاقَـةِ مَـاؤُه دَفَّـاقِ[1]

لَـمْ يَسْتَفِـدْ حُـرٌّ جَـزِيـلَ هِبَـاتِـهِ ... إِلاَّ تَقَلَّـدَ رِبْقَـةَ الإِرقَـاقِ

مَـا بَعْـدَ يَـوْمِكَ لِلصَّدِيْـقِ سِـوَى الأَسَـى ... وَلَهِيْـبِ شَـوْقٍ دَائِـمِ الإِحْـرَاقِ

وَسُهَـادِ عَيْـنٍ لَـوْ تَـزَوَّجَهَـا الكَـرَىٰ ... نَشَـزَتْ فَبَـتَّ حِبَـالَهَـا بِطَـلاَقِ

وَسَقَـامِ جِسْـمٍ لَـوْ أَلَـمَّ جَـدِيْـدُهُ ... بِـالصَّخْـرِ أَلْجَـأَهُ إِلَـىٰ الإِخْـلاَقِ

أَبْقَيْـتَ فِـي كَبِـدِي صُـدُوْعـاً لاَ تُـرَىٰ ... شُعَبـاً وَلَسْعَـاً لاَ يَفُـوزُ بِـرَاقِـي

لَيْـتَ الحِمَـامَ وَقَـدْ غَـزَاكَ بِجَيْشِـهِ ... آلَـتْ غَنِيمَتُـهُ إِلَـىٰ الإِخْفَـاقِ

سَخَنَـتْ عُيُـونُ الشَّـامِ . . . . رَأَتْ ... شَيْئـاً سِـوَىٰ العَبَـرَاتِ وَالإِبْـرَاقِ

يَـا غُصْـنَ رِيْـحُ المَـوْتِ . . . . . عَـاصِفـاً ... فَـذَوَيْـتَ بَعْـدَ الـرِّيِّ وَالإِيْـرَاقِ

يَـا بَـدْرُ فَـاجَـأَكَ المُحَـاقُ وَمَـنْ رَأَىٰ ... بَـدْراً يُفَـاجَـأُ . . . . . بِمُحَـاقِ

يَـا شَمْـسُ عَـاجَلَـكَ الكُسُـوْفُ فَقَطَّبَـتْ ... لِـذَهَـابِ نُـوْرِكَ أَوْجُـهُ الآفَـاقِ

يَـا لَيْـثُ . . . . . المَنِيَّـةُ ظُفْـرُهَـا ... ذَا اللِّبْـدَتَيْـنِ وَمَـا لَـهُ مِـنْ وَاقِـي

. . . . . مِـنْ سَحَـابَـةِ حَـادِثٍ ... هَطَلَـتْ عَلَيْـكَ فَعُـدْنَ بِـالإِغْـرَاقِ

/١٥٩ب/ أَثْرَيْتُ مِنْ صَبْرِي وَفَقْدُكَ رَدَّنِي ... مِـنْ بَعْـدِ إِثْـرَائِـي إِلَـىٰ إِمْـلاَقِ

---

[1] الصحيح: دَفَّاقُ.

غُيِّبْتَ فِي لَحْدٍ وَذِكْرُكَ حَاضِرٌ ... وَفَنِيتَ وَالخَيْرَاتُ مِنْكَ بَوَاقِي
إِنْ قَيَّدَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ فَطَالَمَا ... جَادَتْ يَدَاكَ عَلَيْهِ بِالإِطْلَاقِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ يَدْرِي وَلَمْ ... يَسْتَحْيِ حِينَ دَهَاكَ بِالإِرْهَاقِ
سَاقَيْتَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ شَمُولَهُ ... دَهْراً وَأَنْتَ اليَوْمَ غَيْرُ مُسَاقِي
لَا تَغْضَبَنَّ عَلَيْهِمُ فَجَمِيعُهُمْ ... صَافِي المَوَدَّةِ مُحْكَمُ المِيثَاقِ
أَسَرَتْنِيَ الأَحْزَانُ بَعْدَكَ عَنْوَةً ... فَاعْطِفْ عَلَيَّ وَحُلَّ عَقْدَ وَثَاقِي
وَلَقَدْ شَفَيْتَ عِدَاكَ مِنْ أَدْوَائِهِمْ ... لَمَّا مَرِضْتَ وَلَسْتَ ذَا إِفْرَاقِ
وَأَعَدْتَ فُقْدَانِي فَفَقْدُكَ عَارِضٌ ... مَا كَانَ وَابِلُهُ سِوَى الإِصْعَاقِ
لَمَّا بَلَغْتَ حِمَى . . . . . فَقَدْتُهُ ... . بِفِرَاقِ
لَا تَقْدِرُ الأَيَّامُ بَعْدَكُمَا عَلَى ... تَقْلِيلِ أَحْزَانِي وَلَا أَشْوَاقِي
وَلَقَدْ أَمِنْتُ الخَوْفَ مِنْ حَدَثَانِهَا ... أَمْناً يُسَهِّلُ حُزْنَ مَا أَنَا لَاقِي
يَوْمُ الحُسَيْنِ شَبِيهُ يَوْمِ سَمِيِّهِ ... فِي الحُزْنِ وَالتَّبْرِيحِ وَالإِشْفَاقِ
وَإِذَا ذَكَرْتُكُمَا تَحِنُّ إِلَى الرَّدَى ... نَفْسِي حَنِينَ الوَالِهِ المُشْتَاقِ
وَمَتَى أَرَادَ الصَّبْرَ قَلْبِي عَنْكُمَا ... سَفَهاً فَإِنَّ الصَّبْرَ غَيْرُ مُطَاقِ

/ ١٦٠أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه يرثيه ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

جَرَتِ الدُّمُوعُ فَسُحْبُهَا لَا تُقْلِعُ ... وَمَضَا العَزَاءُ فَلَا أَرَاهُ يَرْجِعُ
أَعَجِبْتَ مِنْ جَزَعِي لِرُزْءٍ هَدَّنِي ... لَا تَعْجَبَنَّ فَذُو الرَّزِيَّةِ يَجْزَعُ
أَبْكِي وَلَا أَرْجُو إِعَادَةَ مَا مَضَى ... وَمَتَى أَعَادَتْ مَا تَقَضَّى الأَدْمُعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ فَقْدُ خِلٍّ مُؤْلِمٌ ... وَمَحَلُّ إِينَاسٍ خَلَاءٌ بَلْقَعُ
فَإِلَى مَ أَحْمِلُ مَا يُصَدِّعُ حَمْلُهُ ... صُمَّ الصُّخُورِ وَكَاهِلِي يَتَضَعْضَعُ
كُنْتُ الضَّنِينَ بِوَالِدِي فَسَخَا [بِهِ] ... دَهْرٌ يُفَرِّقُ صَرْفُهُ مَا أَجْمَعُ
حَفِظَتْنِيَ الأَيَّامُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ... فَمَضَى فَهَا أَنَا بَيْنَهُنَّ مُضَيَّعُ
وَمُصَابُ إِبْرَاهِيمَ إِجْهَازٌ عَلَى ... عِلْمِي فَمَا فِي قَوْسِ صَبْرِي مَنْزَعُ
يَا يَوْمُ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا . . . . شَمْسُ الفَضَائِلِ بَعْدَهُ لَا تَطْلُعُ
يَوْمٌ بِهِ وَجْهُ الزَّمَانِ مُقَطَّبٌ ... دَاجٍ وَأَنْفُ الفَضْلِ فِيهِ أَجْدَعُ
اللَّيْلُ مَحْزُونٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ ... مَا زَالَ يَسْجُدُ فِي دُجَاهُ وَيَرْكَعُ

وَعَلَى كَوَاكِبِهِ كَآبَةُ عَاشِقٍ ... فَقَدَ الحَبِيبَ فَطَرْفُهُ لاَ يَهْجَعُ
ذَهَبَتْ مَحَاسِنُهَا وَأَبْطَأَ عَيْرُهَا ... وَجْداً فَهُنَّ بِهِ قِبَاحٌ طُلَّعُ
وَنَهَارُهُ يُثْنِي عَلَيْهِ بِصَوْمِهِ ... وَقْتَ الهَجِيرِ وَلَيْسَ رِيقٌ يُنْقَعُ
/ ١٦٠ب/ وَإِذَا أَتَى صَادٍ إِلَى إِحْسَانِهِ ... فَلَهُ مِنَ المَعْرُوفِ بَحْرٌ مُتْرَعُ
يَهْوَى البَدَاءَةَ بِالعَطَاءِ وَدِينُهُ ... صَمْتٌ وَإِغْضَاءٌ بِهِ وَتَخَشُّعُ
وَيَغُضُّ عَنْ نَظَرِ الفَوَاحِشِ مُقْلَةً ... تَقْذَى إِذَا رَأَتِ العُيُونَ وَتَدْمَعُ
وَإِذَا تَحَدَّثَ مَنْ يُجَالِسُهُ بِمَا ... فِيهِ ذَهَابُ مُرُوءَةٍ لاَ يَسْمَعُ
وَإِذَا جَرَى يَوْمَ السِّبَاقِ إِلَى العُلاَ ... وَقَفَتْ عَنِ الجَرْيِ الرِّيَاحُ الأَرْبَعُ
وَإِذَا أَمَالَ ذَوِي الغَوَايَةِ مَطْمَعٌ ... فِيمَا يُدَنِّسُ لَمْ يُمِلْهُ مَطْمَعُ
وَيَفُلُّ حَدَّ النَّائِبَاتِ بِحَدِّهِ ... وَيَذُبُّهُنَّ عَنِ الصَّدِيقِ وَيَدْفَعُ
وَيُذِلُّ مَنْ عَادَى وَيَخْفِضُ صِيتَهُ ... وَيُعِزُّ بِالنَّصْرِ الوَلِيَّ وَيَرْفَعُ
يَا مَوْتُ كَمْ أَشْقَيْتَ مَسْعُوداً بِهِ ... مَا زَالَ فِي رَوْضِ التَّنَعُّمِ يَرْتَعُ
فَنَضَا بِكُرْهٍ عَنْهُ ثَوْبَ نَعِيمِهِ ... فَسُرُورُهُ يَوْمَ المُصَابِ مُوَدَّعُ
قُلْ لِلسَّحَابِ إِذَا مَرَتْهُ يَدُ الصَّبَا ... وَذَكَتْ بِأَعْلاَهُ البُرُوقُ اللُّمَّعُ
وَأَصَمَّتِ الأَسْمَاعَ شِدَّةُ رَعْدِهِ ... فَبِكُلِّ أُذْنٍ حِينَ يَرْعُدُ إِصْبَعُ
وَاسْوَدَّتِ الآفَاقُ مِنْ إِظْلاَمِهِ ... فَعَلَى النَّهَارِ مِنَ الحَنَادِسِ بُرْقُعُ
احْلُلْ عُرَاكَ عَلَى ضَرِيحٍ حَلَّهُ ... مَنْ لَمْ يَزَلْ يُرْوِي نَدَاهُ وَيُشْبِعُ
وَتَعَلَّمِ المَعْرُوفَ مِنْ مَعْرُوفِهِ ... حَتَّى تُنِيلَ فَكُلُّ عِلْمٍ يَنْفَعُ
/ ١٦١أ/ وَاسْتَحْيِ لاَ تَفْخَرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ ... وَلَهُ المَفَاخِرُ بِالحَيَاءِ مُلَفَّعُ
وَحَيَاكَ نَائِلُهُ وَبَرْقُكَ نَشْرُهُ ... فَرَحاً وَرَعْدُكَ بَأْسُهُ إِذْ يُوقَعُ
يَعْفُو عَنِ الجَانِي بِغَيْرِ مَذَلَّةٍ ... وَيَكُفُّ غَرْبَ المُعْتَدِينَ وَيَرْدَعُ
يَبْغِي رِضَا اللهِ الكَرِيمِ وَوَجْهَهُ ... فِيمَا يُلاَمِسُهُ وَمَا يَتَوَقَّعُ
وَإِذَا طَرِيقُ القَوْلِ ضَاقَ عَلَى امْرِئٍ ... مِنْ عِيِّهِ فَلَهُ طَرِيقٌ مَهْيَعُ
كَمْ مَشْهَدٍ لِلْعِلْمِ يَعْجِزُ حَيْرَةً ... عَنْ أَنْ يَفُوهَ بِهِ الخَطِيبُ المُصْقَعُ
أَمْضَيْتَ فِيهِ مِنْ لِسَانِكَ صَارِماً ... تُفْرَى الأَكُفُّ بِحَدِّهِ وَالأَذْرُعُ
كَمْ جَائِعٍ أَشْبَعْتَهُ مُتَيَقِّنٍ ... مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ أَنَّهُ لاَ يَشْبَعُ

كَـــمْ لَيْلَـــةٍ أَحْيَيْتَهَـــا بعبَـــادَةٍ ... للهِ تَسْهَـــرُ وَالخَـــلاَئـــقُ هُجَّـــعُ
سَعِـدَتْ قُبُـوْرٌ جَـاوَرَتْـكَ وَأَهْلُهَـا ... بِخُلُــوْدِ جَنَّــاتِ النَّعِيْــمِ تُمَتَّــعُ
جَـزَعِـيْ لِفَقْـدِكَ فـي الفُـؤَادِ مُخَيِّـمٌ ... وَمِــنَ العَجَــائِـبِ أَنَّنِـيْ لاَ أَجْـزَعُ
أَرْضَـاكَ رَبُّـكَ بِـالنَّعِيْـمِ مُضَـاعَفَـاً ... وَوُصِلْـتَ بِـالخَيْـرِ الَّـذِيْ لاَ يُقْطَـعُ
وَضَفَـا عَلَيْـكَ مِـنَ الخُلُـوْدِ لِبَـاسُـهُ ... وَصَفَـا لَـدَيْـكَ مِـنَ الجِنَـانِ المَكْـرَعُ
وَسَكَنْـتَ جَـاراً لِلْنَبِـيِّ بِمَنْـزِلٍ ... فِـيْ كُـلِّ وَقْـتٍ بِـالكَـرَامَـةِ يُشْفَـعُ

وأنشدني أيضًا يرثي أبا إسحاق إبراهيم / ١٦١ب/ ابن محمد الرُّقي المعيد بالمدرسة النوريّة: [من الطويل]

تَمَنَّـى بَنُـو الـدُّنْيَـا بِهَـا أَنْ يُعَمَّـرُوا ... وَإِنَّ المَنَـايَـا مِـنْ مُنَـاهُـمْ لَتَسْخَـرُ
تَـدُوْرُ كُـؤُوْسُ المَـوْتِ فِـيْ كُـلِّ لَيْلَـةٍ ... وَيَــوْمٍ وَتُسْقَـاهَـا بِـرُغْـمٍ فَتَسْكَـرُ
وَنَعْـرِفُ أَنَّـا صَـائِـرُوْنَ إِلَـى الـرَّدَى ... وَلَكِنَّنَـا نَهْـوَى الحَيَـاةَ فَنُنْكِـرُ
نُـرِيْـدُ عَلَـى مَـرِّ اللَّيَـالِـي تَغَيُّـراً ... وَتَـأْمِيْلُنَـا لِلْعَيْـشِ لاَ يَتَغَيَّـرُ
أَمَـا فِـيْ ذَهَـابِ الأَهْـلِ عَنَّـا إِلَـى البِلَـى ... لِمَـنْ كَـانَ يَنْسَـى حَتْفَـهُ مَـا يُـذَكِّـرُ
أَمَـا فِـيْ فَنَـاءِ الأَصْـدِقَـاءِ وَفَقْـدِهِـمْ ... مَـوَارِدُ أَحْـزَانٍ لَهَـا الفِكْـرُ مَصْـدَرُ
فَحَتَّـى مَ شَيْطَـانُ الغُـرُوْرِ مُسَلَّـطٌ ... وَكَيْـفَ انْتِعَـاشُ المَـرْءِ وَالجَـدُّ يَعْثُـرُ
وَكَـمْ يَسْتَغِـرُّ النَّفْـسَ فِـيْ الغَـيِّ مَطْمَـعٌ ... وَيَغْـدِرُ بِـالنَّـاسِ الـزَّمَـانُ فَيُعْـذَرُ
وَكَـمْ يَنْظِـمُ العَيْـشُ الـرَّخِـيُّ عَصَـائِبـاً ... فَيَغْتَـالُهُـمْ صَـرْفُ الحِمَـامِ فَيَنْثُـرُ
وَمَـنْ يَتَّقِـيْ بِـالمَـالِ سَهْـمَ مَنِيَّـةٍ ... يُصَـابُ بِـهِ مِنَّـا مُقِـلٌّ وَمُكْثِـرُ
وَمَـا نَحْـنُ إِلاَّ مِثْـلُ سَفْـرٍ مُشَيَّـعٍ ... فَمِنَّـا الَّـذِيْ يَغْـدُو وَمِنَّـا المُهَجِّـرُ
وَلَـوْ غَشِـيَ الأَلْبَـابَ نُـوْرُ رَشَـادِهَـا ... لَكَـانَ لَهَـا فِـيْ كُـلِّ وَقْـتٍ يُـذَكِّـرُ
وَمَـنْ أَبَـنَ المَـوْتَـى بِـذِكْـرِ مَحَـاسِـنٍ ... فَتَـأْبِيْـنُ إِبْـرَاهِيْـمَ أَوْلَـى وَأَجْـدَرُ
كَـرِيْـمٌ إِذَا رَجَّيْتَـهُ فُـزْتَ بِـالغِنَـى ... وَحَبْـرٌ لأَنْـوَاعِ العُلُـومِ يُحَبِّـرُ
/ ١٦٢أ/ شُجَاعٌ إِذَا مَا الخَصْمُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَـا بِـهِ مَـنْ خَـدُّهُ مَـا يُصَعَّـرُ
وَلَـوْ كَـانَ مَلْكَـاً أَوْ خَطِيْبـاً سَمَـا بِـهِ ... عَلَـى كُـلِّ مَـا يَسْمُـو سَـرِيْـرٌ وَمِنْبَـرُ
يَـرُوْقُـكَ أَلْفَـاظـاً حَلَـتْ وَمَعَـانِيـاً ... وَمِـنْ سُـرْعَـةِ الإِدْرَاكِ لاَ يَتَفَكَّـرُ
وَكَـمْ وَشْـيِ شِعْـرٍ حَـاكَـهُ بِبَـدِيْهَـةٍ ... إِذَا وَشْـتَ اسْتَحْيَـتْ مِـنَ الـوَشْـيِ عَبْقَـرُ

بَنَى لأَبِيهِ بَيْتَ مَجْدٍ مُشَيَّداً ... إذَا طَاوَلَتْهُ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ تَقْصُرُ
وَكَانَ عِصَامِيَّ السِّيَادَةِ نَفْسُهُ ... تُعَلِّمُهُ أفْعَالَهَا وَتُبَصِّرُ
يُذَكِّرُنِي أَخْلاَقَهُ بِهُبُوبِهِ ... نَسِيمُ الصَّبَا وَالرَّوْضُ رَيَّانُ أَخْضَرُ
فَتَزْدَادُ أَشْوَاقِي إلَيْهِ وَبَيْنَهُ ... وَبَيْنِي مُنْهَالٌ مِنَ التُّرْبِ أَغْبَرُ
شَكَوْتُ خُطُوبَ الدَّهْرِ مِنْ قَبْلِ فَقْدِهِ ... وَمَنْ بَعْدِهِ البَلْوَى تَزِيدُ وَتَكْثُرُ
شَرَيْنَ خِيَارَ النَّاسِ مِنْ بِشَرِهِمْ ... فَبِعْتُ عَلَى كُرْهٍ لأَنِّي أَخْسَرُ
خَلِيلَيَّ هَلاَّ تُسْعِدَانِي فَإنَّنِي ... ذَخَرْتُكُمَا وَالخِلُّ لِلْخَطْبِ يُذْخَرُ
أُعِيرَانِيَ الصَّبْرَ الجَمِيلَ فَإنَّنِي ... جَزِعْتُ وَمَنْ لِي أَنَّنِي عَنْهُ أَصْبِرُ
قِفَا بِيَ عَلَى قَبْرِ الغَرِيبِ وَإنَّمَا ... وُقُوفِي عَلَيْهِ عَبْرَةٌ وَتَحَسُّرُ
وَلَوْ أَنَّنِي أَنْصَفْتُهُ فَاضَ مَدْمَعِي ... دَماً فَكَأَنِّي فِي شُؤُونِيَ أَنْحَرُ
وَقُولاَ لَهُ مَغْنَاكَ بَعْدَكَ مُظْلِمٌ ... تَجَنَّبَهُ السُّكَّانُ وَالتِّبْرُ نَيِّرُ
/ ١٦٢ب/ وَقُولاَ لَهُ إنْ حَالَتِ الأَرْضُ بَيْنَنَا ... تَسَاوَى لَهُ عِنْدِي مَغِيبٌ وَمَحْضَرُ
وَقُولاَ لَهُ عَظَّمْتَ قَبْراً سَكَنْتَهُ ... فَلَيْسَ يَمَسُّ القَبْرَ إلاَّ المُطَهَّرُ
فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الرَّوْضِ سُقْيَا سَحَابَةٍ ... وَفَقْدَ الضُّحَى شَمْسًا بِهَا كَانَ . . . . .
وَلَوْ كَانَتِ الأَنْوَاءُ عَالِمَةً بِمَا ... وَهَا نَا لَمَا زَالَتْ مِنَ الحُزْنِ تَمْطُرُ
وَلَوْ عَرَفَتْ شَمْسُ الضُّحَى سَتْرَ وَجْهِهِ ... بِهَيْلِ تُرَابٍ لَمْ تَزَلْ تَتَسَتَّرُ
طَوَتْهُ المَنَايَا فِي اللُّحُودِ وَحَمْدُهُ ... إلَى يَوْمِ إنْشَارِ الخَلاَئِقِ يُنْشَرُ
وَيَحْيَا الفَتَى بِالذِّكْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ... وَمَا مَاتَ مَنْ آثَارُهُ الغُرُّ تُذْكَرُ

وأنشدني من شعره لغزاً في اللحية: [من الطويل]

وَصَاحِبَةٍ مَصْحُوبُهَا لاَ يَمَلُّهَا ... إلَى المَوْتِ يَكْسِي جِسْمَهَا ثَوْبِيَ الدَّهْرِ
يَخَافُ إذَا مَا صَارَمَتْهُ وَأَنَّهُ ... يَرَى هَجْرَ بَعْضٍ إنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرِ
تُصَابُ بِغُسْلٍ إنْ أُصِيبَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُغْشَى وَيَحْيَا الطُّهْرُ إنْ كَانَ ذَا طُهْرِ

وأنشدني أيضًا في الديك والدجاجة: [من الخفيف]

جَارَتِي أُمُّ حَفْصَةٍ وَأَبُو المُنْذِرِ زَوْجَانِ يَرْضَيَانِ الفُجُورَا
حَرَّمَا الغُسْلَ دَائِماً عَنْ جِمَاعٍ ... وَاسْتَبَاحَتْ دَمَ ابْنِهَا المَحْظُورَا
فَصَحِيحٌ إذَا نَاهَا وَإنْ يَدْنُ ... تَرَى العَيْنُ صُلْبَهُ مَكْسُورَا

/ ١٦٣أ/ وَهْوَ عَاجٌ أُبو لُجَيْنٍ وَتِبْرٍ سخياً لاَبِسَيْنِ فِيْهِ حَرِيْرَا

وأنشدني أيضاً لنفسه يلغز: [من الطويل]

رَأَيْتُ أَبا بَكْرٍ يُصَلِّي وَقَدْ زَنَى بِأُنْثَى وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ
وَلَوْلاَ أَبُنُهُ أَوْ عِرْسُهُ لَمْ يَكُنْ أَتَى إِلَى عُمَرٍ فِي الدَّهْرِ يَوْماً مُوَحِّدُ
وَعُثْمَانُ لَمْ يَظْلِمْهُ قَاتِلُهُ وَمَا لَحَيْدَرَةٍ إِذْ جَارَ إِلاَّ المُهَنَّدُ

وقال: [من الكامل]

وَقَبَ الظَّلاَمَ بِخَدِّهِ فَأَعَاذَنِي مَنْ لاَمَنِي مِنْ شَرِّ لَيْلٍ غَاسِقِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي البَيَاضُ وَيَعْتَدِي فَاسْوَدَّ مِنْ ظُلُمَاتِ ظُلْمِ العَاشِقِ

وله: [من مجزوء الكامل]

كَمْ خَابَ ذُوْ العَقْلِ الصَّحِيْحِ وَفَازَ ذَوْ العَقْلِ السَّقِيْمِ
فَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمِ

وقوله: [من الكامل]

يَا مَنْ تَرَاهُ الشَّمْسُ وَقْتَ شُرُوْقِهَا فَتَصِيرُ حَمْرَاءَ المُحَيَّا وَالحَيَا
وَأُقَبِّلُ التُّفَاحَ وَهْوَ مُذَكِّرِيْ خَدَّيْهِ مُكْتَفِياً بِآلِ عَنْ حَيَا
لَمَّا عَصَيْتُ اللاَّئِمِيْنَ تَقَوَّلُوا زُوْراً وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّفَهِ العَيَا

/ ١٦٣ب/ وأنشدني قوله في غلام قبّل المرآة: [من الكامل]

أُقَبِّلَ المِرْآةَ حِيْنَ رَأَى بِهَا وَجْهاً يُرَدُّ الطَّرْفُ عَنْهُ كَلِيْلاَ
لاَ أَحْسُدُ المِرْآةَ حِيْنَ مَنَحْتَهَا قُبَلاً لأَنَّ لِغَيْرِكَ التَّقْبِيْلاَ

وأنشدني لنفسه ابتداء قصيدة: [من الكامل]

ظَفِرَتْ يَدُ المُشْتَاقِ يَوْمَ فِرَاقِهِ أَهْلَ النَّقَا مِنْ طِيْبِهِمْ بِعِنَاقِهِ
وَأَرَادَ مِنْهُ قُبْلَةً يَحْيَا بِهَا فَاسْتَعْجَلَ الحَادِي بِحَثِّ نِيَاقِهِ

ومنها:

لَمْ أَنْسَ لَيْلَةَ زَارَنِي وَنَسِيْمُهُ عَبِقٌ يَفُوحُ المِسْكُ مِنْ أَطْرَافِهِ
فَلَثَمْتُ مِنْ فِيْهِ أَقَاحِي رَوْضَةٍ حَلَّ الغَمَامُ بِهَا عُقُوْدَ نِطَاقِهِ

فَسَأَلْتُهُ إِخْلَاصَهُ لَوْ كَادَهُ وَالحُسْنُ يَأْمُرُهُ بِقُبْحِ مَذَاقِهِ
هُوَ كَالزَّمَانِ إِذَا أَذَاقَكَ حُلْوَهُ أَسْقَاكَ مُرّاً مِنْهُ بَعْدَ مَذَاقِهِ

ومنها:

فَالعِلْمُ مَحْرُومٌ بِقُبْحِ كَسَادِه وَالجَهْلُ مَرْزُوقٌ بِحُسْنِ نفَاقِهِ
يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ قَبْلَ مَنِيَّتِي مَنْ نَالَ حظّاً مِنْهُ بِاسْتَحْقَاقِهِ

[١٠١]

أحمدُ بن المبارك بن نوفل / ١٦٤أ/ ابن ناش بن المهيا، أبو العباسِ الضريرُ النحَويُّ النَصيبيُّ(١).

أخبرني أنَّه ولد بقرية من نواحي الموصل ـ تدعىٰ خرفة ـ غربيها، وانتقل إلىٰ نصيبين وعمره اثنتا [عشرة] سنة، فأقام بها مدّة فنسب إليها.

ثم قدم الموصل وصحب الشيخ أبا حفص عمر بن أحمد العسفنيّ(٢) النحويّ، فأخذ عنه علم العربية، وقرأ عليه أشعار العرب واللغة والعروض، وسائر فنون الأدب.

وكان أولاً قد درس فقه الشافعي والفرائض والأصول والحساب وغير ذلك، وذكر لي أنه حفظ القرآن العزيز في سبعة أشهر.

سألته عن ولادته، فقال: ما أتحققها إلا [أنَّ] لي الآن أربعون سنة. وكان سؤالي له في شوال بالموصل سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة.

وهو رجل فاضل عالم حافظ لأخبار الناس وحكاياتهم ونوادرهم يغشىٰ مجلسه جماعة من المستفيدين، يقرأون عليه. وصنّف كتبًا في النحو والعروض، منها كتاب سمّاه «إيضاح العلل الخوافي في معرفة العروض والقوافي»، وكتاب في النحو / ١٦٤ب/ سمّاه «بيان المنهج وشرح الأنموذج» لأبي القاسم الزمخشري، وكتاب

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٠٢ ـ ٣٠٣ وفيه: «الخرقي، توفي سنة أربع وستين وستمائة». طبقات السبكي ٥/ ١٣. غاية النهاية ١/ ٩٩. بغية الوعاة ١/ ٣٥٥، ٣٩٠ وهي معادة في الموضع الثاني ومنقولة عن ابن السبكي. طبقات القراء ١/ ٩٩. روضات الجنات ٨٤.

(٢) في الوفيات وبغية الوعاة: «السِّفني».

«الرجحان في شرح الميزان» لأبي البركات الأنباري، وكتاب «الإِفصاح في شرح الإِيضاح» لأبي علي الفارسي.

وهو مقل من عمل الشعر، يقول منه يسيراً في غرض يقع. أنشدني لنفسه، وكان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في جمادى الأولىٰ بعد رجوع التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ عن الموصل، وأمر أميرها بدر الدين لؤلؤ ابن عبد الله بتعطيل المدارس وصرف الفقهاء والمدرسين، وأن لا يقيم أحد بها غير بوّاب وفرّاش وإِمام ومؤذن، يستعين بذلك علىٰ العدو وقمعه.

ثم أقطعها الأجناد والأمراء فلم يبق يومئذ بالموصل مدرسة يدرس فيها الفقه، فعند ذلك سافر المتفقهة وتبدّد شملهم، وتفرقوا في البلاد، ودثرت معالم الدين، وعظمت البلوىٰ لنزول هذه الحادثة الشنيعة، وحلول هذا الخطب الجسيم، فقال في ذلك أبو العباس متوجعًا نادبًا لرسوم الفقه باكيًا أهله: [من الخفيف]

/ ١٦٥أ/ يَا لَخَطْبٍ دَهَا وَشَأْنٍ شَنِيْعِ وَبَلاَءٍ فَاجَا وَأَمْرٍ فَظِيْعِ
وَرَزَايَا أَصَابَتِ الدِّيْنَ حَتَّىٰ هَدَمَتْ مِنْهُ كُلَّ حُصْنٍ مَنِيْعِ
وَمُصَابٍ ذَلَّتْ بِهِ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ مِنْ بَعْدِ عِزِّهَا المَجْمُوْعِ
وَانْتِهَاكٍ لِحُرْمَةِ الشَّرْعِ بِالمُنْكَرِ مِنْ خَفْضِ قَدْرِهِ المَرْفُوْعِ
حِيْنَ أَضْحَتْ مَعَالِمُ العِلْمِ قَفْرًا آفِلاَتِ الأَقْمَارِ بَعْدَ الطُّلُوْعِ
خَالِيَاتٍ مِنْ لَذَّةِ الأُنْسِ فِيْهَا مُوْحِشَاتِ الأَرْجَاءِ بَعْدَ الجُمُوعِ
لَهْفَ نَفْسِيْ عَلَىٰ المَدَارِسِ إِذْ تَنْدُبُ سُكَّانَهَا بِفَيْضِ الدُّمُوْعِ
سُلِبَتْ بَهْجَةَ الدُّرُوْسِ فَأَضْحَتْ فِيْ دُرُوْسٍ مِنْ بَعْدِهَا وَخُشُوْعِ
طَالَمَا كَانَ لَيْلُهَا كَسَنَىٰ الفَجْرِ بِتَكْرَارِ كُلِّ فَنٍّ بَدِيْعِ
إِذْ بِسكانِهَا يُؤَسَّسُ لِلْدِيْنِ مَبَانِيْ أُصُوْلِهِ وَالفُرُوْعِ
فَابْكِ يَا صَاحِ بَعْدَهَا مَنْصِبَ الشَّرْعِ بِحُزْنٍ وَعَبْرَةٍ وَخُشُوْعِ

ثم منَّ الله بعد ذلك علىٰ الفقهاء وأهل العلم، وتداركهم بلطفه وأنزل في قلب الأمير بدر الدين بأن أمر بردّ الفقهاء إِلىٰ المدارس، وإِعادة جراياتهم، وذلك في أوائل

شهر صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة. /١٦٥ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه يصف الربيع:

[من المنسرح]

لله درُّ الرَّبيع من زمن ... في طيب آنائه وأوقاته
فهو نبيُّ الزمان والزهرُ الزاهر في الحسن بعض آياته
من كل لون يستأسر اللحظ إذ ... يرنو ويحبوه فوق مرضاته
بكى على .... طربًا ... فضاحكت أرضه سماواته
وانتثرت أدمع السحاب به ... فنظَّم الدرَّ حسن إنباته
.... في الربى برودٌ بأيدي ... المزن فيها جميل صنعاته
يا حبذا نفحة الرياض إذا ... باشرها الطلُّ وقت خطراته
كأنها نشر من تحبُّ وقد ... واصل من بعد طول غيباته
وحبذا ذلك النسيم الذي ... يحيي بغدواته وروحاته
يهدي إلى كل ذي حياة إذا مر عليه جميع لذاته

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الخفيف]

همتي همها بلوغ الثريا ... لكن الحظُّ نجمه في الحضيض
فمتى ما نهضت أبغي المعالي ... ردني الدهر ذا جناح مهيض
وإذا قالت السعادة لي اقرض ... قلت: حال الجريض دون القريض
/١٦٦أ/ كيف أسمو وطالع الحظ يقضي ... بأمور صحيحها كمريض

[١٠٢]

أحمدُ بنُ قرطايا بنِ عبدِ الله، أبو الثناء بنِ أبي الوفاءِ الإربليُّ الأصل(١).

الكامل، والأروع، الفاضل، والشهم الذكي، والفطن اللوذعي، ذو الكرم

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/٢٩٦ وفيه: «أحمد بن قرطائي، الأمير ركن الدين، أبو شجاع التركي الإربلي، مولى السلطان مظفر الدين صاحب إربل، ... مات فجأة سنة خمس وخمسين وستمائة». المنهل الصافي ٢/٢٤٢.
ترجم المؤلف لأخيه (محمد بن قرطايا بن عبد الله) في الجزء السابع برقم ٧٧٦.

والسخاء، و. . . . والرواء، والصبح المحيا، الذي . . . . . والنفس الأبية، والمروة والأريحية، إن استغاثه مستجر حماه، . . . . له النظم المطرب في النثر المغرب، والبلاغة الإنشائية، والعبارة الكتابية، أربى بإجادتها على الكتاب المترسلين، وفاق بإنشائها على البلغاء المبرزين][١].

كان والده من عتقاء الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل ـ رضي الله عنه ـ وكان أعظم أمير في دولته، ناب عنه في مملكته، رفيع المنزلة لديه، فاعتقله مخدومه بقلعة كرخين، ومات محبوسًا ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وكان يميل إلىٰ أهل العلم، ويقرّبهم لأجل ولده هذا؛ لأنه كان يبالغ في تأديبه، ويجتهد في تعليمه، وسمع الحديث النبوي وجالس فضلاء ذلك الوقت. . فنبغ ـ بحمد الله ـ أميراً كبيراً نبيلاً متأدّبًا جليلاً مقبولاً عند ملوك زمانه، وافر الحرمة لدىٰ سلاطين أوانه.

وابنه هذا أمير جليل ذو منظر حسن، وفيه بشر وحياء ومحاضرة مليح الخط، جيد القول نظمًا ونثراً، ويعرف علم النجوم والإصطرلاب.

أخبرني أنه ولد يوم الإثنين التاسع والعشرين من المحرم سنة ثماني وتسعين وخمسمائة بالدربند، بقرية تعرف بالراية من أعمال إربل[٢].

ترددت إليه أيام مقامي بإربل، وكان ينشدني أشعاراً في الغزل وغيره، وخرج عن إربل متوجهًا في ذي الحجة سنة ثلاثين وستمائة، نحو حلب، ونزل بها، وأقبل عليه مالكها السلطان الملك غياث الدين وقرّبه إليه، وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا، ولم يُقبل علىٰ أحد من الأمراء. /١٦٦ب/ كإقباله عليه. وكان السفير بينه وبين الملك الكامل فيما يرجع إلىٰ إصلاح الدولة؛ فلم تطل به الأيام حتىٰ توفي الملك العزيز، فزيد في إكرامه، واحترم احترامًا عظيمًا وافراً. واستُدعي من الديوان العزيز المستنصري، ووصل إلىٰ مدينة السلام في شهر شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة، فحيث قدمها

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) في هامش الأصل: «كانت وفاة الأمير ركن الدين أحمد شهاب بن قرطايا ـ المذكور ـ ببغداد في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وستمائة، وقيل: منتصف شوال. . .، والله أعلم».

أكرم مورده، وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا، وأقطعه اقطاعًا تليق بمثله ببلد البطائح، وعرفوا نبله وفضله، ولقب من دار الخلافة بعدة ألقاب، وكني أبا شجاع، وكان من قبل يكنىٰ أبا الثناء ...... لم يكرمه مثله أحد من الأمراء الذين هم ...... إلىٰ هذه الفضائل التي أحرزها علمه بالآداب الملوكية ...... بالجوارح والكلاب واللعب بالكرة وسباق الخيل ...... في الفروسية، وما يتعلق بهذه الأصناف السلطانية.

ثم إنه كان أخبر الناس بملاقاة الملوك ومخاطباتهم والوقوف بين أيديهم، وأقدرهم علىٰ المفاوضة لهم، وأحسنهم في ......

فمما أنشدني لنفسه: [من الطويل]

لِذِيْ السَّالِفِ المِسْكِيِّ وَالمُقْلَةِ النَّجْلَا ... رَسِيْسُ هَوًىٰ فِيْ القَلْبِ يَبْلَىٰ وَلَا يَبْلَىٰ

عَزِيْزٌ عَرَفْتُ الذُّلَّ مِنْ كَلَفِيْ بِهِ ... وَكَمْ مِنْ عَزِيْزٍ فِيْ الهَوَىٰ عَرَفَ الذُّلَّا

كَثِيْرُ التَّجَنِّيْ لَيْسَ لِيْ عَنْهُ سَلْوَةٌ ... وَأَعْجَبُ شَيْءٍ جَائِرُ الحُكْمِ لَا يُسْلَىٰ

وَمُعْتَدِلٌ كَالغُصْنِ لَا عَدْلَ عِنْدَهُ ... وَلَوْلَا شَقَائِيْ فِيْ الهَوَىٰ عَرَفَ العَدْلَا

فَلَا تَعْذُلُوْنِيْ فِيْ هَوَاهُ فَإِنَّنِيْ ... حَلَفْتُ بِذَاكَ الوَجْهِ لَا أَقْبَلُ العَذْلَا

دَعُوْنِيْ وَشَكْوَىٰ الحُبِّ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ ... فَمَا أَعْذَبَ الشَّكْوَىٰ إِلَيْهِ وَمَا أَحْلَىٰ

وأنشدني أيضًا بحلب المحروسة محاضرها السليماني يوم الجمعة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة: [من الطويل]

لَعَلَّ لِقَاءً بَعْدَ طُوْلِ التَّفَرُّقِ ... يَبُلُّ أُوَامًا مِنْ غَلِيْلِ التَّشَوُّقِ

فَمُنُّوا بِتَعْلِيْلِ المُنَىٰ مِنْ لِقَائِكُمْ ... فَرُبَّ مُنًى تَشْفِيْ صَبَابَةَ شَيِّقِ

فَيَا وَيْحَ قَلْبِيْ عَزَّ فِيْكُمْ سُلُوُّهُ ... فَدَمْعَتُهُ حَرَّىٰ بَعْدَكُم لَيْسَ تَرْتَقِيْ

بَعُدْتُمْ فَلَا نَشْرُ الشَّآمِ كَطِيْبِهِ ... قَدِيْمًا وَلَا لِلْعَيْشِ بَهْجَةُ رَوْنَقِ

وَلَا حَلَبٌ مُذْ غِبْتُمُ دَارُ لَذَّةٍ ... لِبُعْدِكُمُ عَنِّيْ وَلَا رَبْعُ جِلِّقِ

وَلَا غَيَّرَ النَّأْيُ الَّذِيْ تَعْلَمُوْنَهُ ... وَحَاشَا هَوَاكُمْ يَنْقَضِيْ بِالتَّفَرُّقِ

أَهِيْمُ إِذَا مَا لَاحَ بَرْقُ دِيَارِكُمْ ... وَأَسْأَلُهُ أَخْبَارَكُمْ فِيْ التَّأَلُّقِ

وَأَسْتَنْشِقُ الأَرْوَاحَ مِنْكُمْ وَحَبَّذَا ... لِمَغْدَىٰ الصَّبَا مِنْ أَرْضِكُمْ طِيْبُ مَنْشَقِ

وَأَصْبُو لَهَا وَجْدًا وَأَبْرَحُ لَوْعَةً ... بِلِيْنِ التَّصَابِيْ وَجْدَ عَانٍ وَمُطْلَقِ

وَأَبعَثُ أَشْوَاقِي مَعَ الرِّيحِ عَلَّهَا تَمُرُّ بِرَيَّا مِنْ صَبَاكُمْ فَتَلْتَقِي
وَأَيُّ نَسِيمِ الرِّيحِ يُبْلِغُ مُشْئِماً وَقَدْ خَابَ مَسْرَاهَا رِسَالَةَ مُعْرِقِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَيُوسُفُ إِنْ أَصْبَحْتَ لِلْوَعْدِ مُخْلِفاً وَبِالعَهْدِ غَدَّاراً فَغَيْرُ بَدِيعِ
بِذَا العَقْلِ وَالتَّهْوِيرِ ضَيَّعْتَ شَيْزَراً وَتَأْمَلُ مِنْهَا حُظْوَةً بِرُجُوعِ
وَكَانَ مِنَ الأَيَّامِ مُلْكُكَ غَلْطَةً وَعَاراً عَلَيْهَا فَابْكِهَا بِنَجِيعِ

/ ١٦٧ب/ وأنفذ له الشهاب الشيزري فهدة فطلعت عرجاء فكتب إليه، وكان أعرج أيضًا: [من الكامل]

جَادَ الشِّهَابُ الشَّيْزَرِيُّ بِفَهْدَةٍ عَرْجَاءَ زَعْماً كُلُّ ذِي عَرَجٍ زَرِي
فَلْيَعْذِرِ المَلِكَ العَزِيزَ مُحَمَّداً فِي نَفْيِهِ لِعَرَاجِهِ عَنْ شَيْزَرِ

وقال فيه أيضًا: [من الوافر]

وَقَالُوا: الشَّيْزَرِيُّ غَدَا مُهَاناً لِجَهْلٍ وَالهَوَانُ بِهِ خَلِيقُ
فَلاَ فِي الشَّرِّ يَخْشَاهُ المُعَادِي وَلاَ فِي الخَيْرِ يَرْجُوهُ الصَّدِيقُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

بِنْتُمْ فَشَوْقِي عَلَى مَا تَعْلَمُونَ وَكَمْ قَدْ فَرَّقَ الدَّهْرُ أَحْبَاباً وَأَخْوَانَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ بِالأَمْوَالِ رَدَّكُمُ وَبِالكَرَائِمِ مِمَّا أَقْتَنِي هَانَا
وَاهاً لِبَغْدَادَ مِنْ دَارٍ لَقَدْ عَدِمَتْ مِنْكُمْ . . . . . وَمَنْ مَعْنَاكَ لُقْمَانَا
تَغْدُو الشَّيَاطِينُ فِيهَا مِنْ أَطِبَّتِهَا مُمَرَّدِينَ فَلَو أَلْقَى سُلَيْمَانَا

وما كتبه إلى مولانا أمير المؤمنين [المستنصر بالله]: [من الطويل]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِالدِّيَارِ كَلِيلِ فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ عَلَيَّ طَوِيلِ
وَآمِرَةٍ بِالصَّبْرِ عَمَّنْ أُحِبُّهُ إِلَيْكَ فَحُسْنُ الصَّبْرِ غَيْرُ جَمِيلِ
/ ١٦٨أ/ سَقَى جِيْرَةَ الشَّهْبَاءِ مِنْ سَفْحِ جَوْشَنٍ غَوَادِي حَيًا ذِي هَيْدَبٍ وَسُيُولِ[1]
نَأَوْا وَهُمُ الأَدْنَوْنَ وَالدَّهْرُ مُولَعٌ بِتَفْرِيقِ جَمْعٍ أَوْ بِصَدْعِ قَبِيلِ

---

(١) الهيدب: السحاب القريب من الأرض.

خَلِيْلَيَّ هَلْ لِي فِي الأَخِلاَّءِ مُسْعِدٌ ... عَلَى لَوْعَةٍ مَا تَنْقَضِي وَغَلِيْلِ
تُبَرِّحُ بِي ذِكْرَى . . . . . وتركتهم ... وَقَدْ سَاءَهُمْ حَيْثُ ارْتَحَلْتُ رَحِيْلِي
ثَلاَثَةُ أَغْصَانٍ رَجَوْتُ نُمُوَّهَا ... رَمَى الدَّهْرُ شَفْعًا مِنْهُمُ بِذُبُوْلِ
فَقَدْ سَاءَ بِالمَاضِيْنَ دَهْرٌ وَلاَ أَرَى ... إِلَى أَوْبَةِ البَاقِيْنَ وَجْهَ سَبِيْلِ
دَوَاءٌ بِأَكْنَافِ الشَّامِ مُمَنَّعٌ ... وَمُؤْلِمُ دَاءٍ بِالعِرَاقِ دَخِيْلِ
يُطَالِبُنِي قَلْبِي . . . . . إِلَيْهِمُ ... وَإِنْ طَابَ فِي ظِلِّ الإِمَامِ مَقِيْلِي
أَبِي جَعْفَرَ المُسْتَنْصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ... خَلِيْفَةِ حَقٍّ وَابْنِ عَمِّ رَسُوْلِ
كَرِيمُ السَّجَايَا غَافِرُ الذَّنْبِ قَادِرٌ ... شَدِيْدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ غَيْرُ عَجُوْلِ
عَلَيْهِ جَلاَلٌ لِلْنُّبُوَّةِ لاَئِحٌ ... كَشَمْسِ الضُّحَى لاَحَتْ بِغَيْرِ دَلِيْلِ
مَحَبَّتُهُ فَرْضٌ أَتَى بِوُجُوْبِهَا ... تِلاَوَةُ آيَاتٍ وَحُكْمُ نُزُوْلِ
إِمَامُ هُدًى طَالَ الخَلاَئِفَ فِعْلُهُ ... فَأَعْجَزَ عَنْ شِبْهٍ لَهُ وَمَثِيْلِ
حَمَى الدِّيْنَ وَاسْتَدْعَى الكَتَائِبَ فَانْبَرَتْ ... إِلَى النَّصْرِ خَيْلٌ أُرْدِفَتْ بِخُيُوْلِ
وَلَيْلَةَ يَمَّمْنَا مِنَ الشَّامِ ظِلَّهُ ... بِعَزْمٍ كَحَدِّ المَشْرَفِيِّ صَقِيْلِ
/١٦٨ب/ هَدَانَا إِلَى مَعْرُوْفِهِ نُوْرُ وَجْهِهِ ... فَبِتْنَا نَشِيْمُ البَرْقَ غَيْرَ كَلِيْلِ
تَجُوْبُ إِلَيْهِ الأَرْضَ حُبًّا وَرَغْبَةً ... وَنَفْرِي الفَيَافِي مِنْ نَقًا وَسُهُوْلِ
وَلَوْ شَاءَ نِلْنَا مِنْ خُرَاسَانَ مَانِعًا ... بِسُمْرِ قَنًا مُلْدٍ وَبِيْضٍ نُصُوْلِ
دَنَوْنَا فَأَلْفَيْنَا النَّدَى فِي جَنَابِهِ ... خَصِيْبًا وَفَيْضَ الجُوْدِ غَيْرَ قَلِيْلِ
فَرَقَّتْ حَوَاشِي العَيْشِ فِي ظِلِّ مُلْكِهِ ... وَرَاقَتْ كَمُزْنٍ ضُعِّفَتْ بِشَمُوْلِ
لَنَا مِنْهُ إِحْسَانٌ إِلَيْنَا وَرَأْفَةٌ ... عَلَيْنَا وَعَطْفٌ وَاصْطِنَاعُ جَمِيْلِ
هَنِيْئًا لأَهْلِ الأَرْضِ عَدْلُ خَلِيْفَةٍ ... غَدَا لِرَسُوْلِ اللهِ خَيْرَ رَسِيْلِ
أَبَا جَعْفَرٍ مَالَتْ إِلَيْكَ قُلُوْبُنَا ... فَمِلْنَا إِلَى حُسْنَاكَ كُلَّ مَمِيْلِ
أَتَيْنَاكَ نَبْغِي عِيْشَةً مِنْ . . . . بِبَابِكَ فِي ظِلٍّ لَدَيْهِ ظَلِيْلِ
تَرَكْنَا عَلَى وَعْدٍ مِنَ القُرْبِ أَهْلَنَا ... وَخِلْنَا النَّوَى مَرْمَاهُ غَيْرُ طَوِيْلِ
قَضَى شَطْرُهُمْ دُوْنَ اللِّقَاءِ بِغُرْبَةٍ ... وَلَسْتُ عَلَى سَبِّ الرَّدَى بِوَكِيْلِ
فَإِنْ شَمِلَتْنَا نَظْرَةٌ مِنْكَ حَقَّقَتْ ... مَآرِبَ نَرْجُوْهَا وَحُسْنَ وُصُوْلِ
وَكَيْفَ قُنُوْطُ النَّفْسِ مِنْ قُرْبِ زَوْرَةٍ ... وَرَأْيُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ كَفِيْلِي

وما كتبه إلىٰ صاحب الديوان يتشوقه إلىٰ واسط؛ وهو فخر الدين /١٦٩أ/ المبارك بن يحيىٰ المخزومي: [من الوافر]

أَجَــدَّكَ لَــوْ أَتَيْتُــكَ بِــالصَّـوَابِ ... لَجِئْتُــكَ سَــاعِيــًا عِــوَضَ الكِتَــابِ
وَلَــوْ أَنِّــي اسْتَطَعْـتُ لَكُنْـتُ دَهْـرِيَ ... مُــلازِمَ مَجْـدِكَ الخَضِـلِ الـرِّحَـابِ
أَيَــا مَــوْلَايَ فَخْــرَ الــدِّيْــنِ عُــذْرًا ... لِمُشْتَــاقٍ يُقَصِّــرُ فِــي الخِطَــابِ
غَــدَتْ بَغْــدَادُ بَعْــدَكَ فِــي حَنِيْــنٍ ... تُــرَاقِــبُ مِنْــكَ سَــاعَــاتِ المَــآبِ
فَحَيَّــا وَاسِطــًا إِذْ بِــتَّ فِيْهَــا ... مُلِــثُّ القَطْــرِ مُنْبَجِـسُ السَّحَــابِ
وَأَعْقَــلَ رِكْبَــةً فِــي كُــلِّ أَرْضٍ ... يَحُــلُّ بِهَــا المُبَــارَكُ بِــالـرِّكَــابِ
تَمَلَّكْــتَ القُلُــوْبَ فَــدَتْــكَ نَفْسِــي ... أَبَــا سَعْــدٍ بِــأَخْــلَاقٍ عِــذَابِ
فَلِــي مُــذْ سِــرْتُ نَحْـوَكَ فَـرْطُ شَـوْقٍ ... كَشَــوْقِ أَخِــي ....
سَــلَامُ اللهِ مِنِّــي كُــلَّ يَــوْمٍ عَلَــى ... عَلْيَــاءِ بَــابِــكَ وَالجَنَــابِ

ومما عمله بديهًا بدار الوزارة الشريفة مجاوبًا لبدر الدين أبا نصر زيادة دجلة، وانقطاعه عن خدمة الدار: [من الطويل]

وُقِيْــتَ الــرَّدَىٰ يَــا مَــوْجَ دِجْلَــةَ بَيْنَنَــا ... إِذَا مَــا طَـرَا مِــنْ مُــوْجِبَــاتِ العَــوَائِــقِ
فَمَــا قَطَعَــتْ تِيْــهُ السَّمَــاوَةِ عَنْكُــمُ ... مُــرَادِي إِذْ وُدِّي لَكُــمْ وُدُّ صَــادِقِ
/١٦٩ب/ وَلَا بَعُــدَتْ دَارٌ وَلِلنَّفْـسِ هَبَّـةٌ ... إِلَيْهَــا وَلَــوْ حَــالَـتْ سُلُـوْكُ المَضَـايِـقِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

سُقِيَــتْ قُبُــوْرٌ بِــالشَّــامِ وَلَا وَنَــىٰ ... جَفْــنُ السَّحَــابِ بِهَــا يَسُــحُّ وَيَسْمَــحُ
أَجْــدَاثُ مَــنْ أَعْــزِزْ عَلَــيَّ بِفَقْــدِهِــمْ ... فِيْنَــا عَلَيْهِــمْ غُلَّــةٌ لَا تَبْــرَحُ
جَــدَثٌ بِــهِ المَلِــكُ العَـزِيْـزُ وَحُفْـرَةٌ ... ضَمَّــتْ أَخِــي وَالقَــرْحُ بِــالأَخِ أَبْـرَحُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

إِذَا مَــا سَقَــىٰ الغَيْــثُ الشَّــامَ فَــلَا غَـدَا ... رُبَــىٰ حَلَــبٍ مِــنْ سُحْبِــهِ كُــلُّ مُمْطِــرِ
دِيَــارٌ بِهَــا مَثْــوَىٰ العَــزِيْــزِ مُحَمَّــدٍ ... أَخِــي الجُــوْدِ جَــادَتْــهُ دُمُــوْعِــي بِكَـوْثَـرِ
جَــزَىٰ اللهُ عَنِّــي أَهْلَهَــا كُــلَّ صَــالِــحٍ ... أَطَــابُــوا مَغِيْبِــي بِــالثَّنَــاءِ وَمَحْضَــرِي
صَحِبْتُهُــمُ حِيْنًــا كَــأَنَّــا مَــعَ النَّــوَىٰ ... ذَوُوْ رَحِــمٍ فِــي إِرْبِــلٍ لَــمْ تُغَيَّــرِ

وقال أيضًا من قصيدة عملها ليسيرها إلىٰ شمس الدين لؤلؤ تشوقًا إليه، ولم يسيّرها:

[من الطويل]

صَفَا لَكَ وُدِّيْ وَالدِّيَارُ بعيدَةٌ ... وَمَا الصَّفْوُ إلاَّ مَا يكُوْنُ عَلَىٰ البُعْدِ
وَمَا غَيَّرَتْنِي عَنْ عُهُوْدِكَ سَلْوَةٌ ... وَكُلُّ الَّذِيْ فِيْ البُعْدِ يَبْقَىٰ عَلَىٰ العَهْدِ
/ ١٧٠أ/ أَبا الفَضْلِ جَادَتْ رَبْعَ دَارِكَ دِيمَةٌ ... تَبَسَّمَ فِيهَا البَرْقُ مِنْ غَضَبِ الرَّعْدِ
يُفَلِّلُ جَيْشَ المَحْلِ حَبْلُ بُرُوْقِهَا ... بصَارِمِهَا المَسْلُوْلِ مِنْ بَاطِنِ الغِمْدِ
يَضُوْعُ عَلَيْهَا مِنْ خِلالِ بُرُوْدِهَا ... . طِيْبٌ مِنْ شَذَا البَانِ وَالرَّنْدِ
تَحُوْكُ بِهَا وَشْيًا مِنَ الرَّوْضِ مُذْهَبًا ... وَتَرْقُمُ طُرْزًا فَوْقَ جَدْوَلِهَا الجَعْدِ
فَأَحْسَنْ بخَدِّ الأَرْضِ مِنْهَا مُعَذَّرًا ... وَإِنْ كَانَ حُسْنُ الخَدِّ وَصْفًا مِنَ المُرْدِ
فَهَامُ رُبَاهَا تَحْتَ تَاجٍ مُرَصَّعٍ ... وَجِيْدُ حِمَاهَا فِيْ الثَّمِيْنِ مِنَ العِقْدِ
فَلِلَّهِ قَلْبِيْ مَا لَهُ كُلَّمَا بَدَا ... لَهُ البَرْقُ شَامِيًّا يَهِيْمُ مِنَ الوَجْدِ
يُذَكِّرُنِيْ مِنْ طِيْبِ قُرْبِكَ ذَاهِبًا ... وَعَيْشًا صَفِيْقَ الظِّلِّ فِيْ زَمَنٍ رَغْدِ
فَوَا وَحْدَةً إذْ لاَ أَرَاكَ مُصَاحِبًا ... وَإِنْ كُنْتُ ذَا قَوْمٍ كِرَامٍ ذَوِيْ وُدِّ
فَمَا كَانَ أَهنَا العَيْشَ لَوْلاَ مَنِيَّةٌ ... أَتَاحَتْ لَنَا فَقْدَ العَزِيْزِ عَلَىٰ عَمْدِ
فَلَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ سَالِفَ عِيْشَةٍ ... عَلَىٰ سَائِلٍ يَوْمًا سَأَلْنَاهُ فِيْ الرَّدِّ

ومما أراد أن يسيره إليه ولم يسيره: [من الوافر]

خَيَالٌ زَارَ وَهْنًا فِيْ المَنَامِ ... يُذَكِّرُنَا لُيَيْلاتِ الشَّآمِ
وَعَيْشًا بِالعَوَاصِمِ مَرَّ رَغْدًا ... لَنَا فِيْ خِدْمَةِ المَلِكِ الهُمَامِ
أَهِيمُ إِلَيْكَ شَمْسَ الدِّيْنِ شَوْقًا ... فَيَا للهِ شَوْقُ المُسْتَهَامِ!
/ ١٧٠ب/ يُذَكِّرُنِيْكَ ضَرْبُ البِيْضِ صَبْرًا ... وَطَعْنُ السُّمْرِ فِيْ يَوْمِ الزِّحَامِ
وَأَوْقَاتُ السُّرُوْرِ وَكُلُّ خِلٍّ ... لَقِيْتُ وَطِيْبُ سَاعَاتِ المُدَامِ
وَأَذْكُرُ مِنْكَ عَزْمًا كَانَ أَمْضَىٰ ... عَلَىٰ الأَعْدَاءِ مِنْ حَدِّ الحُسَامِ
وَأَخْلاَقًا كَنَشْرِ الرَّوْضِ مَرَّتْ ... مُعَطَّرَةً بِأَنْفَاسِ الخُزَامِ
سَقَىٰ مَثْوَىٰ العَزِيزِ سَحَابُ دَمْعِيْ ... إِذَا مَا ضَنَّ مُنْسَجِمُ الغَمَامِ
وَحَيَّا اللهُ مِنْ حَلَبٍ مُقَامًا ... وَأَجْدَاثًا بِأَكْنَافِ المُقَامِ
سَلاَمٌ رَائِحٌ مِنِّيْ وَغَادٍ ... عَلَيْهِمْ مِنْ حِمَىٰ دَارِ السَّلاَمِ

ومما كتبه إلىٰ عز الدين صدقة جوابًا عن كتاب ورد منه يذكر فيه سلام الصدر الكبير تاج الدين من إربل : [من الطويل]

تَحيَّةَ مَنْ بالوُدِّ منكَ كفيلُ ... مُقيمٌ بحفظ العَهْد لَيْسَ يَحُولْ
يُكَلِّفُ خَفَّاقَ النَّسيْم سَلاَمَهُ ... إلَيْكَ فَخفَّاقُ النَّسيْم رَسُولْ
أُحَمِّلُهُ شَوْقي ولَوْ كَانَ مُمْكنًا ... عَملْتُ بَبرْحِ الشَّوْق حيْنَ يَقُولْ
وَأسْألُهُ حَمْلَ الجَوَاب لَوَ أنَّهُ ... مَلِيءٌ بإيْرَاد الجَوَاب حَمُولْ
/ ١٧١أ/ كَفَىٰ أسَفًا إذْ لا تَزاورُ بيْنَنَا ... وَلَا رُسْلَ إلاَّ أنْ تَهُبَّ قَبُولْ
رَحَلْتَ فَللزَّوْراء نَحْوَك لَفْتَةٌ ... يَرقُّ لَهَا قَاسِي الفُؤَاد عَذُولْ
سَقَىٰ جَانبَيْ بَغْدَادَ غَادٍ وَرائحٌ ... مِنَ الوَدْق لمَّاعُ البُرُوْق هَطُولْ
مَنَازِلُ أهْليْكَ الَّذيْنَ تُريْدُهَمْ ... وَرَهْطُكَ والرَّهْطُ . . . . . قَليْلُ
وَلَا دَارُ مَنْ تَهْوَاهُ منْهَا بَعيْدَةٌ ... وَلَا الرَّسْمُ فيْهَا منْ هَوَاكَ مَحِيْلُ
وَإنْ بتَّ ذَا شَوْق إليْهَا فَشَوْقُهَا ... إلَيْكَ عَلَىٰ مُرِّ البعَاد طَوِيْلُ
وَعَزَّ بَني أيُّوْبَ سَامٍ رُوَاقُهُ ... عَلَيَّ وَظِلٌّ وَارفٌ وَظَلِيْلُ
تَدَرَّعْ بحُسْن الصَّبْر فيْمَا لَقيْتَهُ ... منَ الدَّهْر إنَّ الصَّبْرَ منْكَ جَميْلُ
بَلَىٰ لَكَ فِي خُلْق ابْن نَصْر وَفعْله ... وَقُرْب عُلاَهُ مَوْطنٌ وَقَبِيْلُ
وَلا عَجَبٌ إذْ أنْتَ منْهَا تُحبُّهَا ... وَيَحْنُو عَلَيْهَا نَازِحٌ وَدَخِيْلُ
فَفِي حُبِّهَا خَلَّفْتُ قَوْمِي وَجَدَّ لِي ... عَنِ الأهْل والرَّبْعِ الأنيْس رَحيْلُ
وَفَارَقْتُ عُلْيَا الشَّام . . . . . لأجْلهَا ... وَلِي فِي ذُرَاهُ مَسْرَحٌ وَمَقِيْلُ
لَكَ اللهُ إذْ بُدِّلْتَ عَنْهَا بإرْبَلٍ ... وَبالرُّغْم إذْ عَنْهَا الخَرَابُ بَديْلُ
كَرهْتَ بَنَاديْهَا المُقَامَ أنِيْسَةً ... وَقَدْ أوْحَشَتْ دَارٌ لَهَا وَطُلُوْلُ
فَقَدْ يَكْرَهُ المَرْءُ الَّذيْ فيْه ضُرُّهُ ... ويُوْثرُ فعْلَ الأمْر وَهْوَ وَبِيْلُ
/ ١٧١ب/ وَمَنْ يَلْقَ تَاجَ الدِّيْنِ مَاشَطَّ أهْلُهُ ... وَلاَ بَانَ عَنْهُ صَاحبٌ وَخَلِيْلُ

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من الطويل]

يُجَدِّدُ شَوْقِي طَيْفُكُمْ كُلَّمَا سَرَىٰ ... إلَيَّ وَلكنَّ الخَيَالَ كَذُوْبُ
لَعَلَّ نَسيْمَ اللَّيْل فِي نَفَحَاته ... يُخَبِّرُنِي أنَّ اللِّقَاءَ قَرِيْبُ
تَمَنَّيْتُ يَوْمًا وَصْلَكُمْ فَحُرِمْتُهُ ... وَكُلُّ أمَانِي العَاشقِيْنَ نَحِيْبُ

وَمُنُّوا بِلُقْيَاكُمْ عَلَىٰ ضَعْفِ مُهْجَةٍ ... مَتَىٰ نَشَدَتْ ذِكْرَاكُمُ فَتَذُوبُ
وَلاَ تَحْسَبُوا أَنَّ الحَيَاةَ تَلَذُّ لِي ... وَأَيُّ حَيَاةٍ لِلْفِرَاقِ تَطِيبُ
سَأُنْكِرُ عِرْفَانِي لَكُمْ عِنْدَ سَائِلِي ... حِذَاراً عَلَيْكُمْ أَنْ يَنُمَّ رَقِيبُ
وَأُصْغِي إِذَا الرَّاوُونَ أَجْرَوْا حَدِيثَكُمْ ... وَأُعْرِضُ كَيْمَا لاَ يُقَالُ مُرِيبُ

وأنشدني لنفسه من صدر مكاتبة جواب أبيات لأبي المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب الإربلي النشابي كتبها إليه فأجابه الأمير علىٰ الوزن والقافية: [من الطويل]

أَبَا المَجْدِ شَوْقِي جَاوَزَ المَدَّ وَصْفُهُ ... إِلَيْكَ فَهَلْ يَوْمُ اللِّقَاءِ قَرِيبُ
يَقَرُّ لِعَيْنِي أَنْ أَرَاكَ وَشَمْلُنَا ... جَمِيعٌ وَلَيْلاَتٌ مَضَيْنَ تَؤُوبُ
/ ١٧٢أ/ فَمَنْ لِي بِلُقْيَا أَسْعَدٍ لاَ عَدِمْتُهُ ... وَيَدْعُو وُدَادِي حُبَّهُ فَيُجِيبُ
وَلَيْسَ . . . . وَلَكِنَّ صَبْرِي مُذْ نَأَيْتُ عَجِيبُ

وأنشدني أيضًا قوله من أبيات، وقد نزل عمّكاباذ ـ قرية علىٰ باب إربل فيها يباع الخمر ويقصدها أهل البطالة والخلعاء من الناس وأرباب الحرف يشربون بها ـ وفيها شخص اسمه نيسان خمار: [من الطويل]

وَلَمَّا نَزَلْنَا عمّكَابَاذَ شَاقَنَا ... زِيَارَةُ نَيْسَانٍ وَحَانَتُهُ الكُبْرَىٰ
ذَكَرْنَا بِهَا لَيْلاَتِ لَهْوٍ حَمِيدَةً ... تَقَضَّتْ مَعَ الأَحْبَابِ أَكْثَرُهَا شُكْرَا
فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ إِنْ كُنْتُ بَعْدَهَا ... أُعُدُّ زَمَانِي كُلَّهُ أَبَداً عُمْرَا

وحدثني أنه نزل بدير باقوقا. وكان به راهب يقال له معدان حبيسًا، له أربعون سنة، فقال: [من البسيط]

يَا سَاكِنَ الدَّيْرِ إِنْ كَانَ ٱبْنُ مَعْدَانٍ ... أَمْسَىٰ حَبِيسًا فَإِنِّي المُغْرَمُ العَانِي
وَإِنْ قَضَىٰ زَمَنًا فِي الدَّيْرِ مُعْتَكِفًا ... فَقَدْ قَضَيْتُ مَعَ الأَحْبَابِ أَزْمَانِي
/ ١٧٢ب/ كَيْفَ السُّلُوُّ وَهَلْ أَبْغِي بِهِمْ بَدَلاً ... وَحُبُّهُمْ شِيعَتِي وَالشَّمْرُ سُلْوَانِي
فَهُمْ وَإِنْ هَجَرُوا فِي القَلْبِ مَنْزِلُهُمْ ... وَهُمْ وَإِنْ وَصَلُوا . . . . . أَحْزَانِي
وَيَا حَمَامَةَ دوحِ الدَّيْرِ عَنْ شَجَنٍ ... تَشْكُو الفِرَاقَ كِلاَنَا حِلْفُ أَشْجَانِ
شَتَّىٰ الصَّبَابَةِ وَالأَشْوَاقِ تَجْمَعُنَا ... مَا شَانَ لَوْعَتَهَا فِي نَوْحِهَا شَانِي
لِفَقْدِ طَائِرَةٍ نِشْدَانُهَا أَبَداً ... وَالأَسْمَرُ اللَّدْنُ سَاجِي الطَّرْفِ نِشْدَانِي

نَـائِـيْ المَـزَارِ قَـرِيْـبُ الـدَّارِ مُحْتَجِـبٌ رُوْحِـيْ الفِـدَاءُ لِـذَاكَ النَّـازِحِ الـدَّانِـيْ

[١٠٣]

أحمدُ بن عليٍّ بن الحسن بن محمد بن رضى، أبو العباسِ بنِ أبي المَكارِمِ العمرانيُّ الأزْدَيُّ الموصلَيُّ(١).

من أبناء الرؤساء والمتصرفينَ في جلائلِ الأعمالِ في الدولةِ الأتابكية ولهم المحلُّ الأسنىٰ في الرئاسةِ.

وأبو العباس هو اليوم المستوفي بالديوان الملكي البدري بالموصل، وإليه الحكم والنظر في الارتفاعات.

حفظ القرآن العزيز، وقرأ طرفًا من الأدب، وعرف من الفرائض ما يحتاج إليه؛ وله اتساع تام في صناعة الحساب وضروبه والأشغال الديوانية، /١٧٣أ/ وحل التراجم والألغاز.

لقيت أبا العباس بمدينة إربل سنة ستٍّ وعشرين وستمائة؛ فوجدته عارفًا بمقادير الناس، كثير الثناء عليهم، رئيسًا في نفسه، غاية في الذكاء والفهم، يُنشيء فصولاً حسنة، ويعمل أشعاراً جيدة. ثم إنه أيّ لغزٍ سمعه تسارع في حلّه وكشفه من غير توقف ولا فكرة كأنّه يعرفه.

ومما أنشدني لنفسه، وكان قد وعده أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الجزري الكاتب المنشيء بشيء من رسائله، فاستنجزه بهذه الأبيات:

[من البسيط]

قُـلْ لِلْـوَزِيْـرِ ضِيَـاءِ الـدِّيْـنِ مُنْبَسِطًـا فِـيْ القَـوْلِ إنَّـكَ ذُوْ فَضْـلٍ وَإِفْضَـالِ

أَحْـرَزْتَ قِـدْحَ المُعَلَّـىٰ فِـيْ العُـلاَ جَـذَعًـا وَفُـزْتَ مِـنْ مَجْـدِهَـا بِـالشَّـامِخِ العَـالِـيْ

---

(١) جمع شعره الأساتذة: هلال ناجي، والمانع، وعباس هاني الجراخ.
ترجم المؤلف لأخيه (محمد بن علي بن الحسن العمراني) في الجزء السادس برقم ٧٣٠.
والعمرانية: قرية وقلعة في شرقي الموصل، متاخمة لناحية شوش والمرج. انظر: معجم البلدان/ مادة (العمرانية).

خَطَبْتُ منْكَ وَحُسْنُ الظَّنِّ يَشْفَعُ لي ... إلَيْكَ إبْنَةَ فكْر مَهْرُهَا غَالي
لمثْلهَا تُذْهَلُ الأَلْبَابُ لَيْسَ لذي ... خدْر تُجَرِّرُ تيهًا فَضْلَ أَذْيَال
قَلَّدَتَني مِنَنًا بالوَعْد قَابَلَهَا ... شُكْرِيَ وَحَقَّقْتُ في عَلْيَاكَ آمَالي
فَاشْتَدَّ شَوْقي إلَى اسْتجْلاَء عَزْمَتهَا ... أَفْدِي البَشيرَ بهَا بالأَهْل وَالمَال

وله: [من الكامل]

/١٧٣ب/ لَوْلاَ تَعَلُّلُهُ بقُرْب كتَابكُمْ ... عَادَتْ حُشَاشَتُهُ لشَوْق تُزْهَقُ
عُذْرٌ يَذُوْدُ عَن اللِّقَاء وَمُهْجَةٌ ... سُلبَتْ قَرَاراً فَهْيَ وَجْداً تَقْلَقُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

رَعَى اللهُ أحْبَاباً تَرَحَّلْتُ عَنْهُمُ ... وَخَلَّفْتُ قَلْباً عنْدَهُمْ لاَ يُفَارقُ
وَمَا كُنْتُ ممَّنْ نَفْسُهُ بفرَاقهمْ ... تُسَامحُ لكنْ فيْه عُذْري نَاطقُ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الوافر]

عَلَى العَهْد القَديْم وَإنْ تَنَاءَ وَا ... مَزَاراً أَوْ تَبَاعَدَت الدِّيَارُ
أَحنُّ إلَيْكُمُ فَأَبُلُّ شَوْقي ... منَ الذِّكْرَى وَهَلْ يُغْني إدِّكَارُ
عَدمْتُ الصَّبْرَ مُذْ رَحَلُوا وَبَانُوا ... إذَا بَعُدَ الأَحبَّةُ لاَ قَرَارُ
فَوَا أَسَفاً عَلَى عَصْر التَّصَابي ... كَأَنَّ العَيْشَ فيْه مُسْتَعَارُ
إذَا أَرْخَى الزَّمَانُ لَنَا عنَانًا ... يُعَزُّ به وَمَنْ كَثَبَ يُغَارُ
فَأَيَّامُ الثُّبُوْر به طوَالٌ ... وَأَعْوَامُ السُّرُوْر به قصَارُ

وأنشدني لنفسه لغزاً في القبر: [من الطويل]

وَمُسْتَوْدَع كُلُّ الأَنَام لَهُمْ به ... وُثُوقٌ وَفيْه الغَدْرُ ضَرْبَةُ لاَزب
.... بمَا يَحْويْه حيْنًا وَبُرْهَةً ... وَيُتْلفُهُ فعْلُ العَدُوِّ المُوَارَب

وأنشدني لنفسه يرثي أخاه /١٧٤أ/ أبا حامد محمد بن علي، وتوفي بمدينة إربل:

[من الطويل]

رُسُوْمٌ عَفَتْ منْكُمْ وَرَسْمٌ تَجَدَّدَا ... وَقَلْبٌ غَدَا منْ شدَّة الوَجْد مُكْمَدَا
وَعَيْنٌ بفَيْض الدَّمْع تَجْري تَأَسُّفًا ... عَلَى مَنْ ثَوَى في ظُلْمَة الرَّمْس مُلْحَدَا
أَقُوْلُ لرَبْع كَانَ بالحُبِّ آهلاً ... فَأَقْفَرَ منْ سُكَّانه وَتَأَبَّدَا

أيَـا مَنْـزِلَ الأَحْبَـابِ لا زِلْـتَ بَعْـدَهُـمْ ... خَـــرَابـــاً وَمَـــا وَالاكَ إلاَّ . . . . .

أَبـا حَـأَمـد لَـوْ يَـرهَـبُ المَـوْتُ . . . . لَهَـا بـكَ حَقّـاً أنْ يُفَـاجِئَـكَ بـالـرَّدَى

أَبـا حَـامِـدٍ لَـوْ خَلَّـدَ المَـرْءَ مَجْـدُهُ ... لَكُنْـتَ عَلَـىٰ المَجْـدِ الأَثيـلِ مُخَلَّـدَا

أَبـا حَـامِـدٍ فُقْـتَ الأنَـامَ تَفَضُّـلاً ... وَفَضْـلاً وَإحْسَـانـاً وَحِلْمـاً وَسُـؤْدَدَا

إذَا افْتَخَـرَ الأَقْـوَامُ يَـوْمـاً بِحُلَّـةٍ ... فَخَـرْتَهُـمُ بيْتـاً كَـرِيْمـاً وَمحْتِـدَا

لَقَـدْ كُنْـتَ لِـيْ عَضْبـاً أَصُـوْلُ بِحَـدِّهِ ... إذَا كَشَّـرَتْ عَـنْ حَـدِّ أنْيَـاهَـا العِـدَا

وَقَـدْ كُنْـتَ لِـيْ حُصْنـاً أَلُـوْذُ بِـرُكْنِـهِ ... مِـنَ الـدَّهْـرِ إنْ مَـدَّتْ حَـوَادِثُـهُ يَـدَا

يُهَيِّـجُ أحْـزَانـي عَلَيْـكَ حَمَـائِـمٌ ... تُحَـاوِرُ مِـنْ شَجْـوٍ حَمَـائِـمَ غُـرَّدَا

سَقَـىٰ اللهُ تُـرْبـاً أَنْـتَ فيْـهِ مُـوَسَّـدٌ ... سَحَـابُ الـرِّضَـا وَالعَفْـوِ مَثْنَـىٰ وَمَـوْحَـدَا

أَيَـا سَـاكِـنَ الأَرْضِ الغَـرِيْبَـةِ مَيِّتـاً ... عَلَيْـكَ سَـلامُ اللهِ وَقْفـاً مُـؤَبَّـدَا

وأنشدني لنفسه وقد أهدىٰ إلىٰ بعض الرؤساء طيبًا: [من الوافر]

/ ١٧٤ب/ . . . . بطيـب ذكـرك . . . . إذَا مَـا كَـانَ غَيْـرُكَ مُسْتَطِيْبَـا

وَمَـا أُهْـدِيْ إلَيْـكَ الطِّيْـبَ إلاَّ ... لِيَكْسِـبَ مِنْهُـمُ أَرَجـاً وَطِيْبَـا

[١٠٤]

أحمدُ بنُ جعفر بنِ أحمدَ بن محمودِ بن هاشمٍ، أبو الفضلِ الوائليُّ الهيتيُّ المَعروفُ بالحائك.

شاب أسمر؛ وهو شاعر من المكثرين الأكياس المطبوعين، ماجنٌ خفيف الروح، دمثٌ مداعب، يقفو نهج أبي عبد الله الحسين بن الحجاج في أقاويله، ويتبعه في سائر مقاصده وفنونه.

قدم بغداد، وامتدح الناصر لدين الله أبا العباس أحمد ـ رضي الله عنه ـ ومن بعده من الخلفاء، ورؤساء الحضرة والأمراء وغيرهم. وهو صاحب الكتاب الموسوم بـ «الانتصار لآل شيث علىٰ ذوي الأُبن والمخانيث» ناقض به كتاب الصدر أبي محمد عبد الله بن محمد بن الهروي في ذكر معائب الحاكة وسخافة عقولهم، واتضاع أقدارهم وخمولهم؛ فأنشأ أبو الفضل هذا الكتاب، أحسن ترتيبه / ١٧٥أ/ ووضعه، وأجاد ترصيفه وجمعه؛ وضمّنه كل نكتة غريبة، ونادرة عجيبة، من أحوال المخنَّثين،

وأمور البَغائين، ومما اصطلحوا عليه في كلامهم ومخاطباتهم وأقوالهم؛ فجاء الكتاب لم يسبقه أحد إلىٰ تأليف مثله أعجز من تقدمه، وجاء بعده في هذا الشأن.

وله القصيدة السائرة التي سمّاها «ذات الفنون وسلوة المحزون» نحا فيها نحو القصيدة السوسية التي أوّلها: [من المنسرح]

الحَمْدُ لله لَيْسَ لِيْ بَخْتُ ... وَلاَ ثِيَابٌ يَضُمُّهَا تَخْتُ

وقصيدة أبي الفضل تربي علىٰ ثمانمائة بيت، استوعب فيها جميع أجناس الحرف والصنائع علىٰ اختلاف حروفها. وكتبت منها أبياتًا يسيرة ولم أستكثر منها شيئًا لفرط ما حشافيها من الهزل والمجون، وفيها مدح للإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ.

أنشدني منها بمدينة السلام، وأولها: [من الهزج]

لحىٰ العاذل البتّ ... عَلَىٰ الفَقْرِ وَأَصْبَحْتُ
وَمَا نلْتُ الغنَى حَتَى ... يَقُوْل النَّاس أفْلَسْتُ
/١٧٥ب/ وَلَمْ يَدْر بأَنِّيْ ... فِيْ طِلاَب الحَظِّ لَجَّجْتُ
فَلَوْ نَالَ الغنَىٰ بالجدِّ ... جِداً كُنْتُ قَدْ نلْتُ
ومَا أبصَرْتُ لِيْ مَلْجَا ... سِوَىٰ أنِّي تَمَسَّكْتُ
بحَبْلِ مِنْ إمَامِ العَصْرِ ... مَولاَنَا وَفَوَّضْتُ
إلَيْهِ الأَمْرَ لمَّا صَلَحَ ... الفكْرُ وَسَلَّمْتُ
كَذَا أيْقَنْتُ أنِّي مِنْ ... صُرُوْفَ الدَّهْرِ قَدْ فُزْتُ
وَأُعْطِيْتُ بِهِ الأَمْنَ ... مِنَ الدَّهْرِ فَأُنْقِذْتُ
هُوَ النَّاصِرُ لاَزَالَ ... بِهِ يَنْتَصِرُ الوَقْتُ
هُوَ القِبْلَةُ للْخَلْقِ ... وَلِيْ أنَّى تَوَجَّهْتُ
بآلاَئِكَ يَا مُسْتَخْلَفَ ... الرَّحْمَانِ قَدْ لُذْتُ
فَمَا فِيْ الخَلْقِ لِيْ غَيْرُكَ ... لاَ فَوْقٌ وَلاَ تَحْتُ
وَلاَ إلاَّكَ لِيْ بَحْرٌ ... يُرَوِّيْنِيْ وَلاَ قَلْتُ
وَلاَ غَيْرَ أيَادِيْكَ ... وَآلاَئِكَ أمَّلْتُ

وَأَنْتَ القَبْلُ وَالبَعْدُ فَعِشْ مَا ٱتَّسَعَ البَيْتُ

وهي طويلة، وهذا القدر يغني.

وقال أيضًا: [من البسيط]

/١٧٦أ/ الجَهْلُ عَمَّ وَلَوْ خَصَّ الحجَىٰ أَحَداً لَبَانَهُ وَسَامُوهُ إِلَىٰ البَلَه

وَالغَافِلُونَ إِذَا مَا أَبْصَرُوا يَقِظاً ظَنُّوا بِيَقْظَتِهِ ضَرْباً مِنَ الوَلَه

وقال أيضًا من قصيدة: [من الطويل]

لَكَ الخَيْرُ مَوْفُورٌ إِلَى مَ تَغُورُ وَقُرْبُكَ مَأْثُورٌ وَأَنْتَ أَثِيرُ

وَحَتَّام [رَبْعُ] الوَصْلِ مِنْكَ مُصَوِّحٌ وَعُوْدُ غَرَامِي فِي هَوَاكَ نَضِيرُ

سَقَاكَ الحَيَا هَلْ نَظْرَةٌ تَبْرُدُ الحَشَا بِهَا وَلِنَارِ الشَّوْقِ فِيهِ زَفِيرُ

وَهَلْ تَسْمَحُ الأَيَّامُ مِنْكَ بِزَوْرَةٍ تُرِينِي طُوْلَ اللَّيْلِ وَهْوَ قَصِيرُ

فَوَجْدِيْ مُقِيمٌ وَالسُّلُوُّ مُقَوَّضٌ وَدَمْعِي طَلِيقٌ وَالفُؤَادُ أَسِيرُ

وَإِنِّي عَلَىٰ قُرْبِ المَعَاهِدِ وَالنَّوَىٰ مُقِيمٌ بِعَهْدِي مَا أَقَامَ ثَبِيرُ

ضَنِينٌ بِسِرِّيْ فِيكَ سَمْحٌ بِمَا حَوَت يَدَيْ ..... وَالحَادِثَاتُ تَجُوْرُ

أُعَلِّلُ فِيكَ النَّفْسَ بِالوَعْدِ بِالمُنَىٰ وَمِثْلِي بِإِدْرَاكِ المَرَامِ جَدِيرُ

عَجِبْتُ لِعَزْمٍ مُرْهَفٍ العَزْمِ بَاتِرٍ شَكِيْمَةَ جَفْنٍ وَ[هْوَ] فِيهِ فُتُوْرُ

قَضَىٰ الحُبُّ أَنْ يَسْتَأْسِرَ الظَّبْيُ ضَيْغَماً وَيَقْضِي عَلَىٰ ..... غَرِيرُ

وَمَا الحُبُّ إِلَّا لَوْعَةٌ تَمْلِكُ الحَشَا يضَارِعُ مَأْمُوْرٌ بِهَا وَأَمِيرُ

/١٧٦ب/ وأشعاره كثيرة في كل نوع، وطريقته في الخلاعة والمجانة ينفرد بها علىٰ أبناء جنسه، ولا تجري معه فيها، وخبرت عنه أنَّه صُرف وتاب عن قول الشعر، وسلك طريق أهل الدين والخير.

أنشدني لنفسه من قصيدة مدح بها الناصر لدين الله ـ رضوان الله عليه ـ أوَّلها: [من الكامل]

اللهُ أَكْبَرُ ....

وفيها يقول:

يَا مَنْ إِذَا بَالَغْتُ فِي تَمْجِيدِه أَلْفَيْتُهُ .... أَمْجَدَا

وَبِأَيِّ شَيءٍ قِسْتُ غَامِرَ جُودِهِ ... فِي الخَلْقِ كَانَ أَبَرَّ مِنْهُ وَأَجْوَدَا
مَا أَنْتَ إلاَّ الجَوْهَرُ الصَّافِي الَّذِيْ ... فَاضَتْ بِهِ الأَشْيَاءُ حَيْنَ تَوَلَّدَا
فَلِذَاكَ بِتَّ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... بِجَمِيْعِ أَوْصَافِ العُلاَ مُتَفَرِّدَا
لَمْ نَتْلُ آياً أَوْ حَدِيثاً مُعْجِزاً ... إلاَّ وَجَدْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُسْنَدَا
وَضَعَتْ بَنُو العَبَّاسِ أُسًّا لِلْعُلاَ ... فَرَقَا أَبُو العَبَّاسِ فِيهِ وَشَيَّدَا
كَلأَ العِبَادَ بِرَأْفَةٍ نَبَوِيَّةٍ ... مُضَرِيَّةِ الإِطْرَاقِ سَامِعَةَ الصَّدَىٰ
وَرَعَاهُمُ مِنْهَا بِعَيْنٍ جَفْنُهَا ... فِي حَفْظِ جَنْبِ اللهِ بَاتَ مُسَهَّدَا
للهِ دَرُّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... لَقَدِ ارْتَدَيْتَ مِنَ الفَخَارِ . . . . .
/ ١٧٧أ/ وَنَصَرْتَ دِيْنَ اللهِ ثُمَّ أَقَمْتَهُ ... فَلْيَهْنِ مَا فَعَلَتْ عُلاَكَ مُحَمَّدَا
وَجَرَيْتَ فِي سَنَنِ العَلاَءِ مُشَمِّراً ... حَتَّىٰ بَلَغْتَ إِلَىٰ مَدَى عَبْرَ المَدَىٰ
وَظَفِرْتَ بِالشَّرَفِ الَّذِي مَا نَالَهُ ... إلاَّكَ فَارْقَ بِأَخْمَصَيْكَ الفَرْقَدَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا بَلَغْتَ المُنْتَهَىٰ ... فِيْمَا حَبَاكَ اللهُ هَذَا المُبْتَدَا

[١٠٥]

أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الرزاقِ بنِ عبدِ الملكِ، أبو العباسِ.

كان أبوه من أهل قزوينَ، وابنه هذا موصليُّ المولد والمنشأ.

قرأ طرفًا من العربية علىٰ أبي حفص عمر بن أحمد النحوي، وسمع من الحديث جملة، وله قول صالح، ونظم حسن في المقطعات؛ إلاَّ أنه عاجز في القصائد، ومقامه بالموصل يكتب بها القصص للناس.

أنشدني لنفسه في الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد الله أحد الأمراء بمدينة حلب، وقد كبا به الفرس: [من الطويل]

رَأَىٰ طَرْفُكَ المَيْمُونُ بَحْراً وَضَيْغَماً ... وَطَوْرَ حِجًى عَالِي الذُّرَىٰ فَوْقَ مَتْنِهِ
/ ١٧٧ب/ وَنُسْكاً وَمَجْداً مُشْمَخِراً وَسُؤْدَداً ... وَحِلْماً حَبَاكَ اللهُ مِنْهُ بِمَنِّهِ
كَبَا فَرَقاً إِذْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَ هَذِهِ ... المَكَارِمِ مِنْ رَبِّ السَّمَاحِ وَخِدْنِهِ
فَوُقِّيْتَ مِنْ دُنْيَاكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ ... وَمَاتَ الَّذِي يَشْنَاكَ كَبْتاً بِضِغْنِهِ

وأنشدني لنفسه، وكتب إلىٰ نقيب العلويين عبد المطلب بن المرتضىٰ الحسيني الموصلي، يلتمس منه ثوبًا من أثوابه: [من الخفيف]

أَنَا يَعْقُوبُ فِي التَّأَسُّفِ وَالحُزْ ... نِ وَفِي الحُسْنِ أَنْتَ يُوسُفُ مِصْرَا
وَٱشْتِيَاقِي إِلَيْكَ يَا ٱبْنَ عَلِيٍّ ... تَرَكَ العَيْنَ بِالمَدَامِعِ عَبْرَىٰ
وَشِفَاهَا مِنْكَ القَمِيصُ لأُلْقِيهِ ... عَلَيْهَا فِي سَاعَةِ الحَالِ تبْرَا
وَمَعَالِيكُمُ أَجَلُّ إِذَا فُهْتُ فَلَمْ أُحْصِهَا مَدَى الدَّهْرِ حَصْرَا
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْ عَبْدِكَ القِنِّ سَلَامٌ أَذْكَىٰ مِنَ المِسْكِ نَشْرَا

وأنشدني لنفسه يهجو: [من الكامل]

صَلُبَتْ أَعَالِي سَالِم لمَّا غَدَتْ ... مِنْهُ الأَسَافِلُ بِالمَنِيِّ تَلِينُ
فِيمَا حَوَىٰ سِرْوَالُهُ مُتكَرِّمٌ ... وَبِمَا حَوَتْ كَفَّاهُ فَهْوَ ضَنِينُ

وأنشدني قوله: [من الطويل]

/١٧٨أ/ وَأَعْجَبُ مَا للهِ حَظُّ ٱمْرِىءٍ لَهُ ... مَدَائِحُ نَظْمٍ فِي مَعَالِيكَ تُشْرِقُ
وَجُودُكَ قَدْ عَمَّ البَرَايَا بِأَسْرِهِمْ ... وَبَابُ النَّدَىٰ فِي وَجْهِهِ مِنْكَ مُغْلَقُ

وانشدني لنفسه في . . . . . إنسان اسمه مطر يهجوه: [من الكامل]

مَطَرٌ يَشُحُّ وَلَا يَسُحُّ بِقَطْرِه ... وَالغَيْثُ يُحْيِي قَطْرُهُ الأَقْطَارَا
هُوَ كَاسْمِهِ مَطَرٌ يَصُوبُ عَذَابُهُ ... أَبَداً عَلَىٰ جُلَسَائِهِ مِدْرَارَا

وأنشدني ملغزاً في غلام اسمه حمزة: [من السريع]

إِسْمُ الَّذِي أَهْوَاهُ فِي خَدِّهِ ... وَفِي فُؤَادِي ثُمَّ فِي فِيهِ
قَدْ صَدَّ عَنِّي وَانْثَنَىٰ مُعْرِضاً ... طَابَ تَلَافِي فِي تَلَافِيهِ

وأنشدني في محمد الشاعر، ويلقب حمار النصارىٰ، وقد رآه لبوس الصليب: [من المتقارب]

تَعَجَّبَ قَوْمٌ لِبُوسِ الصَّلِيبِ ... مُحَمَّدُ لمَّا رَآهُ ٱضْطِرَارَا
وَلَا رَيْبَ أَنَّ النَّصَارَىٰ حَمِيرٌ ... فَكَيْفَ يَكُونُ حِمَارُ النَّصَارَىٰ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الخفيف]

مَنْ يَبِتْ وَهْوَ مُسْتَلِذٌّ بِوَصْلِ فَلَقَدْ بِتُّ كَارِهًا لِلْوَصْلِ
/ ١٧٨ب/ مُسْتَلِذٌّ بِالهَجْرِ إِذْ أَرْتَجِي الوَصْلَ وَأَخْشَى فِي الوَصْلِ تَشْتِيتَ شَمْلِي

[١٠٦]

أحمد بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بن شندل، أبو العباسِ الأوانيُّ:

وأوانا بلدة مشهورة فوق بغداد بعشرة فراسخ[1].

ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة خارجها، ونشأ بها؛ وهو شاعر مكثر مداح منتجع، يمتاح بأشعاره، له بديهة في الشعر، وخاطر جيد في نظمه، يتكل علىٰ طبعه في النظم لا يستعين بغيره علىٰ عمل الشعر. وجُلّ قوله في شكوىٰ الزمان وأهله، ولم يزل من الدهر متألمًا، ومن أبنائه متظلّمًا، لقلّة حظّه من أهل عصره، يتردّد إلىٰ مدينة السلام، ويفد إلىٰ أمرائها وأماثلها مستجديًا لهم بشعره وعنده دعاو عظيمة، وافتخارٌ بقوله، ويرىٰ تفضيل نَفسه علىٰ أبي تمام والبحتري والمتنبي! حتىٰ يسرفً في القول.

لقيته ببغداد في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، وزعم أنه لم يعرف من النحو شيئًا، ولا قرأ منه لفظة، / ١٧٩أ/ ولا طالع كتابًا قطّ إلاّ [أنّه] يضع الشعر طبعًا.

سُئل عن معنىٰ «شندل» فقال: هو من أجدادي؛ وهو لقب له غلب عليه، وذلك أنه نزل إلىٰ بئر فخرج منها وقد أصابه البرد، فمشىٰ غير مستقيم، وقيل: كأنَّه شندل، فنحن نسمىٰ ببني شندل.

وكان رجلاً أسمر طويلاً خالطه الشيب خُبِّرت أنه توفي في العشر الأخيرة من رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه في لطف التقاضي: [من الوافر]

أَتَىٰ يَبْغِي مُوَاصَلَةً لِحُوتِ .... كَأنَّ ضَبًّا
وَفَقْرٌ يَقْشَعِرُّ مِنَ السُّكُوتِ حَيَاءٌ مَانِعٌ حُسْنَ التَّقَاضِي

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ٢٧٥.

وأنشدني له: [من الوافر]

سَأَلْتَ عَنِ ٱنْتِهَالِيْ مِنْ شَمُوْلٍ ... تُبَاعِدُ بَيْنَ قَلْبِيْ وَالهُمُوْمِ

وَقُلْتَ حَصَرْتُ مَا أَوْعَيْتُ مِنْهَا ... بِقِسْطَاسٍ مُحَقَّقٍ مُسْتَقِيْمِ

فَقُلْتُ الشُّرْبُ مِنْ حَمْرَاءَ صَرْفٍ ... مُعَتَّقَةٍ عَلَىٰ صَوْتٍ قَدِيْمِ

يُوَقَّرُ تَارَةً وَيَقِلُّ أُخْرَىٰ ... عَلَىٰ قَدْرِ المُسَامِرِ وَالنَّدِيْمِ

وأنشدني قوله: [من الطويل]

/ ١٧٩ب/ مُنِيْتُ بِمَا أَعْيَا عَلَيَّ عِلَاجُهُ ... وَكُنْتُ أَنَا الجَانِيْ فَوَاعَجَبًا مِنِّيْ

يُقَرِّبُنِيْ شِعْرِيْ مِنَ الخَصْمِ كُلَّمَا ... تَرَنَّمَهُ وَالضِّغْنُ يُبْعِدُهُ عَنِّيْ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

لَكَ الخَيْرُ إِنْ كَانَ المُرَادَ فَأَغْنِنِيْ ... عَقِيْبَ التَّمَادِيْ بِالتَّزَهُّدِ مِنَ البِرِّ

فَخُذْ بِالرِّضَا حَظِّيْ وَعَجِّلْ بِنَائِلٍ ... يُحَيِّلُ عَلَىٰ طِرْسِ العُلَا قَلَمَ الشُّكْرِ

وأنشدني له: [من الطويل]

إِذَا مَا سَعَىٰ الإِنْسَانُ فِيْ طَلَبِ العُلَا ... وَجَدَّ وَلَمْ يَظْفَرْ بِبَعْضِ مُرَادِهِ

جَنَىٰ كُلَّ يَوْمٍ يَجْتَلِيْهِ وَلَيْلَةٍ ... ثِمَارَ التَّأَسِّيْ مِنْ غُصُوْنِ ٱجْتِهَادِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في إنسان يلقب «التقي»: [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا المُغْتَرُّ فِيْ طَلَبَاتِهِ ... بِكُلِّ حَسُوْدٍ فِيْ كَلَامٍ مُنَمَّقِ

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَقْضِيْ مَآرِبَكَ الَّتِيْ ... كَلِفْتَ بِهَا فِيْ مَجْلِسٍ فَاتَّقِ التَّقِيْ

وأنشدني من شعره: [من الخفيف]

مَا شَرَيْنَا مِنَ العُلُوْمِ جَلِيْلًا ... وَلَوَ ٱنَّا نُرِيْدُ بَيْعًا لَبِعْنَا

فَٱتَّبَعْنَا وَلَوْ سُبِقْنَا إِلَىٰ مَا ... قَدْ مُنِحْنَا بِهِ لَكُنَّا تَبِعْنَا

/ ١٨٠أ/ وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

يَقُوْلُوْنَ عَنِّيْ قَدْ أَصَابَ بِأَسْرِهِمْ ... إِذَا أَنَا مِنْ لَفْظِيْ نَظَمْتُ لَهُمْ سِمْطَا

وَأُلْقِيْ يَدِيْ صِفْرًا عَقِيْبَ كَلَامِهِمْ ... فَيَا لَيْتَهُمْ جَادُوا وَقَالُوا: لَقَدْ أَخْطَا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

أَشَــوْقــًا وَقَلْبِــيْ لاَ يُمَثِّــلُ غَيْــرَكُــمْ ... لِطَـرْفِـيْ إِذَا مَـا غَـابَ شَخْصُكُـمُ عَنِّـي
فَـإِنْ نِمْـتُ جَـادَ الحُلْـمُ لِـيْ بِخَيَـالِكُـمْ ... وَإِنْ لَـمْ أَنَـمْ أَدْنَـاكُـمُ وَلَهِـيْ مِنِّـي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

لاَ تَنْقِمُــوا يَــا قَــوْمِ فَــرْطَ تَطَــاوُلِــيْ ... تَجِدُوا عَلَىٰ الأَعْرَاضِ فَضْلَ الجَوْهَرِ[1]
وَتَــدَبَّــرُوا شِعْــرِيَ الَّــذِي أَوْدَعْتُــهُ ... لَفْـظَ القَـدِيْـمِ وَصَنْعَـةَ المُتَـأَخِّـرِ

وأنشدني قوله من قصيدة: [من الوافر]

وَلَــوْ أَنَّ النُّجُــوْمَ بَغَــتْ عِنَــادِيْ ... لَمَــا أَمِنَــتْ مُصَــافَحَــةَ الــرُّغَــامِ
رَضَعْــتُ ثُــدِيَّ أَبْكَــارِ المَعَــانِــيْ ... وَلَكِنِّــي أَمِنْــتُ مِــنَ الفِطَــامِ

وأنشدني أيضًا لنفسه [من السريع]

لَنَــا زَمَــانٌ حُكْمُــهُ نَــافِــذٌ ... فِــيْ كُــلِّ سَبَّــاقٍ وَمَسْبُــوقْ
فيفعــل . . . . . بــأبنــائــه ... مِــنْ وامــقٍ مِنْهُــمْ وَمَــوْمُــوْقْ
/ ١٨٠ب/ يَغَـصُّ ذُوْ النَّقْصِ بِمَـأْكُـولِـهِ ... مِنَّــا وَرَبُّ الفَضْــلِ بــالــرِّيْــقْ
كَــأَنَّــهُ آلَــىٰ عَلَــىٰ نَفْسِــهِ ... أَلاَّ يُصَفِّــىٰ عَيْــشَ مَخْلُــوقْ

وأنشدني له: [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ أَحْكِيْ عَنْكُمُ فِيْ مَجَالِسِيْ ... فُصُــولَ ثَنَــاءٍ تُسْتَحَــبُّ وَتُعْشَــقُ
وَكَــانَ حَــدِيْثِــيْ عَنْكُمُ لِمُطَــارِحِــيْ ... يَضُــوْعُ كَمِسْــكٍ أَذْفَــرٍ حِيْــنَ يُنْشَــقُ
فَلَمَّــا صَحِبْتُــمْ مَــنْ صَحِبْــتُ مِــنَ الــوَرَىٰ ... وَمِلْتُــمْ إِلَــىٰ مَــنْ عِــرْضُــهُ مُتَمَــزِّقُ
تَقَــاعَسْــتُ عَــنْ ذِكْــرِيْ لَكُــمْ بِفَضِيْلَــةٍ ... مَخَــافَــةَ أَنْ آتِــيْ بِهَــا لاَ أُصَــدَّقُ

وقال: [من الطويل]

عَشِقْتُكَ عِشْقَ الطِّفْلِ لِلثَّدْيِ وَانْطَوَتْ ... ضُلُـوعِـيْ عَلَـىٰ حُبِّيْكَ فِـيْ زَمَـنِ الـوَصْـلِ
وَصَــدَّقْــتُ زُوْرَ القَــوْلِ مِنْـكَ جَهَــالَــةً ... وَأَتْبَعْــتُ قُــرْبِــيْ بِــالتَّبَــاعُــدِ عَــنْ أَهْلِــيْ

---

(١) الأعراض: جمع عَرَض، وهو الذي لا يقوم بذاته، بل يحتاج وجوده إلى محل يقوم به. ويقابله الجوهر: الذي يقوم بذاته ولا يستمد من غيره، وإنما يأخذ محلاً من الفراغ.

فلمَّا حبَبْتَ الغَدرَ حُبِّيَ للْوفَا ... وَجَرَّعتني يَا هَذه جُرَعَ المُهْلِ
هَجَرْتُكِ حَتَّىٰ لَو رأيتُكِ في الكَرَىٰ ... ذَمَمْتُ رُقَادي عِنْدَ جِدِّيَ وَالهَزْلِ

[١٠٧]

أحمدُ بنُ عبد الله بن إبراهيمَ بن الحسن بن عبد الواحد بن محمد بن الحصيَن، أبو العباس / ١٨١أ/ ابنُ أبي عليٍّ، الموصليُّ المولدِ والمَنشأ، البغداديُّ أصلاً.

وجدّه أبو سعد الحسن بن عبد الواحد، كان صاحب المخزن في الأيام المستظهرية. وكان يعرف بابن الفقيه.

وأحمد هذا كان شابًا ذكيًا، صرف همته مُديدةً فختم فيها القرآن الكريم، وحفظ جملة من المقامات الحريرية.

وكان يتولّع بالشعر وعمله، ومات شابًا ليلة السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولىٰ سنة اثنتين وعشرين وستمائة بالموصل، ودُفن غربيها ظاهر البلد بمقبرة المعافىٰ بن عمران الزاهد ـ رضي الله عنه ـ وكانت ولادته في ربيع الأول سنة ستمائة.

ومما أنشدني لنفسه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الرمل]

ورَشيقِ القَدِّ مِنْ مَبْسِمِه ... سُفْتُ مِسْكًا وَتَرَشَّفْتُ مُدَامَا
عَرَضَ الوَصْلَ فَلَمَّا رُمْتُهُ ... مَنَعَ الوَصْلَ وَأعْطَانيَ السَّقَامَا
أطْلَعَ البَدْرَ لَنَا مِنْ وَجْهِهِ ... ثُمَّ غَشَّاهُ مِنَ الفَرْعِ ظَلامَا
كَالطَّلا الوَسْنَانِ إلاَّ أنَّهُ ... مَا رَعَىٰ شِيْحًا وَلا سَافَ خُزامَىٰ
مَا رَأيْنَا قَبْلَهُ مِنْ رَشَأ ... جَعَلَ الثَّغْرَ عَلَىٰ الجِيْدِ نِظَامَا
/ ١٨١ب/ كُلَّمَا عَرَّضْتُ شَكْوَىٰ حُبِّهِ ... مَلأ القَلْبَ مِنَ الجَفْنِ سِهَامَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الكامل]

مَلَكَ الزَّمَانَ بِأسْرِه ... مَنْ قَادَني فِي أسْرِهِ
فَنَهَارُهُ مِنْ وَجْهِهِ ... وَظَلامُهُ مِنْ شَعْرِهِ
وَالرَّاحُ مِنْ وَجَنَاتِهِ ... وَحَبَابُهَا مِنْ ثَغْرِهِ

وَالسِّحْرُ مِنْ لَحَظَاتِهِ وَسَقَامُنَا مِنْ خَصْرِهِ

[١٠٨]

أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ بنِ أحمدَ بنِ سليمانَ أبو العباسِ الشيبانيُّ الخابوريُّ[١].

زعم أنه من قرية بالخابور تدعىٰ الحدقانية قريبة من المجدل[٢].

شاب أسمر اللون قصير مقرون الحاجبين، يتزيّا بزي ذوي التصوف، كثير التنقل والأسفار لا يستقرّ في مدينة إلاّ قد أذهب جدة عمره في الغربة، وأقبل علىٰ الأشغال؛ وحصل في سفره أدبًا وفقهًا.

وهو فقيه شافعيُّ المذهب، خلافيٌّ عالم فاضل جدلي مناظر حافظ للقرآن العزيز /١٨٢أ/ يقرأه للسبعة والعشرة، من أحسن الناس قراءة للقرآن في زمانه، وأطيبهم صوتًا، درس القصيدة الشاطبية حفظًا جيداً علىٰ الإمام أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المقرىء النحوي؛ وله يدٌ في علم الإعراب وغيره.

وهو مع ذلك فيه لطافة وحسن عشرة وكياسة ودماثة أخلاق، جوادالنفس، وأي شيء يحصل له من عرض الدنيا لا يستبقي منه شيئًا إلاَّ يخرجه، وذلك لسفه نفسه.

ولد سنة ستمائة بالحدقانية. وكان والده من . . . . . من سواد البصرة، ويقول النزر من الشعر نحو البيتين والثلاثة. شاهدته بإربل وحلب والموصل وبغداد.

أنشدني قوله: [من الطويل]

نَعِمْنَا بِجَمْعِ الشَّمْلِ مَعْ مَنْ نُحِبُّهُ زَمَانًا وَأَشْقَانَا القَضَا فَتَفَرَّقْنَا
فَقُلْ لِصُرُوْفِ الدَّهْرِ مَا شِئْتِ فَاصْنَعِي فَقَدْ كَانَ مَا خِفْنَا وَمَا مِنْهُ أَشْفَقْنَا

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ١٢٤ ـ ١٢٥ وفيه: «بحلب سنة تسعين وستمائة وصُلّي عليه بدمشق». غاية النهاية ١/ ٧٣.
(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٤.

وقال: [من الوافر]

مَــرَرْتُ عَلَـىٰ ديَـار قَـدْ عَفَـاهَـا ... وَغَيَّـرَهَـا البِلَـىٰ بَعْـدَ النَّعِيْـمِ
تَـذَكَّـرْتُ الشَّبَـابَ بهَـا وأَهْلِـيْ ... وَجِيْـرانِـيْ وَأَرْوَاحَ النَّسِيْـمِ
/ ١٨٢ب/ وَهَاجَتْ عَبْرَتِي زَفَرَاتُ حزنٍ ... يُجَـدِّدُهُـنَّ إخْـلاَقُ الـرُّسُـوْمِ

[١٠٩]

أحمدُ بنُ عبد الله بنِ شعيبِ بنِ محمدِ بن عبد اللهِ أبو العباسِ بنُ أبي محمدٍ التَميميُّ .

سمع الحديث الكثير وطلبه بنفسه ورواه عن مشايخ دمشق والواردين عليها من الأقطار، ومن مشايخه الحافظ أبو محمد القاسم بن علي الدمشقي، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي، وأبو جعفر أحمد بن علي بن إسماعيل القرطبي، والأمير عزيز بن شداد بن باديس الحميري، وأبو البركات أسعد بن المَنجا التنوخي، وحنبل بن عبد الله بن الفرج البغدادي، . . . . . النساخ وغيرهم.

وحفظ القرآن العزيز علىٰ والده وجوده علىٰ علم الدين السخاوي، وقرأه بالقراءات السبع المشهورة، وعلىٰ تاج الدين الكندي بالسبع وغيرها، وعلى الشيخ أبي محمد عبد الخالق بن يونس بن موقا الإسكندري.

وأخبرني أنه ولد في أوائل سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وشخص إلىٰ الديار المصرية؛ فسمع من أصحاب السلفي، وقرأ أدبًا وفقهًا وحصل أشياء / ١٨٣أ/ حسنة من الحديث والقرآن والقراءات، وكتب بيده شيئًا كثيراً من الأدب والحديث.

أنشدني لنفسه في الإمام العالم تقي الدين بن الصلاح، وفي علم الدين السخاوي عند فراغه عليها قراءة مسلم: [من البسيط]

جُـزِيْـتَ خَيْـراً تَقِـيَّ الـدِّيْـنِ سِيَّـانَـا ... يَـا قَـاصِـداً مَـا لَـهُ مِثْـلٌ يُمَـاثِلُـهُ
يَـا مَـنْ تَجَمَّـعَ فِيْـهِ مَـا تَفَـرَّقَ مِـنْ ... كُـلِّ العُلُـوْمِ فَمَـا تَخْفَـىٰ فَضَـائِلُـهُ
فَتَحْـتَ لِلْنَـاسِ بَـابَـاً مُغْلَقَـاً أَبَـداً ... عَلَـىٰ الصَّحِيْـحِ فَمَـا خَلْـقٌ يُـزَاوِلُـهُ
فَمُسْلِـمٌ لَـوْ رَآكُـمْ، قَـالَ مُفْتَخِـراً: ... هَـذَا الَّـذِيْ طَـالَ عِلْمـاً مَـنْ نُطَـاوِلُـهُ
هَـذَا الَّـذِيْ بَيَّـنَ المَخْفِـيَّ مِـنْ عِلَـلِ الحَـدِيْـثِ حَتَّـىٰ بَـدَا لِلْخَلْـقِ قَـائِلُـهُ

يَـا طَـالِـبَ العِلْـمِ يَمِّمْـهُ تَجِـدْهُ عَلَـىٰ ... حَـالاَتِـهِ مُتْقِنـاً فِيمَـا يُحَـاوِلُـهُ
مَـا لِلْفَتَـاوِي لَـهُ مِثْـلٌ يُسَطِّـرُهَـا ... كَـلاَّ وَلاَ فِـي الْـوَرَىٰ قَـرْمٌ يُسَـاجِلُـهُ
يَـا ابْنَ الصَّـلاَحِ غَـدَا عِلْـمُ الشَّـرِيْعَـةِ فِيْ ... أَمْـنٍ مِـنَ الخَـوْفِ مَحْـرُوْسـاً دَلاَئِلُـهُ
يَبْيَـضُّ مِـنْ نُـوْرِ فَتْـوَاهُ المِـدَادُ إِذَا ... عَـايَنْـتَ مَـا هُـوَ مُبْـدِيْـهِ وَبَـاذِلُـهُ
قَـدْ فَـاقَ فِـيْ العِلْـمِ كُـلَّ الحَـاسِـدِيْنَ لَـهُ ... وَمَـنْ يُعَـادِي فَمَـا تَخْفَـىٰ شَمَـائِلُـهُ
وَمَـنْ يُـرِدْ كَيْـدَ عُثْمَـانٍ بِمَنْقَصَـةٍ ... فَـاعْلَـمْ أُخَـيَّ بِـأَنَّ اللهَ خَـاذِلُـهُ
/ ١٨٣ب/ فَمَـا لَـهُ مُشْبِـهٌ فِـيْ فَضْلِـهِ أَحَـدٌ ... إِلاَّ عَلِـيُّ الـرِّضَـا حَقّـاً يُعَـادِلُـهُ
ذَاكَ الإِمَـامُ العَلِيْـمُ العَـالِـمُ العَلَـمُ الحَبْـرُ السَّخَـاوِيْ الَّـذِيْ عَمَّـتْ فَـوَاضِلُـهُ
ذَاكَ الَّـذِيْ سَـادَ أَهْـلَ الأَرْضِ كُلَّهُـمُ ... وَلَـمْ يَـزَلْ لِلْعُـلاَ تُبْنَـى مَحَـافِلُـهُ
فَعِشْتُمَـا فِـي سُـرُوْرٍ دَائِمـاً أَبَـداً ... مَـا غَـرَّدَتْ سَحَـراً شَجْـواً بَـلاَبِلُـهُ
وَدَامَ نَفْعُكُمَـا لِلنَّـاسِ مَـا شَـرِقَـتْ ... شَمْـسُ النَّهَـارِ وَمَـا دَارَتْ أَصَـائِلُـهُ

وقال أيضًا: [من الطويل]

سَقَـاهُ الصِّبَـا كَـأْسـاً مِـنَ الحُسْـنِ مُتْـرَعَـا ... وَرَوَّاهُ مِـنْ مَـاءِ الشَّبَـابِ فَـأَمْـرَعَـا
وَأَطْلَـعَ بَـدْراً مِـنْ فِنَـاءٍ . . . . . ضِيَـاؤُهُ ... يُشَـابِـهُ بَـدْرَ التِّـمِّ حُسْنـاً وَمَطْلَعَـا
. . . . كَـأَنَّ الشَّمْـسَ أَرْخَـتْ رِدَاهَـا ... عَلَيْـهِ فَـأَعْطَتْـهُ المَـلاَحَـةَ أَجْمَعَـا
سَقَـانِـي وَرَوَّانِـي مُـدَامَـةَ ثَغْـرِهِ ... فَلَمـتَ وِصَـالِـيْ بَعْـدَ مَـا قَـدْ تَقَطَّعَـا
كَـأَنَّ مُجَـاجَ النَّحْـلِ مِـنْ طَعْـمِ رِيقِـهِ ... مُخَـالِـطُ مِسْـكٍ عَـرْفُـهُ قَـدْ تَضَـوَّعَـا
لَـهُ قَـامَـةٌ مِثْـلُ القَضِيْـبِ إِذَا انْثَنَـىٰ ... وَعَيْنَـانِ كَـالهِنْـدِيِّ فِـيْ حَـوْمَـةِ الـوَغَـىٰ
لَقَـدْ ذُقْـتُ مِـنْ هِجْـرَانِـهِ مَـا أَذَابَنِـي ... وَصَيَّـرَنِـيْ حِلْـفَ السَّقَـامِ مُـرَوَّعَـا
وَوَكَّلَنِـي رَعْـيَ النُّجُـوْمِ مُسَهَّـداً ... طَـوَالَ اللَّيَـالِـيْ آفِـلاَتٍ وَطُلَّعَـا
فَيَـا عَـاذِلِـيْ رِفْقـاً بِقَلْـبٍ مُعَـذَّبٍ ... رَهِيْـنِ عَـذَابٍ لَـمْ يَـزَلْ مُتَصَـدِّعَـا

[١١٠]

/ ١٨٤أ/ أحمدُ بنُ جعفرِ بنِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ، أبو العباسِ الموصليُّ.

رجل سوقي عامي يتعيش تارةً في التجارة، ومرّة من صنعته؛ وهي نسج الآلة التي

تكون للدواب.

وهو أوحد زمانه فيما يعانيه من الفقر الضرب خيط، وقد فرغ في صنعته أشياء عجز عنها المتقدمون في هذا الشأن.

وهو علىٰ غاية ما يكون من الذكاء والفطنة، ويحفظ جملة من الأشعار والحكايات الرائقة والنوادر. وصار له بذلك الحفظ والأنسة طبع مُؤات، وخاطر مساعد في قرض الأشعار؛ وربما أتىٰ في خلل أبياته التي ينظمها لحن لكونه لم يقرأ من علم النحو شيئًا.

أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

نَزَلَ الشَّيْبُ عَظَّمَ اللهُ أَجْرِيْ ... مَا بَلَغْتُ المُنَىٰ وَلَا صَحَّ نَذْرِيْ

كَمْ حَمَلْتُ الأَثْقَالَ كُرْهًا وَقَاسَيْتُ ... أُمُوراً مِنْ بَعْضِهَا عِيْلَ صَبْرِيْ

لَوْ تُلَاقِيْ صُمُّ الجِبَالِ الَّذِيْ قَدْ ... نَالَ قَلْبِيْ لَفَكَّ صَلْدَ الصَّخْرِ

كُنْتُ أَرْجُو صَلَاحَ إِبْنِي مِنَ اللهِ ... وهَذَا أَمْرٌ بِهِ جَبْرُ كَسْرِيْ

/ ١٨٤ب/ ثُمَّ أَرْجُو الخَلَاصَ مِنْ زَوْجَةٍ لِيْ ... فَانْقَضَىٰ العُمْرُ بِالْمُنَىٰ وَاعُمْرِيْ

وَأَرَىٰ الدَّهْرَ مُعْكِسِيْ فِيْ أُمُورِيْ ... يَا لَقَوْمِيْ مَا لِيْ وَمَا لِلْدَهْرِ

أَتُرَىٰ طَالِعِيْ يَدُلُّ بِهَذَا ... أَمْ طِبَاعُ الزَّمَانِ يَا لَيْتَ شِعْرِيْ

قِيْلَ إِنَّ الزَّمَانَ حُلْوٌ وَمُرٌّ ... مَا شَرِبْنَا إِلَّا كُؤُوسَ الصَّبْرِ

مِنْ غُلَامٍ رَبَّيْتُهُ لِيْ عَدُوّاً ... كُنْتُ أَرْجُوهُ مُلْحِدِيْ فِيْ قَبْرِيْ

وَعَجُوزٍ قَدْ عُمِّرَتْ لِعَنَائِيْ ... وَشَقَائِيْ وَمِحْنَتِيْ وَلِضُرِّيْ

عُمْرُهَا فِيْ القِيَاسِ مُذْ عَهْدِ نُوْحٍ ... وَرَأَوْهَا يَوْمَ القِتَالِ بِبَدْرِ

قَدْ سَقَانِيْ كِلَاهُمَا السُّمَّ وَالحَنْظَلَ ... قَهْراً صِرْفًا وَقَدْ بَانَ سُكْرِيْ

قُلْتُ فِيْهَا شِعْراً بِجُهْدِيْ فَصَارَتْ ... مِثْلَ صَخْرٍ وَصِرْتُ مِثْلَ أُخْتِ صَخْرِ

غَيْرَ أَنَّ الخَنْسَاءَ تَمْدَحُ صَخْراً ... وَأَنَا أَهْجُو مَا يُحَيِّرُ فِكْرِيْ

هِيَ سُورَةُ هُودٍ وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ: ... قَوْلٌ بِهِ الرَّكَائِبُ تَسْرِيْ

أَشْغَلَتْنِيْ عَنْ عِيْشَتِيْ وَمَعَاشِيْ ... بِهُمُومٍ قَدْ حَارَ فِيْهِنَّ أَمْرِيْ

إِنْ قَضَىٰ اللهُ بِالْفِرَاقِ وَفِيَّ ... رَمَقٌ عُدْتُ كَالعَزِيْزِ بِمِصْرِ

أَحْمَدُ الدَّهْرَ بَعْدَ ذَمٍّ قَدِيْمٍ ثُمَّ أَمْحُو ذَاكَ العِتَابَ بِشُكْرِ
وَأُنَادِي لِمَنْ تَرَىٰ الملكَ عَرى صِرتَ وَحْدِي وَأُخْلِيَتُ سِرِّيْ
/ ١٨٥أ/ فَارَقَتْنِي قَرِيْنَةُ السُّوْءِ لاَ كَانَ زَمَانٌ كَانَتْ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِيْ
إِنْ جَرَىٰ خُلْفُ مَا أَقُوْلُ فَبِاللهِ اُكْتُبُوا مِنْ ذِي عَلَىٰ لَوحِ قَبْرِيْ:
مَاتَ هَذَا وَلَمْ يَنَلْ بَعْضَ مَارَامَ وَكَمْ هَكَذَا قَتِيلٍ بِقَفْرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الهزج]

عَذُوْلِي قَلَّ يَا أَشْعَبْ تَرَفَّقْ وَيْكَ لاَ تَتْعَبْ
تَظُنُّ القَلْبَ يَسْلُوهُ وَمَوْتِي فِي الهَوَى أَقْرَبْ
فَلاَ تَذْكُرْ لِي سُعْدَىٰ وَلاَ لَيْلَىٰ وَلاَ زَيْنَبْ
فَمَنْ عَايَنَ مَحْبُوبِي فَعُذْرِي عِنْدَهُ أَصْوَبْ
لَهُ وَجْهٌ كَبَدْرِ التِّمِّ كَمْ مِنْ عَاشِقٍ غَرَّبْ
وَكَمْ زَرْفَنَ صُدْغَيْهِ وَكَمْ أَرْخَىٰ وَكَمْ عَقْرَبْ
وَكَمْ يَقْتُلُنِي تِيهًا وَكَمْ يَرْضَىٰ وَكَمْ يَغْضَبْ
فَيَا أَعْذَبَ مَا عَذَّبْ وَمَا أَطْيَبَ مَا أَطْنَبْ
فَصَبْراً وَيْكَ يَا قَلْبِي فَقَدْ عَزَّ بِكَ المَطْلَبْ
فَلاَ تَذْكُرْ لِي رَاحًا فَظَنِّي رِيقُهُ أَعْذَبْ
وَلاَ تَذْكُرْ رَيْحَانًا فَرَيَّاهُ لَنَا أَطْيَبْ
/ ١٨٥ب/ وَحِمْلِي لِلْهَوَىٰ صَعْبٌ وَسُلْوَانِي لَهُ أَصْعَبْ
لأَنِّي سِرْتُ فِي الحُبِّ وَكَانَ البَدْرُ فِي العَقْرَبْ
وَأَحْلِفُ أَنَّنِي أَسْلُو إِذَا عَايَنْتُهُ أَكْذِبْ
يَقُولُ الشَّيْخُ فِي حُبِّي سُرَيحي مَا لَهُ مَذْهَبْ

[١١١]
أحمدُ بنُ عمرَ بنِ أحمدَ بن أبي شاكرٍ، أبو مُحمَّدٍ الفقيهُ الحنفيُّ الكفرعزيُّ[(١)].

وكفر عَزَّة قريةٌ من قرايا إربل.

وأبو شاكر جدُّه الأعلىٰ كان رجلاً مغربيًا، قدم من الغرب إلىٰ كفر عزّة وتديَّرها، وأعقب بها أولاداً[(٢)].

رجل طويل أسمر اللون مائل إلىٰ الصفرة، بوجهه آثار جدري، صالح صدوق في علمه، حافظ للمذهب، أخذ الفقه عن عبد الرحمن بن محمد الفقيه الحنفي البغدادي، وسمع الحديث بإربل. وهو مدرس أصحاب أبي حنيفة بها، ويلمّ بعمل الشعر لغرض يتفق وقوعه، أو سب من الأسباب.

وكان مولده تقديراً في سنة سبع وستين وخمسمائة؛ ولما تغلّب التتار ـ خذلهم / ١٨٦أ/ الله تعالىٰ ـ إلىٰ مدينة إربل وتملكوها. ثم ترحلوا عنها، توجه إلىٰ بلاد الشام، وذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة، فنزل دمشق وأقام بالمدرسة المنسوبة إلىٰ قايماز النجمي مدرسًا فقه أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ.

ولم يزل كذلك إلىٰ أن اعتراه مرض وطال به وأضرّ، وكان ولده الأوسط أبو عبد الرحمان عبد الصمد ينوبه في التدريس.

وتوفي ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمائة، ودفن ظاهر البلد، بمقبرة الصوفية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

---

(١) ترجم المؤلف لولده (محمد بن أحمد بن عمر...) في الجزء السابع برقم ٧٥١.

(٢) في هامش الأصل: «قرأت ترجمة أحمد بن عمر بن أحمد على ولده الشيخ العلامة الإمام العلامة حجة الأدباء، مجد الدين أبي المكارم محمد ـ أدام الله النفع ببقائه ـ واعترف بصحتها.... عن والده، وذكر أنه سمعه منه وأن له أشعاراً كثيرة عديدة، وذكرانه سمع منه أن مولده سنة خمس وستين وخمسمئة وذلك بالمدرسة القايمازية عند القلعة المنصورة بدمشق في يوم الثلاثاء سابع صفر سنة سبعة وستمئة. وكتب علي بن عبد الكافي بن عبد الملك الربعي الشافعي لطف الله به».

أنشدني لنفسه في الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ أبقاه الله تعالىٰ ـ وكان يومئذ متمرّضًا: [من الرمل]

لَيْسَ للْمَوْلَىٰ شَبِيْهٌ فِيْ الوَرَىٰ غَيْرُ قَلْبِ المَرْءِ فِيْ جُمْلَتِهِ
فَصَلاحُ النَّاسِ فِيْ صِحَّتِهِ وَسَقَامُ النَّاسِ فِيْ عِلَّتِهِ

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا، وقد غاب عنه مُدّة: [من الطويل]

إذَا كَانَ طِفْلٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا الَّذِيْ يَضُرُّ وَلاَ مَا فِيْهِ نَفْعٌ مُعَجَّلُ
يُقَاسِيْ عَنَاءً عَنْ فِطَامٍ فَكَيْفَ مَنْ يُفَارِقُ مَوْلاَهُ إذَا كَانَ يَعْقِلُ

/١٨٦ب/ وأنشدني لنفسه، وقد جاء إلىٰ دار الوزير فحجبه البواب: [من الطويل]

أَيَا أَيُّهَا المَوْلَىٰ الَّذِيْ عَمَّ جُوْدُهُ جَمِيْعَ بَنِيْ الدُّنْيَا وَعَزَّ عَدِيْلُهُ
ألاَ إنَّ . . . . . الثَّوَابَ لِضِدِّهِ مُفِيْدُكُمُ فَاسْتَبْدِلُوا مَنْ يُزِيْلُهُ
فَعُنْوَانُ مَا عِنْدَ الفَتَىٰ مَا لِغُرَّتِهِ كَمَا أنَّ بَادِيْ كُلِّ أمْرٍ دَلِيْلُهُ

وأنشدني لنفسه يلغز في بغل المدار: [من الطويل]

وَمَا رَاحِلٌ جِدّاً مُقِيْمٌ حَقِيْقَةً يُدِيْمُ السُّرَىٰ عَنْ أرْضِهِ لَيْسَ يَبْرَحُ
إذَا نَظَرَ المَسْرَىٰ تَقَاعَسَ وَانْثَنَىٰ مِنَ السَّيْرِ فَافْهَمْ مَا أقُوْلُ فَتَنْجَحُ
وَإنْ عَيْنُهُ كُلَّتْ عَنِ النَّظَرِ الَّذِيْ بِهِ يُرْشَدُ السَّارِيْ يَمُرُّ وَيَسْرَحُ
لَهُ سَائِقٌ فِيْ رَأْسِهِ شَدَّ رَأْسَهُ وَلَمْ يُرَ مَيْتٌ وَهْوَ لِلْحَيِّ يَكْدَحُ
إذَا مَا عَكَسْتَ الأمْرَ يَا سَيِّدَ الوَرَىٰ تَرَاهُ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ يُفْصِحُ

وأنشدني أيضًا له لغزاً في الديك: [من الطويل]

وَمَا قَائِمٌ فِيْ لَيْلِهِ مُتَهَجِّدٌ وَيَزْنِيْ نَهَاراً وَالخَلاَئِقُ تَشْهَدُ
وَلاَ عُقْرَ فِيْ ذَا الوَطْءِ وَالحَدُّ سَاقِطٌ وَلاَ غُسْلَ فِيْهِ كَيْفَ ذَا الأمْرُ يُوْجَدُ[1]
يَبَرُّ إذَا مَا كَانَ طِفْلاً بِأُمِّهِ وَتَحْنُو عَلَيْهِ الأُمُّ خَوْفًا وَتَرْعُدُ
/١٨٧أ/ إذَا مَا أتَىٰ حَوْلاً عَلَيْهِ يَكُنْ لَهَا عَقُوْقًا وَيَجْفُوْهَا مَلاَلاً وَيَحْقِدُ
يَرَىٰ وَطْئَهَا حِلاً لَهُ لاَ بِشُبْهَةٍ وَلَيْسَ . . . . . وَلاَ هُوَ مُلْحِدُ

---

(١) عُقْر: صداق.

إِذَا مَا عَكَسْتَ الأَمْرَ يَا خَيرَ ذَا الوَرَىٰ ... يكُنْ حَظ مَنْ يَشْنَاكَ أَوْ لَكَ يَحْسِدُ

[١١٢]

أحمدُ بنُ عيسىٰ بنِ سعد بنِ حمدانَ، أبو العباسِ[١].

شاب رَبْعَةٌ أسمر قد وَخَطَهُ الشَّيب من أبناء الموصل. ولد بها سنة تسعين وخمسمائة، كذلك أخبرني من لفظه.

أحرز جملة من الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وكلّف نفسه نظم الشعر يمدح به الناس لابتغاء الرفد، ويتراءىٰ إلىٰ طريق المتصوفة، ويذهب إلىٰ التشيع.

لقيته بمدينة إربل سنة ثماني وعشرين وستمائة، وأنشدني لنفسه يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من المتقارب]

إِذَا الخَطْبُ وَافَىٰ عَلَىٰ غرة ... وَجَرَّدَ لِلْقَتْلِ فِي النَّاسِ عَضْبَا

وَأَمْسَىٰ الزَّمَانُ وَقَدْ بُدِّلَتْ ... مَفَارِقُهُ السُّودُ بِالهَوْلِ شُهْبَا

/ ١٨٧ب/ وَكَرَّتْ عَلَىٰ الحُرِّ نَوبَاتُهُ ... فَغَادَرْنَهُ بِيَدِ البُؤْسِ نَهْبَا

فَجُودُ المُبَارَكِ لِي جُنَّةٌ ... بِهَا أَتَّقِي الدَّهْرَ خَطْبًا فَخَطْبَا

وَجَدْوَاهُ إِنْ عَضَّ نَابُ الزَّمَان ... تَعُمُّ البَرِيَّةَ شَرْقًا وَغَرْبَا

بِهِ انْقَادَ جَامِحُ دَهْرٍ إِلَيَّ ... وَسَالَمَنِي بَعْدَ مَا كَانَ حَرْبَا

فَلَسْنَا نَرَىٰ حَاتِمًا ذَا السَّمَاحِ ... يُبَارِيهِ إِذْ جَاءَ عَفْوًا وَكَعْبَا

وَكُنَّا قَدِيمًا نَلُومُ الزَّمَانَ ... وَنُوسِعُهُ فِي التَّصَارِيفِ عَتْبَا

إِلَىٰ أَنْ عَلِمْنَا بِأَنَّ الوَزِيرَ ... مِنَ أَبْنَائِهِ فَمَنَحْنَاهُ حُبَّا

فَلاَ زَالَ عُرْفُكَ لِلْمُدْلِجِيْنَ ... دَلِيلاً وَرَبْعُكَ لِلْوَفْدِ رَحْبَا

إِلَيْكَ ٱرْتَمَتْ بِي صُهَابِيَّةٌ ... تَخُبُّ الفَيَافِيَ وَالبِيدَ خَبَّا

مَرَافِقُهَا مُحْكَمَاتُ القُوَىٰ ... إِذَا ٱنْبَعَثَتْ خِلْتَهَا الرِّيحَ هَبَّا

---

(١) كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثامن ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص٨ ـ ١٠.

إِذَا مَا تَشَكَّتْ كَلاَلَ السُّرَىٰ ... وَأَلْقَتْ إِلَىٰ الأَرْض جَنْباً فَجَنْبَا

أَقُوْلُ لَهَا إِنْ بَلَغْت الوَزِيْرَ ... بِنَا بَعْدَهَا لاَ تُرَاعِيْنَ قَلْبَا

فَتًى شَاعَ سُؤْدَدُهُ فِيْ البِلاَدِ ... فَأَصْبَحَ لِلْجُوْدِ وَالمَجْد رَبَّا

يُفَرِّقُ أَمْوَالَهُ تَاجِراً ... لِجَمعِ المَحَامِد نَاهِيْكَ كَسْبَا

غَدَا لَيْلُ حَظِّيْ بِهِ مُقْمِراً ... وَسَهَّلَ لِيْ ذُلَّ مَا كَانَ صَعْبَا

/١٨٨أ/ وَغَضُّ الأَمَانِيِّ لَمَّا ذَوَى ... بِمَاءِ الرَّجَاءِ لَهُ عَادَ رَطْبَا

وَإِنْ نَكَّدَ المَنُّ بِرَّ الرِّجَالِ ... تَرَىٰ بِرَّهُ الجَمَّ لِلنَّاسِ عَذْبَا

إِذَا القَوْمُ عَدُّوا مَزَايَا الكِرَامِ ... تَكُوْنُ مَزَايَاهُ أَوْفَىٰ وَأَرْبَىٰ

رَفِيْعُ العِمَادِ طَوِيْلُ النِّجَادِ ... خَدِيْنُ النَّدَىٰ جُوْدُهُ لَنْ يُغَبَّا

إِذَا مَا دَعَاهُ عُفَاةُ الزَّمَانِ ... لِبَذْلِ الصَّنَائِعِ يَا بِشْرُ لَبَّا

عَقِيْلَةُ قَوْمٍ بِهِ أَنْجَبَتْ ... وَقَدْ كَانَ آبَاؤُهُ قَبْلُ نُجْبَا

وَعَلَّمَنِيْ الشِّعْرَ مَدْحَ امْرِىءٍ ... بِهِ الدَّسْتُ يَزْدَادُ تِيْهاً وَعُجْبَا

إِذَا الدَّهْرُ أَلَّبَ أَحْدَاثَهُ ... وَرَجَّا جُمُوْعَ الرَّزَايَا وَعَبَّا

لَجَأْنَا إِلَىٰ مَعْقِلٍ مِنْ حِمَاهُ ... بِهِ يُعْصَمُ النَّاسُ عُجْماً وَعُرْبَا

فَمُتْ كَمَداً يَا زَمَانِيْ العَنُوْدُ ... أَمِنْتُ الخُطُوْبَ بِهِ وَاقْضِ نَحْبَا

فَقَدْ صِرْتُ فِيْ مَانِعٍ لاَ يُرَامُ ... إِلَيْهِ [فَلاَ] تَسْتَطِيْعَنَّ وَثْبَا

[أنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

وَمَا ذَاتُ طَوْقٍ مَسَّهَا البَيْنُ فَانْثَنَتْ ... مُرَزَّأَةً بعد التألف والجمعِ

صَدُوْحُ عَلَىٰ الأَفْنَان بالبان سحرة ... ترتل ألحاناً بأيمن ذي الجزعِ

يُجَاوِبُهَا فِيْ الثَّكْلِ أَمْثَالُ حَالِهَا ... وَيُسْعِدُهَا بِالنَّوْحِ فِيْ الدوح والسجعِ

بِأَوْجَعَ مِنْ قَلْبِيْ غَدَاةَ تَحَمَّلَتْ ... رَكَائِبُ مَن أهوى وغودرت في الربعِ

أُذيل دموعي علّها أن تعينني ... فتصر نار الوجد عن شدّة اللذعِ

وكُنْتُ بأحبابي على الدهر ظاهراً ... وَحَسْبُكَ أني عدت متخذاً دمعي[1]]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[١١٣]

أحمدُ بنُ محمد بن سعيد بنِ عنتر بنِ إبراهيمَ بنِ يوسفَ بن محمد بن يعقوبَ ابن فارَسَ بن رمليّ بنِ نجدةَ بَن بشرى بن خضرَي، أبو السعاداتِ بن أَبي بكر الواسطيُّ.

هكذا أملىٰ عليَّ نسبَه / ١٨٨ب/ والده أبو بكر محمدُ بنُ سعيد ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وزعم أنهم يرجعون في النسبة إلىٰ بعض الأكاسرة، ومولده بالهُمّامية، وبها منشأه؛ وهي قرية من قرايا واسط[١].

شاب مائل إلىٰ الشقرة أزرق، نزل البياض بعارضيه؛ وهو فقيه شافعي المذهب، عالم مناظر، أصولي نحوي، ذو فنون في كل نوع من العلوم الأدبية والدينية مع حفظه للكتاب الكريم. وفيه عِشْرةٌ وحسْنُ صحبة لأصدقائه، وأقام بمدينة إربل زمانًا.

ثم سافر عنها وقدم بغداد وسكنها برهة من الزمان؛ فقلّده الإمام أمير المؤبمنين المستنصر بالله ـ خلد الله ملكه ـ قضاء واسط وأعمالها وذلك في شعبان سنة تسع وعشرين وستمائة؛ وربما سمحت قريحته بشيء من النظم في غرض يقع له، وشعره يتقاصر عن معرفته وفضله.

أنشدني لنفسه: [من الرجز]

مُهَفْهَفُ القَدِّ أسِيلُ خَدُّهُ ... إذَا ٱسْتَدَارَ الصُّدْغُ فِيْهِ وَٱنْعَطَفْ
قَدْ بَاتَ يُسْقِيْنِيْ المُدَامَ بَارداً ... مِنْ ثَغْرِه الألْمَىٰ اللَّذِيْذِ المُرْتَشَفْ
مَا مَالَ بِيْ دَاعِيْ الغَرَامِ غِرَّةً ... إلاَّ ثَنَاهُ الدَّلُّ عُجْباً فَانْصَرَفْ
/ ١٨٩أ/ وَلاَ نَهَانِيْ عَنْهُ دِيْنٌ وَازِعٌ ... إلاَّ وَأغْرَانِيْ بِهِ حُسْنُ الوَطَفْ

وأنشدني لنفسه من قطعة: [من الطويل]

وَأسْمَرَ مَمْشُوْقِ القَوَامِ تَخَالُهُ ... إذَا نَظَرَتْ عَيْنَاهُ بِالسِّحْرِ يَنْظُرُ
يُقِرُّ لَهُ بِالحُسْنِ طَوْعاً حَوَاسِدٌ ... إذَا مَرَّ فِيْ ثَوْبِ المَلاَئِكِ يَخْطِرُ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٥/ ٤١٠.

وأنشدني أيضًا قوله من أبيات: [من الطويل]

فَـإنْ أَنْـتَ أَحْبَبْـتَ الـوِصَـالَ بِـزَوْرَةٍ يَعُـوْدُ ذَوِيُّ الغُصْـنِ أَخْضَـرَ مَـائِـس[1]

وَإِلاَّ فَجِلْبَـــابَ الــــوِزَارَةِ خَـــالِـــعٌ وَثَـــوبَ الحِجْـــرِ لاَ شَـــكَّ لاَبِـــسُ

[١١٤]

أحمدُ بنُ أبي الفرجِ بن منيعِ بن المفرّجِ، أبو العباس الدُنَيْسريُّ[2].

شاب قصير لطيف الخلقة أسمر اللون. كان شاعراً فطنًا متوقد الخاطر، صاحب معان صحيحة، وألفاظ فصيحة، غزير الشعر، جيد البديهة والفكر، منقاد الطبع في كل ما يتوخاه من أنواع القريض. يزاحم الشعراء ويجري معهم في أساليبهم ويسلك بمنهجهم فيما يأتون به، فيقرُّون له بالتقدّم، ويشهدون له بالحذق؛ وهو أشعر / ١٨٩ب/ أبناء زمانه، وأغوصهم علىٰ المعاني واستنباطها.

قدم الموصل سنة إثنتين وعشرين وستمائة، وأقام بها مدّة، وامتدح بها جماعة من أهلها من الصدور والسُّوقَة. وكان رقيق الحال، بادي الحُرْف صعلوكًا، يستجدي بشعره الرفيع والوضيع طلبًا لشيء من عرض الدنيا، يُعبّر به وقته وزمانَه.

ثم سار عنها إلىٰ إربل، فلبث فيها شهوراً يمدح الناس، ثم عاد إلىٰ الموصل، ورحل منها إلىٰ دنيسر، فلم يمكث با إلاّ قليلاً حتىٰ توفي هناك وذلك سنة ستّ وعشرين وستمائة وقد جاوز الثلاثين.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

أَيَمُــوْتُ فِيْــكَ المُسْتَهَــامُ بِــدَائِــهِ وَبِفِيْــكَ عَيْــنُ حَيَــاتِــهِ وَدَوَائِــهِ

صَــبٌّ أَقَــامَ مِــنَ الغَــرَامِ عَلَــىٰ شَفَــاً إِذْ شَفَّـــهُ فَغَـــدَا عَـــدِيْـــمَ شِفَـــائِـــهِ

يُمْسِـــي وَيُصْبِـــحُ فَـــالهُيَـــامُ أَقَــلُ مَــا يَلْقَـــاهُ بَيْــنَ صَبَـــاحِـــهِ وَمَسَـــائِـــهِ

---

(١) الصحيح: مائسًا.

(٢) نسبة إلى دُنَيْسر: بلدة مشهورة، من نواحي الجزيرة، تحت جبل ماردين. انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٧٨.

إنْ شئْتَ تَعْلَمُ كيْفَ بَاتَ عَلَىٰ الهَوىٰ ... سَلْ مَنْ يَبِيتُ مَعَانِياً لِعَنَائِه
عَجَباً لَهُ يَشْكو تَبَاعُدَ حِبِّه ... عَنْهُ ومَا يَنْفَكُّ مِنْ أَحْشَائِه
رَشَأٌ يَشُوبُ وِصَالَهُ بِصُدُوْده ... مَلَلاً ويُعْقِبُ سُخْطَهُ بِرِضَائِه
/ ١٩٠أ/ لَوْلاَ تَمَلُّكُهُ الفُؤَادَ وَقَدْ رَنَتْ ... سَوْدَاؤُهُ مَا حَلَّ فِي سَوْدَائِه
لَمْ تَصْفُ أَيَّامِي بِشَهْدِ وِصَالِه ... إلاَّ وكَدَّرَهَا بِصَابِ جفَائِه
مَلَكَ الجَمَالَ فَلَوْ رَأَىٰ سُلْطَانَهُ ... مَلِكُ الجَمَالِ لَسَارَ تَحْتَ لِوَائِه
قَبَسَ المَلاَحَةَ فَاسْتَقَلَّ كيُوسُفَ ... فِي حُسْنِه لَمَّا ٱرْتَدَىٰ بِرِدائِه
يَرْتَجُّ فِي خُطُوَاتِه وَيَمِيسُ فِيْ ... خَطَرَاتِه وَيَلُوحُ فِي ٱسْتِجْلاَئِه
وَالدِّعْصُ مِنْ أَرْدَافِه وَالغُصْنُ مِنْ ... أَعْطَافِه وَالبَدْرُ مِنْ لأْلاَئِه
سَجَدَتْ لَدَيْه الشَّمْسُ حَيْثُ طُلُوعُهَا ... مِنْ وَجْهِه وَغُرُوبُهَا فِي مَائِه
كَمْ أَكْثَرُوا فِيْه المَلاَمَ وَلَيْسَ لِيْ ... مِنْ حُبِّه جَلَدٌ عَلَىٰ إصْغَائِه
(أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيْه مَلاَمَةً ... إنَّ المَلاَمَةَ فِيْه مِنْ أَعْدَائِه)[1]
وَأَرَىٰ السُّلُوَّ وَحَلَّ عقْدَ تَصَبُّرِي ... مُتَوَلِّدٌ مِنْ شَدِّ بَنْدِ قَبَائِه

وأنشدني أيضًا من قصيدة أولها: [من البسيط]

لَوْلاَ تَأَلُّقُ بَرقٍ أَنْتَ شَائِمُهُ ... مَا سَحَّ سَاكِبُ دَمعِ العَيْنِ سَاجِمُهُ
إيْهاً عَدِمْتُكَ طَرْفاً مَا رَمَقْتُ بِه ... إلاَّ تَحَلَّلَ مِنْ صَبْرِيْ عَزَائِمُهُ
وَلاَ جَنَىٰ بِطُمُوحِ اللَّحظِ مُجْتَرِماً ... إلاَّ وحَاقَ بِجُثْمَانِيْ جَرَائِمُهُ
هَتَكْتَ بِالدَّمْعِ مَا فِي القَلْبِ مُسْتَتِرٌ ... مِنَ الهَوىٰ وَهْوَ خَافِي الوَجْدِ كَاتِمُهُ
/ ١٩٠ب/ كم ٱسْتَجَرْتُ مِنَ البَلْوىٰ بِشَرْعِ هَوًى ... فَمَا أَجَارَ وَلَكِنْ جَارَ حَاكِمُهُ
لله شَادِنُ ذَاكَ الحَيِّ كَيْفَ غَدَتْ ... تَفِرُّ مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْه ضَرَاغِمُهُ
أَظُنُّ أَنَّ رُقَاهُ غَيْرُ مُطْلَقَةٍ ... فَلَوْ تَكُوْنُ لأَنْحَتهَا تَمَائِمُهُ
عَذْبُ المُقَبَّلِ لَوْلاَ خَمْرُ رِيقَتِه ... لَمَا انْثَنَىٰ ثَمِلَ الأَعْطَافِ لاَئِمُهُ
شَكَىٰ إلَىٰ حَاجِبَيْه ظُلْمَ نَاظِرِه ... قَلْبِيْ فَمَا كُشِفَتْ عَنْهُ مَظَالِمُهُ
يَا مَنْ أَحَلَّ سِهَامَ اللَّحْظِ فِيْ كَبِدِيْ ... يَكْفِيْ الَّذِيْ فَتَكَتْ فِيْهَا صَوَارِمُهُ

---

(١) البيت للمتنبي، انظر: ديوانه ـ ط دار صادر ـ ص٣٥٠.

لَمْ لاَ تَرِقُّ لِجِسْمٍ أَنْتَ عَائِدُهُ مِنْ سُقْمِهِ وَفُؤَادٍ قَلَّ رَاحِمُهُ
ذَلَلْتُ فِي عِزِّ دَهْرٍ لَسْتُ مُنْتَصِفًا مِنْ ظُلْمِهِ وَكَذَا مَنْ عَزَّ ظَالِمُهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه في غلام اسمه علي: [من مخلّع البسيط]

نَفَّرَ نَوْمِي غَزَالُ أُنْسٍ كَالظَّبْيِ فِي شِدَّةِ النِّفَارِ
لَهُ عَلَى عَاشِقِيهِ نَصْرٌ مِنْ جَفْنِهِ وَهْوَ فِي انْكِسَارِ
أَعَارَ وَرْدَ الرِّيَاضِ لَوْنًا مِنْ خَدِّهِ غَيْرَ مُسْتَعَارِ
وَعَلَّنِي مِنْ لَمَاهُ كَأْسًا أَلَذَّ طَعْمًا مِنَ العُقَارِ
فَبِي خُمَارٌ فَلَيْتَ دَاوَى بِهَا الَّذِي بِي مِنَ الخُمَارِ
مَا انْسَدَلَ الشَّعْرُ مِنْهُ لَيْلاً عَلَى جَبِيْنٍ مِنَ النَّهَارِ
/ ١٩١أ/ إِلاَّ غَدَا الوَجْدُ فِي انْتِهَاكٍ عَلَيْهِ وَالصَّبْرُ فِي اسْتِتَارِ
أَذَاقَنِي مِنْ هَوَاهُ مَا مَنْ سَمِيُّهُ ذَاقَ ذُو الخُمَارِ
فَكُلَّمَا سُمْتُهُ وِصَالاً سَلَّ مِنَ الجَفْنِ ذَا الفَقَارِ

وقال يداعب بعض أصدقائه بديهة: [من المتقارب]

أَيَا شَرَفَ الدِّيْنِ يَا ذَا الَّذِي مَحَاسِنُهُ لَيْسَ فِيهِنَّ رِيْبَهْ
تَحَذْلَقْتَ دَهْرَكَ حَتَّى وَقَعْتَ عَلَى رُغْمِ أَنْفِكَ فِي وَسْطِ خَرِبَهْ
وَلَوْ تَمَّ دَسُّكَ فِي مَجْلِسٍ لِبَعْضِ المُلُوكِ لأَعْطَاكَ قُرْبَهْ

وله وهو مما كتبه إلى شمس الدين بن البهاء أسعد السنجاري الشاعر كاتب الإنشاء بماردين: [من الطويل]

كَتَبْتُ وَلِي قَلْبٌ عَلَى البُعْدِ شَيِّقُ وَصَدْرٌ عَلَى رَحْبٍ مِنَ الهَمِّ ضَيِّقُ
وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْكَ مَضُّ صَبَابَتِي وَخَطُّ غَرَامِي فِي الرِّقَاعِ مُحَقَّقُ
رَمَتْنِي يَدُ الأَيَّامِ مِنْكَ بِفُرْقَةٍ وَقَدْ كُنْتُ قِدْمًا مِنْ فِرَاقِكَ أَفْرَقُ
فَمَا شَاقَنِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مَنْظَرٌ وَلاَ رَاقَ لِي يَا شَمْسُ مَنْ فِيهِ رَوْنَقُ
/ ١٩١ب/ يُجَدِّدُ إِخْلاَقَ الغَرَامِ تَذَكُّرِي خَلاَئِقَكَ اللاَّتِي بِهَا تَتَخَلَّقُ
إِذَا مَا بَدَا القُطْبُ الجَنُوبِيُّ هَيَّجَتْ جُنُونِيَ إِلَى الشَّهْبَاءِ شُهْبٌ تَأَلَّقُ
وَمَا خَطَرَتْ مِنْ مَارِدِينَ نُسَيْمَةٌ عَلَى الشَّرْقِ إِلاَّ كِدْتُ بِالدَّمْعِ أَشْرَقُ

وَمَا ذَكَرَتْكَ النَّفْسُ إلاّ كَأنَّنِي … أُحِسُّ بِقَلْبِي مِنْ عَلٍ يَتَحَلَّقُ
عَسَى الدَّهْرُ يُولِيني بِقُرْبِكَ مِنَّةً … وَتَسْمَحُ لِي الأَيَّامُ أَوْ تَتَصَدَّقُ
وَعَلَّ صَبَاحَ الغَرْبِ يَجْلُو دُجَى النَّوَى … فَتُسْفِرُ شَمْسُ الوَصْلِ مِنْكَ وَتُشْرِقُ

وقال يمدح الأمير ركن الدين أبا شجاع أحمد بن قرطايا ـ أدام الله إقباله ـ ويهنئه ببناء دار استجدّها: [من الخفيف]

شَيَّدَ اللهُ بِالسَّعَادَةِ دَاراً … ظِلْتَ فِيهَا لَهَا وَلِلدِّيْنِ رُكْنَا
أَصْبَحَتْ إِرْبَلُ قَصِيْداً وَأَضْحَتْ … لَكَ بَيْتاً وَأَنْتَ لِلْبَيْتِ مَعْنَى
إِنْ سَمَتْ رِفْعَةً فَمَا زَالَ يَسْمُو … بِكَ رَبْعٌ تَحُلُّ فِيْهِ وَمَغْنَى
هِيَ دَارُ الخُلُوْدِ لاَ زِلْتَ تَبْقَى … أَلْفَ عَامٍ بِهَا وَضِدُّكَ يَفْنَى
قَدْ أَتَيْنَاكَ لِلْهَنَاءِ وَلَكِنْ … هِيَ أَوْلَى بِرُكْنِهَا أَنْ تُهَنَّا

وقال غزلاً: [من الخفيف]

/ ١٩٢أ/ ذِلَّتِي مِنْ مُدَلَّلٍ ذِي دَلاَلِ … رُبَّ جَفْنٍ مُكَحَّلٍ كَالْهِلاَلِ
ذِي عِذَارٍ مُزَرَّدٍ مُسْتَدِيْرٍ … تَحْتَ صُدْغٍ مُسَلْسَلٍ فَوْقَ خَالِ
بِتُّ فِيْهِ مُسَهَّداً ذَا اشْتِغَالٍ … بِفُؤَادٍ مُبَلْبَلٍ ذِي اشْتِعَالِ
حَازَ رُوْحِي فَأَصْبَحَتْ فِي يَدَيْهِ … كَأَسِيْرٍ مُكَبَّلٍ فِي عِقَالِ

وأنشدني لنفسه ابتداء صدر كتاب: [من الطويل]

كَتَبْتُ وَبِي مِنْ لاعِجِ الشَّوْقِ غَفْلَةٌ … فَلَمْ أَدْرِ مَا أَمْلَى عَلَيَّ ضَمِيْرِي
وَلَوْلاَ زَفِيْرٌ. . . . عَدته صَبَابَتِي … مَحَوْتُ بِتَقْطِيْرِ الدُّمُوْعِ سُطُوْرِي

وأنشدني لنفسه يهنىء بخلعة حمراء: [من السريع]

يَا شَرَفَ الدِّيْنِ الَّذِي لِلْنَدَى … سَحَابَةٌ مِنْ كَفِّهِ تَقْطُرُ
خِلْعَتُكَ الحَمْرَاءُ مِنْ أَنْفُسِ الحُسَّادِ لاَ زِلْتَ بِهِمْ تَظْفَرُ
تَفْنَى أَعَادِيْكَ بِهَا حَسْرَةً … لأَنَّهَا مَوْتُهُمُ الأَحْمَرُ

وأنشدني لنفسه في ابن عنين الشاعر وأخيه: [من الوافر]

أَصَابَ النَّاسَ مِنْ وَلَدَيْ … عُنَيْنٍ شِدَّةٌ وَشَقَا
قَدِ اجْتَمَعَا عَلَى ضُرٍّ … عَظِيْمِ الخَطْبِ وَاتَّفَقَا

كَأَنَّهُمَا عَدمتُهُمَا عَلَى الإفْسَادِ قَدْ خُلِقَا
/ ١٩٢ب/ فَذَا الأَعْرَاضُ يَقْطَعُهَا وَهَذَا يَقْطَعُ الطُرُقَا

وأنشدني لنفسه في شخص أعرج: [من الخفيف]

أَعْرَجٌ رَبُّ عَاهَةٍ لاَ كَفَانِي اللهُ فِيْهِ شَمَاتَةَ الحُسَّادِ
لَمْ تَزَلْ رِجْلُهُ تَكُفُّ أَذَى نَيْكٍ إِلَى أَنْ أَبَتْ عَنِ الانْقِيَادِ

[١١٥]

أحمدُ بنُ معدِّ بن عليِّ بنِ رافعِ بن فضائلَ بن عليِّ بن حمزةَ بن أحمدَ بن حمزةَ بن عليِّ بنِ أحمدَ بنِ موسى بنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ جعفرِ بن محمدَ بن عليِّ بن الحسينَ بنِ عليٍّ، أبو عقيلٍ البغداديُّ العَلويُّ المَوسَويُّ[(١)].

من أولاد الإمام موسى بنِ جعفرِ بنِ محمد بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ـ صلوات الله عليهم ـ.

شاعر من شعراء البغداديين، جزل القول، يسلك في أشعاره مسلك العرب ويذهب مذهب الحيص بيص في استعمال الألفاظ الحُوشية، ويتبادى في إنشاده، ويتشدق في إيراده وأكثر قوله في الافتخار بنفسه وأهله.

أنشدني لنفسه بمدينة الموصل سنة ثلاثين وستمائة: [من الوافر]

/ ١٩٣أ/ لَعَمْرُكَ مَا جَنَيْتُ عَلَى أُنَاسٍ جِنَايَةَ مَنْ يَؤُوبُ عَلَى هَوَانِ
وَلكِنِّي فَضُلْتُ فَكَانَ فَضْلِي عَلَيْهِمْ مِدْرَهَ الحَرْبِ العَوَانِ
وَلَمَّا أَنْ عَلَوْتُهُمُ رَمَوْنِي بِعِرْضٍ حِينَ أَعْجَزَهُمْ بَيَانِي
فَذُوْقُوا حَرَّهَا وَدَعُوا عُلاَهَا فَلَيْسَ مَكَانُكُمْ فِيْهَا مَكَانِي

---

(١) في هامش الأصل: «حاشية محمد شداد: السيد الكبير، صفي الدين، أخبرني السيد شهاب الدين حسن بن علي بن معد، ابن أخي المذكور، أنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتين وأربعين وستمائة، وقد قارب ستين سنة، وذكر أنه.... رحمه الله».
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثامن، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

وأنشدني أيضًا من شعره: [من البسيط]

لأَنْ أُبِيتَ خَمِيصَ البَطْنِ مُنْحَجِراً ... عَارِيْ الجَوَانِبِ خَصَّافاً مِنَ الوَرَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِيْ مِنْ أَنْ أُرَى سَفِهاً ... ذَا بِطْنَةٍ فِيْ رِدَاءِ اللُّؤْمِ وَالرَّنَقِ

وأنشدني من قوله أيضًا: [من الطويل]

كَأَنِّيْ بِهَذَا القَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ ... وَأَسْلَمَهُ لِلْحَادِثَاتِ مُنَازِلُهُ
وَأَصْبَحَ قَفْراً تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ ... وَيَنْتَابُهُ مِنَ الظِّبَاءِ مَطَافِلُهْ
مَضَى قَبْلَنَا قَرْنٌ فَقَرْنٌ وَإِنَّنَا ... لَنَأْمَلُ مَا ذُوْ المس في الدهر آمله
أَلَمْ تَكُ فِيْمَا قَصَّهُ اللهُ مَلْهُدَى ... شِفَاءً لِدَاءٍ حَالَفَتْهُ مَفَاصِلُهْ[1]
فَفِيْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادٍ جليةٍ ... تُرِيْكَ اغْتِرَارَ المرء أين مَقَاتِلُهْ
وَقَوْمٍ أَثَارُوا الأَرْضَ ثُمَّ ابْتَنَوا بِهَا ... مَعَاقِلَ لَوْ يُنْجِيْ يَزِيْدَ مَعَاقِلُهُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

/ ١٩٣ب/ أَتَعْمُرُ دَاراً إِذْ تَوَلَّى جَدِيْدُهَا ... وَأَصْبَحَ مَعْمُوراً لَدَيْهَا صَعِيْدُهَا
وَقَدْ غَالَتِ الأَيَّامُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ... شَقِيّاً وَمَا نَالَ الخُلُوْدَ سَعِيْدُهَا
وَإِلاَّ فَأَيْنَ المَلْكُ قَيْصَرُ وَالأُلَى ... وَأَيْنَ تَوَلَّى عَادُهَا وَثَمُوْدُهَا
وَأَيْنَ المُلُوْكُ الشُّمُّ مِنْ آلِ جَفْنَةٍ ... وَكِسْرَى أَنُوشَرْوَانُ طَارَ عَمُوْدُهَا
وَسَابُوْرُ وَالأَمْلاَكُ آلُ محرّقٍ ... أَبَادَهُمُ والمرسلات مبيدها
فَأَضْحَوا كَأَنْ لَمْ يَضْرِبُوا بِمِهَادِهَا ... مَصَائِبَ ملك لاَ يُرَامُ حَرِيْدُهَا
فَإِنَّكَ عَنْ إِيْمَاضِ بَرْقٍ لَلاَحِقٌ ... بِهِمْ وَالمَوَالِيْ كَالعَبِيْدِ عَبِيْدُهَا
فَبَادِرْ فَحَتْفُ المَرْءِ يَعْقِدُ حَبْلَهُ ... بِأَعْنَاقِ آجَالِ الرِّجَالِ يَقُوْدُهَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

كِتَابٌ أَرْسَلُوْهُ إِلَى الرَّبَابِ ... أَسِيْرُكِ قَدْ ثَوَى تَحْتَ التُّرَابِ
فَفِيْ نَظَرِيْ إِلَيْكِ حَيَاةُ نَفْسِيْ ... وَفِيْ فِيْكِ الشِّفَاءُ مِنَ الرُّضَابِ

---

(١) ملهدى: من الهدى.

وأنشدني قوله: [من الطويل]

مَرَىٰ الشَّوْقُ غَرْبَ العَيْنِ فَهْوَ هَمُوْعُ ... وَصَدَّعَ وَاهِيْ القَلْبِ فَهْوَ وَجِيْعُ
وَلَيْسَ لأَيَّامِ الحمَىٰ وَمَقِيْلَنَا ... بظلٍّ . . . . . السُّتُوْرِ رُجُوْعُ
ألا يَا حَمَامَاتٍ بِنَجْدٍ تَرَنَّمِيْ ... فَقَدْ هَاجَنِيْ مِنْكِ الغَدَاةَ سُجُوْعُ
/١٩٤أ/ سُقِيْتِ مِنَ الوَسْمِيِّ صَوْبَ سَحَائِبٍ ... لَهَا بَعْدَ إِقْلَاعِ السَّحَابِ رَبِيْعُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

يَا هِنْدُ وَيْحَكِ أَنْجِزِيْ الوَعْدَا ... وَصِلِيْ الكَئِيْبَ قَتَلْتِهِ عَمْدَا
وَارْعَيْ عُهُوداً فِيْ الهَوَىٰ سَلَفَتْ ... إِنَّ الكَرِيْمَ لَحَافِظٌ عَهْدَا
قَدْ لَامَنِيْ مَنْ كَانَ يَنْصَحُنِيْ ... فِيْكُمْ وَقُلْتُ وَقَالَ لَوْ أُحْدَى
لَوْ أَنَّ كَفِّيْ لَا تُطَاوِعُنِيْ ... فِيْكُمْ جَذَذْتُ بَنَانَهَا جَذَّا
أَسْقَاكِ رَبُّكِ صَوْبَ غَادِيَةٍ ... وَأَدَامَ عَيْشَكِ رَافِقًا رَغْدَا

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

أَلَا يَا لَيْتَ أَيَّامَ التَّصَابِيْ ... رَجَعْنَ وَمُوْرِقُ الخُوْدِ الكَعَابِ
وَيَوْمٍ بِالثَّنِيَّةِ حَيْثُ تَمْشِيْ ... قَطُوْفُ الخَوْدِ دَانِيَةَ الحِقَابِ
لَهَا جِيْدٌ كَجِيْدِ الظَّبْيِ حَقّاً ... وَنَاظِرَةُ المَهَاةِ لَدَى الهِضَابِ
وَفُوهَا فِيْهِ كَالعَسَلِ المُصَفَّىٰ ... عَلَىٰ بَرْدِ القِلَالِ عَلَىٰ شَرَابِ
لِقَاؤُكِ يَا سُلَيْمَىٰ بِنْتَ عَمْرٍو ... حَيَاةُ المَرْءِ مِنْ تَحْتِ التُّرَابِ

[١١٦]

أحمدُ بنُ محمد بن أبي الوفاء /١٩٤ب/ ابن الخطاب بنِ محمد بن عليِّ بنِ الحسن، ويلقَّبُ الهِزَبْر، أبو الطَّيِّبِ الموصليُّ المعروفُ بابنِ الحُلاويِّ(٢).

---

(١) في هامش الأصل: «توفي سنة خمسين وستمئة. . . .».

ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٢٦ ـ ١٣٢. السلوك ١/ ٤١٣. النجوم الزاهرة ٧/ ٦٠. الأعلام ط١٤/ ١/ ٢١٩. عقود الجمان للزركشي ٥٨. الوافي بالوفيات ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٨ رقم ٣٥٢٤. شذرات الذهب ٥/ ٢٧٤. العبر ٥/ ٢٢٧. ذيل مرآة الزمان لليونيني ١/ ٩٦ ـ ١٠٤، تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٢٢٦ رقم ٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٠ رقم ٢١٨، عيون التواريخ=

أخبرني أنه ولد آخر سنة ثلاث وستمائة، وهو من أشهر بيت بالموصل وأقدمه. وكان يقول الشعر منذ كان حدثًا، وطاوعه طبعه في نظمه، ورزق منه حظًا لم يرزقه أحد من أبناء جنسه وأقرانه.

ورحل عن الموصل سنة إحدىٰ وعشرين وستمائة إلىٰ بلاد الشام، وسكن دمشق واتصل بالملك الناصر صلاح الدين أبي المكارم[1] داود بن عيسىٰ بن أبي بكر بن أيوب سلطانها، وصار من جملة شعرائه، وأخصّ جلسائه ومدحه بعدّة قصائد واكتسب منه رزقًا صالحًا، وسار في صحبته إلىٰ الديار المصرية.

ثم فارق خدمته سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة، يتنقّل في البلاد ويمدح الملوك، وكبراء الأنام، وحظُّه فوق شعره.

شاهدته بالموصل سنة اثنتين وثلاثين وستمائة شابًا جميلاً، وأنشدني لنفسه يمدح المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين ابا الفضائل حسام أمير المؤمنين ـ أعزّ الله أنصاره وشيّد فخاره ـ من / ١٩٥أ/ قصيدة مطلعها:

[من الطويل]

إلَى مَ السُّرَىٰ هَل مَطْلَعُ الشَّمْس قَصْدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا بَلْ قَصْدُنَا مَطْلَعُ البَدْرِ

إلَىٰ مَلِكٍ لَوْلاَ مَوَاهِبُ كَفِّهِ ... لَظَلَّ بَنُو الآمَالِ عَنْ مَنْهَجِ البِرِّ

مَلِيكٍ إذَا مَا المُزْنُ ضَنَّ بِدَرِّهِ ... يَجُودُ عَلَيْنَا مُزْنُ كَفَّيْهِ بِالدُّرِّ

قَرِيبُ النَّدَىٰ فِي السِّلْمِ مِنْ كُلِّ وَافِدٍ ... بَعِيْدُ المَدَىٰ فِي الحَرْبِ مِنْ كُلِّ ذِي غَمْرِ

فَمَا حُجِبَتْ أبْوَابُهُ دُوْنَ سَائِلٍ ... وَيُحْجَبُ فِي يَوْمِ الوَغَىٰ بِالظُّبَا البُتْرِ

جَزِيْلُ الجَدَىٰ مُرْدِي العِدَا مُوْضِحُ الهُدَىٰ ... بَعِيْدُ المَدَىٰ دَانِي النَّدَىٰ وَافِرُ الوَفْرِ

= ٢٠/ ١٥٤ ـ ١٥٩. التذكرة الفخرية ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ٢١٠. وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٧ و٦/ ٢٦٤. السلوك ج١ق٢/ ٤١٣. المنهل الصافي ٢/ ١٦٧ ـ ١٧٢ رقم ٢٩٧. الدليل الشافي ١/ ٨٤ رقم ٢٩٥.

له ديوان شعر جمعه وحققه د. محمد قاسم مصطفى ود. عبد الوهاب العدواني، مج التربية والعلم ـ جامعة الموصل ١٩٨١.

والحُلاوي: بضم الحاء المهملة، نسبة إلى بلدة حلاوة. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠٣.

(١) في هامش الأصل: «الصحيح أبي المفاخر».

مُفيدُ الوَرَىٰ قُطْبُ الوَغَىٰ أَسَدُ الشَّرَىٰ قَليلُ الكَرَىٰ جَمُّ القِرَىٰ هَاطِلُ الدَّرِّ
بَطِيءٌ عَنِ الثَّغْرِ الشَّهِيِّ بُرُودُهُ سَرِيعٌ إِلَىٰ الحِصْنِ المُمَنَّعِ وَالثَّغْرِ
إِذَا قَطَّبَ الجَانِيْ . . . . . بِبَأْسِهِ تَلَقَّاهُ مِنْهُ العَفْوُ فِيْ حُلَلِ البِشْرِ
لَهُ الصَّوْتُ فِيْ النَّادِيْ، لَهُ الصِّيْتُ فِيْ النَّدَىٰ لَهُ الرَأيُ بَعْدَ الرَّأْيِ وَالأَمْرُ . . .
أَلَا أَيُّهَا المَلْكُ الَّذِيْ حَدَّ حَدُّهُ فَأَصْبَحَ نَسْرُ الطَّرْفِ مِنْهُ عَلَى النَّسْرِ
لَقَدْ قُمْتَ لِلدِّيْنِ الحَنِيْفِ بِعَزْمَةٍ أَقَامَتْ قُلُوْبَ المُشْرِكِيْنَ عَلَىٰ ذُعْرِ
فَضَلْتَ مُلُوْكَ الأَرْضِ طُرّاً بِأَرْبَعٍ غَدَا فَخْرُهَا يَسْمُو عَلَىٰ كُلِّ ذِيْ فَخْرِ:
فَبَأْسُكَ لِلْبَاغِيْ وَعِرْضُكَ لِلثَّنَا وَعَفْوُكَ لِلْجَانِيْ وَجُوْدُكَ لِلْفَقْرِ
/ ١٩٥ب/ فَمَا مُخْدِرٌ شَهْمُ النِّضَالِ مُذَرَّبُ النِّصَالِ تُرَاعُ الأُسْدُ مِنْهُ عَلَىٰ صَعْرِ
بِأَمْنَعَ بَأْساً مِنْكَ فِيْ حَوْمَةِ الوَغَىٰ إِذَا الحَرْبُ مَاسَتْ فِيْ غَلَائِلِهَا الحُمْرِ
وَمَا رَوْضَةٌ غَنَاءُ مَرَّتْ بِهَا الصَّبَا عَبِيْرِيَّةُ الأَرْجَاءِ مِسْكِيَّةُ النَّشْرِ
بِأَعْطَرَ مِنْ أَبْكَارِ مَجْدِكَ كُلَّمَا جُلِيْنَ عَلَىٰ الأَسْمَاعِ فِيْ حُلَلِ الشِّعْرِ
وَمَا شَامِخٌ لَوْ شَاءَ رَقَّ عَلَىٰ الحَيَا مَوَاهِبُهُ سَامٍ عَلَىٰ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
بِأَثْبَتَ حِلْماً مِنْكَ لَا طَائِشَ الحِجَىٰ وَلَا مَانِعَ الحُسْنَىٰ وَلَا حَرِجَ الصَّدْرِ
وَمَا الغَيْثُ مُنْهَلُّ العَزَالِي سَحَابُهُ يَسِحُّ بِهَا فِيْ الوَدْقِ مُنْبَجِسُ القَطْرِ
بِأَسْمَحَ كَفّاً مِنْكَ فِيْ حَالَةِ النَّدَىٰ إِذَا هَطَلَتْ كَفَّاكَ بِالنَّائِلِ الغَمْرِ
وَإِنْ كُنْتَ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيْ العَيْنِ وَاحِداً فَأَنْتَ مِنَ الإِقْدَامِ فِيْ جَحْفَلٍ مَجْرِ
أَلَا أَيُّهَا المَلْكُ الرَّحِيْمُ الَّذِيْ غَدَتْ خَلَائِقُهُ أَبْهَىٰ سَنَاءً مِنَ الزُّهْرِ
مَدَحْتُكَ مِنْ قَبْلِ احْتِلَامِيَ مُنْطَقاً عَلَىٰ صِغَرٍ فِيْ السِّنِّ لَا صِغَرِ القَدْرِ
فَعَلَّمَنِيْ مَدْحِيْكَ مَا أَنَا قَائِلٌ مِنَ السَّائِرَاتِ الزُّهْرِ وَالمِدَحِ الغُرِّ
فَأَكْرَمُ مَلْكٍ صَافَحَتْنِيْ هِبَاتُهُ وَأَوَّلُ مَلْكٍ سَارَ فِيْ مَدْحِهِ شِعْرِيْ
وَقَدْ جِئْتُ صِفْرَ الرَّاحَتَيْنِ مُؤَمِّلاً سَحَابَ نَدًىٰ يَنْهَلُّ بِالبِيْضِ وَالصُّفْرِ
وَلَا زِلْتَ مَحْرُوْسَ الجَنَابِ مُؤَيَّداً يُطَالِعُكَ التَأْيِيْدُ مِنْ حُلَلِ النَّصْرِ
/ ١٩٦أ/ فَبَأْسُكَ لِلطَّاغِيْ وَجَدْوَاكَ لِلنَّدَىٰ وَيُمْنَاكَ لِلْيُمْنَىٰ وَيُسْرَاكَ لِلْيُسْرِ

وأخبرني أبو الطيب أنه كان بسنجار مقيمًا؛ فجاء البشير من الموصل بإبلال

الملك الرحيم بدر الدين من المرض الذي لحقه، وركوبه للناس؛ فعملتُ هذه القصيدة بسنجار، وقصدته إلىٰ الموصل فاستحسنها، وأسنىٰ لي الجائزة، وأوّلها:

[من البسيط]

وَافَىٰ البَشِيْرُ بِمَا كُنَّا نُحَاوِلُهُ ... وَنَالَ أَقْصَىٰ المُنَىٰ مَنْ بَاتَ يَأْمُلُهُ

وَأَسْفَرَ البَدْرُ فِي لأْلاءِ غُرَّتِهِ ... فَأَشْرَقَتْ بِمُحَيَّاهُ مَنَازِلُهُ

تَكَامَلَتْ فِي بُرُوْجِ العِزِّ أَسْعُدُهُ ... وَتَمَّ فِي أَعْيُنِ النُّظَّارِ كَامِلُهُ

وَغَيْرُ نُكْرٍ إِذَا مَا البَدْرُ عَاوَدَهُ ... تَمَامُهُ وَزَهَا بِالسَّعْدِ آفِلُهُ

بَدَا فَأَخْمَدَ نَارَ الشِّرْكِ مَطْلَعُهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا عَمَّتِ الدُّنْيَا زَلَازِلُهُ

وَلَاحَ كَالرُّمْحِ أَهْدَاهُ مُثَقِّفُهُ ... أَوْ صَفْحَةِ السَّيْفِ هَزَّتْهُ صَيَاقِلُهُ

فَرِيْحُ جَيْشِ الرَّدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا شُرِعَتْ ... إِلَىٰ وُجُوْهِ مَعَالِيهِ عَوَامِلُهُ

وَفَاهَ كُلُّ لِسَانٍ كَانَ ذَا خَرَسٍ ... فِي مَجْدِهِ بِالَّذِيْ قَامَتْ دَلَائِلُهُ

/١٩٦ب/ مِنْ بَعْدِ مَا كَتَمَ الأَخْبَارَ نَاقِلُهَا ... وَجَمْجَمَ القَوْلَ فِي عَلْيَاهُ قَائِلُهُ

فَلْيَسْخُ بِالمَالِ لِلْقُصَّادِ مَانِحُهُ ... وَلْيُوْفِ بِالنَّذْرِ لِلْرَّحْمَانِ بَاذِلُهُ

وَلْيَهْنِ ذَا الدِّيْنَ وَالدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ

إِذْ صَحَّ لِلْمُلْكِ كَافِيْهِ وَكَافِلُهُ ... وَقَامَ بِالعِبْءِ حَامِيْهِ وَحَامِلُهُ

مَلْكُ المُلُوْكِ الَّذِيْ لَوْلَاهُ مَا اتَّضَحَتْ ... سُبُلُ السَّمَاحِ وَلَمْ تُسْلَكْ مَجَاهِلُهُ

أَبُو الفَضَائِلِ وَالمَلْكُ الَّذِيْ سَمَقَتْ ... بِهِ عَلَىٰ الفَلَكِ الأَعْلَىٰ فَضَائِلُهُ

مَلْكٌ سَمَتْ بِالنَّدَىٰ وَالبَأْسِ هِمَّتُهُ ... فَلَيْسَ فِي الأَرْضِ مِنْ خَلْقٍ يُمَاثِلُهُ

حَامِي المَمَالِكِ خَوَّاضُ المَهَالِكِ مِغْوَارُ المَعَارِكِ لَا تُلْوَىٰ عَوَاسِلُهُ

لَوْلَاهُ مَا طَابَتِ الدُّنْيَا وَلَا حَسَدَتْ ... أَوَاخِرَ الدَّهْرِ لَوْلَاهُ أَوَائِلُهُ

لَهُ مِنَ المَدْحِ حَالِيْهِ وَعَاطِرُهُ ... وَلِلْمُعَادِيْنَ خَالِيْهِ وَعَاطِلُهُ

أَنَرْقُبُ الغَيْثَ فِيْ أَرْضٍ أَنَأْمُلُهُ ... مِنْ بَعْدِ مَا هَطَلَتْ فِيْنَا أَنَامِلُهُ

يَا رَاكِبَ القَفْرِ خَوْفَ الفَقْرِ مُنْتَجِعًا ... يَطْوِيْ السَّبَاسِبَ كَالبَازِيِّ بَازِلُهُ

عَرِّجْ عَلَىٰ سَاحَةِ الحَدْبَاءِ تَلْقَ بِهَا ... غَيْثَ السَّمَاحِ الَّذِيْ يُغْنِيْكَ وَابِلُهُ

وَثِقْ بِنَيْلِ المُنَىٰ إِنْ زُرْتَ سَاحَتَهَا ... فَثَمَّ دَانِي النَّدَىٰ مَا خَابَ سَائِلُهُ

حَتَّىٰ إِذَا عُدْتَ فِي الرَّكْبِ الَّذِيْ رَحَلَتْ ... ثَقِيْلَةَ الخَطْوِ مِنْ . . . . . رَوَاحِلُهُ

/١٩٧أ/ قُلْ لِلْمُلُوْكِ دَعُوْا كَسْبَ الثَّنَاءِ لَهُ ... فَمَا تَلِيْقُ بِهِ إِلاَّ شَمَائِلُهُ
هَلْ فِيْكُمُ مَنْ لَهُ جُوْدٌ كَنَائِلِهِ ... أَمْ فِيْكُمُ مَنْ سَجَايَاهُ تُسَاجِلُهُ
يَا مَالِكَ الأَرْضِ قَصْدِيْ أَنْتَ مَانِحُهُ ... بِأَلنُّجْعِ مِنْكَ وَحَبْلِيْ أَنْتَ وَاصِلُهُ

وأنشدني لنفسه أيضًا بحلب المحروسة في العشر الوسطىٰ من جمادى الآخرة بالحاضر السليماني سنة خمس وثلاثين وستمائة يمدح بدر الدين أبا الفضائل لؤلؤ بن عبد الله ـ صاحب الموصل[1] ـ: [من الطويل]

حَكَاهُ مِنَ الغُصْنِ الرَّطِيْبِ وَرِيْقُهُ ... وَمَا الخَمْرُ إِلاَّ وَجْنَتَاهُ وَرِيْقُهُ
هِلاَلٌ وَلَكِنْ أُفْقُ قَلْبِيْ مَحَلُّهُ ... غَزَالٌ وَلَكِنْ سَفْحُ دَمْعِي عَقِيْقُهُ
وَأَسْمَرَ يَحْكِيْ الأَسْمَرَ اللَّدْنَ قَدُّهُ ... عِذَارٌ أَشْقَا قَلْبَ المُحِبِّ رَشِيْقُهُ
عَلَىٰ خَدِّهِ جَمْرٌ مِنَ الحُسْنِ مُضْرَمٌ ... يَشُبُّ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِيْ حَرِيْقُهُ
أَقَرَّ لَهُ مَنْ كُلِّ حُسْنٍ جَلِيْلُهُ ... وَوَافَقَهُ مَنْ كُلِّ مَعْنًىٰ دَقِيْقُهُ
بَدِيْعُ التَّثَنِّيْ رَاحَ قَلْبِيْ أَسِيْرَهُ ... عَلَىٰ أَنَّ دَمْعِيْ فِي الغَرَامِ طَلِيْقُهُ
عَلَىٰ سَالِفَيْهِ لِلْعِذَارِ جَدِيْدُهُ ... وَفِي شَفَتَيْهِ لِلسُّلاَفِ عَقِيْقُهُ
/١٩٧ب/ يُهَدِّدُ مِنْهُ الطَّرْفُ مَنْ لَيْسَ خَصْمَهُ ... وَيُسْكِرُ مِنْهُ الرِّيْقُ مَنْ لاَ يَذُوْقُهُ
عَلَىٰ مِثْلِهِ يَسْتَحْسِنُ الصَّبُّ هَتْكَهُ ... وَفِي حُبِّهِ يَجْفُو الصَّدِيْقَ صَدِيْقُهُ
مِنَ التُّرْكِ لاَ يُصْبِيْهِ وَجْدٌ إِلَىٰ الحِمَىٰ ... وَلاَ ذِكْرُ بَانَاتِ الغُوَيْرِ تَشُوْقُهُ
وَلاَ حَلَّ فِي حَيٍّ تَلُوْحُ قِبَابُهُ ... وَلاَ سَارَ فِي رَكْبٍ يُسَاقُ وَسِيْقُهُ
وَلاَ بَاتَ صَبًّا بِالفَرِيْقِ وَأَهْلِهِ ... وَلَكِنْ إِلَىٰ خَاقَانَ يُعْزَىٰ فَرِيْقُهُ
لَهُ مَبْسِمٌ يَسْبِيْ المُدَامَ بَرِيْقُهُ ... وَيُخْجِلُ نُوَّارَ الأَقَاحِيْ بَرِيْقُهُ
تَدَاوَيْتُ مِنْ حَرِّ الغَرَامِ بِثَغْرِهِ ... فَأَضْرَمَ مِنْ ذَاكَ الحَرِيْقِ رَحِيْقُهُ
إِذَا خَفَقَ البَرْقُ اليَمَانِيُّ مَوْهِنًا ... تَذَكَّرْتُهُ فَاعْتَادَ قَلْبِيْ خُفُوْقُهُ
حَكَىٰ وَجْهُهُ بَدْرَ السَّمَاءِ فَلَوْ بَدَا ... مَعَ البَدْرِ قَالَ النَّاسُ: هَذَا شَقِيْقُهُ!
وَأَشْبَهَ زَهْرَ الرَّوْضِ حُسْنًا وَقَدْ بَدَا ... عَلَىٰ عَارِضَيْهِ آسُهُ وَشَقِيْقُهُ
رَآنِي خَيَالاً حِيْنَ وَافَىٰ خَيَالُهُ ... فَأَطْرَقَ مِنْ فَرْطِ الحَيَاءِ طُرُوْقُهُ

(١) في الوافي ٨/ ١٠٢، والفوات ١/ ٧٠، ٢٣ بيتًا منها، وفي المنهل الصافي ٢/ ١٦٧ـ١٦٩ بعض منها.

وَأَشْبَهْتُ مِنْهُ الخَصْرَ سُقْمًا فَقَدْ غَدَا ... يُحَمِّلُنِي كَالحَصْرِ مَا لاَ أُطِيقُهُ

فَمَا بَالُ قَلْبِي كُلُّ حُبٍّ يَهِيجُهُ ... وَحَتَّى مَ طَرْفِي كُلُّ حُسْنٍ يَرُوقُهُ

فَهَذَا لِيَوْمِ البَيْنِ لَمْ تُطْفَ نَارُهُ ... وَهَذَا فَبَعْدَ البُعْدِ مَا جَفَّ مُوقُهُ

وَللهِ قَلْبِي مَا أَشَدَّ عَفَافَهُ ... وَإِنْ كَانَ طَرْفِي مُسْتَمِرًّا فُسُوقُهُ

/١٩٨أ/ أَرَى النَّاسَ أَضْحَوا جَاهِلِيَّةَ وُدِّهِ ... فَمَا بَالُهُ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ مَعُوقُهُ

فَمَا فَازَ إِلاَّ مَنْ يَبِيتُ صَبُوحَهُ ... شَرَابُ ثَنَايَاهُ وَمِنْهَا غَبُوقُهُ

وَآخَرُ يَسْعَى لِلْمَوَاهِبِ وَالنَّدَى ... هَدَتْهُ إِلَى المَلْكِ الرَّحِيمِ طَرِيقُهُ

إِلَى بَحْرِ جُودٍ يُغْرِقُ الوَفْدَ فَيْضُهُ ... وَيَحْمَدُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيقُهُ

إِلَى الغَيْثِ أَحْيَا بِالحَيَا كُلَّ وُجْهَةٍ ... فَمَا أَخْلَفَتْ لِلشَّائِمِينَ بُرُوقُهُ

وَكَيْفَ يُقَاسُ الغَيْثُ مِنْهُ بِنَائِلٍ ... يَسُحُّ بِمَالٍ لاَ بِمَاءٍ دُفُوقُهُ

إِلَى كِسْرَوِيٍّ عَدْلُهُ وَنِجَارُهُ ... يَعِزُّ عَلَى كِسْرَى المُلُوكِ لُحُوقُهُ

إِلَى سَائِقٍ فِي حَلْبَةِ الجُودِ وَالنَّدَى ... شَأَى النَّاسَ مَأْمُونُ العِثَارِ سَبُوقُهُ

إِلَى وَالِدٍ لِلْجُودِ بَرٍّ بِأَهْلِهِ ... يَعِزُّ عَلَى غُرِّ المَسَاعِي عُقُوقُهُ

إِلَى وَاجِبٍ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَدِيحُهُ ... كَمَا وَجَبَتْ فِي سَاكِنِيهَا حُقُوقُهُ

إِلَى وَاهِبِ الجُرْدِ الجِيَادِ يَؤُمُّهَا ... نَدَاهُ وَمُعْطِي الذَّوْدِ يَرْغُو أَفِيقُهُ

إِلَى جَوْهَرٍ أَعْيَا البِحَارَ فَرِيدُهُ ... إِلَى نَيِّرٍ عَمَّ البِلاَدَ شُرُوقُهُ

مَلِيكٌ إِذَا كَرَّرْتَ أَوْصَافَ مَجْدِهِ ... فَسُحْقًا لِنَشْرِ المِسْكِ يُهْدَى سَحِيقُهُ

يَفُوقُ عَلَى صِيدِ المُلُوكِ مَكَارِمًا ... وَمَا فِيهِمُ مَنْ حَالُهُ مَنْ يَفُوقُهُ

لَهُمْ مِنْ حَدِيثِ المَكْرُمَاتِ كَذُوبُهُ ... وَلَكِنْ لِبَدْرِ الدِّينِ مِنْهُ صَدُوقُهُ

/١٩٨ب/ بَدِيعُ المَعَانِي مُشْرِقُ الوَجْهِ طَلْقُهُ ... جَزِيلُ النَّدَى سَامِي النِّجَارِ عَرِيقُهُ

يَسُوقُ جَزِيلاَتِ العَطَايَا إِلَى فَتًى ... غَدَا نَحْوَهُ حُسْنُ الرَّجَاءِ يَسُوقُهُ

أَفَادَ نَدَى كَفَّيْهِ حَتَّى عَدُوَّهُ ... وَيَعْظُمُ أَنْ يَلْحَاهُ فِيهِ صَدِيقُهُ

إِذَا وَثِقَ الغُرُّ المُلُوكُ بِخَائِنٍ ... فَلَيْسَ بِغَيْرِ المَشْرَفِيِّ وُثُوقُهُ

لَقَدْ سَبَقَ الآجَالَ مَاضِي حُسَامِهِ ... فَخُلِّقَ لَكِنَّ الدِّمَاءَ خَلُوقُهُ

بِهِ اتَّسَعَتْ لِي كُلُّ أَرْضٍ نَزَلْتُهَا ... وَفُرِّجَ لِي مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مَضِيقُهُ

أَطَاعَ لِسَانِي فِيهِ لِلْقَوْلِ حُرُّهُ ... وَسَاعَدَنِي لِلشِّعْرِ فِيهِ رَقِيقُهُ

فَلِي عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ جُودٍ جَزِيلُهُ ... وَعِنْدِي لَهُ مِنْ كُلِّ مَدْحٍ أَنِيقُهُ
أَيَا مَلِكاً يَنْهَلُّ حِلْماً وَنَائِلاً ... فَمَا النَّاسُ إِلاَّ حُرُّهُ وَرَقِيقُهُ
رَآكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لِمُلْكِهِ ... حُسَاماً وَنَهْجُ الحَرْبِ قَدْ عَمَّ ضِيقُهُ
فَقُمْتَ بِمَا يَهْوَى الإِمَامُ وَلَمْ تَزَلْ ... تَقُومُ بِأَمْرٍ مَا سِوَاكَ مُطِيقُهُ
وَكُنْتَ لَهُ بَدْراً تُنِيرُ سَمَاؤُهُ ... سَنَاكَ وَلَيْلُ الشِّرْكِ دَاجٍ غُسُوقُهُ
وَأَعْلَيْتَ رُكْنَ المَجْدِ حَتَّى لَقَدْ بَدَا ... لَنَا وَهْوَ مَرْفُوعُ العِمَادِ وَثِيقُهُ
حَمَيْتَ دِمَاءَ المُسْلِمِينَ وَصُنْتَهَا ... وَكَمْ مِنْ دَمٍ لِلْجُودِ فِيهِمْ تُرِيقُهُ
فَجُودُكَ مَا فِي النَّاسِ مَنْ لَيْسَ عَبْدَهُ ... وَسَيْفُكَ مَا فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَتِيقُهُ
/ ١٩٩أ/ وَعَزْمُكَ قَدْ جَازَ السَّمَاءَ سُمُوُّهُ ... وَقَدْرُكَ قَدْ أَعْيَا النُّجُومَ سُمُوقُهُ
وَخُلْقُكَ صَبٌّ بِالجَمِيلِ جَمَالُهُ ... وَخُلْقُكَ مُغْرًى بِالوَفَاءِ خَلِيقُهُ
وَلَوْلاَكَ مَاتَ الشِّعْرُ صَبْراً وَلَمْ تَقُمْ ... لِكَسْبِ العَطَايَا وَالمَحَامِدِ سُوقُهُ
تَكَلَّمَ لَكِنْ فِي عُلاَكَ صَمُوتُهُ ... وَأُخْرِسَ لَكِنْ عَنْ سِوَاكَ نَطُوقُهُ
فَمَا سَارَ إِلاَّ مَنْ نَدَاكَ دَلِيلُهُ ... وَجُودُكَ يَا خَيْرَ المُلُوكِ رَفِيقُهُ
فَلاَ زِلْتَ مَحْرُوسَ الجَنَابِ مُؤَيَّداً ... وَعَيْشُكَ تَهْمِي بِالأَمَانِي بُرُوقُهُ

وأنشدني لنفسه مبدأ قصيدة ربيعيّة: [من الكامل]

قَدِمَ الرَّبِيعُ مُنِيرَةً أَزْهَارُهُ ... فَافْتَرَّ عِنْدَ قُدُومِهِ نُوَّارُهُ
وَتَرَنَّحَتْ لِسُرُورِهَا أَغْصَانُهُ ... وَتَعَانَقَتْ لِلِقَائِهَا أَشْجَارُهُ
رَوْضٌ حَكَى خَدَّ الحَبِيبِ شَقِيقُهُ ... لَمَّا حَكَى خَدَّ المُحِبِّ بَهَارُهُ
أَسْدَى صَنَائِعَهُ إِلَيْهِ بِسَاطُهُ ... وَمَضَى فَفَازَ بِحُسْنِهِ آذَارُهُ
لَوْ لَمْ يَجُدْ بِالدُّرِّ دَرُّ سَحَابِهِ ... مَا زَانَ دِرْهَمَ زَهْرِهِ دِينَارُهُ
حَجَّ السُّرُورُ إِلَيْهِ فِي رَكْبِ الصَّبَا ... وَاللَّهْوِ لَمَّا أَنْ رُمِينَ جِمَارُهُ
طَلَعَتْ نُجُومُ النَّجْمِ فِيهِ وَقَابَلَتْ ... زُهْرَ السَّمَاءِ بِمِثْلِهَا أَزْهَارُهُ
أَفْضَى إِلَى وَاشِي النَّسِيمِ بِسِرِّهِ ... فَبَدَتْ لَنَا مِنْ طِيبِهِ أَسْرَارُهُ
/ ١٩٩ب/ ضَحِكَتْ ثُغُورُ أَقَاحِهِ لَمَّا بَكَتْ ... عَيْنُ السَّمَاءِ وَجَادَهَا مِدْرَارُهُ
جَادَ السَّمَاءَ فَأَسْرَفَتْ أَنْوَاؤُهُ ... زَهْرَ الرَّبِيعِ فَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ
لَمَّا رَقَصْنَ بِهِ الغُصُونُ وَغَنَّتِ الْـ ... ـوُرْقُ الحَمَامُ وَصَفَّقَتْ أَنْهَارُهُ

خَلَعَ السَّحَابُ عَلَيْهِ حُلَّةَ رَوْضِهِ ... وَغَدَا وَمِنْ حَبِّ الغَمَامِ نِثَارُهُ

فَأَقَرَّ وَشْيُ الغَانِيَاتِ لِوَشْيِهِ ... وَأَعَارَهُنَّ الطِّيبَ مِنْهُ عَرَارُهُ

فَاشْرَبْ عَلَى الرَّوْضِ الأَرِيضِ كَأَنَّمَا ... نَقَلَ الغِنَاءَ عَنِ الغَرِيضِ هَزَارُهُ

وَاعْقِرْ بِهِ لُؤْمَ الدِّنَانِ فَخَيْرُ مَا ... عُقِرَتْ عَلَى ضَيْفِ الرَّبِيعِ عُقَارُهُ

فِي مَجْلِسٍ أَضْحَى المُفَوَّهُ أَخْرَسًا ... عَنْ وَصْفِهِ وَتَكَلَّمَتْ أَطْيَارُهُ

خَضْلُ البَنَانِ شَدَا عَلَى أَغْصَانِهِ ... قُمْرِيَّةٌ فَتَمَايَلَتْ أَقْمَارُهُ

خَمْرًا تُخَالُ بِكَأْسِهَا لَمَّا بَدَتْ ... جَمْرًا وَمِنْ طَافِي الحَبَابِ شَرَارُهُ

نَارٌ وَفِي خَدِّ النَّدِيمِ لَهِيبُهَا ... حَلْيٌ وَفِي كَفِّ المُدِيرِ سِوَارُهُ

يَسْعَى بِهَا لَدْنُ القَوَامِ مُمَنْطَقٌ ... لَمْ أَنْسَهُ فَيُهِيجُنِي تَذْكَارُهُ

رَشَأٌ مِنَ الأَتْرَاكِ لَا آبَاؤُهُ ... قَيْسٌ وَلَا عَدْنَانُ يَبْلُغُ دَارُهُ

مَا الغُصْنُ إِلَّا مَا أَرَاهُ قَوَامُهُ ... وَالحِقْفُ إِلَّا مَا حَوَاهُ أَزَارُهُ

خَجِلَتْ غُصُونُ البَانِ خِيفَةَ قَدِّهِ ... وَرَنَا فَرِيعَ لِمُقْلَتَيْهِ صِوَارُهُ

/ ٢٠٠أ/ فَلَهُ مِنَ الغُصْنِ النَّضِيرِ قَوَامُهُ ... وَلَهُ مِنَ الرَّشَأِ الغَرِيرِ نِفَارُهُ

مَا هَزَّ أَسْمَرَ رُمْحِهِ وَقَوَامَهُ ... إِلَّا ثَنَى خَطِّيَّهُ خَطَّارُهُ

حَبَبٌ وَخَمْرٌ ثَغْرُهُ وَرُضَابُهُ ... وَرْدٌ وَآسٌ خَدُّهُ وَعِذَارُهُ

يَرْنُو بِلَحْظِ جَاهِلٍ سَخَّارُهُ ... بِالعَاشِقِينَ وَعَالِمٍ سَحَّارُهُ

مَاضٍ غِرَارُ جُفُونِهِ طَرَدَ الكَرَى ... عَنِّي فَمَا زَارَ الجُفُونَ غِرَارُهُ(١)

مَا خَافَ فِي يَوْمِ الكَرِيهَةِ ضَارِبٌ ... أَضْحَى كَصَارِمِ جَفْنِهِ بَتَّارُهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه(٢): [من الوافر]

إِلَى مَ أَرَى الغَرَامَ بِهِ غَرِيمِي ... وَفِي مَ نَدَامَتِي فِيهِ نَدِيمِي ؟

وَحَتَّى مَ البُكَاءُ بِكُلِّ رَبْعٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ رَسْمًا لِلرُّسُومْ

أَخَافُ عَلَيَّ مِنْ غَرَقٍ بِدَمْعٍ ... فَأَحْبِسُهُ فَأَغْرَقُ فِي الهُمُومْ

أَحِنُّ إِلَى الصَّرِيمِ لِأَجْلِ ظَبْيٍ ... يُعِيرُ الظَّبْيَ غِزْلَانَ الصَّرِيمِ

---

(١) الغرار الأولى: الحدّ، والثانية: القليل من النوم.

(٢) في الوافي ٨/ ١٠٣، والفوات ١/ ٧٠، والمنهل الصافي ٢/ ١٧١، بيتان منها.

وَأَنْثُـرُ دُرَّ دَمْعِـي مِـنْ غَـرَامِـي ... بِـوَاضِـحِ دُرِّ مَبْسِمِـهِ النَّظِيْـمِ
هِـلاَلٌ مَـا اعْتَـرَانِـي السُّقْـمُ إِلاَّ ... غَـرَامَـاً مِنْـهُ بِـالجَفْـنِ السَّقِيْـمِ
سَلِيْـمُ القَلْـبِ مِـنْ كَلَفِـي وَوَجْـدِي ... أَبِيْـتُ عَلَيْـهِ فِـي لَيْـلِ السَّلِيْـمِ
أَقَـامَ قِيَـامَتِـي مِنْـهُ قَـوَامٌ ... يُـرِيْـكَ مَعَـاطِـفَ الغُصْـنِ القَـوِيْـمِ
/ ٢٠٠ب/ وَخَصَّ الحُسْنَ وَجْنَتَهُ بِخَالٍ ... يَفُـوْقُ بِـهِ الأَنَـامَ عَلَـى العُمُـوْمِ
أَيَـا قَمَـراً رَعَـانِـي السُّقْـمُ فِيْـهِ ... وَعَلَّـمَ مُقْلَتِـي رَعْـيَ النُّجُـوْمِ
بِسِحْـرِ الجَفْـنِ رُعْـتَ كَلِيْـمَ قَلْبِـي ... وَكَيْـفَ نُفُـوْذُ سِحْـرٍ فِـي كَلِيْـمِ
وَأَسْهَـرَنِـي لَـدَيْـكَ رَقِيْـمُ خَـدٍّ ... فَـوَاعَجَبـاً أَأُسْهَـرُ بِـالـرَّقِيْـمِ
وَأَلْقَـى مِـنْ خُـدُوْدِكَ فِـي جَحِيْـمٍ ... وَفَـرْقُـكَ كَـالصِّـرَاطِ المُسْتَقِيْـمِ
سَبَـاكَ الخَمْـرِ حِيْـنَ سَبَيْـتَ عَقْلِـي ... لِيَمْـزِجَ مِثْـلَ رِيْقِـكَ لِـي نَـدِيْمِـي
وَلَـوْلا الخَمْـرُ مِثْـلُ لَمَـاكَ طِيْبـاً ... لَمَـا مِلْنَـا إِلَـى بِنْـتِ الكُـرُوْمِ
وَلَـو لَـمْ تُشْبِـهِ الغِـزْلانُ لَحْظـاً ... لَمَـا شِمْنَـا بِـرَامَـةَ لَحْـظَ رِيْـمِ
جَهِلْـتُ فَبَـانَ عَـنْ جَسَـدِي فُـؤَادِي ... وَأَقْبَـحُ مَـا يُـرَى جَهْـلُ الحَلِيْـمِ
وَإِنِّـي إِنْ رَضِيْـتُ سِـوَاهُ خِـلاًّ ... لَمُخْتَـارُ الشَّقَـاءِ عَلَـى النَّعِيْـمِ
وَمَـا حُكْـمُ الحِمَـامِ عَلَـى المُعَنَّـى ... بِـأَصْعَـبَ مِـنْ مُفَـارَقَـةِ الحَمِيْـمِ
أَمِيْـلُ إِذَا ذَكَـرْتُـكَ لِلتَّصَـابِـي ... كَمَيْـلِ الغُصْـنِ مِـنْ مَـرِّ النَّسِيْـمِ
وَيُبْكِيْنِـي بِعَـادِي كُـلَّ وَقْـتٍ ... بُكَـاءَ البُحْتُـرِيِّ عَلَـى نَسِيْـمِ

وأنشدني أيضًا له من أبيات: [من الكامل]

أَلِـفَ المَـلاَلَ فَمَـالَ عَـنْ مِيْثَـاقِـهِ ... رَشَـأٌ فِـرَاقُ النَّفْـسِ دُوْنَ فِـرَاقِـهِ
/ ٢٠١أ/ عَذْبُ اللَّمَى حُلْوُ الخِلالِ كَأَنَّمَا ... خُلِقَـتْ مَـرَاشِـفُ فِيْـهِ مِـنْ أَخْـلاَقِـهِ
جَـوَّالُ حَلْـيِ الخَصْـرِ أَخْـرَسَ صَبَّـهُ ... عَـنْ ذِكْـرِهِ السُّلْـوَانَ نُطْـقُ نِطَـاقِـهِ
يَفْتَـرُّ عَـنْ عَـذْبِ المَـرَاشِـفِ وَاضِـحٍ ... مُـرُّ الصَّبَـابَـةِ دُوْنَ حُلْـوِ مَـذَاقِـهِ
يَشْفِـي لَمَـاهُ سَلِيْـمَ عَقْـرَبِ صُـدْغِـهِ ... فَيَنُـوْبُ مِنْـهُ الـرِّيْـقُ عَـنْ دِرْيَـاقِـهِ
دَقَّـتْ مَعَـانِـي حُسْنِـهِ وَلِقَـدِّهِ ... عَبَـثَ الأَنَـامُ مِـنَ القَنَـا بِـدِقَـاقِـهِ
وَسِنَـانُ يُقْلِقُنِـي تَـوَعُّـدُ طَـرْفِـهِ ... وَيَـوَدُّهُ قَلْبِـي عَلَـى إِقْـلاَقِـهِ
يَهْـوَى المِطَـالَ وَلَـوْ بِـأَيْسَـرِ مَـوْعِـدٍ ... وَيَصُـدُّ حَتَّـى الطَّيْـفَ عَـنْ مُشْتَـاقِـهِ

وَقَفَ الجَمَالُ عَلَىٰ مَحَاسِنِ وَجْهِهِ حَتَّىٰ ظَنَنَّا الحُسْنَ مِنْ عُشَّاقِهِ
يَا مُحْرِقًا قَلْبًا أَقَامَ بِرَبْعِهِ أَلاَّ كَفَفْتَ جَفَاكَ عَنْ إِحْرَاقِهِ
أَطْلَقْتَ أَدْمُعَ عَيْنِهِ يَوْمَ النَّوَىٰ وَفُؤَادَهُ وَحَكَمْتَ شَدَّ وَثَاقِهِ
رِفْقًا بِصَبِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بَقَاءَهُ يَكْفِيهِ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَشْوَاقِهِ
أَسْهَرْتَهُ وَأَسَلْتَ مُقْلَتَهُ دَمًا أَتُرَىٰ ذَبَحْتَ النَّوْمَ فِي آمَاقِهِ

وأنشدني لنفسه، وقد نفذ له السلطان الملك الكامل خلعًا وخيلاً، وأنشده ذلك ارتجالاً: [من السريع]

/ ٢٠١ب/ يَا أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي مَدْحُهُ يَعْجِزُ عَنْ إِدْرَاكِهِ القَائِلُ
طُلْتَ مُلُوكَ الأَرْضِ فِي جُودِهِمْ وَعَمَّهُمْ مِنْ كَفِّكَ النَّائِلُ
مَا كُلُّ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُمْ لَمَا أَسْلَفْتَ يَا خَيْرَ الوَرَىٰ طَائِلُ
لأَنَّكَ البَدْرُ فَلاَ غَرْوَ أَنْ زَانَكَ مِنْ أَوْصَافِكَ الكَامِلُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة: [من الطويل]

تَبَدَّتْ فَأَوْدَىٰ بِالقَضِيبِ اعْتِدَالُهَا وَأَرْبَىٰ عَلَىٰ نَقْصِ الهِلاَلِ كَمَالُهَا
وَفَاهَتْ مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ بِمِثْلِهِ فَأَزْرَىٰ عَلَىٰ السِّحْرِ الحَرَامِ حَلاَلُهَا
فَمَا الحُسْنُ إِلاَّ مَا حَوَاهُ لِثَامُهَا وَمَا الغُصْنُ إِلاَّ مَا أَرَاهُ اخْتِيَالُهَا
مِنَ التُّرْكِ فِي رَشْقِ السِّهَامِ وَإِنَّهَا لَيُعْزَىٰ إِلَىٰ حَيِّ هِلاَلٍ هِلاَلُهَا
تَصُولُ بِمَيَّادِ القَوَامِ بِمِثْلِهِ يَكُرُّ إِلَىٰ قَتْلِ الرِّجَالِ رِجَالُهَا
وَمَا الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ إِلاَّ قَوَامُهَا فَصَعْبٌ عَلَىٰ غَيْرِ الجَلِيدِ اعْتِقَالُهَا
نَأَتْ دَارُهَا عَنِّي وَفِي القَلْبِ شَخْصُهَا فَحَمَّلَنِي ثِقْلَ الغَرَامِ احْتِمَالُهَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بَدْرَ السَّمَاءِ لَمَا غَدَا إِلَىٰ القَلْبِ بَعْدَ الطَّرْفِ مِنِّيَ انْتِقَالُهَا
فَذُلِّلْتُ فِي حُبِّي لَهَا فَتَذَلَّلَتْ . . . . . فِي الغَرَامِ دَلاَلُهَا
وَمِنْ عَجَبٍ أَخْشَىٰ مَعَ الهَجْرِ بُعْدَهَا وَمَا . . . . . يُرْجَىٰ فِي الدُّنُوِّ وِصَالُهَا
/ ٢٠٢أ/ وَمَا هِيَ إِلاَّ الشَّمْسُ يَدْنُو مَنَارُهَا وَيَبْعُدُ عَنْ أَيْدِي الرِّجَالِ مَنَالُهَا
مِنَ البِيضِ وَافَاهَا النَّعِيمُ فَعَمُّهَا وَزَيَّنَهَا فِي زِينَةِ الحُسْنِ خَالُهَا

وأنشدني لنفسه مما كتبه إِلىٰ محيي الدين يوسف بن زبلاق الكاتب الهاشمي

الموصلي وقد آذاه فرس بحافره: [من الوافر]

أَلاَ يَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى نَدَاهُ ... وَمَنْ عَمَّ البَرِيَّةَ بالنَّوَال
وَمَنْ إنْ هَزَّ فِي الجُلَّى يَرَاعاً ... خَضَعْنَ لِحَدِّهِ سُمْرُ العَوَالِي
وَمَنْ إنْ غَاصَ فِي بَحْرِ المَعَانِي ... خَجِلْنَ لِحُسْنِ مَنْطِقِهِ الَّلآلِي
أَتَيْتُكَ عَائِداً وَكُفِيتَ حَالاً ... تُعَادُ لأَجْلِهَا فِي كُلِّ حَال
[فَبَابِي مُنْذُ خِفْتُ عَلَيْكَ بَال ... وَحَالِي مِنْ مُصَابِكَ غَيْرُ حَالِي][1]
وَرُحْتُ وَبِتُّ فِكْرِي فِي اشْتِغَال ... عَلَيْكَ وَنَارُ قَلْبِي فِي اشْتِعَال
وَأُقْسِمُ مَا بِرَحْلِكَ نَيْلُ طَرْفٍ ... وَذِهْنُ ظَنَّ ذَلِكَ فِي ضَلاَل
وَلَكِنْ دَاسَ أَخْمُصُهَا الثُّرَيَّا ... وَجَازَ مَدَى الكَوَاكِبِ فِي المَعَالِي
وَطَالَ عَلَى الهِلاَلِ فَلَمْ يَنَلْهُ ... فَنَالَ الثَّأْرَ مِنْهُ أَخُو الهِلاَل

فأجابه محيي الدين الكاتب بديهًا: [من الوافر]

أَيَا رَبَّ البَلاَغَةِ فِي المَعَانِي ... وَمَرْضِيَّ المَكَارِمِ وَالمَعَالِي
/ ٢٠٢ب/ وَمَوْلَى كُلِّ إِحْسَانٍ وَبِرٍّ ... وَمُطْلِقَ كُلِّ شُكْرٍ مِنْ عِقَال
وَمَنْ أَرْبَى عَلَى الفُصَحَاءِ قَوْلاً ... وَزَادَ عَلَى الأَكَارِمِ فِي الفَعَال
لَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعَماً أَضَاءَتْ ... نُجُومُ سُعُودِهَا فِي لَيْلِ حَالِي
فَمِنْكَ عَلِمْتُ تَحْبِيرَ القَوَافِي ... وَعَنْكَ بَقِيتُ مَحْمُودَ المَقَال
أَأَحْمَدُ إنَّ مَجْدَكَ حَيْثُ أَهْوَى ... عَلِيٌّ عَنْ نَظِيرٍ أَوْ مِثَال
فَمَا أَرْجُو مِنَ الرَّحْمَانِ شَيْئاً ... سِوَى أَنِّي أَرَاكَ رَخِيَّ بَال
مُعَافَى الجِسْمِ مَكْبُوتَ الأَعَادِي ... مُوَقًّى مِنْ مُعَانَدَةِ اللَّيَالِي

وأنشدني لنفسه في غلام قصر شعره: [من الكامل]

قَصَّرْتَ شَعْرَكَ كَيْ تَقِلَّ مَلاَحَةً ... فَكَسَاكَ أَبْهَى الحُسْنِ وَهْوَ مُقَصَّرُ
وَقَطَعْتَهُ لِيَقِلَّ عَنَّا شَرُّهُ ... وَالأَيْمُ أَقْتَلُهُ القَصِيرُ الأَبْتَرُ[2]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) الأيم: الأفعى.

وأنشدني لنفسه في المعنىٰ: [من المجتث]

قَصَّرْتَ شَعْرَكَ حَتَّىٰ أميلَ عَنْكَ كَمَيْلِكْ
وَضَاعَ فِيْهِ سُؤَالِيْ لَمَّا عَلِقْتُ بِذَيْلِكْ
جَعَلْتَهُ بَعْدَ مَا كَانَ مِثْلَ لَيْلِيْ كَلَيْلِكْ

وأنشدني لنفسه أيضًا[1]: [من الطويل]

/٢٠٣أ/ حَلَلْتُ مِنَ المَلْكِ العَزِيْزِ بِرَاحَةٍ غَدَا لَثْمُهَا عِنْدِيْ أَجَلَّ الفَرَائِضِ
وَأَصْبَحْتُ مُفْتَرَّ الثَّنَايَا لأَنَّنِيْ حَلَلْتُ بِكَفٍّ بَحْرُهَا غَيْرُ رَائِضِ
وَقَبَّلْتُ سَامِيْ خَدِّهِ بَعْدَ كَفِّهِ فَلَمْ أَخْلُ فِيْ الحَالَيْنِ مِنْ لَثْمِ عَارِضِ

وأنشدني لنفسه بمدينة السلام في شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة يمدح الأمير العالم الكبير الأصفهسلار ركن الدين أبا شجاع أحمد بن قرطايا ـ أعز الله أنصاره وأعلىٰ مناره ـ: [من مجزوء الكامل]

بِلُمَىٰ مَرَاشِفِكَ العِذَابِ قَدْ لَذَّ لِيْ مُرُّ العَذَابِ
لَكَ رِيْقَةٌ مِثْلُ المُدَا مِ وَمَبْسَمٌ مِثْلُ الحَبَابِ
يَا صَاحِبَ الخَدِّ الَّذِيْ حَاكَى فُؤَادِيْ فِيْ التهَابَ
لاَ تَحْسَبَنْ سَمْعِيْ يُصِيْـ ـخُ إِلَىٰ العَوَاذِلِ فِيْ العِتَابَ
وَجْدِي مُقِيْمٌ وَاكْتِئَابِيْ فِيْ مَحَبَّتِكَ اكْتِئَابِيْ
وَالهَجْرُ دَأْبُكَ فِيْ الهَوَىٰ يَا قَاتِلِيْ وَالوَجْدُ دَابِيْ
مَنْ لِيْ بِأَهْيَفَ قَدُّهُ رَيَّانُ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ
/٢٠٣ب/ صَاحِيْ الفُؤَادِ تَخَالُهُ نَشْوَانَ مِنْ خَمْرِ الرُّضَابِ
كَلَفِيْ بِهِ فِيْ الحُبِّ لاَ كَلَفِيْ بِزَيْنَبَ وَالرَّبَابَ
قَمَرٌ سَعَىٰ فَمَدَامِعِيْ لِلْبُعْدِ عَنْهُ فِيْ انْسِكَابَ
مُنْهَلَّةٌ كَنَوَالِ رُكْـ ـنِ الدِّيْنِ أَوْ سَحِّ السَّحَابِ
مَلِكٌ غَدَا بَحْرُ النَّوَالِ بِكَفِّهِ طَامِيْ العُبَابِ
عَذْبُ الشَّرَابِ لِوَارِدِيْهِ وَغَيْرُهُ لَمَعُ السَّرَابِ

(١) الأبيات في الوافي ٨/ ١٠٤ والفوات ١/ ١٢٨.

مُعْطِي الرَّغَائِبِ لِلْعُفَاةِ ... وَوَاهِبُ الخَيْلِ العِرَابِ
أَلِفَ السَّمَاحَ فَرَبْعُهُ ... بِالْوَفْدِ مَأْهُولُ الجَنَابِ
جَمُّ الفَوَاضِلِ وَالقِرَىٰ ... عَالِي المَضَارِبِ وَالقِبَابِ
فَهْوَ اللَّبِيبُ الأَرْيَحِيُّ ... وَصَاحِبُ الحَسَبِ اللُّبَابِ
مَلِكٌ لَهُ مِنَنٌ كَأَطْوَاقِ الحَمَائِمِ فِي الرِّقَابِ
صَعْبُ الحِجَابِ وَدُونَهُ ... لِوُفُودِهِ سَهْلُ الحِجَابِ
لَيْثٌ يَصُولُ بِعَزْمِهِ ... بَأْسًا عَلَى الأُسْدِ الغِضَابِ
غَيْثٌ تَكَفَّلَ كَفُّهُ ... رِيَّ الأَبَاطِحِ وَالشِّعَابِ
فَتَرَاهُ مَرْجُوَّ النَّدَىٰ ... أَبَدًا وَمَخْشِيَّ العِقَابِ
/ ٢٠٤أ/ يَا مَاجِدًا أَوْصَافُهُ ... أَسْنَىٰ اجْتِلَابِي وَاحْتِلَابِي
يَا عَاقِرَ الكُومِ المُنِيفَاتِ الذُّرَى مِثْلَ الهِضَابِ
يَا مَنْ إِلَىٰ أَبْوَابِهِ ... دُونَ الوَرَىٰ نَصُّ الرِّكَابِ
أَنْزَلْتَنِي مِنْ ظِلِّ بَابِكَ فِي الأَنِيسِ المُسْتَطَابِ
وَمَنَحْتَنِي مِنْ بَعْضِ جُودِكَ مَا يَجِلُّ عَنِ الحِسَابِ
وَأَعَدْتَ لِي مِنْ لُطْفِ بِرِّكَ حُسْنَ أَيَّامِ التَّصَابِي
لُقْيَاكَ مَأْمُولِي وَمَا ... يُرْضِيكَ مِنْ أَسْنَى طِلَابِي
وَحِمَاكَ مَقْصُودِي وَبَابُكَ ... إِذْ يَجُورُ الدَّهْرُ نَابِي
أَنْسَيْتَنِي وَطَنِي وَأَغْنَانِي ... نَوَالُكَ عَنْ صِحَابِي
فَأَتَيْتُ مَحْمُودَ السُّرَىٰ ... وَرَجَعْتُ مَشْكُورَ الإِيَابِ
غَرِدًا بِمَدْحِكَ لَا أُحَابِي ... فِي هَوَاكَ وَلَا أُحَابِي
وَبِكَ اسْتَطَلْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَلَىٰ نَوَائِبِهِ الصِّعَابِ
يَا مَنْ مَوَاهِبُ كَفِّهِ ... فِي غَيْرِ جَدْوَاهَا ارْتِيَابِي
المَجْدُ نَابَ بِمَدْحِهِ ... عَنِّي فَأَحْسَنَ فِي المَنَابِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّ نَظْمَ الدُّرِّ نَابَ عَنِ السِّخَابِ
/ ٢٠٤ب/ إِذْ قَالَ مُنْتَدِبًا لِمَجْدِكَ ... بِالدُّعَاءِ المُسْتَجَابِ
لَا زِلْتَ تَخْتَطِفُ العِدَا ... بِشِهَابِ عَزْمٍ غَيْرِ نَابِي

فَـالضِـدُّ شَيْطَـانٌ وَأَنْـتَ ٱبـنُ الشِّهَـاب أَبـو الشِّهَـاب
وَكُنَـاكَ صَـارَ أَبَـا شُجَـاع وَالكُنَـى عَيْـنُ الصَّـوَاب
لمَّـا غَـدَوْتَ بصَعْـدَةً مثْـل الشُّجَـاع بـأَلْـف نَـاب
وَسقيـت مـنْ ضـربَ المَـلاَحـمِ لِلْعُطَـاش عَلَـى ظـرَاب
وَبكَـى عَلَـى بغـراسَ حيْـنَ أَخْفَنْتَهَـا حُصْـنُ الخَـوَابـي
وَغَـدَوْتَ فـي كُـلِّ العُلُـوْم مُكَمَّـلاً فَصْـلَ الخطَـاب
وَلَـدَيْـكَ مُسْنَـدُ أَحْمَـد يَـرْوِيْ صفَـاتـكَ فـيْ كتَـاب
وَلَـكَ الـوَجيْـزُ مـنَ النِّظَـام مُهَـذَّبـاً سَهْـلَ الجَـوَاب
وَلَـكَ الفَصيْـحُ مـنَ الكَـلاَم إِذَا بَـدَا مَـا فـيْ الـوطَـاب
إِيْضَـاحُ لَفْظـكَ مُجْمَـلٌ وَمُفَصَّـلٌ فـيْ كُـلِّ بَـاب
لاَ زَالَ مَجْـدُكَ سَـالمـاً فـيْ الـدَّهْـر مـنْ عَـار وَعَـاب

وقال أيضًا بمدح الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين / ٢٠٥أ/ ـ خلّد الله دولته ونشر بالنصر ألويته ـ: [من الكامل]

وَرْدُ الحَيَـاء بـوَجْنَتَيْـكَ نَضيْـرُ تـهْ مَـا لحُسْنـكَ فـيْ الأَنَـام نَظيْـرُ
يَـا مُضْعفـي مـنْ وَجْنَتَيْـه بمُضَعـف جُـوريَّـهُ أَبـداً عَلَـيَّ يَجُـوْرُ
حَتَّـى م أَحْـرَمُ مـنْ رُضَـابـكَ خَمْـرَةً مَـا ذُقْتُهَـا وأَنَـا بهَـا مَخْمُـوْرُ
غَـادَرتَ دَمْعـي بَعْـدَ بُعْـدكَ مُطْلَقـاً فَعَـلاَمَ قَلْبـيْ فـيْ يَـدَيْـكَ أَسيْـرُ
دَانَـتْ لـدَوْلَتـكَ القُلُـوْبُ مَحبَّـةً لاَ شَـكَّ إِنَّـكَ فـيْ المـلاَح أَميْـرُ
وَغَـدَتْ تُطيْعُـكَ للْجمَـال عَسَـاكـرٌ أَبـداً بهـنَّ عَلَـى القُلُـوْب تُغيْـرُ
مَـا قَـابَلَـتْ جَيْـشَ التَّصبُّـر مـنْ فَتًـى إلاَّ وَعَـاد وَقَلْبُـهُ مكْسُـوْرُ
مُخْضَـرُّ عَـارضـكَ الصَّقيْـل وَخَمْـرَةُ الخَـدِّ الأَسيْـل . . . . . تَشْهيْـرُ
أَصْبَحْـتَ يَـا مَلـكَ المَـلاَحَـة آمـراً فـيْ العَـاشقيْـنَ وَغَيْـرُكَ المَـأْمُـوْرُ
تُعْطـي المَحَـاسـنَ مَـنْ تَشَـاءُ مُحَكَّمـاً فـيْ الحُسْـن تَخْلَـعُ وَشْيَـهُ وَتُعيـرُ
فَـالْقَـدُّ رُمْـحٌ فيْـه وَجْهُـكَ طَلْعَـةٌ وَالشَّعْـرُ منْـهُ لـوَاؤُكَ المَنْشُـوْرُ
شُهـرَتْ صَـوارمُ مُقْلَتَيْـكَ عَلَـى الـوَرَى فَحَـديْثُهَـا فـيْ فَتْكهَـا مَشْهُـوْرُ
وَسَمَـتْ بـوَجْهـكَ للْمَحَـاسـنِ دَوْلَـةٌ خُـدَّامُهَـا دُوْنَ المـلاَحِ كَثيْـرُ

فِي الخَدِّ رَيْحَانٌ وَثَغْرُكَ جَوْهَرُ *** وَالخَالُ عَنبَرُ دُونَهُ كَافُورُ

/٢٠٥ب/ وبجَيْشِ حُسْنِكَ فَوْقَ خَدِّكَ عَارِضٌ *** بِالمِسْكِ أُثْبِتَ خَطُّهُ المَسْطُورُ

يَدْعُو النُّفُوسَ إِلَىٰ هَوَاكَ بِحَاجِبٍ *** أَبَداً بِتَعْذِيبِ النُّفُوسِ يُشِيرُ

وَحَمَيْتَ ثَغْرَكَ بِاللِّحَاظِ كَمَا حَمَىٰ *** دِينَ الهُدَى المُسْتَنْصِرُ المَنْصُورُ

القَائِمُ المَهْدِيُّ صَفْوَةُ رَبِّهِ *** فِي العَالَمِينَ وَهَدْيُهُ وَالنُّورُ

مَوْلًى إِذَا جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الوَرَىٰ *** فَنَدَاهُ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ يُجِيرُ

خَضَعَتْ لِدَوْلَتِهِ المُلُوكُ فَمَا لَهُمْ *** مِنْ بَأْسِهِ إِلَّا حِمَاهُ مُجِيرُ

القَهْرُ مَحْتُومٌ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ *** فَعَدُوُّهُ مِنْ نَفْسِهِ مَقْهُورُ

نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِنَصْرِهِ *** فَلَهُ المُهَيْمِنُ حَافِظٌ ونَصِيرُ

فَلَدَيْهِ مِنْ آيِ الكِتَابِ كَتَائِبٌ *** وَعَلَيْهِ مِنْ سِيرِ النُّبُوَّةِ سُورُ

بَدْرٌ أَقَلُّ عَطَائِهِ لَكَ بَدْرَةٌ *** حَبْرٌ أَنَامِلُ رَاحَتَيْهِ بُحُورُ

مُتَبَسِّمٌ لِلْقَاصِدِينَ فَبِشْرُهُ *** بِنَدَىٰ يَدَيْهِ لِقَاصِدِيهِ بَشِيرُ

هُوَ مُطْلِقُ العَانِي الأَسِيرِ وَعِنْدَهُ *** أَنَّ الكَثِيرَ مِنَ النَّوَالِ يَسِيرُ

أَخْلَاقُهُ وَنَدَىٰ يَدَيْهِ لِوَفْدِهِ *** وَالعَامُ أَغْبَرُ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ

لَيْثٌ تُحَاذِرُهُ اللُّيُوثُ مَهَابَةً *** غَيْثٌ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ مَطِيرُ

سُدَّتْ ثُغُورُ المُسْلِمِينَ بِعَزْمِهِ *** فَتَبَسَّمَتْ لِلنَّصْرِ مِنْهُ ثُغُورُ

/٢٠٦أ/ طَوْدٌ إِذَا عَاذَ المُسِيءُ بِحِلْمِهِ *** فَالذَّنْبُ مِنْهُ بِعَفْوِهِ مَغْفُورُ

أَبَداً تَخِفُّ لَهُ الشَّوَامِخُ خِيفَةً *** وَيَكَادُ يَذْبُلُ يَذْبُلٌ وَثَبِيرُ

طَالَتْ مَكَارِمُهُ الكِرَامَ فَقَدْ غَدَا *** عَنْهُ لِسَانُ الشُّكْرِ وَهْوَ قَصِيرُ

مِنْ مَعْشَرٍ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ *** فِي اللَّيْلِ لِلسَّارِي تَكَادُ تُنِيرُ

المُنْقِذِينَ مِنَ الضَّلَالِ وَمَنْ لَهُمْ *** غُرَرٌ تَكَادُ لَهَا النُّجُومُ تَغُورُ

وَهُمُ البُحُورُ إِذَا المَوَارِدُ أَعْوَزَتْ *** وَهُمُ إِذَا خِيفَ الضَّلَالُ بُدُورُ

وَهُمُ ظُهُورُ اللَّاجِئِينَ وَفِي الوَغَىٰ *** فَهُمُ القُلُوبُ وَفِي النَّدِيِّ صُدُورُ

فَقِرًى تَقَرُّ بِهِ العُيُونُ وَأَرْبُعٌ *** يَعْشُو إِلَىٰ نِيرَانِهَا المَقْرُورُ

أَحْيَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ زَمَانَهُمْ *** فَهُمُ وَإِنْ غَابَ الشُّخُوصُ حُضُورُ

وَلَهُمْ مِنَ المُسْتَنْصِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ *** بَحْرٌ نَمِيرٌ نَدَى يَدَيْهِ يَمِيرُ

فَمِنَ الخَلِيْفَةِ عَنْهُمُ خَلَفٌ لَهُمْ ... لَكِنْ تخالف أَعْصُرٌ وَدُهُوْرُ
وَافَى أَخيراً فِي الزَّمَانِ . . . . مَا ضَرَّهُ فِي عَصْرِهِ التَّأْخِيْرُ
هُوَ أَوَّلٌ فِي المَكْرُمَاتِ وَجُوْدُهُ ... خَتَمَ الكِرَامَ فَجَاءَ وَهُوَ أَخِيْرُ
طَوْلاً أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى الوَرَى ... وَعُلاً فَدُوْنَ مَحَلِّكَ التَّأْثِيْرُ
وَلآلِ رَبِّ العَرْبَشِ أَمْرُ عِبَادِهِ ... فَجَمِيْعُ مُلْكٍ غَيْرِ مُلْكِكَ زُوْرُ
/٢٠٦ب/ سَارَتْ بِسِيْرَتِكَ الرَّكَائِبُ فِي العُلاَ ... فَعَلَى زَمَانِكَ نَضْرَةٌ وَسُرُوْرُ
وَدَعَا تَبَسُّمُكَ العُفَاةَ إِلَى النَّدَى ... فَسُفُوْرُ وَجْهِكَ لِلْعُفَاةِ سَفِيْرُ
فَتَهَنَّ بِالشَّهْرِ الَّذِيْ فِي مِثْلِهِ ... أَبَداً يُضَاعَفُ سَعْيُكَ المَشْكُوْرُ
حَتَّى يَعُوْدَ عَلَيْكَ فِي أَمْثَالِهِ ... صَوْمٌ غَدَا مُتَقَبَّلاً وَفُطُوْرُ
فَتَمَلَّ بِالْعِيْدِ السَّعِيْدِ فَإِنَّهُ ... دُوْنَ الأَنَامِ إِلَى عُلاَكَ يُشِيْرُ
طَالَتْ فَضَائِلُهُ الفَضَائِلَ رُتْبَةً ... فَالْمَدْحُ فِي تَقْصِيْرِهِ مَعْذُوْرُ
لَوْ رَامَ يَمْدَحُكُمْ جَرِيْرٌ بَالِغاً ... أَقْصَى المَدَائِحِ مَا أَطَاقَ جَرِيْرُ

وأنشدني لنفسه في [غلام] يُعرف بالسُكّر، وكان صبيًا مليحًا جميلاً حين اختط عذاره، واسمه حسن[1]: [من مخلّع البسيط]

أَلْحَاظُ عَيْنَيْكَ فَاتِنَاتُ ... جُفُوْنُهَا الوُطْفُ فَاتِرَاتُ[2]
لِلْغُصْنِ مِنْ قَدِّكَ انْفِتَالُ ... وَالظَّبْيِ مِنْ جِيْدِكَ التِفَاتُ
وَالثَّغْرُ كَالثَّغْرِ فِي امْتِنَاعٍ ... يَحْمِيْهِ مِنْ لَحْظِكَ الرُّمَاةُ[3]
حَيَّاتُ صُدْغِيْكَ قَاتِلاَتٌ ... فَمَا لِمَلْسُوْعِهَا حَيَاةُ
فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَبْرِي ... مِنْكَ ثَنَايَا مُفَرَّقَاتُ
يَا حَسَنٌ صَدُّهُ قَبِيْحٌ ... فَجَمَّعُ شَمْلِي بِهِ شَتَاتُ
/٢٠٧أ/ الشَّمْسُ لَوْ حَاكَمَتْكَ حُسْناً ... قَضَتْ عَلَيْهَا لَكَ القُضَاةُ
قَدْ كُنْتَ لِي وَاصِلاً وَلَكِنْ ... عَدَاكَ عَنْ وَصْلِكَ العُدَاةُ
يَا بَدْرَ تَمٍّ لَهُ عِذَارٌ ... بِحُسْنِهِ تَمَّتِ الصِّفَاتُ

---

(١) ١٠ أبيات منها في الوافي ٨/ ١٠٥، والفوات ١/ ١٣١.
(٢) الوطف: جمع أوطف، وهو الكثير الشعر من الحواجب.
(٣) الثغر الأول للفم، والثغر الثاني موضع المخافة مما يلي العدو.

مُنَمْنَمُ الوَشْيِ فِي هَوَاهُ يَا طَالَمَا نَمَّتِ الوُشَاةُ
نَبَاتُ خَدٍّ حَلَاكَ حُسْناً وَالحُلْوُ فِي السُّكَّرِ النَّبَاتُ

وأُنشد لغزاً في الشبابة وهو[1]: [من الطويل]

وَنَاطِقَةٍ خَرْسَاءَ بَادٍ شُحُوبُهَا وتكَنَّفَهَا عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ
يَلَذُّ إِلَى الأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا (إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ)[2]

فقال: [من الطويل]

نَهَانِيْ النُّهَى وَالحِلْمُ عَنْ وَصْلِ مِثْلِهَا (فَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ)[3]

وقال أيضًا، وكتبه إلىٰ بدر الدين ابان الرومي كاتب الإنشاء بالديوان العزيز يذكر برسمه من الوزير نصير الدين بن الناقد سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من الكامل]

/٢٠٧ب/ يَا أَيُّهَا البَدْرُ المُنِيرُ وَمَنْ لَهُ أَعْلَىٰ المَرَاتِبِ فِيْ النَّدَىٰ والبَاسِ
أَنْتَ الَّذِي فَضَلَ الأَنَامَ فَذِكْرُهُ بَيْنَ الأَنَامِ مُعَطَّرُ الأَنْفَاسِ
لَوْلَا ذَكَاؤُكَ لَمْ يَقُلْ فِيْ شِعْرِهِ يَوْماً حَبِيبٌ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ
حَاشَاكَ أَنْ أُنْسَىٰ لَدَيْكَ وَلَمْ أَكُنْ أَبَداً لِشُكْرِكَ فِيْ المَحَافِلِ نَاسِي
فَإِلَىٰ مَتَىٰ الستري يغدوا مُنْشِدِي (مَا فِيْ وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ)
كُنْ مُذْكِرَ المَوْلَىٰ الوَزِيْرِ بِشَاعِرٍ جَزْلِ المَدَائِحِ فِيْ بَنِيْ العَبَّاسِ
فَمِنَ العَجَائِبِ وَالحَلَاوَةُ نِسْبَتِي أَنِّي أَذُوقُ مَرَارَةَ الإِفْلَاسِ

وأنشدني لنفسه في الأمير ركن الدين أبا شجاع أحمد بن قرطايا[4] ـ أيده الله ـ ويعرض في ذلك بذكر الموفق بن أبي الحديد: [من الوافر]

أَرُكْنَ الدِّيْنِ يَا أَسْنَى البَرَايَا وَأَسْمَىٰ النَّاسِ فِيْ كَرَمٍ وَجُودِ
وَخَيْرَ فَتًى لَهُ مِنَنٌ وَجُودٌ يُطَوِّقُ بِالمَوَاهِبِ كُلَّ جِيدِ

---

(١) في الوافي ٨/ ١٠٤، والفوات ١/ ١٢٨، «وأنشده بعض الأفاضل لغزاً في شبابه: البيتان».
(٢) عجز بيت لتأبط شراً، وصدره: «فذاك قريع الدهر ما عاش حوّل» والعجز الوارد هنا كما في الحماسة. انظر: ديوانه ص ٩٠.
(٣) عجز بيت لتأبط شراً من قصيدته السابقة، وصدره: «فأبت إلى فهم وما كنت آيبًا». انظر: ديوانه ص ٩٠.
(٤) ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ١٠٢.

يُخَــوِّفُنــي المُــوَفَّــقُ كُــلَّ وَقْــت ... وَيَــأْمُــرُنــي بتَجْــوِيْــدِ القَصِيْــدِ

وَقُلْــتُ لَــهُ قَصَــائِــدَ حيْــنَ تُجْلَــى ... كَنَثْــرِ الــدُّرِّ فــي نَظْــمِ العُقُــوْدِ

فلنــت أأذكــرتَ وَغَيْــرِ بــدْعٍ ... إذَا لاَنَ الحَــلاَوَةُ للْحَــديْــدِ

/ ٢٠٨أ/ وقال أيضًا: [من الطويل]

عَلمْتُ بــأَنَّــا صَــائِــرُوْنَ إلَــى الفَنَــا ... وَمَــا يَتَسَــاوَى عَــالِــمٌ وَجَهُــوْلُ

وَأَنَّــا وَإِنْ عِشْنَــا زَمَــانَــاً فَــإِنَّنَــا ... إلَــى المَــوْتِ مِــنْ بَعْــدِ البَقَــاءِ نَــؤُوْلُ

عَلَى الشَّمْسِ منَّا رَحْمَةٌ مَا دَجَا الدُّجَى ... وَمَــا حَــانَ مِــنْ شَمْــسِ النَّهَــارِ أُفُــوْلُ

فَتًــى كَــانَ أَهْــلاً للْجَمِيْــلِ وَفِعْلــه ... فَمَــا صَبْــرُنَــا عَنْــهُ الغَــدَاةَ جَمِيْــلُ

وَلَسنَــا مَخَــاريْقًــا عَلَــى فَقْــدِ هَــالِــكٍ ... وَظِــلُّ أَمِيْــرِ المُــؤْمِنِيْــنَ ظَلِيْــلُ

وَمَــا ضَــرَّنَــا أَعْمَــارُنَــا أَنْ تَقَــاصَــرَتْ ... وَعُمْــرُ أَمِيْــرِ المُــؤْمِنِيْــنَ طَــوِيْــلُ

وأنشدني لنفسه يمدح الملك الصالح ركن الدين عز الإسلام، وفخر الأنام جلال الدولة ناصر أمير المؤمنين إسماعيل بن المولى الملك الرحيم بدر الدين ـ شيّد الله قواعد دولته بمحمد وعترته ـ: [من الكامل]

هَــلْ للْمُتَيَّــمِ عَــنْ هَــوَاهُ عُــدُوْلُ ... وَشُهُــوْدُ أَدْمُعِــهِ عَلَيْــهِ عُــدُوْلُ

يُغْــرِيْــهِ تَفْنِيْــدُ الــوُشَــاةِ وَرُبَّمَــا ... أَغْــرَى المُحِــبَّ مُفَنِّــدٌ وَعَــذُوْلُ

يَــا لاَئِمَــيَّ فِيْمَــنْ كَلِفْــتُ بِحُبِّــهِ ... هَيْهَــاتَ عَــذْلُــكَ فــي الغَــرَامِ يَطُــوْلُ

/ ٢٠٨ب/ أَلْــزَمْتَنِي بِــالصَّبْرِ عَنْهُ تَجَلُّداً ... وَالصَّبْــرُ إلاَّ عَــنْ هَــوَاهُ جَمِيْــلُ

كَيْــفَ التَّسَتُّــرُ فــي الغَــرَامِ وَفَــاضِحِــي ... دَمْــعٌ عَلَــى الخَــدِّ الأَسِيْــلِ يَسِيْــلُ

وَبَلِيَّتِــي لَــدْنُ القَــوَامِ يَــزِيْنُــهُ ... خَصْــرٌ كَجِسْمِــي فِــي هَــوَاهُ نَحِيْــلُ

تَطَــقَ النِّطَــاقُ بِشَــرْحِ حَــالِــيَ عِنْــدَهُ ... لَمَّــا صَمَتْــنَ أَسَــاوِرٌ وَحُجُــوْلُ

يُحْمَــى بِعَسَّــالِ القَــوَامِ إذَا انْثَنَــى ... لَــدْنَ المَعَــاطِــفِ ثَغْــرُهُ المَعْسُــوْلُ

ظَبْــيٌ عَــنِ الصَّــبِّ الكَئِيْــبِ نَفَــارُهُ ... غُصْــنٌ عَــنِ الهِجْــرَانِ لَيْــسَ يَمِيْــلُ

جَهِلَــتْ عَلَــى قَلْبِــي رُمَــاةُ جُفُــوْنِــهِ ... فَعَــلامَ يَفْتِــكُ بِــالعَلِيْــمِ جَهُــوْلُ

وَرَنَــا عَــنِ اللَّحْــظِ الكَحِيْــلِ تَــزِيْنُــهُ ... سِنَــةٌ فَجَفْنِــي بِــالسُّهَــادِ كَحِيْــلُ

فــي خَــدِّهِ زَهْــرٌ يَــزِيْــدُ غَضَــاضَــةً ... لاَ يَعْتَــرِيْــهِ عَلَــى الــزَّمَــانِ ذُبُــوْلُ

جُــوْرِيٌّ وَرْدٍ مُضْعَــفٌ قُبْلَتُــهُ ... كَلِفًــا فَضَــاعَــفَ حُسْنَــهُ التَّقْبِيْــلُ

أَرْجُو ٱزْدِيَارَ الطَّيْفِ مِنْهُ تَعَلُّلاً ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حُبَّهُ التَّعْلِيلُ
أَوْ كَيْفَ يَنْعَمُ بِالزِّيَارَةِ مَانِعٌ ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَحُ بِالخَيَالِ بَخِيلُ
مَا لِي إِلَيْهِ وَقَدْ تَنَاءَتْ دَارُهُ ... إِلاَّ نُسَيْمَاتُ العَشِيِّ رَسُولُ
وَلِذَاكَ يُطْرِبُنِي النَّسِيمُ إِذَا ٱنْبَرَىٰ ... فَكَأَنَّ أَنْفَاسَ الشَّمَالِ شَمُولُ
رَشَأٌ بِهِ تَحْيَا الصَّبَابَةُ مِثْلَمَا ... أَحْيَا لَنَا الآمَالَ إِسْمَاعِيلُ
/٢٠٩أ/ الصَّالِحُ المَلِكُ الجَلِيلُ وَمَنْ بِهِ ... يُرْجَىٰ دِفَاعُ الخَطْبِ وَهْوَ جَلِيلُ
الأَلْمَعِيُّ يَحُلُّ كُلَّ عَظِيمَةٍ ... عَقْلُ البَلِيغِ بِمِثْلِهَا مَعْقُولُ
فَإِذَا ٱخْتَبَرْتَ ذَكَاءَهُ فِي مُشْكِلٍ ... طَرَدَ . . . . . ذِهْنُهُ المَصْقُولُ
مَلِكٌ لَدَيْهِ مِنَ السَّخَاءِ مَخَايِلٌ ... وَعَلَيْهِ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ دَلِيلُ
ذَرْبُ اللِّسَانِ يَحَارُ فِي أَوْصَافِهِ ... فَهْمُ البَلِيغِ إِذَا رَآهُ يَقُولُ
حُلْوُ الشَّمَائِلِ فِي السَّمَاحِ مُذَرَّبٌ ... جَمُّ الفَضَائِلِ فِي الفَخَارِ أَصِيلُ
فَالغَيْثُ مِنْهُ يَصُوبُ فِي يَوْمِ النَّدَىٰ ... وَاللَّيْثُ مِنْهُ عَلَى العُدَاةِ يَصُولُ
يَقِظٌ إِذَا شَغَلَ الجَهَالَةَ خِدْنَهُ ... بِالمَكْرُمَاتِ . . . . . مَشْغُولُ
ضَمِنَتْ لَنَا عَنْهُ النَّجَابَةَ أَنَّهُ ... يَسْمُو عَلَىٰ أَتْرَابِهِ وَيَطُولُ
مَلِكٌ تَبَيَّنَ فِي أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... أَنَّ المَمَالِكَ نَحْوَهُ سَتَئُولُ
أَلْقَىٰ تَمَائِمَهُ النُّهَىٰ فَاسْتَبْشَرَ ... السَّيْفُ الصَّقِيلُ بِأَنَّهُ المَحْمُولُ
وَنَضَا مَلاَبِسَ لِلصِّبَا مُتَدَرِّعًا ... حُكْمًا فَسُرَّ التَّاجُ وَالإِكْلِيلُ
حَازَ الفَصَاحَةَ وَالسَّمَاحَ فَلَفْظُهُ ... جَزْلٌ وَجُودُ نَدَىٰ يَدَيْهِ جَزِيلُ
مَا هَمُّهُ فِي نَاهِدٍ بَلْ هَمُّهُ ... نَهْدُ المَرَاكِلِ زَانَهُ التَّحْجِيلُ
كَلاَّ وَلاَ البِيضُ الرِّشَاقُ شَجُونَهُ ... لَكِنْ شَجَاهُ الأَبْيَضُ المَصْقُولُ
/٢٠٩ب/ لَهِجٌ عَلَىٰ صِغَرٍ بِكُلِّ بَدِيعَةٍ ... عَظُمَتْ فَحَارَ لِحَلِّهَا المَعْقُولُ
شِبْلٌ مِنَ الأَسَدِ الَّذِي أَظْفَارُهُ ... فِي يَوْمِ مَغْزَاهُ قَنًا وَنُصُولُ
فَلَهُ مِنَ البِيضِ الصَّوَارِمِ جُنَّةٌ ... وَلَهُ مِنَ السُّمْرِ اللَّهَاذِمِ غِيلُ
وَمُجَدَّلُ اللَّيْثِ الهِزَبْرِ يَمُدُّهُ ... كَفٌّ أَزَبُّ وَسَاعِدٌ مَجْدُولُ(١)

(١) أزب: خصيب.

مَلِكٌ لَهُ السَّيْفُ المُهَنَّدُ صَاحِبٌ أبداً وَمِنْ زَاكِي الخُيُولِ خَلِيلُ
مَا إنْ يَلَذُّ بِسَمْعِهِ يَوْمَ الوَغَى إلاَّ صَلِيلُ صَوَارِمٍ وَصَهِيلُ
كَلِفٌ بَعِيدُ المَكْرُمَاتِ فَقَلْبُهُ لاَ تَطَّبِيهِ الغَادَةُ العُطْبُولُ(١)
طَوْدٌ يَخِفُّ إلَى المَكَارِمِ عِطْفُهُ لكِنْ سُطَاهُ عَلَى العُدَاةِ ثَقِيلُ
كَرَمُ الأُبُوَّةِ ضَامِنٌ بِسُمُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مُتَوَّجٍ وَكَفِيلِ(٢)
فَبِكَفِّهِ مَاءُ السَّمَاحَةِ هَاطِلٌ وَبِوَجْهِهِ مَاءُ الحَيَاءِ . . . . .
أبْدَى شَمَائِلَ مِنْ أبِيهِ فَحَبْلُهُ بِوَلاءِ آلِ مُحَمَّدٍ مَوْصُولُ
فَهُمُ لَهُ سُفُنُ النَّجَاةِ إلَى الهُدَى وَهُمُ الوَسَائِلُ عِنْدَهُ وَالسُّولُ
يَا أيُّهَا المَلِكُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالبَأسِ سُمْرٌ لَهَاذِمٌ وَنُصُولُ
أنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكُلِّ مُمَنَّعٍ صَعْبِ المَرَاسِ وَجُودُكَ المَأمُولُ
وَعَلَيْكَ لِلْمَلِكِ الرَّحِيمِ شَوَاهِدٌ نَطَقَتْ بِأنَّ عَدُوَّكَ المَخْذُولُ
/٢١٠أ/ وَسَمَوْتَ فَالمُثْنِي عَلَيْكَ مُقَصِّرٌ أبداً وَبَاعُكَ فِي السَّمَاحِ طَوِيلُ

وأنشدني لنفسه، وكان قد خلع عله الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن يوسف ـ صاحب حلب ـ خلعة صفراء فلم يرضها فكتب إليه: [من الكامل]

يَا أيُّهَا المَلِكُ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالمَكْرُمَاتِ شَوَارِدُ الأخْبَارِ
وَالمُقْتَنِي حُسْنَ الثَّنَاءِ وَخَيْرَ مَنْ زُفَّتْ إلَيْهِ عَرَائِسُ الأفْكَارِ
مَا كُنْتُ أرْجُو أنْ تَكُونَ مَلاَبِسِي إلاَّ كَمَا ألْبَسْتُ مِنْ أشْعَارِي
ألْبَسْتُكُمْ حُلَلَ الثَّنَاءِ قَشِيبَةً كَالرَّوْضِ جِيدَ بِعَارِضٍ مِدْرَارِ
فَعَلاَمَ ألْبَسُ مِنْ فَوَاضِلِ جُودِكُمْ مَا لاَ يَلِيقُ بِهِمَّتِي وَفَخَارِي
صَفْرَاءَ آذَنَ لَوْنُهَا لَمَّا أتَتْ بِقُصُورِ حُجَّتِهَا عَنِ الأعْذَارِ
قَابَلْتُهَا بِيَدِ القَبُولِ وَإنَّمَا شِعْرِي تَأبَى أنْ تَكُونَ شِعَارِي
فَرَدَدْتُهَا وَلِسَانُ حَالِي مُنْشِدٌ (مَا فِي قُعُودِكَ عَارِيًا مِنْ عَارِ)

وكتب إلىٰ محيي الدين محمد بن سعيد بن أبي النداء الجزري الوزير، وكان قد

(١) تطبيه: تستميله.
(٢) القافية مكسورة.

أمر مشرفه /٢١٠ب/ علىٰ المطبخ أن يحمل إليه طعامًا وكان أحول فقصَّر فيه:

[من الطويل]

أَيَا مَاجِداً تُلْفَىٰ السَّمَاحَةُ وَالحجَىٰ ... وَبَدْرُ الدُّجَىٰ وَالبَأْسُ مَا بَيْنَ ثَوْبَيْه
أَأَشْكُو إِلَيْكَ البَاقِلاَنِيَّ لاَئِماً ... وَقَدْ رُحْتُ مُحْتَاجاً إِلَىٰ بِرِّ كَفَّيْه
يَجِيءُ إِلَيْنَا بِالقَلِيلِ يَظُنُّهُ ... كَثِيراً وَلَيْسَ الذَّنْبُ إِلاَّ لِعَيْنَيْه
وَمِنْ سُوْءِ حَظِّي أَنَّ رِزْقِي مُقَدَّرٌ ... بِرَاحَةِ شَخْصٍ يَنْظُرُ الشَّيءَ مِثْلَيْه

وأنشدني لنفسه في إنسان يدّعي معرفة العروض: [من الطويل]

وَقَالُوا غَدَا نَجْلُ الجُنَيْدِ مُصَنِّفاً ... عَرُوضًا وَبَعْضُ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ
يُقَطِّعُ أَعْرَاضَ البَسِيْطِ وَإِنَّمَا ... يُقَطِّعُهُ أَهْلُ البَسِيْطَةِ فِي العِرْضِ
لَقَدْ رُمِيَتْ بِالثَّلْمِ وَالخَرْمِ دُبْرُهُ ... كَمَا رُمِيَتْ كَفَّاهُ بِالكَفِّ وَالقَبْضِ

وقال فيه: [من السريع]

قَالُوا غَدَا ٱبْنُ الجُنَيْدِ مُنْفَرِداً ... مَا مِثْلُهُ فِي العُرُوْضِ مِنْ أَحَدِ
وَقَصْدُنَا مِنْكَ فَكُّ دَابِرِهِ ... وَهْوَ بَسِيْطٌ يُفَكُّ بِالوَتَدِ

وله فيه من أبيات: [من الوافر]

/٢١١أ/ أَرَيْنَاهُ الطَّوِيْلَ وَقَدْ أَرَانَا ... بَسِيْطاً شَكْلَ دَائِرَةِ المُذَالِ
نُقَطِّعُهُ بِأَسْبَابٍ خِفَافٍ ... عَلَىٰ الأَسْمَاعِ وَهْوَ مِنَ الثِّقَالِ

[١١٧]

أحمد بنُ بُورَانَ بن سنقرَ بنِ عبد الله، أبو عليٍّ بن أبي أحمدَ الموصليُّ، النقاشُ الدهانُ.

أخبرني أنّه ولد بالموصل في سابع عشر رجب سنة ستّ وتسعين وخمسمائة.

شاب من الأذكياء في صناعة التزويق والنقش وتصوير المدور والكتب وتذهيبها، فاق في ذلك علىٰ أهل زمانه لا يماثله أحد فيما يخترع من غرائب التزاويق، وبدائع التصاوير، ويكتب خطًا مليحًا، ويرجع في الشعر إلىٰ صحّة طبع، وسلامة قريحة في المنظوم.

أنشدني لنفسه يمدح الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين تاج الملوك وشرف السلاطين أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ أنفذ الله أمره ـ ويذكر الجوسق الذي أنشأهُ بظاهر البلد بالرضاصي / ٢١١ب/ ويصف ما فيه من التزاويق والتماثيل والبرك والبساتين وغير ذلك: [من الطويل]

تَبَلَّجَ صُبْحُ المُلْكِ بَعْدَ ظَلاَمِهِ ... وَبُدِّلَ عَنْ تَقْطِيْبِهِ بِابْتِسَامِهِ
وَجَمَّعَ أَشْتَاتَ التَّهَانِي نَظِيْمَةً ... وَشَتَّتَ عِقْدَ الهَمِّ بَعْدَ انْتِظَامِهِ
وَأَصْبَحَتِ الدُّنْيَا تَطِيْرُ بِأَهْلِهَا ... سُرُوْراً فَقَرَّتْ عَيْنُهَا بِدَوَامِهِ
بِمَلْكٍ أَقَامَ الدِّيْنَ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ ... وَأَنْصَفَهُ مِنْ بَعْدِ طُوْلِ اهْتِضَامِهِ
أَلاَ فَانْظُرُوا هَلْ نَالَ مِثْلَ مَنَالِهِ ... مَلِيْكٌ مَضَى أَوْ هَمَّ مِثْلَ اهْتِمَامِهِ
يُشَيِّدُ بِنَاءً لاَ تُرَامُ لِغَيْرِهِ ... شَوَاهِدُهُ فِي عَزْمِهِ وَمَرَامِهِ
تُخَبِّرُنَا أَنْ لَيْسَ قَصْدٌ كَقَصْدِهِ ... وَلَيْسَ غَرَامٌ بِالعُلاَ كَغَرَامِهِ
هِيَ الدَّارُ لاَ دَارٌ سِوَاهَا فَقِفْ بِهَا ... تَرَى مَنْظَراً بِاليُمْنِ حُسْنُ ابْتِسَامِهِ
تَطُوْفُ بِهَا الأَمْلاَكُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَمَا طَافَ إِبْرَاهِيْمُ حَوْلَ مَقَامِهِ
فَلاَ يْوَانُ لاَ إِيْوَانُ كِسْرَى بِبَابِلٍ ... لِمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ فُنُوْنِ رُخَامِهِ
إِذَا مَا رَنَا طَرْفٌ لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ ... يَعُوْدُ كَلِيْلاً دُوْنَهُ لَمْ يُسَامِهِ
. . . . . فِيْهَا البَرُّ وَالبَحْرُ عَامِراً ... بِحِيْتَانِهِ فِي عَامِرٍ بِنَعَامِهِ
تَلاَعَبَ فِيْهَا الضَّبُّ وَالنُّوْنُ دَائِباً ... فَمِنْ سَابِحٍ أَوْ سَائِحٍ فِي إِكَامِهِ
/٢١٢أ/ تَرَى الرَّوْضَ مَا أَبْدَى رَفِيْعَ سُقُوْفِهَا ... لَطَائِفَ مِنْ نُوَّارِهِ وَثَغَامِهِ
تَمِيْسُ غُصُوْناً لَمْ يَمِسْنَ وَمَا شَدَتْ ... عَلَى الأَيْكِ مِنْهَا طَائِرَاتُ حَمَامِهِ
فَكَمْ مِنْ نَدِيْمٍ أَوْطَأَ الكَأْسَ كَفَّهُ ... وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْتَشِفْ مِنْ مُدَامِهِ
وَهَيْفَاءَ أَمْسَتْ يُوْجِعُ العُوْدَ ضَرْبُهَا ... وَمَا هُوَ عَنْهَا مُفْصِحٌ بِكَلاَمِهِ
وَرِيْمٍ رَمَاهُ نَابِلٌ فَأَصَابَهُ ... وَمَا ذُعِرَتْ الآفُهُ مِنْ بُغَامِهِ
وَكَمْ مِنْ هِزَبْرٍ فَاغِرٍ فَاهُ طَالِبٍ ... كَمِيّاً عَلَى طِرْفٍ ثَنَى بِلِجَامِهِ
وَمِنْ بَاذِلٍ مَا نِيْطَ حَبْلُ عِقَالِهِ ... وَلاَ سَابِقٍ يُلْوَى بِجَرٍّ زِمَامِهِ
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ قَوَارِيْرَ كُوِّنُوا ... فَكُلٌّ يَرَى عَنْ حِلْمِهِ لاحْتِكَامِهِ
صَفَوا عَنْ يَدِ الأَكْدَارِ فَالسِّرُّ عِنْدَهُمْ ... مُذَاعٌ وَلَمَّا يُحْمَدُوا بِاكْتِتَامِهِ

فَكُلٌّ تَرَىٰ مَنْ جَاءَهُ مِنْ وَرَائِهِ   جَلِيّاً كَمَنْ قَدْ جَاءَهُ عَنْ أَمَامِهِ
لَدَىٰ بِرْكَةٍ حُفَّتْ بِوَشْيِ حَدَائِقٍ   يُخَجِّلُ زَهْرَ الرَّوْضِ حُسْنُ نِظَامِهِ
تَدُرُّ ضُرُوعاً لاَ يَمَلُّ رَضِيعُهَا   وَلاَ هِيَ تَدْعُوهُ أَلِيمَ فِطَامِهِ
تَدَافَقَ فِيهَا المَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ   فَيُطْرِبُ مِنْ تَصْفِيقِهِ وَانْتِظَامِهِ
إِذَا انْبَعَثَتْ فَوَّارَةٌ مِنْهُ مَنْبَعاً   تَخَالُ . . . . . مَا فَوَّقَتْ مِنْ . . . . . .
يَرُوعُ العَذَارَى الحَالِيَاتِ نَثِيرُهُ   فَتُدْرِكُ كُلٌّ عِقْدَهَا بِالْتِزَامِهِ
/٢١٢ب/ فَمِنْ كَامِلِ التَّثْمِينِ لاَقَىٰ مُسَدَّساً   فَوَافَقَ فِي التَّرْبِيعِ عِنْدَ لِحَامِهِ
كَأَنَّ مَدَارَ القُطْبِ وَجْهَ بِسَاطِهَا   تَرَىٰ الشُّهْبَ مِنْ وُحْدَانِهِ وَتُؤَامِهِ
تُصَدِّقُ إِنْ قُلْتُ السَّمَاءُ لأَنَّهُ   يُرَىٰ البَدْرُ فِيهَا كَامِلاً فِي تَمَامِهِ
مَلِيكٌ بَرَاهُ اللهُ لِلنَّاسِ رَحْمَةً   بِقَوْمٍ تَحَدِّي حِلِّهِ وَحَرَامِهِ
فَلِلْبِرِّ وَالحُسْنَىٰ بَنَانُ يَمِينِهِ   كَمَا ضَمِنَ الآجَالَ حَدُّ حُسَامِهِ
بِهِ خَتَمَ اللهُ الكِرَامَ لأَنَّهُ   رَأَىٰ كُلَّ خَيْرٍ فَضْلُهُ بِخِتَامِهِ
تَوَاضَعَ فِي عِزٍّ وَصَارَ مُحَارِباً   وَجَادَ احْتِسَاباً عِنْدَ إِقْتَارِ عَامِهِ
رَأَىٰ مِنْهُ تَحْتَ المُلْكِ مَا لَمْ يَحُلُّهُ   سُلَيْمَانُ فِي أَطْيَارِهِ وَهَوَامِهِ
فَأَشْرَفَ فِي الآفَاقِ نُورٌ مُمَلَّكٌ   سَنَى البَدْرِ فِي الظَّلْمَاءِ تَحْتَ لِثَامِهِ
فَعَلَّمَ مِنْهُ اللَّيْثَ بَأْساً وَجُرْأَةً   كَمَا عَلَّمَ الأَنْوَاءَ فَيْضَ سِجَامِهِ
كَمِيٌّ أَذَاقَ التُّرْكَ يَوْمَ نِزَالِهِ   مِنَ المَوْتِ كَأْساً مُرَّةً مِنْ زُؤَامِهِ
حَمَىٰ حَوْزَةَ الإِسْلاَمِ بِالبِيضِ وَالقَنَا   فَمَا ذَمَّ دَهْراً دَاخِلٌ فِي ذِمَامِهِ
وَمَا حَفِظَتْ أَهْلُ الثُّغُورِ ثُغُورَهَا   بِغَيْرِ مَوَاضِي حَدِّهِ وَاعْتِزَامِهِ
فَلِلذِّئْبِ بِرٌّ زَائِدٌ مِنْ شِرَاكِهِ   وَلِلنَّاسِ حَظٌّ زَائِدٌ مِنْ طَعَامِهِ
هَنِيئاً نَدَامَاهُ لَقَدْ نِلْتُمُ بِهِ   عَلَىٰ قِصَرِ الجَوْزَاءِ نَيْلَ سَنَامِهِ
/٢١٣أ/ بَلَغْتُمْ بِهِ أَقْصَىٰ الأَمَانِي فَحُبُّكُمْ   بِمَنْ جَرَّعَ الأَعْدَاءَ كَأْسَ حِمَامِهِ
جَوَادٌ بِهِ بُلِّغْتُ مَا كُنْتُ آمِلاً   فَأَصْبَحَ حَظِّي نَاقِهاً مِنْ سَقَامِهِ
يَجُودُ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ لِي مَوْعِدٌ   إِذَا الغَيْرُ خَلاَّبٌ بِلَمْعِ جَهَامِهِ
فَمِنْ أَجْلِ ذَا لَمْ يَشْكُ لِلْبَيْنِ مَرْكَبِي   مُجَاذِبُهُ مِنْ نِسْعِهِ وَزِمَامِهِ
وَمَا خَابَ طَرْفٌ فَازَ مِنْهُ بِنَظْرَةٍ   وَلَوْ شَامَهُ إِنْسَانُهُ فِي مَنَامِهِ

فَبُـورِكَ بُنْيَـانًـا وبُـورِكَ سَـاكِنًـا وَبَـوَّأَهُ الـرَّحْمَـانُ دَارَ سَـلاَمِـهِ
وَلاَ زَالَ مَـأْهُـولَ الجَنَـابِ مُـؤَيَّـداً مَمَـرَّ اللَّيَـالِـي دَائِمًـا بِـدَوَامِـهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

سَـلاَهُ هَـلْ عَـدَّ قَتْلِـي بِـالصُّدُوْدِ رِضَـا أَمْ سَـاخِطًـا كَـانَ فِـيْ أَمْـرٍ عَلَـيَّ قَضَـىٰ
كَلَّفْـتُ قَلْبِـي لَـدَيْـهِ الصَّبْـرَ مُعْتَـرِفًـا ..... كُلَّمَـا عَـايَنْتُـهُ انْتَقَضَـا
إِنِّـي لأَعْجَـبُ مِـنْ طَـرْفِ التَّجَلُّـدِ فِـيْ هَـوَاهُ يُعْثِـرُهُ وَجْـدِيْ إِذَا رَكَضَـا
وَعَـارِضٍ مِـنْ جُفُـوْنِـي كُلَّمَـا نَظَـرَتْ عَيْنَـايَ بَـارِقَ ثَغْـرٍ مِنْـهُ مُعْتَـرِضَـا
أَمَـا وَلَيْـلٍ كَحَظِّـيْ مِـنْ ذَوَائِبِـهِ عَلَـىٰ صَبَـاحٍ كَفَـرْقٍ فِـيْ الجَبِيْـنِ أَضَـا
لاَ كُنْـتُ مِمَّـنْ يُـرَىٰ فِـيْ الحُـبِّ مُبْتَـذَلاً عَنْـهُ وَلَـوْ جَـارَ أَوْ أَبْغِـيْ لَـهُ عِـوَضَـا

[١١٨]

أحمدُ بنُ إبراهيمَ بن أحمدَ / ٢١٣ب/ بن هبةِ الله بنِ الحسينِ بنِ الحسنِ، أبو العباسِ بنُ أبي إسحاقَ الموصليُّ.

منْ أبناء الرؤساء المتصرفينَ بالموصل.

أصل آبائه من الجزيرة العمرية، وانتقلوا إلىٰ الموصل وتولوا بها الأعمال الجليلة لبني أتابك؛ وهبة الله جدّه يعرف بالعفيف وبه يعرف بيتهم.

وأبو العباس أخبرني أنه ولد في شهر صفر سنة اثنتين وستمائة، ونشأ في طاعة الله تعالىٰ، والتمسك بآثار النبي ﷺ مع سداد وصلاح، وحفظ القرآن العزيز، وسمع الحديث علىٰ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، والنقيب أبي الفتوح حيدر بن محمد بن عبيد الله الحسيني، وصحبه مدّة. واستدعي إلىٰ ديوان الاستيفاء بعد موت والده فما أصاب وأعرض عن ذلك ورعًا وتدينًا ونزاهة نفس.

ثم تولّىٰ خزانة كتب المدرسة المولوية السلطانية البدرية المطلّة علىٰ دجلة ـ عمّرها الله ببقاء منشئها ـ.

وهو من سروات الناس وأماثلهم، وأماجد أهل بيته وأفاضلهم، ذو دين وافر، ونسك ظاهر / ٢١٤أ/ كثير الخير، واسع النفس، مهذّب الأخلاق؛ له بلاغة في

خطابة، وحسن عبارة، وخط رائق، وشعر مستحلى، ولم يكن يؤثر إظهار شيء من أشعاره، ولا يسمح عليّ بها فحيث طالع هذا الكتاب وتأمله قراءة شرَّفني ببيتين من قيله، وهما: [من الكامل]

وَجَمَعْتَ أَرْبَابَ الفَضَائِلِ والنُّهَىٰ ... فِي سِفْرِكَ الحَسَنِ الأَنِيْقِ الكَامِلِ
وَسَلَكْتَ أَجْمَلَ مَسْلَكٍ فِي وَصْفِهِ ... فَوُقِيْتَ لُؤْمَ العَائِبِ المُتَجَاهِلِ

[١١٩]

أحمدُ بنُ ملاعبَ بنِ علويٍّ أبو عليٍّ الإربليُّ.

أصلُهُ من الموصلِ.

شاب ملء بدنه، عبل الجسم، أسمر.

يحفظ من الحكايات المستظرفة، والنوادر الغريبة جملة. وكان كيسًا مطبوعًا مازحًا فيه دماثة ومداعبة، ولم يكن نظم الشعر من شيمته إلا [أنَّه] يقوله طبعًا.

كان يتولىٰ في الدولة الظاهرية عملاً، فحين جاءت الدولة المستنصرية عُزل عما كان عليه، وصار يكتب القصص بالأجر، واستُشهد بإربل حين دخلها التتار ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ سنة أربع وثلاثين وستمائة.

/ ٢١٤ب/ أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من الخفيف]

كَانَ ظَنِّي مَتَىٰ قَصَدْتُ عَلِيًّا ... فِي مُهِمٍّ يَبَرُّ لِي مَقْصُوْدِيْ
خَابَ ظَنِّي فَمَا عَلَيَّ جُنَاحٌ ... إِنْ تَوَالَيْتُ بَعْدَهَا لِيَزِيْدِ

وأنشدني لنفسه في قرد رآه راكب كلب، وناس يطوفون به الدروب والأسواق يتكسبون عليه رزقًا: [من الوافر]

وَأَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ رُكُوبَ قِرْدٍ ... عَلَىٰ كَلْبٍ يَطُوْفُ بِهِ المَغَالِقْ
وَمَاذَا بِالعَجِيْبِ فَكَمْ رَأَيْنَا ... كِلَابًا تَحْتَهَا دُهْمٌ سَوَابِقْ

وأنشدني لنفسه، وكتبه إلىٰ شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الطويل]

أَيَا شَرَفَ الإِسْلَامِ قَدْ مَسَّنِيْ الضُّرُّ ... فَلَا جَلَدٌ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَلَا صَبْرُ
أَجِرْنِيْ فَقَدْ أَضْحَىٰ الزَّمَانُ مُعَانِدِيْ ... وَحَسْبِيْ بِلَا منةَ أَيْسَرُهُ الفَقْرُ
وَمَاذَا احْتِيَالِيْ قَدْ بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ ... بِهَا حَسَدِي مضني وَقَدْ نَفِدَ العُمْرُ
وَحِيْدٌ وَمَعْيُوْلٌ وَطُوْلُ مطَالَةٍ ... دَهَانِيْ تَمَادِيْهَا وَقَدْ خَانَنِيْ الدَّهْرُ
/ ٢١٥أ/ وَكَمْ لِيْ أُسَلِّيْ النَّفْسَ عَمَّا أَصَابَنِيْ ... عَلَىٰ مَضَضٍ مِنِّيْ إِذَا هَاجَ بِيْ الفِكْرُ
أَقُوْلُ: اصْبِرِيْ بِاللهِ يَا نَفْسُ وَاعْلَمِي ... بِأَنَّ ابْنَ مَوْهُوْبٍ لَنَا فِيْ الوَرَىٰ ذُخْرُ
رَئِيْسٌ كَبِيْرٌ عَالِمٌ سَيِّدٌ مَعًا ... كَرِيْمٌ حَلِيْمٌ صَائِمٌ قَائِمٌ حَبْرُ
لَهُ عَزَمَاتٌ فِيْ النَّوَالِ مَتَىٰ دَنَا ... أَخُوْ عُسْرَةٍ مَغْنَاهُ حَلَّ بِهِ اليُسْرُ
فَلَوْ حَاتِمٌ فِيْ الجُوْدِ بَاقٍ بِعَصْرِهِ ... لَكَانَ لَهُ عَبْداً لَدَيْهِ وَلَا فَخْرُ
وَلَوْ أَنَّ كِسْرَىٰ عَاشَ فِيْنَا بِعَدْلِهِ ... لَبَانَ لَنَا مِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ كُفْرُ

ومنها:

فَخُذْهَا عَرُوْسًا طَفْلَةً فَجَهَازُهَا ... مَدِيْحُكَ وَالإِحْسَانُ مِنْكَ لَهَا المَهْرُ
وَعِشْ وَابْقَ فِيْ عَيْشٍ رَغِيْدٍ وَرِفْعَةٍ ... مَدَىٰ الدَّهْرِ مَا لَاحَ السَّمَا وَبَدَا البَدْرُ

وأنشدني لنفسه؛ وهو مما قاله علىٰ لسان مسعط: [من الكامل]

أَيَا عُدَّةَ المَوْلُوْدِ إِذْ هُوَ يَشْتَكِيْ ... ظَمَاءً فَأُوْرِدُهُ زُلَالَ المَاءِ
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّهُ يَشْتَاقُنِيْ ... أَدْنُوْ إِلَيْهِ فَيَنْثَنِيْ بِبُكَاءِ

[١٢٠]

أحمدُ بنُ جعفر بن الحسن بنِ علوان / ٢١٥ب/ بن حمزةَ بن سويدةَ التكريتيُّ الأَصلِ.

شيخ رديء العينين، عاميٌّ لم يعرف ما يقوّم به لسانه، بغدادي المولد والمنشأ والدار. وهو دلّال الكتب وبائعها.

لقي جماعة من شعراء العراق وروىٰ عنهم شيئًا من أشعارهم. وكان كثير التردد إلىٰ الموصل، ويقيم بها. ثم رحل عنها إلىٰ بغداد في تجارة الكتب، ولم تحمد طريقته مع الناس في معاملته؛ وربما يصدر عن خاطره أبيات قريبة. وأنا أستبعد هذا الشعر منه لكونه عاميًا لم يقرأ من الأدب شيئًا؛ سُئل عن مولده، فقال: في سنة ستين وخمسمائة.

وروى الحديث عن أبي القاسم سعيد بن أبي المكارم بن بركة النحاس، وسماعه صحيح.

أنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

قَدِمَ المُعِيْنُ فَأَشْرَقَتْ ... بَغْدَادُ إِذْ قَدِمَ المُعِيْنُ
فَأَمَارَنَا بِالبِرِّ حَتَّىٰ خِلْتُ مَنْهَلَهُ مَعِيْنُ
قَدْ كَانَ حَظِّي حِيْنَ وَافَىٰ مِنْهُ أَحْسَنَ مَا يَكُوْنُ
وبحست مِنْهُ الجَانِبَيْنِ ... وَذَاكَ عِنْدِيْ لا يَهُوْنُ

وأنشدني أحمد بن جعفر بن الحسن /٢١٦أ/ الكتبي لنفسه: [من الخفيف]

ذَهَبَ العُمْرُ بِالمُنَىٰ والتَّقَاضِيْ ... وَبِصَدِّ الحَبِيْبِ وَالإِعْرَاضِ
وَتَوَلَّىٰ عَصْرُ الشَّبَابِ وَمَا ... نِلْتُ مُرَادِيْ مِنْهُ وَلاَ أَنَا رَاضِيْ
وَتَبَدَّلْتُ بَعْدَ بَهْجَةِ لَوْنِيْ ... بِاصْفِرَارٍ وَلِمَّتِيْ بِالبَيَاضِ
أَفَأَرْجُو مِنْ بَعْدِ هَذَا بَقَاءً ... إِقْضِ يَا دَهْرُ فِيَّ مَا أَنْتَ قَاضِيْ

[١٢١]

أحمدُ بنُ أبي شجاعِ بنِ أحمدَ بنِ أبي البدرِ الدمشقيُّ، المعروفُ بالذهبيِّ.

نَسَبَ إِلىٰ بني تميمٍ نفسَه، وادَّعىٰ أن الحيصَ بيصَ الشاعرَ هو جدُّه من قبلِ الأمّ.

وأشعاره ضعيفة جداً، قليل الحظ من العربية ومعرفتها. وفي شعره لحن فاحش. يتشيّع ويقصد الناس بأقواله؛ وهو دميم الصورة، خفيف اللحية والعارضين، قبيح الهيأة، يفرط في الفحش، كثير الكذب، . . . . . في ذاته.

أنشدني لنفسه؛ وهو أصلح شعره، يستدعي صديقًا له: [من الخفيف]

نَحْنُ فِيْ مَجْلِسٍ حَكَىٰ الرَّوْضَ تَفْوِيفًا وَمَا فِيْ الرِّيَاضِ مَا هُوَ فِيْهِ
/٢١٦ب/ نَرْجِسُ الأَعْيُنِ المِرَاضِ وَتُفَّاحُ خُدُوْدِ الْحَاظِنَا تَجْتَنِيْهِ
ورِوامش سَوْسَنٍ يُخْجِلُ الخَيْرِيَّ فِيْ صِبْغِهِ الَّذِيْ يُبْدِيْهِ
وَنَدِيْمٌ قَدْ أَكْمَلَ اللهُ لِلأَنْفُسِ فِيْهِ جَمِيْعَ مَا يَشْتَهِيْهِ

وَمُدَامٌ أَرَقُّ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَادٍ أَلَحُّ مِنْ عَاذِلِيْهِ
لَمْ يَفُتْهُ مِمَّا تَجُرُّ المَسَرَّاتُ إِلَيْهِ إِلَّا حُضُوْرُكَ فِيْهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في غلام وضع في فمه درهمًا: [من السريع]

وَشَادِنٍ قَابَلْتُ فِيْ مَلْعَبِ ... وَهْوَ بِعَقْلِيْ تَائِهٌ يَلْعَبُ
فَقُلْتُ لَمَّا اخْتَالَ كَالغُصْنِ لَا ... أَجِيْءُ مِنْ وَجْدٍ وَلَا أَذْهَبُ
فَافْتَرَّ تِيْهًا فَبَدَا دِرْهَمٌ ... فِيْ فِيْهِ لِيْ مَبْسِمُهُ يَحْجُبُ
فَقُلْتُ هَذَا مَنْظَرٌ لَمْ يَجِدْ ... فِيْ النَّاسِ مِنْهُ قَبْلَهُ أَعْجَبُ
عَضَّ عَلَى حِقْفِ نَقًا فَوْقَهُ ... بَدْرُ دُجًى فِيْ وَسَطِ كَوْكَبُ

وأنشدني لنفسه في غلام اسمه موسى بخدِّه خال: [من السريع]

وَأَهْيَفَ القَدِّ عَلَى خَدِّهِ ... خَالٌ عَلَى سَفْكِ دَمِيْ عَوْنُهُ
/ ٢١٧أ/ فَهْوَ كَمُوسَى وَالعَصَا لَحْظُهُ ... وَقَلْبُ مَنْ يَهْوَاهُ فِرْعَوْنُهُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

سَقَى لَيْلَةً بِتْنَا لَهَا فِيْ مَسَرَّةٍ ... وَقَدْ غَفَلَ الوَاشِيْ وَنَامَ المُرَاقِبُ
أُقَبِّلُ وَرْدًا فَوْقَ خَدٍّ وَعَارِضًا ... أَسِيْلًا عَلَيْهِ العَنْبَرُ الرَّطْبُ ذَائِبُ
وَأَرْشُفُ رِيْقًا كَالأَقَاحِيْ وَأَجْتَلِيْ ... هِلَالًا أَنَابَتْ عَنْ دُجَاهُ الذَّوَائِبُ
ذُهِلْتُ بِهِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّنِيْ ... مِنَ الوَجْدِ فِيْ وَادٍ مِنَ الحِلْمِ ذَاهِبُ
وَحَتَّى حَسِبْتُ البَدْرَ يَدْنُو صَبَابَةً ... وَكَادَتْ بِأَنْ تَهْوِيْ إِلَيْنَا الكَوَاكِبُ

وأنشدني قوله: [من المنسرح]

وَزَائِرٍ كَالهِلَالِ وَاللَّيْلُ قَدْ ... جَرَّ عَلَى الخَافِقَيْنِ أَذْيَالَهْ
حَسِبْتُهُ حَيْثُ زَارَنِيْ قَمَرَ التَّمِّ لَهُ مِنْ عِذَارِهِ هَالَهْ

وأنشدني له: [من الطويل]

لَبِسْتُ جَدِيْدَ الحُبِّ لَمَّا تَعَرَّضَتْ ... عَلَائِقُ وُدٍّ قَبْلَهُ وَعُهُوْدُ
وَهَا أَنَا لَمَّا أَخْلَقَ العُذْرِ . . . . تَعَرَّضَ مِنِّيْ جَفْوَةٌ وَصُدُوْدُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِيْ لَمْ يُطِعْنِيْ عَلَى القِلَى ... وَهَا هُوَ طَوْعِيْ اليَوْمَ كَيْفَ أُرِيْدُ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

/ ٢١٧ب/ وَذِيْ هَيَفٍ مِنَ الأَتْرَاكِ وَجْدِيْ ... بِرَشْفِ رُضَابِهِ وَبِوَجْنَتَيْهِ
وَلَكِنِّيْ أُحَاذِرُ حَيْثُ يَرْنُو ... مُهَاجَمَةَ الرَّدَىٰ مِنْ مُقْلَتَيْهِ
أَقُوْلُ قَدْ ثَنَاهُ التِّيْهُ لِيْنًا ... وَجَاذَبَنِيْ تَأَوُّدُهُ إِلَيْهِ
فَوَا أَسَفِيْ عَلَىٰ عُمُرٍ أُقَضِّيْ ... بِجَفْوَتِهِ وَوَا حَرَبِيْ عَلَيْهِ
رَمَىٰ وَرَنَا فَكَانَ اللَّحْظُ أَوْدَىٰ ... بِقَلْبِ الصَّبِّ مِمَّا فِيْ يَدَيْهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الخفيف]

زَارَنِيْ خِلْسَةً مِنَ الرُّقَبَاءِ ... بَعْدَ مَطْلٍ مُبَرْقَعًا بِالحَيَاءِ
غَيْرَ أَنَّا لَمَّا انْدَفَعْنَا إِلَىٰ بَثِّ شَكَاةٍ مِنْ لَوْعَةٍ وَعَنَاءِ
أَبْعَدَتْنَا عَيْنُ الرَّقِيْبِ . . . . نَتَشَاكَىٰ بِاللَّحْظِ وَالإِيْمَاءِ

وأنشدني قوله أيضًا: [من مخلّع البسيط]

وَدِدْتُ لَوْ زَارَنِيْ حَبِيْبِيْ ... وَلَوْ خَيَالٌ بِلاَ رَقِيْبِ
فَوَالَّذِيْ بِالهَوَىٰ ابْتَلاَنِيْ ... وَوَكَّلَ القَلْبَ بِالوَجِيْبِ
مَا قُلْتُ: أَيَأْتِيْ الحَبِيْبُ إِلاَّ ... جَاءَ رَقِيْبِيْ بِلاَ حَبِيْبِ

[١٢٢]

أحمدُ بنُ داودَ بنُ بلالِ / ٢١٨أ/ بنِ معالي الإربليُّ، أبو العباسِ الخطيبُ المقرىءُ.

شاهدته كهلاً ضعيف النظر، إحدى عينيه نادرة. وهو دلال الكتب بمدينة إربل؛ من أهل العلم والقرآن وسمع الحديث كثيراً علىٰ جماعة.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا المَوْلَىٰ الَّذِيْ سَارَ ذِكْرُهُ ... وَأَثْقَلَنِيْ دُوْنَ البَرِيَّةِ بِرُّهُ
أُهَنِّيْكَ بِالعَامِ الجَدِيْدِ وَإِنَّمَا ... يُهَنَّيْ بِكَ العَامُ الجَدِيْدُ وَعَشْرُهُ

[١٢٣]

أحمدُ بنُ اسْفَنْديارَ بن الموفق بنِ أبي عليٍّ، أبو المكارمِ بنِ أبي الفضلِ البغداديُّ الواعظُ الصوفيُّ(١).

وسيأتي شعرُ والده في موضعه من هذا الكتاب(٢) ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

كانت ولادته في الثامن والعشرين من رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ببغداد، وتوفي بعد منصرفه من بغداد في أوائل شهر ذي القعدة من سنة تسع وثلاثين وستمائة.

شاهدته ببغداد؛ وهو متقدم الصوفية /٢١٨ب/ برباط الإرجوانية، وهو كهل حسن يروى عن أبي محمد إسماعيل بن أحمد الكاتب، وبالإجازةَ عن أبي الفرج بن كليب وغيرهما من المشايخ البَغداديين.

وكان حافظًا للقرآن الكريم، صحيح السماع والإجازة، واشتغل بفن الوعظ علىٰ أبيه؛ ولديه فضل وأدب، وقال الشعر ودوّن لنفسه ديوانًا يَشتمل علىٰ مجلدتين، ولم يودعه هجواً البتة.

وذكر لي ـ في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ـ أنَّ شعره يبلغ عشرة آلاف بيت.

---

(١) وهو البُوْشَنْجي. نسبة إلى بلدة بخراسان على فراسخ من هراة. «معجم البلدان ١/ ٧٥٨».
ترجمته في: تأريخ ابن كثير ٢٣/١٥٨. الوافي بالوفيات ٦/٢٤٨. الحوادث الجامعة ص١٣٣. مستدركات أعيان الشيعة ٧/ ١٨ نقلاً عن القلائد.
انظر: تأريخ إربل ١/ ٣٣٨ وفيه اسم والده «إِسْبَنْديار».

(٢) اسفنديار بن أبي علي الموفق بن محمد بن ططمش البوشنجي، أبو الفضل الواسطي البغدادي الواعظ.
ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣ وفيه: «نزيل بغداد، ذكره الشيخ محب الدين محمد بن النجار في تأريخه المذيل على تأريخ الخطيب وقال: كان أصله من بوشنج، وأنه ولد في بغداد في يوم الخميس سابع رجب سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وحفظ القرآن المجيد وجوّده، وأحكم التفسير، وقرأ الفقه، وصحب الشيخ صدقه بن وزير الواعظ، وسمع معه الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي ابن البطي، وعقد مجلس الوعظ بالتاجية مدة، ثم ترك ذلك واشتغل بالكتابة والإنشاء، ورتّب كاتبًا في ديوان الإنشاء في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين [وخمسمائة] وعزل وله نظم حسن». وله ترجمة في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٧ - ٢٧٨، وفيه: «اسفنديار بن الموفق بن علي بن محمد بن يحيى بن علي».
يبدو أن المؤلف ترجم له في الجزء الثاني المفقود.
كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٨ ـ ١٠.

وكان شيعي المذهب، غاليًا في الولاء.

أنشدني لنفسه يوم الأحد الحادي عشر من شهر رمضان بالجانب الشرقي من مدينة السلام بالرباط المقدم ذكره، وذلك في سنة تسع وثلاثين وستمائة، يمدح الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ خلّد الله ملكه ـ: [من البسيط]

قَضَى لَكَ اللهُ بالتَّأْيِيدِ وَالظَّفَرِ ... مَا لاَحَ فِي الأُفْقِ ضَوْءٌ مِنْ سَنَى القَمَرِ

خَلِيْفَةَ اللهِ يَا مَنْ نُوْرُ نَائِلِهِ ... جَلَّى غَمَامَةَ فَقْرِ البَدْوِ وَالحَضَرِ

. . . . . مَرْبَعِ الإِسْلاَمِ مُنْهَمِراً ... مِنْ جُوْدِكَ الغَمْرِ يُغْنِيْهِ عَنِ المَطَرِ

إِحْسَانُ مُسْتَنْصِرٍ بِاللهِ مُنْتَصِرٍ ... للهِ مُعْتَضِدٍ بِاللهِ مُقْتَدِرِ

/٢١٩أ/ فَلَوْ رَأَى زَمَنُ المَنْصُوْرِ صَوْبَ نَدَىً ... المَنْصُوْرِ لَمْ يُبْقِ مِنْ ضُرٍّ وَلَمْ يَذَرِ

إِمَامُ حَقٍّ رَآهُ اللهُ خَيْرَ بَنِي العَبَّاسِ مِنْ آمِرٍ مِنْهُمْ وَمُؤْتَمِرِ

فَنَاطَ حُكْمَ بَنِي الدُّنْيَا بِهِمَّتِهِ القُدْسِيَّةِ الحَدْسِ وَالأَوْهَامِ وَالنَّظَرِ

تَفْوِيْضَ رَاضٍ لَمَا أَوْلاَهُ مِنْ كَرَمٍ ... مَأْثُوْرَ سِيْرَتِهِ المَحْمُوْدَةِ الأَثَرِ

خَلِيْفَةٌ زَيَّنَتْ أَنْبَاءَ سِيْرَتِهِ ... مَحَاسِنَ الكُتْبِ وَالآثَارِ وَالسِّيَرِ

مُصَوَّرٌ فِي مَقَرِّ القُدْسِ مِنْ صُوَرٍ ... جَلَّتْ لِتَقْدِيْسِهَا مِنْ عُنْصُرِ الصُّوَرِ

فِيْ خَلْقِ يُوْسُفَ فِيْ أَخْلاَقِ أَحْمَدَ فِيْ ... حُكْمِ المَسِيْحِ المُصَفَّى مِنْ أَذَى الكَدَرِ

فَجَاءَ أَغْنَى بَنِي الدُّنْيَا بِسُؤْدَدِهِ ... عَنْ أَنْ تُعَرَّفَ بِالأَوْضَاحِ وَالغُرَرِ

يُنْسِي بِإِحْسَانِهِ الأَجْوَادَ مِنْ مُضَرٍ ... وَبِالسِّيَاسَةِ مَا قَدْ قِيْلَ عَنْ عُمَرِ

كَأَنَّهُ فِي مَعَانِي فَضْلِهِ مَلَكٌ ... وَإِنْ تَصَوَّرَ فِي مِلْكٍ مِنَ البَشَرِ

فَيَا أَبَا جَعْفَرٍ عُمِّرْتَ مُنْتَصِباً ... فِي سُدَّةِ المُلْكِ أَقْصَى مُنْتَهَى العُمُرِ

وَلاَ بَرِحْتَ لآفَاقِ العُلاَ فَلَكاً ... يُهْدِي سَنَى نُوْرِهِ لِلْشَّمْسِ وَالقَمَرِ

وَلاَ عَدَتْكَ تَهَانِي العِيْدِ وَافِدَةً ... مَا هَزَّتِ الرِّيْحُ مَيَّاداً مِنَ الشَّجَرِ

وَعِشْتَ عِيْداً لأَعْيَادِ البَرِيَّةِ مَا ... تَرَنَّمَتْ سَاجِعَاتُ الوُرْقِ فِي الشَّجَرِ

وَلاَ خَلاَ مِنْكَ دَسْتُ المُلْكِ مَا فَرَقَ الفَصِيْحُ مَا بَيْنَ لَفْظِ الغَمْرِ وَالغُمَرِ[١]

/٢١٩ب/ وَلاَ أَلَمَّتْ بِرَبْعٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... إِلْمَامَةٌ مِنْ مَجَارِي حَادِثِ الغِيَرِ

---

(١) الغَمْر: الماء الكثير، الغُمَر: القدح.

وَلاَ بَرِحْتَ لِبُرْجِ المَجْدِ نَيِّرَهُ العُلْوِيَّ مَا طَافَ وَفْدُ اللهِ بِالحَجَرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في مولانا أمير المؤمنين، وذكر أنه أنشدها بالمدرسة التاجيّة في يوم الغدير. وكان قد صادف ذلك اليوم مجلس الوعظ:

[من مجزوء الكامل]

لاَ تَسْقِ بِالقَدَحِ الصَّغِيْرِ مَنْ كَانَ ذَا خَطَرٍ كَبِيْرِ
إِنَّ الأَكَابِرَ لِلأَكَابِرِ وَالأَصَاغِرَ لِلْصَّغِيْرِ
وَأَدِرْ كُؤُوْسَكَ لاَ عَدِمْتُكَ مِنْ أُخَيَّ نَظَرٍ مُدِيْرِ
حَمْرَاءَ يُشْرِفُ مِنْ زُجَاجَتِهَا سَنَى القَمَرِ المُنِيْرِ
جَلَّتْ مَحَاسِنُ وَصْفِهَا عَنْ أَنْ تُشَبَّهَ بِالخُمُوْرِ
بِكْرًا إِذَا نَطَقَتْ حَكَتْ مَا كَانَ فِي قِدَمِ الدُّهُوْرِ
كَانَتْ وَلَمْ يَخْطُرْ وُجُوْدُ الكَوْنِ فِي نَفَسِ الضَّمِيْرِ
يُهْدِي إِلَى قَلْبِ الحَزِيْنِ حَدِيْثُهَا رُوْحَ السُّرُوْرِ
قُدْسِيَّةَ الأَوْصَافِ مَشْرَعُ وِرْدِهَا العَذْبِ النَّمِيْرِ
يَجْلُو العَمَى وَيُنِيْرُ بِالإِيْمَانِ أَوْعِيَةَ الصُّدُوْرِ
/ ٢٢٠أ/ فَإِذَا انْتَشَيْتُ مِنَ المُدَامِ وَمِسْتَ فِي حُلَلِ الحُبُوْرِ
وَأَرَتْكَ أَنْوَارَ الهُدَى بُخْلاً لَدَى النَّظَرِ البَصِيْرِ
فَاحْلِفْ بِمَنْ ظَهَرَتْ خَصَائِصُ فَضْلِهِ يَوْمَ الغَدِيْرِ
وَعَلاَ عَلَى كَتِفِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ البَرِّ الطَّهُوْرِ
وَأَبَادَ عَمْرًا بِالحُسَامِ المِقْصَلِ العَضْبِ الطَّرِيْرِ[1]
وَشَفَى بِقَتْلَةِ مَرْحَبٍ فِي خَيْبَرٍ قَلْبَ البَشِيْرِ
إِنَّ النَّدَى المُسْتَنْصِرِيَّ نَدًى يَجِلُّ عَنِ النَّظِيْرِ
جُوْدُ الخَلِيْفَةِ لاَ يُقَايَسُ بِالحَيَا الهَامِي الغَزِيْرِ
أَنَّى وَكَيْفَ وَفَضْلُهُ القُدْسِيُّ عَنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ
وَمَوَاهِبُ المَنْصُوْرِ لِلإِسْلاَمِ كَالحَامِي النَّضِيْرِ

(١) المقصل: القاطع.

مَــولًــى يَخَــافُ سُطَــاهُ قَلْــبُ البَــاسِــلِ الأَسَــدِ الهَصُــوْرِ
فَــاسْلَــمْ أَمِيْــرَ المُــؤْمِنِيْــنَ مِــنَ الــرَّدَىٰ حَتَّــىٰ النُّشُــوْرِ
فــي دَوْلَــةٍ آسَــاسُهَــا تَعْلُــو عَلَــىٰ الفَلَــكِ الأَثِيْــرِ
تُبْنَــىٰ دَعَــائِمُهَــا بِــرَأْيِ وَلِيِّــكَ المَــولَــىٰ الــوَزِيْــرِ
النَّــاصِــحِ البَــرِّ الــوَفِــيِّ الصَّــادِقِ العَــفِّ الضَّمِيْــرِ

/ ٢٢٠ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه في المستنصر بالله، وأنشدها بالبدرية الشريفة من لفظه: [من الخفيف]

لَسْــتُ أَخْشَــىٰ جَــوْرَ الــزَّمَــانِ وَإِنْ جَــارَ إِذَا كَــانَ عُــدَّتِــي المَنْصُــوْرُ
فَــإِلَيْــهِ تُعْــزَىٰ المَنَــاقِــبُ وَالفَضْــلُ وَعَنْــهُ يُــرْوَىٰ النَّــدَىٰ وَالخَيْــرُ
كَــالمَعَــالِــي حَيْــثُ اسْتَقَــرَّ اسْتَقَــرَّتْ وَالأَيَــادِي تَصِيْــرُ حَيْــثُ يَصِيْــرُ
جَــدَّدَ اللهُ مُلْكَــهُ أَلْــفَ عَــامٍ يَتَــوَالَــىٰ لِلْخَلْــقِ فِيْــهِ السُّــرُوْرُ
وَأَرَانَــا فِيْــهِ المُنَــىٰ وَوَقَــانَــا فِــي مَعَــالِــيْ جَــلَالِــهِ المَحْــذُوْرُ
وَجَــرَتْ بِــالَّــذِي تَنَشَّــا المَقَــادِيْــرُ وَوَاتَــاهُ بِــالمُنَــىٰ المَقْــدُوْرُ
أَنَــا أَدْعُــو وَاللهُ يَعْلَــمُ صِــدْقِــي فِــي وَلَائِــي وَمَــا يُجِــنُّ الضَّمِيْــرُ
يَــا إِمَــامَ الهُــدَىٰ الَّــذِي لِلْمَعَــالِــي بِمَعَــانِــي آرَائِــهِ تَــدْبِيْــرُ
رَجَــبٌ قَــدْ أَتَــىٰ يُبَشِّــرُ بِــالنَّصْــرِ فَنِعْــمَ الآتِــي وَنِعْــمَ البَشِيْــرُ
فَتَمَــلَّ الــزَّمَــانَ وَابْــقَ لِــدَهْــرٍ أَنْــتَ فِيْــهِ مُــؤَيَّــدٌ مَنْصُــوْرُ
فَبِكُــمْ يُجْبَــرُ الكَسِيْــرُ وَيَنْفَــكُّ الأَسِيْــرُ العَــانِــي وَيَغْنَــىٰ الفَقِيْــرُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

/ ٢٢١أ/ مَالِي أُلَامُ عَلَىٰ الهَوَىٰ وَأُعَنَّفُ مَا فِي العَوَاذِلِ فِي اللَّوَائِمِ مُنْصِفُ
أَيُلَامُ صَــبٌّ وَجْــدُهُ مُتَــوَقِّــدٌ وَسَحَــابُ مَــدْمَعِــهِ يَسُــحُّ وَيَــذْرِفُ
صَــبٌّ إِذَا ذُكِــرَ الحِمَــىٰ وَعُهُــوْدُهُ لِحِمَــىٰ العَقِيْــقِ وَرَامَــةٍ يَتَــأَسَّــفُ
حَيْــرَانُ لَا يَنْفَــكُّ مُــذْ شَحَــطَ النَّــوَىٰ بِــالظَّــاعِنِيْــنَ عَــنِ اللِّــوَىٰ يَتَلَهَّــفُ
يَــرْعَــىٰ النُّجُــوْمَ كَــأَنَّــهُ لِطُلُــوْعِهَــا وَغُــرُوْبِهَــا مُتَــرَصِّــدٌ مُتَكَلِّــفُ
شَــوْقًــا يُهَيِّجُــهُ إِذَا جَــنَّ الــدُّجَــىٰ نَشْــوَانُ مِــنْ خَمْــرِ المَــلَاحَــةِ مُخْطَــفُ
رَشَــأٌ لَــوَاحِــظُ طَــرْفِــهِ سِحْــرِيَّــةٌ وَبِفِيْــهِ لَــوْ بَــذَلَ المَــرَاشِــفَ قَــرْقَــفُ

رَشَــأٌ بِــهِ عُــرفَ المَــلاَحَــةُ مِثْلَمَــا ... بِشُحُــوبِــيَ الــوَجْــدُ المُبَــرِّحُ يُعْــرَفُ

[١٢٤]

أحمدُ بنُ الحسنِ بنِ عمرَ بنِ محمدٍ، أبو الفضلِ الأسفراييني.

نزيلُ ملطيةَ من بلادِ الرومِ[١].

شاب أشقر؛ شاهدته بالمدرسة النورية بحلب المنسوبة إلىٰ بني عصرون، وقد وردها صحبة القاضي تاج الدين يوسف بن عبد الصمد بن أبي بكر التَبريزي حين وافىٰ رسولاً من سلطان البلاد الرومية، وذلك في شهر ربيع الأول / ٢٢١ب/ سنة سبع وثلاثين وستمائة.

وأنشدني لنفسه ما تضمنت هذه شيئًا من شعره. وسألته عن ولادته، فقال: ولدت ليلة الجمعة رابع جمادى الأولىٰ سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

وشعره لم تكن عليه طلاوة، وتظهر فيه العجمة والتكلف، فمما أنشدني له قوله:

[من الطويل]

نَسِيْــمَ الصَّبَــا عَــرِّجْ عَلَــىٰ مَلَطِيَّــةٍ ... وَبَلِّــغْ سَــلاَمِــيْ أَهْلَهَــا وَتَحِيَّتِــيْ

وَخَصِّــصْ بِفَرْطِ الشَّوْقِ مِنْ بَيْنِ سِرْبِهِمْ ... غَــزَالاً أَرَانِــيْ البُعْــدُ عَنْــهُ مَنِيَّتِــيْ

وَقُــلْ بِلِسَــانِ الــذُّلِّ يَــا غَــايَــةَ المُنَــىٰ ... يَقُــوْلُ فُــلاَنٌ حَــلَّ فِيْــكَ رَزِيَّتِــيْ

تَمُــرُّ وَفِــيْ عَيْنِــيْ خَيَــالُــكَ غُــدْوَتِــيْ ... وَتُمْسِــيْ وَفِــيْ قَلْبِــيْ هَــوَاكَ عَشِيَّتِــيْ

نَسِيْــتُ وَطُــوْلُ العَهْــدِ مُنْسِــيْ عُهُــوْدَنَــا ... وَإِنِّــيْ عَلَــى الحَــالَيْــنِ أَخْلَصْــتُ نِيَّتِــيْ

وَعَنْــكَ عَلَــىٰ بُعْــدِ المَــزَارِ رُوَايَتِــيْ ... وَمِنْــكَ وَإِنْ طَــالَ البِعَــادُ رَوِيَّتِــيْ

نَسِيْــمَ الصَّبَــا تَــأْبَــىٰ القَبُــوْلَ تَخَيُّــراً ... وَإِلاَّ فَهَــا رُوحِــيْ إِلَيْــكَ هَــدِيَّتِــيْ

(١) انظر: معجم البلدان ٥/ ١٩٢.

[١٢٥]
أحمدُ بنُ عليٍّ بن أبي المكارمِ بنِ مسعودِ بنِ حمزةَ الموصليُّ، البغداديُّ الأصلِ، أبو العباسِ.

حفظ القرآن علىٰ والده، وعنده صدر حسن من العربية؛ / ٢٢٢أ/ ومولده سابع صفر سنة ثماني وتسعين وخمسمائة.

أنشدني قوله: [من الطويل]

وَإِنِّي لأَوْلَىٰ مَنْ تَفَيَّأَ ظِلَّكُمْ ... وَأَحْرَىٰ مَنِ ٱسْتَصْنَعْتُمُوهُ مَدَىٰ الدَّهْرِ
لأَنْشُرَ دِيوَانَ المَدَائِحِ فِيكُمُ ... وَلاَ طَيَّ بَعْدَ النَّشْرِ إِلاَّ إِلَىٰ الحَشْرِ
فَإِحْسَانُكُمْ عِنْدِي تَلِيدِي وَطَارِفِي ... وَمَعْرُوفُكُمْ يَسْرِي مَعَ العُسْرِ وَاليُسْرِ

[١٢٦]
أحمدُ بنُ أبي القاسم بن أحمدَ بن أبي القاسم بن نصر بن سعيد، أبو العباسِ المعروفُ والدهُ بالجَزارِ الموصليِّ، وأحمدُ يلقَّبُ كشاجم.

وهو شاب معاشر مسترفد بقوله لا غير، ينظم الشعر في الهجو والمدح والغزول وغير ذلك. وخُبرت أنَّه يُتهم في أشعاره، وينتحل أشعار الناس ويسرقها والله أعلم بصحة ذلك؛ وليست له حرفة يعتمد عليها سوىٰ التكسب بالشعر والاستجداء.

وسألته عن ولادته، فقال: ولدت سنة خمس وتسعين وخمسمائة بالموصل.

وأنشدني لنفسه يمدح الملك الأشرف ـ رحمه الله ـ: [من الكامل]

/ ٢٢٢ب/ دَانَتْ لِطَاعَةِ أَمْرِكَ الأَقْدَارُ ... وَجَرَىٰ بِمَا تَخْتَارُهُ المِقْدَارُ
وَبِيُمْنِ سَعْدِكَ أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي ... أَحْيَا العُلاَ فَلَكُ السُّعُودِ يُدَارُ
فَاحْكُمْ عَلَىٰ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ ... مِنْهَا بِجَدِّكَ كُلَّ مَا تَخْتَارُ
وَمِنَ القَضَاءِ بِمَا تَشَاءُ فَإِنَّهُ ... لَكَ وَالزَّمَانُ وَأَهْلُهُ الأَنْصَارُ
فَاسْعَدْ بِمُلْكِكَ وَالَّذِي أُوتِيتَ مِنْ ... نِعَمٍ بِهَا تُسْتَعْبَدُ الأَحْرَارُ
وَٱسْلَمْ إِلَىٰ يَوْمِ الحِسَابِ مُحَكَّمًا ... فِي العَالَمِينَ إِذَا أَلَمَّ بَوَارُ

وأنشدني لنفسه يمدح بعض الرؤساء: [من الخفيف]

حَكَّمَتْهُ لحَاظُهُ فِي القُلُوبِ فَحَمَتْهُ مِنْ كُلِّ لَحْظٍ مُرِيبِ
رَشَأٌ كَالْهِلَالِ وَجْهًا وكَالغُصْنِ قَوامًا وَرِدْفُهُ كَالكَثِيبِ
بَابِليُّ الجُفُوْنِ فِي وَجْنَتَيْهِ جَنَّةُ القَلْبِ فِي دِمَاءِ القُلُوبِ
أيُّهَا الهَائِمُ الَّذِيْ ظَلَّ فِيْ الحُبِّ ضَلالاً يَلُوْمُنِي فِيْ الحَبِيبِ
أنَا صَبٌّ بِهِ كَئِيبٌ وَكَمْ فِيْ يَدِهِ مِنْ فُؤَادِ صَبٍّ كَئِيبِ
مَا احْتِيَالِيْ وَالخَصْمُ قَاضٍ وَعِنْدِيْ مَرَضٌ دَلَّهُ عَلَيَّ طَبِيبِي
يَا أَخِلَّايَ هَلْ مُجِيبٌ خَلِيُّ البَالِ مِنْ حَرِّ لَوْعَةٍ وَوَجِيبِ
يَسْتَمِيلُ الحَبِيبَ أَوْ يُرْجَى لِوَاشٍ بِنَا أوْ يُغضُّ لَحْظَ الرَّقِيبِ
/ ٢٢٣أ/ وَغَزَالٍ تَرَاهُ فِي اللَّيْلِ بَدْراً فِيْ قَضِيبٍ يَسْعَى بِشَمْسِ الغُرُوبِ
كُلَّمَا رُمْتُ سَلْوَةً عَنْهُ وَافَى حُسْنُهُ شَافِعاً بِفَنٍّ غَرِيبِ
زَارَنِي والظَّلَامُ دَاجٍ فَأَغْنَى عَنْ سِرَاجٍ بِكَأْسِهِ المَقْطُوبِ
وَسَقَانِي إلَى الصَّبَاحِ مِنَ الرَّاحِ وَمِنْ رِيقِهِ بِكَأْسٍ وكُوبِ
حَبَّذَا مَا مَضَى لَنَا مِنْ زَمَانِ الوَصْلِ واللَّهْوِ بِالحِمَى والكَثِيبِ
حَيْثُ غُصْنُ الشَّبَابِ غَضٌّ وَرِيقٌ نَاعِمٌ لَمْ تُصِبْهُ عَيْنُ المَشِيبِ
وَالصِّبَا شَافِعٌ إلَى كُلِّ خَوْدٍ كَقَضِيبِ الأرَاكِ رُؤْدٍ كَعُوبِ
لَوْ تَرَاءَتْ لِلشَّمْسِ غَابَتْ وَإِنْ لَمْ يَدْعُهَا لِلْمَغِيبِ وَقْتُ المَغِيبِ
تَنْفُثُ السِّحْرَ مِنْ جُفُوْنٍ مِرَاضٍ فَاتِكَاتٍ بِكُلِّ سَهْمٍ مُصِيبِ
لَمْ تَذُقْ خَمْرَةً وَتَسْطُو بِقَدٍّ مِنْ حُمَيًّا كَأْسِ النَّعِيمِ شَرُوبِ
فِعْلُهَا بِالعُقُوْلِ أفْعَالُ تَاجِ الدِّيْنِ بِالفَقْرِ وَالعِدَا وَالخُطُوبِ
الوَزِيرِ الَّذِي يَحُلُّ بَنُو الفَاقَةِ مِنْ ظِلِّهِ بِنَادٍ رَحِيبِ
يَبْسِمُ الثَّغْرُ مِنْ مُحَيَّاهُ بِالآمَالِ وَالنُّجْحِ فِي الزَّمَانِ القَطُوبِ
كُلَّمَا جَادَ جَادَ مِنْ فَيْضِ نُعْمَى رَاحَتَيْهِ فَيْضُ السَّحَابِ السَّكُوبِ
جَلَّ مِنْ أنْ يُحَدَّ وَصْفاً فَأَضْحَى فِي الوَرَى وَاحِداً بِغَيْرِ ضَرِيبِ
/ ٢٢٣ب/ يَنْثَنِيْ عِطْفُهُ إذَا سَمِعَ المَدْحَ وَطِيبَ الثَّنَاءِ مِثْلَ الطَّرُوبِ
وَكَأَنَّ المَدِيْحَ إذْ صَارَ فِيْهِ نَشْرُ زَهْرٍ أوْ نَشْرُ مِسْكٍ وَطِيبِ

مَنَحَتْهُ الوَرَى ولاءً وَحُبّاً ... وَحَبَتْهُ طَبْعاً صَفَاءَ القُلُوبْ
ذُو يَدٍ تَغْمُرُ الوُفُودَ بجُودٍ ... طَافحٍ دَافقٍ غَزِيرِ القَلِيبْ
وَمَتَى أَجْدَبَ الزَّمَانُ أَنَخْنَا ... مِنْهُ آمَالَنَا بِرَبْعٍ خَصِيبْ
ملبسي مِنْ مَنَاقِبِ المَجْدِ عَارٍ ... فِي بَنِي الدَّهْرِ مِنْ جَمِيعِ العُيُوبْ
عَالمٌ بِالأُمُورِ وَالدَّهْرِ وَالغَامِضِ مِنْ كُلِّ كَائِنٍ وَالغُيُوبْ
عَزْمُهُ فِي الزَّمَانِ يَفْعَلُ مَا يَعْجِزُ عَنْ فِعْلِهِ شِفَارُ القَضِيبْ
فَاتَ رِيحَ الجَنُوبِ سَبْقاً وَهَلْ فَاتَ سِوَاهُ فِي السَّبْقِ رِيحَ الجَنُوبْ
نَافِذُ الأَمْرِ فِي الحُرُوبِ إذَا مَا ... نَبَتِ الزُّرْقُ وَالظُّبَى فِي الحُرُوبْ
أَيُّهَا السَّائِقُ الَّذِي يَقْطَعُ البِيدَ وَجَوْبَ الفَلاَ بِحَثِّ النِّيبِ[1]
نَادِ لِلْمَكْرُمَاتِ مَوْلاَيَ بَدْرَ الدِّينِ تَظْفَرُ مِنْهُ بِجَوْدٍ صَبِيبْ
وَسَحَابٍ هَامٍ وَطَوْدٍ أَشَمٍّ ... وَسَمِيعٍ لِكُلِّ دَاعٍ مُجِيبْ
أَيُّهَا المَالِكُ الَّذِي أَصْحَبَ الآمَالَ قَصْدِيَ فِي مَشْهَدٍ وَمَغِيبْ
أَنَا عَبْدٌ لَكُمْ بِوُدٍّ صَرِيحٍ ... مُحْكَمٍ فِي الأَنَامِ غَيْرِ مَشُوبْ
/ ٢٢٤أ/ فَانْظُرِ الآنَ فِي وَلاءِ مُحِبٍّ ... صَادِقٍ فِي الثَّنَاءِ غَيْرِ كَذُوبْ
وَافْتَقِدْنِي عَمَّا عَهِدْتَ بِجُودٍ ... مِنْ أَيَادِيكَ دَافِقِ الشُّؤْبُوبْ
وَابْقَ وَاسْلَمْ مَا لاَحَ نَجْمٌ وَمَا هَلَّ هِلاَلٌ فِي ظِلِّ عَيْشٍ رَطِيبْ

وله: [من الكامل]

امْدُدْ إِلَيَّ يَدَ السَّمَاحِ لأَنَّهَا ... عَوْنٌ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
تُولِي مَوَالِيكَ النَّوَالَ وَتَارَةً ... بِالبِيضِ تَفْتِكُ فِي طُلَى الأَعْدَاءِ

وأنشدني لنفسه من صدر مكاتبة: [من السريع]

وَانْتَحَبَ الرَّاوُوقُ فِي مَجْلِسٍ ... وطَافَ فِي المَجْلِسِ سَاقٍ بِرَاحْ
وَقَالَ عِنْدَ السُّكْرِ مُسْتَهْتِراً ... بِالرَّاحِ: هَذَا وَقْتُهَا لاَ بَرَاحْ
وَحَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى أَهْلِهِ ... وَأُحْيِيَتِ الجُودُ الأَكُفُّ السِّمَاحْ
ودَامَ فِي الأَرْضِ مَهَبُّ الصَّبَا ... وَاسْتَظْرَفَ النَّاسُ حَدِيثَ السَّمَاحْ

---

(١) النيب: جمع ناب، الناقة المسنة.

وَنَـاحَـتِ الـوُرْقُ وَرَاقَ الصَّبَـا ... وَشَـقَّ جَيْـبَ اللَّيْـلِ كَـفُّ الصَّبَـاحْ
وَأَمَّـلَ الجُـوْدَ فَتَـىً فَـاقَـةٍ ... وَتَـاهَ مِثْلِـي بِـالـوُجُـوْهِ الصِّبَـاحْ

وأنشدني لنفسه في الشيطان الشاعر، وقد توجه عن الموصل / ٢٢٤ب/ قاصداً مدينة إربل: [من الوافر]

سَـرَى الشَّيْطَـانُ عَـنْ بَلَـدٍ رَحِيْـبٍ ... إِلَـى ضَنْـكٍ وَجَـانَـبَ خَيْـرَ مَـالِـكْ
فَقُلْـتُ مُفَـارِقـاً جَنَّـاتِ عَـدْنٍ ... يُمَهِّـدُ مَنْـزِلاً فِـي قُـرْبِ مَـالِـكْ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من البسيط]

بَـاكِـرْ إِلَـى كَـأْسِ رَاحٍ بَـاتَ يَمْـزِجُهَـا ... بِـرِيْقِـهِ ثَمِـلُ الأَعْطَـافِ نَشْـوَانُ
فِـي خَلْقِـهِ رَوْضَـةٌ بِـالنُّـوْرِ مُشْـرِقَـةٌ ... وَفِـي خَـلاَئِقِـهِ حُسْـنٌ وَإِحْسَـانُ
فَثَغْـرُهُ أُقْحُـوَانٌ أَشْنَـبٌ عَطِـرٌ ... وَخَـدُّهُ الـوَرْدُ وَالتَّعْـذِيْـرُ رَيْحَـانُ
وَجَفْنُـهُ جَفْـنُ بِيْـضِ الهِنْـدِ مُصْلَتَـةً ... سِنَـانُ قَـامَتِـهِ الهَيْفَـاءِ وَسْنَـانُ
عَـلاَ عَلَـى رأسِـهِ شَـاشٌ حَـوَى عَجَبـاً ... فِيْـهِ لِعَـاشِقِـهِ كُفْـرٌ وَإِيْمَـانُ

[١٢٧]

أحمدُ بنُ عبد الرحمن بن إبراهيمَ بن أبي بكرِ بنِ خلّكانَ بنِ باوكَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ شاكلٍ الإربليُّ الأصلِ.

من أبناءِ الأكرادِ ومن بيتِ فقهٍ وعلمٍ.

شاب قصير يتزيّا بزي الأجناد.

أخبرني أنه ولد بالجزيرة العمرية يوم الخميس آخر النهار ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع / ٢٢٥أ/ وتسعين وخمسمائة، ولم يكن عنده ما عند أهله من الفقه.

أنشدني هذه الأبيات يرثي بها بعض بني عمّه، وليس هي من صالح الشعر؛ غير أنَّ في أبياتها أبياتًا قريبة.

رأيته بالموصل في رجب سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وأنشدني لنفسه:

[من الكامل]

عَظُـمَ المُصَـابُ فَعَـزَّ فِيْـهِ عَـزَائِـي ... وَتَبَـدَّلَـتْ عَبَـرَاتُنَـا بِـدِمَـاءِ

ومنها يقول:

وَتَصَرَّمَتْ لِفِرَاقِهِ نَارُ الجَوَىٰ ... وَتَأَجَّجَتْ فِي القَلْبِ وَالأَحْشَاءِ
وَٱسْتَوْحَشَتْ لَمَّا خَلَتْ أَوْطَانُهُ ... مِنْهُ وَحَلَّ الأُنْسُ بِالصَّحْرَاءِ
يَا أَيُّهَا الجَدَثُ الَّذِي صَفَحَاتُهُ ... صَدَفٌ لِسَتْرِ الدُّرَّةِ الغَرَّاءِ
أَتُرَاكَ تَعْلَمُ مَا حَوَيْتَ وَمَا ثَوَىٰ ... بِكَ مِنْ عَفَافٍ وَافِرٍ وَحَبَاءِ
لله قَبْرٌ طَيُّ سِرٍّ ضَمِيرِهِ ... أَصْلُ الفَخَارِ وَسَيِّدُ العُلَمَاءِ
يَا رَاحِلاً أَبْقَىٰ الغَرَامَ مُخَيِّمًا ... عِنْدِي وَبَانَ بِسَلْوَتِي وَعَزَائِي
قَدْ كُنْتَ قُرَّةَ كُلِّ طَرْفِ نَاظِرٍ ... فَالْيَوْمَ صِرْتَ قَذًى لِعَيْنِ الرَّائِي
أَتَفَقَّدُ الأَحْيَاءَ بَعْدَكَ لاَ أَرَىٰ ... هَيْهَاتَ مِثْلَكَ قَطُّ فِي الأَحْيَاءِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالُكَ أَنْتَ فِي ... ضِيقِ اللُّحُودِ ووَحْشَةِ الظَّلْمَاءِ
/ ٢٢٥ب/ فَعَلَيْكَ رُضْوَانُ الإِلَهِ وَرَحْمَةٌ ... تَأْتِيكَ فِي الإِصْبَاحِ وَالإِمْسَاءِ
مَوْلاَيَ إِبْرَاهِيمَ وَالشَّرَفَ الَّذِي ... أَضْحَى تحمل سَائِرَ الوُزَرَاءِ
اصْبِرْ عَلَىٰ هَذَا المُصَابِ تَجَمُّلاً ... فَالصَّبْرُ مَحْمُودٌ عَلَىٰ الضَّرَاءِ

وأنشدني أيضًا: [من الكامل]

يَا أَيُّهَا الأَسَدُ الَّذِي بِفَعَالِهِ سَادَ الوَرَىٰ ... بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ
الدِّينُ ثُمَّ المُلْكُ شَخْصٌ أَنْتَ مِنْهُ كَالنُّهَىٰ ... وَهْوَ المَحَلُّ الوَافِي
وَلأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ مَشَىٰ فِي عَصْرِنَا فَوْقَ الثَّرَىٰ ... مِن نَاعِلٍ أَوْ حَافِي
إِنِّي جَزِعْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَمِنْ شَمَاتَاتِ العِدَا ... إِذْ لَمْ يَكُنْ لِي شَافِي
حَتَّىٰ ٱنْتَمَيْتُ إِلَىٰ مِن التجي ... مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ جَافِي
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا يُسَاعِدُنِي عَلَىٰ دَهْرٍ جَنَى ... قِدْمًا عَلَىٰ الأَشْرَافِ
مِنْ أَفْخَرِ المَلْبُوسِ يَا أَسَدَ الشَّرَىٰ ... تَعْلُو بِهِ أَوْصَافِي
وَتَهَنَّ بِالشَّهْرِ الأَصَمِّ وَعِشْ مَتَىٰ هَبَّتْ صَبَا ... بِرَغِيدِ عَيْشٍ صَافِي

[١٢٨]

أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أبي الحسنِ بنِ بوبا، أبو العباسِ الإربليُّ.

كان والده كرديًا من قرية / ٢٢٦أ/ بنواحي إربل اسمها «حريرا».

اشتهر اسمه بعباس وبه يعرف عند أهل بلده.. هكذا أملىٰ عليَّ نسبه وخبّرني باسمه.

وهو فقيه حنفي مناظر، قرأ الفقه علىٰ جماعة من أئمة الفقهاء الحنفية، ودرس علم الأصول والخلاف والمنطق؛ وهو مع ذلك صالح عفيف الفرج، يحبّ الخمول، قليل المخالطة لأبناء هذا الزمان. وكان بيني وبينه صحبة بمدينة إربل أيام إقامتي بها.

أنشدني لنفسه من قصيدة يقول منها: [من الكامل]

رَفَعُوا القِبَابَ عَلَىٰ المَطِيِّ وَأَزْمَعُوا وَوَضَعْتُ مِنْ أَسَفِي عَلَى كَبِدِيْ يَدِيْ

صَاحُوا النَّوَىٰ فَوَقَفْتُ فِيْ آثَارِهِم أَبكِيْ الطُّلُولَ وَأَنْدُبُ البَانَ النَّدِيْ

أَخَذُوا بِأَكْنَافِ اللِّوَىٰ فِيْ سَيْرِهِمْ وَأَخَذْتُ أَخْذَةَ حَائِرٍ لاَ يَهْتَدِيْ

سَلُّوا مِنَ الحَدَقِ السُّيُوفَ وَأَغْمَدُوا بَيْنَ الجَوانِحِ جَمْرَةً لَمْ تَخْمُدِ

[١٢٩]

أحمدُ بنُ غزّي بن عربيّ بنِ غزي بنِ جميلِ بنِ نبيلِ بنِ هندامٍ، أبو العباسِ الموصليُّ الربعيُّ..

هكذا نسب لي نفسه لما سألته عنه.

شاب ثط[١] / ٢٢٦ب/ ربعة مائل إلىٰ السمرة، من أنشا المَواصلة. كان خبّازاً في مبدأ شأنه شخص هو وابوه وأهله إلى ديار مصر فسكنوها مُدة لما وقع الغلاء بالموصل في سنة اثنتين وعشرين وستمائة؛ فتعلّم بها طرفًا من العربية، وتأدّب وأخذ

(١) ثط: خَفَّ شعر لحيته أو حاجبيه.

نفسه بضاعة الشعر، ونظم منه ما استحلاه الأدباء، واستملحه الفضلاء.

وفيه ذكار حسن، وله بديهة جيدة إلاّ أنه كثير الإعجاب بقوله لا يرى أحداً فوقه من أبناء زممانه يطرب إذا أنشد أشعاره في وصفها والثناء عليها، والإسهاب في نعت معانيه، والمدح لجودة ألفاظه ومعانيه.

ومن شعره ما أنشدني لنفسه مبدأ قصيدة: [من الكامل]

وَحَيَاةِ وَوَجْهِكَ لَا أَرَدْتُ بَدِيْلَا ... أَبَداً عَلَيْكَ وَلَا أَطَعْتُ عَذُوْلَا
دِيْنِي هَوَاكَ فَكُنْ بِهَذَا وَاثِقاً ... مَنْ يَشْتَهِي عَنْ دِيْنِهِ تَحْوِيْلَا
يَا مُنْكِراً سَفْكَ الدِّمَاءِ بِلَحْظِهِ ... يَكْفِيْكَ خَدُّكَ شَاهِداً وَدَلِيْلَا
وَاللهِ مَا أَرْضَاكَ أَمْرٌ فِيْ الهَوَى ... إِلَّا وَكَانَ عَلَى الرِّضَا مَحْمُوْلَا
بِأَبِي غَزَالٌ لَمْ يَزَلْ بِصُدُوْدِهِ ... سَمْحاً عَلَيَّ وَبِالْوِصَالِ بَخِيْلَا
/٢٢٧أ/ وَأَغَنَّ مَا لِلْكُحْلِ فِيْ أَجْفَانِهِ ... خَطٌّ وَتَحْسَبُ جَفْنَهُ مَكْحُوْلَا
حَنِقُ اللِّحَاظِ عَلَى القُلُوْبِ كَأَنَّمَا ... قَتَلَتْ لِعَيْنَيْهِ القُلُوْبُ قَتِيْلَا
فِيْ خَصْرِهِ مَعْنًى دَقِيْقٌ لَمْ يَزَلْ ... خَطْبُ الغَرَامِ بِهِ عَلَيَّ جَلِيْلَا
وَوَرَاءَهُ رِدْفٌ ثَقِيْلٌ زَادَنِي ... عِبْئاً عَلَى عِبْءِ الصُّدُوْدِ ثَقِيْلَا
عَقَدَ البُنُوْدَ فَمَا رَآهُ حَازِمٌ ... إِلَّا وَأَصْبَحَ عَزْمُهُ مَحْلُوْلَا
وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ المُهَنَّدَ مُغْمَداً ... وَسَطَا بِسَيْفِ لِحَاظِهِ مَسْلُوْلَا
أَمْسَى قَلِيْلَ الحَظِّ مِنْهُ وَمَا أَرَى ... حَظِّيْ مِنَ العُذَّالِ فِيْهِ قَلِيْلَا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

تَظُنُّ الحُبَّ سَهْلاً يَا خَلِيْلِي ... وَتَحْسَبُ نَارَهُ نَارَ الخَلِيْلِ
وَمَا تَدْرِيْ بِمَا يَلْقَى مُحِبٌّ ... مِنَ الأَحْزَانِ فِيْ اللَّيْلِ الطَّوِيْلِ
أَمَا مِنْ مُنْصِفٍ مِنْ جَوْرِ ظَبْيٍ ... عَلَى قَتْلِ الضَّرَاغِمِ مُسْتَطِيْلِ
أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَوْقٍ عَزِيْزٍ ... رَأَى حكماً عَلَى دَمْعٍ ذَلِيْلِ
وَأَحْكَمُ فِيَّ مِنْ نُوَبِ اللَّيَالِي ... وَجَوْرِ الدَّهْرِ فِيْ مَالِ البَخِيْلِ
مُعَنِّفَتِي عَلَى سُقْمٍ بِجِسْمِي ... دَعِيْنِي مَا يُهِمُّكِ مِنْ نُحُوْلِي
أَمَا وَالحُسْنُ خلفه مُسْتَهَامٍ ... بِوَرْدِ الخَدِّ وَالطَّرْفِ الكَحِيْلِ

/ ٢٢٧ب/ يَمِينًا لاَ أطَعْتُكَ فِيْ مَلاَمٍ ... فَقُولِي مَا بَدَا لَكِ أنْ تَقُولِي
عَلَيَّ رِضَا الحَبِيْبِ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَلَيْسَ عَلَيَّ إرْضَاءُ العَذُوْلِ

وله : [من مجزوء الكامل]

وَحَيَاةِ فِيْكَ وَمَا حَوَىٰ ... قَسَمًا عَظِيْمًا فِيْ الهَوَىٰ
مَا ضَلَّ صَاحِبُ مُهْجَةٍ ... تَلِفَتْ عَلَيْكَ وَلاَ غَوَىٰ
يَا أيُّهَا القَمَرُ الَّذِيْ ... نَجْمُ السُّلُوِّ لَهُ هَوَى
مَاذَا أثَرْتَ عَلَىٰ القُلُوْبِ مِنَ الصَّبَابَةِ والجَوَى
بِأبِي وَأُمِّي غَادِرٌ ... رَفَعَ العِذَارُ لَهُ لِوَا
وَأغَنُّ فِي أرْدَافِهِ ... هُزْءٌ بِكُثْبَانِ اللِّوَىٰ
لَوْ أنَّ لِيْنَ قَوَامِهِ ... بِقَوَامِ غُصْنٍ مَا ذَوَى
قَدْ زَانَ مُشْبَعَ رِدْفِهِ ... خَصْرٌ يَبِيْتُ عَلَىٰ الطَّوَىٰ
أفْدِي الَّذِي نَادَيْتُهُ ... ورِكَابُهُ بِيَدِ النَّوَى
مَوْلاَيَ عِشْقُكَ نِيَّتِي ... وَلِكُلِّ عَبْدٍ مَا نَوَىٰ

[وله :] [من الوافر]

فُؤَادٌ لاَ يَقَرُّ لَهُ قَرَارُ ... وَوَجْدٌ لاَ يُلاَئِمُهُ اصْطِبَارُ
وَأجْفَانٌ مِنَ العَبَرَاتِ غَرْقَىٰ ... وَأحْزَانٌ لهَا فِيْ القَلْبِ نَارُ
. . . . لاَ يحب لها بدار
مَرَرْتُ بِقَبْرِهِ وَالدَّارُ قَبْرٌ ... وَرُحْتُ أهِيْمُ وَالقَبْرُ دَارُ
وَعُدْتُ وَلِلأسَىٰ عِنْدِيْ . . . . وَلِلْعَبَرَاتِ فِيْ خَدِّيْ انْتِشَارُ
وَكَيْفَ يَكُوْنُ وَالِدُهُ عَلَيْهِ ... وَكَيْفَ . . . .
وَمَا حَالُ الكَبِيْرِ إذَا عَرَتْهُ ... مِنَ الدُّنْيَا نَوَائِبُهَا الكِبَارُ
كَمَالَ الدِّيْنِ مِثْلُكَ مَنْ يُرَجَّى ... إذَا ضَنَّتْ بِنَائِلِهَا البِحَارُ
وَمِثْلُكَ مَنْ إذَا مَا نَابَ خَطْبٌ ... تُثَبِّتُهُ السَّكِيْنَةُ وَالوَقَارُ
وَجَارُ غَيْرِ مُخْتَصٍّ . . . . . وَأنْتَ ... .
فَكَيْفَ تَطَرَّقَتْ نُوَبُ اللَّيَالِيْ ... إلَيْكَ وَأنْتَ مِنْهَا المُسْتَجَارُ
أدَامَ اللهُ ظِلَّكَ مِنْ وَزِيْرٍ ... لَيَالِيْنَا بِنِعْمَتِهِ قِصَارُ

ودرجــت سطــايــا .... الليـــل النهـــارُ](١)

[١٣٠]

أحمدُ بنُ عبد الملك بن أبي منصور بن محمد بن أبي نصرٍ عليّ بن محمَد بن أحمَدَ بن أحمدَ، أبو العبَاسِ الهَمدانيٌّ الموصليٌّ، المعَروفُ بابنِ الخَميِّ الضرير.

كانت ولادته ـ فيما أخبرني من لفظه ـ ثاني عشر ربيع الأول سنة ستٍّ وسبعين وخمسمائة؛ وهو أحد القراء ..... بالمدرسة النورية بالموصل علىٰ تربتها.

صحب أبا حفص عمر بن أحمد النحوي مدة، وقرأ عليه جملة من علم العربية. من أهل الفهم والمعرفة، حافظ للقرآن العظيم؛ وفيه فضل وذكاء وعنده علم وأدب وحسن عشرة ولطافة، ويقول المقطعات الرائقة.

أنشدني من شعره: [من السريع]

وكُــلُّ مَــا تَعْلَمُــهُ يَــا فَتَــىٰ   عَلَيْــكَ مِــنْ رِزْقِــكَ مَحْسُــوْبُ
فَــلاَ تُــؤَمِّــلْ أَنْ تَــرَىٰ ثَــرْوَةً   فَــالــرِّزْقُ عَــنْ مِثْلِــكَ مَحْجُــوْبُ

[١٣١]

أحمدُ بنُ محمد بن إبراهيمَ بن أبي بكر بن خلّكانَ بن ياوكَ بن عبد الله بنِ شاكلِ بنَ الحسينِ بَنِ مالكٍ، أبو العباسِ بَن أبي عبدِ الله الإِربَليٌّ(٢).

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) في هامش الأصل: «هو قاضي القضاة أبو العباس أحمد قاضي دمشق، توفي إلى رحمة الله يوم السبت سادس وعشرين رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة بمدرسة النجيبي بدمشق المحروسة ودفن بكرة يوم الأحد بسفح جبل الصالحين، غربي الجبل، رحمه الله وآمنه وعفى عنه وعنا وعن المسلمين أجمعين. وكانت ولادته بإربل سنة ثمان وستمائة. وهو مؤلف كتاب «وفيات الأعيان»».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٩٧، ٢/ ٩٢، ٣٩٢. الوافي بالوفيات ٧/ ٣٠٨ ـ ٣١٦. فوات الوفيات ١/ ١٠٠ ـ ١٠٨. قضاة دمشق ص٧٦. طبقات السبكي ٥/ ١٤. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣، ٣٥٤. شذرات الذهب ٥/ ٣٧١. البداية والنهاية ١٣/ ٣٠١. طبقات الإسنوي ١/ ٤٩٦. العبر ٥/ ٣٣٤. حسن المحاضرة ١/ ٥٥٥. المختصــر لأبــي الفــداء ٤/ ١٧. مــرآة الجنــان ٤/ ١٩٣ ـ ١٩٧. =

/ ٢٢٨ب/ شاب من أحداث الإربليين. كانت ولادته ـ علىٰ ما أخبرني به من لفظه ـ يوم الخميس حادي عشر ربيع الآخر سنة ثماني وستمائة بإربل بالمدرسة المظفرية. وهو من بيت فقه وعلم.

وخرج عن إربل سنة ستٍّ وعشرين وستمائة طالبًا بلاد الشام، فنزل حلب وسكن المدرسة التي أنشأها القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي الأسدي.

وقرأ صدراً صالحًا من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن شابي بن الخبّاز الموصلي، وتميّز فيما قرأ عليه. وقرأ طرفًا من النحو علىٰ أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الحلبي النحوي.

وحفظ جملة من الأشعار الرقيقة، وقال شعراً حسنًا، وسمع بإربل في حال صغره مسند البخاري علىٰ أبي جعفر محمد بن هبة بن المكرم الصُوفي بروايته عن أبي الوقت السجزي؛ وغير ذلك من الأحاديث النبوية.

ورحل إلىٰ دمشق في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وامتدح السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن محمد بن أيوب بن شاذي / ٢٢٩أ/ ـ خلّد الله سلطانه ـ بهذه القصيدة الرائية، وأنشدنيها بحلب في المدرسة القاضوية البهائية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة. وبعد ذلك شخص إلىٰ الديار المصرية؛ وهو مقيم بها. وكانت أخباره ترد إلىٰ حلب بكل ما يسرّ القلب ـ بحمد الله تعالىٰ ـ:

[من الطويل]

هَوًى بَيْنَ أَحْنَاءِ الضُّلُوْعِ مُخَامِرُ وَفَرْطُ غَرَامٍ أَضْمَرَتْهُ السَّرَائِرُ

وَمَشْرَعُ حُبٍّ كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ صَفَتْ مَوَارِدُهُ أَبْدَتْ قَذَاهُ المَصَادِرُ

= الدارس ١/ ١٩١ ـ ١٩٣. مفتاح السعادة ١/ ٢٠٨، ٢٠٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٤٩ ـ ١٦٥. المنهل الصافي ٢/ ٨٩، روضات الجنات ٨٧ ـ ٨٩. وغيرها.

انظر: خاتمة ابن خلكان لكتابه وفيات الأعيان، وخاتمة الشيخ نصر الهوريني لطبعة بولاق سنة ١٢٩٩هـ، ومقدمة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد لطبعة الوفيات سنة ١٩٦٤م، ودراسة الدكتور إحسان عباس في مقدمة الجزء السابع ط بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢.

خَلِيْلَيَّ مَا بَالُ المُقِيْمِ مُعَطَّراً ... أُجَاوِرُ نَجْداً أَمْ أَضَاعَتْهُ حَاجِرُ

وَلاَ تَعْجَبَا إنِّي . . . . . فَإنَّنِي ... شَمَمْتُ الشَّذَا إذْ مَرَّ بِي وَهْوَ خَاطِرُ

تَضَمَّنَ نَشْرَ المَالِكِيَّةِ طَيَّهُ ... وَمَا آفَةُ الأَسْرَارِ إلاَّ النَّوَاشِرُ

نَشَدْتُكُمَا هَلْ بَعْدَ عَزَّةَ أَعْشَبَتْ ... عِرَاصُ الحِمَى أَمْ رَوَّضَ الجِزْعَ مَاطِرُ

وَهَلْ عَذَبَاتُ البَانِ صَوَّحْنَ بَعْدَهَا ... لِعُظْمِ الأَسَى أَمْ هُنَّ لُدْنٌ نَوَاضِرُ

إذَا أَوْمَضَ البَرْقُ اليَمَانِيُّ شِمْتُهُ ... بِرَجْعِ جُفُونٍ لَحْظُهَا مُتَخَازِرُ

أُرَدِّدُ فِيْهِ الطَّرْفَ حَتَّى كَأَنَّنِي ... إلَى ضَوْءِ ثَغْرِ المَالِكِيَّةِ نَاظِرُ

تُرَى تَسْمَحُ الأَيَّامُ يَوْماً بِزَوْرَةٍ ... فَيَنْعَمَ مَهْجُوراً وَيَنْعَمَ هَاجِرُ

/ ٢٢٩ب/ لَئِنْ نَزَحَتْ ذَاتُ الوِشَاحَيْنِ فَالجَوَى ... مُقِيْمٌ بِقَلْبٍ رَسْمُ مَغْنَاهُ كَاثِرُ

تَوَلَّتْ وَلَمَّا يَقْضِ مِنْهَا لُبَانَةً ... أَخُو أَسَفٍ يَلْقَى النَّوَى وَهْوَ صَابِرُ

يَحِنُّ اشْتِيَاقاً إنْ تَأَلَّقَ بَارِقٌ ... بِأَعْلاَمِ حُزْوَى أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرُ

غَرِيْبٌ ثَوَى بِالشَّامِ كَرْهاً وَقَلْبُهُ ... إلَى الشَّرْقِ فِي إثْرِ الظَّعَائِنِ سَائِرُ

يُمَنَّى بِطَيْفِ المَالِكِيَّةِ جَفْنُهُ ... وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ والطَّرْفُ سَاهِرُ

وَرَكْبٍ كَأَمْثَالِ السِّهَامِ تُقِلُّهُمْ ... نَوَاصِلُ آمَالِ الحَنَايَا ضَوَامِرُ

تَرَامُ جَنَاباً كَامِلِيّاً مُعَظَّماً ... لِهَيْبَتِهِ تَرْتَدُّ عَنْهُ النَّوَاظِرُ

إلَى ظِلِّ سُلْطَانٍ لِعِزِّ جَلاَلِهِ ... وَسَطْوَتِهِ تَعْنُو المُلُوكُ الجَبَابِرُ

إلَى الكَامِلِ المَلْكِ الَّذِي بَحْرُ جُودِهِ ... لِوُرَّادِهِ عَذْبُ المَذَاقَةِ وَافِرُ

هُوَ المُخْصِبُ الأَكْنَافَ وَالعَامُ مُجْدِبٌ ... وَمُخْجِلُ فَيْضَ السُّحْبِ والنَّوْءُ هَاجِرُ

لِمَيْتِ النَّدَى وَالحِلْمِ وَالعِلْمِ مُنْشِرٌ ... وَلِلْعَدْلِ فِي كُلِّ البَسِيْطَةِ نَاشِرُ

كَتَائِبُهُ أَنْصَارُ دِيْنِ مُحَمَّدٍ ... فَطُوبَى لِمَنْ أَضْحَى إلَيْهِ يُهَاجِرُ

لَقَدْ خَذَلَ البَاغِيْنَ مَنْصُورُ جَيْشِهِ ... وَلَكِنَّهُ لِلدِّيْنِ فِي اللهِ نَاصِرُ

فَرَدَّ وُجُوهَ القَوْمِ سُوْداً بِبِيْضِهِ ... فَعَادَ بِإفْرَاطِ الصِّغَارِ الأَكَابِرُ

وَفِي سُمْرِهِ حُمْرُ المَنَايَا فَمَنْ سَطَا ... ثَعَالِبُهَا تَخْشَى اللُّيُوثُ الخَوَادِرُ

/ ٢٣٠أ/ وَلَمْ يَلْقَهُ الأَعْدَاءُ إلاَّ لِعِلْمِهِمْ ... بِمَا يَقْتَضِيْهِ حِلْمُهُ وَهْوَ قَادِرُ

يُسِيءُ إلَيْهِمْ بَأْسُهُ وَهْوَ غَائِبٌ ... وَيُحْسِنُ فِيْهِمْ عَفْوُهُ وَهْوَ حَاضِرُ

وَيُرْبِي عَلَى الطَّوْدِ الأَشَمِّ وَقَارُهُ ... وَقَدْ سَمِتَ ضَرْبَ الرِّقَابِ البَوَاتِرُ

إِلَيْـكَ ٱبْـنَ أَيُّـوبَ سَمَـتْ بـيَ هِمَّـةٌ هَـدَاهَـا ضِيَـاءٌ مِـنْ جبِيْنِـكَ ظَـاهِـرُ
وَمَـا أثبـتَ الأَخْبَـار فـيْ . . . . . لَـدَىٰ النَّـاس إلاَّ جُـوْدُكَ المُتَـوَاتِـرُ
وَلَـوْلاكَ مَـا كُنَّـا نُحَقِّـقُ أنَّـهُ يَفُـوقُ المُلُـوْكَ الأَوَّلِيْـنَ الأَوَاخِـرُ
فَمَـا قَـدْرُ وُسْعِـيْ إنْ أَتَيْتُـكَ مَـادحـًا بنَظْـمٍ وَلَـوْ أنَّ الكَـلاَمَ جَـوَاهِـرُ
فَـلا زِلْـتَ مَنْصُـوْراً وَلِلْـدِّيْـنِ نَـاصِـراً وَضِـدُّكَ مَقْهُـوْرٌ وَجَـدُّكَ قَـاهِـرُ

وسمع قول ابن الساعاتي[1]: [من الكامل]

لمَّـا رَأَيْـتُ هِـلاَلَ وَجْهِـكَ آفِـلاً وَرَأَيْـتُ خَـدَّكَ قَـدْ عَـلاَهُ قَتَـامُ
عَـرَّجْـتُ بِـالـوَجَنَـات أَنْـدُبُ رَسْمَهَـا (يَـا دَارُ مَـا صَنَعَـتْ بِـكِ الأَيَّـامُ)[2]

فعمل هذه الأبيات:

لمَّـا رَأَيْـتُ دِيَـارَ وَجْهِـكَ أَوْحَشَـتْ أَرْجَـاؤُهَـا وَتَنَكَّـرَتْ أَعْـلاَمُهَـا
أَنْشَـدْتُ فِـي عَـرَصَـاتِهَـا مُتَـرَنِّمـًا (عَفَـتِ الـدِّيَـارُ مَحَلُّهَـا فَمُقَـامُهَـا)[3]

وقال: [من البسيط]

/ ٢٣٠ب/ لمَّا نَظَرْتُ إِلَىٰ أَرْجَاء وَجْنَتِه وَرَسْمُهَـا طَـامِسٌ مَحَّـتْ عَـلاَئِمُـهُ
ظَلَلْـتُ أَنْـدُبُـهُ شَجْـواً وَأُنْشِـدُهُ: يَـا مَنْـزِلاً بِـاللِّـوَىٰ أَقْـوَتْ مَعَـالِمُـهُ

وقال: [من الطويل]

أَلاَ يَـا حَمَـامَـاتٍ بِمُنْعَـرَجِ اللِّـوَىٰ إِلَيْكُـنَّ عَـنْ شَـوْقِـيْ وَعَـنْ بُـرَحَـائِـيْ
فَمَـا الـوَجْـدُ مِنْكُـنَّ الغَـدَاةَ مُبَـرِّحـًا كَـوَجْـدِيْ وَلاَ تَبْكِيْـنَ مِثْـلَ بُكَـائِـيْ

وقال أيضًا يرثي الملك العزيز محمد ـ صاحب حلب ـ: [من الطويل]

هَـوَىٰ مِـنْ نِظَـامِ المُلْـكِ وَاسِطَـةُ العِقْـدِ وَلَـمْ يَـكُ مِـنْ صَـرْفِ المَنِيَّـةِ مِـنْ بُـدِّ

---

(١) علي بن محمد بن رستم بن هَردوز، ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٣٨٩.
(٢) ما بين القوسين صدر بيت لأبي نؤاس، عجزه:
. . . . «ضـامتـك والأيـام ليـس تضـام»
انظر: ديوانه ٤٠٧.
(٣) ما بين القوسين صدر بيت للبيد بن ربيعة العامري، عجزه:
. . . . «بمنـىً تـأبـد غـولهـا فـرجـامهـا»
انظر: ديوانه ١٦٣.

فَمَا لِلرِّمَاحِ السُّمْرِ مُشْرَعَةَ القَنَا ... وَمَا لِلصِّفَاحِ البِيْضِ مُرْهَفَةَ الحَدِّ
أَمِنْ بَعْدِ فُقْدَانِ العَزِيْزِ مُحَمَّدٍ ... تَدُوْرُ رَحَى حَرْبٍ عَلَى صَافِنٍ نَهْدِ
إِذَا عُطِّلَتْ مِنْ بَعْدِهِ حَوْمَةُ الوَغَى ... فَمَا تَصْنَعُ الفُرْسَانُ بِالقُضْبِ وَالمُلْدِ
لَقَدْ جَلَّ هَذَا الرُّزْءُ عَنْ وَصْفِ وَاصِفٍ ... كَمَا كَلَّ عَنْ إِدْرَاكِهِ حَدُّ ذِي حَدِّ
سَقَى جَدَثًا ضَمَّ المَكَارِمَ تُرْبُهُ ... وَلَحْدًا حَوَى تِلْكَ المَنَاقِبَ مِنْ لَحْدِ
مَوَاطِرُ دَمْعٍ مَا تَزَالُ يُمِدُّهَا ... سَحَائِبُ تَحْدُوْهَا مَوَاسِمُ مِنْ وَجْدِ
فَلِلَّهِ مَا أُذْكَى ثَرَاهُ كَأَنَّمَا ... تَنَفَّسَ فِي رَوْضِ المَرَاحِمِ عَنْ نَدِّ
/ ٢٣١أ/ لَئِنْ أَظْلَمَتْ دُنْيَا العُفَاةِ لِفَقْدِهِ ... فَقَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ وَجْهِهِ جَنَّةُ الخُلْدِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا خَيْرَ مَالِكٍ ... مَصْحُوْبٍ سِوَى حُلَّةِ الحَمْدِ

[١٣٢]

أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ نصرِ بنِ المعلَّى، أبو جعفرٍ المَعَافِرِيُّ.

من أهلِ مالقةَ ـ إحدى مدنِ الأندلسِ[١].

شاب أشقر خفيف العارضين، مقرون الحاجبين.

حفظ القرآن العزيز، وشدا طرفًا من العلم، فيه ذكاء وفطنة، وعنده حدّة في مزاجه إذا بحث وناظر مع الفقهاء يكاد يخاصم الذي يخاطبه في شيء ما.

لقيتُهُ بحلب؛ وهو يتردد إلىٰ المدرسة النورية المنسوبة إلىٰ بني أبي عصرون، وبها كان له جامكية يتناولها.

أنشدني لنفسه في الشيخ شهاب الدين أبي العباس عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون يهنئه بخلاص ولديه من الاعتقال: [من الكامل]

يَا خَيْرَ مُعْتَمَدٍ وَأَفْضَلَ سَيِّدٍ ... وَمَنِ السُّعُوْدُ بِسَعْدِهِ قَدْ أُسْعِدَا
يَا نُخْبَةَ الإِسْلَامِ يَا خَيْرَ الوَرَى ... أَصْبَحْتَ لِلدِّيْنِ القَوِيْمِ مُشَيِّدَا

(١) انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٣.

/ ٢٣١ب/ فَاهْنَأْ بِجَمْعِ الشَّمْلِ عِشْتَ مُؤَيَّداً ... مَا دَامَ بِالأَيْكِ الحَمَامُ مُغَرِّدَا
وَاللهُ يَمْنَحُكَ الجِنَانَ بِمَنِّهِ ... وَزِيَادَةً حُوراً حِسَاناً خُرَّدَا

وأنشدني أيضًا لنفسه في القاضي زين الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن علوان الأسدي، يهنئه بولايته القضاء: [من الكامل]

تَهْنَا المَنَاصِبُ إِذْ عَلَوْتَ أَجَلَّهَا ... وَلَكَ التُّقَى وَالدِّينُ وَالتَّحْصِيلُ
شَهِدَتْ صُدُورُ العَصْرِ أَنَّكَ صَدْرُهُمْ ... يَا مَنْ لَهُ الإِكْرَامُ وَالتَّبْجِيلُ
زَيَّنْتَ دِينَ اللهِ يَا ابْنَ وَلِيِّهِ ... فَلَكَ الفَضَائِلُ مِنْهُ وَالتَّفْضِيلُ
وَعَلَيْكُمُ تَاجُ السِّيَادَةِ دَائِماً ... فَلأَرْضِكُمْ يَتَطَأْطَأُ الإِكْلِيلُ

/ ٢٣٢أ/ وقال أحمد بن محمد بن أحمد بن نصر المعافري يمدح الأمير الكبير الأصفهسلار عماد الدين عزّ الإسلام عمدة السلاطين أبا المحاسن يوسف بن الأمير علاء الدين طاي بغا ـ أدام الله سعده وكبت حاسده وضدّه ـ: [من الكامل]

ظَبْيٌ يَمُدُّ الشَّمْسَ مِنْ وَجَنَاتِهِ ... نُوراً فَنُورُ الكَوْنِ مِنْ آيَاتِهِ
وَالبَدْرُ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى إِمْدَادُهُ ... فَكِلاَهُمَا قَدْ مُدَّ مِنْ وَجَنَاتِهِ
يَسْطُو بِلَحْظِ جُفُونِهِ فَكَأَنَّمَا ... صِيْغَتْ ..... الهِنْدِ مِنْ لَحَظَاتِهِ
وَلَقَدْ تَحَلَّى الحُسْنَ عَاطِلُ جِيْدِهِ ... فَالحُسْنُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَهِبَاتِهِ
مَا إِن تَعَطَّلَ بَلْ تَعَطَّلَتِ الحُلَى ... إِذْ لَمْ تَلُحْ عِقْداً عَلَى لَبَّاتِهِ
يَسْبِي العُقُولَ بِقَدِّهِ وَقَوَامِهِ ... وَيُعَلِّمُ الأَغْصَانَ مِنْ مَيَلاَتِهِ
وَإِذَا نَظَرْتَ لِوَجْهِهِ مُتَعَجِّباً ... أَبْصَرْتَ وَجْهَكَ فِي سَنَى صَفَحَاتِهِ
لَوْ كَانَ نُسْوَةُ يُوسُفَ فِي عَصْرِهِ ... لَقَتَلْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي مَرْضَاتِهِ
مَلَكَ القُلُوبَ فَجَارَ فِي أَحْكَامِهِ ... وَالعَدْلُ وَالإِنْصَافُ مِنْ عَادَاتِهِ
فَبَقِيتُ مِنْ وَلَهِي بِهِ مُتَحَيِّراً ... أَرْجُو وِصَالاً مِنْ جَمِيلِ صِلاَتِهِ
/ ٢٣٢ب/ كَمْ لَيْلَةً سَمَحَتْ وَبِتُّ نَدِيمَهُ ... نَجْنِي ثِمَارَ الوَصْلِ مِنْ جَنَّاتِهِ
وَحَسُودُنَا وَعَذُولُنَا وَرَقِيبُنَا ... قَدْ ذَاقَ طَعْمَ المَوْتِ مِنْ نَوْمَاتِهِ
غَدَرَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ مُتَعَدِّياً ... وَالغَدْرُ مِنْ عَادَاتِهِ وَصِفَاتِهِ
فَلَقَدْ عَدِمْتُ الصَّبْرَ يَوْمَ فِرَاقِهِ ... وَلَهِيبُ قَلْبِي مُشْعَلٌ زَفَرَاتِهِ
رُمْتُ السُّلُوَّ وَكَيْفَ يَسْلُو عَاشِقٌ ... شَرِبَ المُدَامَ الصِّرْفَ مِنْ كَاسَاتِهِ

خَمْرُ الهَوَىٰ قَدْ خَامَرَ العَقْلَ الَّذِيْ يَصْحُو بِهِ السَّكْرَانُ مِنْ سَكَرَاتِهِ
لَا خَمْرَ مِنْ شَيءٍ سِوَىٰ مِنْ حُبِّهِ لَكِنْ يَذُوْبُ القَلْبُ مِنْ عَصَرَاتِهِ
لَمْ يَعْتَصِرْ خَمْرَ الهَوَىٰ مِنْ كَرْمَةٍ لَكِنَّهُ مَعْنًى تَلَالَا فِطْرَاتِهِ
كَمْ مَهْمَهٍ قَدْ خُضْتُهُ وَمَفَازَةٍ أَسَدُ الشَّرَىٰ قَدْ فَرَّ مِنْ غَابَاتِهِ
فِيْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَيَّ كَأَنَّمَا فَلَكُ البُرُوْجِ يَنَامُ عَنْ دَوْرَاتِهِ
حَتَّىٰ رَأَيْتُ الصُّبْحَ جَرَّدَ سَيْفَهُ عَنْ رُتْبَةٍ تَعْلُو عَلَىٰ . . . . .
هِيَ . . . . . لِلْقَاصِدِيْنَ أَذَابَهُمْ غَدْرُ الزَّمَانِ وَجَارَ فِيْ غَدَرَاتِهِ
يَا أَيُّهَا المَوْلَىٰ الأَمِيْرُ وَمَنْ بِهِ صَارَ الزَّمَانُ مُكَمَّلاً أَدَوَاتِهِ
أُعْطِيْتَ رُتْبَةَ مَلا . . . . . لَكِنَّهُ لَوْ كَانَ يُعْطِيْ الرِّزْقَ مِنْ رَاحَاتِهِ
يَا ابْنَ الأَمِيْرِ الأَوْحَدِ البَطَلِ الَّذِيْ فَرَّتْ أُسُوْدُ الحَرْبِ مِنْ وَثَبَاتِهِ
/٢٣٣أ/ كَمْ مَوْقِفٍ ضَيْقٍ تَوَسَّعَ خِيْفَةً مِنْ ضَرْبِهِ حِيْنًا وَمِنْ طَعَنَاتِهِ
وَكَأَنَّمَا آرَاؤُهُ يَوْمَ الوَغَىٰ جَيْشٌ تَبَدَّىٰ مُظْهِرًا رَايَاتِهِ
سَارَتْ بِسِيْرَتِهِ الرَّكَائِبُ عِنْدَمَا رَأَتِ العَجَائِبَ مِنْهُ فِيْ غَزَوَاتِهِ
فَكَأَنَّهُ صَحْبُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِهِ وَصِلَاتِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَقِيْنِهِ وَجَنَانِهِ وَحَنَانِهِ وَصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ وَسِمَاتِهِ
زَكَتِ الفُرُوْعُ مَعَ الأُصُوْلِ كِلَاهُمَا إِذْ كُنْتَ فَرْعًا فِيْ ثَرَىٰ دَوْحَاتِهِ
أَنْتَ الأَمِيْرُ الكَامِلُ الفَرْدُ الَّذِيْ هَابَتْ مُلُوْكُ الأَرْضِ مِنْ هَيْبَاتِهِ
خَجِلَتْ حَاتِمَ طَيِّيءٍ وَلَطَالَمَا خَجِلَتْ كِرَامُ النَّاسِ مِنْ وَهَبَاتِهِ
إِنْ أَمَّلَ العَافِيْ لِكَشْفِ مُلِمَّةٍ يَلْقَاكَ خَيْرَ مُتَيَّمٍ لِعُفَاتِهِ
أَنْتَ العِمَادُ لِدِيْنِنَا وَلِشَرْعِنَا أَوْ كُنْتَ تَحْمِيْ الدِّيْنَ فِيْ حَوْزَاتِهِ
بِمُهَنَّدٍ وَمُثَقَّفٍ وَمُرَيَّشٍ يَشْكُو الدِّلَاصُ المَوْتَ مِنْ رَشَفَاتِهِ
وَلَطَالَمَا رَوَّيْتَ سَيْفَكَ ظَامِئًا فِيْ مَوْقِعِ الرَّشَفَاتِ عِنْدَ عُدَاتِهِ
مَهْلاً عِمَادَ الدِّيْنِ أَنْتَ مُؤَيَّدٌ بُهِتَ العَدُوُّ وَمَاتَ فِيْ بَهَتَاتِهِ
لَمَّا رَآكَ لِضَيْغَمٍ صَارَ عَلَىٰ قَتْلِ الأُسُوْدِ بِغَيْظِهِ وَثَبَاتِهِ
سُنْتَ الأَنَامَ سِيَاسَةً يَرْضَىٰ بِهَا كُلُّ العِبَادِ وَرَبُّنَا لَوْلَاتِهِ
/٢٣٣ب/ يَا طَاهِرَ الأَثْوَابِ مِنْ دَنَسٍ وَمِنْ عَيْبٍ يَشِيْنُ المَرْءَ عِنْدَ شُنَاتِهِ

تَــالله لَــوْ صَــوَّرْتَ نَفْسَــكَ لَــمْ تَــزِدْ شَيْئًـا عَلَــىٰ مَـا فِيْـكَ مِــن حَسَنَـاتِــهِ
لله دَرُّكَ يُــوسُــفٌ مِــنْ فَــاضِــلٍ شَـابَهْتَ يُـوسُفَ مِصْـرَ فِـي حَـرَكَـاتِـهِ
مَــا إنْ سَمِعْــتُ بِمِثْلِــهِ فِــي سِيْــرَةٍ لَيْــثٌ يَقُــوْلُ الشِّعْـرَ فِــيْ جَــوْلَاتِــهِ
شِعْــرٌ أرَقُّ مِــنَ النَّسِيْــمِ لَطَــافَــةً سِحْــرٌ حَــلَالٌ صَــاغَــهُ لِــرُوَاتِــهِ
فَــاعْجَبْ لِبَحْــرٍ طَــامِــيءٍ فِــيْ بَلْــدَةٍ يَــرْمِــي عَجِيْــبَ الــدُّرِّ مِــنْ قَــذَفَــاتِــهِ
مَــنْ كَــانَ فِــيْ فَهْــمِ القَــرِيْــضِ مُحقِّقٍ لَــمْ يَنْظِــمِ الأشْعَــارَ مِــنْ خَجَــلَاتِــهِ
هَجَــرٌ إلَيْــهِ التَّمْــرَ سُقْــتَ هَــدِيَّــةً سَفَهًــا وَعَــالَ التَّمْــرُ مِــنَ تَمَــرَاتِــهِ
لِلشَّــيءِ فِــي شَــأوِهِ أجْــرِي عَسَــىٰ أغْــدُو . . . . . هَــوَىٰ جَــرَيَــاتِــهِ
حَــازَ المَكَــارِمَ كُلَّهَــا فَــزَمَــانُنَــا يَعْلُــو عَلَــىٰ الأزْمَــانِ طُــوْلَ حَيَــاتِــهِ
قَــدْ طَــأطَــأ الفَلَــكُ الأثِيْــرُ لأرْضِــهِ فَحَضِيْضُــهُ أوْجُ الأثِيْــرِ بِــذَاتِــهِ
وَافَيْتُــهُ وَالسَّيْــلُ قَــدْ بَلَــغَ الــزُّبَــىٰ عِنْــدِي وَضِيْــقُ العَيْــشِ فِــيْ غَــايَــاتِــهِ
فَــأنَــالَنِــيْ مَــا لَــمْ نُــؤَمِّــلْ بَعْضَــهُ وَأزَالَ عَنِّــي الفَقْــرَ مِــنْ سَــاعَــاتِــهِ
لَا زَالَ مَحْظُــوْظَ الجَنَــابِ مُــؤَيَّــدًا مَــا غَــرَّدَ القُمْــرِيُّ فِــي شَجَــرَاتِــهِ
نِلْــتَ المُنَــىٰ وَزِيَــادَةً مَــا أنْشَــدَتْ ظَبْــيٌ تُمِــدُّ الشَّمْــسَ مِــنْ وَجَنَــاتِــهِ

[١٣٣]

/ ٢٣٤أ/ أحمدُ بنُ الحسن بن أحمدَ بن أيوبَ بن صديق بن عثمانَ بن أنشتاشَ بن كُنغليَ بنَ كند غديَ بن داودَ بن بنغاجَ بن سلُّوَرا، أبو الحسينِ بنُ أبي عليٍّ التركستانيُّ السَلُّويُّ.

منْ أهل ماردينَ.

نزل حلب، لقيتُه بها في سنة أربع وخمس وستّ وثلاثين وستمائة. وهو شاب قصير ضعيف العينين في بصره ضوء، علىٰ زيّ المتصوفة، يتعاطى الوعظ والأدب ونظم الشعر. وذكر أنَّه استظهر الكتاب العزيز وفيه ذكاء.

أنشدني لنفسه: [من مخلّع البسيط]

مَــا أحْسَــنَ مَــا أتَــىٰ حَبِيْبِــي فَــاعْتَــادَ مَــرِيْضَــهُ وَزَارَهْ

وَافَى فَشُفِيتُ مِنْ سَقَامِي ... وَارْتَحْتُ وَفُزْتُ بِالزِّيَارَهْ
يَا بَدْرَ دُجَى أَقَامَ عِنْدِي ... عُذَّالِي أَدْرَأُوا عِذَارَهْ
قَاسُوكَ وَقَدْ رَأَوْكَ قَدًّا ... بِالغُصْنِ فَزَيَّنُوا العِبَارَهْ
هَذَا قَمَرٌ عَلَى قَضِيبٍ ... مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الإِشَارَهْ

وأنشدني لنفسه وقد عاده جماعة من أصدقائه: [من الكامل]

شُكْراً لِسَعْيِكُمُ إِلَيَّ فَإِنَّكُمْ ... عَيْنُ الزَّمَانِ وَسَمْعُهُ وَفُؤَادُهُ
وَبِكُمْ بَرِئْتُ مِنَ السَّقَامِ وَكَيْفَ لَا ... يَشْفَى مَرِيضٌ أَنْتُمُ عُوَّادُهُ

ونظم كتابًا في الفرائض منه «باب القضاء في الميراث»: [من الخفيف]

إِنَّنِي قَدْ فَتَحْتُ بَاباً مُضِيّاً ... فَلْيَكُنْ خَاطِرُ السَّمِيعِ ذَكِيّاً
مُسْلِمٌ مَاتَ عَنْ تُرَاثٍ جَزِيلٍ ... وَلَهُ زَوْجَةٌ . . . . . التَّقِيَّا
/ ٢٣٤ب/ قَالَتِ الزَّوْجُ: كَانَ طَلَّقَنِي فِي السُّقْمِ وَالإِبْنُ قَالَ: كَانَ سَوِيَّا
حِينَ جَاءَ الطَّلَاقُ مِنْهُ لَهَا الإِرْثُ وَمَا قَالَتْهُ كَانَ قَوْلاً جَلِيَّا
وَإِذَا مَا أَتَتْ خَلِيلَةُ مَنْ مَاتَ وَقَدْ كَانَ كَافِراً ذِمِّيَّا
ثُمَّ قَالَتْ: أَسْلَمْتُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ الزَّوْجِ وَالإِبْنُ قَالَ: بَلْ كَانَ حَيَّا
حِينَ أَسْلَمْتِ صَحَّ مِنْهُ وَلَا إِرْثَ وَمَرَّتْ وَجِئْتِ شَيْئاً فَرِيَّا
وَكَذَا لَوْ أَتَتْ خَلِيلَةُ مَنْ مَاتَ وَقَدْ كَانَ مُسْلِماً سُنِّيَّا
ثُمَّ قَالَتْ: أَسْلَمْتُ وَالزَّوْجُ حَيٌّ فَيَكُونُ التُّرَاثُ لِي مَأْتِيَّا
وَابْنُهُ قَالَ بَعْدَ مَا مَاتَ: أَسْلَمْتِ فَقَدْ كَانَ قَوْلُهُ مَرْضِيَّا
وَإِذَا زَيْدٌ أَوْدَعَ المَالَ عَمْراً ... ثُمَّ زَيْدٌ قَدْ مَاتَ يَا صَاحِبَيَّا
ثُمَّ عَمْرٌو، يَقُولُ: بِشْرُ بْنُ زَيْدٍ ... ثُمَّ يُعْطِيهِ مَالَهُ مُوفِيَّا
ثُمَّ أَيْضاً يَقُولُ: نَصْرُ بْنُ زَيْدٍ ... وَنَفَاهُ بِشْرٌ فَلَمْ يُعْطَ شَيَّا
وَلَهُ النِّصْفُ إِنْ يُصَدِّقْ بِشْرٌ ... نَقَلَتْهُ الثُّقَاتُ حَقّاً إِلَيَّا

وأنشدني أيضًا: [من مجزوء الكامل]

سُبْحَانَ رَبٍّ صَوَّرَكْ ... وَعَلَى تَلَافِي قَدَّرَكْ
وَجَلَاكَ فِي حُلَلِ المَلَاحَةِ وَالبَهَاءِ وَنَوَّرَكْ

/ ٢٣٥أ/ حُزتَ الجمالَ بأسْرِهِ ونصبتَ لي فيه شَرَكْ
وجرحتَ قلبي إذْ سللتَ من اللواحظ خنجرَكْ
قُلْ لي: على قتلي بغير جنايةٍ مَنْ جسَّرَكْ
ولقد عهدتُكَ حافظاً عهدي فمن ذا غيَّرَكْ
وبما ألاقي في هواكَ من الجوى ما أخبرَكْ
أخلو بذكرك في الدُّجى ويحقُّ لي أنْ أذكرَكْ
ولئن سفكتَ دمي فليس عليكَ في قتلي درَكْ
لا كان يومٌ ينقضي وأعيشُ فيه ولم أرَكْ
يا قلبيَ الصّاديْ على ألمِ الهوى ما أصبرَكْ
ولمن تُحبُّ على قساوة قلبه ما أشكرَكْ
بل يا هواهُ المُتلفي بين الورى ما أشهرَكْ
ولكمْ كتمتُكَ في الفؤاد ودمعُ عيني أظهرَكْ
يا طولَ ليل صدوده في وصله من قصَّرَكْ
لولا غراميْ لم يكنْ من عادتي أنْ أسهرَكْ
يا عاذلي في حُبِّ مَنْ أنا عبدُهُ ما أكفرَكْ
/ ٢٣٥ب/ لم يُبْقِ منّي حُبُّهُ غيرَ الرُّسومِ ولا ترَكْ

[١٣٤]

أحمدُ بنُ محمد بن أبي الخير الحمويُّ بن أبي الفضل بن الفضل بن أبي الفضلِ بن سطحِ بنِ الفضلِ بنِ أبي عبدَ اللهِ الحكيمُ المتطيبُ الكاتبُ.

شاب كيّس من أبناء الأجّلاء المعتبرين بحماة. فيه بشر وكياسة، وله قدر ونباهة كثير التواضع والقيام لمن يردّ عليه.

خدم ـ أولاً ـ صاحب حماه الملك المظفر تقي الدين أبا الفتح محمود بن محمد بن عمر بن شهنشاه، وحظي لديه، وارتفعت منزلته عنده.

ثم ـ بعد ذلك ـ اعتقله، فأنفذ في طلبه الصاحب سراج الدين أبو الفتح

المظفر بن الحسين ـ صاحب الدعوة بمصياف ـ فسرحه علىٰ مال قررّه عليه، وذلك في سنة سبع وثلاثين وستمائة، فاتصل به وقرب من قلبه، وتولّى خدمته حتىٰ كاد أن يكون بمنزلة الوزراء عنده. وأنفذه إلىٰ عدّة جهات، وصار كاتبًا بين يديه ذا أمرٍ ونهيٍ يحكم بكلامه، ويعمل بآرائه.

وكان اجتماعي به يوم الأربعاء العشرين من ذي /٢٣٦أ/ القعدة بحلب المحروسة سنة سبع وثلاثين وستمائة، وافاها رسولاً من قبل مخدومه الصاحب سراج الدين أبي الفتح المظفر بن الحسين ـ أمير الطائفة الإسماعيلية ـ مجتازاً إلىٰ الخوارزمية بحران وما والاها من بلاد الجزيرة.

وذكر أنَّه حفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة، وأخذ الطب عن والده، وبرع في علمه، وشدا طرفًا من علم الحكمة، وتميّز فيه، وقال شعراً مرضيًا.

وذكر لي أنه ولد في ربيع الأول سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وأنَّه يرجع في النسب إلىٰ جرير بن عبد الله البجلي ـ صاحب رسول الله ـ وقرأ بدمشق علىٰ سيف الدين الآمدي أبي الحسن علي بن علي بن علي الفقيه الشافعي، وأخذ الأدب عن الشيخ أبي سعد الله بن قانت النحوي الحموي الضرير.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِمَنْ بَاعَ الهُدَىٰ بِالضَّلالَةِ ... وَمَنْ يَشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالدِّيْنِ أَعْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِيْنَهُ ... بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهْوَ أَخْزَىٰ وَأَخْيَبُ
أُخَرِّبُ دِيْنِي كُلَّ يَوْمٍ وَأَرْتَجِي ... عَمَارَةَ ذِي الدُّنْيَا وَدُنْيَايَ أَخْرَبُ
كَأَنِّي مَا بَيْنَ الفَرِيْقَيْنِ ضَائِعٌ ... فَلاَ الدِّيْنُ مَأْمُورٌ وَلاَ العَيْشُ طَيِّبُ

/٢٣٦ب/ وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

لاَ تَأْيَسَنَّ فَرُبَّمَا ... نِلْتَ الأَمَانِي بَعْدَ حِيْنِ
الدَّهْرُ لاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ ... حَالٍ بِغَثٍّ أَوْ سَمِيْنِ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

كُلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَرَاهُ بِعَيْنِي ... قَالَ لِيْ القَلْبُ دَارُهُ فِيْ صَمِيمِي
فَأُنَاجِيْهِ فِيْ السَّرِيْرَةِ نَجْوَىٰ العَبْدِ لِلْمَالِكِ العَلِيِّ العَلِيْمِ

فَتَقُولُ العَيْنَانِ قَدْ فَاتَ حَظِّي مِنْ حُصُولِي عَلَى النَّعِيمِ المُقِيمِ

وأنشدني أيضًا قوله في معنى: [من المنسرح]

مَمْلُوكُ مَوْلَاهُ يَسْتَغِيثُ بِهِ فَهَلْ يُغِيثُ المَخْدُومُ مَمْلُوكَا
يَرْجُو حُصُولَ المُرَادِ مُنْتَظِراً فَاجْعَلْ إِلَيْهِ الطَّرِيقَ مَسْلُوكَا
لَا تَطْرَحْ سُنَّةَ المَكَارِمِ فَالنَّاسُ إِذَا أَمَّلُوكَ أَمُّوكَا

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

مَنْ سَرَّهُ العِيدُ الجَدِيدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ سُرُورَا
كَانَ السُّرُورُ يَتِمُّ بِي لَوْ كَانَ أَحْبَابِي حُضُورَا

وقال أيضًا / ٢٣٧أ/ وقد خرج منها مغاضبًا، ويتذكر أيامه بها ويصفها:

[من الطويل]

مَغَانِي حَمَاةَ لَا زَرُودٌ وَنَعْمَانُ مَوَاطِنُ أُنْسِي حِينَ تُذْكَرُ أَوْطَانُ
وَشَوْقِي إِلَيْهَا لَا إِلَى رَمْلِ عَالِجٍ وَلَا الأَجْرَعِ الجِنَانِ وَالجَزْعِ حَنَّانُ
عَصَيْتُ بِعَاصِيهَا مَقَالَ عَوَاذِلِي وَلَمْ يُسْلِنِي عَنْ مَائِهَا العَذْبِ مَأْوَانُ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي رَحْبَةِ الشَّامِ شَامَةً يُقِرُّ لَهَا بِالحُسْنِ مِصْرُ وَبَغْدَانُ
فَمِنْ أَيِّ قُطْرٍ جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً لَهَا ثَمَرٌ دَانِي القُطُوفِ وَأَفْنَانُ
وَيَسْبِيكَ إِمَّا جُزْتَ بَيْنَ قُصُورِهَا المُنِيفَةِ حُورٌ قَاصِرَاتٌ وَوِلْدَانُ
فَيَا وَطَنِي لَا زَالَ حُبُّكَ مَذْهَبِي وَدِينِي فَحُبِّي لِلْمَوَاطِنِ إِيمَانُ
بِمَا يَغْضَبُ الإِنْسَانُ عَنْكَ وَيَزْدَهِي وَمَاؤُكَ صَدَّاءٌ وَمَرْعَاكَ سَعْدَانُ
أَمَيْدَانَ لَهْوِي بَيْنَ حِمْصٍ وَشَيْزَرٍ إِذَا عُدَّ لِلإِطْرَابِ وَاللَّهْوِ مَيْدَانُ
عَدَتْكَ مِنَ الدَّهْرِ العَوَادِي وَلَا رَقَتْ لِعَيْنِ الغَوَادِي فِي عِرَاصِكَ أَجْفَانُ

[١٣٥]

أحمدُ بنُ المظفرِ بنِ القاسمِ بنِ الحسينِ الرازيِّ.

[قال] يمدح الخدمة الشريفة المقدَّسة / ٢٣٧ب/ النبوية المستنصرية ـ خلّد الله ملكها ـ ويعرض بذكر المدرسة المستنصرية: [من الطويل]

أَيَا خَيْرَ مَنْ تُزْجَى إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ وَأَفْضَلَ مَنْ تُطْوَى إِلَيْهِ المَرَاحِلُ

وَأَعْظَـمَ مَـنْ يُـدْعَـىٰ لِـدَفْـعِ مُلِمَّـةٍ   وَأَكْـرَمَ مَـنْ تُـرْجَـىٰ لَـدَيْـهِ الفَـوَاضِـلُ

ومنها:

بَنَـىٰ بِنْيَـةً شَمَّـاءَ يلقـىٰ بِهَـا العُـلاَ   وَنَيْـلَ الأَمَـانـيْ وَالأَمَـانـيْ الفَضَـائِـلُ
لَهَـا شَـرَفٌ فَـوْقَ السَّمَـاءِ قِبَـابُهَـا   وَمَنْـزِلَـةٌ مَـنْ دُونِهَـا النَّجْـمُ آفِـلُ
فَـأَشْـرَقَ وَجْـهُ الـدِّيْـنِ وَالـدِّيْـنُ شَاحِـبٌ   وَأَوْرَقَ رَوْضُ الشَّـرْعِ وَالـرَّوْضُ ذَابِـلُ
وَجَـدَّدَ رَسْـمَ العِلْـمِ وَالعِلْـمُ دَارِسٌ   وَزَيَّـنَ جِيْـدَ الفَضْـلِ وَالفَضْـلُ عَـاطِـلُ
يُـدِيْـمُ لِسَـانُ الـدَّهْـرِ وَصْـفَ عَـلاَئِـهِ   وَلَكِنَّـهُ فَـوْقَ الَّـذِيْ هُـوَ قَـائِـلُ
فَـلاَ زَالَ غَـوْثَ العَـالَمِيْـنَ وَغَيْثَهُـمْ   وَعُمْـرُ مُعَـادِيْـهِ . . . . . زَائِـلُ

قدم بغداد شابًا، واستوطنها مقيمًا بالمدرسة النظامية، متفقهًا بها علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ، واشتغل بالأدب والفقه / ٢٣٨أ/ مذهبًا وخلافًا، وصارت له في ذلك ملكة؛ ورتّب معيداً بالمدرسة المذكورة. ثم عين عليه مفتيًا بباب النوبى في استيفاء القصاص وإقامة الحدود علىٰ الوجه الشرعي، ثم عزل عن ذلك، ورتب نائبًا لأقضىٰ القضاة أبي الفضل عبد الرحمان بن عبد السلام بن إسماعيل بن الحسن اللايغاني؛ ولما فتحت المدرسة الشريفة المستنصرية ـ عمرها الله تعالىٰ ـ جعل معيداً بها.

لقيتهُ غير مرّة، وسألته عن ولادته، فقال: يكون تقديراً في أوائل سنة ثمانين وخمسمائة.

أنشدني لنفسه يمدح الإمام المستنصر بالله أبا جعفر المنصور ـ خلّد الله دولته ـ ويعرض بذكر المدرسة المستنصرية ـ عمرها الله تعالىٰ ـ وذلك في يوم السبت حادي عشر رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة بمدينة السلام، والأبيات تقدمت في أول الترجمة لامية.

ذكر من اسمه إسحاق

[١٣٦]

إسحاقُ بنُ هبة الله بن صديقِ /٢٣٨ب/ بنِ محمودِ بنِ صالحٍ الأَرْجيشي الخلاطيّ[(١)].

وقد تقدّم شعرُ ابنه[(٢)].

يكنى أبا البشائر قاضي أرْجيش.

كان فقيهًا عالمًا أصوليًا واعظًا شاعراً، حسن الكلام في الوعظ والتذكير؛ له مصنفات في علم الأصول، مع أخذه من العربية والأدب بأوفر الحظ وأكمله. وكان من محاسن القضاة وظرّافهم، يرجع إلى عفاف ونزاهة نفس ودين ظاهر.

قدم مدينة إربل وسكنها إلىٰ أن توفي بها يوم الخميس وقت المغرب العشرين من شهر شعبان سنة ستّ عشرة وستمائة. وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة فأكرمه سلطانها الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه وأحسن إليه إحسانًا عظيمًا ـ. وكان ينفذه رسولاً إلى الأطراف.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل التبريزيّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني قاضي خلاط لنفسه: [من الطويل]

وَقَفْتُ وَرَبْعُ العَامِرِيَّةِ دَاثِرُ ... وَدَمْعِي وَوَجْدِيْ سَابِقٌ مُتَوَاتِرُ

وَقَفْتُ وَذْكرَاهَا تُجَدِّدُ لَوْعَتي ... وَأَبْكي كَمَا تَبْكي الغَوَادِيْ البَوَاكِرُ

/٢٣٩أ/ وَأَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيًا ... وَأُظْهِرُ فيهَا مَا تُجِنُّ الضَّمَائِرُ

غَدَاةَ النَّقَا بِالبَاهِلِيَّةِ آهِلٌ ... وَحيْنَ الصَّفَا بِالعَامِرِيَّةِ عَامِرُ

وَقَفْتُ أُدِيْرُ الطَّرْفَ فِيْ عَرَصَاتِهَا ... وَأَطْلالُهَا دَارَتْ عَلَيْهَا الدَّوَائِرُ

وَمِنْ . . . . تِلْكَ الغَانِيَاتِ عَوَاطِلاً ... لَقَدْ سَكَنَتْ فِيْهَا المَهَا وَالجَآذِرُ

---

(١) أَرْجيش: مدينة قديمة من نواحي إرْمينية الكبرى، قرب خلاط. انظر: معجم البلدان ١/ ١٤٤.

(٢) ترجَم المؤلف لولديه: (أحمد بنَ إسحاق بن هبة الله) في هذا الجزء برقم ٥٥، و(عمر بن إسحاق بن هبة الله) في الجزء الخامس رقم ٥٤٤.

. . . . تَملِــك رَبْــعِ الآنِسَــاتِ النَّــوَافِــرُ
فخـالفنـي . . . . . فِـيْ سَـائِـرِ المُنَـىٰ وَوَافَقَنِــي بَيْـتٌ مِــنَ الشِّعْـرِ سَـائِـرُ
(كَـأَنْ لَـمْ يَكُـنْ بَيْـنَ الحَجُـوْنِ إِلَـىٰ الصَّفَـا أَنِيْـسٌ وَلَـمْ يَسْمُـرْ بِمَكَّـةَ سَـامِـرُ)[1]

وأنشدني العباس بن بزوان الموصلي، قال: أنشدني أبو البشائر لنفسه:

[من البسيط]

قَـالُـوا الهِـلاَلُ وَعِنْـدِيْ فِـيْ مُجَـالَسَتِـيْ بَـدْرٌ بِـوَجْـهٍ عَلَـىٰ شَمْـسِ الضُّحَـىٰ سَـادَا
وَفِــيْ فُــؤَادِيْ لِهَــذَا البَــدْرِ مَنْــزِلَــةٌ مَــا نَــالَهَــا أَحَــدٌ قَبْلِــيْ وَلاَ كَــادَا
لَيْـسَ الهِــلاَلُ بِمَحْجُـوْبٍ لِـذِي أَرَبٍ وَإِنْ حَبَبْنَــاهُ أَحْيَــانَــاً وَأَعْيَــادَا
هَــذَا يُـرِيْـدُ حَيَـاتِـيْ فِـيَّ مُجَـالَسَتِـيَّ وَذَاكَ يَنْقُــصُ عُمْــرِيْ كُلَّمَــا زَادَا

[١٣٧]

إسحاقُ بنُ معالي بن شماس / ٢٣٩ب/ بن هبةِ اللهِ بن إبراهيمَ بنِ شماس، أبو إبراهيمَ الإربليُّ.

وهو ابنُ أخي الوزير أبي الحسنِ عليِّ بن شماس[2] وزير الملك المعظمِ مظفرِ الدينِ أبي سعيد كوكبوري بنِ علي بنِ بكتكينَ ـ رضي الله عنه ـ صاحبِ إربل.

كان عالمًا بأيام العرب وأشعارها، خبيراً بلغتها وأخبارها. قرأ شيئًا من الهندسة والطب، ويرجع إلىٰ حسن عشرة، وسهولة أخلاق.

وكان يتولّىٰ الأَهْراء[3] بإربل والتصرف لسلطانها الملك المعظم فرفع عليه مال جزيل عجز عن أدائه، فابتلي بسخط السلطان فأخذه وقيّده واعتقله إلىٰ أن مات في السجن رابع عشر ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة. وكان قد نيَّف علىٰ السّتين.

أنشدني القاضي أبو البركات محمود بن جعفر بن محمد بن محمود الإربليّ،

---

(١) البيت لمضاض بن عمرو الجرهمي. انظر: معجم البلدان/ مادة (الحجون).
(٢) ترجم المؤلف لعمه (علي بن شماس بن هبة الله) في الجزء الرابع برقم ٤١٧. ولابن عمه (محمد بن علي بن شماس) في الجزء السابع رقم ٧٦٥.
(٣) الأهراء: بيوت يوضع فيها القمح ونحوه.

قال: أنشدني إسحاق بن معالي لنفسه ما كتبه إلى عمّه الوزير أبي الحسن علي بن شماس بن الحسين يشتكي من دهره، ويستنصره علىٰ ماَ ألمّ به من طوارق اعترته، وحوادث لازمته: [من الوافر]

/ ٢٤٠أ/ جَوًى بَيْنَ الضُّلُوْعِ لَهُ ضِرَامُ ... وَصَبٌّ لاَ يُزَايِلُهُ الغَرَامُ
وَأَجْفَانٌ تَسُحُّ دَماً وَدَمْعاً ... مُسَهَّدَةٌ إِذَا هَجَعَ النِّيَامُ
تَوَلَّىٰ العَيْشُ إِذْ وَلَّتْ سُلَيْمَىٰ ... وَوَاصَلَ حَيْثُ فَارَقَتِ السَّقَامُ
سَقَىٰ اللهُ العَقِيْقَ وَسَاكِنِيْهِ ... مُلِثُّ الدَّمْعِ إِنْ ضَنَّ الغَمَامُ
وَحَطَّتْ دُوْنَهُ نُوَبُ اللَّيَالِيْ ... وَأَضْحَىٰ لِلْسُّرُوْرِ بِهَا مُقَامُ
دِيَارٌ رَقَّ ثَوْبُ العَيْشِ فِيْهَا ... وَطَابَتْ لِيْ بِسَاحَتِهَا المُدَامُ
قَطَعْتُ بِهَا لُيَيْلاَتٍ قِصَاراً ... عَلَىٰ تِلْكَ اللُّيَيْلاَتِ السَّلاَمُ
وَمَهْزُوْزِ القَوَامِ إِذَا تَثَنَّىٰ ... يُرِيْكَ تَثَنِّيَ الغُصْنِ القَوَامِ
يَزُوْرُ خَيَالُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ ... إِذَا أَلْقَىٰ كَلاَكِلَهُ الظَّلاَمُ
لِيَعْلَمَ هَلْ طَعِمْتُ الغَمْضَ كَلاَّ ... لَذِيْذُ الغُمْضِ بَعْدَهُمُ حَرَامُ
وَكَيْفَ يَنَامُ صَبٌّ مُسْتَهَامٌ ... لَهُ فِيْ السِّجْنِ عَامٌ ثُمَّ عَامُ
بِلاَ جُرْمٍ تَقَدَّمَ مِنْهُ لَكِنْ ... لَهُ فِيْ المَجْدِ بَيْتٌ لاَ يُرَامُ
لَهُ المَوْلَىٰ جَلاَلُ الدِّيْنِ عَمٌّ ... عَظِيْمٌ لاَ تُسَاجِلُهُ العِظَامُ
وَزِيْرُ مَمَالِكٍ وَنِفَاقُ دَهْرٍ ... وَصَدْرُ أَكَابِرِ الدُّنْيَا إِمَامُ
رَأَى المَلِكُ المُعَظَّمُ مِنْهُ نُصْحاً ... وَدِيْناً لاَ يُخَالِطُهُ أَثَامُ
/ ٢٤٠ب/ صَحِيْحُ الوُدِّ مَيْمُوْنُ المُحَيَّا ... لَهُ إِنْ عَبَسَ الدَّهْرُ ابْتِسَامُ
كَفَانِيْ صَرْفَ حَادِثَةِ اللَّيَالِيْ ... وَقَدْ خِيْفَتْ وَلِيْ مِنْهُ ذِمَامُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ الأمير عزي الدين محمد بن بدر الكردي الحميدي: [من البسيط]

يَا مُوْضِعَ العَنْسِ أَضْحَتْ وَهْيَ ضَامِرَةٌ ... مِثْلَ الهِلاَلِ عَلَىٰ الأُفْقِ الجَنُوْبِيِّ
يُسَائِلُ النَّاسَ مَنْ يَقْرِيْ الضُّيُوْفَ وَمَنْ ... يَرْوِيْ السُّيُوْفَ وَيَرْوِيْ كُلَّ خَطِّيِّ
وَمَنْ يُجِيْرُ إِذَا مَا الدَّهْرُ جَارَ وَمَنْ ... تُذْكَىٰ لَهُ النَّارُ فِيْ اللَّيْلِ الدُّجُوْجِيِّ
إِنْ شِئْتَ تُدْرِكُ مَنْ هَذِيْ الصِّفَاتُ بِهِ ... مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ مَسْمُوْعٍ وَمَرْئِيِّ

أُنِخْ بِسَاحَةِ عِزِّ الدِّيْنِ خَيْرِ فَتًى | مُحَمَّدِ بْنِ الفَتَىٰ بَدْرِ الحَمِيْدِيِّ
حُلْوُ الكَلَامِ تَرَىٰ مِنْ لَفْظِهِ عَجَبًا | فَصَاحَةَ البَدْوِ فِيْ أَلْفَاظِ كُرْدِيِّ
نَادَيْتُهُ وَهْوَ فِيْ مِصْرٍ فَجَاوَبَنِي | للهِ مِنْ مُسْمَعٍ لِلْخَيْرِ مُصْغِيِّ!
فَقَامَ فِيْ نُصْرَتِي وَالنَّاسُ قَدْ قَعَدُوا | عَنِّي وَبَلَّغَنِي كُلَّ الأَمَانِيِّ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ جلال الدين أبي الحسن عمِّه

[من البسيط]

/ ٢٤١أ/ مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَأَنْتَ عَلَىٰ | سَامِي التَلَيْلِ جَلَالَ الدِّيْنِ ذَيَّالُ
لَكِنْ أُمُوْرٌ قَضَاهَا فَهْيَ مُحْكَمَةٌ | تَجْرِيْ عَلَىٰ غَايَةٍ فِيْنَا وَآجَالِ
وَالسِّجْنُ للهِ وَالإِفْرَاجُ مِنْهُ فَمَا | يُغْنِيْ احْتِيَالٌ لِذِيْ رَأْيٍ وَمُحْتَالِ
وَالدَّهْرُ وَاللهِ لَا يُبْقِيْ عَلَىٰ أَحَدٍ | وَلَا تَرَىٰ حَالَهُ تَبْقَى عَلَىٰ حَالِ
فَدُمْ عَلَىٰ فِعْلِكَ الخَيْرَاتِ مُجْتَهِدًا | فَخَيْرُ عَاقِبَةٍ مِنْ خَيْرِ أَفْعَالِ
وَلَا تَقِفْ عِنْدَ نَقْلِ النَّاقِلِيْنَ أَذًى | فَصِدْقُ أَقْوَالِهِمْ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ

وأنشدني الحسن بن علي بن شماس، قال: أنشدني ابن عمي إسحاق لنفسه:

[من البسيط]

وَيَومِ دُجًى قَطَعْنَاهُ بِصَافِيَةٍ | مِنَ المُدَامِ وَوَجْهُ الشَّمْسِ مَسْتُوْرُ
وَالبَيْتُ مِنْ فَوْقِهِ ظِلٌّ يُشَاكِلُهُ | بُسْطُ الزَّبَرْجَدِ فِيْهَا الدُّرُّ مَنْثُوْرُ

وله: [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا قَوْمِيْ حَلَالٌ أَبُوْهُمُ | وَلَكِنَّهُمْ كَالخَمْرِ وَالدُهَا العِنَبْ
فَجَاؤُوا حَرَامًا مِنْ حَلَالٍ وَإِنَّهُمْ | لَشَرُّ بَنِيْنَ يُنْسَبُوْنَ لِخَيْرِ أَبْ

[١٣٨]

إسحاقُ بنُ مروانَ بنِ أبي السعادات / ٢٤١ب/ بنِ أبي العلاء بن يوسفَ بن سَعيد بن صاعد بن لاحقِ بن ثقفِ بن سمكانَ، أبو يعقوبَ بنُ أبي سعيدٍ الموصليُّ النحويُّ العَروضيُّ.

رجل أسمر طويل قصيف مكتهل يخضب بالسواد، يتشيع من أبناء الجند، ومن بيت مذكور قديم؛ وهو جندي في خدمة الملك الرحيم أتابك بدر الدين أبي الفضائل ـ أعز الله نصره ـ.

صحب الشيخ أبا حفص عمر بن أحمد النحوي الضرير ودرس عليه فنون الآداب؛ كالنحو واللغة والعروض والقوافي؛ وغير ذلك حتىٰ انفرد علىٰ أقرانه، وتقدّم عليهم حينئذ بهذه الفضائل. وهو مع ذلك يعرف علومًا أخر من حل التراجم والنجوم والطب والوقف والحساب.

وصنّف كتابًا في العروض سمّاه «الهادي» ونظم أرجوزة في الباه؛ وله شعر عجيب القوافي، أتىٰ فيه بالمعجز البديع.

أخبرني أنه ولد آخر النهار يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بالموصل. وكان قد سيّره بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ ليكون له بها صاحب /٢٤٢أ/ خبر من جهة التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ فبقي بها مدّة يطالعه بأخبارهم فيها؛ فلما دخل التتار المدينة استشهد في جملة من كان بها تحت قلعتها في شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه هذه الأبيات بحوزان، يكون حرف رويّها وقافيتها أن تنشد مطلقة ومقيدة، ويجوز أن يكون حرف إطلاقها واواً ويجوز أن يكون ياءً ويجوز أن يكون ألفًا، وهي بديعة في فنّها صنعها علىٰ أسلوب أبيات أبي الفتح البلطي الذي يقول في أوّلها:

إِنِّــــيْ إِمْــــرُءٌ لا يُطَّبِيْنِـــــيْ   الشَّــادِنُ الحَسَــنِ القَــوَامِ مـــا

وقصيدة أبي يعقوب أولها: [من المتقارب]

إِلَــى مَ أُلَامُ عَلَــىٰ الغَــانِيَـــات   وَكَــمْ لِــيْ عَلَــىٰ صَبْــوَتِــيْ عَــاذِل لا

فَهَــلاَّ غنيــت بيــن ثنــاءَ فَتًّــى   لَــمْ يَــزَلْ جُــوْدُهُ شَــامِــلَ لا

أَمِيْـــنٌ هُــوَ الــرُّوْحُ فِــيْ نَسْلِــه   جَــوَادٌ لِمَــنْ جَــاءَهُ آمِــلَ لا

كَــرِيْــمٌ يعمُّــكَ قَبْــلَ السُّــؤَالِ   عَطَــايَــاهُ وَالمُسْعِــفُ السَّــائِــلَ لا

كَمِــيٌّ لُيُــوْثُ الشَّــرَىٰ تَتَّقِيْــه   عَلَــىٰ الصَّيْــدِ صَــائِلَــةً صَــائِــلَ لا

/٢٤٢ب/ بَلِيْــغٌ إِذَا أُفْحِــمَ النَّــاطِقُــوْنَ   لِمَــا شَــاءَ مَــنْ حِكْمَــةٍ قَــائِــلَ لا

بِـــه وبنَـــائِـــلِ معْـــرُوْفِـــه ... سَمَـا رُتْبَـةَ الفَضْـلِ وَالفَـاضِـلا
وَسِيـرَتُـهُ حَلْـيُ جِيْـدِ الـزَّمَـانِ ... وَكَـمْ قَـدْ مَضَـىٰ زَمَـنٌ عَـاطِـلا
عَطَـاهُ إِذَا أَجْـلَّ البَـاخِلُـوْنَ ... عَطَـاءٌ جَـزِيْـلٌ أَتَـىٰ عَـاجِـلا
عَلَيْـهِ الخَنَـاصِـرُ تُثْنَـىٰ إِذَا ... فَتَـىٰ كَـرَمٍ عَـدَا وَبَـاخَـلا
إِلَيْـهِ تَشُـدُّ الـرِّجَـالُ الـرِّحَـالَ ... فَيَغْمُـرُهَـا جُـوْدُهُ الطَّـائِـلا
وَيَصْـدُرُ عَنْـهُ عَنَـاءُ الفَقِيْـرِ ... وَيُـرْدَعُ عَـنْ جَهْلِـهِ الجَـاهِـلا
يُعَلِّـمُ مَـادِحَـهُ وَصْفَـهُ ... فَيُصْبِـحُ كَـالمَـادِحِ النَّـاقِـلا
تُخُـوْلِـفَ إِلاَّ عَلَـىٰ فَضْلِـهِ ... وَمُـدَّتْ يَـدُ الحَـقِّ وَالبَـاطِـلا
وَإِنِّـيْ كَفَـانِـيَ إِحْسَـانُـهُ ... يُـدَافِعُنِـيْ الأَسَـفُ المَـاطِـلا
وَلَسْـتُ وَقَـدْ شُـدَّ أَزْرِيْ بِـهِ ... بِمُسْتَمْطِـرِ الطَّـلِّ وَالـوَابِـلا
فَـلا زَالَ فِـيْ نِعْمَـةٍ وَصْفُـهُ ... عَلَيْـهِ غَـدَاً رُتْبَـةُ الفَـاعِـلا
وَقَـدْ جَـادَ فِـيْ مَـدْحِـهِ خَـاطِـرِيْ ... بِمَـا . . . . . مَسْلَكِـهِ هَـائِـلا
إِذَا مَـا اعْتَمَـدْتُ عَلَـىٰ عَـامِـلٍ ... بِعَـاقِبِـهِ غَيْـرِهِ عَـامِـلا
فَمَـنْ يَحْـذُ حَـذْوِيَ فَلْيَتَّئِـدْ ... فَمَـا كُـلُّ ذِيْ طَلَـبٍ نَـائِـلا
/ ٢٤٣أ/ أَمَـوْلايَ إِنْ أَكُ أُهْـدِيْ القَلِيْـلَ ... إِلَيْـكَ فَحِلْمُـكَ لِـيْ جَـامِـلا
فَقَـدْ يُتْحَـفُ المَلْـكُ تُفَّـاحَـةً ... وَكُـلُّ البِـلادِ لَـهُ حَـاصِـلا

وكتب إلىٰ الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين حسام أمير المؤمنين ـ أعزّ الله نصره وأنفذ أمره ـ: [من الوافر]

أَلاَ يَـا أَيُّهَـا المَلِـكُ الـرَّحِيْـمُ ... وَمَـوْلَـىٰ جُـوْدُهُ جَـمٌّ عَمِيْـمُ
مَـلأْتَ الأَرْضَ عَـدْلاً مِثْلَمَـا قَـدْ ... أَضَـاءَ بِـوَجْهِـكَ اللَّيْـلُ البَهِيْـمُ
فَبُـرْجُـكَ لِلْقَضَـا إِيْـوَانُ كِسْـرَى ... وَجِسْـرُكَ ذَا الصِّـرَاطُ المُسْتَقِيْـمُ
إِلَيْـكَ أَتَيْـتُ أَشْكُـو شَـرْحَ حَـالِـيْ ... وَمَـا أَلْقَـىٰ وَأَنْـتَ بِـهِ عَلِيْـمُ
أَيَحْسُـنُ أَنْ يَقِـلَّ عَلَـيَّ رِزْقٌ ... أَعِيْـشُ بِـهِ وَأَنْـتَ بِـهِ زَعِيْـمُ
وَأَنْ أُرْمَـىٰ بِبُعْـدٍ مِنْـكَ عَمْـداً ... وَقَلْبِـيْ عَـنْ وِلائِـكَ لا يَـرِيْـمُ
وَإِنِّـي مَـا أَقَـامَ جِبَـالُ رَضْـوَىٰ ... عَلَـىٰ حُبِّيْكُـمُ أَبَـداً مُقِيْـمُ
وَلِـيْ مَـنْ لَيْـسَ يَعْـذِرُنِـيْ وَلاَ لِـيْ ... بِـدَفْعِهِـمُ يَـدٌ وَهُـمُ خُصُـوْمُ

وَعِنْدِيْ مَنْ يُطَالِبُنِيْ بِرِزْقٍ ... وَيُلْزِمُنِيْ كَمَا لُزِمَ الغَرِيْمُ
وَأَنْتَ وَسِيلَتِيْ وَإِلَيْكَ أَشْكُو ... كَمَا يَشْكُو إِلَىٰ الطِّبِّ السَّقِيْمُ
/٢٤٣ب/ فَخُذْ بِيَدِيْ وَعِشْ فِي عِزِّ مُلْكٍ ... أَثِيْرَ العَرْشِ مَا سَرَتِ النُّجُوْمُ

وأنشدني لنفسه في نار الأكراد: [من السريع]

قَدْ كَانَتِ النَّارُ إِذَا أُوقِدَتْ ... فِيْ اللَّيْلِ تَرْتَاحُ إِلَيْهَا النُّفُوْسْ
فَاليَوْمَ قَدْ صَارَ يَرَاهَا الفَتَىٰ ... فَيَنْثَنِيْ عَنْهَا بِوَجْهٍ عَبُوْسْ

وأنشدني أيضًا لنفسه فيها: [من البسيط]

كَمْ أَوْقَدَ الكُرْدُ فِيْ الدَّرْبَنْدِ نَارَهُمُ ... مِنْ خَوْفِهِمْ كَذِبًا مِنْ غَيْرِ مَا خَبَرِ
وَالخَوْفُ أَنْ يَكْذِبُوا فَأَعْجَبْ لِحَادِثَةٍ ... فِيْ صِدْقِهَا آفَةٌ لِلْبَدْوِ وَالحَضَرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه من أول قصيدة في أتابك عز الدين مسعود:

[من الطويل]

أَحِنُّ إِذَا طَيْفُ الكَرَىٰ زَارَنِيْ وَهْنًا ... يَهُزُّ قَوَامًا أَهْيَفًا يُخْجِلُ الغُصْنَا
أَلَمَّ وَحَيَّانَا فَأَحْيَا وَكَمْ لَهُ ... يَدًا عِنْدَ مَسْلُوبٍ حُشَاشَتُهُ مُضْنَىٰ
سَرَىٰ وَالدُّجَىٰ مُرْخٍ عَلَيْنَا ذُيُوْلَهُ ... فَجَلَّا مُحَيَّاهُ لَنَا السَّهْلَ وَالحَزْنَا
يَلُوْمُ عَلَىٰ غَمْضِ الجُفُوْنِ وَلَو دَرَىٰ ... بِأَنَّ الكَرَىٰ مِنْ أَجْلِهِ لَمْ يُعَنِّفْنَا
وَلَوْلَا رَجَاءُ الطَّيْفِ مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ ... يَزُوْرُ لَحَرَّمْنَا الرُّقَادَ وَمَا نِمْنَا
حَفِظْنَا وَضَيَّعْتُمْ وَفَيْنَا وَلَمْ تَفُوا ... وَدُمْنَا وَمَا دُمْتُمْ وَنِمْتُمْ وَمَا بِنَّا
قطعتم وصلنا حلتم عن ودادنا ... وَنَحْنُ عَلَىٰ حِفْظِ المَوَدَّةِ مَا حُلْنَا
/٢٤٤أ/ أَخَذْنَا عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا وَبِمِثْلِهِ ... حَلَفْنَا فَمِنْتُمْ فِيْ اليَمِيْنِ وَمَا مِنَّا
وَكُنَّا لَكُمْ عَنْ حَادِثِ الدَّهْرِ جُنَّةً ... فَيَا لَيْتَكُمْ فِيْ حَقِّنَا مِثْلُ مَا كُنَّا
وَلَيْتَ عَلِمْتُمْ حَالَنَا يَوْمَ بَيْنِكُمْ ... وَيَا لَيْتَنَا نَدْرِيْ مَنِ اعْتَضْتُمُ عَنَّا
أَأَلْهَاكُمُ عَنَّا سِوَانَا وَلَمْ يَكُنْ ... لِغَيْرِكُمُ قَلْبِيْ وَإِنْ غِبْتُمُ مَغْنَىٰ
أَخَذْتُمْ بَدِيْلًا فِيْ الهَوَىٰ وَعَذَرْتُمْ ... وَبَانَ بِأَنَّ الهَجْرَ مِنْكُمْ وَمَا بِنَّا
وَكَمْ لَيْلَةٍ غَابَتْ عَلَيْنَا نُجُوْمُهَا ... وَزَهْرَ الأَمَانِيْ مِنْ وِصَالِكُمُ بُحْنَا
أَحَبْتَنَا بِأَنَّ التَّصَبُّرَ بَعْدَكُمْ ... فَعُوْدُوا بِوَصْلٍ أَوْ عِدُوْنَا فَقَدْ ذُبْنَا

ألاَ فَارْحَمُوا صَبّاً كَئِيباً مُتَيَّماً — حَلِيفَ غَرَامٍ لَمْ يَجِدْ عَنْكُمُ مَغْنَى

نَحِيلاً بَرَتْهُ لَوْعَةُ الشَّوْقِ وَالأَسَى — خَفِيّاً عَنِ العُوَّادِ إلاَّ إذَا أَنَّا

يُجَنُّ إذَا جَنَّ الظَّلاَمُ بِذِكْرِكُمْ — وَكَمْ مِثْلِهِ مِنْ عَاشِقٍ فِي الهَوَى جُنَّا

مُطِيعاً بِأَسْبَابِ الهَوَى بَيْنَ قَلْبِهِ — وَبَيْنَ التَّسَلِّي عَنْ مَوَدَّتِكُمْ سِجْنَا

يُلَبِّي إذَا نَادَاهُ دَاعِي هَوَاكُمُ — وَإنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ فِي غُصُنٍ حَنَّا

تَوَعَّدَهُ طَيْفُ الخَيَالِ بِهَجْرِهِ — وَكَانَ عَلَى المضنى لِبَاغِيهِ ضِغْنَا

وَأَنْكَحَهُ التَّبْرِيحَ قَاضِي وَعِيدِهِ — فَطَلَّقَ طِيبُ الغُمْضِ مِنْ طَرْفِهِ الجَفْنَا

وَأَصْبَحَ مَسْلُوبَ الفُؤَادِ كَمَعْشَرٍ — تَوَعَّدَهُمْ مَلْكٌ تَعَاظَمَ أَنْ يُكْنَى

/ ٢٤٤ب/ أَتَابَكُ عِزِّ الدِّيْنِ وَابْنُ أَتَابَكٍ — لَهُ حَسَبٌ يُفْنِي الحِسَابَ وَمَا يَفْنَى

فَتًى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ أَعْظَمُ رُتْبَةً — أَجَلُّهُمُ قَدْراً وَأَفْتَاهُمُ سِنَّا

أَبِيٌّ مِنْ . . . . . مَاجِدٌ — عَلَى غَيْرِهِ . . . . . الخَنَاصِرُ مَا تُثْنَى

فَوَاعَجَباً مِنْهُ وَقَدْ مَلَكَ الوَرَى — وَآجَالَهُمْ وَالعَيْشَ فِي يَدِهِ اليُمْنَى

إذَا مَا سَطَا أَفْنَى الرِّجَالَ وَإنْ هَمَا — سَحَابُ يَدَيْهِ أَخْجَلَ البَحْرَ وَالمُزْنَا

لَهُ السَّبْعَةُ الشُّهْبُ العَوَالِي مُطِيعَةٌ — فَمَنْ شَاءَ أَقْصَاهُ وَمَنْ شَاءَهُ أَدْنَى

سَمَا فِي العُلاَ فَالنَّجْمُ لَوْ رَامَ شَأْوَهُ — تَعَنَّى وَلَمْ يُقْضَ لَهُ أَرَبٌ عَنَّا

أَخُو هِمَّةٍ يَنْفِي المُحَالَ حُلُولُهَا — إذِ الكَوْنُ مَقْضِيٌّ لَهَا بِالَّذِي تُعْنَى

عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ يَكْتُبُ جُودُهُ — العَمِيمُ عَلَى الإحْسَانِ أَضْحَتْ لَهُ الحُسْنَى

تَرَاهُ إذَا دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ وَاشْتَكَتْ — مِنَ البِيضِ واشتكى الزود والطَّعْنَا

وَأَصْبَحَتِ الشُّوسُ الكُمَاةُ عَوَابِساً — مِنَ الخَوْفِ مِنْ ضَارِبٍ . . . . .

وَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ وَأُتْرِعَتْ — كُؤُوسُ الرَّدَى وَالخَيْلُ تَحْسَبُهَا سُفْنَا

يَصُولُ عَلَى الجَيْشِ العَرَمْرَمِ وَحْدَهُ — فَيَجْعَلُ أَقْصَاهُ عَلَى بُعْدِهِ أَدْنَى

وَكَمْ هَامَةٍ فِي الحَرْبِ جَفْنٌ لِسَيْفِهِ — وَكَمْ نَحْرِ بِطْرِيقٍ سَقَى دَمُهُ اللُّدْنَا

عَلَى سَيْفِهِ فِي الرَّوْعِ عَهْدٌ لِنَفْسِهِ — إذَا لَمْ يَصُدَّ الهَامَ لاَ يَسْكُنُ الجَفْنَا

/ ٢٤٥أ/ أَمِيرٌ عَلَى المَوْتِ المُمِيتِ فَلَمْ يُطِقْ — عَلَى قَبْضِ إنْسَانٍ وَلَمْ يُعْطِهِ إذْنَا

تَذَكُّرُهُ يُرْدِي نُفُوسَ عُدَاتِهِ — وَيَسْلُبُ مِنْهَا فِي مَآمِنِهَا الأَمْنَا

كَفَى كُلَّ عَافٍ فِي الأَنَامِ نَوَالُهُ — وَمَنْ أَمَّهُ بِاللُّهَى أَغْنَى

فَلَوْ قِيلَ بَحْرٌ غَيْرُ مِلْحٍ وَجَوْهَرٌ بِلاَ عَرَضٍ مَا إنْ سِوَاهُ تَوَهَّمْنَا
أَيَا مَالِكَ الدُّنْيَا أَيَا أَبْنَ مَلِيكِهَا أَيَا خَيْرَ مَنْ أَغْنَىٰ أَيَا خَيْرَ مَنْ أَقْنَى
أَيَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَىٰ وَأَشْرَفَ مُنْصِتٍ وَأَكْرَمَ مَنْ أَضْحَىٰ الزَّمَانُ لَهُ قِنَّا
حَبَاكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِخِلْعَةٍ فَأَلْبَسْتَهَا لَمَّا تَدَرَّعْتَهَا حُسْنَا
فَجِئْتُ أُهَنِّيهَا بِمَا شُرِّفَتْ بِهِ فَمِثْلُكَ مَنْ عَنَّىٰ الزَّمَانُ بِهِ يُهْنَى
فَدُمْ مَا بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ مُهَنَّئاً وَمَا نَاحَ فِي الدَّوْحِ الحَمَامُ وَمَا غَنَّى

[١٣٩]

إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بن محمد بن إبراهيمَ بنِ يوسفَ بن عليٍّ بنِ عَبدِ الله، أبو محمدٍ الخزاعيُّ الإربَليُّ.

وتوفي ـ بها ـ في سنة أربع وثلاثين وستمائة. أخبرني [أنه] ولد بإربل في شهر رمضان في سنة ثمانين وخمسمائة. شيخ قصير متصوف يترامىٰ إلىٰ طريقة التصوف، ويحفظ شيئًا من كلام الصوفية، ويتعاطى التكبر في نفسه، وعنده نوع حماقة، وله أشعار.

أنشدني ـ منها ـ بمدينة إربل / ٢٤٥ب/ ست وعشرين وستمائة، يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي رحمه الله [من المنسرح]

يَا مَنْ يَجُوبُ البَيْدَاءَ فِي الغَسَقِ هُدِيتَ فَاقْبَلْ نَصِيحَتِي وَثِقِ
إِيَّاكَ إنْ جِئْتَ حَاجِراً فَبِهِ ظَبْيٌ يَصِيدُ الأُسُودَ بِالحَدَقِ
لَهُ قَوَامٌ كَأَنَّهُ غُصُنٌ تُمِيلُهُ الرِّيحُ حُفَّ بِالوَرَقِ
يَا لَيْتَ أَنِّي أَرَاهُ وَاحِدَةً فِي الدَّهْرِ قَبْلَ المَمَاتِ مُعْتَنِقِي
قَدْ كَمُلَ الحُسْنُ وَالصِّفَاتُ كَمَا حَازَ كَمَالاً فِي الحُسْنِ وَالخُلُقِ
الصَّاحِبُ النَّدْبُ ذُو النُّهَىٰ شَرَفُ الدِّينِ مِنَ السُّوءِ وَالبَلاَءِ وُقِي

وأنشدني له: [من الطويل]

تَرَاءَتْ لِيَ الدُّنْيَا اَخْتِيَالاً وَمَوَّهَتْ بِزُخْرُفِهَا حَتَّىٰ لَقَدْ كِدْتُ أَهْوَاهَا
فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا حَيْثُ قَابَلْتُ وَجْهَهَا بِغُرَّتِهَا بَانَتْ عُيُونُ خَطَايَاهَا

وأنشدني قوله: [من الطويل]

تُخَامِرُنِي عَنْ نَفْحَةِ الشِّيْحِ نَسْمَةٌ أُغَيَّبُ بِهَا عَنْ حَظِّ طَبْعِيْ وَعَنْ حِسِّيْ
فَإِنْ هِيَ دَامَتْ كَانَ عِنْدِيْ دَوَامُهَا نَعِيْمَاً وَإِنْ عَادَتْ أَعُوْدُ إِلَى نَفْسِيْ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

/ ٢٤٦أ/ وَرَدَتْ كُتْبُكُمْ عَلَيَّ فَكَانَتْ كَقَمِيْصٍ أَتَى إِلَى يَعْقُوْبِ
ذَاكَ رَدَّ الأَعْمَى بَصِيْرَاً وَهَذَا كَانَ نُوْرَاً فِي قَلْبِيَ المَكْرُوْبِ

وله وأنشدنيه: [من الوافر]

كَتَبْتُ وَفِي فُؤَادِيْ نَارُ شَوْقٍ لَهَا لَهَبٌ وَفِي جَفْنِي سَحَابُ
فَلَوْلاَ النَّارُ بَلَّ الدَّمْعُ خَطِّي وَلَوْلاَ الدَّمْعُ لاَحْتَرَقَ الكِتَابُ

ذكر من اسمه أسعد

[١٤٠]

أسعدُ بنُ مهذّبِ بنِ زكريا بن مماتي، أبو المكارمِ، الكاتبُ المصريُّ.

أصلهُ من نصارى لميوط ـ بُليد بصعيد مصر .

وهو من أهل بيت في الكتابة عريق يتوارثونه وكان جدّه أبو المليح مماتي كاتبًا لبدر الجمالي ؛ وهو كالمستولي على الديار المصرية، ليس على يده يد .

وأما والده المهذب [فـ] كان كاتب ديوان الجيش بمصر في آخر أيام المصريين، وأول أيام بني أيوب مدّة . فقصده الكتّاب، وجعلوا له حديثًا عند الملك / ٢٤٦ب/ فَهَمَّ به صلاح الدين يوسف وأسد الدين شيركوه ـ وهو يومئذ المتولي علىٰ الديار المصرية ـ فخاف المهذب فجمع أولاده، ودخل علىٰ السلطان وأسلموا علىٰ يده فقبلهم وأحسن إليهم، وزاد في ولاياتهم .

ولما مات المهذب خلفه ابنه أبو المكارم علىٰ ديوان الجيش، وتصدّر فيه مدّة طويلة .

ثم أضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية . . . . . ديوان المال ــ وهو أجل دواوين مصر ـ وتصدّر فيه . واختصّ بصحبة القاضي الفاضل ونفق عليه، وحظي عنده، وكرُم لديه، فأقام بأمره، وأشاع في ذكره ونبّه علىٰ فضله . وكان يسمِّيه بلبلَ المجلس لما يرى من حسن خطابه، وجودة بيانه، وفصاحة منطقه، وكمال بلاغته . وكان متفرداً في عصره، فات النظراء بنظمه ونثره ذا فضل جلي وأدب عليّ، وشعر سويّ، وخاطر في الإنشاء قوي، . . . .[١] والفطنة الثاقبة، والدراية الصائبة . وصنّف عدّة تصانيف باسم القاضي الفاضل . ولم يزل كذلك إلىٰ أن ملك الملك العادل

(١) يبدو أن هنا سقط .

سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ الديار المصرية فكان وزيره والمدبر /٢٤٧أ/ لدولته الصفي عبد الله بن علي بن شُكر . وكان بينه وبين أبي المكارم ذَحْلٌ[١] قديم أيام رآسته عليه .

ووقعت من أبي المكارم إهانة في حق ابن شكر فحقد عليه، إلىٰ أن تمكن منه . فلما ورد إلىٰ مصر أحضر أبا المكارم إليه، وأقبل بكليته عليه، وفوّض إليه أمور الدواوين التي كانت باسمه قديمًا، وبقي علىٰ ذلك سنة كاملة عمل له المؤامرات، ووضع عليه المحالات، وكثر فيه التأويلات، ولم يلتفت إلىٰ أعذاره فنكبه نكبة قبيحة، ووجه عليه أموالاً كثيرة وطالبه بها، فلم يكن لها وجه؛ لأنه كان عفيفًا ذا مروءة؛ فأحال عليه الأجناد فطالبوه وقصدوه ولزوه، فهرب إلىٰ حلب وأقام إلىٰ أن مات بها ثامن عشر جمادى الأولىٰ سنة ستّ وستمائة ودفن بالمقبرة المعروفة بالمقام علىٰ جانب الطريق المسلوك إلىٰ دمشق خارج تربة أبي الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الموصلي الخراط .

وكان له نوادر مطبوعة، ونكت مستحسنة، وذلك أنَّ الملك الظاهر سلطان حلب كان قد استخدم السديد محمد بن المنذر علىٰ مصالح قناة حلب؛ /٢٤٧ب/ فاتفق أن سئل القاضي الأسعد عن السديد بن المنذر ما هو ؟ فقال مجاوبًا للسائل : مستخدم علىٰ القناة .

أنشدني القاضي أبو المآثر عبد الصمد بن عبد الله بن أحمد المصري بإربل سنة خمس وعشرين وستمائة، قال : أنشدني ابن مماتي لنفسه : [من مجزوء الرجز]

لمَّا شَكَوْتُ صَدَّهُ وَمَا لَقِيْتُ مِنْ أَذَىٰ
وَرَقَّ قَاسِي قَلْبِه وَحَبَّذَا وَحَبَّذَا
قَالَ : صَفَا الوَقْتُ وَلكِنَّ الرَّقِيبَ كَالقَذَىٰ
قُلْتُ : إِذَا غَابَ أَرْضِنِي يَا قَاتِلِي، قَالَ : إِذَا

(١) ذحل : ثأر .

وقال يصف أترجة كانت بين يدي القاضي الفاضل: [من السريع]

لله بـل للحُسْـن أُتْـرُجَّـةٌ ... تُـذَكِّـرُ النَّـاسَ بـأَمْـرِ النَّعِيـمِ
كَـأَنَّهَـا قَـدْ جَمَعَـتْ نَفْسَهَـا ... مِـنْ هَيْبَـةِ الفَاضِـلِ عَبْـدِ الـرَّحِيـمِ

وقال من قصيدة: [من الخفيف]

لاَ تَلُـمْ فـي اصْفِـرَاره لاحْمِـرَارِهْ ... جُـلُّ نَـارِ القُلُـوبِ مِـنْ جُلَّنَـارِهْ
وَهْـوَ خَـدٌّ يكَـادُ يَقْتَـصُّ مِنْـهُ ... كُـلُّ طَـرْفٍ لَـوْلاَ اعْتِـذَارُ عِـذَارِهْ
/ ٢٤٨أ/ مَـا رُئـي مُنْكـراً مُـدَامَ رُضَـابٍ ... مُـذْ رَوَىٰ طَـرْفُـهُ حَـدِيْـثَ خُمَـارِهْ
لَيْـسَ فيْـه مِـنْ رَاحَـةٍ لِمُـرِيْـدٍ ... قَبْلَـهُ تُطْفِـيءُ اضْطِـرَامَ اضْطِـرَارِهْ
غَيْـرَ أَنَّ الحَيَـاءَ فِيْـهِ مُضَـاهٍ ... لِلْحَيَـا فـي انْهِمَـالِـهِ وَانْهِمَـارِهْ
أَوْجَـدا الفَـاضِـلِ الَّـذِي أَوْجَـدَ الجُـوْدَ فَمِـنْ كَفِّـهِ انْفِجَـارُ بِحَـارِهْ

وقال يصف الخليج يوم فتحه بالقاهرة: [من الوافر]

خَلِيـجٌ كَـالحُسَـامِ لَـهُ صِقَـالُ ... وَلَكِـنْ فِيْـهِ لِلـرَّائِـي مَسَـرَّهْ
رَأَيْـتُ بِهَـا المِـلاَحَ تُجِيْـدُ عَـوْمـاً ... كَـأَنَّهُـمُ نُجُـوْمٌ فِـي المَجَـرَّهْ

وقال في قصيدة عملها السديد أبو القاسم الكاتب «لامية مقيّدة»:

[من السريع]

تَبْكِـي قَـوَافِـي الشِّعْـرِ لاَمِيَّـةً ... بَيَّضْتَهَـا مِـنْ حَيْـثُ سَـوَّدْتَهَـا
لَمَّـا عَـلاَ وَسْـوَاسُ أَلْفَـاظِهَـا ... ظَنَنْتَهَـا جُنَّـتْ فَقَيَّـدْتَهَـا

وقال أيضًا: [من البسيط]

أَحْبَـابَنَـا وَالَّـذِي يَقْضِـي بِـأُلْفَتِنَـا ... يَـوْمَ الفِـرَاقِ وَيُخْلِيْنَـا مِـنَ الفَـرَقِ
مَـا زِلْـتُ أَخْبِـطُ فِـي عَشْـوَاءَ مُظْلِمَـةٍ ... مِـنْ بَعْـدِكُـمْ وَأَبِيْـعُ النَّـوْمَ بِـالأَرَقِ
/ ٢٤٨ب/ حَتَّـىٰ ثَـوَيْـتُ بِنَـارِ الشَّـوْقِ فِي حُـرَقٍ ... وَصِـرْتُ أَشْـرَقُ مِـنْ دَمْعِـي عَلَـى الشَّـرَقِ
فَمَتِّعُـونِـي وَلَـوْ لَيْـلاً بِطَيْفِكُـمُ ... مَـا دُمْـتُ أَقْـدِرُ مِـنْ رُوْحِـي عَلَـىٰ رَمَقِـي

وقال في غلام خيّاط: [من مجزوء الوافر]

وَخَيَّـاطٍ نَظَـرْتُ إِلَيْـهِ مَفْتُـونـاً بِنَظْـرَاتِـهِ
أُسِيْـلُ الخَـدِّ أَحْمَـرُهُ ... بِقَلْبِـي مَـا بِـوَجْنَتِـهِ

وَقَدْ أَمْسَيْتُ ذَا سَقَمٍ كَأَنِّي خَيْطُ إِبْرَتِهِ
وَأَحْسُدُ مِنْهُ ذَاكَ الخَيْطَ فَاذْبُرِي رِيقَتِهِ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يَا أَبْدَرَ تَمٍّ هَيَّجَتْ شَوْقِي لِرُؤْيَتِهِ المَنَازِلْ
وَغَدَتْ أَدِلَّتُهُ عَلَىٰ مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلْ
ظَنَّ الشَّمُولُ بِرِيقِهِ تَخفَىٰ فَأَسْكَرَ بِالشَّمَائِلْ
رَشَأٌ تَفَقَّهَ فِي الخِلَافِ فَصَارَ يُلْقِيهِ مَسَائِلْ
لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ الوُشَاةِ وَتُقْبِلَنَّ عَلَىٰ العَوَاذِلْ
فَالعَيْنُ قَدْ جُنَّتْ بِبُعْدِكَ وَالدُّمُوعُ لَهَا سَلَاسِلْ

وأنشدني القاضي السعيد أبو محمد الحسن /٢٤٩أ/ ابن إبراهيم بن الخشاب ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني ابن مماتي لنفسه بحضرة السلطان الملك الظاهر بحلب وقد حا[ن سقوط الثلج] فأشار عليه السلطان أن يعمل فيه شيئًا فأنشد بديهة:

[من البسيط]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ الثَّلْجَ مُنْبَسِطًا عَلَىٰ البَسِيطَةِ حَتَّىٰ ضَلَّ سَالِكُهَا
مَا بَيَّضَ اللهُ وَجْهَ الأَرْضِ فِي حَلَبٍ إِلَّا لأَنَّ غِيَاثَ الدِّينِ سَالِكُهَا

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه في المعنىٰ: [من الطويل]

بِعِزِّ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ دَامَ النَّصْرُ وَاتَّصَلَ الفَتْحُ
فَشَبَّهْتُهُ فِي الدَّسْتِ وَالثَّلْجُ حَوْلَهُ فَقُلْتُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَالصَّرْحُ

وله وقد خرج مع العماد أبي حامد الكاتب الأصفهاني إلىٰ ثغري دمياط والإسكندرية، فوصلا إلىٰ ترع وخلجان ومخاضات وغدران، فقال بديهًا:

[من البسيط]

لَوْ أُطْلِقَ الدَّمْعَ مُشْتَاقٌ وَمُدَّكِرٌ لِمَنْ يُحِبُّ لأَشْفَيْنَا عَلَىٰ الغَرَقِ
/٢٤٩ب/ لَكِنَّمَا هَذِهِ الخُلْجَانُ قِتَاقُهُ لأَنَّهَا رَشْحُ مَا يُغْضِي مِنَ الحَدَقِ

[١٤١]

أسعدُ بنُ عليِّ بن المبارك بن عبد الغفار بن محمدٍ، أبو القاسمِ الواسطيُّ، المعروفُ بابنِ رشَادة الَواعظ[١].

ولد بواسط، وبها نشأ، وتوفي فيها في جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة وستمائة.

وكان فقيهًا شافعيًا فاضلاً حافظًا للقرآن العزيز، لطيف التكلم في المواعظ؛ له فصول وعظية وشعر.

أنشدني ولده أبو المظفر عبد الله، قال: كتب إلي والدي من واسط، وأنا مقيم يومئذ بالجزيرة العمرية لنفسه من صدر كتاب، وأنشدنيها فيما بعد ذلك: [من الكامل]

أَحْبَابَ قَلْبِي لاَ الطَّلاَقَةُ بَعْدَكُمْ ... عِنْدِي وَلاَ ذَاكَ السُّرُوْرُ بِبَاقِي
جَهَّمْتُ وَجْهًا كَانَ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ ... طَلْقًا وَسَاءَتْ بَعْدَكُم أَخْلاَقِي
قَسَّمْتُ قَلْبًا كَانَ غَيْرَ مُقَسَّمٍ ... وَأَرَقْتُ دَمْعًا كَانَ غَيْرَ مُرَاقِ
فَغَدَتْ عَلَى الإنْفَاقِ كُلَّ ذَخِيْرَةً ... وَلأَدْمُعِي مَدَدٌ عَلَى الإنْفَاقِ
/٢٥٠أ/ دَمْعًا لَوَ أَنَّ الوُرْقَ تَبْكِي شَجْوَهَا ... يَوْمًا بِهِ عَطِلَتْ مِنَ الأَطْوَاقِ
صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الزَّمَانِ فَرُبَّمَا ... سَمَحَ الزَّمَانُ بِرَجْعَةٍ وَتَلاَقِي[٢]

[١٤٢]

أسعدُ بنُ أحمدَ بنِ موسى بنِ منصورِ بنِ عليِّ بنِ نصرٍ، أبو المحاسنِ الإربليُّ الخزندار.

كانت ولادته بإربل، وبها توفي في ليلة الخميس سابع المحرّم سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد جاوز أربعًا وثمانين سنة.

وكان يتولّى خزانة السلاح بإربل من قبل سلطانها الملك المعظّم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ.

وكان شيخًا فكهًا ظريفًا يستظرف أشعارَه ويستعذبها من يسمعها.

---

(١) ترجم المؤلف لولده (عبد الله بن أسعد) في الجزء الثالث برقم ٢٥١.
(٢) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

أنشدني أبو محمد الحسن بن أفشين بن حسنون الإربليّ، قال: أنشدني أبو المحاسن لنفسه من قصيدة ويعرض فيها بنواب مطبخ الملك المعظم مظفر الدين ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

وَالعَــدْلُ عُثْمَــانُ المُعَنَّــىٰ لَــمْ يَــزَلْ فِــي المَطْبَــخِ المَعْمُــوْرِ خَلْــفَ المَنْـزِلِ
عَيْنَــاهُ إِنْ رَمَــدَتْ تَشَــمُّ دُخَــانَــهُ تَشْتَــمُّ رَائِحَــةَ الطَّبِيْــخِ فَتَنْجَلِــي
/ ٢٥٠ب/ يَنْقَضُّ كَالشَّاهِيْنِ إِنْ لاَحَتْ لَهُ زُبْــدِيَّــةُ السِّكْبَــاجِ حَتَّــىٰ يَمْتَلِــي
وَيَقُــوْلُ: لاَ شَلَّــتْ يَــدَا طَبَّــاخِهَــا هَــذَا النَّعِيْــمُ فَــلاَ عَــدِمْنَــا جُوسَلِــي

وأنشدني: قال: أنشدني أبو المحاسن: [من الطويل]

إِذَا كَــانَ شَعْــرُ المَــرْءِ فِــيْ أُمِّ رَأْسِــهِ قَلِيْــلاً وَبَــاقِــي الــرَّأْسِ مِــنْ شَعْــرِهِ قَفْــرُ
فَــذَاكَ دَلِيْــلٌ أَنَّــهُ لَيْــسَ عِنْــدَهُ مِــنَ الخَيْــرِ شَــيْءٌ بَــلْ بِسَــاحَتِــهِ شَــرُّ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يهجو المنتجب إبراهيم بن أبي نصر. وكان هذا رجلاً من المعدلين بإربل، ويلقب مشكي: [من مخلّع البسيط]

رَأَيْــتُ ثَــوْراً عَلَــىٰ جَــوَادٍ وَوَجْهُــهُ المُكْفَهِــرُّ يَبْكِــي
فَقُلْــتُ: مَــنْ ذَا، فَقِيْــلَ: هَــذَا مُنْتَجَــبُ الــدِّيْــنِ، قُلْــتُ: مَشْكِــي

وله وأنشدني ولده أبو المجد، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الوافر]

إذا . . . . . لَــمْ يُغْــنِ عَنِّــيْ مُعَــالَجَــةُ الطَّبِيْــبِ وَلاَ الــدَّوَاءُ
وَلاَ يُغْنِــي سِــوَىٰ التَّقْــوَىٰ وَحُبِّــيْ بِقَــوْمٍ شَمْــلُ ضَمِّهِــمُ العَبَــاءُ

وأنشدني أيضًا ولده المذكور، قال: / ٢٥١أ/ كتب إليّ والدي لنفسه وأنا بالموصل: [من الطويل]

فَــدَتْــكَ حَيَــاتِــيْ وَالحَيَــاةُ عَــزِيْــزَةٌ لأَنَّــكَ أَحْلَــىٰ مِــنْ حَيَــاتِــي وَأَعْــذَبُ
فَــلاَ كَــانَ يَــوْمٌ لاَ أَرَىٰ فِيْــهِ شَخْصَكُــمْ فَبُعْــدُكُــمْ عَنِّــيْ مِــنَ المَــوْتِ أَصْعَــبُ

قال فأجبته بهذين البيتين: [من البسيط]

إِذَا ذَكَــرْتُــكَ كَــادَ الشَّــوْقُ يُقْلِقُنِــيْ وَأَرَّقَتْنِــيْ صَبَــابَــاتٌ وَأَوْجَــاعُ
فَــإِنْ نَطَقْــتُ فَكُلِّــيْ فِيْــكَ أَلْسِنَــةٌ وَإِنْ سَكَــتُّ فَكُلِّــيْ فِيْــكَ أَسْمَــاعُ

ومما نسب إليه أيضًا من الشعر : [من الطويل]

كَتَبْتُ بأقْلاَمِ ٱشْتِيَاقِي إلَيْكُمُ ... سُطُورَ دُمُوعِي كُزماً مدَادُهَا
وَهَاجَرَ قَلْبِي بَعْدَكُمْ كُلَّ لَذَّةٍ ... كَمَا هَجَرَتْ عَيْنِي لَذِيذَ رُقَادِهَا
وَجَانَبَ جَنْبِي مَضْجَعِي فَكَأَنَّمَا ... وِسَادِيَ مَحْشُوٌّ بِشَوْكِ قَتَادِهَا

[١٤٣]

أسعدُ بنُ سعدِ بنِ زينِ العابدينَ الجرباذقانيُّ، أبو سعدٍ.

كان ذا علم بالعربية والآداب؛ فاضلاً شاعراً مشهور الذكر ببلده.

أنشدني محمد بن أحمد الجرباذقاني الفقيه، قال: أنشدني أسعد لنفسه:

[من الطويل]

/٢٥١ب/ حَنَانَيْكَ يَا صَدْرَ. . . . . نَحْوَ لُقْيَاكَ جَأْشُهُ
فَأَنْحَى عَلَيْهِ إذْ أُثِيرَتْ صَبَابَةٌ ... فَمَنْ يَحْتَرِشْهُ اليَوْمَ جَلَّ ٱحْتِرَاشُهُ

[١٤٤]

أسعدُ بنُ عبد الرحمن بنِ الخضرِ بنِ هبةِ الله بنِ عبدِ الواحدِ بنِ حبيشٍ، أبو التمامِ التنوخيُّ[(١)].

أصلُه من حماة.

وكانت ولادته بدمشق في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في شوال. وكانت وفاته رابع صفر سنة خمس وثلاثين وستمائة بالمزَّة من نواحي دمشق[(٢)].

وكان أحد الشهود المعدلين بدمشق، واستوطنها إلى أن توفي بها. وكان يكتب الشروط على باب جامعها، وإمامًا بمسجد واثلة بن الأسقع بقرب باب الصغير. وسمع الحديث من أبي الفضل الحدوي، وحدّث عنه وعن غيره.

---

(١) في هامش الأصل: «وجيه الدين».
(٢) المِزَّة: قرية كبيرة غنّاء في أعلى الغوطة، في سفح الجبل من أعلى دمشق. انظر: معجم البلدان ٥/ ١٢٢.

وكان ينظم شعراً حسنًا رائقًا؛ ولي منه إجازة بجميع رواياته ومقولاته من النظم والنثر؛ وله أدب وفضل.

ومن شعره: [من الخفيف]

خَلِّ لَوْمِي يَا لائمِي فِي البُكَاءِ ... كُلُّ دَاءٍ رَأيْتَهُ دُوْنَ دَائِي

/ ٢٥٢أ/ نُحْ مَعِي سَاعَةً مَعَ الرَّبْعِ إنَّ الرَّبْعَ أقْوَىٰ مِنْ سَادَتِي الكُرَمَاءِ[1]

هَوْلُ يَوْمِ الفِرَاقِ فَرَّقَ قَلْبِي ... فِرَقًا مِنْ شَمَاتَةِ الأعْدَاءِ

لَهْفَ نَفْسِي عَلَىٰ الَّذِيْنَ تَوَلَّوا ... إذْ تَوَلَّوا بفِطْنَتِي وَذَكَائِي

فَغَرَامِي مِنْ بَعْدِهِمْ لِيْ غَرِيْمٌ ... لَيْسَ يَنْفَكُّ وَالسَّقَامُ رِدَائِي

خَيَّمُوا يَوْمَ بَيْنِهِمْ فِي فُؤَادِيْ ... وَأقَامُوا فِي مَنْزِلِ البُعَدَاءِ

لَيْسَ آسِي عَلَىٰ الحَيَاةِ لأنِّي ... بَعْدَهُمْ فِي مَرَاتِبِ الشُّهَدَاءِ

ومما أنشدني لنفسه: [من السريع]

فِعْلُ الفَتَىٰ يُخْبِرُ عَنْ أصْلِهِ ... فَاخْتَبِرِ الإنْسَانَ مِنْ فِعْلِهِ

وَلا تُعَاتِبْهُ عَلَىٰ زَلَّةٍ ... وَاحْمِلْهُ إنْ شِئْتَ عَلَىٰ جَهْلِهِ

وَاصْبِرْ إذَا الخِلُّ جَفَا لا تَقُلْ: ... كَمْ يَصْبِرُ الخِلُّ عَلَىٰ خِلِّهِ

وَأدْرِجِ الأيَّامَ حَتَّىٰ إذَا ... مَا سَالَ الدَّهْرُ بِهِ خَلِّهِ

إنْ لَمْ تَكُنْ أصْلاً بَلِيْغَ الأذَىٰ ... عَنْكَ وإلاَّ كُنْتَ مِنْ أهْلِهِ

وأنشدني الأمير أبو حفص عمر بن أسعد بن عمار، قال: حدّثني أبو التمام بدمشق في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة / ٢٥٢ب/ قال: جاءني من سألني أن أعمل له علىٰ وزن قول الشاعر:

إنْ يَكُنْ حَبْلُكَ مِنْ حَبْلِي وَهَىٰ ... فَإلَىٰ شَوْقِي إلَيْكَ المُنْتَهَىٰ

قال: فقلتُ بديهًا: [من الرمل]

وَإلَىٰ رُؤْيَاكَ طَرْفِي طَامِحٌ ... وَإلَىٰ غَيْرِكَ يَوْمًا مَا سَهَا

كَمْ أُسَلِّي النَّفْسَ يَا مُتْلِفَهَا ... وَهْيَ لا تَزْدَادُ إلاَّ وَلَهَا

(١) أقوى: أقفر.

وَلُزُومُ الصَّبْرِ يَا مُنْيَتَهَا ... وَغَرَامِي بِكَ لِلصَّبْرِ . . . . .
قَالَ لِيْ العَاذِلُ: مَاذَا تَشْتَهِيْ ... قُلْتُ: هَلْ غَيْرُ حَبِيْبِي يُشْتَهَىٰ
يَخْجَلُ البَدْرُ إذَا عَايَنَهُ ... وَتَغَارُ الشَّمْسُ . . . .
إنْتَهَىٰ وَجْدِيْ بِهِ عَنْ صَدِّهِ ... وَتَنَاهَىٰ بِيْ وَعَنْهُ مَا ٱنْتَهَىٰ

وأخبرني أيضًا، قال: أتاني من سألني وأنا بالجامع أن أضع علىٰ وزن بيتي عمر بن الشحنة وهما:

نَعَمْ عِنْدَ الكَثِيْبِ الفَرْدِ وَالبَانِ وَوَادِيْهِ
غَزَالٌ ثَمِلُ اللَّحْظِ مِنَ الشَّوْقِ بِنَادِيْهِ

قال: فقلت بديهة: [من مجزوء الهزج]

/ ٢٥٣أ/ وَأَبْكِيْهِ إلَىٰ أَنْ ضَحِكَ الرَّوْضُ بِوَادِيْهِ
غَزَالٌ عَزَّ لُقْيَاهُ وَمَنْ لِيْ بِتَلاَفِيْهِ
وَوَجْهٌ سَجَدَ البَدْرُ لَهُ سُبْحَانَ بَادِيْهِ
أَرَانِي الوَرْدَ مِنْ خَدَّيْهِ وَالصَّهْبَاءَ مِنْ فِيْهِ
فَلَوْ عَايَنَهُ العَاذِلُ مَا عَنَّفَنِي فِيْهِ
تَعَالَىٰ اللهُ مَا أَحْلَىٰ تَلاَفِي فِيْ تَلاَفِيْهِ

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن حمدان العروضي الموصلي، قال: أنشدني أبو التمام لنفسه ما خلا البيت الأول: [من مخلّع البسيط]

(إنْ قَدَّرَ اللهُ بِالتَّلاَقِيْ ... وَكَفَّ عَنَّا يَدَ الفِرَاقِ)
وَعَادَ عُوْدُ الوِصَالِ غَضًّا ... بِعَوْدَةِ الأَهْلِ وَالرِّفَاقِ
شَكَوْتُ مَا فِيْ الفُؤَادِ مِنْكُمْ ... لِتَعْلَمُوا بَعْضَ مَا أُلاَقِي
فَمَا لِهَذَا البِعَادِ شَافٍ ... وَلاَ لِلَسْعِ الغَرَامِ رَاقِيْ
يَا سَادَةً حِيْنَ فَارَقُوْنِي ... طَلَّقْتُ أُنْسِي كُلَّ الطَّلاَقِ
صَبْرِيَ مِنْ بَعْدِكُمْ تَوَلَّىٰ ... عَنِّي وَجَيْشُ الغَرَامِ بَاقِيْ
/ ٢٥٣ب/ فَالجِسْمُ فِيْ جِلِّقٍ مُقِيْمٌ ... وَالقَلْبُ فِيْ حَيِّزِ العِرَاقِ
وَإِنْ تَصَبَّرْتُ قَالَ وَجْدِي ... صَبْرُكَ هَذَا مِنَ النِّفَاقِ

يَــا لَهْــفَ نَفْســي عَلَــىٰ زَمَــان بهِــمْ تَــوَلَّــىٰ عَــذْبَ المَــذَاق
أمْــرَضَ بُعْــدُ المَــزَار عَنْكُــمُ قَلْبِــي وَأضْنَــانِــيَ اشْتِيَــاقــي
وَصِــرْتُ فِــي أمْــرِكُــمْ رَهِينًــا فَخَلِّصُــونِــي مِــنَ الــوَثَــاق
وَعَلِّلُــونِــي مِنكُــمْ بِقُــرْب قَــدْ بَلَغَــتْ رُوحِــيَ التَّــرَاقــي

وقال أيضًا: [من الكامل]

أتُــرَىٰ الأحِبَّــةَ عَــاقَهُــمْ مَــرَضُ أمْ هَــلْ لَهُــمْ فِــي غَيْــرِنَــا غَــرَضُ
وَعَــدُوا الــزِّيَــارَةَ مُغْــرَمًــا بهِــمُ لكِــنْ حَــدِيْــثُ الــزُّوْرِ يُنْتَقَــضُ
إنْ أعْــرَضُــوا فَهُــمُ أحِبَّتُنَــا أوْ أعْــرَضُــوا مَــا مِنْهُــمُ عِــوَضُ
هَــبْ أنَّهُــمْ غَــدَرُوا بِــلاَ سَبَــبِ مَــنْ ذَا عَلَــىٰ الأحْبَــاب يَعْتَــرِضُ
يَــا لائِمِــي فِــي حُبِّهِــمْ سَفَهًــا هُــمْ جَــوْهَــرٌ وَسِــوَاهُــمُ عَــرَضُ
قَــدْ خَــانَنِــي الصَّبْــرُ الجَمِيْــلُ فَهَــلْ مِــنْ مُقْــرِضِــي صَبْــرًا فَــأقْتَــرِضُ

[١٤٥]
أسعدُ بنُ نصرٍ، أبو غانمٍ الأبـزَرِيُّ.

/ ٢٥٤أ/ كان من بلد بفارس يُعرف بأبـزَر(١).

وكان فقيهًا جدلاً مناظراً أصوليًا، درس علم الخلاف وأتقن طرفًا من الحكمة، ونظر في فن الأدب، وإنشاء الرسائل، وصنّف التصانيف مع قوله للشعر.

وكان يميل إلىٰ الأدباء والفقهاء، ويُحبّ المناظرة؛ فلما رآه صاحب فارس ماهراً في العلوم، متبحراً في فنونها عرض عليه وزارته، فأبى عنها. وكان يعمل عمل الوزارة إلاَّ أنه لم يكن يليها. وكان إليه الأمر والنهي والحكم ببلاد فارس أجمع. وكان يلقب عميد الملك. وبقي إلىٰ سنة إثنتين وعشرين وستمائة ثم قتله صاحب فارس.

ومن شعره يقول: [من الكامل]

مَــنْ لِلْمُحِــبِّ بِــرَاجِــلٍ أوْ فَــارِس يُنْبِئْــهُ حَــالاً عَــنْ أحِبَّــةِ فَــارِس
يُنْبِيــهِ عَــنْ غِــزْلانِهَــا رَأْدَ الضُّحَــىٰ يَصْــرَعْــنَ لَحْظًــا كُــلَّ لَيْــثٍ فَــارِسِ

(١) أبْزار: قرية بينها وبين نيسابور فرسخان. انظر: معجم البلدان ١/ ٧٢.

مَفْتُونُ نَيْرَنْجَاتِ أَسْوَدَ سَاحِرٍ ... وَقَتِيلُ نَارَنْجَاتِ غُصْنٍ فَارِسِي
وَمَبَاسِمٍ لَوْ ذَاقَهَا دَنِفُ الهَوَىٰ ... حَسَدَ الزَمَانَ عَلَىٰ نَعِيمٍ يَابِسِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

/ ٢٥٤ب/ بنَفْسِيْ فُؤَادٌ يَزْدَهِيْهِ غَرَامُ ... وَلَاسِيَّمَا إِنْ حُلَّ مِنْهُ مَرَامُ
مَرَامِيْ مَرَامِيْ والسِّمَاكَانِ دُوْنَهَا ... إِذَا حُلَّ شَكْلِي خَطْوُهُ فَتَمَامُ
فَخَطْوِيْ لِقَوْمٍ آخَرِيْنَ مَرَاحِلٌ ... وَسَاعِيَ أَيَّامٌ وَيَوْمِيَ عَامُ
وَمَا أَدَّعِيْ فِيْ الفَضْلِ فَهْوَ مُسَلَّمٌ ... وَمَا يَدَّعِيْ غَيْرِيْ فَفِيْهِ كَلَامُ
أَلَامُ عَلَىٰ حُبِّ الكَمَالِ وَحَبَّذَا ... مَلَامٌ عَلَىٰ حُبِّ الكَمَالِ يُلَامُ

[١٤٦]

أسعدُ بنُ يحيىٰ بن موسىٰ بن منصور بن عبد العزيز بن رجب بن هبّانَ بن سُوار بن عبد الله بنَ ربيع بنَ ربيعةَ بن رفيعَ بَن أهبانَ بن ثَعلبةَ بَن يربوعَ بنَ سماك بنَ عوف بن امرىءِ القَيس بنَ بهثة(١) بن سليم بنَ منصورَ بنَ عكرمةَ بن قيس بن عيلانَ بنِ مضر(٢) بن نزارِ بن معدِّ بَن عدنانَ، أبو المَعالَي السُّلَميُّ السِّنجاريُّ(٣):

القاضي الفقيهُ الشافعيُّ.

---

(١) في الأصل: «نهثة» وما صوبناه من كتب الأنساب.

(٢) في الأصل: «مصعب» وما صوبناه من كتب الأنساب.

(٣) في هامش الأصل: «بهاء الدين أبو السعادات».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢١٤، وفيه: «أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب بن هبان بن سوار بن عبد الله بن رفيع بن ربيعة بن هبان...». «ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمائة بسنجار» وفيه اختلاف بنسبته. بغية الطلب في تأريخ حلب ٤/ ١٥٨٤. المختار من تأريخ ابن الجزري ١٢٥ و١٣٩. الوافي بالوفيات ٩/ ٣٢. معجم البلدان ٣/ ٢٦٣ (سنجار). خريدة القصر ـ قسم الشام ٢/ ٤٠١. طبقات السبكي ٥/ ٥٠. طبقات الأسنوي ٢/ ٦٦. البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١١٠. شذرات الذهب ٥/ ١٠٤. تاريخ دنيسر ص١٦٠. توفي سنة ٦٢٢هـ.

ترجم المؤلف لولده (يحيى بن أسعد بن يحيى بن موسى...) في الجزء التاسع برقم ٩١٦.

تفقه ببغداد علىٰ أبي القاسم بن فضلان، والمجير أبي القاسم البغداديين، وبالموصل علىٰ القاضي تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهني؛ ثم علىٰ الشيخ /٢٥٥أ/ القاضي أبي سعد بن أبي عصرون بالشام، والقاضي أبي الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصلي.

وتميّز في الفقه، وتكلم في المسائل الخلافية، وسمع الحديث علىٰ القاضي أبي الفرج عبد القاهر بن نصر بن أسد بن غياث بن عبسون؛ إلاَّ أنه غلب عليه قول الشعر، واشتهر به.

وولي القضاء بدنيسر سنين وبغيرها من البلاد. وكان شاعراً من الشعراء المكثرين الفضلاء المتأدبين؛ طاف بلاد الشام، وامتدح ملوكها، وانتجع سلاطينها. وممن سار شعره واشتهر بين الناس أمره، وغنّىٰ به المغنون، ولطف موقعه في القلوب، وتداوله الناس بينهم.

وكان ـ مع ذلك ـ فقيهًا شافعي المذهب شيخًا مفاكهًا ظريفًا متنادراً. وبلغ من العمر تسعين سنة، بل نيّف عليها.

واستوزره صاحب حماة وميّزه علىٰ نظرائه. وكان ينفذه إلىٰ البلاد رسولاً.

أدركت أواخر أيامه ولم أرزق لقاءه، وروىٰ لي عنه جماعة؛ وخبرت أنه توفي بسنجار في أوائل المحرم سنة أربع وعشرين وستمائة. وكان مولده في حادي عشر جمادى الأولى /٢٥٥ب/ من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

[ساق ذكره الصاحب شرف الدين أبو البركات المستوفي في تاريخه ..... قال: الفقيه الفاضل الشاعر ذو الألفاظ المتناسقة، والمعاني الرائقة، المفرغة في قوالب الإحسان صورها، المتلون بكل لسان آياتها وسورها، له أخلاق للصبا لطفها، ومحاسن لعطارد ظرفها. قال: وقرأ عليه أخي أبو المعز المظفر بن أحمد المستوفي شيئًا من شعره وكتبه له بخطه، وكنت أحب أن أجتمع به وآخذ عنه شيئًا من شعره حتىٰ أتاح الله لقاءه رسولاً من حماة من الملك المنصور، وكان له عنده منزلة، فأنشدني من

أشعاره قطعًا عدّة رويتها عنه. ثم قدم في صفر سنة أربع وستمائة. . . . .][(١)].

حدّثني الصاحب شرف الدين أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ قال: قدم علينا أبو المعالي أسعد بن يحيىٰ السنجاري إربل غير مرّة، وقدم أخرىٰ في صفر سنة أربع وستمائة، وقد ساءت حاله، وكان ورد قبلها من حماة وهو حسن الحال كثير التجمل.

ثم قال: وأنشدني لنفسه من قصيدة أوّلها[(٢)]: [من الكامل]

وَهَــوَاكَ مَــا خَطَــرَ السُّلُــوُّ بِبَـالِــهِ ... وَلأَنْـتَ أَعْلَـمُ فِـيْ الغَـرَامِ بِحَـالِـهِ

وَمَتَـى وَشَـى وَاشٍ إِلَيْـكَ بِـأَنَّـهُ ... سَـالٍ هَـوَاكَ فَـذَاكَ مِـنْ عُـذَّالِـهِ

أَوَ لَيْـسَ لِلْكَلِـفِ المُعَنَّـىٰ شَـاهِـدٌ ... مِـنْ حَـالِـهِ يُغْنِيْـكَ عَـنْ تَسْآلِـهِ؟

جَـدَّدْتَ ثَـوْبَ سَقَـامِـهِ وَهَتَكْـتَ سِـرَّ غَـرَامِـهِ وَصَـرَمْـتَ حَبْـلَ وِصَـالِـهِ

أَفَـزَلَّـةٌ سَبَقَـتْ لَـهُ أَمْ خَلَّـةٌ ... مَـأْلُـوفَـةٌ مِـنْ تِيْهِـهِ وَدَلالِـهِ

يَـا لَلْعَجَـائِـبِ مِـنْ أَسِيْـرٍ دَأْبُـهُ ... يَفْـدِيْ الطَّلِيْـقَ بِنَفْسِـهِ وَبِمَـالِـهِ

بِـأَبِـيْ وَأُمِّـيْ نَـابِـلٌ بِلِحَـاظِـهِ ... لا يَتَّقِـيْ بِـالـدِّرْعِ حَـدَّ نِبَـالِـهِ

رَيَّـانُ مِـنْ مَـاءِ الشَّبِيْبَـةِ وَالصِّبَـا ... شَـرِقَـتْ مَعَـاطِفُـهُ بِطِيْـبِ زُلالِـهِ

كَتَـبَ العِـذَارُ عَلَـىٰ صَحِيفَـةِ خَـدِّهِ ... نُـونًـا وَأَعْجَمَهَـا بِنُقْطَـةِ خَـالِـهِ

تَسْـرِيْ النَّـوَاظِـرُ فِـيْ مَـرَاكِـبِ حُسْنِـهِ ... فَتَكَـادُ تَغْـرَقُ فِـيْ بِحَـارِ جَمَـالِـهِ

/٢٥٦أ/ فَكَفَـاهُ عَيْـنُ كَمَـالِـهِ فِـيْ نَفْسِـهِ ... وَكَفَـىٰ كَمَـالَ الـدِّيْـنِ عَيْـنُ كَمَـالِـهِ

وأنشدني الأمير ركن الدين أبو الثناء أحمد بن قرطايا المظفري الإربليّ، قال: أنشدني أبو المعالي أسعد بن يحيىٰ السنجاريّ لنفسه، وعمل هذه الأبيات لمن سأله إياها بالموصل في غلام مليح الصورة اسمه سنجر بباب سلّة مصعب سنة ستّ وستين وخمسمائة: [من الكامل]

لاَمَ العَـوَاذِلُ فِـيْ هَـوَاكَ فَـأَكْثَـرُوا ... هَيْهَـاتَ مِيْعَـادُ السُّلُـوِّ المَحْشَـرُ

جَهِلُـوا مَكَـانَـكَ فِـيْ القُلُـوْبِ فَطَـوَّلُـوا ... لَـوْ أَنَّهُـمْ وَجَـدُوا الـوَجْـدِيْ قَصَّـرُوا

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) القصيدة في وفيات الأعيان ١/ ٢١٤ ـ ٢١٥، قوامها ١٢ بيتًا. وبعضها في الوافي ٩/ ٣٢.

صَبْراً عَلَى عَذْبِ الهَوَى وَعَذَابِهِ فَأَخُو الهَوَى أَبَداً يُلاَمُ وَيُعْذَرُ
لَوْلاَ التَّفَاوُتُ فِي المَحَبَّةِ لَمْ تَبِتْ تَلْتَذُّ طِيبَ كَرَى الجُفُوْنِ وَأَسْهَرُ
بِأَبِي الَّذِي حَجَبَتْ مَحَاسِنَ وَجْهِهِ أَشْيَاءُ فِيهَا نَاظِرِيْ مُتَحَيِّرُ
يَا لَلْعُجَابِ بِبَابِ سَلَّةِ مُصْعَبٍ ظَبْيٌ وَمِنْ أَسْرَاهُ لَيْثٌ مُخْدِرُ
مُتَنَاسِبُ الأَوْصَافِ خَدٌّ أَحْمَرٌ ضَرِجٌ بِحُمْرَتِهِ وَشَعْرٌ أَشْقَرُ
يَبْدُوْ بِقَدٍّ كَالقَضِيْبِ أَمَالَهُ سُكْرُ الصِّبَا للهِ ذَاكَ المَنْظَرُ!
وَيَمِيْسُ كَالغُصْنِ الرَّطِيْبِ يَكَادُ مِنْ أَعْطَافِهِ مَاءُ الشَّبِيْبَةِ يَقْطُرُ
/ ٢٥٦ب/ يَا رَاشِقاً غَرَضَ القُلُوْبِ بِلَحْظِهِ رِفْقاً فَقَتْلُ النَّفْسِ أَمْرٌ مُنْكَرُ
مَا إِنْ عَطَفْتَ بِرُمْحِ قَدِّكَ طَاعِناً إِلاَّ وَأَنْتَ بِمَنْ أَرَدْتَ مُظَفَّرُ
أَصْبَحْتَ سُلْطَانَ القُلُوْبِ مَلاَحَةً وَجَمَالُ وَجْهِكَ فِي البَرِيَّةِ عَسْكَرُ
طَلَعَتْ طَلاَئِعُ عَارِضَيْكَ مُغِيْرَةً بِالنَّصْرِ يَقْدُمُهَا لِوَاءٌ أَخْضَرُ
وَتَسَرَّبَتْ سِرْبَ القُلُوْبِ وَأَقْبَلَتْ تَبْغِي الأَمَانَ وَمِثْلُ جَيْشِكَ يُنْصَرُ
فَلأَنْتَ أَعْلَى رُتْبَةً مِنْ سنجرٍ أَبَداً يَدِيْنُ لَكَ الوَرَى يَا سنجرُ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من السريع]

عَذَابُ قَلْبِي فِيكُمُ يَعْذُبُ وَالمَوْتُ فِي حُبِّكُمُ طَيِّبُ
كَدَّرْتُمُ صَفْوَ حَيَاتِي وَقَدْ لَذَّ لِقَلْبِي ذَلِكَ المَشْرَبُ
أَحْبَابَنَا مَا كَانَ ظَنِّي بِكُمْ هَذَا وَلاَ كُنْتُ لَهُ أَحْسَبُ
مَا لِيَ مِنْكُمْ سَادَتِي مَهْرَبٌ إِلاَّ إِلَيْكُمْ مِنْكُمُ المَهْرَبُ
وَلاَ لِقَلْبِي عَنْكُمُ مَذْهَبُ كَيْفَ وَعِشْقِي مَذْهَبٌ مُذْهَبُ
لاَ نِلْتُ آمَالِي مِنْ وَصْلِكُمْ إِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِكُمُ أَرْغَبُ
سَلَبْتُمُ عَيْنِي لَذِيْذَ الكَرَى وَكُلُّ مَنْ يَهْوَاكُمُ يُسْلَبُ
/ ٢٥٧أ/ كَأَنَّمَا قَدْ ذُبِحَ النَّومُ فِي عَيْنِي فَأَجْفَانِي دَماً تَسْكُبُ
يَا بَدْرَ تَمٍّ بُرْجُهُ خَاطِرِيْ مَشْرِقُهُ لَيْسَ لَهُ مَغْرِبُ
مَا الخَمْرُ إِلاَّ رِيقُكَ المُشْتَهَى وَالدُّرُّ إِلاَّ ثَغْرُكَ الأَشْنَبُ
يُسْكِرُنِي حِيْنَ أَرَى شَخْصَهُ كَأَنَّنِي فِي نَاظِرِيْ أَشْرَبُ
وَتَلْعَبُ الرِّيْحُ بِأَصْدَاغِهِ وَصَوْلَجَانُ الصُّدْغِ بِي يَلْعَبُ

قُلْتُ لِمَنْ يَلْعَبُ فِيْ سَلْوَتِيْ ... بِعَذْلِهِ أَنْتَ إِذاً أَشْعَبُ
قَالَ: تَبَدَّىٰ الشَّعْرُ فِيْ خَدِّهِ ... قُلْتُ لَهُ هَذَا الَّذِيْ أَطْلُبُ
لَا تَحْسَبُوْهُ شَعَراً إِنَّمَا ... ذَا قَلَمُ الحُسْنِ بِهِ يَكْتُبُ
هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ الصَّبَا سُحْرَةً ... فَفَاحَ مِنْهَا العَنْبَرُ الأَشْهَبُ
فَقُلْتُ إِذْ مَرَّتْ بِوَادِيْ الغَضَا ... مِنْ أَيْنَ هَذَا النَّفَسُ الطَّيِّبُ
هَلْ خَطَرَ الظَّاهِرُ يَوْماً بِهِ ... عَطَّرَهُ مِنْ نَشْرِهِ المَوْكِبُ
أَمْ ذَاكَ مِنْ طِيْبِ ثَنَا نَشْرِهِ ... طِيْبُ الثَّنَا مِنْ طِيْبِهِ أَطْيَبُ

وأنشدني أيضًا الأمير أبو الثناء أحمد والشيخ أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي ـ أيدهما الله تعالىٰ ـ /٢٥٧ب/ قالا: أنشدنا أبو المعالي لنفسه: [من البسيط]

مَنْ مُنْصِفِيْ مِنْ مَلُوْلٍ لَجَّ فِيْ الغَضَبِ ... يَظَلُّ يَلْعَبُ وَالأَشْوَاقُ تَلْعَبُ بِيْ
تَنَاسَبَ الحُسْنُ فِيْهِ غَيْرَ مُكْتَسَبٍ ... وَالحُسْنُ مَا كَانَ طَبْعاً غَيْرَ مُكْتَسَبِ
مُسْتَعْرِبٌ مِنْ بَنِيْ الأَتْرَاكِ مَا تَرَكَتْ ... أَيَّامُ جَفْوَتِهِ فِيْ العَيْشِ مِنْ أَرَبِ
مُنَايَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... تَقْبِيْلُ دُرِّيِّ ذَاكَ المَبْسَمِ الشَّنِبِ
فَدَيْتُهُ مِنْ حَبِيْبٍ قَالَ مُبْتَسِماً ... دَعْنِيْ مِنَ الهَزْلِ مَا أَجْنِيْ مِنَ اللَّعِبِ
للهِ لَيْلَتُنَا وَالشَّمْسُ دَائِرَةٌ ... عَلَىٰ النَّدَامَىٰ وَوَجْهُ البَدْرِ لَمْ يَغِبِ
طَافَتْ لِحَيْنِيَ كَفُّ الأَعْجَمِيِّ بِهَا ... فَكِدْتُ أُسْلَبُ مِنْ عَقْلِيْ وَمِنْ أَدَبِيْ
بِكْرٌ إِذَا قُرِعَتْ بِالمَاءِ وَلَّدَهَا ... بِكْرَ السُّرُوْرِ فَيَا فَخْرَ ابْنَةِ العِنَبِ
كَادَتْ تَطِيْرُ وَقَدْ طِرْنَا بِهَا طَرَباً ... لَوْلَا الشِّبَاكُ الَّتِيْ صِيْغَتْ مِنَ الحَبَبِ(١)
تَخَالُهَا بِيَدِ السَّاقِيْ وَقَدْ مُزِجَتْ ... مَنْثُوْرَ دُرٍّ طَفَا فِيْ مَائِعِ الذَّهَبِ
أَدَارَهَا فَتَغَشَّتْهُ أَشِعَّتُهَا ... فَخِلْتُهُ غَاصَ فِيْ بَحْرٍ مِنَ اللَّهَبِ
فَقُلْتُ يَا قَوْمُ هَذِيْ النَّارُ تَحْمِلُهَا ... كَفٌّ مِنَ المَاءِ هَذَا غَايَةُ العَجَبِ

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين الرازي، قال: أنشدني أسعد بن يحيىٰ لنفسه: [من الكامل]

---

(١) هذا البيت في سير أعلام النبلاء ٢٢/٣٠٣.

/٢٥٨أ/ أَعَلمْتَ مَا صَنَعَ الغَرَامُ بِقَلْبِه ... أَوْدَىٰ بِهِ لِمَّا أَلَبَّ بِلُبِّه
بِأَبِي الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ لِعُجْبِه ... رَدَّ السَّلاَم فَإِنْ سَلَكْتَ فَعُجْ بِه
لَبَّاهُ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ وَهَكَذَا ... مَنْ يَدْعُهُ دَاعِي الغَرَام يُلَبِّه
مُتَتَائِهٌ بِالحُسْنِ مَغْرُورٌ بِه ... لاَ يَرْعَوِي عِنْدَ العِتَاب لِعَتْبِه
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا جَنَاهُ بِلَحْظِه ... مِنْ سَلْبِه يَوْمَ الغُوَيْر فَسَلْ بِه
أَوْ شِئْتَ أَنْ تَلْقَىٰ غَزَالاً أَعْفَراً ... فِي سِرْبِه أُسْدُ العَرِينِ فَسِرْ بِه
ظَبْيٌ مِنَ الأَتْرَاكِ مَا تَرَكَتْ ظُبَا ... أَلْحَاظِه مِنْ سَلْوَةٍ لِمُحِبِّه
يَا مَا أُمَيْلَحَهُ وَأَعْذَبَ رِيقَهُ ... وَأَعَزَّهُ وَأَذَلَّنِي فِي حُبِّه
[الشَّمْسُ تَبْدُو مِنْ أَسِرَّةِ وَجْهِه ... وَالغُصْنُ يَخْجَلُ مِنْ مُهَفْهَفِ رَطْبِه
كَمْ مِنْ خُمَارٍ دُوْنَ خَمْرَةِ رِيقِه ... وَعَذَاب قَلْبٍ دُوْنَ رَشْفَةِ عَذْبِه
يَا لَلْرِجَالِ أَظَلُّ أَطْلُبُ قُرْبَهُ ... عَجَبًا وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مِنْ قُرْبِه][(١)]

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي الحنفي ـ أدام الله أيامه ـ بمحروسة حلب بمنزله المعمور في العشر الأول من ربيع الآخر سنة اربع وثلاثين وستمائة ـ من لفظه ـ قال: حدّثني أبو المعالي أسعد بن يحيىٰ بن موسىٰ السنجاري الشاعر، قال: كان صاحب آمد يهوىٰ قينة، فقال لها يومًا وهو سكران، فعلقت يدها في طوقه وقالت متمثلة:

/٢٥٨ب/ (لَتَقْرَعَنَّ عليَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ... إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلاَقِي)

فوقع ذلك في قلبه، فدخلت عليه فأخبرني بالقصة، فقلت: ارتجالاً وضمّن البيت:

[من البسيط]

أَدِرْ كُؤُوْسَكَ عَنِّي أَيُّهَا السَّاقِي ... وَارْفُقْ عَلَيَّ فَهَذَا وَقْتُ إِرْفَاقِي
أَمَا تَرَىٰ سَوْرَةَ الصَّهْبَاء قَدْ سَلَبَتْ ... عَقْلِي وَقَدْ أَسْكَرَتْنِي خَمْرُ أَشْوَاقِي
نَارُ الغَرَام وَمَاءُ الدَّمْعِ قَدْ جُمِعَا ... فَاعْجَبْ لَهُ بَيْنَ إِعْرَاقٍ وَإِغْرَاقِ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي هَوَىٰ لَيْلَىٰ سِوَى رَمَقٍ ... وَفِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ البَاقِي
قَالَتْ وَقَدْ قُلْتُ فِي سُكْرٍ أُمَازِحُهَا: ... سَلَوْتُ عَنْكَ فَمَدَّتْنِي بِإِطْرَاقِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَ مِنْ نَدَمٍ ... إذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلَاقِي)
وَعُدْتُ مُعْتَذِراً مِمَّا جَنَيْتُ وَقَدْ ... قَامَتْ وَقَدْ قَامَتِ الدُّنْيَا عَلَى سَاقِ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

كُلَّ يَوْمٍ يَلُوحُ لِي مِنْكَ مَعْنَى ... وَأَنَا العَاشِقُ الكَئِيبُ المُعَنَّى
وَسَقَامِي يَزِيدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ... أَنَا أَفْنَى وَحُبُّكُمْ لَيْسَ يَفْنَى
يَا غَزَالاً مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَسَلْعٍ ... لَكَ بَيْنَ الضُّلُوعِ رَبْعٌ وَمَغْنَى
كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ عَنَّا اصْطِبَاراً ... لَيْتَ شِعْرِي بِمَنْ تَشَاغَلْتَ عَنَّا
/ ٢٥٩أ/ مَا رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ قَدِّكَ إِن تَأ ... . الوَرْدَ بِاللَّوَاحِظِ يُجْنَى
غَنِّي لِي سَائِحاً عَلَى مُهْرِهِ يَوْماً فَنَادَيْتُهُ فَعَنْ فعنَّا
وَرَمَانِي عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ سَهْماً فَنَادَيْتُهُ بِوَسْنَانَ وسنا
فَتَأَمَّلْتُهُ وَقُلْتُ لِصَحْبِي ... مَا عَلَيْهِ لَوْ أَمَّ فِي اللَّيْلِ وَهْنَا
ثُمَّ قَالُوا بِأَسْرِهِمْ وَهْوَ مَعْنِي ... أَنَّ هَذَا فِي حُسْنِهِ أَلْفُ مَعْنَى
قَدْ أُصِبْنَا بِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ: تَاللهِ بَلْ كُلُّنَا بِهِ قَدْ أُصِبْنَا
لِي حَبِيبٌ كَالبَدْرِ وَجْهاً ... وَكَالغُصْنِ قَوَاماً إِذَا بَدَا وَتَثَنَّى
وَمَتَى مَا شَكَوْتُ مَا بِي إِلَيْهِ ... مِنْ جَوَى حُبِّهِ جَنَى وَتَجَنَّى
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى زَمَانٍ تَقَضَّى ... بِأُهَيْلِ الأُثَيْلِ كَانُوا وَكُنَّا
فَرَّقَ الدَّهْرُ شَمْلَنَا فَافْتَرَقْنَا ... وَاشْتَفَى الحَاسِدُونَ مِنْهُمْ وَمِنَّا

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه يمدح الأمير مجاهد الدين قايماز ـ رضي الله عنه ـ: [من السريع]

يَا عَاذِلِي فِي الحُبِّ كُنْ عَاذِرِي ... أَمَا لِهَذَا العَذْلِ مِنْ آخِرِ
عمرك لَوْلَا شِقْوَتِي لَمْ أَقُلْ: ... وَيْلَاهُ مِنْ ظَبْيِ بَنِي عَامِرِ
مُغَفَّلٌ عَمَّا أُلَاقِي بِهِ ... وَرَاقِدٌ عَنْ سَهَرِ السَّاهِرِ
/ ٢٥٩ب/ مَا كُنْتُ لَوْلَا سِحْرُ أَجْفَانِهِ ... أُصَدِّقُ القَوْلَ عَلَى السَّاحِرِ
نَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ الصِّبَا قَدُّهُ ... أَهْيَفُ مِثْلُ الغُصْنِ النَّاضِرِ
تَجُولُ قُرْطَاهُ عَلَى سَالِفٍ ... مِثْلِ صِقَالِ المُرْهَفِ البَاتِرِ
يَا قَلْبُ تَبّاً لَكَ مِنْ صَاحِبٍ ... كُلُّ البَلَا مِنْكَ وَمِنْ نَاظِرِي

لله أيَّامِي عَلَى لَعْلَعِ ... وَطِيبُ أَوْقَاتِي عَلَى حَاجِرِ[1]
يَكَادُ لِلسُّرْعَةِ فِي مَرِّهَا ... أَوَّلُهَا يَعْتَزُّ بِالآخِرِ
أَحْبَابَنَا عُودُوا فَقَدْ عَادَنِي ... عِيدُ الضَّنَا مِنْ زَجْرِهِ الزَّاجِرِ
أَهَكَذَا كُلُّ الوَرَى غَادِرٌ ... وَاحَرَبَا مِنْ صُحْبَةِ الغَادِرِ
وَاللهِ مَا كَانَ انْقِطَاعِي قِلًى ... وَلا جَرَى يَوْماً عَلَى خَاطِرِي
وَإِنَّمَا الأَقْدَارُ تَأْتِي بِمَا ... لا أَشْتَهِي وَالحُكْمُ لِلْقَادِرِ
كَسَرْتُمُ قَلْبِي بِهِجْرَانِكُمْ ... وَجَابِرِي بَحْرُ النَّدَى الزَّاخِرِ
مُجَاهِدُ الدِّينِ وَمَنْ لَمْ يَزَلْ ... مُذْ كَانَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ

وله: [من البسيط]

سَائِلْ بِرَامَةَ أَهْلَ الحَيِّ مُذْ بَانُوا ... وَأَيْنَ هُمْ بَعْدَ ذَاكَ الجَزْعِ سُكَّانُ
وَإِنْ عَطَفْتَ عَلَى وَادِي الأَرَاكِ فَقُلْ ... بَانَ الغَضَا فَعَسَى أَنْ يَعْطِفَ البَانُ
/ ٢٦٠أ/ كَمْ قَدْ بَكَيْتُ فَمَا حَنُّوا وَلا عَطَفُوا ... وَكَمْ شَكَوْتُ فَمَا رَقُّوا وَلا لانُوا
كَيْفَ اسْتَقَلَّ رِكَابُ الرَّكْبِ يَوْمَ غَدَوْا ... وَهَلْ عَلَى العَهْدِ من . . . . . أَمْ خَانُوا
وَقُلْ لأَهْلِ الكَثِيبِ الفَرْدِ عَادِلُنَا ... وَلِلشُّؤُونِ وَقَدْ حُمَّ النَّوَى شَانُ

وله: [من الوافر]

وَخِلٍّ لامَنِي لَمَّا رَآنِي ... أُسَوِّدُ لَوْنَ شَيْبِي بِالخِضَابِ
فَقُلْتُ لَهُ جَهِلْتَ مَكَانَ قَصْدِي ... وَذَا حُزْنٌ عَلَى فَقْدِ الشَّبَابِ

وأنشدني الخطيب أبو النجاء سالم بن عمر بن سالم الموصلي، قال: أنشدني أسعد بن يحيى لنفسه: [من مجزوء الكامل]

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّنِي فِي لُجِّ بَحْرِ الجُودِ رَاكِبْ
وَأَمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ وَلَكِنْ عَادَةُ البَحْرِ العَجَائِبْ[2]

وحدّثني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ قال: حدّثني أبو

---

(١) هذا البيت والبيت الذي يليه في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٢. وفيه: «على رامة» بدلاً من «على لعلع».
(٢) البيتان في الوافي ٩/ ٣٤.

المظفر بن سنينيرة الشاعر الواسطي، قال: كنت أنا وأبو المعلىٰ أسعد بن يحيىٰ السنجاري سائرين في طريق سنجار، وكان معه مملوك حسن الصورة بديع في جماله، / ٢٦٠ب/ فتقدمنا فناداه فلم يجبه، فأنشد بديهة: [من الطويل]

بِنَفْسِي حَبِيبٌ جَارٌ وَهْوَ مُجَاوِرٌ ... بَعِيدٌ عَنِ الْمُشْتَاقِ وَهْوَ قَرِيبُ
يُجِيبُ صَدَىٰ الْوَادِي إِذَا مَا دَعَوْتُهُ ... عَلَىٰ أَنَّهُ صَخْرٌ وَلَيْسَ يُجِيبُ[1]

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين ـ رضي الله عنه ـ: [من السريع]

مَا أَوْمَضَ البَارِقُ مِنْ نَجْدِ ... إِلَّا وَأَذْكَىٰ لَوْعَةَ الوَجْدِ
وَلَا جَرَتْ رِيحُ نَسِيمِ الصَّبَا ... إِلَّا جَرَىٰ دَمْعِي عَلَىٰ خَدِّيَ
أَشْتَاقُ أَنْفَاسَ نَسِيمِ الصَّبَا ... إِذْ تَتَهَادَىٰ عَذَبَ الرَّنْدِ
وَأَشْتَكِي البَيْنَ إِلَىٰ بَانَةٍ ... وَقَلَّمَا أَجْدَىٰ وَلَا يُجْدِيَ
يَا لَأُصَيْحَابِيَ عَلَىٰ لَعْلَعٍ ... هَلْ عِنْدَكُمْ لِلْبَيْنِ مَا عِنْدِيْ
قَالُوا أَتَشْتَاقُ لَيَالِيْ الحِمَىٰ ... قُلْتُ: لِقُرْبِ العَهْدِ بِالعَهْدِ
لَيْسَ الحِمَىٰ إِلَّا بِأَهْلِ الحِمَىٰ ... طِيبُ زَمَانِ الوَرْدِ بِالوَرْدِ
يَا وَاحِداً شَامَ بُرَيْقاً عَلَىٰ ... الشَّامِ غَدَا يَحْدُو عَلَىٰ الوَخْدِ
حَيِّ أُثَيْلَاتٍ بِوَادِي النَّقَا ... وَقِفْ بِأَعْلَىٰ العَلَمِ الفَرْدِ
وَقُلْ لَهُ حُيِّيتَ مِنْ هَاجِرٍ ... يُحِبُّهُ قَلْبِي عَلَىٰ الصَّدِّ
/ ٢٦١أ/ يَمْزُجُ لِي صَاباً بِشَهْدٍ وَمَا ... أُحِبُّ مَزْجَ الصَّابِ بِالشَّهْدِ
بِسَهْمِهِ أَثْبَتَ قَلْبِي وَمَا ... أَثَّرَ خَرْقُ السَّهْمِ فِي جِلْدِيَ
أَبْعَدَنِي عَنْهُ زَمَانِي وَمَا ... أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَهُ بَعْدِيْ
فَعُدَّ عَنْ نَجْدٍ وَسُكَّانِهَا ... إِلَىٰ نُمَيْرِ البَارِدِ العِدِّ
وَذِكْرِ النَّاقَةِ سَعْدَانَهَا ... وَقُلْ لَهَا: يَا نَاقَتِي جِدِّيْ
قَالَ: لَقَدْ بَالَغْتُ فِي زَجْرِهَا ... قَالَتْ: لَقَدْ جُزْتَ عَنِ الحَدِّ
أَمَطْلَعَ الشَّمْسِ بِنَا تَبْتَغِي ... فَقُلْتُ: لَا بَلْ مَطْلَعُ الحَمْدِ
المَلِكَ النَّاصِرَ مَنْ وَجْهُهُ ... كَالقَمَرِ الزَّاهِرِ لِلرِّفْدِ

(١) البيتان في الوافي ٩/ ٣٣.

سُلْطَانَ أرْض الله مَنْ مَالُهُ مُقَسَّم للْحُرِّ والعَبْدِ
يَا مَلِكَ الدُّنْيَا وَيَا أوْحَدَ الوُجُودِ يَا وَاسِطَةَ العقْدِ
عَدَلْتَ في العَالَم حتَّىٰ لَقَدْ رَعَيْتَ سَرْحَ الشَّاء بالأَسْدِ
سِرْ وَامْلك الأرْضَ فَإنَّ السُّرَى تَبْلُغ فيه مُنْتَهَىٰ القَصْدِ
فَالشَّمْسُ لَوْلا سيْرُهَا دائمًا مَا طَلَعَتْ فِي شَرَف السَّعْدِ
يَا مَنْ إذَا أوْعَدَ يَوْمًا عَفَا وَمَنْ نَدَاهُ سَابقُ الوَعْدِ
لا تَرْضَ دُوْنَ السَّدِّ قَصْداً فَمَا مِثْلُكَ مَنْ يَرْضَىٰ سِوَىٰ السَّدِّ

[١٤٧]

/ ٢٦١ب/ أسعدُ بنُ إبراهيمَ بن الحسن بنِ عليٍّ، أبو المجدِ النَّشّابيُّ، الكاتبُ الإربليُّ[(١)].

كان مولده بمدينة إربل في صفر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة. وكانت صنعته في ابتداء عمره عمل النشاب فلذلك لا يُعرف إلاَّ بها.

فارق إربل وخرج إلىٰ البلاد الشامية، وغاب عنها مُدَّة، ثم عاد إلىٰ إربل فقلّده الملك المعظّم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ كتابةَ الإنشاء بديوانه، وصار الراتق والفاتق عنده ذا أمر ونهي كبير المنزلة بسيط الجاه، نافذ القول. ولم يزل كذلك في أمره ونفسه حتىٰ قبض عليه الملك المعظم مظفر الدين في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وستمائة وسجنه بقلعة كرخين لشيء أبلغ عنه؛ فلما أخذت إربل العساكر المستنصرية أُفرج عنه، وذلك سنة ثلاثين وستمائة.

رحل إلىٰ مدينة السلام فتولىٰ بها عملاً جليلاً وكان شاعراً بذيء اللسان مقدامًا / ٢٦٢أ/ علىٰ الهجو والسب، ذا أهاج سخيفة، وذم فاحش، كثير التعرض بأرباب الدولة وأصحاب المناصب؛ قلّ أن سلم احد من رؤساء إربل وأماثلها من لسانه؛ لأنه

(١) في هامش الأصل: «وتوفي المذكور في آخر سنة ست وخمسين وستمائة بعد استيلاء التتر المخذولين على بغداد، وسلم من وقعتهم. وكان بها رحمة الله تعالى».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ٣٥ ـ ٣٨. ذيل مرآة الزمان ١/ ١١١. فوات الوفيات ١/ ١٧ ـ ١٩. المنهل الصافي ٢/ ٣٦٨ رقم ٤١٣. الدليل الشافي ١/ ١١٨ رقم ٤١١. عقود الجمان للزركشي ٦٧.

سلك طريقة أبي الحسن علي بن بسّام في هجاء الأشراف والأكابر وتمزيق أعراضهم. وأشعاره لاذعة في الهجاء، ونثره دون شعره، واتصلت مدائحه بالديوان العالي المستنصري ـ مجده الله تعالىٰ ـ فصارت له كل عام وظيفة تدرّ عليه، ورسم لا ينقطع.

لقيت أبا المجد النشابي بإربل سنة خمس وعشرين وستمائة، فأنشدني كثيراً من أشعاره؛ ومما أنشدني لنفسه يمدح مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور ـ أدام الله أيامه ـ ويشير إلىٰ ذكر الخلفاء الراشدين ـ صلوات الله عليهم ـ من عهد السفاح إلى الدولة المستنصرية ـ ثبتها الله وأيدها: [من الكامل]

الجِدُّ يَرْتَعُ فِي المَقَامِ الأَفْخَرِ ... وَالعِزُّ يَرْبَعُ فِي الجَنَا الأَخْضَرِ
وَالدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ القُطُوبِ بَدَا لَنَا ... يَزْهُو كَوَجْهِ الضَّاحِكِ المُسْتَبْشِرِ
وَتَجَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَبْنَائِهَا ... تَدْعُو بِحَيَّ عَلَىٰ الفَلَاحِ الأَكْبَرِ
/ ٢٦٢ب/ وَغَدَا بِهَا الإِسْلَامُ يَحْمِلُ رَايَةً ... سَوْدَاءَ رَايَةَ مُنْذِرٍ وَمُبَشِّرِ
وَالدِّينُ لَاحَ لَهُ دَلِيلُ النَّصْرِ مِنْ ... سَيْفِ الإِمَامِ القَائِمِ المُسْتَنْصِرِ
أَعْلَىٰ الأَئِمَّةِ مِنْ سُلَالَةِ هَاشِمٍ ... قَدْراً وَأَشْرَفُ مَحْتِداً مِنْ عُنْصُرِ
وَرِثَ الخِلَافَةَ طَاهِراً عَنْ طَاهِرٍ ... إِرْثاً تَنَزَّهَ عَنْ مَقَالَةِ مُفْتَرِي
وَلِحَقِّهِ إِرْثُ اللِّوَاءِ وَبُرْدِهِ ... وَحُسَامِهِ وَقَضِيبِهِ وَالمِنْبَرِ
فَإِذَا أَرَدْنَا ذِكْرَ بَعْضِ صِفَاتِهِ ... يَوْماً قَرَأْنَا سُورَةَ المُدَّثِّرِ
وَإِذَا رَأَىٰ الرَّاؤُونَ نُورَ جَلَالِهِ ... لَمْ يُلْقَ غَيْرُ مُهَلِّلٍ وَمُكَبِّرِ
أَعْطَىٰ إِلَىٰ أَنْ قَالَتِ الدُّنْيَا قَدِ ... وَحَبَا إِلَىٰ أَنْ قَالَ سَائِلُهُ: أَقْصِرِ
فَنَدَاهُ فِي الدُّنْيَا بِأَرْزَاقِ الوَرَىٰ ... جَمْعاً وَفِي الأُخْرَىٰ بِنَهْرِ الكَوْثَرِ
جَمَعَتْ مَكَارِمُهُ الشَّرَافُ جَمِيعَ أَوْصَافِ الخَلَائِفِ مَفْخَراً عَنْ مَفْخَرِ
فَبِكُلِّ وَصْفٍ مِنْهُ نَعْتُ خَلِيفَةٍ ... كَالفِعْلِ شُقَّ بَيَانُهُ عَنْ مَصْدَرِ
فَنَوَالُهُ السَّفَّاحُ وَالمَنْصُورُ فَالمَنْصُورُ سَيِّدُنَا الإِمَامُ الأَنْوَرُ
مَهْدِيُّ هَذَا العَصْرِ وَالهَادِيْ إِلَىٰ الأَمْرِ الرَّشِيدِ بِنُورِ هَدْيٍ مُبْصِرِ
وَأَمِينُ أُمَّةِ أَحْمَدٍ وَإِمَامُهَا ... حَقّاً وَمَأْمُونٌ لَهَا فِي المَحْشَرِ
طُوبَىٰ لِمُعْتَصِمٍ بِهِ مِنْ وَاثِقٍ ... مِنْ فَضْلِهِ بِأَوَاصِرٍ لَمْ تُخْفَرِ
/ ٢٦٣أ/ كَمْ مُدْقِعٍ أَضْحَىٰ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ ... مُتَوَكِّلاً أَمْسَىٰ بِمَالٍ مُكْثِرِ

لَمْ يَرْضَ مُنْتَصِرٌ بِبَعْضِ عَبِيْدِهِ　　إنْ شَبَّهُوهُ بِتُبَّعٍ فِي حِمْيَرِ

مَا بَاتَ غَيْرُ المُسْتَعِيْنِ بِعَزَّةٍ　　فِي جَنَّةٍ مِنْ جُوْدِهِ أَوْ عَبْقَرِي

لَوْ شَاءَ مُعْتَزٌّ بِهِ أنْ يَمْلِكَ الدُّنْيَا رَآهَا خَاتَمًا فِي خِنْصِرِ

نَصَبَ السِّرَاطَ المُسْتَقِيْمَ لِمُهْتَدٍ　　وَأَفَاضَ نَائِلَهُ العَمِيْمَ لِمُعْسِرِ

وَلِكُلِّ مُعْتَمِدٍ نَدًى لَمْ يُقْتِرٍ　　وَلِكُلِّ مُعْتَضِدٍ يَدٌ لَمْ تُقْهَرِ

وَالمُكْتَفِي بِعَزِيْمَةٍ مِنْ بَأْسِهِ　　يَطَأُ البِلَادَ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدَرِ

مَا زَالَ مُقْتَدِرَ المَرَامِ وَقَاهِرَ الأَعْدَاءِ بِالجَدِّ السَّعِيْدِ الأَظْهَرِ

فَاللهُ رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ　　إنْ قَالَ خَلْقٌ غَيْرَ هَذَا يَكْفُرِ

تَرْضَاهُ تَقْوَى المُتَّقِي وَلِكُلِّ مُسْتَكْفٍ بِنَائِلِهِ كُنُوْزُ الأَبْحُرِ

فَازَ المُطِيْعُ لَهُ فَطَائِعُ أَمْرِهِ　　يَوْمًا مَتَى أَصْفَى السَّرِيْرَةَ يُؤْجَرِ

مَلَكَ البِلَادَ فَكَانَ أَقْدَرَ قَادِرٍ　　وَلِحِكْمَةٍ قَدْ دَانَ كُلُّ مُقَدَّرِ

مَا شَأْنُهُ إذْ كَانَ قَائِمَ هَدْيِهِ　　مُتَقَدِّمًا فِي عَصْرِهِ المُتَأَخِّرِ

فَالمُجْتَدِي مِنْ جُوْدِهِ المُتَوَفِّرِ　　كَالمُقْتَدِي بِعَلَائِهِ المُسْتَظْهِرِ

وَإذَا اسْتَقَلَّ بِقُوَّةٍ مُسْتَرْشِدٌ　　وَجَدَ الهِدَايَةَ مِثْلَ لَمْحَةِ مَنْظَرِ

/٢٦٣ب/ هُوَ رَاشِدٌ لِلْمُقْتَفِي وَمُسَاعِدٌ　　لِلْمُعْتَفِي وَمُعَانِدٌ لِلْمُجْتَرِي

هَذَا الَّذِي أَضْحَى الزَّمَانُ بِعَزْمِهِ　　مُسْتَنْجِدًا فِي الحَادِثِ المُسْتَنْكَرِ

وَإذَا ادْلَهَمَّ الخَطْبُ كَانَ مَسَارُهُ　　لِلْمُسْتَضِيءِ ضِيَاءَ صُبْحٍ مُقْمِرُ

للهِ سَيْفٌ مِنْهُ نَاصِرُ دِيْنِهِ　　وَبِغَيْرِهِ دِيْنُ الهُدَى لَمْ يُنْصَرِ

فَاليَوْمَ بُرْهَانُ النُّبُوَّةِ ظَاهِرُ　　بِخِلَافَةِ المُسْتَنْصِرِ المُسْتَنْصِرِ

جَدٌّ تَقَاعَسَتِ النُّجُومُ لِعِزِّهِ　　لَوْ بِيْعَ كَيْوَانٌ لَكَانَ المُشْتَرِيْ

أَوْ عَايَنَ المِرِّيْخُ حُمْرَةَ بَأْسِهِ　　جَعَلَتْهُ هَنَّتُهُ بِلَوْنٍ أَصْفَرِ

قَدْ بَانَ سِرُّ اللهِ فِيْهِ وَقَدْ دَنَا　　أَمَدُ المُنَى ظَفَرًا بِعَزْمٍ مُظَفَّرِ

وَيَدُ المعجزة أدلة نصره　　فِي قَهْرِ كُلِّ مُخَالِفٍ مُتَجَبِّرِ

قَهَرَ العُدَاةَ وَلَا انْتَضَى عَضْبًا وَلَا　　فُتِقَتْ لَهُ رِيْحُ الجِلَادِ بِعَنْبَرِ

ومنها:

ضَلَّ الخَوَارزمِيُّ مِنْ بَلْوَاهُ فِي صَمِّي صَمَامِ وَذِلَّةِ المُتَجَبِّرِ (١)
وَكَفَى جَمِيعَ الأَوْلِيَاءِ قِتَالَهُ وَارْتَاحَ كُلُّ مُطَهَّمٍ وَمُضَمَّرِ
سُبِيَتْ حَلَائِلُهُ وَأَضْحَى مُلْكُهُ هَمَلاً وَنَبْتُ مُنَاهُ لَمْ يَتَأَزَّرِ
وَتَشَرَّذَمَتْ أَنْصَارُهُ وَتَمَزَّقَتْ أَعْوَانُهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مُقْفِرِ
/ ٢٦٤أ/ جَدٌّ لَهُ عَقَدَ المَلَائِكُ رَايَةً بِالنَّصْرِ دَائِمَةً دَوَامَ الأَعْصُرِ

وأنشدني لنفسه يمدح الملك المنصور أبا سعيد زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر ـ رحمه الله تعالى(٢) ـ: [من الخفيف]

يَا لَقَوْمِي قَدْ جِئْتُكُمْ مُسْتَجِيْرَا لَا أَرَى مِنْكُمُ وَلِيًّا نَصِيْرَا
أَنَا مَا بَيْنَ عَاذِلٍ وَرَقِيْبٍ مِنْهُمَا خِلْتُ مُنْكَراً وَنَكِيْرَا
بِأَبِي شَادِنٌ تَبَدَّى فَأَبْدَى مَنْ مُحَيَّاهُ بَهْجَةً وَسُرُوْرَا
وَعِذَارٌ فِي ذَلِكَ الخَدِّ أَبْدَى مِنْهُمَا الحُسْنُ جَنَّةً وَحَرِيْرَا
وَثَنَايَا كَأَنَّهَا مِنْ لُجَيْنٍ قَدَّرُوْهَا فِي ثَغْرِهِ تَقْدِيْرَا
لَا رَعَى اللهُ يَوْمَ زَمُّوا المَطَايَا إِنَّهُ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْرَا
أَوْدَعُوا حِينَ وَدَّعُوا الصَّبَّ وَجْداً وَنَأَوْا وَالقُلُوبُ تَصْلَى سَعِيْرَا
وَأَسَالُوا الدُّمُوْعَ مِنْ نَرْجِسٍ غَضٍّ عَلَى الخَدِّ لُؤْلُؤاً مَنْثُوْرَا
فَغَدَا الصَّبُّ يَرْتَضِي الحُبَّ دِيْنَاً وَيَرَى نَاظِرَ السُّلُوِّ حَسِيْرَا
وَهُدِيْ قَلْبُهُ السَّبِيْلَ فَإِمَّا صَابِراً شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوْرَا
مَلِكٌ أَشْرَقَتْ بِهِ ظُلَمُ الدَّهْرِ فَأَضْحَى لَنَا سِرَاجاً مُنِيْرَا
/ ٢٦٤ب/ صُمَّ سَمْعِي عَنِ المَلَامِ كَمَا صِرْتُ بِمَدْحِي زَنْكِي سَمِيْعاً بَصِيْرَا
وَأَرَانَا نَوَالَهُ وَسُطَاهُ فَرَأَيْنَا مِنْهُ بَشِيْراً نَذِيْرَا
أَنَا سَاعٍ دَاعٍ لَهُ بِدَوَامِ المُلْكِ مَا زَالَ سَعْيُهُ مَشْكُوْرَا
كَمْ سَقَى سَيْفُهُ شَرَاباً حَمِيْماً وَسَقَى سَيْبُهُ شَرَاباً طَهُوْرَا(٣)
سَرِّحِ الطَّرْفَ فِي ذَرَاهُ تَرَى ثَمَّ نَعِيْماً بِهِ وَمُلْكاً كَبِيْرَا

---

(١) صمي صمام: زيدي يا داهية.
(٢) بعضها في الوافي ٩/ ٣٨. فوات الوفيات ١/ ١٩.
(٣) السيب: العطاء.

لَمْ يَرَ النَّازِلُونَ فِي ظُلْمَةِ المَعْمُورِ شَمساً يَوْماً وَلاَ زَمْهَرِيرَا
وَيُبِيحُ الطَّعَامَ وَالمَالَ كَمْ عَمَّ يَتِيماً بِزَادِهِ وأسِيرَا
قَسَمَ الدَّهْرَ بَيْنَ بَأْسٍ وَبَذْلٍ فَدَعَوْنَاهُ سَيِّداً وَحَصُورَا
إِذْ تُوَفَّى العُفَاةُ مِنْهُ أُجُوراً يَقْذِفُونَ العُفَاةَ مِنْهُ دُحُورَا

وأنشدني أيضًا لنفسه ابتداء قصيدة: [من الطويل]

سَلِ الخَدَّ عَنْ قَتْلِ الكَئِيبِ المُتَيَّمِ لِيُخْبِرَ عَنْهُ العَنْدَمِيُّ مِنَ الدَّمِ
وَحَاذِرْ إِذَا حَاوَلْتَ رَشْفَ رُضَابِهِ كَمِيّاً بِكَسْرِ الجَفْنِ رَامِ بِأَسْهُمِ
رَنَا فَانْتَضَى مِنْ جَفْنِهِ كُلَّ لَهْذَمٍ وَمَاسَ فَأَزْرَى بِالوَشِيجِ المُقَوَّمِ
عَجِبْتُ وَقَدْ أَضْحَى يُقَوِّمُ قَدَّهُ وَفِي فِيهِ ثَغْرٌ دُرُّهُ لَمْ يُقَوَّمِ
يَقُولُ وَقَدْ قَبَّلْتُهُ وَرَشَفْتُهُ أَرَاكَ أَبَحْتَ الخَمْرَ وَالخَمْرُ فِي فَمِي
/ ٢٦٥أ/ فَقُلْتُ: طَبَخْتُ الخَمْرَ حِينَ لَثَمْتُهُ بِأَنْفَاسِ وَجْدِي فَهُوَ غَيْرُ مُحَرَّمِ
وَلَمَّا رَأَى بِالتُّرْكِ هَتْكِيَ وَرَامَ أَنْ يُكَتِّمَ مِنْهُ بَهْجَةً لَمْ تُكَتَّمِ
تَشَبَّهَ بِالأَعْرَابِ عِنْدَ التَثَامِهِ بِعَارِضِهِ يَا طِيبَ لَثْمِ المُلَثَّمِ
فَمَا زَادَنِي إِلاَّ نُحُولاً وَنَمَّ بِي إِلَى النَّاسِ عُذْرٌ بِالعِذَارِ المُنَمْنَمِ
شَكَى خَصْرُهُ مِنْ رِدْفِهِ فَتَرَاضَيَا لِفَضْلِهِمَا بِنْدَ القَبَاءِ المُكَتَّمِ
وَرَدَّ جُيُوشَ العَاشِقِينَ لأَنَّهُ أَتَاهُمْ بِخَطِّ العَارِضِ المُتَحَكِّمِ
وَجَسَّدَ ذَاكَ النَّهْدَ والرِّدْفَ ثَوْبُهُ فَهَلْ قَدَرِي يَأْتِي بِهَتْكِ المُجَسَّمِ
وَقَابَلْتُ دَمْعَ العَيْنِ حُمْرَةَ خَدِّهِ فَقَالَ: أَرَى ثَغْرِيَ، فَقُلْتُ: أَرَى دَمِي!
تَمَلَّكَ رِقِّي عِنْدَمَا تَمَّ حُسْنُهُ فَشِعْرِيَ غَدَا فِي مَالِكٍ وَمُتَمِّمِ
يُوَهِّمُنِي حُفْظَ الوِدَادِ وَعُذْرُهُ يُكَذِّبُ مَا يَعْتَادُنِي مِنْ تَوَهُّمِ
فَأُضْحِي إِلَى جُورِيِّ خَدَّيْهِ عَاذِلاً وَأُمْسِي وَمِنْ مَيْلِ القُدُودِ تَظَلُّمِي
وَقَدْ كُنْتُ جَرَّبْتُ الهَوَى وَعَرَفْتُهُ فَأَصْبَحَ وِجْدَانِي بِهِ مِثْلَ مُعْدَمِ
أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالأَمَانِي تَعِلَّةً وَأَرْجُمُ شَيْطَانِي بِغَيْبٍ مُرَجَّمِ
وَمَا هَوَّمَتْ عَيْنِي سُرُوراً بِنَعْسَةٍ وَلَكِنْ سُرُوراً بِالخَيَالِ المُسَلِّمِ
أُحِبُّ مَزَارَ الطَّيْفِ يَخْلُو صَنِيعُهُ مِنَ الإِثْمِ فِي تَنْغِيصِهِ وَالتَّنَدُّمِ

/ ٢٦٥ب/ وقال ـ وهو محبوس بقلعة كرخين ـ: [من مخلّع البسيط]

يَـا قَلْـبُ خَفِّـضْ عَلَيْـكَ حُـزْنـاً ... وَاصْبِـرْ فَلِلصَّـابِـرِ طَيِّـبُ مَجْنَـى
هَبْـكَ مَلَكْـتَ البِـلَادَ جَمِيْعـاً ... أَلَسْـتَ تَبْلَـى أَلَسْـتَ تَفْنَـى ؟
دُنْيـا غَـدَتْ كُلُّهَـا دَنَـايَـا ... فَكُـلَّ يَـوْمٍ تَكُـوْنُ أَدْنَـى
وَنَحْـنُ رَكْـبُ الأَيَّـامِ فِيْهَـا ... نَـرْحَـلُ عَنْهَـا كَمَـا نَـزَلْنَـا
أَوْ مِثْـلُ طَيْـفِ الخَيَـالِ يَسْـرِي ... فِـي مُقْلَـةٍ لِلـزَّمَـانِ وَسْنَـى
وَالـدَّهْـرُ يَـوْمَـانِ ذَا الهَنَـاءُ ... بِمَـا أَتَـاهُ وَذَا يُعَنَّـى
فَـلَا المُعَنَّـى يَـدُوْمُ فِيْمَـا ... عُنِّـيَ فِيْـهِ وَلَا المُهَنَّـا
وَكُـلُّ مَقْـضٍ يَكُـوْنُ حَتْمـاً ... وَلَيْـسَ لِلْمَـرْءِ مَـا تَمَنَّـى
فِـي قَصَـصِ الأَنْبِيَـاءِ وَعْـظٌ ... وَأَلْـفُ مَعْنَـىً لِمَـنْ تَمَعْنَـى
مَـاتَ نَبِـيُّ الهُـدَى بِسُـمٍّ ... كَـذَاكَ صِـدِّيْقُـهُ المُكَنَّـى
وَمَـاتَ فَـارُوْقُـهُ بِقَتْـلِ ... وَقَتْـلَ عُثْمَـانَ قَـدْ عَلِمْنَـا
وَفِـي عَلِـيٍّ لَنَـا اعْتِبَـارٌ ... وَفِـي بَنِيْـهِ لَـوِ اعْتَبَـرْنَـا
وَالأُمَـوِيُّـوْنَ مِـنْ قُـرَيْـشٍ ... مَـاتُـوا جَمِيْعـاً قَتْـلاً . . . . .
وَالخُلَفَـاءُ الَّـذِيْـنَ جَـاءُوا ... أَئِمَّـةً لِلْهُـدَى وَأَمْنَـا
/ ٢٦٦أ/ كَـمْ مِـنْ أَخٍ قَـاتَـلٍ أَخَـاهُ ... وَمِـنْ أَبٍ قَـدْ أَبَـادَ إِبْنَـا
كُـلُّ نَبِـيٍّ إِلَـى وَصِـيٍّ ... رَأَى بَـلَاءً وَحَـلَّ سِجْنَـا
وَفِـي الـزَّمَـانِ الَّـذِيْ وَجَـدنـا ... كَـمْ قَـدْ رَأَيْنَـا وَكَـمْ سَمِعْنَـا
وَكَـمْ رُزِئْنَـا وَكَـمْ نُعِيْنَـا ... وَكَـمْ أَلِفْنَـا وَكَـمْ فَقَـدْنَـا
أَيْـنَ المُلُـوْكُ الَّـذِيْـنَ شَـادُوا ... وَحَصَّنُـوا بِـالحُصُـوْنِ مُـدْنَـا
وَجَمَّعُـوا المَـالَ وَاسْتَقَلُّـوا ... خَـزَائِنَـاً مَـا تُحَـاطُ وَزْنَـا
تَـرَاهُـمُ أَصْبَحُـوا جَمِيْعـاً ... بَيْـنَ مَضِيْـقِ اللُّحُـوْدِ رَهْنَـا
لَـوْ نَطَقُـوا كُلُّهُـمْ لَقَـالُـوا ... يَـا لَيْـتَ مُتْنَـا يَـوْمَ وُلِـدْنَـا
وَلَا أُمِـرْنَـا وَلَا نُهِيْنَـا ... وَلَا أَكَلْنَـا وَلَا شَـرِبْنَـا
وَهَكَـذَا الـدَّهْـرُ فِـي بَنِيْـهِ ... كَـمْ جَـارَ ظُلْمـاً بِهِـمْ وَأَخْنَـى
فَكُـلُّ مَـنْ مَسَّـهُ بَـلَاءٌ ... قَـدْ كَـانَ ذَا قَبْـلَ أَنْ خُلِقْنَـا
فَـاصْبِـرْ عَلَـى الحُكْـمِ فِـي الـرَّزَايَـا ... وَأَحْسِـنْ بِـرَبِّ السَّمَـاءِ ظَنَّـا

وَتُبْ إِلَيْهِ تَجِدْ كَرِيْمًا ... يَجْزِي عَلَىٰ السَّيِّئَاتِ حُسْنَا
مَادَامَ مَا كُنْتَ أَمْسِ فِيْهِ ... أَيْضًا وَهَذَا يَزُوْلُ عَنَّا

وأنشدني لنفسه في سعد الدين /٢٦٦ب/ ابن عبد العزيز الدمشقي ـ طبيب الملك الأشرف موسىٰ ـ وكان قد حجّ: [من مخلّع البسيط]

حَجَّ سَعِيْدُ الطَّبِيْبُ عَامًا ... وَهْوَ مِنَ الإِثْمِ غَيْرُ نَاجِي
مَا حَجَّ إِلَّا يَتُوْبُ مِمَّا ... قَدْ قَتَلَ النَّاسَ بِالعِلَاجْ
لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ حَجًّا ... لِأَنَّهَا حِجَّةُ المُدَاجِي

وأنشدني لنفسه في يعقوب غلام سراج الدين الكندي، وقد رحل إلىٰ بغداد وامتدح أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله ـ رضي الله عنه ـ: [من المنسرح]

قَالُوا النَّجِيْبُ الكِنْدِيُّ صَارَ لَهُ ... شِعْرٌ لِمَدْحِ الإِمَامِ مَوْلَانَا
وَقَدْ حَبَاهُ مِنْهُ بِجَائِزَةٍ ... عَلَىٰ هَذَا يَا لَيْتَ لَا كَانَا
فَقُلْتُ لَا تَعْجَبُوا فَسَيِّدُنَا ... يَجْزِي عَلَىٰ السَّيِّئَاتِ إِحْسَانَا

وأنشدني لنفسه في أصحاب الديوان بإربل: [من الخفيف]

قَدْ قَسَمْنَا الدِّيْوَانَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ عَلَيْهَا لِكُلِّ قَوْلٍ دَلِيْلُ
رُبَّ حَقٍّ وَلَا يُطَاعُ وَمَنْسُوبٌ إِلَىٰ الظُّلْمِ قَوْلُهُ مَقْبُوْلُ
ثُمَّ شَخْصٌ كَأَنَّهُ الحَرْفُ فِي النَّحْوِ فَلَا فَاعِلٌ وَلَا مَفْعُوْلُ
/٢٦٧أ/ وَمُصِرٌّ عَلَىٰ التَّجَنُّفِ وَالظُّلْمِ ... بَعِيْدٌ عَنِ الصَّوَابِ جَهُوْلُ
وَأَخُوْ حَاجَةٍ يمشي أَحْوَالًا ... لَدَيْهِ إِنْ جَاءَهُ البَرْطِيْلُ
أَتُرَاهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ كُلًّا ... مِنْهُمُ عَنْ فَعَالِهِ مَسْؤُوْلُ

وأنشدني لنفسه يحرض الوزير أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن أبي حرب ابن الوالي الموصلي، وهو يومئذ يتقلّد وزارة الملك المعظّم مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل ـ رضي الله عنه ـ حين عمل الحساب وحبس جماعة من الديوان:

[من مجزوء الرجز]

جَمَاعَةُ الدِّيْوَانِ فِي ... لَيْلَةِ سُخْطٍ مُظْلِمَهْ
وَقَدْ غَدَتْ أَيْدِي الوَزِيْرِ ... مِنْهُمُ مُنْتَقِمَهْ

لَا رَحِـــمَ اللهُ الَّـــذِي يَـــرْحَـــمُ قَـــوْمَـــا ظَلَمَـــهْ

وأنشدني أيضًا من شعره فيهم: [من المتقارب]

جمَـــاعَـــةُ ديْـــوَانِنَـــا أصْبَحُـــوا وَهُـــمْ فِـــيْ العَـــذَابِ لِسُـــوْءِ الحِسَـــابِ
فَـــإِنْ كَـــانَ يَـــرْجُـــو الـــوَزِيْـــرُ الثَّـــوَابَ فَقَتْلُهُـــمُ مِـــنْ جَـــزِيْـــلِ الثَّـــوَابِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: /٢٦٧ب/ لما حبس يعقوب بن إسماعيل النصراني البابُوري مشرف ديوان إربل، وتولّى المختص أبو الحسن بن القابض النصراني مكانه عارض الجيش: [من الطويل]

فَـــرِحْنَـــا بِيَعْقُـــوْبَ اللَّعِيْـــنِ وَحَبْسِـــهِ وَقُلْنَـــا أَتَـــانَـــا مَـــا يَطِيْـــبُ بِـــهِ القَلْـــبُ
فَلَمَّـــا وَلِـــيَ المُخْتَـــصُّ فَـــالكُـــلُّ وَاحِـــدٌ إِذَا مَـــا مَضَـــىٰ كَلْـــبٌ أَتَـــىٰ بَعْـــدَهُ كَلْـــبُ

وقال في البابوري أيضًا يهجوه: [من السريع]

قَـــدْ خَسِـــرَتْ دَوْلَـــةُ مَـــنْ يَـــرْتَجِـــي عِنْـــدَكَ يَـــا يَعْقُـــوْبُ إِصْـــلَاحَهَـــا
وَكَـــمْ أُجِيْجَـــتْ إِرْبِـــلٌ مَـــرَّةً وَغَيْـــرُ تَـــدْبِيْـــرِكَ مَـــا اجْتَـــاحَهَـــا
وَإِنْ أَقُـــلْ أَحْسَنْـــتَ مُسْتَهْـــزِئًـــا يَـــا صَـــدْرَ بَـــابُـــوري وَفَـــلَّاحَهَـــا

وقال أيضًا فيه: [من المتقارب]

عَجِبْـــتُ لِيَعْقُـــوْبَ فِـــي قَـــوْلِـــهِ بِـــأَنَّ الكِفَـــايَـــةَ فَحْـــوَىٰ حِسَـــابِـــهْ
وَرَدَّ العِمَـــارَةَ فِـــيْ إِرْبِـــلٍ وَتِلْـــكَ العِمَـــارَةُ أَقْصَـــىٰ خَـــرَابِـــهْ
وَقَـــدْ رُفِـــعَ المَـــالُ لَكِـــنْ إِلَيْـــهِ وَشَـــالَ الجِبَـــابَ بَلِـــىٰ فِـــي جِبَـــابِـــهْ

وقال أيضًا فيه: [من الكامل]

/٢٦٨أ/ يَـــا أَيُّهَـــا المَلِـــكُ المُعَظَّـــمُ إِنَّهَـــا لَمَشُـــوْرَةٌ وَنَصِيْحَـــةٌ لَا تُهْمَـــلُ
يَعْقُـــوْبُ قَـــدْ نَهَـــبَ البِـــلَادَ وَضَعْضَـــعَ الأَجْنَـــادَ وَاسْتَغْنَـــىٰ غَنَـــاءً يُـــذْهِـــلُ
فَـــاعْجَـــلْ عَلَيْـــهِ بِقَبْضِـــهِ فَلَـــرُبَّمَـــا هُـــوَ لَا خِـــلَافَ بِقَبْـــضِ مَـــالِـــكَ أَعْجَـــلُ

وقال أيضًا وكتبها إلىٰ الأمير ركن الدين ـ أدام الله أيامه ـ [من الطويل]

فَـــدَيْتُـــكَ إِدْلَالِـــي عَلَيْـــكَ تَقَـــرُّبٌ إِلَيْـــكَ وَهَـــذَا الفَضْـــلُ أَنْـــتَ بِـــهِ أَحْـــرَىٰ
جَعَلْتُـــكَ دُوْنَ النَّـــاسِ ذُخْـــرِيْ وَعُـــدَّتِـــي فَلَـــمْ أُبْـــقِ لِلْحَـــظِّ احْتِجَـــاجًـــا وَلَا عُـــذْرَا
وَإِنْ سِـــرْتَ عَنَّـــا قَبْـــلَ إِنْفَـــاذِ كِسْـــوَتِـــي فَـــلَا شَـــكَّ يَـــا نَجْـــلَ الأَكَـــارِمِ أَنْ أَعْـــرَىٰ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الطويل]

يَقُولُونَ لِي لَمَّا رَأَوْا رَبَّ بَغْلَةٍ تُرَى مَنْ نَرَاهُ بَعْدَ نَحْسٍ قَدِ ٱسْتَوَىٰ

فَقُلْتُ لَهُمْ لَمْ تَعْرِفُوهُ فَإِنَّهُ . . . . . بَيَّاعِ المَكَانِسِ وَالنَّوَىٰ

وأنشدني قوله في أبي علي بن صالح وقد لبس خلعة وقلّد أشراف الديوان بإربل: [من المتقارب]

رَأَيْتُ ابْنَ صَالِحَ مِنْ جَهْلِهِ يَتِيهُ ٱخْتِيَالاً بِلُبْسِ البُرُودْ

فَقُلْتُ لَهُ لَوْ بِإِسْتَبْرَقٍ تَقَمَّصْتَ مَا أَنْتَ إِلاَّ يَهُودِيْ

/ ٢٦٨ب/ وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الوافر]

لَقَدْ أَهْدَىٰ الوَزِيرُ لَنَا طَعَامًا بِلَيْلٍ حِينَ رُمْنَا أَنْ نَنَامَا

فَجَاءَ وَقَدْ أَكَلْنَا وَالتَقَيْنَا عَلَىٰ شِبَعٍ وَقَدْ كُنَّا صِيَامَا

وَأَعْطَيْنَا الغُلاَمَ دُرَيْهِمَاتٍ عَلَىٰ كُرْهٍ لِيَحْسَبَنَا كِرَامَا

فَفَرَّقْنَا الطَّعَامَ بِغَيْرِ مَعْنًى وَضَيَّعْنَا الدَّرَاهِمَ وَالطَّعَامَا

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

نَبِّهِ الظَّبْيَ مِنْ كِنَاسِ النُّعَاسِ إِنَّ دَاعِيْ الصَّبُوحِ قَدْحَةُ غَاسِي

أَوَمَا تَنْظُرُ الثُّرَيَّا وَقَدْ وَلَّتْ إِلَىٰ الغَرْبِ رِخْوَةَ الأَمْرَاسِ

وَلِقَوْسِ السَّمَاءِ عَنْ بُنْدُقِ الشُّهْبِ مَرَامٌ وَالبَدْرُ كَالبُرْجَاسِ[(١)]

وَعَمُودُ الصَّبَاحِ قَدْ خَلَقُوهُ حِينَ زَادَ الضِّيَاءُ كَالمِقْبَاسِ

وَعَلَىٰ الشَّرْقِ أَسْوَدٌ بَاسِمٌ يَرْفَعُ مِنْهُ سِتْراً مِنَ الدِّيمَاسِ

وَكَأَنَّ الغَرَّارَ قَدْ حَمَلَ المِشْعَلَ يَدْعُو بِيَقْظَةِ الحُرَّاسِ[(٢)]

فَاصْطَبِحْهَا حَمْرَاءَ تُظْهِرُ فِيْ الكَاسَاتِ ضَوْءَ المِشْكَاةِ بِالنِّبْرَاسِ

بِنْتُ خِدْرٍ تُسْبَى فَتَحْمَرُّ حَتَّىٰ تَغْتَدِيْ مِنْ حَبَابِهَا فِيْ لِبَاسِ

ثُمَّ تَصْفَرُّ حِينَ يَفْتَضُّهَا المَاءُ كَذَا البِكْرُ سَاعَةَ الافْتِرَاسِ

/ ٢٦٩أ/ مَا جَلَتْهَا السُّقَاةُ إِلاَّ غَدَا الشَّرْبُ لِنَهْبِ الأَفْرَاحِ فِيْ الأَعْرَاسِ

---

(١) البُرجاس: الهدف، الغرض.

(٢) الغرار: نجمة الصبح.

أَوْلَدُوهَا السُّرُورَ فِي سَاعَةِ العُرْسِ فَأَبْدَتْ نقاً كئيباً فِي النفاس
وَتَجَلَّتْ فَخُلِّقَتْ بخَلُوقَ النُّورِ منْهَا أَنَامِلُ الجُلَّاسِ
قَالَ لِي صَاحِبِي هِيَ الشَّمْسُ إذْ تَكْسِفُ شُهْباً بكُلِّ عُقْدَةِ رَاسِ
وَدَلِيْلِي بِأَنَّهَا الشَّمْسِي إِظْهَارُ سَنَاهَا الوَارِي بِوَجْهِ الحَاسِي
قَامَ يَسْعَىٰ بِهَا أَغَنُّ غَضِيْضُ الطَّرْفِ حُلْوُ الكَلامِ مُرُّ المَرَاسِ
بلحَاظِ لسَيْفِ ذي يَزَنِ سَفْكاً وَشَعْرٍ كَأَنَّهُ ذُوْ نُوَاسِ
عَجَباً إِذْ غَدَا يَطُوفُ بِشَمْسٍ كَيفَ لَمْ يَثْنِ عطْفَهُ عَنْ شِمَاسِ
حَكَمَ الحُبُّ فِيْهِ أَنِّي أُقَاسِي مِنْهُ قَلْباً عَلَيَّ كَالصَّخْرِ قَاسِي
قَطَفَتْ مُقْلَتِي شَقِيقَةَ خَدَّيْهِ فَأَمْسَتْ مُحمَرَّةً بِالقِيَاسِ
قُلْتُ أَيْنَ الدَّوَاءُ ؟ قَالَ : عِذَارِيَ لَكَ آسٍ فِيهِ بَرُودُ الآسِ

وأنشدني لنفسه يمدح الخليفة المستنصر بالله ـ خلّد الله ملكه ـ وهذه القصّة أكثرها موجّه يشتمل توجيهها علىٰ ذكر عشرة علوم : [من المنسرح]

/٢٦٩ب/ سَلِيْ فَمَا فِي السُّؤَال منْ بَاس عَنْ عَزْمِ صَبْرِيْ فِيْ الحُبِّ أَوْ يَاسِي
خُلِقْتُ جَلْداً عَلَىٰ الغَرَامِ وَكَمْ قَاسَيْتُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ قَاسِي
مَازَالَ لِي وَالهَوَىٰ مُمَارَسَةٌ مِنْهَا تَعَلَّمْتُ شَدَّ أَمْرَاسِي
قَالُوا : جَفَاكَ الحَبِيْبُ، قُلْتُ لَهُمْ : مَا فِي جَفَاءِ الحَبِيْبِ مِنْ بَاسِ
يَحْتَاجُ مَنْ يَعْشَقُ المِلاحَ إِلَىٰ صَبْرٍ جَمِيْلٍ وَطُوْلِ أَنْفَاسِ
بِمُهْجَتِي ذَلِكَ الدَّلَالُ إِذَا مَالَ بِقَدٍّ كَالغُصْنِ مَيَّاسِ
والعَارِضُ المُسْتَدِيْرُ فِيْ دِقَّةِ الأَقْلامِ شَكْلاً وَخَضْرَةُ الآسِي
وَتَحْسَبُ الخَالَ فَوْقَ وَجْنَتِهِ نُقْطَةَ نَدٍّ مِنْ فَوْقِ قِرْطَاسِ
أَوْ حَبَشِيّاً يَعُومُ فِي لُجَجٍ وَلَيْسَ يَبْدُو مِنْهُ سِوَى الرَّاسِ
وَرُبَّ لَيْلٍ خَالَسْتُهُ فَكَأَنَّ البَدْرَ فِيْهِ مِنْ بَعْضِ جُلَّاسِي
يُدِيْرُ مَشْمُوْلَةً لَهَا شَفَقٌ فِيْ الكَأْسِ يُغْنِي عَنْ ضَوْءِ مِقْبَاسِ
يُحَدِّثُ النَّاسَ عَنْ أَبِي لَهَبٍ وَمَا لِنَاسِي الحَدِيْثِ مِنْ بَاسِ
فَهِيَ لَنَا شَيْخَةُ الزَّمَانِ بَدَتْ فِيْ حَبَبٍ كَالمَشِيْبِ فِيْ الرَّاسِ
تُخْبِرُ عَنْ نَافِعٍ وَإِنْ قَرَأَتْ لِابْنِ كَثِيْرٍ رَوَتْ لِعَبَّاسِ

فكَم عَلَيْهَا البَسِيطَ قَدْ سَمِعَ القَوْمُ فَقَامُوا بِنَفْضِ . . . . .

/ ٢٧٠أ/ وَطَالَبُوا الدَّوْرَ والتَّسَلْسُلَ فِيْ مَسْأَلَةِ البَيْعِ خَوْفَ إمْكَاسِ

. . . . . الصَّفَا فِيْ مِنَىٰ الطَّوَافِ بِهَا حَتَّىٰ تَحِلَّ الإحْرَامَ لِلْحَاسِيْ

فَكَمْ نَحَرْنَا زِقًّا وَقَدْ نَفَرَ النَّوْمُ بِرَمْيِ الجِمَارِ فِيْ الطَّاسِ

وَإنْ نَحَا نَحْوَهَا النَّدِيْمُ رَأَىٰ لِلْهَمِّ رَفْعًا بِضَمَّةِ الكَاسِ

فَصَرْفُهَا كَمْ صَرَفْتُ مِنْ جُمَلٍ وَعِلَّةُ الصَّرْفِ جَمْعُ وَسْوَاسِ

مَدِيْدُ أفْرَاحِهَا وَوَافِرُهَا وَزَنْتُ فِيْهِ عَرُوْضَ إفْلاَسِيْ

يُنْظَمُ مِنْهَا الحَبَابُ نَظْمَ أبِيْ الطِّيبِ كَافُوْرَ يَوْمَ أعْرَاسِ

جَبَرْتُ فِيْ جَذْرِهَا الكُسُوْرَ وَقَدْ ضَرَبْتُ أسْدَاسَهَا بِأخْمَاسِ

وَكَانَ مِنْهَا مُثَلَّثًا يَسْتَوِيْ الأضْلاَعُ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ أنْكَاسِ

سَاعَاتُهَا يَسْتَعِيْرُ مِنْهَا أبُو الرَّيْحَانِ فَضْلَ الذَّكَاءِ فِيْ النَّاسِ

فَهْيَ بِلاَ شَكَّ شَمْسُ كَأسٍ لا تَكْسِفُ إلاَّ بِعُقْدَةِ الرَّاسِ

شَفَتْ بِقَانُوْنِهَا القُلُوْبَ وَكَمْ أبْدَتْ بِمَغْنَىٰ الشِّفَاءِ مِنْ آسِيْ

بَيَاضُ إبْرِيْقِهَا وَحُمْرَتُهَا وَلَّدْتُ مِنْهُ اجْتِمَاعَ إيْنَاسِيْ

بِرَبْعِ بَغْدَادَ رَبْعِ أفْضَلِ خَلْقِ اللهِ طُرًّا مِنْ آلِ عَبَّاسِ

وَصَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ أبِيْ جَعْفَرَ رَبِّ النَّوَالِ وَالبَاسِ

/ ٢٧٠ب/ وَالفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَالشَّفَاعَةِ يَوْمَ العَرْضِ حَقًّا والمَحْتِدِ الرَّاسِيْ

مُسْتَنْصِرٌ أصْبَحَتْ خِلاَفَتُهُ تُحْيِيْ البَرَايَا مِنْ بَعْدِ إرْمَاسِ

قَامَ بِهِ الدِّيْنُ حِيْنَ قَامَ وَطَرْفُ الشِّرْكِ مِنْ خَوْفِ بَأسِهِ خَاسِيْ

هِدَايَةٌ ضَوْءُ نُوْرِ كَوْكَبِهَا الدُّرِّيِّ مِشْكَاتُهُ بِنِبْرَاسِ

كَسَا الوَرَىٰ جُوْدُهُ وَأطْعَمَهُمْ فَخَاطَبُوْهُ بِالطَّاعِمِ الكَاسِيْ

فَصَفْوُ إنْعَامِهِ بِلاَ كَدَرٍ وَهْوَ رَجَاءُ المُنَىٰ بِلاَ يَاسِ

وَبَذْلُهُ مُسْرِفٌ بِلاَ عَدَدٍ وَعَدْلُهُ قَائِمٌ بِقِسْطَاسِ

سِيْرَتُهُ تَبْهَرُ العُقُوْلَ فَكَمْ أتْعَبَ فِيْهَا قِيَاسَ قَيَّاسِ

قَدْ نَسَخَتْ سِيْرَةَ الأُلَىٰ وَيَرَىٰ نَسْخَهَا ألْفَ ألْفِ كُرَّاسِ

وَطَهَّرَ اللهُ عِرْضَ مَادِحِهِ وَقَوْلَهُ مِنْ عُرُوْضِ أدْنَاسِ

وَضِدُّهُ مِنْ سُطَا مَهَابَتِهِ ... فِي قَعْرِ بُؤْسٍ وَضَنْكِ إِبْلَاسِ
وَمِلَّةُ الحَقِّ عِنْدَ نَامُوسِهَا الأَعْظَمِ مَحْرُوسَةٌ بِحُرَّاسِ
لَوْلَا الأَمَانِي فَجُودُ رَاحَتِهِ ... مَا عُرِّيَتْ عَنْ سِوَاهُ أَفْرَاسِي
وَاليَوْمَ عَامِي عَامُ أيماثَ بِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ عَامَ عَمَواسِ (١)

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

/ ٢٧١أ/ وَكَمْ مِنْ قَائِلٍ هَلْ مِنْ كَرِيمٍ ... أَرَاهُ فَحَسْرَتِي أَلْقَى كَرِيمَا
فَقُلْتُ لَهُ: كَرِيمٌ مَا تَرَاهُ ... وَلَكِنْ كَيْفَ دُرْتَ تَرَى لَئِيمَا

وحدّثني أيضًا، قال: كنت جلدت جزءً أودعته مدائح أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ خلّد الله ملكه ـ وكان في يدي جزء من الربعة الشريفة أقرأه، فأردت أن أحمل جزء المديح يوم الهناء فحملت جزء الربعة، ثمَّ بعد ذلك علمت أنني قد سهيت فكتبت إلىٰ المولىٰ الوزير نصير الدين ـ عزّ نصره ـ أعتذر:

[من الطويل]

عَجِبْتُ وَقَدْ أَوْدَعْتُ جُزْءً مَدَائِحِ الإِمَامِ أُهَنِّيهِ بِعِيدٍ بِهِ اتَّصَلْ
فَحَاوَلْتُ حَمْلَ الجُزْءِ يَوْمَ هَنَائِهِ ... فَسَابَقَنِي القُرآنُ عَنْ مَدْحِهِ بَدَلْ
وَلَمْ يَكُ سَهْواً إِذْ تَبَدَّلَ مَدْحُهُ ... بِجُزْءٍ مِنَ القُرآنِ كَيْ يَحْدُثَ الخَجَلْ
وَقَدْ كَانَ بِالقُرآنِ أَوْلَىٰ مَدَائِحًا ... لأَنَّ كِتَابَ اللهِ فِي حَقِّهِ نَزَلْ

وقال في المعنىٰ: [من البسيط]

فَأْلٌ مِنَ النَّصْرِ قَدْ وَافَيْتُ أَشْرَحُهُ ... وَالفَأْلُ فِيهِ لِنَصْرِ اللهِ بُرْهَانُ
/ ٢٧١ب/ قَدْ كُنْتُ أَقْرأُ فِي جُزْئَيْنِ ضُمِّنَ ذَا مَدْحَ الإِمَامِ وَجُزْءٍ فِيهِ قُرآنُ
فَجِئْتُ أَحْمِلُ جُزْءَ المَدْحِ أَعْرِضُهُ ... يَوْمَ الهَنَاءِ وَلِي فِي عَرْضِهِ شَانُ
فَمَا أَرَادَ كِتَابُ اللهِ يَسْبِقُهُ ... شِعْرٌ إِلَىٰ مَدْحِ مَوْلَانَا وَأَوْزَانُ

---

(١) أيماث: موضع.
عَمَواس: وقيل عمواس: كورة من فلسطين قرب بيت المقدس، وكانت عمواس قصبتها قديمًا، وهي قصبة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس منها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها في زمن عمر، قيل مات فيه خمسة وعشرون ألفًا. معجم البلدان/ مادة (عمواس).

فَسَابَقَ الذِّكْرُ في حَمْلِي فَخُيِّلَ لِيْ ... أنِّي سَهَوْتُ وَذَاكَ السَّهْوُ تبْيَانُ
وَجِئْتُ بِالمَدْحِ لمَّا أنْ تَقَدَّمَهُ ... القُرآنِ وَهْوَ نُجْحُ المَدْحِ معْوَانُ
وَالفَأْلُ فِيْ ذَاكَ قَوْلُ اللهِ أنْزَلَهُ ... مُبَارَكًا وَهْوَ لِلتَّأْيِيْدِ عُنْوَانُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الرمل]

صَدَحَتْ وُرْقُ التَّهَانِيْ ... بَيْنَ بَانَاتِ الأَمَانِيْ
وَتَبَدَّى الرَّوْضُ فِيْ ثَوْبِ شَقِيْقٍ أُرْجُوَانِيْ
وَأَدَارَ العَيْشُ صَهْبَاءَ أَوَانٍ فِيْ أَوَانِيْ
[فانتشى الوَقْتُ وَنَادَى ... عِنْدَ تَغْرِيْدِ المَثَانِيْ](1)
بِمَدِيْحِ القَائِمِ المُسْتَنْصِرِ العَالِيْ المَكَانِ
أَيُّهَا العُشَّاقُ قُوْمُوا ... وَاسْمَعُوا صَوْتَ الأَغَانِيْ
فَاحَ نَشْرٌ مِنْ شَذَاهُ ... مُشْبِهًا رَوْحَ الجِنَانِ
وَأَتَى شَوَّالُ فِيْ أَطْيَبِ وَقْتٍ وَأَوَانَ
لابِسَ الوَرْدِ رِدَاءً ... كَالرِّدَاءِ الخُسْرُوَانِيْ
/٢٧٢أ/ وَلَهُ الرَّوْضُ قَصِيْدٌ ... قَدْ حَوَى كُلَّ المَعَانِيْ
لِإِمَامٍ كَمْ حَبَا بِالجُوْدِ مِنْ قَاصٍ وَدَانِيْ
نَائِبِ اللهِ أَبِيْ جَعْفَرِ السَّامِيْ المَبَانِيْ
خَيْرِ مَنْ دَانَتْ لَهُ أَيَّامُهُ وَالثَّقَلاَن
خَيْرِ مَنْ ضَاءَتْ بِأَنْوَارِ هُدَاهُ القَمَرَانَ
خَيْرِ مَنْ سَارَ بِعَدْلٍ ... سَارَ فِيْهِ العُمَرَانَ
بَشَّرَ اللهُ بِهِ العَالَمَ فِيْ بَدْءِ القُرانِ
يَا إِمَامًا مَا لَهُ ... فِيْ الجُوْدِ وَالمَعْرُوفِ ثَانِيْ
وَالبَرَايَا فِيْ اعْتِزَازٍ ... وَالعَطَايَا فِيْ هَوَانَ
وَعَلَى الدُّنْيَا جَلاَلٌ ... مِنْ عَطَايَاهُ الحِسَانِ
أَمْرُهُ فَرْضٌ عَلَى النَّاسِ بِإِيْضَاحِ البَيَانِ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

بَابُهُ الكَعْبَةُ للْعَافِيْنَ وَالرُّكْنُ اليَمَانِيْ
لأَمِيْرِ المُؤْمنيْنَ المَدْحُ فِيْ السَّبْعِ المَثَانِيْ
لأَمِيْرِ الجُوْدِ فِيْ كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانِ
كَمْ عَفَا عَنْ ذَنْبِ جَانٍ بَنَدَىٰ حُلْوِ المَجَانِيْ
/ ٢٧٢ب/ أَبَداً لاَ زَالَ مَسْرُوْراً بِإِقْبَالِ الزَّمَانِ
يَتَمَلَّىٰ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَلْفاً بِاقْتِرَانِ
مَا دَعَا لله دَاعٍ فِيْ صَلاَةٍ وَأَذَانِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أَلَيْسَ عَجِيْبًا أَنَّ بَغْدَادَ قَدْ حَوَتْ خَلاَئِقَ لاَ تُحْصَىٰ وَلَمْ تَحْوِ مُنْعِمَا
وَلَوْلاَ أَمِيْرُ المُؤْمنينَ وَجُوْدُهُ لَمَا جَاءَهَا خَلْقٌ عَلَيْهَا مُسَلِّمَا

وأنشدني أيضًا من شعره في الشيب: [من الكامل]

زَمَنَ الصِّبَا مَا كُنْتَ إِلاَّ زَائِراً كَانَتْ زِيَارَتُهُ كَلَمْحَةِ بَارِق
غَمَّضْتُ جَفْنِي فِيْ التَّصَابِيْ سَاعَةً وَرَفَعْتُهُ فَرَأَيْتُ شَيْبَ مَفَارِقِيْ
فَكَأَنَّ شَيْبِيْ لَمْ يَزَلْ وَكَأَنَّمَا كَانَ الشَّبَابُ خَيَالَ طَيْفٍ طَارِق
كَانَ الشَّبَابُ دُخَانَ عِشْقِ شَبَابِهِ سرر المَشِيْبِ لِحُزْنِ عِشْقِ العَاشِقِ
قَدْ كُنْتُ زَوَّجْتُ الصِّبَا أُمَّ المُنَىٰ فعدت . . . . طَالِقِ
وَخَشِيْتُ مِنْ وَقْعِ المَشِيْبِ فَعِنْدَمَا وَافَىٰ خَشِيْتُ . . . . . بِلَوْنِ مَفَارِقِيْ
لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِيْ البُكَاءُ عَلَىٰ الصِّبَا لَبَكَيْتُ مِنْ شَوْقٍ لَهُ بِشَقَائِقِ
هَيْهَاتَ تَسْتَدْنِيْ قِطَافَ شَبِيْبَةٍ بَعْدَ الذُّبُوْلِ وَحَصْدِ عُمْرٍ خَافِقِ
/ ٢٧٣أ/ قَدْ كَانَ لَهْوِيْ لِلْشَّبَابِ مُوَافِقًا وَاليَوْمَ عِنْدَ الشَّيْبِ غَيْرُ مُوَافِقِ
مَا أَقْبَحَ الشَّيْخَ الكَبِيْرَ إِذَا اغْتَدَىٰ يَصْبُو بِأَهْيَفَ أَوْ بِخَوْدٍ عَاتِقِ
وَإِذَا انْقَضَتْ سُتُوْنَ عَامًا لِلْفَتَىٰ قَالَتْ مَنِيَّتُهُ أَرَاكَ مُعَانِقِيْ

وأنشدني لنفسه، وحدثني ـ من لفظه ـ قال: اجتمع عندي جماعة من الفضلاء ذكر أحدهم، أنه لما نزل شرف الدين معد بنهر عيسىٰ نظم فيه الشعراء يهنئونه، فلم يستحسن سوى قول شاعر، كان طبقة ببغداد في الشعراء، إذ قال من جملة قصيدة

موسومة بنهر عيسىٰ: [من مجزوء الكامل]

يَا نَهْرُ رُدْ مِنْ بَحْرِهِ ... إنْ كُنْتَ تَحْذَرُ أنْ تَخِيْسَا

قال: فنظمت هذه الأبيات ارتجالاً حين قدم الأمير ركن الدين أبو شجاع أحمد بن قرطايا ـ أدام الله علوّه ـ وقد قدم من اقطاعه التي ببلاد واسط يهنئه بقدومه ويمدحه: [من مجزوء الكامل]

أهْلاً بمَقْدَمِ مَنْ غَدَا ... يُحْيِي بمَقْدِمِهِ النُّفُوْسَا

/٢٧٣ب/ يَا نَهْرَ عِيْسَىٰ قَدْ أتَىٰ ... مَلِكٌ آيَاتُ مُوْسَىٰ

كَمْ قَدْ تَلَقَّفَ سَيْفُهُ ... فِي يَوْمِ بغراسَ الرُّؤُوْسَا

يَا نَهْرُ قَدْ جَاوَرْتَ بَحْراً يَقْذِفُ الدُّرَّ النَّفِيْسَا

ذَا بَحْرُهُ أبَداً يَدُوْمُ وَأنْتَ قَدْ تُمْسِي تَمِيْسَا

وَكَذَا شَرِيْعَةُ أحْمَدٍ ... نَسَخَتْ قَدِيماً شَرْعَ عِيْسَىٰ

قَدِمَ الأمِيْرُ فَقَدْ غَدَا ... رَبْعِي بِمَقْدَمِهِ أنِيْسَا

وَلَبِسْتُ بالأفْرَاحِ عِنْدَ لِقَاءِ خِدْمَتِهِ لَبُوْسَا

وَرَأيْتُ لِلإقْبَالِ .... طَلْعَتِهِ شُمُوْسَا

وأنشدني أيضًا لنفسه في سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من المتقارب]

تُرَىٰ أنْتَ يَا مُهْجَتِي مُسْتَفِيْقَهْ ... مِنَ الحُبِّ أمْ أنْتَ فِيْهِ عَرِيْقَهْ

عَجِبْتُ لِقَلْبِي أسِيْرِ الغَرَامِ ... وَلِي عَبْرَةٌ مِنْ جُفُوْنِي طَلِيْقَهْ

وَبِي رَشَأٌ جَلَّ فِي حُسْنِهِ ... بِمَا حَازَهُ مِنْ مَعَانٍ دَقِيْقَهْ

تَجَمَّعَ فِي وَجْهِهِ سِتَّةٌ ... غَدَتْ كَالحَدِيْقَةِ عِنْدَ الحَقِيْقَهْ

فَفِي ثَغْرِهِ الطَّلْعُ وَالأقْحُوَانُ ... وَفِي خَدِّهِ وَرْدَةٌ فِي شَقِيْقَهْ

/٢٧٤أ/ وَفِي لَحْظِهِ نَرْجِسٌ وَالعِذَارُ ... كَزَرْعِ البَنَفْسَجِ حَوْلَ الحَدِيْقَهْ

وَفِي الرَّوْضِ يَحْسُنُ شُرْبُ المُدَامِ ... وَفِي ثَغْرِهِ مِنْ مُدَامٍ رَحِيْقَهْ(١)

وَفِي نُوْنِ حَاجِبِهِ مَشْقَةٌ ... بِهَا ابْنُ هِلالٍ أجَادَ الطَّرِيْقَهْ

وَقَدْ أوْسَعَ البُخْلُ مِنْ وَعْدِهِ ... وَلَمْ لا يَكُوْنُ وَفِي العَيْنِ ضِيْقَهْ

---

(١) الصحيح: رَحِيْقُهْ.

فَيَا حَكَمَ الحُسْنِ لِمْ قَدْ كَتَبْتَ بِخَطِّ العِذَارِ عَلَيْنَا وَثِيقَهْ
وَلَيْسَ لإِقْرَارِنَا حُجَّةٌ ... وَلاَ قُدْرَةُ الصَّبِّ مِنَّا مُطِيقَهْ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ: [من الطويل]

أَمَاطَ لِثَامًا وَالدُّجَى مِثْلُ شَعْرِهِ ... طَوِيلٌ فَأَبْدَى ثَغْرُهُ مِثْلَ فَجْرِهِ
وَمَاسَ فَخِلْنَا البَدْرَ فَوْقَ أَرَاكَةٍ ... عَلَى دِعْصِ رَمْلٍ قُدَّ مِنْ ضَعْفِ خَصْرِهِ
وَضَمَّ لَهُ جَيْبًا فَحَاوَلْتُ فَتْحَهُ ... بِنَصْبِ احْتِيَالٍ يُسْتَعَانُ لِجَرِّهِ
لأَقْطِفَ رُمَّانَ النُّهُودِ فَفَتَّ مِنْ ... دُمُوعِي حَبًّا أَحْمَرًا فَوْقَ حِجْرِهِ
وَعَانَقْتُ . . . . كَسِلْكِ جُمَانٍ دَائِرٍ حَوْلَ نَحْرِهِ
يَغِيبُ فَاقْفُوا إِثْرَهُ فَيَدُلُّنِي ... عَلَى الأَرْضِ رَسْمٌ مِنْ مَسَاحِبِ شَعْرِهِ
رَأَيْتُ حَبِيبًا مِنْ ثَنَايَاهُ نَاظِمًا ... زُهَيْرًا كَأَنَّ الحُسْنَ شَاعِرُ ثَغْرِهِ[1]
وَمِنْ عَجَبٍ يَهْدِي بِضَوْءِ جَبِينِهِ ... وَذَاكَ الهُدَى يُبْدِي لَنَا كُفْرَ هَجْرِهِ
/ ٢٧٤ب/ تَرَى لَوْنَ ذَاكَ الخَالِ مِنْ فَوْقِ خَدِّهِ ... غَدَا أَسْوَدًا لَمَّا اصْطَلَى حَرَّ جَمْرِهِ
أَمِ الخَالُ قَدْ أَضْحَى بِلاَلاً مُؤَذِّنًا ... لِطَلْعَةِ شَمْسٍ ظَنَّهَا وَقْتَ ظُهْرِهِ
وَمَا عَجَبِي إِلاَّ لِفِرْعَوْنِ لَحْظِهِ ... وَيَعْجِزُ مُوسَى الخَالِ عَنْ دَفْعِ سِحْرِهِ
وَمِنْ جَفْنِهِ مَا سَلَّ سَيْفًا لِفِتْنَةٍ ... مِنَ اللَّحْظِ إِلاَّ رَامَ قَتْلاً بِأَسْرِهِ
وَأَحْسَبُ ذَاكَ السَّيْفَ فِي كَفِّ أَحْمَدٍ ... بِنَغْرَاسَ أَعْطَاهُ مَقَالِيدَ نَصْرِهِ
أَعَادَ وُجُوهَ الكُفْرِ سُودًا بِبِيضِهِ ... وَغَادَرَ شُهْبَ الخَيْلِ حُمْرًا بِنَصْرِهِ
فَتًى كَمُلَتْ أَوْصَافُهُ فَسَمَا بِهِ ... فَخَارٌ يُسَامِي كُلَّ فَخْرٍ بِفَخْرِهِ
وَأَصْبَحَ رُكْنُ الدِّينِ رُكْنِي وَقَدْ غَدَا ... بِهِ . . . . بِأَزْرِهِ

[١٤٨]

أسعدُ بنُ أبي نعيمٍ الوراوي الأذربيجانيُّ.

كان من الشعراء المقدمين في صنعة الشعر الفارسي وحيداً في فنّه، مشاراً إليه؛ وديوان شعره كبير. وكان ـ مع ذلك ـ فقيهًا شافعي المذهب له يد في علم الأصول

(١) حبيب: هو ابن أوس الطائي، أبو تمام الشاعر.

والخلاف تام المعرفة بفنّ النحو واللغة والأدب.

رأيت له قصيدة فارسية / ٢٧٥أ/ وفيها هذه الأبيات بالعربية: [من الوافر]

بَدَا للشُهْبِ فِيْ الآفَاقِ مَسْلَكْ فَمَاسَتْ تَحْتَ جِلْبَابٍ مُمَسَّكْ

ومنها يقول في آخرها:

كَمَشْرَعِ جُوْدِكَ الصَّافِيْ تَصَدَّىٰ بِذَيْلِ جَلَالِكَ الضَّافِيْ تَمَسَّكْ

بَلَابِلُ طَبْعِهِ حَنَّتْ إِذَا مَا سَلَاسِلَ شَوْقِهِ لُقْيَاكَ حَرَّكْ

ذكر من اسمه إسماعيل

[١٤٩]

إسماعيلُ بنُ عبد الله الحدادُ الحلبيُّ.

وكَانَ رَجُلاً سائحًا في البلاد صاحب مجاهدات ورياضات علىٰ قدم التقوىٰ والطاعة والتجرد ومعاشرة ذوي الأحوال والمعارف، وله شعر عجيب الفن، يسلك فيه مسلك أصحاب الطريقة والحقيقة من غير أن كان يعرف الخط، وتوفي بدمشق.

أنشدني الأستاذ أبو محمد أحمد بن أيوب بن مسعود بن عبد الله الخَيَّاط البعلبكي ثم الدمشقي، قال: أنشدنا الموفق إسماعيل بن عبد الله الحداد / ٢٧٥ب/ الحلبي لنفسه: [من الخفيف]

حُبُّكُمْ مَـذْهَبِـيْ وَنَـصُّ اعْتِقَـادِيْ ... وَلَكُـمْ أَبْتَغِـيْ وَأَنْتُـمْ مُـرَادِيْ

وَإِلَيْكُـمْ وَجَّهْـتُ وَجْهِـيْ وَمَـا زَالَ بِـذِكْـرَاكُـمْ يُسَـرُّ فُـؤَادِيْ

أَنْتُـمُ مُنْيَتِـيْ وَرَاحَـةُ قَلْبِـيْ ... وَعَلَيْكُـمْ فِـيْ النَّـائِبَـاتِ اعْتِمَـادِيْ

قَـدْ مَلَكْتُـمْ رِقِّـيْ فَـرِقُّـوا الصَّـبِّ ... لَـمْ يَخُـنْ عَهْـدَكُـمْ وَحِفْـظَ الـوُدَاد

وَلَـزِمْـتُ التَّشْـدِيـدَ فِيكُـمْ لأَنِّـي ... لَـمْ أَجِـدْ قَـطُّ رُخْصَـةً لِـلأَعَـادِيْ

أَبْعِثُـوا طَيْفَكُـمْ بِجَـسِّ ضَمِيْـرِيْ ... مُـذْ تَـوَلَّـىٰ الكَـرَىٰ وَحَـلَّ سُهَـادِيْ

فَـوَحَـقِّ الَّـذِيْ تَجَلَّـىٰ لِمُـوْسَـىٰ ... مَلَـكٌ أَرْتَجِيْـهِ يَـوْمَ المَعَـاد

لاَ . . . . . عَنْكُـمْ طُـوْلَ عُمْـرِيْ ... أَفَـأَبْغِـيْ الضَّـلاَلَ بَعْـدَ الـرَّشَـادَ

أَنَـا عَبْـدٌ لَكُـمْ عَلَـىٰ كُـلِّ حَـال ... وَاصِلُـوْنِـيْ فَقَـدْ مَلَكْتُـمْ قِيَـادِيْ

إِنَّمَـا العُمْـرُ وَالحَيَـاةُ غُـرُوْرٌ ... فَـازَ مَـنْ يَتَّقِـيْ إِلَـهَ العِبَـاد

إِسْمَعُـوْهَـا وَقَـدْ حَـوَتْ كُـلَّ مَعْنًى ... وَهْـيَ نَظْـمُ المُـوَفَّـقِ الحَـدَّادَ

[١٥٠]

إسماعيلُ بنُ عليٍّ بنِ سعدانَ المُقرِىءُ الواسطيُّ.

فاضل حافظ للقرآن الكريم، متقن له مجيد /٢٧٦أ/ لادائه، قد قرأ بالقراءات

الكثيرة، وسمع الحديث واشتغل بالأدب نحواً ولغةً، وقد نظم مثلث قُطْرُب في قصيدةٍ مزدوجة مدح بها المستنصر بالله أولها: [من الرجز]

يَا قَاتِلِي بِالصَّدِّ والهجْرَانِ ... وَمُلْهِبَ الأَحْشَاء بِالنِّيْرَانِ
وَمُسْلِمِي ظُلْمًا إِلَى الأَحْزَانِ ... مَهْلاً تَرَفَّقْ بِالأَسِيْرِ العَانِي

***

فَدَمْعُهُ فَوْقَ الخُدُوْدِ غَمْرُ ... وَصَدْرُهُ مَا حَلَّ فِيْهِ غِمْرُ
وَقَدْ ضَنِي مِمَّا يَلُوْمُ الغُمْرُ ... فَهْوَ سَقِيْمُ القَلْبِ وَالجُثْمَانِ

***

وَحَيٍّ إِنْ مَرَرْتُ بِالسَّلاَمْ ... تَرُمْ العِدا إِذْ ذَاكَ بِالسِّلاَمْ
حِيْنَ يَرُوا الإِيْمَاءَ بِالسلاَمْ ... أَكْرِمْ بِهَا مِنْ أَحْسَنِ البَنَانِ

ومن مديحها:

نَادَيْتُهُ والشَّوْقُ قَدْ بَرَّحَ بِي ... وَازْدَادَ مِنْ عُظْمِ التَّجَافِي عَطْبِيْ
صِلْنِي فَقَالَ: يَا قَلِيْلَ الذَّهَبِ ... مَا هَا هُنَا عِنْدِيْ سِوَى الحِرْمَانِ

***

فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ ارْجِعَنْ عَنْ هَذَا ... وَامْدَحْ أَبَا جَعْفَرِ المَلاَذَا
مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ لِلأَنَامِ آذَى ... طَاعَتُهُ إِرَادَةُ الرَّحْمَانِ

***

خَلِيْفَةٌ فِي كَفِّهِ بِحَارُ ... طَامِيَةٌ لَيْسَ لَهَا قَرَارُ
/ ٢٧٦ب/ أَمْطَارُهَا عَلَى الوَرَى نُضَارُ ... تَعُمُّ كُلَّ نَازِحٍ وَدَانِي

***

أَجَلُّ مَنْ قُدِّمَ لِلإِمَامَهْ ... مِنْ كُلِّ مَلْك قَدْ مَضَى أَمَامَهْ
أَيَّامُهُ فِي الدَّهْرِ كَالعَلاَمَهْ ... تَسْمُو عَلَى الأَوْقَاتِ وَالأَزْمَانِ

***

مُؤَيَّدٌ مُنْتَجَبُ الأَعْرَاقِ ... مُكَمَّلُ مُسْتَحْسَنُ الأَخلاَقِ
مُسْتَنْصِرٌ مُؤْتَمَنُ الإِرهاقِ ... إِذَا اعْتَزَى يُنْمَى إِلَى عَدْنَانِ

***

جَبْهَتُهُ الغَرَّاءُ تُخْجِلُ القَمَرْ   وَعَدْلُهُ بَيْنَ الأَنَامِ كَعُمَرْ
وَبِرُّهُ عَمَّ الأَنَامَ وَغَمَرْ   كَالوَابِلِ المُثْعَنْجِرِ الهَتَّانِ

***

نَظِيفَةٌ فِي أَمْرِهِ الأَقْدَارُ   بِحُبِّهِ تُمَحَّصُ الأَوْزَارُ
بِنُسْكِهِ مَفَاخِرُ المُخْتَارِ   فِي الحَشْرِ عِنْدَ الوَاحِدِ المَنَّانِ

***

خَلِيفَةٌ يَنْظُرُ لِلرَّعِيَّهْ   بِفِكْرَةٍ صَائِبَةٍ مَرْضِيَّهْ
يَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ وَالسَّوِيَّهْ   فَهُوَ تَقِيٌّ كَامِلُ الإِيْمَانِ

***

لاَ زَالَ فِي عِزٍّ وَفِي سُلْطَانِ   وَدَوْلَةٍ بَاسِقَةِ الأَفْنَانِ
وَقَدْرُهُ يَسْمُو عَلَى كَيْوَانَ   مُسَلَّماً مِنْ غِيَرِ الزَّمَانِ

[١٥١]

إسماعيلُ بنُ صالحِ بنِ أبي ذئبٍ /٢٧٧أ/ أبو طاهرٍ القفطيُّ، يُعرفُ بابنِ البنّاء(١).

كان شاعراً فاضلاً، يكتب حسنا ويرتزق من الوراقة ولديه أدب. فارق بلده، وانتقل إلىٰ المحلّة، وصحب بها ابن بهرام وإليها هكذا أخبرني يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد القفطي بمحروسة حلب.

وأنشدني من شعره، قال: أنشدني ابن البناء لنفسه: [من الكامل]

سَيَّرْتَ لِي حَمَلاً يُسَاقُ فَخِلْتُهُ   جَمَلاً لأَنَّ اللهَ بَارَكَ فِيهِ
لاَ تَنْحَرَنَّ فَقَدْ نَحَرْتَ مِنَ العِدَا   مَنْ قَدْ يَهَابُ المَوْتَ أَنْ يَأْتِيهِ(٢)

وأنشدني، قال: سمعته ينشد لنفسه من قصيدة يرثي بها الشريف قاسم بن مُهنّا الحسيني، أمير مدينة الرسول ﷺ: [من الكامل]

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١٢١ ـ ١٢٢ وفيه: «اسماعيل بن صالح بن أبي ذؤيب...». الطالع السعيد رقم ٨٨.
(٢) البيتان الوافي ٩/ ١٢١.

لمَّا ٱشْتَرَىٰ مِنْ رَبِّهِ بِثَوابِهِ ... جَنَّاتِ عَدْنٍ رَاحَ يَأْخُذُ مَا ٱشْتَرَىٰ[1]

[١٥٢]

إسماعيلُ بنُ حمزةَ بنِ المبارك بنِ حمزةَ بنِ عثمانَ بنِ الحسينِ بنِ محمد بنِ عبدِ الرحمنِ، المعروفُ بابنِ الطَّبال[2].

بغداديٌّ من أهلِ باب الأزَج.

كان يكتب مسائل / ٢٧٧ب/ في الفرائض شعراً له إلىٰ ابن الصقّال ويجيب عنها بشعر، فجمع ذلك كتابًا.

وتوفي يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستمائة ببغداد، ودفن من الغد بالجانب الغربي بمقبرة أحمد بن حنبل باب حرب. ذكر ذلك جميعه القطيعي.

ثم قال أنشدني لنفسه: [من الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِأُكُفِّ غَيْرِي ... وَقَدْ آيَسْتُ مِنْ خَيْرٍ وَخَيْرِ

وَأَوْلاديْ عَلَىٰ قَدَمِ التَّعَدِّيْ ... وَيَنْتَظِرُونَ لِيْ . . . . . وَسَيْرِيْ

وَلاَ هُنُّوا بِمَا يَرِثُونَ بَعْدِيْ ... وَلاَ فَرِحُوا بِأَمْوَالِيْ وَخَيْرِيْ

وبالإسناد: [من الرجز]

يُقْلِقُنِيْ الشَّوْقُ فَمَا لِيْ رَاحَةٌ ... إِلاَّ إِذَا مَرَّ بِعَيْنِيْ الوَسَنُ

تُخَيِّلُ الأَحلامُ لِيْ شَبِيْبَتِيْ ... واجتماعِي بِحَبِيبٍ قَدْ شَطَنْ

فَيُوْصِلُ النَّوْمُ إِلَيَّ رَاحَةً ... حَتَّىٰ إِذَا ٱسْتَيْقَظْتُ عَادَ لِيْ الحَزَنْ[3]

---

(١) البيت في الوافي ٩/ ١٢٢.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١١٥ رقم ٤٠٢٩، وفيه: «إسماعيل بن حمزة بن عثمان بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن، أبو البركات ابن الطبّال...». ذيل تأريخ بغداد ٢٧٠ب. المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٤٠ رقم ٤٨١. التكملة للمنذري ٢/ ٢٠٥ رقم ١١٥٤. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ رقم ٣٣٤..

(٣) الأبيات في الوافي ٩/ ١١٥.

[١٥٣]

إسماعيلُ بنُ عليٍّ بنِ محمدِ بنِ مواهبَ، أبو محمّدٍ الحَظِيْرِيُّ[(١)].

والحظيرة قرية كبيرة مشهورة /٢٧٨أ/ من قرىٰ بغداد ولد ونشأ بها.

وقدم بغداد، وقرأ الأدب والعربية علىٰ أئمتها المذكورين كأبي عبد الله محمد [بن] عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي، وأبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصّار اللغوي البغدادي، وأبي محمد إسماعيل بن موهوب بن محمد بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي البغدادي، وأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي.

كان فاضلاً شاعراً متميّزاً خطيبًا مترسلاً ذا بلاغة وبراعة، ورعًا زاهداً تقيًا؛ له تصانيف معروفة متداولة، وجمع خطبًا تدلّ علىٰ علمه، وتنبىء عن صحة فهمه.

سافر إلىٰ الموصل، وحدّث بخطبه وجمع كتابًا سمّاه «تحرير الجواب وتقرير الصواب». وكانت وفاته بالموصل لعشر مضين من صفر سنة [ثلاث وستمائة]. وكانت ولادته في رجب سنة إحدى وثلاثين و[خمسمائة] بالخطيرة.

قال أبو الحسن القطيعي: أنشدني أبو محمد الحظيري لنفسه[(٢)]: [من الطويل]

أَحِبَّتَنَا مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ إِنَّنِي ... إِلَيْكُمْ مَشُوقٌ لَسْتُ بِالشَّوْقِ أُوْضِحُ
وَمَنْ يَكْتُمُ الشَّكْوَىٰ فَإِنَّ زَفِيرَهُ ... يَنُمُّ بِهَا وَالدَّمْعُ لِلْسِّرِّ يَفْضَحُ
/٢٧٨ب/ وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ أَوْ يَطْعَمُ الكَرَىٰ ... جُفُونٌ لِمَنْ أَحْبَابُهُ عَنْهُ نُزَّحُ

---

(١) ورد في الأصل: «الخطيري» وما أثبتناه من أكثر المراجع.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وفيه «الحظيري». الجامع المختصر لابن الساعي ٢٠٩ وفيه «الخطيري». بغية الوعاة ١/ ٤٥٢ رقم ٩٢٢، وفيه «الحظيري». الغصون اليانعة لابن سعيد ٧٦، ٣ وفيه «الخطيري». معجم الأدباء ٢/ ٧٢٨ وفيه «الحظيري». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٠٩ رقم ١١١. ذيل الروضتين ٥٨ وفيه: «الخطيري» وقال: من خطيرة الدجيل. طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة. معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٢.

(٢) القطعة في الوافي ٩/ ١٦٤.

لَـهُ بَعْـدَهُـمْ هَـمٌّ يُـذِيـبُ فُـؤَادَهُ وَفِكْـرٌ إِذَا لَـجَّ الغَـرَامُ المُبَـرِّحُ
عَسَـىٰ الـدَّارُ أَنْ تَـدْنُـو وَبِـدَّل نـائِيـاً بِقُـرْبٍ وَإِلاَّ فَـالمَنِيَّـةُ أَرْوَحُ

وله بالإسناد[1]: [من الرمل]

مُغْـرَمٌ يَـدْعُـوكَ شَـوْقـاً فَـأَجِيْبِـيْ وَأَثِيْبِـيْ بِـالهَـوَىٰ أَوْ لاَ تُثِيْبِـي
كَـمْ أُنَـادِيْ مُعْـرِضـاً عَـنْ سَقَمِـيْ وَمُعَنَّـىٰ مَـنْ دُعَـا غَيْـرَ مُجَيَـبِ
يَـا أُصَيْحَـابِـي وَمَـنْ حُسْـنِ الـوَفَـا أَنْ يُجِيْبُـوا مَـنْ دَعَـا عِنْـدَ الخُطُـوْبِ
لَيْـتَ شِعْـرِي مَـنْ دَعَـا رَوْضَ الحِمَـىٰ بَعْـدَنَـا أَمْ مَـنْ . . . . . القَلِيْـبِ

وبالإسناد، وكتبها إلىٰ صديق له وقد نزح عن بغداد. وكانت داره برحبة الجامع: [من مجزوء الرمل]

عُـدْ إِلَـىٰ رَحْبَـةِ بَغْـدَادَ فَفِيْهَـا مَـا تُـرِيْـدُ
مِـنْ ظِبَـاءٍ سَـانِحَـاتٍ كَـمْ بِهَـا صِيْـدَتْ أُسُـوْدُ
وَقُـدُوْدٍ كَغُصُـوْنٍ تَتَثَنَّـىٰ وَتَمِيْـدُ
وَخُـدُوْدٍ كَـرِيَـاضٍ غُـرِسَـتْ فِيْهَـا الـوُرُوْدُ
وَغَـرِيْـرٍ فِيْـهِ مِـنْ رِيْـمِ الفَـلاَ طَـرْفٌ وَجِيْـدُ
/ ٢٧٩أ/ عَـاطِـلٍ حَـالٍ مِـنَ الحُسْـنِ لَـهُ ثَـوْبٌ جَـدِيْـدُ
مَـاطِـلٍ إِنْ صَـحَّ يَـوْمـاً وَعْـدُهُ يَنْسَـىٰ الـوَعِيْـدُ
أَنَـا فِـيْ الحُـزْنِ وَحِيْـدٌ وَهْـوَ فِـيْ الحُسْـنِ وَحِيْـدُ
فِـيْ هَـوَىٰ ذَاكَ الـرَّشَـا يُسْتَحْسَـنُ الغَـيُّ الـرَّشِيْـدُ
عُـدْ إِلَيْهَـا عُـدْ إِلَيْهَـا فَهُـوَ الـرَّهْـنُ السَّـدِيْـدُ
لَيْـسَ بِـالجَنَّـةِ مَـا لَيْـسَ بِهَـا إِلاَّ الخُلُـوْدُ

أنشدني أبو محمد الحسن بن محمد بن الزاهد الشريف العلوي البغدادي، قال: أنشدني أبو محمد إسماعيل بن علي الحظيري لنفسه: [من الوافر]

عَجِبْـتُ لِـوَرْدَةٍ فِـيْ كَـفِّ ظَبْـيٍ تَنُـوْبُ بِلَـوْنِهَـا عَنِّـي وَعَنْـهُ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في الوافي ٩/ ١٦٤.

فَبَاطِنُهَا كَلَوْنِ الخَدِّ مِنِّي ... وَظَاهِرُهَا كَلَوْنِ الخَدِّ مِنْهُ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن الموصلي العمراني المستوفي، قال: أنشدني أبو محمد الحظيري[1]: [من الكامل]

غِبْتُمْ فَمَا لِيْ فِيْ التَّصَبُّرِ مَطْمَعُ ... عَظُمَ الجَوَىٰ وَاشْتَدَّتِ الأَشْوَاقُ

/ ٢٧٩ب/ لاَ الدَّارُ بَعْدَكُمْ كَانَتْ وَلاَ ذَاكَ البَهَاءُ بِهَا وَلاَ الإِشْرَاقُ

أَشْتَاقُكُمْ وَكَذَا المُحِبُّ إِذَا نَأَىٰ ... عَنْهُ أُحِبَّةُ قَلْبِهِ يَشْتَاقُ

قال أبو العباس فأتممتها بقولي: [من الكامل]

وَالصَّبْرَ يَسْأَلُنِيْ العَذُوْلُ قَسَاوَةً ... فِيْ قَلْبِهِ وَالصَّبْرُ لَيْسَ يُطَاقُ

وَإِذَا رَأَيْتَ الصَّبْرَ يُوْجَدُ لامْرِىءٍ ... فَاعْلَمْ بِأَنَّ الحُبَّ فِيْهِ نِفَاقُ

وله في أثناء رسالة في وصف كلام كتبها إلىٰ بعض الرؤساء: [من البسيط]

تَفْتَرُّ عَنْ مُلَحِ الأَزْهَارِ ضَاحِكَةً ... وَالطَّلُّ مِثْلُ اللآلِيْ فِيْ نَوَاحِيْهَا

فَالثَّغْرُ مُبْتَسِمٌ وَالطَّلُّ مُنْسَجِمٌ ... وَالقَطْرُ يُضْحِكُهَا طَوْراً وَيُبْكِيْهَا

يَوْمًا بِأَحْسَنَ مِمَّا قُلْتَ مِنْ مُلَحٍ ... أَبْدَعْتَ فِيْ غُرَرٍ أَوْدَعْتَهَا فِيْهَا

وقال أيضًا[2]: [من السريع]

لاَ عَالِمٌ يَبْقَىٰ وَلاَ جَاهِلُ ... وَلاَ نَبِيْهٌ لاَ وَلاَ خَامِلُ

عَلَىٰ سَبِيْلٍ مَهْيَعٍ لاَحِبٍ ... يُوْدِي أَخُو اليَقْظَةِ وَالعَاقِلُ

[١٥٤]

إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ / ٢٨٠أ/ أبو عبدِ الله الشيبانيُّ، الفقيهُ الحنبليُّ البغداديُّ[3].

---

(١) الأبيات في الوافي ٩/ ١٦٤.

(٢) البيتان في الوافي ٩/ ١٦٤.

(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١٥٧ ـ ١٥٩ وفيه: «إسماعيل بن علي بن الحسين، فخر الدين الأزجي الرفّاء المأموني الفقيه المتكلم الحنبلي، المعروف بغلام ابن المنّي..». التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ رقم ١٢٨٧. مرآة الزمان ٨/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧. ذيل الروضتين ٨٤ ـ ٨٥. مجمع الآداب ٢/ ٥٦٢ رقم ١٩٩٣ فخر الدين. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨ رقم ٢٤. المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٤٤. =

كان مولده ببغداد سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول سنة عشرين وستمائة.

تلمذ في الفقه لأبي الفتح نصر بن فتيان بن مطر النهرواني المعروف بابن المَنِّي، وأبو عبد الله يعرف بابن الرفا، وابن الماشطة. وكان فقيهًا حسابيًا واعظًا مصنِّفًا متوحداً في علم الخلاف والأصول والنظر والجدل.

ناظر وأفتىٰ ودرس حتىٰ برع في جميع ذلك، سمع الحديث من جماعة، وصنَّف كتبًا مفيدة منها في الخلاف كتاب سمّاه «جَنَّة الناظر وجُنَّة المناظر»، وكتاب في الجدل سمّاه «نور المصباح في بيان الاصطلاح»، وكتاب «صحيح المنقول وصريح المعقول»، وكتاب «الأربعين مسئلة في الخلاف»، وكتاب «الموجز في الفرائض»، وكتاب «الإيجاز في تفسير الإعجاز» وهو تفسير القرآن العزيز، وإلىٰ غير ذلك.

أنشدني ولده أبو طالب عبد الله بمدينة إربل في شهر شوال سنة خمس وعشرين وستمائة، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من المتقارب]

/ ٢٨٠ب/ أجِرْنِي إلَهِي فَدَائِيْ عُضَالُ ... وَقَدْ طَالَ سُقْمِيْ وَطَالَ المطَالُ

وَحَارَ الأُسَاةُ وَلَو أَدْرَكُوا ... دَوَاءً لِدَاء بِجِسْمِيْ لَقَالُوا

وَمَلَّ زِيَارَتِيَ العَائِدُوْنَ ... وَأَهْلُ المَوَدَّةِ حَالُوا وَمَالُوا

وَأَنْتَ الذَّخِيْرَةُ لِلْحَادِثَات ... إذَا أَعْرَضُوا جُمْلَةً وَاسْتَقَالُوْا

فَجُدْ لِيْ بِمَا أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَلَمْ يَبْقَ مِنِّيَ إلَّا الخَيَالُ

وَإلَّا تَذَرْنِيْ لَقًى لِلْهَوان ... فَرَاجِيْكَ يَا سَيِّدِيْ لَا يُذَالُ

وَإنْ كُنْتُ أَسْأَلُ طَبّاً سِوَاكَ ... فَتَعْلِيْلُ قَلْبٍ بِهِ وَاشْتِغَالُ

فَأَنْتَ الطَّبِيْب وَأَنْتَ الحَبِيْبُ ... وَأَنْتَ المُجِيْبُ وَأَنْتَ المَآلُ

فَشُكْراً وَإنْ حَمَلَتْ أَضْلُعِيْ ... سَقَاماً تُدَكْدِكُ مِنْهُ الجِبَالُ

= لسان الميزان ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤. التاج المكلل للقنوجي ص٢٢٢ ـ ٢٢٣. البداية والنهاية ١٣/ ٦٥. النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٠. شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٩٦. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٦٦ ـ ٦٨. شذرات الذهب ٥/ ٤٠ ـ ٤١.

ترجم المؤلف لولده عبد الله بن إسماعيل في الجزء الثالث برقم ٢٥٢.

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه في السنة التي توفي فيها: [من الطويل]

دليلٌ عَلَىٰ حرص ابن آدمَ أنَّهُ ... تُرىٰ كفُّهُ مضمومةً وَقْتَ وَضْعِهِ
وَيَبْسُطُها عِنْدَ المَمَاتِ إشَارَةً ... إلَىٰ صَفْرِهَا ممَّا حَوَىٰ بَعْدَ جَمْعِهِ[(١)]

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من البسيط]

عَدَدْتُ ستِّيْنَ عَامًا لَوْ أكُونُ عَلَىٰ ... تَيقُّنٍ أنَّهَا الثُّلْثَانِ مِنْ عمري
/ ٢٨١أ/ لَسَاءَني أنَّ بَاقِيَ العُمْرِ أيْسَرُهُ ... وآخِرُ الكَأسِ لاَ يخْلُو مِنَ الكَدَرِ[(٢)]

[١٥٥]

إسماعيلُ بنُ يحيىٰ بن أحمدَ بن مكابر بن الحسينِ بنِ محمدِ بنِ عَبدِ العزيزِ، أبو محمدَ النيليُّ العَنزيُّ النَّفَرِّيُّ[(٣)].

من قريةٍ تُدعىٰ نُفَّرٌ زعم أن أصله منها.

كان شاعراً فاضلاً، راوية للأشعار حافظًا جملة كثيرة منها، عارفًا بالتورايخ وأنساب العرب وأيامها. وتوفي سنة تسع وستمائة.

أنشدني الوزير الصاحب شرف الدين أبو البركات المستوفي ـ أدام الله توفيقه ـ قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من الطويل]

ألا مَنْ لنَفْسٍ مَا يكلُّ نُزُوعُهَا ... وَعَبرَةِ عَيْنٍ مَا يكلُّ هُمُوعُهَا
وَقَلْبٍ أذَابَتْهُ الكَآبَةُ كُلَّمَا ... بَدَا مِنْ بُرُوقِ الجَامعَيْنِ لُمُوعُهَا
أهُضْبَ الحمَى هَلْ من سَبيلٍ إلَىٰ الحمَىٰ ... وَهَلْ دَارُنَا بالنِّيلِ تَدْنُو شُمُوعُهَا
وَهَلْ للَيَالِيْنَا بِشَرْقِيِّ بَابِلٍ ... رُجُوعٌ وَمَنْ لي أنْ يحيْنَ رُجُوعُهَا
إذَا مَا تَذَكَّرْتُ العِرَاقَ وَأهْلَهُ ... رَقَا الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي وَفَاضَ نَجيعُهَا

/ ٢٨١ب/ ومنها يقول:

أأحْبَابَنَا إنْ شَطَّتِ الدَّارُ أوْ غَدَا ... وُصُولُ الإخَا بالبُعْدِ وَهْوَ قَطُوعُهَا

---

(١) البيتان في الوافي ٩/ ١٥٩.
(٢) البيتان من مقطوعة في الوافي ٩/ ١٥٨ قوامها ٥ أبيات.
(٣) ترجم المؤلف لولده (علي بن إسماعيل بن يحيى) في الجزء الخامس برقم ٤٨٦.

فَلِـي مُقْلَـةٌ بُـحَّ البُكَـاءُ سَـوَادَهَـا وَلِـي كَبِـدٌ قَـدْ أَوْهَنَتْهَـا صُـدُوْعُهَـا
وَبِـي نَـارُ شَـوْقٍ لَـوْ تَحَمَّـلَ بَعْضَهَـا هِضَـابٌ مِـنَ الصمَّـانِ زَلَّـتْ فُـرُوْعُهَـا[1]
إِذَا ظَمِئَـتْ رُوْحِـي إِلَـى مَـاءِ وَصْلِكُـمْ فَفِـي مَـاءِ حُـزْنِـي وَالسَّقَـامِ شُـرُوْعُهَـا

ومن مديحها:

تَـدَارَكَ أَقْطَـارَ البِـلَادِ بِعَـدْلِـهِ وَقَـدْ دَرَسَـتْ بِـالجَـوْرِ مِنْهَـا رُبُـوْعُهَـا
أَقَـامَ بِهَـا شَـوقًـا مِـنَ البَـأْسِ وَالنَّـدَى فَـأَثْـرَى ثَـرَاهَـا . . . . فُـرُعُهَـا

وأنشدني: قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

فَـوَا أَسَفـًا أَشْبَـاحُكُـمْ نُصْـبَ نَـاظِـرِي وَرُوْحِـي مَـعَ الأَنْفَـاسِ تَطْلُـبُ لُقْيَـاكُـمْ
وَيَشْتَـاقُكُـمْ قَلْبِـي المُعَنَّـى وَرُبَّمَـا شَكَـى أَلَمًـا مِـنْ بَعْـدِكُـمْ وَهْـوَ مَـأْوَاكُـمْ

[١٥٦]

إسماعيلُ بنُ محمود بن مخشي[2] بنِ موسى بنِ يونَس بن آدمَ بنِ طون، أبو محمَدٍ البلغاريُّ.

فقيهًا حنفيًا عالمًا فاضلاً.

سمع الحديث من أبي محمد عبد الغني / ٢٨٢أ/ ابن الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد العطار الهمذاني. وقرأ على أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري. سمع منه الصاحب شرف الدين أبو البركات المبارك ابن أحمد المستوفي، وأبو الفتح محمد ولد شيخنا أبي الخير بدل التبريزي بإربل.

طالعت من تأليفه فصلاً أنشأه في فضيلة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ ثم أتبعه بأبيات من قيله، يشير فيها إلى بعض السادة العلويين يمدحه بها، ويذكر مكارمه ونبله ومآثره وفضله: [من الوافر]

بِعِـزِّ الـدِّيْـنِ لِلْـدَهْـرِ افْتِخَـارُ وَمِـنْ إِنْعَـامِـهِ انْـزَاحَ البَـوَارُ

(١) الصمّان: الأرض الغليظة دون الجبل.

(٢) كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثامن ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص١٣.

وَفِـــيْ أَيَّـــامِـــهِ يُغْشَـــى النَّـــوَالُ ... لأَهْـــلِ الـــرَّيِّ وَاْخْضَـــرَّ القفَـــار
وَعَلَّـــى لِلْمَعَـــالِـــيْ وَالأَمَـــانِـــيْ ... بُيُـــوْتـــاً مَـــا يُسَـــامِيْهَـــا الفَخَـــارُ
وَأَحْيَـــا مِـــنْ رُسُـــوْمٍ كَـــانَ مَـــاتَـــت ... لأَهْـــلِ العِلْـــمِ فِـــيْ تِلْـــكَ انْتِصَـــارُ
أَيُحْصِـــي فَضْلَـــهُ الإِنْسَـــانُ عَـــدّاً ... وَهَـــلْ تُحْصَـــى الـــرِّمَـــالُ أَوِ القِطَـــارُ
فَـــدَهْـــرِي قَـــدْ رَمَـــانِـــيْ بِـــالـــرَّزَايَـــا ... وَعِـــزُّ الـــدِّيْـــنِ كَهْفِـــيْ وَالجِـــوَارُ
يَحُـــوْزُ القَـــاصِـــدُوْنَ البَحْـــرَ دُرّاً ... وَقَصْـــدِيْ مِـــنْ أَيَـــادِيْـــهِ بِحَـــارُ

[١٥٧]

إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ صدقةَ / ٢٨٢ب/ الموصليُّ، المعروفُ بابن ظبية(١) الخبّازُ.

وظبيةُ هي أمُّهُ لا يُعرف إلاَّ بها.

قيل إنَّه كان خبازاً في ابتدائه، فصرف همته إلىٰ الشعر والأدب، وله أشعار مستجادة في المديح والغزل. ثم صار متصرفًا للأمراء في أشغالهم. ومات سنة ستّ وستمائة.

أنشدني الحاجي أبو العزّ يوسف بن محمود بن سلطان الموصلي، قال: أنشدنا إسماعيل بن ظبية: [من المديد]

ظَـــاعِـــنٌ وَالقَلْـــبُ فِـــيْ أَثَـــرِهْ ... يَقْصُـــصُ الأَقْطَـــارَ فِـــيْ سَفَـــرِهْ
رَشَـــأٌ لِلْبَـــدْرِ سُنَّتُـــهُ ... وَشِعَـــارُ اللَّيْـــلِ مِـــنْ شَعَـــرِهْ(٢)
مُسْتَطِيْـــلٌ فِـــيْ مَـــلاَحَتِـــهِ ... مُتَنَـــاهِـــيْ البَنْـــدِ فِـــيْ قِصَـــرِهْ
عَجِـــبَ الـــرَّاؤُوْنَ مِـــنْ نَمَـــشٍ ... بَـــانَ فِـــيْ خَـــدَّيْـــهِ أَوْ أَثَـــرِهْ
وَهْـــوَ نَـــارُ الصَّـــبِّ سَعَّـــرَهَـــا ... بِتَجَنِّيْـــهِ عَلَـــىٰ سُكُـــرِهْ
قَـــابَلَـــتْ مَـــاءً بِـــوَجْنَتِـــهِ ... فَـــانْطَفَـــا مَـــا طَـــارَ مِـــنْ شَـــرَرِهْ

---

(١) في قراءة د. الصقار: «ابن طبيبة».
(٢) سنّته: دائرة وجهه.

وقال أيضًا في غلام في خدّه قُوبة : [من الكامل]

/ ٢٨٣أ/ يَا لَيْتَ قُوبَتَهُ الَّتِي عَبَثَتْ بِهِ ... وَعَلَتْ سَوَاداً فَوْقَ حُمْرَةِ وَرْدِهِ
جَعَلَتْ سَوَاداً فَوْقَ أَسْوَدِ نَاظِرِيْ ... قَدْرَ السَّوَادِ عَلَى صَحِيْفَةِ خَدِّهِ

أنشدني أبو سليمان داود بن محمود الإربلي، قال: أنشدني ابن ظبية لنفسه:

[من الكامل]

تَمَنَّى فَمَا كُلُّ السَّرَى إِعْنَاقُ ... رَاحَ الهَوَى وَتَخَلَّصَ العُشَّاقُ(١)
أَسْرَوا وَسُلْطَانُ الغَرَامِ مُطَاوِعٌ ... لَكَ وَالقُلُوْبُ إِلَى رِضَاكَ تُسَاقُ
وَحُسَامُ جُنْدِكَ فِي القُلُوْبِ مُحَكَّمٌ ... وَلِمُقْلَتَيْكَ الأَمْرُ وَالإِطْلاَقُ
وَبِوَجْنَتَيْكَ مِنَ المَلاَحَةِ رَوْضَةٌ ... مَاءُ الحَيَاةِ بِضِمْيِهَا رَقْرَاقُ
تَسْتَعْبِدُ الأَحْرَارَ وَهْيَ دَقِيْقَةٌ ... وَتَفُلُّ بِيْضَ الهِنْدِ وَهْيَ رِقَاقُ
مَا لاَنَ إِذْ لِسِوَاكَ يَجتَلِبُ الأَسَى ... وَلِغَيْرِ حُسْنِكَ . . . . . الأَشْوَاقُ
جَهْلاً يُذَكِّرُنِي بِأَيَّامِ الصِّبَا ... وَالعَيْشُ غَضٌّ لِلزَّمَانِ نِطَاقُ
أَلاَّ عَدَلْتَ وَإِنَّ مُلْكَكَ مِثْلَ مَا ... عَدَلَ المَلِيْكُ الوَاهِبُ الغَيْدَاقُ
لِمُجَاهِدِ الدِّيْنِ المَلِيْكِ مَآثِرٌ ... حَلِيَتْ بِهَا الآفَاقُ وَالأَعْنَاقُ
فَلَهُنَّ فِي تِلْكَ البِلاَدِ مَرَاقِبٌ ... وَلَهُنَّ فِي أَعْنَاقِنَا أَطْوَاقُ
يُثْنَى ثَنَاهُ مُعَطَّراً بِفَعَالِهِ ... فَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ لَهُ اسْتِنْشَاقُ
/ ٢٨٣ب/ نَفَقَ المَدِيْحُ عَلَيْهِ بَعْدَ كَسَادِهِ ... ثُمَّ اقْتَنَاهُ فَقَامَتِ الأَسْوَاقُ
يَهَبُ العَتِيْقَ عَلَى العَتِيْقِ وَيَنْثَنِي ... وَلَهُ عِتَاقٌ كُلُّهُنَّ عِتَاقُ
مَوْلاَيَ دَعْوَةَ مُخْلِصٍ فِي حُبِّهِ ... لاَ مُدَّعٍ فِيْهَا وَلاَ مَذَّاقُ
مَا كَانَ تَرْصِيْفُ القَرِيْضِ شِعَارُهُ ... وَلَهُ الوَجِيْزُ وَغَيْرُهُ أَخْلاَقُ
بَلْ أَنْتَ مِغْنَاطِيْسُ كُلِّ فَضِيْلَةٍ ... فَالنَّظْمُ يَعْذُبُ وَالقَرِيْضُ بُرَاقُ
فَلِذَاكَ أَصْبَحَتِ المَدَائِحُ دَأْبَهُ ... لاَ مُجْتَدٍ فِيْهَا وَلاَ سَرَّاقُ
فَاسْلَمْ جَدِيْدَ الجَدِّ فِي دَرَجِ العُلاَ ... رَاقٍ إِلَى غَايَاتِهَا سَبَّاقُ

---

(١) الإعناق: السير السريع.

[١٥٨]

إِسماعيلُ بنُ سودكينَ بنِ عبدِ الله، أبو الطاهرِ المصريُّ.

كانت ولادته بمصر سنة ثمان أو تسع وسبعين وخمسمائة(١).

وكان والده أكبر أمير في دولة الملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ـ رضي الله عنه ـ وحدّثني، قال: كان والدي: رجلاً أرمنيًا صار إلىٰ الملك العادل وتعلق بخدمته وأمره، وتقدّم . . . . . عنده فنسب إليه فطعن جماعة / ٢٨٤أ/ من الناس، أنه اشتراه من ماله، وأنه من عتقائه، وليس بصحيح؛ وما دخل والدي قطّ تحت رق أبداً.

وأبو طاهر ترك ما كان عليه من الجندية، وخالط الفقراء والصالحين وصحب ذوي الأحوال، وسمع الحديث بعدة مُدن منها علىٰ الشيخ أبي الفضل محمد بن يوسف بن علي وغيره وبدمشق. وله أشعار علىٰ طريقة أولي المعارف والسلف. هاجر إلىٰ مدينة حلب واستوطنها؛ وله أشعار غزيرة.

أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

إنْ تَبَدَّلْتَ بِيْ فَلاَ [أ] تَبَدَّلْ ... يَا مَلُولاً وَحُبُّهُ لَيْسَ يُمْلَلْ
وَيْحَ قَلْبِيْ ٱدَّعَىٰ الجَلاَدَةَ عَنْهُمْ ... وَإذَا لاَحَ بَارِقٌ يَتَمَلْمَلْ
وَنَسِيْمٍ مِنْ الأَحِبَّةِ هَبَّتْ ... حَبَّذَا رِيْحُهُمْ وَمَا تَتَحَمَّلْ
نَفْحَةٌ رَنَّحَتْ شَمَائِلَ صَحْبِيْ ... أَشْمُولٌ هَزَّتْهُمُ أَمْ شَمْأَلْ
غَازَلَتْنَا بِذِكْرِهِمْ فَفَهِمْنَا ... عَنْ نَسِيْمِ الأَحْبَابِ مَا يَتَغَزَّلْ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المتقارب]

إذَا ذُكِرَ الجُودُ جُودُ المُلُوك ... فَحَيَّ عَلَىٰ كَرَمِ الأَشْرَفِ
فَيَا لَيْتَهُ مَعَ جُودٍ لَهُ ... عَلَىٰ جَوْهَرِ النَّفْسِ لَمْ يُسْرِفِ

(١) في هامش الأصل: «كانت وفاة الشيخ الصالح المنعوت بشمس الدين إسماعيل المذكور ليلة الأربعاء ثالث عشر صفر سنة ست وأربعين وستمائة، ودفن بمشهد بحلب أنشأه يعرف بمشهد الدعاء وهو شمالي حلب».

/ ٢٨٤ب/ أيا عَجَبًا أسْعَفَ الأبعَدِيْنَ ... وَالجَارَ ذِيْ القُرْبِ لَمْ يُسْعِفِ
وَبِالجَارِ أوْصَاهُ مَعْبُوْدُهُ ... وَقَدْ جَاءَهُ النَّصُّ فِيْ المُصْحَفِ
وَأقْرَبُ جَارٍ لَهُ نَفْسُهُ ... فَلَمْ يتقوَّىٰ عَلَىٰ الأضْعَفِ
وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ فِيْمَا مَضَىٰ ... أمَا آنَ فِيْمَا بَقِيْ أن يَفِيْ

وقال أيضًا وقد التمس عليه أن يعمل موازنة:

يَا كُلَّ كُلِّي كُنْ لِيْ ... إنْ لَمْ تكُنْ لِيْ فَمَنْ لِيْ

فقال: [من المجتث]

أنْتُمْ فُرُوْضِيْ وَنَفْلِيْ ... أنْتُمْ حَدِيْثِيْ وَشُغْلِيْ
يَا قِبْلَتِيْ فِيْ صَلَاتِيْ ... إذَا وَقَفْتُ أُصَلِّيْ
جَمَالُكُمْ نُصْبَ عَيْنِيْ ... إلَيْهِ وَجَّهْتُ عَقْلِيْ
وَأُنْسُكُمْ فِيْ فُؤَادِيْ ... وَالقَلْبُ طَوْراً . . . . .
آنَسْتُ بِالحَيِّ نَاراً ... لَيْلاً فَبَشَّرْتُ أهْلِيْ
قُلْتُ أمْكُثُوا فَلَعَلِّيْ ... ألْقَىٰ هُدَايَ لَعَلِّيْ
دَنَوْتُ مِنْهَا فَكَانَتْ ... نَارَ المُكَلِّمِ قَبْلِيْ
/ ٢٨٥أ/ نُوْدِيْتَ منْهَا . . . . عَدَّ الليَالِي بِوصلِيْ
وَثُبْ إلَيْنَا اشْتِيَاقًا ... والشَّوْقُ جُهْدُ المُقِلِّ
حَتَّىٰ إذَا مَا تَنَاهَىٰ ... المِيْقَاتُ فِيْ جَمْعِ شَمْلِيْ
صَارَتْ جِبَالِيَ رِيْحًا ... مِنْ سَطْوَةِ المُتَجَلِّيْ
وَلَاحَ سِرٌّ خَفِيٌّ ... يَدْرِيْهِ فِيْ الحُبِّ مِثْلِيْ
فِيْ المَوْت كَانَتْ حَيَاتِيْ ... وَفِيْ حَيَاتِيَ قَتْلِيْ
فَكُنْتُ مُوسَىٰ زَمَانِيْ ... إذْ صَارَ بَعْضِيَ كُلِّيْ
وَكَانَ لِيْ قَبْلَ قَوْلِيْ: ... يَا كُلَّ كُلِّيَ كُنْ لِيْ

وقال أيضًا وكان مريضًا وقد فدَّاه الطبيب: [من الخفيف]

كَمْ شَفِيْقٍ رَثَىٰ وَرَامَ الحمْلا ... مُذْ رَآنِيْ مِنَ الجَوَىٰ أتَقَلَّىٰ
قَالَ: بِاللُّطْفِ إذْ رَآنِيْ لِمَا بِيْ ... لَيْتَ أنِّي لَكَ الفِدَىٰ قُلْتُ: كَلاّ

أنَا أوْلَى بنَارِ شَوْقِي وَوَجْدِيْ ... وَلَهِيبِي بحُبِّهِمْ أنَا أوْلَى
يَا شَقِيقِي لا تَغْتَرِرْ بِالتَّمَنِّي ... وَتَظُنَّ الحَرِيْقَ بِالنَّارِ سَهْلاَ

/ ٢٨٥ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرمل]

يَا نَسِيمًا هَبَّ مَشْكُوراً لَدَيْ ... أهْدَت الأشْوَاقُ مَسْرَاهُ إلَيْ
وَبُرَيْقًا لاَحَ مِنْ حُبِّهِمُ ... حَاكِيًا ذَاكَ السَّنَى مِنْ مِحْجَرَي
آه شَوْقِي إلَى مَنْ قَدْ غَدَا ... بَصَرِي يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ شَي
وَإذَا لَمْ يَجْتَلِيْهِمْ نَاظِرِيْ ... أيُّ نَفْعٍ لِي إذاً فِي نَاظِرَي
قُرَّةُ العَيْنِ بِهِمْ فِي نُقْطَةٍ ... لَسْتُ مَوْقُوفًا عَلَى . . . . .
وَسَمَاعِيْ طَيِّبُ ألحَانِهِمُ . . . . الأحْبَابِ تَتْلُوْهَا عَلَي
لَوْ خَلاَ سَمْعِي عَنْهَا نَفَسًا ... لاعْتَرَانِي صَمَمٌ فِي مَسْمَعَي
مَا تَشَفَّعْتُ بِنَايٍ مُطْرِبٍ ... لِيَعُوْدَ الوَجْدُ بَعْدَ المَوْتِ حَي
بَلْ وُجُوْدِيْ مُطْلَقٌ لِي أُفُقَيْ ... قَدْ طَوَى النِّعْمَةَ وَالألْحَانَ طَي
قَدُمَ العَهْدُ بِجِيْرَانِ النَّقَا ... وَهُوَ اسْمٌ مُسْتَجَدٌّ يَا أُخَي
كُلَّ يَوْمٍ لِي شَأنٌ فِي الهَوَى ... لا خَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ هَذَا الهَوَي
لَيْسَ عِنْدِيْ مَلَلٌ فِي حُبِّهِمْ ... ذَاكَ بَعْدَ الرُّشْدِ لِلْعُشَّاقِ غَي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

وَحَقِّكَ مُذْ فَارَقْتُ شَخْصَكَ لَمْ أرَ بِالُطْفَ مِنْ تِلْكَ الشَّمَائِلِ ابحرا
/ ٢٨٦أ/ لَقَدْ ظَلَمَ الأوصَافَ منك مُشَبِّهٌ ... لَهَا بِالنَّسِيْمِ البَابِلِيِّ إذَا سَرَى
وَفِيْكَ الَّذِيْ لَمْ تَشْهَدِ العَيْنُ مِثْلَهُ ... وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ عَنْهُ مُخَبِّرَا
جَمَالُكَ فَيَّاضٌ عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ ... جَمَالاً بِهِ ذَاكَ المَحَلُّ تَنَوَّرَا
يَرَى كُلُّ طَرْفٍ مِنْكَ مَعْنًى بِقُدْرَةٍ ... وَحُسْنُكَ يَأبَى أنْ يُحَاطَ وَيُحْصَرَا
فَفِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْكَ يَشْهَدُ جَنَّةً ... وَيُبْصِرُ بَدْرَ التَّمِّ فِيْهِ مُصَوَّرَا

وأنشدني لنفسه: [من المتقارب]

خَلِيْلَيَّ إنْ جِئْتَ كُثْبَ اللِّوَى ... فَعَرِّجْ فُدِيْتَ عَلَى رَنْدِهِ
وَرِدْ مَنْهَلاً طَالَ عَهْدِيْ بِهِ ... وَإنِّي لَظَامٍ إلَى وِرْدِهِ

وَسَلِّمْ عَلَىٰ بَاخِلٍ لَمْ يَجُدْ ... بِأَنْ يَرِدَ الطَّيْفُ مِنْ عِنْدِهِ
وَقُلْ: ذَلِكَ الصَّبُّ بَاقٍ عَلَى ... مَحَبَّتِهِ ...... وَجْدِهِ
مُقِيمٌ عَلَىٰ العَهْدِ لا يَنْثَنِي ... وَقَلَّ المُقِيمُ عَلَىٰ عَهْدِهِ
لَكَ اللهُ مَا بَالُ حُبِّي إِذَا ... تَلا فِيهِ لَجَّجَ فِي بُعْدِهِ
وَإِنْ كُنْتَ فِي كُلِّ حَالاتِهِ ... حَلِيفَ الوَفَاءِ عَلَىٰ وُدِّهِ
شَكُورٌ عَلَىٰ وَصْلِهِ إِنْ بَدَا ... صَبُورٌ عَلَىٰ المَرْءِ مِنْ صَدِّهِ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الرمل]

/ ٢٨٦ب/ يَا بَرِيقًا لاحَ وَهْنَا ... وَحَكَىٰ خَدِّيَ مُزْنَا
وَحَكَىٰ لَمَّا تَرَاءَىٰ ... لامِعًا مِنْ ثَغْرِ لُبْنَىٰ
خَبِّرِ الأَحْبَابَ عَنِّي ... أَنَّنِي ذَاكَ المُعَنَّىٰ
إِنْ فَنَىٰ فِيهِمْ وُجُودِي ... فَغَرَامِي لَيْسَ يَفْنَىٰ
آهِ لَوْ نَالَ فُؤَادِي ... مِنْهُمُ مَا قَدْ تَمَنَّىٰ
يَا حَبِيبًا حَلَّ قَلْبِي ... كَيْفَ مَا شِئْتَ تَجَنَّىٰ
فِيكَ قَدْ طَالَ عَنَائِي ... وَبِكَ الغَيْرُ تَهَنَّىٰ
وَدَنَا مِنْكَ سِوَائِي ... وَوِدَادِي مِنْهُ أَدْنَىٰ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الوافر]

غَزَالٌ قَدْ تَعَرَّضَ لِي ... فَتَىٰ فِي وَصْفِهِ غَزَلِي
خَنَاجِرُ لَحْظِهِ حَكَمَتْ ... عَلَىٰ العُشَّاقِ بِالأَجَلِ
وَلَمَّا أَنْكَرَتْ عَيْنَاهُ قَتْلَ العَاشِقِ الوَجِلِ
أَقَامَ الخَدَّ بَيِّنَةً ... وَأَظْهَرَ شَاهِدَ الخَجَلِ
أَتَىٰ وَقَمِيصُ وَجْنَتِهِ ... عَلَيْهِ قُدَّ مِنْ قُبُلِ
فَحِينَئِذٍ قَضَىٰ حَكَمٌ ... بِأَنَّ الذَّنْبَ لِلْمُقَلِ
/ ٢٨٧أ/ أَيَا اللهِ لَمْ يُحْمَ أَسِيلُ الخَدِّ بِالأَسَلِ
وَلَمْ يُذْكِ لَهِيبَ القَلْبِ ... مَا يَلْقَىٰ مِنَ العَذَلِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الرمل]

لِيَ فُؤادٌ في فِناكُمْ عَرَّسا ... بِسِوَىٰ حُبِّكُمُ ما أُنِسا
هُوَ ضَيْفٌ وَنَزيلٌ عِنْدَكُمْ ... مُتَّعُوهُ بِقِراكُمْ نَفَسا
ذَكَرَ اللهُ بِخَيْرٍ مَجْلِسًا ... بِالحِمَىٰ قَدْ ضَمَّنا والجُلَسا
إنَّ في الحَيِّ مَريضًا كُلَّما ... كادَ يَشْفيهِ رَجاهُ انْتَكَسا
إنْ خَشَىٰ مِنْ زَفْرَةٍ تَفْضَحُهُ ... سَتَرَ الخالَ وَشَمَّ النَّرْجِسا
لَوْ تَكُنْ أَنْفُسُنا مِلْكًا لَنا ... ذَلِكَ اليَوْمَ بَذَلْنا الأَنْفُسا
يا لُيَيْلاتٍ مَضَتْ عَهْدي بِها ... إخْتَلَسْنا العَيْشَ فيها خُلَسا
وَفُؤادًا يَتَرَجَّىٰ عَوْدَةً ... بِالَّذي مَنَّ بِها لا تَأْيَسا
فَعَسَىٰ الدَّهْرُ بِها مُرْتَجِعًا ... ما بَقِيْ إلَّا تَعالِيلُ عَسَىٰ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الوافر]

إذا أَبْصَرْتَ بَرْقًا يَثْرِبِيًّا ... يَشُبُّ لَهيبَ وَجْدي يا أُخَيَّا
/ ٢٨٧ب/ يُذَكِّرُني عُهودَ أُهَيْلِ نَجْدٍ ... وَلَمْ أَكُ قَبْلَ لامِعِهِ نَسِيًّا
أُصَيْحابي لَعَلَّكُمُ تُراعوا ... خَليلًا لَمْ يَزَلْ لَكُمُ وَفِيًّا
إذا وافَيْتُمُ خَلًّا بِنَجْدٍ ... هَنيئًا جَمْعُ شَمْلِكُمُ هَنِيًّا
فَقولوا رامَ ذو قَلَقٍ وَوَجْدٍ ... زِيارَتَكُمْ وَلكِنْ ما تَهَيَّا
وَلي قَلْبٌ تَرَحَّلَ إذْ تَغَنَّتْ ... حُداتُكُمُ وَأَعْمَلَتِ المَطِيَّا
فَيا قَلْبي الَّذي قَدْ فَرَّ مِنِّي ... إلَىٰ الأَحْبابِ يَطْوي البيدَ طَيَّا
إذا وافَيْتَ بَدْرَ بَني تَميمٍ ... فَحَيِّي بِحَيِّهِمْ ذاكَ المُحَيَّا
وَمَنْ لي إنْ رَأَىٰ قَلْبي حِماهُمْ ... وَحَيَّا عَنْ قَتيلِ الشَّوْقِ حَيَّا

[١٥٩]

إسماعيلُ بنُ علوي بنِ علوانَ، أبو محمدٍ البوازيجيُّ.

كان رجلًا صالحًا من أولياء الله تعالىٰ.

صحب الشيخ حماد بن محمد بن جساس البوازيجي. نزل إربل وسكنها إلىٰ أن توفي بها يوم الخميس تاسع عشري ربيع الآخر سنة إثنتين وعشرين وستمائة. وكان

منزله مألفًا للفقراء وذوي التّصوّف.

أنشدني ولده أبو أحمد محمد / ٢٨٨أ/ قال: سمعت والدي ينشد لنفسه:

[من الوافر]

عَصَيْتُكَ يَا إلَهِي وَاشْقَائِي ... وَغَيْرُكَ لَيْسَ يَعْرِفُنِي بِذَاكَا

وَإنِّي أرْتَجِيكَ العَفْوَ عَنِّي ... وَلَيْسَ العَفْوُ يُرجَى مِنْ سِوَاكَا

[١٦٠]

إسماعيلُ بنُ الحسين بن محمد بن الحسين بن أحمدَ بن مَحمد بن عزيز بن الحَسين[١] بن أَبي جَعفر محمَد الأُطروش بنَ عليٍّ بَن اَلحسيَن بَن عليٍ بَن محمَد الديباجً بن جعفر الصادق بن محمد َالباقر بنَ عليٍّ بن اَلحسينً بنِ عليٍ بنِ أبي ًطالبٍ، َ أبوَ طالبِ الحُسَيْني َالمَرْوَزيّ[٢].

القَاضي، النسَّابةُ، الفقيهُ الأديبُ، المصنّفُ.

قرأ علم الأدب والعربية علىٰ أبي الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي، وأبي الفتح الُمَطرِّزيّ. وأخذ الفقه عن الإمام فخر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسين الطيّان الماهَرَوي الحنفي، وقاضي القَضاة أبي الفتح محمد بن سليمان بن إسحاق الفقيهيّ.

وسمع الحديث علىٰ إسماعيل بن محمد بن يوسف القاشاني وغيرهم من العلماء والمحدثين.

ولي القضاء بمرو، وصنّف تصانيف كثيرة / ٢٨٨ب/ منها كتاب «حظيرة القدس» نحو ستين مُجلّداً، وكتاب «بستان الشرف» وهو مختصر ذلك، وكتاب «غُنية

---

(١) في معجم الأدباء ٢/ ٦٥٢ «الحسن».

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١٠٨ ـ ١١٠. معجم الأدباء ٢/ ٦٥٢ ـ ٦٥٥. مجمع الآداب ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ رقم ٥٧٦. بغية الوعاة ١/ ٤٤٦ رقم ٩١٢، ص١٩٤ ط بيروت. غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ص٩٩ ـ ١٠، ط النجف. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص٢٤٧، ط النجف. المشجّر الكشاف ص٧٠، ط القاهرة. الأعلام ط٢/ ١/ ٣٠٨.

الطالب في نسب آل أبي طالب»، وكتاب «الموجز في النسب»، وكتاب «الفخري في النسب» صنفه للإمام فخر الدين أبي الفضل محمد بن عمر الرازي، يكون عشرين مجلّداً[١]، وكتاب «زبدة الطالبية»، وكتاب «العترة النبوية في أنساب الموسوية»، وكتاب «المثلث في السير»، وشرح عدّة كتب منها كتاب أبي الغنائم الدمشقي، وكتاب «الطبقات» للفقيه زكريا بن أحمد البزاز النيسابوري، وكتاب «الشافعي» خاصة، وكتاب «وفق الأعداد في النِّسَب» وإلىٰ غير ذلك من المصنفات.

وكانت ولادته ليلة الإثنين الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. وكان أعلم النَاس. . . . بالأنساب والنحو واللغة والفقه / ٢٨٩أ/ والشعر والأصول والنجوم وغير ذلك.

وتفرّد في بلده بالتصدر لإقراء العلوم علىٰ اختلافها في منزله ينتابه الناس علىٰ حسب أغراضهم فمن قارٍ للفقه، ومتعلّم للنحو، ومصحح للغة، وناظر في النجوم، ومباحث في الأصول؛ وهو معَ سعة علمه متواضع لين الجانب لا يَردُ غريبٌ إلاّ عليه ولا يستفيد مفيد إلاّ منه، قد طبعه الله من كرم الأخلاق، وطهارة الأعراق، وحسن البَشر، وحرمة الطبع، وحياء الوجه، وحبّ الغرباء ما لا يرى متفرقًا مع خلق كثير ـ فرضي الله عنه وأرضاه ـ فلقد كان من محاسن الدنيا وعجائبها.

ومن شعره قوله: [من السريع]

قُولُوا المَنْ لُبِّي فِي حُبِّهِ: ... قَدْ صَارَ مَغْلُوبًا وَمَسْلُوبًا
وَفِي صَمِيمِ القَلْبِ مِنِّي أَرَىٰ ... هَوَاهُ وَالإِيْمَانَ مَكْتُوبًا
وَصِحَّتِي فِي عِشْقِهِ صَيَّرَتْ ... جِسْمِي مَعْلُولاً وَمَعْيُوبًا
وَمَدْمَعِي مُنْهَمِرًا هَامِيًا ... مُنْهَمِلاً فِي الخَدِّ مَسْكُوبًا[٢]

وقال أيضًا: [من البسيط]

وَالعَيْنُ يَحْجُبُهَا لأْلأءُ غُرَّتِهِ ... عَنِ التَّأَمُّلِ فِي ذَا المَنْظَرِ الحَسَنِ
/ ٢٨٩ب/ بَلْ عَبْرَتِي مُنِعَتْ لَوْ نَظَرَتِي عَبَرَتْ ... إِلَيْهِ مِنْ مُقْلَتِي إِلاَّ عَلَىٰ السُّفُنِ

---

(١) طبع بتحقيق السيد مهدي الرجائي، بمجلد واحد، في إيران ١٤٠٩هـ.
(٢) القطعة في الوافي ٩/ ١٠٩.

لَولا تَجَشُّمُهُ بالإبتسامِ ومَا أمَدَّهُ اللهُ عِندَ النُّطقِ باللَّسَنِ
لَمَا عَرَفْتُ عَقِيقاً شَفَّهُ دُرَرٌ ولَمْ يَبِنْ فُوهُ نُطقاً وهْوَ لَمْ يَبِنِ

[١٦١]

إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمانَ بن محمد بن سليمانَ بن أحمدَ بن سليمانَ بنَ داودَ بنَ المطهر بن زيادَ بنَ ربيعةَ بنَ الحارث بن ربيعةَ بنَ أرقمِ بنَ أنود بنَ أسحمَ بنَ النعمان - ويقال له السَّاطعُ - ابن عديِّ بنَ عبد غطفانَ بن عمرو بنَ بريحِ بن خديجةَ بن تيم اللات بنَ أسَد بن وبَرةَ بن تَغلبَ بن حُلْوانَ بن عمرانَ بنَ الحافي بنَ قُضاعةَ - وقُضاعَةُ لقبٌ واسمهُ عمرُو بنُ مالك بنَ عمرو بن مرّةَ بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجبَ بنَ يعربَ بنَ قحطانَ، أبو محمدَ بنِ أبي إسحاقَ، المعَريُّ الأصلِ، الدمشقيُّ المنشأ والدار[١].

كان جدّه أبو اليسر شاكراً كاتبًا لنور الدين / ٢٩٠أ/ أبي القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر. وهو من بيت عريق في القضاء والعلم والأدب والفقه والشعر. وأبو محمد من الفضلاء الفصحاء العلماء الأدباء.

حدّثني الأمير أبو حفص بن أبي المعالي، قال: سألت الإمام أبا محمد بمدينة دمشق في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وستمائة أن يحلّ أبيات أبيَ الحسن بن الرومي وهي: [من الكامل]

وَحَديثُهَا السِّحْرُ الحَلاَلُ لَوَ انَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلمِ المُتَحَرِّزِ
إن طَالَ لَمْ يُملَكْ وإنْ هيَ أوْجَزَتْ وَدَّ المُحَدَّثُ أنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ النُّفُوسِ وَقَيْنَةٌ مَا مِثْلُهَا للمُطْمَئِنِّ وَعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ

فنثرها، وقال: «وحديثها الحديث لا كالحديث عذب كالماء الزُلال، وأسكر فأشبه العتيق من الجريال، واستملىٰ من غير ملّ ولا إملال، وشغل عن غرر من واجب الأشغال، وجنى من قتل المسلم المتحرز ما ليس بحلال صادت بشركه النفوس،

(١) ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤١ - ٤٥ نقلاً عن القلائد.

ومالت إلى /٢٩٠ب/ وجهة الأعناق والرؤوس، فيهن نزهة العيون وعقال العُقُول، والموجزَ الذي ودّ المحدّث أن يطول.. ثم أنشد لنفسه: [من الطويل]

حَديثٌ حَديثُ العَهْدِ فَتَّحَ نَوْرُهُ ... فَمِنْ نُورِهِ قَدْ زادَ في السَّمْعِ وَالبَصَرْ
يَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ عِنْدَ سَماعِهِ ... كَأَنَّ بِهِمْ شِيْعِيَّهُ وَهْوَ مُنْتَظَرْ
يَلَذُّ بِهِ طُولُ الحَدَيْثِ لِسامِرٍ ... وَلا يَعْتَريهِ مِنْ إِطالَتِهِ ضَجَرْ
بِهِ طُرَفٌ لِلطَّرْفِ تُجْنَى وَعُقْلَةٌ ... لِعاقِلِ رَكْبٍ مُسْتَفَزّاً إِلَى السَّفَرْ
هِيَ البَدْرُ فَاسْمَعْ ما تَقُولُ فَإِنَّهُ ... غَرِيبٌ وَحَدِّثْ بِالرِّوايَةِ عَنْ قَمَرْ

[١٦٢]

إسماعيلُ بنُ الحسين بنِ حامد بن جُبارةَ بن المحسنِ بنِ عبدِ اللهِ، أبو الفداءِ الموصليُّ، المعروفُ بابنِ القائد.

وهوَ والدُ رشيد ومعتوق، وسيأتي شعرهما في موضعه ـ إن شاء الله تعالى[(١)] ـ.

كان رجلاً عاميًا، يقول الأشعار طبعًا من غير قراءة نحو وأدب، وبلغ قريبًا من تسعين سنة، ولم يتغير ذهنه وعقله.

أنشدني ولده /٢٩١أ/ رشيد، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من الكامل]

وَمُزَرْفَنِ الأَصْداغِ مَعْسُولِ اللَّمَى ... جَرَحَ الفُؤادَ بِطَرْفِهِ لَمَّا رَمَى
كَتَبَ العِذارُ عَلَى سَوالِفِ خَدِّهِ ... سَطْراً فَقامَ بِهِ الجَمالُ مُتَرْجِما
ما تَمَّ حُسْنُ البَدْرِ عِنْدَ تَمامِهِ ... حَتَّى اسْتَدارَ بِهِ الظَّلامُ مُخَيِّما

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

قامَتْ تُوَدِّعُني أُمَيْمَةُ وَالهَوَى ... قِسْمانِ بَيْنَ مُوَدَّعٍ وَمُوَدِّعِ
في بُرْقُعٍ بَرَزَتْ إِلَيَّ فَمَنْ رَأَى ... شَمْسَ الضُّحَى مَحْجُوبَةً في بُرْقُعِ؟!
فَلَثَمْتُ رَشْفَ رُضابِها وَدُمُوعُها ... هَطّالَةٌ خَوْفَ الفِراقِ وَأَدْمُعي
وَشَكَوْتُ ما أَلْقاهُ مِنْ وَجْدي بِها ... يَوْمَ النَّوَى فَتَنَهَّدَتْ وَبَكَتْ مَعي

---

(١) ترجمتهما ضمن الجزأين المفقودين من القلائد.

ثُمَّ ٱفْتَرَقْنَا وَهْيَ قَائِلَةٌ لَقَدْ ... بَلَغَ الحَسُودُ مُنَاهُ فِيمَا يَدَّعِي
فَارَقْتُ جِيرَانَ الرِّضَا لاَ بِالرِّضَا ... مِنِّي وَنِيرَانُ الغَضَا فِي أَضْلُعِي

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني والدي لنفسه: [من السريع]

لَمْ أَنْسَهَا وَهْيَ إِلَىٰ جَانِبِي ... تَعْبَثُ فِي حَلِّ سَرَاوِيلِي
قُلْتُ: وَمَا تَبْغِينَ يَا مُنْتَهَىٰ ... سُؤْلِي وَيَا غَايَةَ مَأْمُولِي
قَالَتْ وَقَدْ زَالَ الحَيَا بَيْنَنَا ... يَا عَمِّ إِحْلِيلُكَ يَحْلُو لِي!

/ ٢٩١ب/ وأنشدني، قال: أنشدني والدي قوله: [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَتْ أَيْرِي كَبِيرًا تَمَنَّعَتْ ... كَأَنَّ بِهَا ضِيقًا وَسَيِّءَ أَخْلَاقِ
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا بَعْضَهُ فَتَحَسَّرَتْ ... فَقُلْتُ: عَلَىٰ مَاذَا؟ فَقَالَتْ: عَلَىٰ البَاقِي

[١٦٣]

إِسماعيلُ بنُ عليٍّ، أبو الفداء البغداديُّ.

كان متوليًا ديوان الأبنية المعمور في زمان الإمام الناصر لدين الله ـ رضي الله عنه ـ وحبس. وكان عنده أدب وفضل.

ومن شعره وهو محبوس ما كتبه إِلىٰ أهله وأقاربه، ويمدح الناصر لدين الله:

[من الطويل]

أَلاَ فَأَبْلِغَا الأَهْلَ الكِرَامَ سَلاَمِي ... وَقُولاَ لَهُمْ وَجْدِي بِهِمْ وَغَرَامِي
وَإِنِّي لاَ أَنْسَىٰ زَمَانَ وِصَالِهِمْ ... وَأَذْكُرُهُمْ فِي يَقْظَتِي وَمَنَامِي
وَأَعْجَبُ شَيءٍ أَنَّ طَيْفَ خَيَالِهِمْ ... يَزُورُ دُجًى وَالحَارِسُونَ أَمَامِي
لَئِنْ فَاتَنِي فَصْلُ الرَّبِيعِ بِقُرْبِهِمْ ... فَإِنَّ رَبِيعِي عِلَّتِي وَسَقَامِي
وَوِرْدِي وُرُودِي مَوْرِدَ الذُّلِّ وَالضَّنَا ... وَآسِي يَأْسِي وَالدُّمُوعُ مُدَامِي
وَلَوْ شَاهَدَ الحُسَّادُ مَا قَدْ لَقِيتُهُ ... مِنَ الحَبْسِ رَقُّوا لاسْتِمَاعِ كَلاَمِي
/ ٢٩٢أ/ وَمَا أَنَا إِلاَّ السَّيْفُ لاَنَ لِصَيْقَلٍ ... وَإِنِّي فِي يَوْمِ الوَغَىٰ لَمُحَامِي
وَإِنْ كُنْتُ مَحْبُوسًا فَقَدْ طَالَ مَا ثَوَىٰ ... بِحَبْسٍ رَفِيعُ القَدْرِ نَجْلُ هُمَامِ
فَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ عَوْدَتِي وَتَمَسَّكُوا ... بِحَبْلِ دُعَاءٍ فَهْوَ خَيْرُ ذِمَامِ
فَلَوْلاَ دُعَا ذِي النُّونِ فِي اليَمِّ مَا نَجَا ... وَدَامَ بِهِ فِي وَحْشَةٍ وَظَلاَمِ

وَعَفْوُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ مُؤَمَّلٌ ... وَرَحْمَتُهُ لِي فَهْوَ خَيْرُ إِمَامِ
وَخَيْرُ مَلِيكٍ يَفْتَحُ الشَّرْقَ عَنْوَةً ... وَيَمْلِكُ غَرْبًا فَاتِكًا لِحُسَامِ

وقال في الشيب: [من البسيط]

شَيْبُ الدَّوَاةِ وَشَيْبُ الرَّأْسِ قَدْ مَنَعَا ... خَطِّي وَخَطْوِيْ فَلاَ حُكْمٌ وَلاَ سَبَبُ
مُرَكَّبُ النِّقْسِ مَا لِيْ عُشْرُ قِيْمَتِهِ ... وَلاَ الرِّكَابُ يُوَاتِيْنِي وَلاَ الرُّكُبُ[1]

وقال أيضًا: [من البسيط]

لَهْفِيْ عَلَىٰ صَاحِبٍ قَدْ كَانَ يُسْعِدُنِيْ ... عَلَىٰ الرَّجَاءِ وَيَحْدُوْنِيْ عَلَىٰ الأَمَلِ
وَعَزْمَتِي كُلَّمَا عَايَنْتُ طَلْعَتَهُ ... فَوْقَ السِّمَاكِ وَيَتْلُو عَزْمَتِي عَمَلِي

وقال أيضًا: [من البسيط]

إِنِّيْ أَخَافُ مِنَ التَّأْخِيْرِ فَاسْتَمِعِيْ ... يَا رَبَّةَ الخِدْرِ قَوْلاً غَيْرَ مُنْدَفِعِ
وَالوَجْدُ يُحْرِقُنِيْ وَالشَّوْقُ يُقْلِقُنِيْ ... وَالدَّمْعُ يَسْبِقُنِيْ وَالقَلْبُ لَيْسَ مَعِي
/ ٢٩٢ب/ أَمُوْتُ بِاليَأْسِ إِنْ طَالَ الفِرَاقُ وَإِنْ ... وَعَدْتُمُ بِاللِّقَا أَحْيَا مِنَ الطَّمَعِ

وله: [من الطويل]

بَكَيْتُ شَبَابِيْ إِذْ رَأَيْتُ مَشِيْبِيْ ... وَأُبْدِلْتُ مِنْ إِلْفٍ بِعُرْفِ غَرِيْبِ
وَمَا أَسَفِيْ أَنْ فَاتَنِيْ اللَّهْوُ وَالصِّبَا ... وَلَكِنْ لأَيَّامٍ مَضَتْ بِعُيُوْبِي
وَمَا تَوْبَةُ الإِنْسَانِ بَعْدَ مَشِيْبِهِ ... وَزُهْدُ الغَوَانِي فِيْهِ مِثْلُ حَبِيْبِ
وَكَيْفَ يُقَاسُ الغُصْنُ بَعْدَ جَفَافِهِ ... بِغُصْنٍ رَبِيْعِيِّ القَوَامِ رَطِيْبِ
وَإِنِّي لأَرْجُو بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... مِنَ اللهِ عَفْوًا عَنْ جَمِيْعِ ذُنُوبِي

[١٦٤]

إسماعيلُ بنُ موسىٰ بن منصور بن إبراهيمَ بنِ العاصِ الربعيُّ المقرىءُ، أبو المجد البَوماريُّ[2].

شيخ ضعيف العينين، ربعة كبير السن أربىٰ علىٰ الثمانين. وهو من قرية من قرى

---

(١) النقس: الحبر. الرُّكُب: الأبل.

(٢) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٥٠. ولولده (يحيى) ترجمة في الجزء التاسع من هذا الكتاب برقم ٩١٣.

الموصل الغربية تدعىٰ «بومارية» بها ولد ونشأ وخرج عنها صغيراً.

وحفظ القرآن العزيز حفظًا جيداً، وسمع الحديث وسافر إلىٰ مدينة السلام في طلب العلم، وقراءة القرآن وتجويده، ونزل عبادان.

ثم كرّ راجعًا إلىٰ الموصل فاستوطنها، وأدرك /٢٩٣أ/ الإمام أبا بكر يحيىٰ بن سعدون بن تمام القرطبي المقرىء بالموصل؛ وله منه إجازة.

وهو رجل صالح متديّن له أشعار في الزهديات والتحريض علىٰ طاعة الله تعالىٰ والتمسك بسنة رسول الله ﷺ.

أنشدني لنفسه من قصيدة طويلة أولها: [من البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي سِرِّيْ وَإِعْلَانِي ... مِمَّا جَنَيْتُ وَمِنْ زَلَّاتِ إِخْوَانِي
وَأَسْأَلُ اللهَ لِيْ عَفْواً وَمَغْفِرَةً ... فَإِنَّهُ أَهْلُ ذِي عَفْوٍ وَغُفْرَانِ
وَأَحْفَظُ الوُدَّ لِلإِخْوَانِ إِنْ بَعُدُوا ... وَإِنْ دَنَوا ثُمَّ أَعْفُو عَنْ أَخِيْ الجَانِيْ
وَالعَهْدَ أَرْعَىٰ لأَصْحَابِيْ وَإِنْ نَقَضُوا ... عَهْدِيْ كَذَاكَ أُرَاعِي حَقَّ جِيْرَانِيْ
وَأَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنْ رَبِّي وَيَطْلُبُنِيْ ... أَشَدَّ مِنْ طَلَبِيْ وَالحِرْصُ أَعْيَانِيْ
وَأَتْبَعُ الشَّرْعَ فِيْمَا قَدْ أُمِرْتُ بِهِ ... وَالشَّرْعُ يَأْمُرُنِي وَالشَّرْعُ يَنْهَانِيْ
وَأَحْمَدُ اللهَ رَبِّي ثُمَّ أَشْكُرُهُ ... كَمَا هَدَانِيْ لِهَٰذَا وَهْوَ يَرْعَانِيْ
أَصْحَابَنَا اسْتَمِعُوا مَا قَالَ وَالدُكُمْ ... قَدْ قَالَ نُصْحاً وَصِدْقاً غَيْرَ بُهْتَانِ
وَاسْتَمْسِكُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاتَّبِعُوا ... قَوْلَ الرَّسُوْلِ هُمَا لِلْشَّرْعِ أَصْلَانِ
وَسُنَّةَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ بِهَا ... أَوْصَىٰ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ وُلْدِ عَدْنَانِ
خَلُّوا الهَوَىٰ وَحَدِيْثَ النَّفْسِ وَاتَّبِعُوا ... مَا قَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ تُجْزَوا بِإِحْسَانِ

[١٦٥]

/٢٩٣ب/ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن غازي بن عليِّ بنِ محمد، أبو طاهرٍ النُّمَيريُّ المعروفُ بابنِ فلّوس(١).

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ٦٦ ـ ٦٧ رقم ٣٩٨٥ وفيه وفاته ٦٢٩هـ. تاريخ الإسلام للذهبي (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٢١ رقم ٤٦١. المنهل الصافي ٢/ ٣٧٧ رقم ٤٢٢. الجواهر المضيئة=

مِنْ أهلِ ماردينَ.

كان فقيهًا حنفيًا أصوليًا فاضلاً ذا قدرة علىٰ ما يريد من إنشاء القريض، وخاطر مطاوع في ذلك.

سكن بالآخرة دمشق، يدرس الفقه بالمدرسة العزيَّة المنسوبة إلى الأمير عزّ الدين ايبك أستاذ الدار، وتوفي بدمشق يوم الأربعاء من المحرم في سنة سبع وثلاثين وستمائة. وكانت ولادته في سنة أربع وتسعين وخمسمائة(١).

أنشدني أبو الفتوح الحسين بن الحسن بن محمد بن محمد البكري، قال: أنشدني أبو طاهر بن فلّوس لنفسه بدمشق: [من الوافر]

لَحَاهُ اللهُ مِنْ زَمَنٍ خَسِيْسٍ ... أَكَابِرُهُ الأَرَاذِلُ وَالعَبِيْدُ
زَمَانٌ قَلَّ أَهْلُ الفَضْلِ فِيْهِ ... بَلِ انْقَرَضُوا فَلَيْسَ لَهُمْ وُجُودُ

وأنشدني، قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

سَأَتْرُكُ مَنْ أَهْوَاهُ لاَ عَنْ مَلاَلَةٍ ... وَلَكِنْ لأَمْرٍ أَوْجَبَ الأَخْذَ بِالتَّرْكِ
/ ٢٩٤أ/ أَرَادَ شَرِيكًا فِي المَوَدَّةِ بَيْنَنَا ... وَإِيْمَانُ قَلْبِي لاَ يَمِيْلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ

وأنشدني أيضًا، قال: أنشدني لنفسه جوابًا لبعض أصحابه، وقد كتب إليه أبياتًا وهي: [من السريع]

يَا أَيُّهَا العَالِمُ مَاذَا تَرَىٰ ... فِي عَاشِقٍ ذَابَ مِنَ الوَجْدِ
فِي حُبِّ ظَبْيٍ أَهْيَفٍ أَغْيَدٍ ... سَهْلِ المُحَيَّا حَسَنِ القَدِّ
فَهَلْ تَرَىٰ تَقْبِيْلَهُ جَائِزاً ... فِي النَّحْرِ وَالعَيْنَيْنِ وَالخَدِّ
مِنْ غَيْرِ ذِي فُحْشٍ وَلاَ رَيْبَةٍ ... بَلْ بِعِنَاقٍ ضُمَّ فِي جِلْدِ

= لابن أبي الوفاء ١/ ١٤٤. القلائد الجوهرية لابن طولون ٤٧٧. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٢٥ رقم ٢٩١٧. حسن المحاضرة ١/ ٢٠٠. الدليل الشافي ١/ ١٢٠ رقم ٤٢٠. شذرات الذهب ٥/ ١٢٩ وفيه وفاته سنة ٦٣٠. الدارس ١/ ٥٤٠. طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة/ ورقة ١٠٨. المقفى الكبير للمقريزي ٢/ ٧١ ـ ٧٢ رقم ٧٢٩.

(١) في الوافي: «مولده بماردين سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة».

فأجابه أبو طاهر بن فلّوس: [من السريع]

يَا أيُّهَا السَّائِلُ إنِّي أرَىٰ تَقْبِيلَكَ العَيْنَيْنِ بالخَدِّ
يُفْضِي إلَىٰ مَا بَعْدَهُ فَاجْتَنِبْ تَقْبِيلَهُ بالجِدِّ وَالجَهْدِ
لأنَّ مَنْ يَرْتَعُ فِي رَوْضَةٍ لأبُدَّ أنْ يَجْنِيْ مِنَ الوَرْدِ

[١٦٦]

إسماعيلُ بنُ هبةِ الله بنِ يوسفَ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي الفضائلِ، أبو الفداء الحمويُّ.

كانت ولادته /٢٩٤ب/ في سنة خمس وتسعين وخمسمائة. شاب له معرفة حسنة بالنجوم، وكِتْبَة التقاويم، وفيه فضل وعلم.

أنشدني لنفسه بدمشق في سنة أربعين وستمائة ما كتبه إلىٰ بعض الأمراء يخاطبه:

[من الكامل]

إسْعَدْ بهَذَا الحوْلِ يَا مَلِكَ الدُّنَىٰ وَتَمَلَّ نُعْمَىٰ لَيْسَ عَنْكَ لَهَا انْثِنَىٰ
وَاْغْنَمْ مَسَرَّاتِ النُّفُوْسِ فَإِنَّهَا فَرْضٌ وَدَعْ ذكْرَ اللِّوَىٰ وَالْمُنْحَنَىٰ
يَا مَالِكاً أبتِ الهَوَىٰ آرَاؤُهُ شَرَفاً كَمَا عَزَمَاتُهُ أبت الوَنَىٰ
مَا بَالُ مُلْكِكَ لَيْسَ يَبْرَحُ مَوْطِناً وَجَزِيْلِ مَالِكَ لَيْسَ يَأْلَفُ مَوْطِنَا

وأنشدني لنفسه ما كتبه علىٰ لوح رمل معمول من. . . . يولد فيه ويضرب من غير أن يكون فيه رمل، يستغني بذلك عن الرمل: [من الكامل]

أنَا كَاشِفُ الأسْرَارِ فِيَّ بَدَائِعٌ مِنْ حِكْمَةٍ وَغَرَائِبٌ وَعُيُوْبُ
أنَا ذُوْ البَلاَغَةِ وَالمُحَدِّثُ صَامِتٌ وَبِمَنْطِقِيْ التَّرْغِيْبُ والتَّرْهِيْبُ
يُخْفِي اللَّبِيْبُ ضَمِيْرَهُ فَأُبِيْنُهُ فَكَأنَّ أعْضَائِيْ خُلِقْنَ قُلُوْبُ
إنِّي بَسَطْتُ أدِيْمَ وَجْهِيْ خَاضِعاً وَتَرَكْتُهُ عِوَضَ التُّرابِ يَنُوْبُ

[١٦٧]

إسماعيلُ بنُ حامد بن عبد الرحمنِ / ٢٩٥أ/ بن المرجَّىٰ بن عبد الله بـن المـؤمَّـلِ، الفَقيـهُ الشـافعـيُّ المـدرسُ المفتـي القـوصـي الأنصارِيُّ(١).

سألته عن مولده، فقال: ما أتحققه؛ إلاَّ أنَّ لي من العمر خمسًا وستين سنة، فيكون مولده تخمينًا في سنة خمس وسبعين وخمسمائة(٢).

حفظ القرآن العزيز ببلدته، وسمع الحديث بمُنْيَة ابن الخصيب(٣) علىٰ الشيخ علي بن خلف بن معز الكومي التلمساني، وبدمشق علىٰ أبي طاهر الخشوعي، والحافظ أبي محمد بن عساكر وطبقتهما خلق كثير، وبالموصل من المجد بن الأثير، وعبد القادر الرّهاوي، وأبي الحرم النحوي وجماعة بها؛ وبمكّة ـ شرّفها الله ـ من الحافظ برهان الدين أبي الفتح نصر بن أبي الفرج الحصري وغيرهم.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٤٠٢١، وفيه: «إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن المرجّى بن المؤمّل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن يعيش، الفقيه شهاب الدين، أبو المحامد، وأبو الطاهر، وأبو العرب الأنصاري الخزرجي القوصي الشافعي..». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص١٤٣ رقم ١٠١. الطالع السعيد ص١٥٧ رقم ٨٧. الدارس في تأريخ المدارس ١/ ٤٣٨. مرآة الجنان ٤/ ١٢٩. معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٣. لسان الميزان ١/ ٣٩٧. ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٥ رقم ٨٦٢. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ رقم ١٩٥. دول الإسلام للذهبي ٢/ ١١٩. العبر ٥/ ٢١٤. عيون التواريخ ٢٠/ ٨٢ ـ ٨٣. شذرات الذهب ٥/ ٢٦٠. ذيل الروضتين ١٨٩. الغصون اليانعة لابن سعيد ص٢٤. العسجد المسبوك للملك الغساني ٦١٣. صلة التكملة للحسيني ج٢ الورقة ١٥ ـ ١٦. النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥. البداية والنهاية ١٣/ ١٨٦. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٧ رقم ٢١٧٧. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٣. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥١. ذيل التقييد للفاسي ١/ ٤٦٥ رقم ٩٠٢. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٣٤ رقم ٤٠٤. المغني في الضعفاء ١/ ٨٠ رقم ٦٤٥. الأعلام ١/ ٣٠٨. المقفى الكبير ٢/ ٨٨ ـ ٨٩ رقم ٧٧٤. كشف الظنون ١٧٣٥. إيضاح المكنون ١/ ٢١٠. فهرس الفهارس للكتاني ١/ ٢٠٥، ٢/ ٣٢١. معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٣.

وقُوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة هي قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفُسْطَاط اثنا عشر يومًا، بينها وبين قفط فرسخ. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٢) فَي هامش الأصل: «وفاته سابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وستمائة».

(٣) في معجم البلدان ٥/ ٢١٨: «مُنْيَة أبي الخصيب» مدينة على شاطىء النيل بالصعيد الأدنى بمصر.

وترسل إلىٰ الملوك بذلك الزمان عن الملك العادل، ودرس بزاوية جمال الإسلام بجامع دمشق، وتولّىٰ وكالة بيت المال عن ملوك بني أيوب، ونفذ إلىٰ الأطراف إلىٰ ديار بكر والموصل وسنجار والجزيرة العمرية وخلاط وبلاد الحشيشية وحلب.

ودرس فقه الشافعي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وحضر مجلسه الأكابر والصدور والوزراء من العلماء، وقرأ الأدب علىٰ تاج الدين الكندي، /٢٩٥ب/ ولازم عماد الدين وأخذ عنه علمًا كثيراً، وقرأ عليه تصانيفه حتىٰ لم يكد يفوته منها شيء؛ «كالفتح القدسي» و«البرق الشامي»، و«نحلة الرحلة وحلية العطلة»، و«عتبىٰ الزمان وعقبىٰ الحدثان».

وله مصنفات منها كتاب «الدر الثمين في شرح كلمة آمين» المصنّف للسلطان الملك الكامل سمي بني أكرم الأكرمين محمد، وكتاب «بغية الراجي ومنية الآمل بمحاسن دولة الملك الكامل»، وكتاب «الروض الناضر في محاسن دولة الملك الناصر»، وكتاب «تحف المحاضرة وظرف المذاكرة» مبوب أبوابًا، وكتاب «الحلة الموشاة في أسباب النصرة علىٰ خوارزم شاه» المصنف للملك الأشرف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، وكتاب «الروض البهج والعرف الأرج» المصنف لعلي بن قلج.

أنشدني لنفسه يوم السبت الحادي عشر من المحرم سنة أربعين وستمائة بمنزله المحروس بدمشق في التاريخ المذكور: [من البسيط]

/٢٩٦أ/ فكْرِيْ تَقَسَّمَ وَالأَشْوَاقُ تُزْعِجُنِيْ ... وَالقَلْبُ فِيْ لَهَبِ النِّيْرَانِ يَتَّقِدُ

وَسُحْبُ عَيْنِيَ بِمَاءِ الدَّمْعِ هَاطِلَةٌ ... وَالصَّبْرُ قَدْ خَانَنِيْ يَا صَاحِ وَالجَلَدُ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الطويل]

هَبِ الدَّهْرَ أَرْضَانِيْ وَفَرَّجَ كُرْبَتِي ... وَأَنْقَذَنِي مِنْ ذُلَّةِ السِّجْنِ وَالأَسْرِ

فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ السُّرُوْرِ الَّتِيْ مَضَتْ ... وَمَنْ لِيْ بِمَا أَنْفَقْتُ فِيْ السِّجْنِ مِنْ عُمْرِي

وأنشدني أيضًا لنفسه لغزاً في القداحة: [من الكامل]

قَدَّاحَةٌ يَحْكِي فُؤَادِيْ نَارَهَا ... تَخْفَىٰ وَتَكْمُنُ تَحْتَ بَرْدِ الظَّاهِرِ

فَاعْجَبْ لِنَارٍ تَحْتَ بَرْدٍ تَخْتَفِي ... كَالمَكْرِ فِيْ قَلْبِ العَدُوِّ المَاكِرِ

[١٦٨]

إسماعيلُ بنُ هبة الله بن سعيد بن هبة الله بنِ محمدِ بنِ باطيش، أبو المجدِ بن أبيَ البرَكاتِ المَوصَليُّ(١)(٢).

أصلهُ من الحديثة.

كان والده عدلاً بالموصل مقبول الشهادة؛ وابنه أبو المجد هذا فقيه شافعي المذهب، قرأ الفقه بالموصل، وسافر إلىٰ بغداد فتفقه بها مدّة في المدرسة النظامية /٢٩٦ب/ حتىٰ برع فيه وفي الخلاف والجدل والأصولين، واشتغل بالأدب والحديث، وقرأ الفقه علىٰ يحيىٰ بن سليمان بن العطار، وأبي المظفر محمد بن علوان بن مهاجر، وسمع من أصحاب أبي القاسم بن الحسين، وأبي بكر محمد بن عبد الباقي، وأبي غالب بن البناء، وأبي العز بن كارش العكبري وطبقتهم، وعاد إلىٰ بلده ورتب معيداً بالمدرسة البدرية وخازن كتبها.

وصنّف كتبًا منها كتاب في «طبقات أصحاب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ»، وكتاب «مزيل الارتياب عن مشتبه الانتساب»، وكتاب في «مشتبه النسبة»، وكتاب «شرح ألفاظ المهذّب» لأبي إسحاق الشيرازي والأسامي المودعة فيه، وكتاب «التميّز والفصل بين المتفق في الخط والنقط والشكل»، وكتاب «غاية الوسائل إلىٰ معرفة الأوائل»، وكتاب «نهاية الأرب في تهذيب عجالة النسب»، وكتاب «أقصىٰ الأمل في

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ رقم ٤١٣٩، وفيه «توفي سنة خمس وخمسين وستمائة، وقد جاوز الثمانين». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص١٩١ رقم ١٨٥. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٩ رقم ٢٢١. عيون التواريخ ٢٠/ ١١٠. وفيات الأعيان ١/ ٢٠٣، ٢/ ٢٣٨، ٥٤١، ٤/ ١٩٧، ٥/ ٢١٠ ـ ٢١١، ٧/ ٣٣٧. صلة التكملة لوفيات النقلة للحسيني ٢/ ورقة ٢٨ ـ ٢٩. مجمع الآداب ٢/ ٤٢ رقم ٩٨٧ و٢/ ٣٥ ـ ٣٦ رقم ٩٩٩ عماد الدين. ذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤ وفيه: «إسماعيل بن عبد الله بن سعيد...». العبر ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢. طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٣١ ـ ١٣٢ رقم ١١١٩. طبقات الإسنوي ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦ رقم ٢٥٣. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٣٥ رقم ٤٠٥. الإعلام ١/ ٣٢٧. العسجد المسبوك ٢/ ٦٢٧. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي ٢٨٣. مقدمة د. مصطفى جواد لتحقيقه تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ١٧ ـ ١٨. شذرات الذهب ٥/ ٢٦٧. معجم المؤلفين ٢/ ٢٩٨.

علم الجدل»، وكتاب «عدّة السالكين»، وكتاب «فريد الشهاب»، وكتاب «مزيل الشبهات في إثبات الكرامات»، وكتاب / ٢٩٧أ/ «نهاية المرام في إيضاح أركان الإسلام»، وكتاب «فضَل الصيام وما ورد الحث علىٰ صومه من الشهور والأَيام»، وكتاب «النخبة من مشتبه النسبة»، و«أربعين حديثًا عن أربعين من فقهاء الصحابة»، و«شرح البنية» لأبي إسحاق الشيرازي في عشر مجلدات أخذته الغرب في جملة كتبه، وعاد بعضه، وكتابَ «بغية المشتاق إِلىٰ معرفة الأوفاق» وغير ذلك . . . . . علىٰ يده بحلب.

سافر صحبة أبي الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصلي إلىٰ الرّقة، وقد وصل إلىٰ الملك الأشرف موسىٰ بن أبي بكر بن ايوب ففارقه منها، وقدمَ حلب فسمع بها قاضي القضاة أبا المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي الأسدي[1]، وأبا محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي.

وكان قصد دمشق في سنة ثلاث وستمائة، فسمع بها أبا اليمن الكندي، وأبا القاسم الحَرَستاني وجماعة من أصحاب الفقيه نصر الله وابن قبيس وغيرهم.

واجتاز بحلب فسمع بها أبا الفضل الهاشمي، ولقي بها حنبل الرصافي مجتازاً إلىٰ دمشق، وسمع في طريقه بحماة . . . . . وزاد شيوخه علىٰ المائة شيخ.

/ ٢٩٧ب/ ثم توجّه إلىٰ بلده، فأقام به مدة إلىٰ أن أرسل خلفة بلديه الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني، وكان كثيرَ الاعتقاد فيه، فاستدعاهَ إلىٰ حلب فخرج من الموصل متوجهًا إلىٰ حلب؛ فخرج العرب علىٰ القافلة فأخذوه فيما بَين حرّان ورأس عين، وأخذوا كتبه وَقماشه في الجملة، وسلم بنفسه.

ثم وصل إلىٰ حلب وذلك سنة إثنتين وعشرين [وستمائة] فأنزله شمس الدين لؤلؤ في داره ومال إليه بجمَلته، واعتمد عليه فيَ أموره، ودام علىٰ ذلك مدّة.

ثم فوّض إِليه قاضي القضاة أبو المحاسن المذكور آنفًا التدريس بالمدرسة النورية المعروفة بالنغريَ.

---

(١) يوسف بن رافع بن تميم الموصلي. المترجم في الجزء العاشر برقم ٩٦٨.

سُئل عن مولده، فقال: ولدت في يوم الأحد السادس عشر من المحرم سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وهو شيخ فاضل كيّس تام المروءة، كريم الصحبة، حسن الأخلاق، حرّ الطباع، يُراعي حق أصدقائه ومعارفه، ويتعصب لهم باجتهاده، ويبالغ في قضاء حقوقهم، وإيصال الراحة إليهم؛ نعم الرجل هو دينًا وفضلاً وسكونًا وعقلاً وحلمًا وعلمًا.

أنشدني لنفسه بمدينة حلب يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر /٢٩٨أ/ من سنة أربع وثلاثين وستمائة ما كتبه من الموصل إلىٰ مدينة السلام في كتاب إلىٰ بعض أصدقائه يداعبه ويُطايبه(١): [من الطويل]

بِـأَيِّ لِسَانٍ بَعْدَ بُعْدِكَ أَنْطِقُ ... لأُبْدِيْ شِكَايَاتٍ جَنَاهَا التَّفَرُّقُ
سُهَادٌ بِجَفْنِ العَيْنِ مِنِّيَ مُوَكَّلٌ ... وَقَلْبٌ لِتَذْكَارِ الأَحِبَّةِ يَخْفِقُ
وَشَوْقٌ إِلَىٰ الزَّوْرَاءِ يَزْدَادُ كُلَّمَا ... تَرَنَّمَ قُمْرِيٌّ وَنَاحَ مُطَوَّقُ
وَمَا شَاقَنِي حسر ولا رقّة ولا ... صراة بِهَا المَاءُ الفُرَاتُ مُرَقْرَقُ
وَلاَ نَهْرُ عِيسَىٰ وَالحَرِيْمُ وَدِجْلَةٌ ... وَلاَ سُفْنُهَا أَمْسَتْ تَخُبُّ وَتُعْتَقُ
وَلَكِنْ لُيَيْلاَتٌ تَقَضَّتْ بِسَادة ... بِرؤيتهم شَمْلَ الهُمُوْمِ يُفَرِّقُ
فَلاَ غَرْوَ أَنْ تُذْرَىٰ الدُّمُوْعُ بِبُعْدِهِمْ ... وَمِنْهُمْ حَلِيْفُ المَكْرُمَاتِ المُوَفَّقُ
سَلاَمٌ عَلَيْهِ كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... وَإِنْ كَانَ يُلْهِيْهِ الغَزَالُ المُقَرْطَقُ

[١٦٩]

إسماعيلُ بنُ أبي الفتحِ بنِ رزقِ الله بنِ الهائمِ السنجاريُّ.

أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن دبابا الفقيه الحنفي، قال: أنشدني إسماعيل بن أبي الفتح السنجاري لنفسه: [من الطويل]

/٢٩٨ب/ سَقَىٰ اللهُ أَرْضًا بِالعِرَاقِ وَإِنْ خَلَتْ ... تَهَائِمُهَا مِنْ بَعْدِكُمْ وَنُجُوْدُهَا
سَحَائِبُ يَسْحَبْنَ الذُّيُوْلَ كَأَنَّهَا ... نَجَائِبُ قَدْ مَالَتْ عَلَيْهَا قُتُوْدُهَا
إِذَا شَارَفَتْ مِنْهَا الشَّوَارِفُ بَلْدَةً ... وَقَدْ مَاتَ مشربها وَجَفَّ صَعِيْدُهَا

(١) الأبيات السبعة الأولى في الوافي ٩/ ٢٣٥، والثلاثة الأولى في مجمع الآداب ٢/ ٤٣.

بَكَيْنَ بِهَا وُرْقٌ كَأَنْ هَاجَ شَجْوَهَا مِنَ الوُرْقِ فِي رَأْدِ الضُّحَى . . . . .

[وله يرثي أبا القاسم علي بن محمد بن علي بن مهاجر الموصلي، واستشهد على يدي التتار الملاعين ـ خذلهم الله تعالى ـ وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة:

[من الطويل]

أَحَقّاً دَرَىٰ النَّاعِي بِمَا هُوَ قَائِلُهْ وَمَا ثَكَلَتْهُ عِنْدَ ذَاكَ ثَوَاكِلُهْ

نَعَىٰ أَسَداً يُرْدِي الخُطُوبَ قِرَاعُهُ وتسترحب الأَرْضُ الوَقُورَ زَلَازِلُهْ

فَوَاحَسْرَتَا لَمْ تَحْظَ نَفْسِي بِقُرْبِهِ وَلَا عَلِمَتْ أَنَّ الحِمَامَ يُعَاجِلُهْ

وَيَا طُولَ حُزْنِي بَعْدَهُ وَتَلَدُّدِي وَيَا خَيْبَتَاهُ فِي الَّذِي أَنَا فَاعِلُهْ

وَحَسْبِي حُزْناً أَنْ أَرَىٰ الرَّبْعَ مُوحِشاً . . . . جَلَاجِلُهْ

فَلِلَّهِ قَلْبٌ مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ عَلَى إِلْفِهَا إِلَّا وَهَاجَتْ بَلَابِلُهْ

لَقَدْ أَوْدَعَ المَعْرُوفَ . . . . جَنَادِلُهْ

فَيَا . . . . . يَسْتَضْحِكُ الرَّوْضَ بَرْقُهُ وَيَبْكِي تِلَاعَ الأَرْضِ بِالقَفْرِ وَابِلُهْ

تَحَمَّلْ إِلَىٰ قَبْرِ الشَّهِيدِ تَحِيَّةً تَطِيبُ بِهَا أَسْحَارُهُ وَأَصَائِلُهْ

فَيَا أَيُّهَا النَّاعِيهِ جَهْلاً بِقَدْرِهِ سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاعِلُهْ

وَقَالَ مُعِينُ الدِّينِ أَثْبَتَهُ الرَّدَىٰ بِسَهْمِ رَدًى أَصْمَى المَعَالِيَ عَاجِلُهْ

فَلَوْ كَانَ كُفْؤاً مَنْ أُصِيبَ بِسَهْمِهِ عَذَرْتُ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالكُفْءِ قَاتِلُهْ

مَضَىٰ وَالعُلَا لَمْ تَسْتَتِمَّ رَضَاعَهُ وَلَمْ تُرْوَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ مَنَاهِلُهْ

ولَمْ تشف . . . . . السَّمْهَرِيِّ بِكَفِّهِ وَلَمْ . . . .

. . . . قد أظهر آياته . . . . .

. . . . . الأيام دُونَكَ وَالنَّوَىٰ وأَنْتَ بِقَلْبِي سَاكِنٌ . . . . .

. . . . . إِلَىٰ سَحَائِبَ لَيْسَ يُقْلِعُ نَوْؤُهُ أَوَاخِرُهُ مِنْ رَحْمَةٍ وَأَوَائِلُهْ

وَلَا بَرِحَ التُّرْبُ الَّذِي أَنْتَ جَارُهُ تزف . . . . . الرياض . . . .

وَصَابَكَ مِنْ سَرْوَى أَبِيكَ وَبِرِّهِ سَحَائِبُ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ فَوَاضِلُهْ

هُوَ الصَّاحِبُ المَوْلَىٰ الوَزِيرُ مُحَمَّدٌ مَكَارِمُهُ مَعْرُوفَةٌ وَنَوَافِلُهْ

فَلَوْلَا كَمَالُ الدِّينِ . . . . . تَطِيبُ . . . . غَوَائِلُهْ

فَـلاَ رَاعَنَـا فِيْـهِ الـزَّمَـانُ بِفَـادِحٍ وَلاَ زَالَ يَعْلُـو بِـالعُـلاَ مَـنْ يُطَـاوِلُـهْ][١]

[١٧٠]

إسماعيلُ بنُ عمرَ بن عبد العزيز بن هبة الله بن الحسن بن أحمدَ بن حمدون، أبو الفداء السنجاريُّ، المعروفُ بابنِ الخطيبِ[٢].

كان لسلفه الخطابة بسنجار، وبيتهم مشهورٌ بالعلم والفضل.

وأبو الفداء قرأ شيئًا من الفقه علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ورحل إلىٰ مدينة السلام مادحًا الإمام المستنصر بالله أبا جعفر المنصور ـ خلّد الله دولته ـ وعاود منها إلىٰ إربل؛ فلقيته بها في شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين وستمائة، وأنشدني قوله في أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ عظم الله سلطانه ـ: [من الكامل]

دَارَ السَّـلاَمِ وَصَلْتِهَـا فَـاسْتَبْشِـرِي وَاسْتَشْعِـرِي حَمْـدَ الصَّبَـاحِ المُسْفِـرِ

/ ٢٩٩أ/ وَتَفَيَّئِـي بَـرْدَ الظِّـلاَلِ وَغَـادِرِيْ حَـرَّ الهَجِيْـرِ لِمُنْجِـدٍ وَمُغَـوِّرِ

هَـذِيْ قَصِيَّـاتُ المُنَـى بُلِّغْتِهَـا وَسَلِـيْ إِدَامَتَهَـا وَسَعْيَـكِ فَـاشْكُـرِيْ

يَـا نَـاقُ حَلَّلْـتِ النُّسُـوْعَ وَلَـمْ تَكَـدْ أَوْ لَـمْ تَحِـلَّ بِـالمَحَـلِّ الأَكْبَـرِ

حَـرَمِ النُّبُـوَّةِ وَالخِـلاَفَـةِ مَـرْكَـزِ الإِسْـلاَمِ وَالـدِّيْـنِ الحَنِيْـفِ الأَطْهَـرِ

نَـادِيْ أَمِيْـرِ المُـؤْمِنِيْـنَ وَمَـوْئِـلِ الـلاَّجِيْـنَ مِـنْ عَـافٍ وَمِـنْ مُسْتَغْفِـرِ

مَـنْ طَـاعَـةُ اللهِ طَـاعَتُـهُ وَمَـنْ عِصْيَـانُـهُ كَـالشِّـرْكِ ضِـدُّ مُكَفِّـرِ

مُسْتَنْصِـرٌ بِـاللهِ لَـمْ تُعْـدَمْ إِجَـابَتُـهُ بِنُصْـرَةِ دَعْـوَةِ المُسْتَنْصِـرِ

عَـرَفَـتْ لِبَيْعَتِـهِ الإِمَـامَـةُ حَقَّهَـا فَعَـلاَ بِـوَطْئَتِـهِ عَـلاَءُ المِنْبَـرِ

نَسَخَـتْ مَكَـارِمُـهُ المَكَـارِمَ كُلَّهَـا فَكَـأَنَّهَـا مِـنْ قَبْلِـهِ لَـمْ تُـذْكَـرِ

فِـيْ الأَرْضِ أَبْحُـرُ عَشْـرَةٌ مَشْهُـوْرَةٌ وَالأَرْضُ نَعْـرِفُهَـا بِسَبْعَـةِ أَبْحُـرِ

مُسْتَحْـدِثٌ فِـيْ كُـلِّ يَـوْمٍ سُـؤْدَداً مُتَحَـدِّثـاً عَـنْ سُـؤْدَدٍ فِـيْ العُنْصُـرِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ترجم المؤلف لأخيه (علي بن عمر) في الجزء الرابع برقم ٤٣٩.

أَلْقَى لَهُ الإِسْلاَمُ فَضْلَ زِمَامِهِ فَاقْتَادَهُ بِيَدِ المُحِقِّ المظهَرِ
كَالسَّيْفِ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ غَدَا كَرَماً كَمَيَّادِ الأَرَاكِ الأَنْظَرِ
وَأَغَرَّ بِالمَجْدِ الغَرِيبِ مُظَفَّرٌ وَسَوَاهُ بِالعَادِيِّ غَيْرُ مُظَفَّرِ
كَالغَيْثِ يَجْرِي نَائِلاً وَمَوَاهِباً لَمْ يُعْطِهَا صَوْبُ السَّحَابِ المُمْطِرِ
/ ٢٩٩ب/ شَرُفَتْ بَنُو العَبَّاسِ مِنْهُ بِمُشْرِفٍ مِنْ فَوْقِ اسْمِهِ العَلاَءُ مُشَمِّرِ
قَوْمٌ هُمُ شُمُّ الجِبَالِ رَجَاحَةً وَخَلاَئِقاً كَالمَاءِ غَيْرَ مُكَدَّرِ
لَهُمُ فُتُوحُ المَكْرُمَاتِ وَفِيهِمُ نَزَلَتْ مَفَاتِحُ سُورَةِ المُدَّثِّرِ
سَمْعاً أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَصِيدَةً عَذْرَاءَ قَدْ طَالَتْ مَقَالَ البُحْتُرِي
بِكَ فَخْرُهَا وَالنَّاسُ لَمْ يَعْرِفْ بِهِمْ أَحَداً سِوَاكَ بِمَدْحِهِ لَمْ يَفْخَرِ
قَامَتْ بِمَدْحِكَ حَسْبَ طَاقَتِهَا وَمَنْ يَسْطِيعُ مَدْحَ مَكَارِمٍ لَمْ تُحْصَرِ
حُزْتَ المَدَى فِي الشُّكْرِ حَتَّى مَا يُرَى يَوْماً لِفَضْلِ نَدَاكَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ
شَرُفَتْ بَنُو العَبَّاسِ يَوْمَ خَلَفْتَهُمْ بِمَكَارِمٍ مَشْهُورَةٍ لَمْ تُنْكَرِ
وَفَدَتْ هِبَاتُكَ وَفْدَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَسَرَيْنَ نَحْوَ العَاجِزِ المُتَدَبِّرِ
لَمَّا أُرِدْ إِلاَّ لِمُلْكِكَ دَاعِياً وَمُؤَدِّياً فَضْلَ المَدِيحِ المُثْمِرِ
إِلاَّ فَمَاذَا بَالِغٌ نَظْمُ امْرِئٍ عَنْ بَعْضِ شُكْرِكَ وَالثَّنَاءِ مُقَصِّرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

نُؤَمِّلُ بَعْدَ البَيْنِ أَنْ نَتَجَمَّعَا وَشَحْطُ النَّوَى لَمْ يُبْقِ فِي القَوْسِ مَنْزَعَا
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو البُعْدَ وَالدَّارُ لَمْ تَبِنْ فَقَدْ صِرْتُ أَشْكُو هَجْرَكُمْ وَالنَّوَى مَعَا
/ ٣٠٠أ/ نَأَيْتُمْ فلا جَفْنِي يُلِمُّ به الكَرَى حِفَاظاً وَلاَ جَنْبِي يُلاَئِمُ مَضْجَعَا
وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي عَصِيٌّ عَلَى الهَوَى فَكُنْتُ لَهُ مِنْ بَانَةِ الشِّعْبِ أَطْوَعَا
تَصَامَمْتُ عَنْ طَيْرِ الفِرَاقِ وَإِنَّمَا أَصَاءَتْ بِنَا دَاعِي الرَّحِيلِ فَأَسْمَعَا
وَطَارَتْ بِلُبِّي يَوْمَ طَارَتْ رِكَابُكُمْ عَلَى إِثْرِهَا تِلْكَ النَّوَاعِبُ وُقَّعَا
فَلاَ يَتَّهِمْنِي الكَاشِحُونَ بِأَنَّنِي صَبَوْتُ فَقَلْبِي يَوْمَ أَزْمَعْتِ أَزْمَعَا

[١٧١]

إسماعيلُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ يوسفَ بنِ عمرَ الموصليُّ، أبو الفداء.

نزل مدينة إربل وتولّىٰ بها عملاً وأقام بها مدّة طويلة في دولة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين ـ رحمه الله ـ؛ شيخ طويل أبيض اللحية.

أخبرني أنه ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وتوفي بإربل يوم الأربعاء سادس عشر شعبان سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة.

أنشدني لنفسه: [من الكامل]

يَا أَيُّهَا المَوْلَىٰ الَّذي عَجَزَ الوَرَىٰ ... عَنْ شَرْحِ مَا يَأْتِيْه مِنْ إِحْسَانْ

جَلَّتْ جَوَاهِرُكَ الشَّرِيْفَةُ أَنْ تَكُنْ ... أَعْرَاضُهَا جِسْمًا لَذي جُثْمَانَ

لَكِنْ لَطُفْتَ فَصِرْتَ مَعْنًى قَائِمًا ... بِصِفَاتِهِ فِي صُوْرَةِ الإِنْسَانَ

/ ٣٠٠ب/ وأنشدني أيضًا قوله: [من المتقارب]

وَقَائِلَةٍ لِمْ لَبِسْتَ البَيَاضَ ... وَقَدْ كُنْتَ تَلْبَسُ ثَوْبَ الحِدَادِ

فَقُلْتُ السَّوَادُ مَضَىٰ فِيْ البَيَاضِ ... وَهَذَا البَيَاضُ لِهَذَا السَّوَادِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من البسيط]

محبتي آدم مِنْ فَرْطِ زَلَّتِهِ ... وَمَنْ نَجَا بِاسْمِهِ نُوْحٌ مِنَ الغَرَقِ

وَآل طَاهَا وَمَنْ فِيْ فَضْلِهِ نَزَلَتْ ... آيُ الكِتَابَ وَتَأْتِي سُوْرَةُ الفَلَقِ

لأَنْتُمُ فِيْ فُؤَادٍ قَلَّ مَا هَدَأَتْ ... مِنْهُ الجَوَانِحُ احْرَاقًا مِنَ القَلَقِ

أَحْلَىٰ مِنَ الأَمْنِ فِيٍّ قَلْبِ المَخُوْفِ وَمِنْ ... طَيْبِ الكَرَىٰ فِيْ جُفُوْنِ السَّاهِرِ الأَرِقِ

ووجدت له من الشعر قوله: [من الهزج]

أَمَا آنَ لِمُرِّ الهَجْرِ يَا مَوْلَايَ أَنْ يَحْلُو

وَمَا أَوْهَنَهُ الهجْرَانُ أَنْ يَجْبُرَهُ الوَصْلُ

وَمَا أَرْخَصَهُ الإِعْرَاضُ وَالتَّفْرِيْقُ أَنْ يَغْلُوْ

رَعَىٰ اللهُ أُنَاسًا سَاءَ فِيْنَا مِنْهُمُ العَدْلُ

عَقَـــدْنَـــا بَيْنَنَـــا العَهْـــدَ وَلَكِنَّهُـــمُ حَلُّـــوا
إِذَا كَـــانَ الجَفَـــا مِنْهُـــمْ لأَمْـــرٍ مَـــالَـــهُ أَصْـــلُ
/٣٠١أ/ فَمَـــنْ يَـــرْجُـــوَ مَـــنْ بَعْـــدِيْ بِـــأَنْ يَصْفُـــو لَـــهُ الخِـــلُّ[1]
فَلِلَّـــهِ فَتًـــى قَـــالَ مَقَـــالاً صَـــدَّهُ الهَـــزْلُ
تُـــرَىٰ تَجْمَعُنَـــا الـــدَّارُ تُـــرَىٰ يَكْنُفُنَـــا الظِّـــلُّ

[١٧٢]

إسماعيلُ بنُ صديق بن إسماعيلَ بن أحمدَ بن خليفةَ بن سَويدانَ بن عليِّ بنَ عطّافَ بنِ قرقاش القرشي الدمشقيُّ، المعروفُ والدُه بالرامي.

كانت ولادته في سنة ستّ وتسعين وخمسمائة بنابلس، وانتقل إلىٰ دمشق وهو صغير السن. ثم قدم حلب وتعلق بخدمة الملك الظاهر ثم بعده لولده الملك العزيز ثم ولده الملك الناصر يوسف.

شاهدته بمدينة حلب يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة؛ شاب جندي كيّس جميل، له رواء ومنظر حسن.

أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح الملك العزيز صاحب مدينة حلب:

[من الكامل]

مَـــا آلَ يُـــوسُـــفَ حَـــامِـــدٌ يُثْنِـــي كَمَـــا يَثْنِي الثَّرَىٰ الصَّادِي عَنِ الغَيْثِ الرِّوَىٰ[2]
وَجْهـًا كَشَفْـتُ قِنَـاعَـهُ فِـيْ مَـدْحِكُـمْ إِذْ صُنْتُمُـوْهُ بِجُـوْدِكُـمْ عَمَّـنْ سِـوَىٰ
/٣٠١ب/ قَسَمًا وَلَسْتُ بِشَاعِرٍ مُسْتَرْفِدٍ أَوْدَىٰ بِـهِ طَمَـعُ الهَـوَىٰ حَتَّـىٰ هَـوَىٰ
مَـا لِلْمَـدَائِـحِ عَنْكُـمُ مَنْـدُوْحَـةٌ لا غَـرْوَ مِـنْ فَـرَجٍ . . . . . صُـوَىٰ
وَلأَنْتُـمُ الكَهْـفُ الَّـذِيْ لُـذْنَـا بِـهِ فَـأَفَـاضَ نِعْمَتَـهُ وَأَدْنَـىٰ المُنْتَـوَىٰ
وَأَقَـامَ مَعْقِلَنَـا وَكَـانَ مُـزَلْـزَلَ الأَرْكَـانِ مَفْصُـومَ العُـرَىٰ وَاهِـيْ القُـوَىٰ

---

(١) الصحيح: يرجوْ بالسكون، يصفوّ بالفتح.

(٢) الرِّوى: الماء الغزير المروي.

إنِّي صَدَفْتُ عَنِ المَدِيْحِ لِغَيْرِكُمْ ... وَعَجَمْتُ عُوْدَ مَطَامِعِي حَتَّىٰ ذَوَىٰ
لَكِنْ عَلِمْتُ بِأَنَّ مَدْحَ مُحَمَّدٍ ... فَرْضٌ وَمَنْ نَاجَىٰ الكَلِيْمَ بِذِي طُوَىٰ
مَلِكٌ أَرَانِي المَجْدَ شَخْصًا وَالنُّهَىٰ ... رُوْحًا لِغَايَاتِ المَكَارِمِ قَدْ حَوَىٰ
فَرَوَىٰ عَلَيَّ جَلالُهُ آيَ العُلاَ ... وَهُوَ الخَلِيْقُ بِمَا رَوَيْتُ وَمَا رَوَىٰ
فَلْيَعْلَمِ الفُصَحَاءُ أَنَّ مَدَائِحِي ... مَا ضَلَّ شَاعِرُهَا المُجِيْدُ وَلاَ غَوَىٰ

أول القصيدة:

أَخْبَارُ أَوْسِمَةِ الأَجَيْرِعِ فَاللِّوَىٰ ... تُنْشِي الغَرَامَ لِمَنْ رَوَىٰ وَمَنِ ارْتَوَىٰ
فَإِلَىٰ مَ تَسْأَلُ عَنْ دِيَارِ قَطِيْنَةٍ ... وَالدَّاءُ مِنْ سَبَبٍ تَرُوْمُ بِهِ الدَّوَا
فَاكْتُبْ فَمَا تَرَكَ الأَسَىٰ لِيَ أَدْمُعًا ... كَلاَّ وَلاَ جَلَدًا يُنَازِعُهُ جَوَىٰ
وَلَقَدْ نَوَيْتُ عَلَىٰ التَّصَبُّرِ لِلْهَوَىٰ ... وَلِصَشَرْفِهِ وَلِكُلِّ عَبْدٍ مَا نَوَىٰ
يَا رَاكِبًا تَهْوِي بِهِ شَدَنِيَّةٌ ... وَجْنَاءُ طَاوِيَةُ المَصِيْرِ عَلَىٰ الطَّوَىٰ
/ ٣٠٢أ/ نَاءٍ عَنِ الأَوْطَانِ قَدْ قَذَفَتْ بِهِ ... أَيْدِي النَّوَىٰ حَتَّىٰ اسْتَكَانَ عَلَىٰ التَّوَىٰ(١)
لِيَلُوْذَ مُعْتَصِمًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ ... . عَرِيْنُ عُلاَهُ خَفَّاقُ اللِّوَا
لُذْ بِالغِيَاثِ بنِ الغِيَاثِ مُحَمَّدٍ المَلِكِ العَزِيْزِ وَقَدْ شَكَرْتَ يَدَ النَّوَىٰ
مَلِكٌ رَوَى صَوْبُ الحَيَا عَنْ كَفِّهِ ... وَأَقَرَّ بِالتَّقْصِيْرِ عَنْ رِيِّ الرَّوَىٰ
وَتَلاَ سَنَىٰ غُرَرِ الجِيَادِ جِيَادُهُ ... طَمَعًا فَقَهْقَهَرَ دُوْنَ .....
وَلَقَدْ طَوَىٰ جَوْرَ الزَّمَانِ بِهِمْ فَمَا ... نَشَرت من اليسر الكَرِيْمَةِ مَا انْطَوَىٰ

[١٧٣]

إسماعيلُ بنُ محمود بنِ مكارمَ، أبو محمد النعّالُ الواعظُ.

شاب فاضل خيّر لم يزل مواظبًا علىٰ الاشتغال بعلم الوعظ، والجلوس برباط منسوب إلى والده.

وهو أحد من أنعم عليه الإمام الظاهر بأمر الله ـ رضي الله عنه ـ وأذن له في الجلوس بباب بدر الشريف، وشهد عند قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبد الرزاق

(١) التوى: الهلاك.

فقبل شهادته، وأثبت تزكيته.

أنشدني لنفسه يمدح الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ خلّد الله دولته ـ

[من البسيط]

يَا صَاحِبَيَّ بِأَعْلَامِ العُذَيْبِ صَفَا ... شَوْقِي إِلَى مَنْهَلٍ بِالأَبْرَقَيْنِ صَفَا

/٣٠٢ب/ وَحَدِّثَا أَهْلَ نَعْمَانَ الأَرَاكِ بِمَا ... لَقِيتُهُ مُذْ غَدَا قَلْبِي بِهِمْ كَلِفَا

وَسَائِلَا الرَّكْبَ عَنْ وَجْدِي فَإِنْ وَقَفَتْ ... . وَادِي الحِمَى فَقِفَا

لِي جَنَّةٌ إِنْ سَرَى مِنْ نَحْوِ كَاظِمَةٍ ... بَرْقٌ يَسِيرُ بِهِ الدَّاجِي إِذَا خَطَفَا

بَدَا وَمِيضًا فَأَبْدَا لَمْعُهُ حُرَقِي ... وَعَادَ خَفِيًا فَأَخْفَى الصَّبْرَ حِينَ خَفَا

هَاجَتْ لِقَلْبِي تَذْكَارَ العُهُودِ وَمَاءِ الوَصْلِ بِالبَانِ حَتَّى صِحْتُ وَاأَسَفَا

قُلْ لِلْحَبِيبِ الَّذِي أَفْنَى بِهَاجِرَةٍ ... صَبْرِي فَأَضْحَى جَفَاءً مِنْهُ حِينَ جَفَا

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا لِي اليَوْمَ مُلْتَبَسٌ ... إِلَّا بَقَاءُ إِمَامِ العَصْرِ لِي وَكَفَى

فَهُوَ الَّذِي أَنْشَرَ الأَرْمَامَ نَائِلُهُ ... بِهَاجِرٍ مِنْ غَوَادِي بِرِّهِ وَكَفَا

خَلِيفَةٌ جَمَّلَ الدُّنْيَا وَأَنْعَشَ مَنْ ... فِيهَا بِظِلٍّ عَلَى كُلِّ العِبَادِ ضَفَا

لَوْ عَاشَ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا حَاتِمٌ وَرَأَى ... جَدْوَاهُ عَادَلَهُ بِالفَضْلِ مُعْتَرِفَا

لَهُ عَوَارِفُ تَسْرِي بَعْضُهَا مَلَأَ ... الأَيَّامَ طِيبَ ثَنَاءٍ نَشْرُهُ أُلِفَا

مَا قَالَ: لَا فِي جَوَابِ السَّائِلِينَ لَهُ ... بِجُودِ كَفَّيْهِ أَلْغَى اللَّامَ وَالأَلِفَا

بَلْ قَوْلُهُ نَعَمٌ تُلْفَى بِهَا نِعَمٌ ... بِفَيْضِهِنَّ عَلَى العَافِينَ قَدْ عَطَفَا

فُدِيتَ فِي مَشْرِقِ الدُّنْيَا وَمَغْرِبِهَا ... عَرْفَ المَدِيحِ لِمَعْرُوفٍ بِهِ عُرِفَا

دَاوَى بِطِيبِ أَيَادِيهِ وَرَأْفَتِهِ ... مَنْ كَانَ أَشْفَى لِفَقْرٍ نَازِلٍ فَشَفَى

/٣٠٣أ/ مَوْلًى لَهُ قَصَبَاتُ السَّبْقِ كَامِلَةً ... لِأَنَّهُ كَمَّلَ العَلْيَاءَ وَالشَّرَفَا

أَضْحَى . . . . لِلُّطْفِ مُدَّرِعًا بِالعَطْفِ مُتَّصِفَا

مُؤَسِّسًا لِلتُّقَى أَسَاسَ ذِي وَرَعٍ ... لِكَوْنِهِ مِنْ بِحَارِ الوَحْيِ مُغْتَرِفَا

وَقَدْ حَمَى الدِّينَ وَالدُّنْيَا سُطًا وَنَدًى ... بِخَاطِرٍ عَنْ مَرَاضِي اللهِ مَا صَدَفَا

. . . . . مَوَاكِبُهُ الإِمْلَاكَ حَيْثُ سَرَتْ ... لَا زَالَ شَمْلُهُمُ بِالنَّصْرِ مُؤْتَلِفَا

وَدَامَ لِلْمُلْكِ مَوْلَانَا الخَلِيفَةُ مَا ... رَقَى الغُصُونَ حَمَامُ البَانِ أَوْ هَتَفَا

أنشدني محمود بن عثمان، قال: أنشدني إسماعيل بن محمود بن مكارم البغدادي لنفسه: [من الخفيف]

رَوِّق الصِّرْفَ قَدْ تَولَّى الظَّلاَمُ وَأدرْهَا فَقَدْ تَغَنَّى الحَمَامُ
والشَّحَارِيرُ صَوَّتَتْ فِي البَسَاتِيـ ـنَ أَيُبْقَى مِنْ بعْد هَذَا مَنَامُ
والمعيديُّ فِي المِيَاه يُنَادِي كُلُّ نَومٍ عَلَى المُحِبِّ حَرَامُ
وَنَسِيمُ الصَّبَاحِ بِالطِّيْبِ وَالمَشْمُومِ وَالعَرْفِ سَجْسَجٌ نَمَّامُ
وَصَرِيعُ الشَّرَابِ كَالرَّمْسِ مُلْقَى وَالسُّقَاةُ الأَهْدَافُ وَالأَعْلاَمُ
مِثْلَ مَا صَاغَ قَبْلَنَا نَبْعَةُ المُعْتَزِّ هَذَا المَعْنَى فَتَمَّ النِّظَامُ
وَكَأنَّ السُّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلِفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ

/٣٠٣ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

قُمْ فَاطْرُد النَّوْمَ عَنْ وَسْنَان قُطْرُبُلِ وَقُلْ لَهُ كَمْ كَرىٰ أَوْدى لَهُ السَّهَرُ
فَقَامَ يَنْزُلُ دَنّاً كَانَ غَارِمٍ فَاطْلَعَ الشَّمْسَ وَالدَّيْجُورُ مُعْتَكِرُ
أَمَا تَرَىٰ لاَزوَرْدَ الأُفْقِ مُلْتَمِعاً نُوراً وَعِقْدَ الثُّرَيَّا ظَلَّ يَنْتَثِرُ
وكُنْتُ مُرْتَقِبَ المصْبَاحِ يُوقِدُهُ فَضَاءَ بِالرَّاحِ مَا قَدْ عَطَّتِ الشَّجَرُ[1]
وَأَشْبَهَتْ حَالُهُ الرَّاوُوْقَ إِذْ مُزِجَتْ كَهَالَةِ التِّبْرِ لاَحَتْ فَوْقَهَا الدُّرَرُ
كَمْ قَدْ خَطرتُ عَلَىٰ السَّاقِيْ علَىٰ خَطَرٍ فِي زُمْرَةٍ غُيِّبُوا عَنْهُمْ وَقَدْ حَضَرُوا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

هَذهِ الدَّارُ كَأْسُهَا الحُلْوُ مِنْ جودها راجح ولَيْسَ يَشِفُّ
أسرت إن سرت مرت أمرت أنْصَفَتْ إنْ صَفَتْ وَهَيْهَاتَ يَصْفُو
خَلِّهَا خلِّهَا فَمِنْ شَأْنِهَا الغَدْرُ وَفِي أَطْيَبِ التَّوَاصُلِ يَجْفُو

وقال أيضًا: [من الخفيف]

لَوْ قَطَعْتُ العِرَاقَ مِنْ سَفْحِ قَافٍ قَاطعاً للحُزُونِ والأَحْقَافِ
وَاضِعاً . . . . . عَلَىٰ الأَرْضِ فِي السَّيْرِ وَوَجْهِي . . . . .

---

(١) عطت: تثنّت.

لَـمْ أَجِـدْ كُلفَـةَ المَسَـافَـةِ مِـنْ شَـوْقِـي إِلَيْكُـمْ وَذَلِكُـمْ غَيْـرُ خَـافِـي

[١٧٤]

إسماعيلُ بنُ يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمدَ بن أبي زيدَ بن محمدَ بن أحمدَ بن عبيد الله بن عليٍّ - ويلقب باغرّ - بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ، أبو زيدَ بنِ أبي جعفرٍ الحسنيُّ البَصريُّ.

كان والدهُ نقيبَ البصرة.

وأبو زيد كان خبيراً بأيام العرب وأشعارها ومعرفة اللغة والأدب، وقول الشعر، كريم النفس، تام المروءة شجاعًا في نفسه من بيت العلم والشرف والنقابة والأمالي، وأشعاره لم يقع لي منها شيء إلاّ ما أنشدني أبو الحسن علي بن أبي الفرج الواسطي، قال: أنشدني أبو زيد لنفسه من قصيدة يقول منها: [من الطويل]

إِذَا وَلِـيَ الأَعْمَـالَ كُـلَّ . . . . غَشُـومٍ ظَلُـومٍ لَـمْ يَـزَلْ مُتَحَـرِّمَـا

وَيُظْهِـرُ نُسْكـاً لِـلأَنَـامِ وَإِنَّمَـا سَجِيَّتُـهُ أَنْ يَسْتَبِيـحَ المُحَـرَّمَـا

وَكَـمْ قَـدْ بَنَـى مِـنْ مَسْجِـدٍ فِـي خَـرَابَـةٍ لِيَجْعَـلَ مَـالَ اللهِ نَهْبـاً مُقَسَّمَـا

فَقِـفْ بِـإِزَاءِ التَّـاجِ مِـنْ أَرْضِ بَـابِـلٍ وَنَـادِ بِصَـوْتٍ مُعْـرَبٍ غَيْـرَ أَعْجَمَـا

أَلاَ يَـا وُلاَةَ الأَمْـرِ حَتَّـامَ أَنْتُـمُ تَكُـونُـونَ عَـنْ مَـالِ الخَلِيفَـةِ نُـوَّمَـا

[١٧٥]

إسماعيلُ بنُ يرنقش بنِ عبد الله / ٣٠٤ب/ أبو الفداء، السنجاريُّ العماديُّ[(١)].

مولى عماد الدين أبي الحارث بن زنكي بن مودود بن زنكي - صاحب سنجار -.

حدثني الصاحب أبو البركات، قال: رأيت أبا الفداء هذا بالموصل وكان جنديًا

(١) ترجم المؤلف لأخيه (أحمد بن يرنقش) في هذا الجزء برقم ٩٢.

لطيفًا حسن الصورة، دمث الأخلاق، ذا جود وسخاء وأدب وفضل من أحسن الناس شبابًا، وأكملهم جمالاً وظرفًا. توفي وهو شاب بالموصل سنة نيّف وستمائة.

ثم قال: وأنشدني من شعره أبو القاسم أبو بكر بن إسماعيل التلعفري، قال: أنشدني أبو الفداء لنفسه يُعزّي الملك الأشرف أبا الفتح موسىٰ بن أبي بكر بن أيوب في أخ له من أمّه اسمه يوسف: [من الطويل]

دُمُوعُ المَعَالِي وَالمَكَارِمِ ذُرَّفُ ... وَرَبْعُ العُلا قَاعٌ لِفَقْدِكَ صَفْصَفُ
غَدَا الجُودُ وَالمَعْرُوفُ فِي اللَّحْدِ ثَاوِيًا ... غَدَاةَ ثَوَىٰ فِي ذَلِكَ اللَّحْدِ يُوسُفُ
فَتًى خَطَفَتْ كَفُّ المَنِيَّةِ رُوحَهُ ... وَقَدْ كَانَ لِلأَرْوَاحِ بِالبِيْضِ يَخْطَفُ
سَقَتْهُ لَيَالِي الدَّهْرِ كَأْسَ حِمَامِهَا ... وَكَانَ يُسَقِّي المَوْتَ فِي الرَّوْعِ يُعْرَفُ
فَيَا حَسْرَتَا لَوْ يَنْفَعُ المَرْءَ حَسْرَةٌ ... وَيَا أَسَفَا لَوْ كَانَ يُجْدِي التَّأَسُّفُ
وَكَانَتْ عَلَىٰ الأَرْزَاءِ نَفْسِي قَوِيَّةً ... وَلَكِنَّهَا عَنْ حَمْلِ ذَا الرُّزْءِ تَضْعُفُ

وختمها بقوله:

/٣٠٥أ/ جَزَاءً بِمَا أَسْلَفْتِنِي مِنْ عَوَارِفٍ ... وَكُلُّ امْرِىءٍ يُجْزَىٰ بِمَا كَانَ يُسْلِفُ

[١٧٦]

إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن المأمون بن محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمَدَ بنِ العَباسِ بنِ يوسفَ، أبو المَجد الأنصَاريُّ الواعظُ الدمَشقيُّ.

حدثني الصاحب أبو البركات المستوفي، قال: ورد أبو المجد إربل فامتدح الملك المعظم أبا سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رحمه الله ـ بقصيدة، لنفسه في أوائل سنة خمس عشرة وستمائة: [من الكامل]

قُمْ نَغْتَنِمْ فُرَصًا مِنَ اللَّذَاتِ ... بِالرَّاحِ نَجْلُوهَا عَلَىٰ الرَّاحَاتِ
صَهْبَاءُ تُشْرِقُ فِي الزُّجَاجِ كَأَنَّهَا ... بَرْقٌ تَأَلُّقُهُ مِنَ الآيَاتِ
أَوْ مِثْلُ شَمْسٍ أَشْرَقَتْ بِحَبَابِهَا ... دُرٌّ تَنَضَّدَ فِي ذُرَىٰ الكَاسَاتِ
مِنْ كَفِّ أَهْيَفَ كَالهِلَالِ إِذَا بَدَا ... حُلْوَ الشَّمَائِلِ فَاتِنَ الحَرَكَاتِ
يَسْبِي القُلُوبَ قَوَامُهُ وَكَلَامُهُ ... طَلْقَ المُحَيَّا فَاتِنَ الحَرَكَاتِ

رَشَـأٌ يُعَـاطِيْنَـا الكُـؤُوْسَ بِمَجْلِـسٍ ... فِيْـهِ اصْطِحَـابُ العُـودِ وَالنَّـايَـاتِ
يَـرْنُـو فَـأَحْسَـبُ بَـابِـلاً بِلِحَـاظِـهِ ... أَوْ مَشْـرِفِيًّـا مَـاضِـيَ الشَّفَـرَاتِ
أَهْـوَى مَضَـارِبَـهُ وَأَعْشَـقُ خَـدَّهُ ... وَأَوَدُّ أُبصِـرُهُ مَـعَ السَّـاعَـاتِ
وَأَهِيْـمُ مِـنْ شَـوْقٍ إِلَـىٰ تَقْبِيْلِـهِ ... شَـوْقًـا يَـزِيْـدُ بِحَمْلِهِ حَسَـرَاتِـي
/ ٣٠٥ب/ وَأَرَىٰ النَّعِيـمَ بِـهِ عَـذَابِيَ دَائِمًـا ... وَتَلَـذُّ لِـيْ بِصُـدُوْدِهِ زَفَـرَاتِـيْ

[١٧٧]

اليَاسُ بنُ جامعِ بنِ عليِّ بنِ أبي كاملِ بنِ أبي طالبٍ العبديُّ، أبو الفضلِ الإرِبليُّ[١].

الفقيهُ الشافعيُّ العدلُ. كان أحدَ عدول إربلَ المعتبرين. وكان والدهُ يلقب أيّنا[٢].

حدثني الصاحب شرف الدين أبو البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وهو مما ذكره في تاريخ إربل، قال: كان أبو الفضل يبلغ إلىٰ أبي طالب من غير زيادة في النسبة، فقال لي يومًا: بلغني أن أبا طالب ـ يعني جدّه ـ كانَ نحويًا، فقلت لعله العبدي أحد أئمة إربل المذكور بها.

تفقه بإربل ثم رحل إلىٰ بغداد طلبًا للفقه، فأقام بها زمانًا طويلاً، وكتب الكثير من حديثها بيده، وسمع من رجال الحديث خلقًا كثيراً، وروىٰ عنهم.

سمع شهدة بنت أحمد الأبري، والأسعد بن بلدرك الجبريلي، وأبا إسحاق

---

(١) ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٦٠. طبقات الإسنوي ١/ ١٢٥ ـ ١٢٦. الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ١٦٥. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص٤٨ ـ ٤٩ رقم ١١. التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٦٤ رقم ٨٨٢. المشتبه ١/ ١٢٦ (الحامي). تأريخ إربل ١/ ١٩١. مجمع الآداب ١/ رقم ٥٢٤، ٥/ رقم ٥٤٠١ و٥٦٩٩. البداية والنهاية ١٣/ ٤٢ وفيه: «أبو الفضل بن الياس» وهو غلط، توضيح المشتبه ٢/ ١٣٣ (الحامي) و٥/ ٨٩ (سَروان). تبصير المنتبه ٢/ ٦٨٠.
ترجم المؤلف لولده «الياس بن الياس...» في أول الجزء الثاني المفقود، كما أشار بذلك في نهاية هذا الجزء.
كما ترجم لابن أخيه (محمد بن الحسن بن جامع) في الجزء السابع برقم ٧٩٤.

(٢) في هامش الأصل: «أينا، هو في لغة الأكراد: جامع».

إبراهيم بن علي بن الفراء السلمي، وأبا الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، والشريف أبا الفتوح المبارك بن محد بن سلم الهاشمي /٣٠٦أ/ وأبا هاشم عيسىٰ بن أحمد الدوشابي، وأبا العزّ محمد بن محمد [بن مواهب بن الخراساني، وأبي الحسن علي بن محمد بن بكروس، وأبي الكلام][(١)] جعفر بن عقيل، وأبا الفتح عبيد الله بن عبيد الله بن شاتيل، وأبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمان القزاز وخلق كثير.

وكان وافر الهمّة كثير الكتابة والتحصيل. سافر إلىٰ مدينة السلام طالبًا للحديث النبوي في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وأقام بها مدة يتفقه بمدرستها النّظامية علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وعاد إلىٰ بلده، وخرّج التخاريج، وجمع مجموعات جمّة، وحدّث هناك بأكثر سماعاته، وتفرّد بكتابة الشروط.

وسمع منه جماعة من الإربليين والواردين إلىٰ إربل، وأفاد الناس، وانتفع به عالم لا يحصىٰ. وكان صدوقًا ثقة مأمونًا.

وكانت ولادته ـ مما قرىء بخطّ يده ـ: مولدي في وقت الغروب من ليلة الأحد سابع وعشرين شعبان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بإربل. وتوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يوم الإثنين خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستمائة، ودفن بظاهرها في شرقيها قريبًا من مقبرة أحمد الزرزاري الزاهد.

ألقىٰ بإربل تفسير الإمام أبي إسحاق الثعلبي علىٰ جماعة با . . . . . ؛ وله تواليف عدّة /٣٠٦ب/ منها كتاب «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب كبير في الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول؛ وغير ذلك.

وقال الصاحب الوزير شرف الدين أبو البركات، أنشدني لنفسه: [من البسيط]

قَالُوا الكَمَالُ يَزِيْدِيٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ ... لا تَأمَنُوْهُ وَكُوْنُوا مِنْهُ فِيْ حَذَرِ
أَضْحَىٰ بِسُوْءِ ٱعْتِقَادِ فِيْ الوَصِيِّ وَفِيْ ... أَبنَائِهِ النُّجَبَاءِ السَّادَةَ الزُّهُرَ
أَعْمَىٰ الفُؤَادِ وَأَعْمَىٰ العَيْنِ فَهُوَ إِذَنْ ... عَلَىٰ القِيَاسَيْنِ أَعْمَىٰ القَلْبِ وَالبَصَرِ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وقال أيضًا، وهو مما نقل من خطه: [من الطويل]

أَمُمْرِضَ قَلْبِي مَا لِهَجْرِكَ آخِرُ ... وَمُسْهِرَ طَرْفِي هَلْ خَيَالُكَ زَائِرُ
وَمُسْتَعْذِبَ التَّعْذِيبِ جَوْرًا بِصَدِّهِ ... أَمَا لَكَ فِي شَرْعِ المَحَبَّةِ زَاجِرُ
هَنِيئًا لَكَ القَلْبُ الَّذِي قَدْ وَقَفْتَهُ ... عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِي وَأَنْتَ مُسَامِرُ
فَلا فادح الحُزْن المُبَرِّح خَاطِرِي ... لِبُعْدِكَ حَتَّى يَجْمَعَ الشَّمْلَ قَادِرُ
فَإِنْ مُتُّ فَالتَّسْلِيمُ مِنِّي عَلَيْكُمُ ... يُعَاوِدُكُمْ مَا كَبَّرَ اللهَ ذَاكِرُ

وحدّثني يوسف بن ضوء بن علي الإربلي، قال: وعدت الياس بن جامع بجزء من تفسير الثعلبي /٣٠٧أ/ أن آتيه به إذا انقضى في ذلك الوقت عيد النصارى، فانقضى العيد بأيام، وكتب إلي يقتضيني الجزء: [من الطويل]

مُهَذَّبَ الدِّينِ يَا ذَا الفَضْلِ وَالحَسَبِ ... وَالعِلْمِ وَالشَّرَفِ السَّامِي مَعَ النَّسَبِ
عِيْدُ النَّصَارَى انْقَضَى وَالدَّيْنُ حَلَّ بِهِ ... لا صَبْرَ لا صَبْرَ لِي عَنْ سَيِّدِ الكُتُبِ
فَانْعَمْ بِهِ كَأَيَادِيكَ الَّتِي سَبَقَتْ ... فَالمَنُّ بِالكُتْبِ فَوْقَ المَنِّ بِالذَّهَبِ

تم الجزء الأول من هذا الكتاب

والحمد لله أولاً وآخراً وصلّى الله على محمد وآله

ويتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله

ذكر ولده الياس بن الياس بن جامع بن علي الإربلي(١)

---

(١) في هامش الأصل: «طالعه واستفاد منه ونقل أحمد مكتوم القيسي داعيًا لمالكه» و«طالعه ونقل منه محمد أحمد عبد القادر».

يقول المحقق: وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي، أبو محمد، تاج الدين، عالم بالتراجم، مصري، ولد سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م، له معرفة بالتفسير وفقه الحنفية، وله نظم جيد، ناب في الحكم بالقاهرة وتوفي بها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨هـ. من كتبه: «الدر اللقيط من البحر المحيط» في التفسير، و«التذكرة» تشتمل على عدة فوائد، و«الجمع المتناه في أخبار النحاة».

قال ابن حجر العسقلاني: «رأيت منه الكثير بخطه، وقلما وقفت على كتاب من الكتب الأدبية من شعر وتأريخ إلاّ وعليه ترجمة مصنف الكتاب بخط ابن مكتوم هذا».

ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٧٤، كشف الظنون ١/ ٢٢٦، الجواهر المضية ١/ ٧٥، المكتبة الأزهرية ١/ ٢٢٧، المخطوطات المصورة ٢/ ٢١٣، الأعلام ١/ ١٥٣.

إشارات لبعض تراجم الجزء الثاني من قلائد الجُمان

وردت بين ثنايا كتاب قلائد الجُمان إشارات لتراجم بعض الشعراء في الجزء الثاني (المفقود).

- **إلياس بن إلياس بن جامع بن علي بن أبي كامل بن أبي طالب العبدي الإربلي.**

أشار إليه المؤلف في آخر الجزء الأول، وذكر أنه سيكون بداية الجزء الثاني.

- **أحمد بن سعيد بن المبارك بن ثابت بن علي الأزري، أبو العباس الموصلي الباعشيقي، المعروف بابن الدنيّة.**

وهو من قرية تدعى أزر من قرى قوسان الأعلى من الأعمال العراقية.

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (محمد بن أحمد) في الجزء السابع برقم ٧٥٥.

- **اسفنديار بن أبي علي الموفّق بن محمد بن ططمش البوشنجي، أبو الفضل الواسطي البغدادي الواعظ.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (أحمد بن اسفنديار) في الجزء الأول برقم ١٢٣.

ذكر اليونيني في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ما نقله عن قلائد الجمان ما نصّه:

قال المبارك بن أبي بكر بن حمدان في قلائد الجمان:

«لقيته ببغداد في ليلة الخميس سنة أربع وعشرين وستمائة، وهو شيخ كبير مسنّ، وهو مع ذلك صاحب فكاهة ومخاطرة.

أنشدني لنفسه ما كتبه لقوم صحبهم يقول:

وقد كنت مغرًى بالزمان وأهله ... ولم أدر أن الدهر بالغدر دائلُ

أريَ كل من طارحته الودّ صاحباً ... ولكنّه مَع دولة الدهر سائلُ

وربَّ أناس كنت ألحظ ودّهم ... وما نالني منهم سوى المزق طائلُ

تغالوا ولائي ثم حالوا سآمة ... وحال بني الأيام لا شك حائلُ

وأعدم شيء سامه المرء دهره ... حبيب مصاف أو خليل يواصلُ

أسادتنا قد كنت أحظى بوصلكم وأجني ثمار العيش والدهر غافلُ
وما خلت أن البين يصدع شملنا ولا أنني عنكم مدى الدهر راحلُ
وتالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن نَبَتْ بيَّ المقام المنازلُ
قطعت الفلا عنهنَّ حين أضعنني فأقفرن عن مثلي وَهُنَّ أواهلُ
واني إذا لم يقل جدِّي ببلدة هدتني إلى أخرى السرى والعواملُ
إذا المرء لم يظمأ لورد مكدر فلا بُدَّ يومًا أن تروق المناهلُ
سيعلم قومي قدر ما بَان عنهم وتذكرني إن عشت تلك المعاقلُ

وقال أيضًا ـ رحمه الله:

كل له غرضٌ يسعى ليدركه والمرء يجعل إدراك العلى غرضهْ
يهين أمواله صونًا لسؤدده ولم يصبن عرضَه من لم يهن عَرضهْ

وقال أيضًا ـ رحمه الله:

الدهر بحر والزمان ساحل والناس ركب راحل ونازلُ
كأنهم سيارة في مهمه مكاره الدهر لهم مناهلُ

وقال سعد الدين مسعود بن حمويه الجويني[١]: سألت نجم الدين الواعظ عن اسمه، فقال: علي بن علي بن اسفنديار المنشيء البغدادي، وشيخ صحبتي جدّي العلامة اسفنديار ابن الموفق البوشنجي، وشيخ خرقة تسموني شيخ الحقيقة ولسان الطريقة شهاب الدين عمر السهروردي. وحصل لي منه صحبة ونسب، وشيخ فقري وتجريدي مريد بن نميه أبو الحسن علي بن الرفاعي[٢] وقصدته بأم عبيدة من البطائح يهديني، وأبوتي شيخ زمانه ومقدم أقرانه، المعرض عن الفاني الدنيوي لهوانه وقصر زمانه، المقبل على الباقي الأخروي لدوامه وعزّ سلطانه العالم العامل كمال الدين محمد بن طلحة القرشي العدوي[٣]. وسمعت الحديث على ثمانين شيخًا كما رويته عن بعضهم ملفًا، فقال: «ما طلب الترفع في مجلس إلاّ من وجد الوضاعة في نفسه».

قال سعد الدين أنشدني نجم الدين لبعضهم:

إذا زار بالجثمان غيري فانني أزور مع الساعات ربعك بالقلب
وما كل ناءٍ عن ديار بنازح ولا كُلّ دانٍ في الحقيقة ذو قربَ

---

(١) هو مسعود بن عبد الله بن عمر (ت ٦٧٤هـ).
(٢) علي بن عبد الرحيم الرفاعي، ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٤١٢.
(٣) ترجم له المؤلف بهامش الجزء السابع بعد الترجمة المرقمة ٧٩٨.

● **بدران بن فتوح بن سلطان العقيلي الجزري، الأمير مبارز الدين، أبو المفاخر.**

ذكره ابن الفوطي في كتابه مجمع الآداب ٤/ ٣٢٣ قائلاً:

روى عنه كمال الدين أبو بكر المبارك بن [أبي بكر بن] حمدان بن الشعار في كتاب عقود الجمان وقال: «كتب مبارز الدين بدران إلى عزّ الدين بن شدّاد الحلبي من شعره:

أبداً بالدعاء يأتونك الأتباع سعياً بالشكر والألطاف
فرسي بعتُ أمسِ واليوم رمحي وكسائي وفروتي ولحافي
ما عسى أن أقول عند خروجي من بيوت الكرامِ عريان حافي»

● **جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله، القاضي أبي محمد الكفرعزي الإربلي.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (محمد بن جعفر) في الجزء السابع برقم ٧٥٤.

● **جعفر بن محمد بن مختار المصري.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة أخيه (يحيى بن محمد بن مختار) في الجزء العاشر برقم ٩٣٣.

● **الحسن بن هبة الله بن محمد بن عمر، الحلبي مولداً ومنشئاً، الموصلي، أبو عبد الله بن أبي علي.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (الفضل بن الحسن) في الجزء الخامس برقم ٥٨٣.

● **الحسين بن علي بن سعيد بن حامد بن عثمان بن علي بن جار الخير، أبو عبد الله السنجاري.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (علي بن الحسين) في الجزء الخامس برقم ٥١٠.

● **حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن زيد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو الفتوح الحسيني العلوي الموصلي.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (محمد بن حيدر) في الجزء السابع برقم ٧٤١.

● **رشيد بن إسماعيل بن الحسين بن حامد بن جبارة بن المحسن بن عبد الله.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة أبيه (إسماعيل بن الحسين) في الجزء الأول برقم ١٦٢.

● **سعيد بن عيسى بن سعد الله، أبو الخير الخرّاط الإربلي.**

أشار إليه المؤلف في ترجمة ولده (يونس بن سعيد) في الجزء العاشر برقم ١٠٠٠.

فهرس موضوعات وتراجم

الجزء الأول



فهرس تراجم الجزء الأول

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

حرف الهمزة

ذكر من اسمه إبراهيم

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه إسحاق

ذكر من اسمه أسعد

ذكر من اسمه إسماعيل